المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

# الحياة العلمية في مكة

## (١١١٥هـ -١٣٣٤هـ) - (١٧٠٣م -١٩١٦م)

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالبة /

آمال رمضان عبد الحميد صديق

الرقم الجامعي: ٤٢٣٧٠٠٩٣

إشراف : الأستاذ الدكتور /

عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش

١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م

الجزء الأول

قال تعالى:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

(المجادلة: من الآية١١)



## من فيض الخاطر

حياةُ العلم ترسم في العيون … غرام الشوق للبلد الأمين

فمكةُ حبها يسري بروحي … ويعظم فضلُها عبر السنين

وأذكرها برؤيةِ كل حسنٍ … وأُعليها بدنياي وديني

إذا ما العلم ناداني لسبقٍ … بحثت لها عن الكنز الثمين

أفكّر ثم أكتب كل سطرٍ … بتهذيب وتحقيق مبين

رجائي أن يوفقني إلهي … ويكرم صاحب الخلق الرزين

ومسدي الخير: من **عبد اللطيفا** … وجّهني بإشرافٍ ولين

فذاك مؤرخٌ أسدى الحجازا … عظيم الفكر مع وقت ثمين

فأنعم بالكرامِ بني دهيشٍ … أولي الأفضال والمجدِ المكين

كما أسكنتني ربي زماناً … بوادٍ غير ذي خوفٍ مهين

فأسكن روعتي واستر عيوبي … وأكرم كل مفضالٍ معين [١]

(١) قُرض بطلب من الباحثة وبتوجيهٍ لأفكاره.

# الإهداء

إ من أشعر دوماً بالفخر بالانتماء إليهما .. إ من أ التحلي ميل صفا ما إ **والدي ووالد** أمد ا عمر ا ..

إ من تقف حروف كلما عاجزة عن إيفائه حقه .. ومن وقف ا وأهدى ا ستقبل ا شرق .. إ **زوجي** رفيق در الشيخ / خالد زة ..

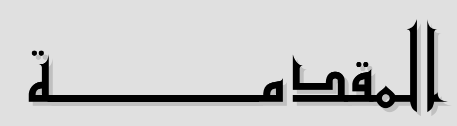
إ **أبنائي** .. رة عمري وغدي الواعد: عبد الر ن وليلي وجويرية أهدي هذا ا هد ا تواضع مع أمل يسبق خطاهم أن دوا ب طياته دافعاً لتتبع نفس ا طا .

إ من لو بهم .. ووقفوا ا فكانوا خ سند وعون .. **إخوا** خالد ووليد وفيصل .

إ أحب بلاد ا إ ا .. مكة ...

إلى كل هؤلاء أهدي عملي هذا ،،،،

**آمال رمضان عبد الحميد صديق**


المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد   الذي رفع شأن العلم وحملته، ومدحهم في كتابه الكريم بقوله : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾(١) .

والصلاة والسلام على سيد خلقه، وخاتم رسله، نبينا محمد بن عبد ا   الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، وعلمه فأحسن تعليمه، وامتن عليه بنعمة العلم، وأمره بطلب الزيادة فيه مع ما أعطاه من العلم والحكمة، فقال مخاطباً له: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾(٢) اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد ....

فلقد أسبغ ا   **تعالى** على **مكة البلد الأمين** نعماً كثيرة، وأقسم بها في كتابه فقال: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾(٣) ، وسماها أم القرى بقوله: ﴿ لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾(٤) ، وقال عنها المصطفى ﷺ: **((وا**   إنك لأحب أرض ا   إلى ا   وأحب أرض ا   إلي)) (5) ، وجعل ا   أفئدة الناس ﴿تهوي﴾ إليها، وجعلها ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾(٦)، وجعلها قبلة، وحراما، ومحجاً، وعظمها وأعلى شأنها، فيها أمان للإنسان، وأمان للحيوان، وأمان للنباتات، وأمان بعد أمان، وبركة بعد بركة، إنها مكة وبكة وأم القرى البلد والمسجد الحرام ، كانت ولا تزال معقلاً من معاقل العلم، فهي رائدة التعليم في العصر الإسلامي بلا منازع، فيها نزلت ﴿اقرأ﴾ ، ومن قمة

---

(١) سورة الزمر، آية: ٩.

(٢) سورة طه، آية: ١١٤.

(٣) سورة التين، آية:٣.

(٤) سورة الشورى، آية: ٧.

(5) محمد بن عيسي الترمذي: الجامع الصحيح ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت، دار الكتب العلمية)، ج٥، ص٦٧٩ ـ ٦٨٠، ح٣٩٢٦، وقال حديث غريب.

(٦) سورة الحج، آية:٢٥.

جبل النور شع نور العلم والإيمان، وفي حرمها نشأ النبي الكريم، وفي غار حراء بعث صلى ا عليه وسلم ليكون للبشرية هادياً وبشيراً وداعياً إلى ا بإذنه وسراجاً منيراً.

عرفت شعابها **أول مدرسة** في الإسلام وهي دار الأرقم بن أبي الأرقم التي قامت بتعليم الدين الحنيف، وبعد الفتح حامت حول أرجائها حلقات العلم بمختلف فنونه من علوم شرعية ولغة عربية وغيرها، واستمرت تلك الحلقات ردحاً من الزمان في تزايد ونمو مما ساعد على ظهور المدارس، فأُنشيء حول المسجد الحرام العديد منها.

وأضفى وجود المسجد الحرام بظلاله على الحياة العلمية بها فنشطت دور العلم وعلت همة طلبته وغدت محط أنظار العلماء من كافة الأقطار الإسلامية طلباً للعلم الشرعي وحباً في المجاورة.

واهتم حكام الدولة الإسلامية بدءاً من الخلافة الراشدة ثم الأموية ثم العباسية والمملوكية فالعثمانية اهتماماً كبيراً بأم القرى، وأولوها جل عنايتهم ورعايتهم باعتبارها بلد ا الحرام وقبلة أنظار المسلمين في العالم أجمع.

ولأهمية تاريخ مكة ليس لأهله فقط وإنما لجميع المسلمين؛ فقد أحببت أن أدلو بدلوي مع تلك الدلاء، وأسهم ببحثي مع ذلكم التراث، وأعطر مداد قلمي بالكتابة عن الحياة العلمية بمكة التي سطر على سفوح جبالها أول سطر في التاريخ الإسلامي.

وبعد مشاورة **سعادة الأستاذ المشرف** رأيت أن أكتب في هذا الموضوع تحت عنوان:

## الحياة العلمية في مكة " ١١١٥ - ١٣٣٤هـ)/ (١٧٠٣ - ١٩١٦ مـ "

**وقد جعلت هذا البحث في فترة محددة** وهي من بداية حكم السلطان العثماني أحمد الثالث الذي حكم من عام (١١١٥هـ/١٧٠٣م) إلى عام (١١٤٣هـ/١٧٣٠م) وحتى نهاية الحكم العثماني على الحجاز (١٣٣٤هـ/١٩١٦م)، ويرجع السبب وراء تحديد الإطار الزماني لهذه الفترة لأن عهد السلطان **أحمد الثالث** شهد تحولاً كبيراً



في مسيرة العلم والتعليم في الدولة العثمانية، فيعود الفضل بعد الله سبحانه وتعالى لهذا السلطان الذي أمر بإدخال **المطبعة** إلى بلاده، وتأسيس **دار طباعة** في اسطانبول.

ومما لا شك فيه أن دخول الطباعة في هذه الفترة كان له تأثير قوي على **ازدهار الحركة العلمية** في البلاد الإسلامية، ولا سيما مدينة **مكة؛** حيث كانت ملتقى العلماء من حجاج ومعتمرين ومجاورين الذين أناخوا بمطاياهم في رحابها فأثروا الحياة العلمية بها بما لديهم من معارف وعلوم، وما حملوه معهم من مصنفات وكتب، والتي أسهمت المطابع الحديثة في سرعة انتشارها.

كذلك إن **ما نراه الآن** في مكة من أنشطة علمية خاصة في مجال العلوم الشرعية والعلوم المكتسبة وطرق التلقي المتنوعة، هي من آثار تلكم الفترة التي مازالت تتناغم مع واقعنا المعاصر، والدراسة التاريخية تؤصل الحاضر وترسم المستقبل.

ويبقى أن نشير إلى أنه على الرغم من الأهمية العلمية للموضوع، إلا أنه لم يحظ بعناية الباحثين، كما أنه ومن خلال استقصاء أغلب ما كتب عن مكة تبين أن الموضوع لم يسبق وإن قدمت عنه دراسة متكاملة في بحث مخصص لها، فلا يوجد بحث مفصل عن "الحياة العلمية في مكة" خلال العصر العثماني خاصة فترة البحث.

فرغم كثرة ما كتب عن مكة هذه الفترة إلا أنها كتابات يعتريها النقص ويعوزها العمق والاستقصاء في هذا الجانب، فقد كانت جل الدراسات لهذه الفترة منصبةً على النواحي السياسية، حيث شهدت مكة هذه الفترة تحولات سياسية وحروباً إقليمية ودولية أضفت ببريقها على عيون الباحثين، فاتجهت هممهم إلى دراسة ذلك وبقيت بقية من الدراسات التي تعني بالجوانب العلمية تنظر من يبحث في أصولها ويبرزها تحت أطر النقد والتحليل العلمي التاريخي.

ورغم صدور **كتب أو مقالات** عن الأوضاع الثقافية أو العلمية بمكة فترة البحث إلا أنها كانت جزئية تمسها مساً خفيفاً رقيقاً لا ينفذ إلى أعماقها ولا يحيط بجوانبها ولا يجمع شتاتها ولا يستوعب متفرقاتها، ولا يحلل دوافعها وأهدافها، وما

كان دراسةً علميةً منها، كان جزئياً يبحث نقطةً أو مطلباً دون إحاطة بكامل مباحث الحياة العلمية.

**أما هذه الدراسة** فالآمال مرجوة من الله أن تكون قد جمعت ما تفرق عن الحياة العلمية بمكة فترة البحث، واستوعبت أجزاءه، وأحاطت بنواحيه، وسدت خلة في جانب من تاريخ هذه المدينة المباركة، ولا سيما والبحث يخضع للإشراف العلمي المتخصص، ولعل هذا جزء مما يمليه الواجب العام تجاه بلد الله الحرام.

ومما وقفت عليه من **دراسات سابقة** تناولت بعضاً من نقاط البحث كتاب:

ـ "**التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني**" لمحمد عبد الرحمن الشامخ، وهو كتاب يتناول المؤسسات التعليمية التي ظهرت بمكة أواخر العهد العثماني والدور التعليمي الذي قامت به، ورغم أهمية الكتاب للمكتبة المكية إلا أنه يتناول فترة متأخرة من البحث إضافة إلى تقادم عهده فقد صدر عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٥م) أي منذ ما يزيد عن ثلاثين عاماً، وخلال هذه الفترة ظهر الكثير من الوثائق والمخطوطات التي أماطت اللثام عن العديد من المؤسسات التعليمية بمكة .

ـ "**الحياة الثقافية في مكة المكرمة في القرن التاسع عشر الميلادي١٢١٥هـ ـ ١٣١٧هـ**" ليحيى محمود بن جنيد، وهو كتيب يقع في نحو مائة صفحة من القطع الصغير ألحق مؤلفه به نماذج من المخطوطات المكية، وهو مختصر شامل يعطي فكرة موجزة عن الحياة العلمية بمكة في هذه الفترة بلمحة سريعة.

ـ "**تاريخ التعليم في الحجاز حتى عام ١٩٢٥م**"، للأستاذ الدكتور عبد اللطيف ابن دهيش مطبوع باللغة الإنجليزية عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، وهو في الأصل رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه من جامعة ليدز بإنجلترا.

ـ ومن ضمن الدراسات السابقة أيضاً **عدد من المقالات والبحوث** حول هذا الموضوع منثورة في بعض المجلات العلمية والأدبية، أو موضوعات في كتب

تشمل التاريخ العام لمكة منذ النشأة وحتى العصر الحالي كتاريخ مكة لأحمد السباعي.

وفي سبيل **جمع المادة العملية المتعلقة بالموضوع**، فإنني قمت بزيارات ومراسلات لعدد من **المكتبات العامة والخاصة** في داخل المملكة وخارجها، ومن المكتبات التي **زرتها أو استفدت من مقتنياتها داخل المملكة**، مكتبة الحرم الشريف ومكتبة مكة المكرمة، والمكتبة المركزية بجامعة أم القرى، طلاب وطالبات والمكتبة الخاصة لسعادة الدكتور المشرف عبد اللطيف بن دهيش، ومكتبة الدكتور عبد ا الشاوش، وأما **مدينة الرياض** فقد استفدت بما تحصلت عليه من دارة الملك عبد العزيز ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ومكتبة الملك فهد الوطنية وقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود، وبالنسبة **للمكتبات خارج المملكة**، فإنني **زرت** مكتبة جامعة القاهرة، ومكتبة جامعة عين شمس، ومكتبة الإسكندرية **واستفدت** من مقتنيات دار الوثائق المصرية، ودار الكتب المصرية، كما **استفدت** من مكتبات القاهرة ومعارض الكتاب التي أقيمت بها خلال فترة إعداد الرسالة.

وقد تحصل لي من ذلك كم كبير من المادة العلمية المتفرقة، التي استوجبت طبيعة البحث أن يتم تنسيقها من خلال منهج علمي دقيق يجمع متبعثرها، ويلم شتاتها، ويهذب شعثها، ولا سيما والبحث في جملته قائم على المعلومات التي ترد في تراجم العلماء والأدباء وسائر الشخصيات والأعلام، وإن التراجم المختلفة للشخصيات العلمية تحوي معلومات متفرقة، يمكن الاستفادة منها في فصول البحث المتعددة، فقد تحوي الترجمة فائدة اجتماعية، تليها معلومة حضارية، إضافة إلى موضوعات ثقافية مختلفة، وهكذا كان لزاماً وضع كل منها في مبحثه الخاص بها وقد أجهدني ذلك، إذ إن التعامل مع هذه المادة العلمية يحتاج إلى منهج دقيق لئلا تتداخل أجزاء البحث، ويمكن الاستفادة من المعلومة وتوظيفها في المكان المناسب لها، وقد استلزم ذلك أيضاً تحليل المعلومات بانفرادها، ومجتمعة مما يعطي الصورة الكلية عن الحياة العلمية متناسقة مع جزئياتها المختلفة.

وبناء على ما سبق، فقد يرد ذكر العالم أكثر من مرة تبعاً لمشاركته في الكثير من مباحث الرسالة فأترجم له الترجمة الوافية أول مرة بقدر الإمكان، ثم أكتفي بذكر اسمه وتاريخ وفاته، إذا تكرر ذكره.

وقد اعتمدت في بحثي على **مجموعة من المصادر الأصلية** أهمها ما يلي:

**أولاً: الوثائق :**

**أ ـ الوثائق غير المنشورة:**

**ـ معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج بمكة المكرمة:**

استفاد البحث من الوثائق الموجودة بالمعهد، والتي تلقي الضوء على الكثير من جوانب الحياة العلمية بمكة في تلك الفترة، وتظهر دور المؤسسات التعليمية في مسيرة التعليم بمكة، أو التي توضح جوانب متعددة من مباحث الرسالة.

**ـ دار الوثائق القومية المصرية:**

ـ اعتمد البحث على **وثائق سجلات الروزنامة:** والتي تحتوي على **دفاتر الصرة الرومية، ودفاتر الصرة الجوالي** ودفاتر **الإيرادات والمصروفات**: وهي مجموعة من الدفاتر والسجلات تشمل المرسل سنوياً من الصرة إلى الحجاز، والتي تنفق على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، كما أنها توضح العديد من المؤسسات العلمية والاجتماعية التي أنشئت في الحجاز، وقد حاولنا الاستفادة من السجلات المتعلقة بفترة البحث قدر المستطاع والتي لها علاقة مباشرة بالدراسة.

**ب: الوثائق المنشورة:**

استفاد البحث من الوثائق **المطبوعة أو المعربة** والتي منها:

"**سالنامه ولاية الحجاز**"، وهي عبارة عن كتاب يحمل معلومات تقويمية وعلمية وتعليمية يصدر مرة كل عام بمكة[(١)]، وقد صدر منها خمسة أعداد، في تواريخ: ١٣٠١هـ، ١٣٠٣هـ، ١٣٠٥هـ، ١٣٠٦، ١٣٠٩هـ، وقد ألقت هذه السالنامات الضوء على الكثير من القضايا المهمة والتي استفاد منها البحث

---

(١) محمد حرب: السالنامة العثمانية وأهميتها في بحوث الخليج والجزيرة العربية، (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، س ٩، ع ٣٣، ربيع الأول ١٤٠٣هـ/يناير ١٩٨٣م)، ص١٤٥ ـ ١٧٥.

كإسهامات السلاطين العثمانيين في عمارة المسجد الحرام، وفي إقامة بعض الأوقاف من مدارس ومستشفيات ومكتبات والخدمات التي قدموها للأهالي والحجاج، أيضاً ذكرت السالنامات أسماء الأربطة الموجودة بمكة ومواقعها، والمعروف أن هذه الأربطة أدت دوراً اجتماعياً عظيماً تجلى في إيواء الكثير من طلبة العلم القادمين من بلادهم، والذين قصرت بهم النفقة عن إيجاد السكن، فهيئت لهم المكان المناسب ليتفرغوا لطلب العلم.

كما أوضحت السالنامه أسماء المدارس الخاصة بتعليم الصبيان أو ما يعرف بـ "الكتاتيب" وأماكن وجودها، وعرفت بأسماء المدرسين بالمسجد الحرام وما يصرف لهم من رواتب شهرية، وغير ذلك من معلومات خدمت البحث وأثرته.

- واستفادت الدراسة كذلك من كتاب "**نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز ، الأوقاف - المدارس - المكتبات**" للدكتور سهيل صابان، فهو كتاب قيم يحتوي على طائفة كبيرة من النصوص العثمانية التي ترصد الأوضاع الثقافية في الحجاز أوقافاً ومدارس ومكتبات إبان القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري وتتركز هذه الحركة الثقافية في مدينتي مكة والمدينة حيث تضمان الحرمين الشريفين، والكتاب يشمل "١٠٨" وثائق أصلية عثمانية يسبقها ترجمات لهذه الوثائق تغطي ١٣٥ عاماً من فترة البحث إذ يبدأ أولها بتاريخ (١١٩٨هـ/١٧٨٣م) وينتهي أخرها بتاريخ (١٣٣٢هـ/١٩١٣م)، استفاد البحث منها ما يقارب من **خمس وثلاثين** وثيقة تتعلق بالحياة الثقافية بمكة مباشرة، وقد أثرت البحث بما تحويه من معلومات قيمة عن أسماء بعض الأوقاف والمدارس والمكتبات المنشأة في فترة البحث، كما أوضحت الوظائف الموجودة في تلك المؤسسات من إشراف وتدريس ومراقبة وترميم وتجليد وحفظ للكتب إضافة إلى معرفة المناهج الدراسية المقررة على الطلاب في المدارس ومراحلها الدراسية.

**ثانياً: المخطوطات:**

حظي البحث بعدد كبير من **المخطوطات** التي حوت مادة علمية غطت الكثير من المباحث، واعتمد عليها البحث أصالة، ومنها ما أفاد البحث منه في جزئية،

ومنها ما تعددت الفوائد منه وكثرت، وأعرض هنا أهم هذه المخطوطات[1] التي أضحت **متن** الكثير من مطالب الرسالة:

- "**تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة**"، لعبد ا بن عبد الشكور بن محمد ابن عبد الشكور هندية (ت١٢٥٢هـ/١٨٣٦م)، ابتدأ فيه بترجمة الشريف سعود بن سعيد بن زيد، وما جرت بينه وبين ابن أخيه محمد بن عبد ا من المعارك حتى توفي في أول ربيع الثاني سنة (١١٦٥هـ/١٧٥١م) وينتهي بأخبار العهد السعودي الأول في القرن الثالث عشر الهجري، وقد استفاد منه البحث في معرفة الأحوال السياسية لمكة فترة البحث.

- "**الحديث شجون شرح رسالة ابن زيدون**" لجعفر بن أبي بكر لبني (ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م)، ولعله هو الكتاب الموسوم بـ"**تاريخ عوائل مكة**" المنسوب إليه، ورغم أن الرسالة في الأدب إلا أن شارحها بدأ فيها بمقدمة مطولة عن مكة وقد استفاد البحث منه في كثير من موضوعاته، ولا سيما فيما يتعلق **بتاريخ بيوت مكة والأسر العلمية بها**، خاصة الأسر التي عاصرها، إذ اعتمد في تراجمه على مشاهداته وما يعرفه عنها.

كما استفاد البحث من **مخطوطات** عبد الستار دهلوي (ت١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م) وهي وإن اختلفت مسمياتها وألقابها وتعدادها وتفرعاتها إلا أنها اعتمدت نوعاً ما على بعضها بعضاً في النقول والتكرار، وهذه المخطوطات ضمت تراجم علماء مكة ضمن فترة البحث ممن أثر في الحياة العلمية بها إضافة إلى عدد من الحجاج والمجاورين والذين ظهر لهم دور في النشاط العلمي بها، ومنها:

- "**أزهار البستان في طبقات الأعيان**" أو "**الأزهار الطيبة النشر في ذكر الأعيان من كل عصر**" ترجم فيه لعدد كبير من علماء العالم الإسلامي، واستفاد البحث من الجزء الثاني منه، وقد اشتمل على تراجم أعيان العصور وينتهي بالطبقة الرابعة عشر، أي إلى عهد المؤلف.

---

(١) جل هذه المخطوطات هي من نتاج علماء مكة في الفترة التي شملها البحث، ولذا فأعرض لها هنا على سبيل الإجمال وسيأتي مزيد من دراستها في المبحث المخصص لدراسة المصنفات المكية بالفصل الرابع .

ـ "**نثر الطائر فيمن أدركت من الأكابر**"، جمع فيه تراجم من أدركهم من العلماء ومن أخذ عنهم قراءة وبعضهم إجازة .

ـ "**فيض الملك المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي**"، جمع فيه المؤلف تراجم العلماء والأمراء وغيرهم من الرجال والنساء من أوائل القرن الثالث عشر حتى عهده.

ـ "**مائدة الفضل والكرم الجامعة لتراجم أهل الحرم**"، احتوى ترجمة العديد من الأسر المكية، على مختلف أطيافها الاجتماعية، ، استفاد منه البحث فيما يخص الأسر العلمية وإن كان المخطوط يحوي بياضاً لكثير من الأسر المكية.

وللدهلوي مؤلفات أخرى استفاد منها البحث فوائد متناثرة، تم تدوينها في أماكنها المناسبة من الدراسة.

ـ "**إفادة الأنام بذكر أخبار بيت الله الحرام**"، لعبد الله بن محمد غازي (ت١٣٦٥هـ/١٩٤٥م)، في أربعة أجزاء، خصص **الأول** في ذكر فضل مكة المشرفة وما يتعلق بتاريخها القديم، أما الجزء **الثاني** فكان عن بعض من دفن بها ودفن بمقابرها والمدارس والأربطة والآبار والسقايات والسيول في الجاهلية والإسلام والصاعقة...، أما **الثالث** فكان عن الخلفاء والملوك وصدقاتهم ومبراتهم إلى مكة، أما الجزء **الرابع** وهو خاتمة الكتاب فأسماه: "إتمام الكلام على إفادة الأنام" ويشتمل على ذكر بلاد العرب وتقسيمها.

وقد استفاد البحث منه كثيراً، إذ جمع الغازي بين كتب لمؤلفين سابقين، وكتب معاصريه، إضافة إلى الروايات الشفوية في كتابة الوقائع المتعلقة بزمنه أو قريبة العهد به، ناهيك عن مشاهداته الشخصية، ومعايشته لكثير من الأحداث المتعلقة بفترة البحث.

أما بالنسبة لأهم **المصادر المطبوعة** والتي استفاد منها البحث فمنها:

ـ "**منائح الكرم في أخبار البيت وولاة الحرم**" لعلي بن تاج الدين السنجاري (ت١١٢٥هـ/١٧١٣م) كتاب مهم في تاريخ مكة، سار فيه مؤلفه على منهج

الحوليات، وبلغ فيه إلى أخبار سنة (١١٢٤هـ/١٧١٢م) أي قبل وفاته بسنة واحدة، وقد أثرى الكتاب بمعلوماته القيمة الكثير من موضوعات الرسالة المتنوعة.

- "**اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن**" لمحمد بن علي بن فضل الطبري المكي (ت١١٧٣هـ/١٧٥٩م)، وهو كتاب يتناول تاريخ ولاة مكة المكرمة من زمن الرسول صلى ا عليه وسلم حتى زمن المؤلف في القرن الثاني عشر الهجري، وهو سجل حافل بتاريخ مكة مرتب حسب السنين الهجرية، امتاز بجمعه لتراجم الكثير من علماء مكة.

- "**خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**" لأحمد بن زيني دحلان (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م)، وهو تأريخ حافل استفاد منه البحث في الحياة العامة لمكة، وفي تراجم العلماء كذلك.

- "**تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام**" لمحمد بن أحمد ابن سالم بن محمد الصباغ المكي (ت١٣٢١هـ/١٩٠٣م) ، تناول فيه أخبار البيت الحرام والمشاعر والأحكام فجمع فيه شتات ما تفرق من الأخبار والأحكام في كتب التاريخ والســير، وما جاء في كتب الحديث والفقه وغيرها، انتهى من تأليفه في عام (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م)، وقد اشتمل على معلومات قيمة أفادت الكثير من مطالب الرسالة.

- "**نزهة الفكر في تراجم أفاضل رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر**"، وهو عبارة عن جزء من كتاب "**تاج تواريخ البشر وتتمة جميع السير**" أو كما يسمى: "**نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر من أوائل الموجودات إلى أواخر القرن الثالث عشر**" لأحمد الحضراوي (ت١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)، وقد استفاد البحث من الجزء **الرابع** من كتاب التراجم، وهو عبارة عن تراجم علماء وأمراء كان لهم ذكر في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين من شيوخ المؤلف وأصدقائه ومن عاصرهم من فضلاء وعلماء، وقد ألف الحضراوي كتابه على ما يبدو من خلال تراجمه عام (١٢٨٦هـ/١٨٦٩م)، والمطبوع قطعة منه تقع في جزأين يشتملان على تراجم العلماء وصل به إلى حرف القاف.

ـ "**نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة**"، من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري، لعبد ا  مرداد أبو الخير (ت١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، ترجم فيه لـ"٦٠٥" أعلام من أعلام مكة من بينهم "٣٠" امرأة، وقد استقى مادة مصنفه العلمية من المصادر التي سبقته أو القريبة العهد به، كذلك كانت تراجمه تشمل **أعلام مكة الذين عاصرهم** أو كان قريب العهد منهم فاعتمد في التأريخ لهم على ما سمعه من مشايخه ومن أقارب المترجم لهم، ومن مشاهداته الشخصية خاصة أولئك الذين تتلمذ على أيديهم، فكانت معلوماته في هذا الصدد أكثر وثوقاً وإسهاباً، مما أثرى البحث وأضاف له الكثير.

ـ "**دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام**" و "**سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة**" لعمر عبد الجبار، وقد استفاد البحث من هذين الكتابين لكون صاحبهما قد عاصر في ريعان شبابه نهاية العهد العثماني، فشاهد واستمع للكثير من علماء هذه الفترة بل وانضم لبعض حلق العلم التي كانت تدار في أروقة المسجد الحرام، فكانت كتاباته عن الحلق العلمية وطرق التدريس والمدرسين وأماكن دروسهم من المسجد الحرام، وغير ذلك من معلومات أثرت الكثير من مباحث الرسالة، ويلاحظ على الكتابين أن الكثير من المعلومات الواردة فيهما متطابقة حتى في العبارات والألفاظ.

كما تمت الاستفادة من العديد من كتب الرحلات العربية والمعربة التي دونها رحالة قدموا مكة فترة البحث وكتبوا عن انطباعاتهم ومشاهداتهم فكانت بمثابة سجل تاريخ مهم لمكة فترة إقامتهم، فمن كتب **الرحلات العربية** كتاب:

ـ "**الرحلات الحجازية**" لمحمد صادق باشا (ت١٣٢٠هـ/١٩٠٢م)، ويشمل عدداً من رحلات المؤلف للحجاز، يتناول فيه موضوعات مختلفة عن المدينتين المقدستين، إضافة إلى سرده لمعلومات جغرافية عن مكة، وعن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بها فترة البحث وقد دون رحلاته تحت اسم "**دليل الحج إلى الوارد مكة والمدينة من كل فج**" اشتمل على ثلاث رحلات في أعوام (١٢٧٧هـ/١٨٦٠م)، وفي عام (١٢٨٧هـ/١٨٧٠م)، وفي عام (١٣٠٢هـ/

١٨٨٤م)، والتي أسماها "**كوكب الحج**"، وله أيضاً "**مشعل المحمل**" وكانت في عام (١٢٩٧هـ/١٨٨٠م)، ومحمد صادق كان في رحلاته للحجاز مضطلعاً بمهام رسمية غالباً، ككونه أميناً للصرة، أو مستكشفاً لأغراض عسكرية، مما أضفى على الرحلات دقة تصل إلى تقييده التوقيت بالساعة والدقيقة، وهو أمر أعطى وصفاً لمشاهداته مطابقة للواقع بصورة كبيرة، وكان مردود ذلك إيجابياً على البحث.

- "**الرحلة الحجازية**" لمحمد لبيب البتنوني، وقد قام بها المؤلف عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)، وهي من أوفى الرحلات تفصيلاً عن أحوال الحجاز عامة ومكة خاصة، أثرت بمعلوماتها الكثير من مباحث الرسالة.

أما كتب **الرحلات المعربة** فقد استفاد البحث من العديد منها كتاب:

- "**رحلات في شبه جزيرة العرب**" لجون لويس بوركهارت،عام (١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م)، ومؤلف الكتاب قد تناوله المؤرخون بالكثير من النقد، إلا أنه بالرغم من هذه الملحوظات، فإن البحث قد استفاد منه خاصة فيما يتعلق بالحديث عن طباع أهل مكة، وعاداتهم الاجتماعية.

- "**صفحات من تاريخ مكة المشرفة في القرن الثالث عشر الهجري**" لسنوك هرورخونيه، والذي دون فيه رحلته إلى مكة عام (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م)، شمل معلومات مفيدة عن الحياة العلمية بمكة فترة البحث، خاصة فيما يتعلق بحلقات العلم التي كانت تدار في الحرم المكي، وبعض المصنفات التي كانت تدرس، وبداية وكيفية التدريس وغير ذلك، رغم ما أخذ على الكتاب ومصنفه من أمور إلا إن الاستفادة منه كانت كبيرة في هذا الصدد.

أما **المراجع العربية** التي أثرت البحث بمعلوماتها فمنها كتاب:

"**التاريخ والمؤرخون في مكة المكرمة من القرن الثالث إلى القرن الثالث عشر الهجري**" لمحمد الحبيب الهيلة، استفاد منه البحث فيما يتعلق بمصنفات المكيين حيث إن الكتاب يرشد إلى الكثير من مصادر الترجمة للعلماء المترجم لهم، إضافة إلى كتاب "**الأعلام**" للزركلي، و"**معجم المؤلفين**" لعمر رضا كحالة وغير ذلك من

المؤلفات التي تحدثت عن الكتب ومؤلفيها والتي تداولت في مكة فترة البحث وهي من نتاج المؤلفين المكيين.

ومن أهم **المراجع** التي وضعت **باللغة الأجنبية** والتي أثرت الرسالة وأفادتها: كتاب سعادة الأستاذ الدكتور/ **عبد اللطيف بن دهيش والذي** بعنوان: "**تاريخ التعليم في الحجاز**"، فهو كتاب شامل عن التعليم في مكة منذ فجر الإسلام وحتى العهد الهاشمي، تميز بدقة معلوماته واتساع في تناول الموضوعات، وقد استفدت منه استفادة كبيرة لاسيما ما يتعلق بالتعليم في الحجاز فترة الدراسة.

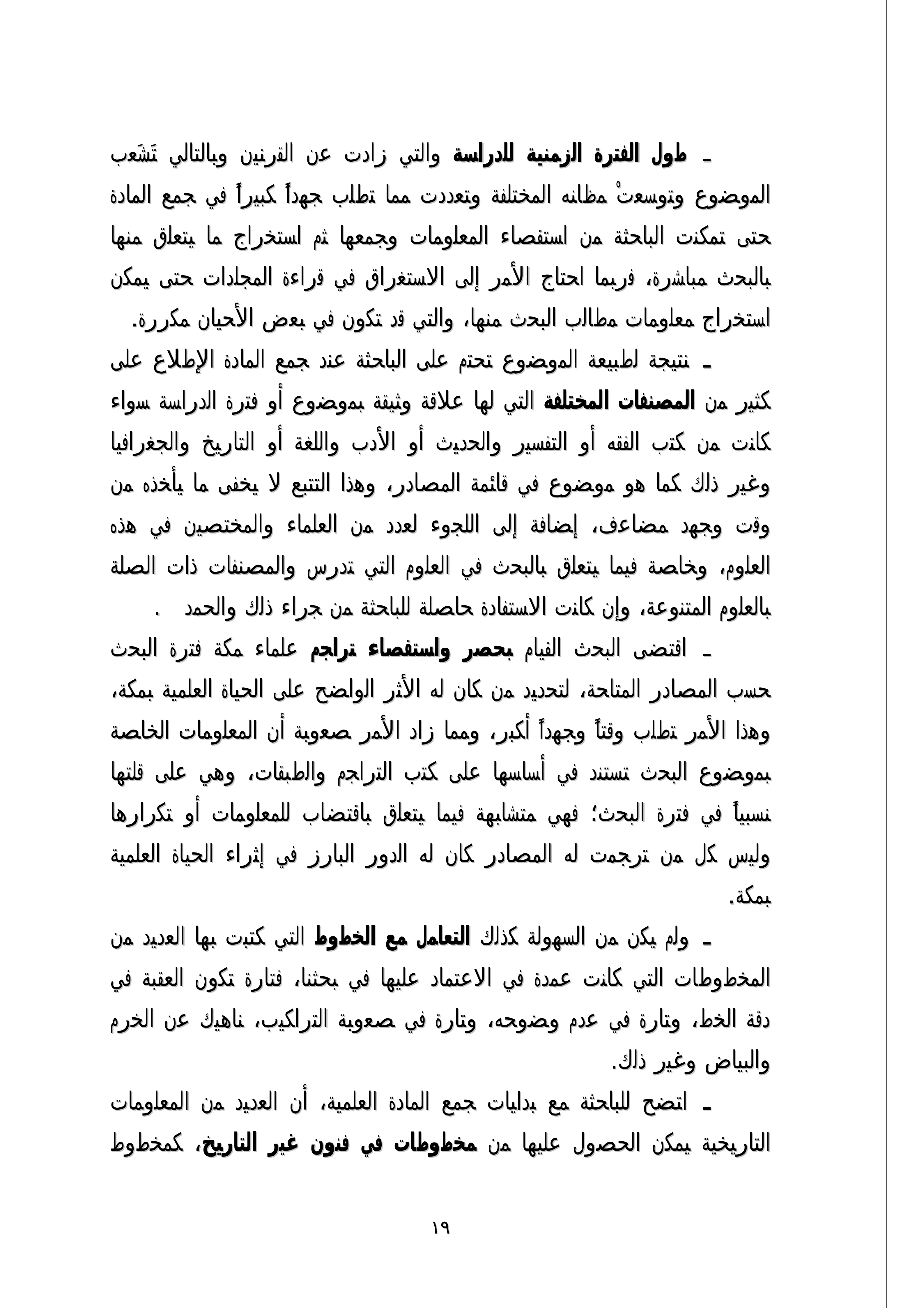
كما استفادت الدراسة من عدد من كتب المعاجم واللغة والمصطلحات والتي اقتضى البحث الرجوع إليها لتحديد التعريفات المختلفة لمفرادات البحث ككتاب **لسان العرب لابن منظور** (ت٧١١هـ/١١٣١م)، و**مختار الصحاح** للرازي، وغيرهما، وأما ما يتعلق بالمصطلحات العثمانية فقد كانت الإفادة عظيمة من كتاب "**المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية**"، للدكتور سهيل صابان، فقد أوفى في نقل ترجمة للمصطلحات، بحيث لم يحتج معه إلى غيره.

كما اطلعت الباحثة على **عدد آخر من المصادر والمراجع** مما يصعب ذكرها هنا جميعاً، كما قامت الباحثة في سبيل جمع المادة العلمية بتصفح شامل لمجادات عدد من الدوريات والرسائل العلمية التي ناقشت موضوعات متعلقة بجوانب متعددة من هذه الدراسة، وقد دونت جميع المصادر والمراجع والدوريات التي استفدت منها في قائمة المصادر والمرجع في آخر هذا البحث.

أما **الصعوبات** التي واجهت الباحثة في إعداد هذه الرسالة فهي كثيرة لم يخفف من وطأتها إلا طلب الأجر والمثوبة من ا تعالى على هذا العمل، ثم التأسي بالسلف الصالح الذين عانوا كثيراً وتحملوا المشاق العظيمة في سبيل نشر العلم بين أبناء الأمة الإسلامية، ثم ما تأمله الباحثة من النفع بهذه الرسالة إن شاء ا تعالى.

**وقد تمثلت الصعوبات في أمور لعل من أبرزها ما يلي:**

ـ **قلة المادة العلمية** المباشرة لهذا الموضوع وتشتتها في كثير من المصادر المختلفة، خاصة الوثائق والمخطوطات، مما جعل تتبعها وجمعها أمراً عسيراً.



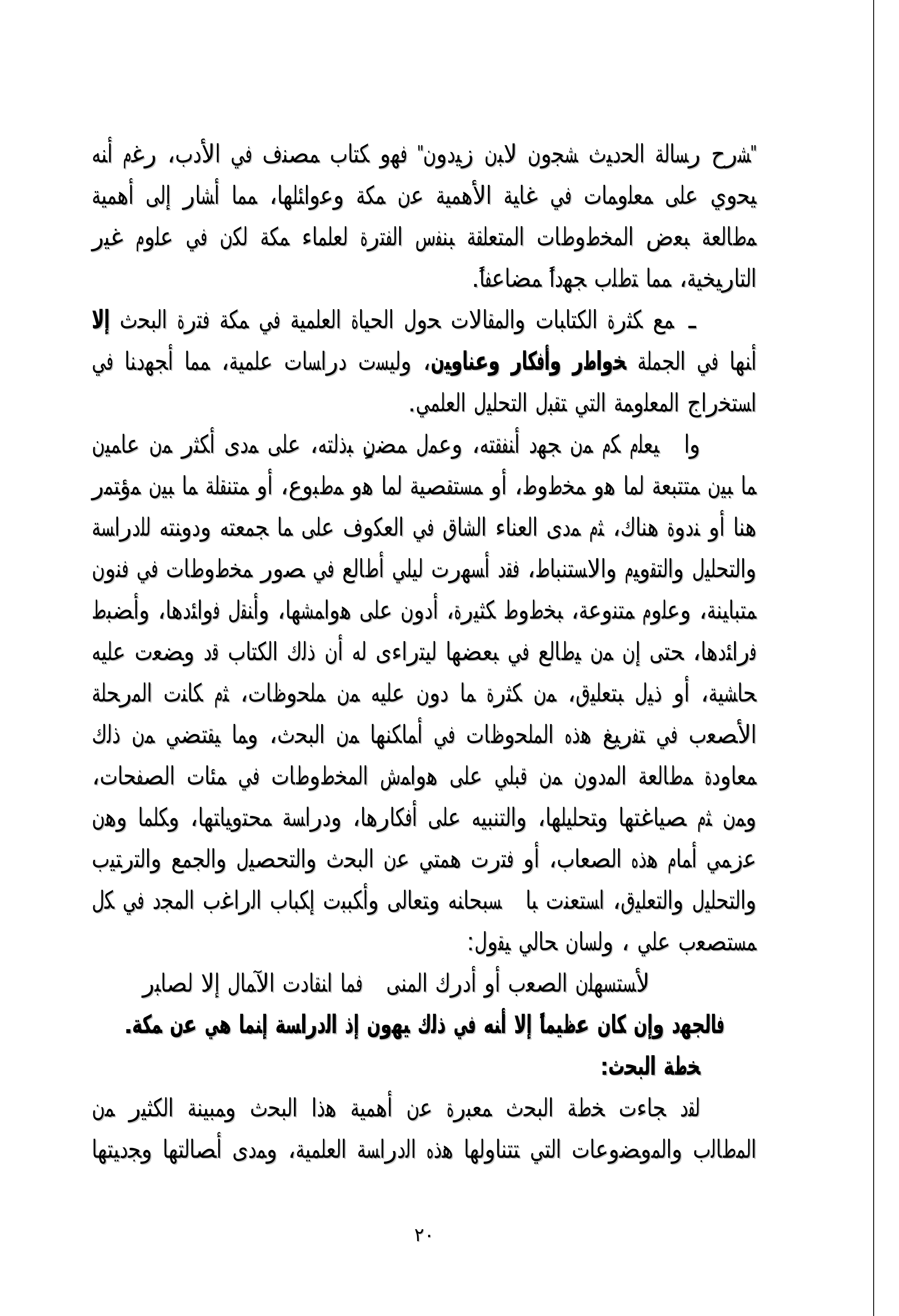
ـ **طول الفترة الزمنية للدراسة** والتي زادت عن القرنين وبالتالي تَشَعب الموضوع وتوسعتْ مظانه المختلفة وتعددت مما تطلب جهداً كبيراً في جمع المادة حتى تمكنت الباحثة من استقصاء المعلومات وجمعها ثم استخراج ما يتعلق منها بالبحث مباشرة، فربما احتاج الأمر إلى الاستغراق في قراءة المجلدات حتى يمكن استخراج معلومات مطالب البحث منها، والتي قد تكون في بعض الأحيان مكررة.

ـ نتيجة لطبيعة الموضوع تحتم على الباحثة عند جمع المادة الإطلاع على كثير من **المصنفات المختلفة** التي لها علاقة وثيقة بموضوع أو فترة الدراسة سواء كانت من كتب الفقه أو التفسير والحديث أو الأدب واللغة أو التاريخ والجغرافيا وغير ذلك كما هو موضوع في قائمة المصادر، وهذا التتبع لا يخفى ما يأخذه من وقت وجهد مضاعف، إضافة إلى اللجوء لعدد من العلماء والمختصين في هذه العلوم، وخاصة فيما يتعلق بالبحث في العلوم التي تدرس والمصنفات ذات الصلة بالعلوم المتنوعة، وإن كانت الاستفادة حاصلة للباحثة من جراء ذلك والحمد .

ـ اقتضى البحث القيام **بحصر واستقصاء تراجم** علماء مكة فترة البحث حسب المصادر المتاحة، لتحديد من كان له الأثر الواضح على الحياة العلمية بمكة، وهذا الأمر تطلب وقتاً وجهداً أكبر، ومما زاد الأمر صعوبة أن المعلومات الخاصة بموضوع البحث تستند في أساسها على كتب التراجم والطبقات، وهي على قلتها نسبياً في فترة البحث؛ فهي متشابهة فيما يتعلق باقتضاب للمعلومات أو تكرارها وليس كل من ترجمت له المصادر كان له الدور البارز في إثراء الحياة العلمية بمكة.

ـ ولم يكن من السهولة كذلك **التعامل مع الخطوط** التي كتبت بها العديد من المخطوطات التي كانت عمدة في الاعتماد عليها في بحثنا، فتارة تكون العقبة في دقة الخط، وتارة في عدم وضوحه، وتارة في صعوبة التراكيب، ناهيك عن الخرم والبياض وغير ذلك.

ـ اتضح للباحثة مع بدايات جمع المادة العلمية، أن العديد من المعلومات التاريخية يمكن الحصول عليها من **مخطوطات في فنون غير التاريخ**، كمخطوط



"شرح رسالة الحديث شجون لابن زيدون" فهو كتاب مصنف في الأدب، رغم أنه يحوي على معلومات في غاية الأهمية عن مكة وعوائلها، مما أشار إلى أهمية مطالعة بعض المخطوطات المتعلقة بنفس الفترة لعلماء مكة لكن في علوم غير التاريخية، مما تطلب جهداً مضاعفاً.

- مع كثرة الكتابات والمقالات حول الحياة العلمية في مكة فترة البحث **إلا** أنها في الجملة **خواطر وأفكار وعناوين**، وليست دراسات علمية، مما أجهدنا في استخراج المعلومة التي تقبل التحليل العلمي.

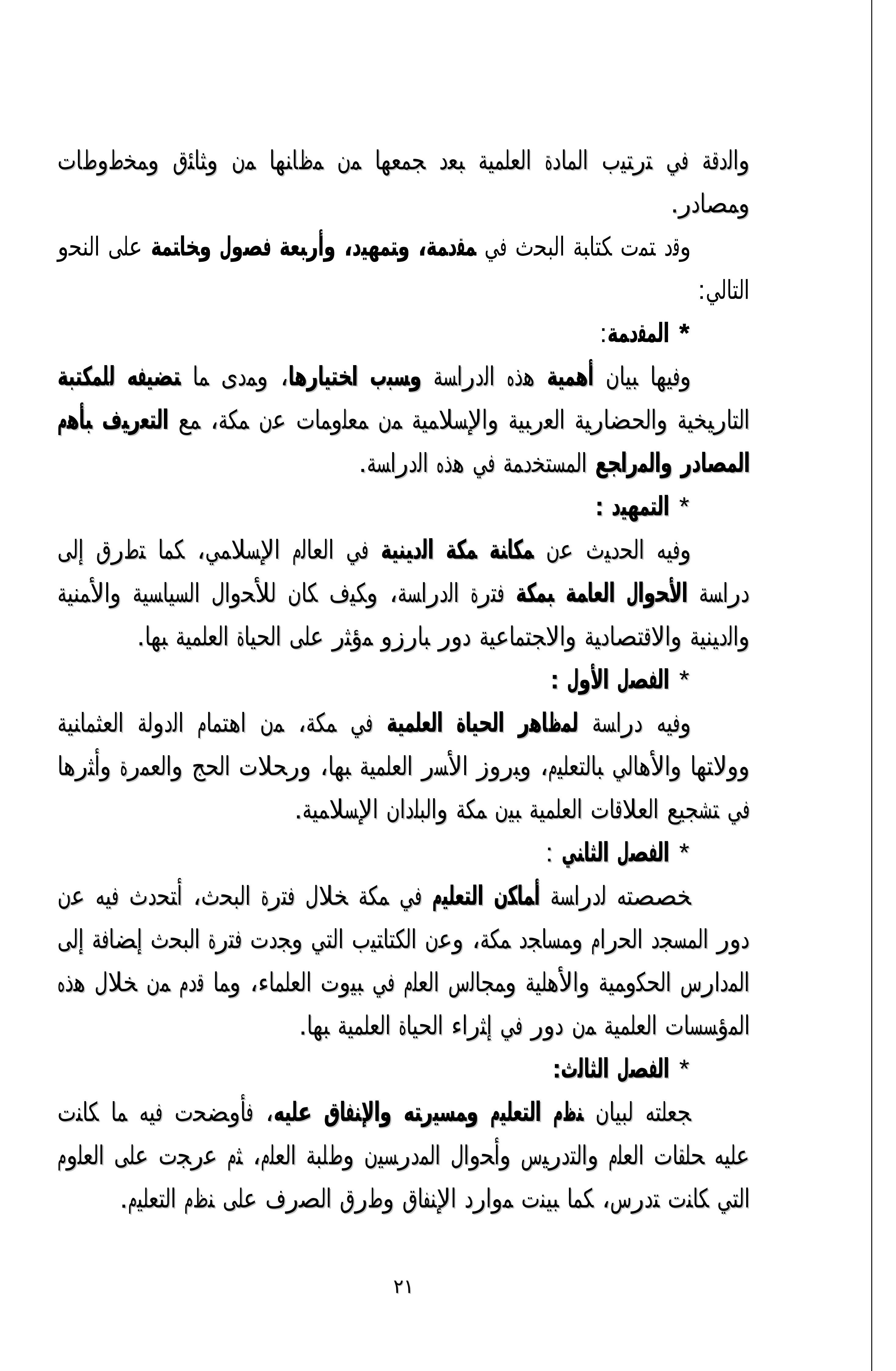
وا يعلم كم من جهد أنفقته، وعمل مضنٍ بذلته، على مدى أكثر من عامين ما بين متتبعة لما هو مخطوط، أو مستقصية لما هو مطبوع، أو متنقلة ما بين مؤتمر هنا أو ندوة هناك، ثم مدى العناء الشاق في العكوف على ما جمعته ودونته للدراسة والتحليل والتقويم والاستنباط، فقد أسهرت ليلي أطالع في صور مخطوطات في فنون متباينة، وعلوم متنوعة، بخطوط كثيرة، أدون على هوامشها، وأنقل فوائدها، وأضبط فرائدها، حتى إن من يطالع في بعضها ليتراءى له أن ذلك الكتاب قد وضعت عليه حاشية، أو ذيل بتعليق، من كثرة ما دون عليه من ملحوظات، ثم كانت المرحلة الأصعب في تفريغ هذه الملحوظات في أماكنها من البحث، وما يقتضي من ذلك معاودة مطالعة المدون من قبلي على هوامش المخطوطات في مئات الصفحات، ومن ثم صياغتها وتحليلها، والتنبيه على أفكارها، ودراسة محتوياتها، وكلما وهن عزمي أمام هذه الصعاب، أو فترت همتي عن البحث والتحصيل والجمع والترتيب والتحليل والتعليق، استعنت با سبحانه وتعالى وأكببت إكباب الراغب المجد في كل مستصعب علي ، ولسان حالي يقول:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى  فما انقادت الآمال إلا لصابر

**فالجهد وإن كان عظيماً إلا أنه في ذلك يهون إذ الدراسة إنما هي عن مكة.**

**خطة البحث:**

لقد جاءت خطة البحث معبرة عن أهمية هذا البحث ومبينة الكثير من المطالب والموضوعات التي تتناولها هذه الدراسة العلمية، ومدى أصالتها وجديتها



والدقة في ترتيب المادة العلمية بعد جمعها من مظانها من وثائق ومخطوطات ومصادر.

وقد تمت كتابة البحث في **مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول وخاتمة** على النحو التالي:

*** المقدمة:**

وفيها بيان **أهمية** هذه الدراسة **وسبب اختيارها**، ومدى ما **تضيفه للمكتبة** التاريخية والحضارية العربية والإسلامية من معلومات عن مكة، مع **التعريف بأهم المصادر والمراجع** المستخدمة في هذه الدراسة.

* **التمهيد :**

وفيه الحديث عن **مكانة مكة الدينية** في العالم الإسلامي، كما تطرق إلى دراسة **الأحوال العامة بمكة** فترة الدراسة، وكيف كان للأحوال السياسية والأمنية والدينية والاقتصادية والاجتماعية دور بارزو مؤثر على الحياة العلمية بها.

* **الفصل الأول :**

وفيه دراسة **لمظاهر الحياة العلمية** في مكة، من اهتمام الدولة العثمانية وولاتها والأهالي بالتعليم، وبروز الأسر العلمية بها، ورحلات الحج والعمرة وأثرها في تشجيع العلاقات العلمية بين مكة والبلدان الإسلامية.

* **الفصل الثاني** :

خصصته لدراسة **أماكن التعليم** في مكة خلال فترة البحث، أتحدث فيه عن دور المسجد الحرام ومساجد مكة، وعن الكتاتيب التي وجدت فترة البحث إضافة إلى المدارس الحكومية والأهلية ومجالس العلم في بيوت العلماء، وما قدم من خلال هذه المؤسسات العلمية من دور في إثراء الحياة العلمية بها.

* **الفصل الثالث:**

جعلته لبيان **نظام التعليم ومسيرته والإنفاق عليه**، فأوضحت فيه ما كانت عليه حلقات العلم والتدريس وأحوال المدرسين وطلبة العلم، ثم عرجت على العلوم التي كانت تدرس، كما بينت موارد الإنفاق وطرق الصرف على نظام التعليم.

*الفصل الرابع:

كان مخصصاً لإبراز **النتاج العلمي لعلماء مكة**، فشمل الحديث بإسهاب عن المجاورين وأثرهم في النتاج العلمي، وكذلك كانت الدراسة عن الوراقين، كما تطرق إلى إبراز المصنفات العلمية لعلماء مكة في مختلف العلوم والفنون، إضافة إلى اهتمامهم بالمكتبات وخزائن الكتب، ثم ختمت هذا الفصل بتوضيح الأثر الإيجابي لعلماء مكة في ازدهار الحركة العلمية في البلدان الإسلامية.

* **الخاتمة:**

وفيها أهم النتائج والتوصيات المتعلقة بالبحث.

* **الملاحق.**

* **ثبت المصادر والمراجع .**

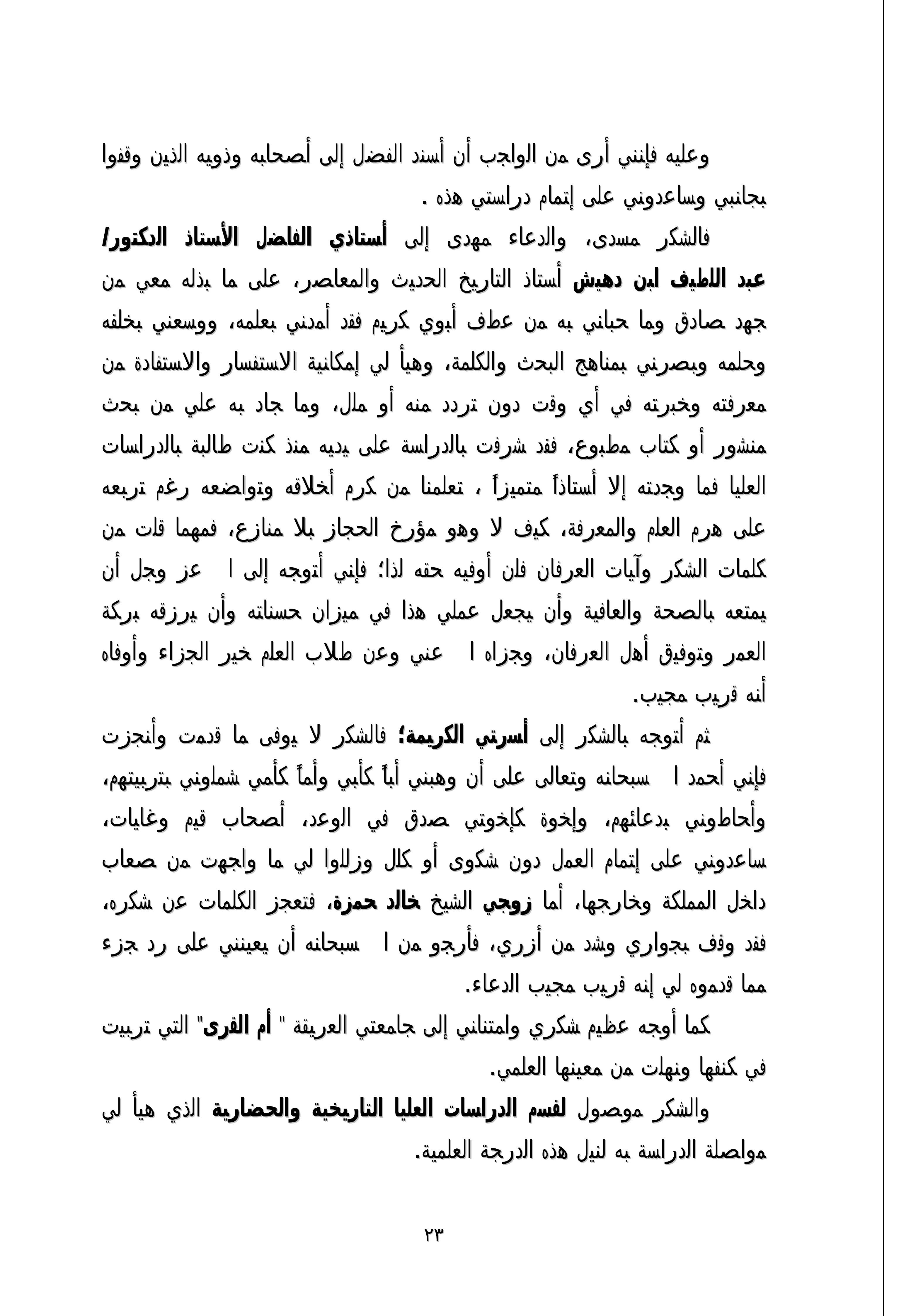
* **فهرس الموضوعات.**

وبعد أن رسا الطود على شاطئ الختام، كان لا بد من بيان ما أعبر به عن شعوري بأحسن كلام، ولا أحسن من كلام ا العلام : ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾[1]، فالشكر لمن دان له الوجود بالعبودية، ومن سبحت له الشمس والقمر وكل ما في الوجود، أحمده سبحانه على عظيم كرمه وامتنانه على ما أنعم علي من توفيق وسداد لإتمام هذه الدراسة، والوصول بها إلى ما هي عليه، راجية منه تبارك وتعالى أن يقبلها مني، وأن ينفعني بما علمني إنه سميع مجيب الدعاء.

وعرفانا بالجميل وتعبيراً عن التقدير والإجلال فإنه من الواجب علي أن أعمل بقول الرسول ﷺ: ((من لم يشكر الناس لم يشكر ا ))[2].

(١) سورة النمل، آية ١٩.

(٢) محمد بن عيسي الترمذي: الجامع الصحيح ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت ، دار الكتب). ج٤، ص ٢٩٨، وقال حسن صحيح.



وعليه فإنني أرى من الواجب أن أسند الفضل إلى أصحابه وذويه الذين وقفوا بجانبي وساعدوني على إتمام دراستي هذه .

فالشكر مسدى، والدعاء مهدى إلى **أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور/ عبد اللطيف ابن دهيش** أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، على ما بذله معي من جهد صادق وما حباني به من عطف أبوي كريم فقد أمدني بعلمه، ووسعني بخلقه وحلمه وبصرني بمناهج البحث والكلمة، وهيأ لي إمكانية الاستفسار والاستفادة من معرفته وخبرته في أي وقت دون تردد منه أو ملل، وما جاد به علي من بحث منشور أو كتاب مطبوع، فقد شرفت بالدراسة على يديه منذ كنت طالبة بالدراسات العليا فما وجدته إلا أستاذاً متميزاً ، تعلمنا من كرم أخلاقه وتواضعه رغم تربعه على هرم العلم والمعرفة، كيف لا وهو مؤرخ الحجاز بلا منازع، فمهما قلت من كلمات الشكر وآيات العرفان فلن أوفيه حقه لذا؛ فإني أتوجه إلى ا عز وجل أن يمتعه بالصحة والعافية وأن يجعل عملي هذا في ميزان حسناته وأن يرزقه بركة العمر وتوفيق أهل العرفان، وجزاه ا عني وعن طلاب العلم خير الجزاء وأوفاه أنه قريب مجيب.

ثم أتوجه بالشكر إلى **أسرتي الكريمة؛** فالشكر لا يوفى ما قدمت وأنجزت فإني أحمد ا سبحانه وتعالى على أن وهبني أباً كأبي وأماً كأمي شملوني بتربيتهم، وأحاطوني بدعائهم، وإخوة كإخوتي صدق في الوعد، أصحاب قيم وغايات، ساعدوني على إتمام العمل دون شكوى أو كلل وزللوا لي ما واجهت من صعاب داخل المملكة وخارجها، أما **زوجي** الشيخ **خالد حمزة،** فتعجز الكلمات عن شكره، فقد وقف بجواري وشد من أزري، فأرجو من ا سبحانه أن يعينني على رد جزء مما قدموه لي إنه قريب مجيب الدعاء.

كما أوجه عظيم شكري وامتناني إلى جامعتي العريقة " **أم القرى**" التي تربيت في كنفها ونهلت من معينها العلمي.

والشكر موصول **لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية** الذي هيأ لي مواصلة الدراسة به لنيل هذه الدرجة العلمية.

وأسجل عرفاني وتقديري **لكل من أسدى إلي معروفاً** أو أحضر لي كتاباً أو أعارني مرجعاً أو أرشدني إلى مصدر أو زودني بقصاصة، أو أفادني ولو بكلمة .

كما أضم إليه شكري **لأعضاء لجنة المناقشة الموقرة** التي تحملت العبء في قراءة الرسالة وإبداء مرئياتهم وإرشاداتهم القيمة.

وبعد فهذا جهد المقل، وصنع العاجز، فإن أكن قد وفقت فلله الحمد والمنة وإن تكن الأخرى فلا ألتمس سوى سعة الصدر والتوجيه، فيما عسى أن يكون موضوعاً لنقد أو تصحيح ، فالسهو والخطأ من لوازم الإنسان، وصدق ا العظيم إذ يقول: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً ﴾[1].

والسلام عليكم ورحمة ا

آمال رمضان عبد الحميد

مكة المكرمة

(١) سورة النساء، آية ٨٢.



أ ـ مكانة مكة الدينية.

ب ـ الحيـاة العامـة في مكة خلال فترة الدراسة.

## أ ـ مكانة مكة الدينية

**مكة** المكرمة بلد ا الأمين[١] **من أقدم مدن العالم** وأهمها[٢]، اختارها ا سبحانه وتعالى من بين بقاع الأرض موضعا لبيته الحرام، لهداية البشرية، ونسبه إلى نفسه ، وأمر إبراهيم وولده إسماعيل - عليهما السلام - برفع قواعده وتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود .

**وهي وسط العالم** وسرة الدنيا[٣]، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[٤].

**ولمكة أسماء كثيرة تدل على شرف المسمى،** وليس ذلك بعجيب، فهي أرفع بلاد ا شأنا وأطهرها بقعة، فمن أسمائها: **مكة وهو أشهرها**[٥] قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾[٦]، **وسماها ا** سبحانه كذلك في قوله:

---

(١) تقع مكة ضمن سهل تهامة الساحلي الممتد على طول ساحل البحر الأحمر من أقصى شماله عند خليج العقبة إلى نهايته الجنوبية عند باب المندب، في منطقة تحيط بها التلال الجرداء والجبال المتشابكة والأودية الجرانيتية على دائرة عرض 21ْ٢٥ شمالاً وخط طول 39ْ٤٩ شرقاً، وترتفع عن سطح البحر بحوالي ٣٦٠م. انظر: عبد الملك بن عبد ا بن دهيش: الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به، دراسة تاريخية ميدانية، ص٣٥. وانظر خريطة لمكة عام ١٣٠٢هـ ، الملحق رقم ٤/أ.

(٢) عرفتها الحضارات القديمة، فورد اسمها بالسريانية (مكرابو)، وبالسبأية (مكرابا)، وبالأشورية (مكا)، وتعني في جميعها "البيت المقدس"، مكة المكرمة مركز الأرض (مجلة الفيصل، س١،ع١، ١٣٩٨/١٩٧٧م)، ص٤١.

(٣) ثبت علميا في العصر الحاضر أن مكة مركز اليابسة في الكرة الأرضية. انظر: حسين كمال الدين : إسقاط الكرة الأرضية بالنسبة لمكة المكرمة وتعيين اتجاه القبلة (مجلة البحوث الإسلامية، مج ١، ع ٢، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م)، ص٢٩٠؛ سعد المرصفي: الكعبة مركز العالم، (ط١، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، ص١٤١.

(٤) سورة الشورى، آية : ٧ .

(٥) وقيل إن أهلها يمتكون الماء أي: يستخرجونه، أو لأنها تمك من ظلم وألحد فتهلكه، ابن منظور: لسان العرب، (بيروت، دار صادر: ١٩٦٨م)، مادة مكة؛ شهاب الدين ياقوت بن عبد ا الحموي: معجم البلدان، (بيروت: ١٩٥٧م)،ج٢، ص٨٢؛ تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، (القاهرة: ١٩٥٦م)،ج١،ص٤٨.

(٦) سورة الفتح، آية: ٢٤.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ﴾[1] فهي بكة[2]، **و سماها أم القرى**[3]، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[4]، **ووصفها بالبلد الأمين**[5]**،** قال تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾[6]، **ونعتها بالوادي**: قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾[7] ، **والحرم الآمن**: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَّدُنَّا﴾[8]، **وأقسم بها** فقال: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[9]، **وأعلى شأنها** على لسان الخليل حيث دعا ربه فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ

---

([1]) سورة آل عمران، آية: ٩٦.

([2]) وذلك لأنها تبك الجبارين أي تدق أعناقهم، أو لأن الناس يتزاحمون فيها من كل موضع وقيل: بكة موضع البيت ، ومكة سائر ما حوله. عماد الدين بن عمر القرشي ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (القاهرة، مكتبة دار التراث)، ج١، ص٣٧٣؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٤٨.

([3]) لأنها أشرف وأفضل من سائر البلاد وأحبها إلى ا ورسوله، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج١، ص١٠٧.

([4]) سورة الشورى، آية: ٧.

([5]) وذلك لأمن مكة على ساكنيها واللائذين بها أو الزائرين لها ، فتحفظ أرواحهم وأموالهم دون جميع أطرافها، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٣٨٣؛ بكر بن عبد ا أبو زيد : خصائص جزيرة العرب ، (جدة، دار ابن الجوزي: ١٤١٢ هـ) ، ص٤١ .

([6]) سورة التين، آية : ٣.

([7]) سورة إبراهيم، آية ٣٧.

([8]) سورة القصص، آية: ٥٧، وقد نسب إلى مكة أسماء عديدة قال بها المفسرون واللغويون والمؤرخون ومنها: "أم زحم، والناسة، والناشة، والباسة، وصلاح، والعرش، والمقدسة، والمعطشة، والنابية، والحاطمة، والعروض، وطيبة، والرأس وغير ذلك، أحمد الحضراوي: العقد الثمين في فضائل البلد الأمين، (بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية)، ص١٦٣؛ إسماعيل حافظ: أسماء مكة (مجلة الدارة، س٤، ع٤، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م)، ص١٤٥.

([9]) سورة البلد، آية: ١.

يَشْكُرُونَ﴾[١]، وقال الخليل أيضاً: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢] .

واستجاب ا الدعاء المبارك، فرزق أهل مكة الثمرات ورزقهم الأمن فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[٣].

واستجاب ا دعوة الخليل ـ عليه السلام ـ فبعث من أهل مكة أشرف الناس وأكرمهم وأعلاهم شأناً ومنزلةً ، فبلغ رسالة ربه أتم بلاغ حتى توفاه ا عليه الصلاة والسلام.

مكة..أمنّها ا تعالى في كتابه[٤]، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً﴾[٥].

مكة حرسها ا من الشرور والكوارث فهي البلد الأمين، وتبقى محروسة حتى آخر الزمان، فلا يدخلها الدجال، كما قال رسول ا ﷺ: ((ليس بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس من نقابها نقب إلا عليه الملائكة .. يحرسونها))[٦] .

مكة البلد الطاهر لا يدخله المشركون، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٧].

وأحب بلاد ا إلى ا هي مكة، وهي كذلك عند رسوله ﷺ .

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٣٠ ـ ٣٧.

(٢) سورة البقرة، أية: ١٢٩.

(٣) سورة قريش، آية: ٤.

(٤) يأتي زيادة بيان عن الأمن عند الحديث عن الأوضاع الأمنية بمكة في هذا الفصل التمهيدي إن شاء ا تعالى.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٢٥.

(٦) محمد بن إسماعيل البخاري: الصحيح، (ط١، الرياض، دار السلام: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ج٤، ص٩٥.

(٧) سورة التوبة، آية: ٢٨.

فعن عبد ا بن عدي[1] رضي ا عنه قال رأيت رسول ا ﷺ واقفاً على الحزورة فقال: ((إنك لخير أرض ا وأحب أرض ا إلى ا ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت))[2] .

ومكة مأرز الإيمان كما روى عبد ا بن عمر رضي ا عنهما عن النبي ﷺ قال: ((إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما كان، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها))[3].

كما أنها دار إسلام أبداً لا يتصور فيها خلافه، وهذا أحد التأويلين في قوله ﷺ: ((لا هجرة بعد الفتح))[4].

وقد جعل ا تعالى بمكة البيت المبارك الحرام الذي هو قيام للناس وأمان لهم وسماه البيت العتيق في قوله: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[5]، العبادة فيه مضاعفة الأجر

---

(1) هو الصحابي : عبد ا بن عدي بن الحمراء الزهري ، قيل أنه ثقفي ، حالف بني زهرة، انظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: تقريب التهذيب، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف، (ط٢، بيروت، دار المعرفة: ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ج١، ص ٤٣٣.

(2) سبق تخريجه، ص ٦.

**والحزورة**: الراية الصغيرة ، وهي كانت موضع سوق أهل مكة ثم دخلت في المسجد الحرام كما أورده محمد ابن عبد ا الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس (ط٢، مكة ، مطابع دار الثقافة: ١٣٨٥هـ)، ج٢، ص٢٩٤.

(3) مسلم بن الحجاج النيسابوري : الصحيح، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، ( مكة، المكتبة الفيصلية) ج١، ص١٢٩، ح١٤٦، ح١٤٧، وقال النووي : المسجدين : أي مسجد مكة والمدينة، انظر: يحيى بن شرف النووي: شرح صحيح مسلم ، (القاهرة، المطبعة المصرية)، ج٢، ص١٧٧؛ ويأرز : أي ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض، مجد الدين المبارك ابن الأثير:النهاية في غريب الحديث والأثر، ، تحقيق: طاهر الزواوي ومحمود الطناحي، (القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي: ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، ج١، ص٣٧.

(4) مسلم: الصحيح، ج ٩، ص١٢٣، الهجرة تكون من دار الحرب ومكة دار سلام وهذا يقتضي معجزة لرسول ا صلى ا عليه وسلم بأنها تبقى دار السلام لا يتصور منها الهجرة، انظر : محمد فريد الدين راشد: المسجد الحرام في ضوء الكتاب والسنة (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص٤٥٥.

(5) سورة الحج، آية: ٢٩.

مما سواه، فإن الصلوات الخمس تتضاعف فيه، لما روى عن جابر بن عبد ا [1]

رضي ا عنهما قال : قال رسول ا ﷺ: ((صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة))[2].

والحج إلى البيت العتيق كفارة للذنوب كما قال النبي ﷺ: ((من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه))[3]، وجعل الأجر العظيم في الطواف ببيته الحرام ، فعن عبد ا بن عمر[4] رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول ا ﷺ يقول: ((من طاف سبعاً فهو كعدل رقبة))،ويقول:((إن مسحهما كفارة للخطايا))[5]، أي: الركنين.

وشرف ا تعالى الكعبة بالحجر الأسود الذي هو من أحجار الجنة، فقد قال النبي ﷺ: ((نزل الحجر الأسود من الجنة، وهو أشد بياضاً من اللبن سودته خطايا بني آدم))[6] .

وبمكة مقام إبراهيم الذي نادى من عليه بالحج كما قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[7] ، فعن ابن عباس[8] رضي ا

---

(1) هو الصحابي : جابر بن عبد ا بن عمرو بن حرام لأنصاري، غزا تسع عشرة غزوة ، ومات بالمدينة بعد (٧٠ هـ). ابن حجر: تقريب التهذيب، ج١، ص١٢٢.

(2) أحمد بن شعيب النسائي: السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان، ووسيد كسروي،(ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م)، ج ٢، ص٣٣.

(3) البخاري: الصحيح، ج٣، ص٣٨٢، ح١٥٢١.

(4) هو الصحابي الجليل عبد ا بن عمر ابن الخطاب العدوي، أسلم وهو صغير ، ثم هاجر مع أبيه ، أول غزواته الخندق، روى كثيراً عن النبي ﷺ، توفي عام (٧٣هـ) . الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٢٠٣.

(5) النسائي: السنن الكبرى، ج٥، ص٢٢١، ح٢٩١٩.

(6) الترمذي: الجامع الصحيح، ج٣، ص٢٢٦، ح ٨٧٧؛ وهذا الحجر يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق، أحمد بن حنبل: المسند، (مكة، مكتبة دار الباز) ، ج١، ص٢٦٦؛ محمد بن عبد ا الحاكم : المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية:١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ج١، ص٤٥٧.

(7) سورة الحج، آية: ٢٧.

(8) هو حبر الأمة عبد ا بن عباس ابن عم رسول ا ، مسح النبي ﷺ رأسه ودعا له بالحكمة، روى الكثير عن النبي ﷺ ، توفي سنة ثمانٍ أو سبعٍ وستين للهجرة. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٣١.

عنهما قال: ((قام إبراهيم على الحجر فقال: يا أيها الناس كتب عليكم الحج، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن ومن كان، وسبق في علم ا أن يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك))[1].

وقد سقى ا أهل مكة بخير ماء وجد على ظهر الأرض (ماء زمزم) المبارك ، خير ماء وأفضله ، كما روى ابن عباس أن النبي ﷺ قال: ((خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام من الطعم، وشفاء من السقم))[٢].

كما أبقى ا بمكة المشاعر العظيمة من عرفات والمشعر الحرام ومنى التي هي مشاعر الحج وتمام النسك، قال تعال: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾[٣]، وقال في منى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾[٤]، وتعظيم هذه الشعائر فرض، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[5]، (فتعظيم شعائر ا صادر من تقوى القلوب ، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه لأن تعظيمها تابع لتعظيم ا وإجلاله)[٦].

ولم تزل مكة مشرفة معظمة، ولم يزل داخلها يذكر عند البيت: (اللهم زد هذا البيت تعظيماً وتشريفاً وتكريماً ومهابة وبراً، وزد من عظمه وشرفه ممن حجه واعتمره تعظيماً وتشريفاً ومهابة وبراً)[٧].

---

([1]) أحمد بن علي ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق: عبد العزيز بن عبد ا بن باز وآخرين، (ط٣، القاهرة، دار الريان للتراث: ١٤٠٧هـ)، ج٦، ص٤٠٦.

([٢]) سليمان بن أحمد الطبراني: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي ، (ط٢، بغداد، وزارة الأوقاف العراقية: ١٩٨٣م)، ج١١، ص٩٨، ح١٨٦٨.

([٣]) سورة البقرة، آية: ١٩٨.

([٤]) سورة البقرة، آية: ٢٠٣.

([5]) سورة الحج، آية: ٣٢.

([٦]) عبد الرحمن ناصر السعدي: تفسير "تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" (مؤسسة الرسالة )، ص٥٣٨.

([٧]) عبد ا بن أحمد بن قدامة: المغني، تحقيق عبد ا بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمد الحلو، (ط١، القاهرة، هجر للطباعة: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج٥، ص٢١١، ٢١٢.

إنها مكانة لا تدانيها مكانة في بلدان العالم ، وتبقى مكة عبر الزمان آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان حتى قيام الساعة، مصداقاً لقوله عز وجل: ﴿لِإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[1].

---

(1) سورة قريش، من الآية (١ ـ ٤).

## ب ـ الحياة العامة في مكة خلال فترة الدراسة

### * الأحوال السياسية في مكة

نظراً لمكانة مكة الدينية، ومنزلتها في قلوب المسلمين في العالم أجمع حرص حكام الدول المختلفة على مدار التاريخ على إتباع سياسة متميزة في حكم البلاد الحرام، وتأمينها، وتأمين طرق الوصول إليها، فكان استقرار الأوضاع السياسة في مكة، وتمتعها بالأمن الدائم مطلباً لكل حاكم يرنو إلى كسب محبة المسلمين في شتى أقطار الأرض.

ولم يكن السلاطين العثمانيون بمنأى عن ذلك[١]، فمنذ دخول الحجاز تحت السيادة العثمانية وإعلان شريف مكة بركات[٢] تبعيته للسلطان العثماني سليم الأول[٣]، اعترف العثمانيون بأشراف مكة أمراء للبلاد الحرام تابعين للدولة العثمانية[٤].

---

(١) كانت الحجاز تابعة لمصر أيام المماليك، بحكم وجود الخليفة العباسي بها والذي كلف السلطان المملوكي الأمر والحكم على البلاد، ولما دخل سليم الأول العثماني مصر عام (٩٢٣هـ/١٥١٧م) قام باصطحاب الخليفة المتوكل على ا إلى اسطانبول حيث تم التنازل عن الخلافة وتقلدها السلطان سليم العثماني أول خلفاء العثمانين وقد دخلت الحجاز في تبعية الدولة العثمانية تلقائياً بدخول مصر إليها، انظر : آمال رمضان عبد الحميد: الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي "٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ" ( رسالة ماجستر منشورة، ط١، القاهرة، مطبعة العمرانية: ١٤٢٣هـ)، ص١٦٦ ـ ١٦٨.

(٢) هو الشريف بركات بن محمد بن بركات الثاني، خلف والده في شرافة مكة عام (٩٠٣هـ/١٤٩٧م) وبقي بها حتى توفي عام (٩٣٢هـ/١٥٢٥م)، أحمد السباعي: تاريخ مكة "دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران"، (مطابع دار قريش: ١٣٨٣هـ)، ج١، ص٦٠.

(٣) هو السلطان سليم الأول ابن بايزيد الثاني ، تولى الحكم بعد والده عام (٩١٨هـ/١٥١٢م) ، كانت مدة حكمه ست سنوات قضاها في فتوحات خارجية في مناطق أوروبا ، إضافة إلى استيلائه على الشام ومصر وبسط نفوذه على الحجاز، كما تم في عهده العديد من التنظيمات الداخلية توفي عام (٩٢٦هـ/١٥٢٠م)، انظر: محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ( بيروت، دار الجيل: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص٧٨.

(٤) محمد عبد اللطيف هريدي: شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية (ط١ القاهرة، دار الزهراء: ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص٢٥.

وأعطي الشريف مكانة داخل الهيكل التنظيمي العثماني بحيث كان يتصل مباشرة بالصدر الأعظم[1] ويأتي بعده في لائحة التشريفات العثمانية، وترتب له العطايا من قبل السلطان[2].

كذلك رأت الدولة أن يبقى الأشراف على صلاحيتهم التي كانوا عليها في العصر المملوكي، فيكون لهم النفوذ داخل المناطق التابعة لهم، وتأمين قوافل الحج القادمة من مختلف بقاع العالم الإسلامي [3]، كما أسهمت الدولة بحاميات لحفظ الأمن والهدوء، وأقامت المخافر على طرق الحج وعينت قائداً للجيش المصاحب لقافلة الحجيج[4].

**ثم بدأت الدولة العثمانية شيئاً فشيئاً تضع أيديها على الحكم بالحجاز بصورة أكبر،** فاستحدثت الخزانة التركية بمكة عام (١٠٤٠هـ/١٦٣٠م) حيث ازداد عدد الموظفين الأتراك وصاروا يتولون المناصب الإدارية والمالية وشؤون البريد ونظارة السوق وأعمال الأوقاف وغيرها[5]، ونتيجة لانشغال الدولة العثمانية بحروبها مع أوروبا وخضوع الحجاز للحكم السعودي منذ عام (١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م)، أوكلت مهمة إجلائهم لواليها على مصر محمد علي[6]، وقد استطاع محمد

---

(1) الصدر الأعظم : الشخص الذي حاز منصب رئيس الوزراء في الدولةالعثمانية، وكان وكيلاً مطلقاً للسلطان، سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية: ١٤٢١هـ )، ص١٤٣.

(2) محمد كمال الدسوقي: أهمية الحجاز، (مجلة كلية الشريعة، ع٤، ١٣٩٥هـ)، ص٤٢٥.

(3) محمد رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، (ط١، القاهرة: ١٩٧٠م)، ص١٠١؛ محمد أنيس : الدولة العثمانية والمشرق العربي، (ط١، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية)، ص٣٤.

(4) أوليا جلبي: الرحلة الحجازية، ترجمة: الصفصافي أحمد المرسي، (القاهرة، دار الأفاق العربية:١٩٩٩م)، ص٤٣.

(5) أحمد السباعي: تاريخ مكة "دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران" ( مكة، دار مكة ، نادي مكة الثقافي)، ج١، ص٤٥٣، ٤٥٧.

(6) هو محمد علي باشا بن إبراهيم أغا ألباني الأصل مؤسس أخر دولة ملكية في مصر، قدم مصر لرد الغزاة الفرنسيين فشهد حرب أبي قير عام (١٢١٤هـ/١٧٩٩م) ، وأصبح والياً لمصر منذ عام (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م) وفي عام (١٢٦٤هـ/١٨٤٧م) تنازل عن العرش لابنه إبراهيم باشا، انظر خير الدين الزركلي: الأعلام، (ط٥، بيروت، دار العلم للملايين: ١٩٨٠م)، ج ٦، ص٢٩٩.

علي إخراج السعوديين من الحجاز وإخضاعه لسيطرته تحت التبعية العثمانية عام (١٢٢٨هـ/١٨١٣م) وحتى عام (١٢٤٨هـ/١٨٣٢م)، ثم ألحقت مكة بولاية مصر وأصبحت قابعة تحت الحكم المصري مستقلة عن الدولة العثمانية وتحت ولاية محمد علي بموجب معاهدة "كوتاهية"[١]، والتي عقدت بينه وبين الدولة العثمانية عام (١٢٤٨هـ/١٨٣٢م)، وبعد مرور سبع سنوات وبالتحديد عام (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م) عادت ولاية الحجاز للدولة العثمانية[٢]، وبدأت مرحلة جديدة في تاريخ الحجاز السياسي تمثلت في محاولات الدولة التدخل بشكل واسع ومباشر في الشؤون الداخلية للحجاز وتقليص نفوذ أمراء مكة فعينت الدولة منذ عام (١٢٦٠هـ/١٨٤٤م) والياً للحجاز مركزه مدينة جدة، وأصبح الحجاز ولاية مقسمة إلى متصرفيتين متصرفية جدة ومتصرفية المدينة، كما اختصت الحجاز بمجلس ينظر في الأمور المهمة والمتعلقة بالولاية[٣]. ومع صدور قانون الولايات[٤] عام (١٢٨١هـ/١٨٦٤م) انتقل مقر الوالي إلى مكة وأصبح يلقب بشيخ الحرم وكان له التصرف في الشؤون الإدارية والمالية للولاية أما شريف مكة فحددت صلاحياته نوعاً ما[٥]، واقتصر

---

(١) كوتاهية: مدينة غرب الأناضول تم فيها توقيع المعاهدة التي سميت باسم المنطقة، انظر: عايض بن خزام الروقي: حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية"١٢٤٧- ١٢٥٥هـ/١٨١٣- ١٨٣٩م، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م)، ص٨٣.

(٢) أوزون: أمراء مكة، ص٦؛ السباعي: تاريخ مكة، ج٢، ص١٣٤- ١٤٥.

(٣) نبيل رضوان: الدولة العثمانية، ص٣١- ٣٢؛ الصفصافي أحمد المرسي : الدولة العثمانية والولايات العربية، (مجلة الدارة، دارةالملك عبد العزيز، الرياض، س٨، ع٤، رجب ١٤٠٣هـ/إبريل ١٩٨٣م)، ص٨٥.

(٤) صدر قانون الولايات لإصلاح أحوال الدولة وعلى أساسه قسمت الدولة إلى سبعة وعشرين ولاية مقسمة إلى سناجق ونواحي، وكانت السيطرة في أيدي حكام الولايات ، مع منح بعض السلطة للحكومة المحلية ، انظر: بول دومون: فترة التنظيمات "١٨٣٨- ١٨٧٨م" تاريخ الدولة العثمانية، إشراف روبير مانتران، ترجمة بشير السباعي، ( القاهرة، دار الفكر : ١٩٩٣م)، ج٢، ص٩٩.

(٥) محمد بيرم الخامس التونسي: صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ، (القاهرة، ١٣١١هـ)، ج٥، ص١٤. محمد بن عبد ا آل زلفة: إصلاحات حسيب باشا في ولاية الحجاز "١٨٤٨- ١٨٤٩م" كما جاء في الوثائق العثمانية، (بحث ضمن كتاب الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع: عبد الجليل التميمي، تونس، ١٩٨٨م)، ص٦٩؛ وانظر أسماء الولاة فترة البحث في الملحق ١/ج.

وجوده على حكم البلاد باسم العثمانيين، وصار يرجع للوالي في كل شأن من شؤون الحكم [(١)]، وعندما أعلن **الدستور الجديد** أو "المشروطية" عام (١٢٩٣هـ/١٨٧٦م)[(٢)] كونت الدولة العثمانية **مجلسين، مجلساً للشيوخ والأعيان**، والآخر هو **مجلس "المبعوثان"** للنواب، ومهمته الإشراف على إدارة الولايات، ورتب للحجاز فيه مقعدان[(٣)].

**أما بالنسبة للوضع السياسي العام؛ فقد تولى** السلطنة فترة البحث **ثلاثة عشر سلطاناً** من بني عثمان أولهم أحمد الثالث من عام (١١١٥هـ/١٧٠٣م) إلى عام (١١٤٣هـ/١٧٣٠م) وانتهاءاً بالسلطان محمد رشاد الخامس الذي حكم من عام (١٣٢٨هـ/١٩١٠م) وحتى عام (١٣٣٧هـ/١٩١٨م)[(٤)].

**أما أشراف مكة** فقد تولى الشرافة منهم نحواً من **ثلاثين** نفساً ابتداءاً من ذوي زيد وذوي عون وذوي بركات، إضافة إلى بعض الأشراف الذين لم تطل مدة بعضهم أكثر من يوم واحد، وامتاز عهد بعضهم بالقتل وسفك الدماء، واتسم عهد بعضهم الآخر بالصلاح والعدل والخير[(٥)].

---

(١) نبيل رضوان: الدولة العثمانية، ص٢٧، ٣٢.

(٢) أصدره الوزير أحمد مدحت باشا في عهد السلطان عبد الحميد الثاني بهدف حفظ حقوق رعايا الدولة ، ووضع القوانين الملائمة لحالةالأهالي من أجل الارتقاء في سلم المدنية والعمران. انظر: فريد بك: تاريخ العثمانية، ص٣٢٨.

(٣) عبد الستار الدهلوي: تكميل وتذييل فيما يتعلق بأمراء مكة، (مخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم ٢٣٦٧)، ق١٧ ـ ١٨.

(٤) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١٤٢، ٤١٣. وانظر أسماء السلاطين فترة البحث، الملحق، ١/أ .

(٥) يلتقي الأشراف في النسب عند بركات الثاني بن محمد والذي تولى الشرافة حتى عام (٩٣١هـ/١٥٢٤م) وخلف ابنه محمد أبو نمي والذي بقي في الشرافة إحدى وستين سنة وتوفي عام (٩٩٢هـ/١٥٨٤م) واستمرت الشرافة في أبنائه وأحفاده، فقد خلف أبو نمي ثلاثة من الولد الحسين والحسن وبركات الثالث، تولى الشرافة من ولد الحسين عشرون نفساً أخرهم عبد المطلب بن غالب من أبناء زيد بن محمد بن حسين بن محمد بن أبي نمي، ويقال لهم في آخر العصر (ذوي زيد) ، وأما الحسن بن أبي نمي فقد تولى الشرافة من أبنائه خمس عشرة نفساً أخرهم علي بن الحسين آخر أشراف الحجاز وهو من أبناء عون بن محسن بن عبد ا بن حسين بن عبد ا بن حسن بن أبي نمي )، ويقال لهم في آخر العصر (ذوي عون)، وتولى الشرافة من ذوي عون سبعة أنفس بعد عبد المطلب بن غالب وبهم تمت الشرافة في الحجاز، أما بركات الثالث بن محمد بن أبي نمي فقد تولى من نسله

ولقد تزامن مع عهد الأشرف بداية فترة البحث بزوغ شمس **الدولة السعودية الأولى** (١١٥٧هـ/١٧٤٤م) ، وقد تولى الشرافة في مكة آنذاك الشريف مسعود بن سعيد[١]، والذي بادر بأول احتكاك بهذه الدولة بمنع وصول السعوديين إلى مكة لأداء فريضة الحج عام (١١٦٣هـ/١٧٤٩م)، واستمر ذلك في عهد خلفه الشريف مساعد بن سعيد[٢].

وحين تولى إمارة مكة أخوه الشريف أحمد بن سعيد[٣]،سمح للسعوديين بالحج[٤]، وظل الهدوء بعد ذلك مستمراً بين الأشراف والسعوديين إلى أن تولى إمارة مكة الشريف غالب بن مساعد[٥]، الذي أعلن مخالفته لآل سعود، واستمر الخلاف والمعارك بينه وبينهم طيلة أيام شرافته من عام (١٢٠٢هـ/١٧٨٧م) حتى عام (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م) أي مدة ٢٦ سنة[٦].

---

أربعة أشراف فقط في خلال حقبة الشرافة بمكة، ويقال لهم (ذوي بركات) وأخرهم بركات بن يحيى والذي تولى الشرافة من (١١١٥هـ - إلى ١١٣٦هـ)، انظر: محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، (ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي:١٤١١هـ/١٩٩١م)، ج٨، ص٢٤١؛ والملحق، ١/ب.

(١) هو الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد تولى إمارة مكة مرتين أولها عام (١١٤٥هـ/١٧٣٢م)، وأخرها عام (١١٤٦هـ/١١٧١م) واستمر بها حتى عام (١١٦٥هـ/١٧٥١م). أحمد زيني دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام حتى عام ١٣٠١هـ، (ط١، القاهرة، المطبعة الخيرية: ١٣٠٥هـ)، ص١٨٧.

(٢) هو الشريف مساعد بن سعيد تولى شرافة مكة عام (١١٧٣هـ/١٧٥٩م)، وحتى عام (١١٨٤هـ/١٧٧٠م). عبد ا بن عبد الشكور بن محمد بن عبد الشكور هندية المكي : تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة، (مخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم : ١٤٣٠)، ق٩٤، ١١٣.

(٣) هو الشريف أحمد بن سعيد تولى شرافة مكة عام (١١٨٤هـ /١٧٧٠م) وظل بها حتى عام (١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م)، ابن عبد الشكور: تاريخ أشراف وأمراء مكة، ق١١٨.

(٤) عبد ا الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية (الرياض،مكتبة العبيكان:١٤١٦هـ/١٩٩٥م)،ج٢، ص٢٠١.

(٥) هو الشريف غالب بن مساعد بن سعيد الحسني أمير مكة ، وليها بعد وفاة أخيه سرور سنة (١٢٠٣هـ/١٧٨٩م) نازعه ابن أخيه عبد ا بن سرور على الإمارة فقبض عليه واستتب له الأمر زمناً ، قبض عليه محمد علي وأرسله إلى مصر عام (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م) فأقام بها اشهراً ثم أرسل إلى الاستانة فنفته الحكومة إلى سلانيك وتوفي بها عام (١٢٣١هـ/١٨١٦م)، تميز بشدة ذكائة ودهائه انظر: دحلان: خلاصة الكلام ، ص٢٢٥؛ الزركلي: الأعلام، ج٥، ص١١٥.

(٦) عبد ا الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية ، ج٢، ص٢٢٠.

إلا أنه لم تخل هذه الفترة من فترات هدوء حيث كاتب الشريف غالب الإمام عبد العزيز بن سعود[1] لرسم الحدود الفاصلة بينهما، وجاء في شروط الصلح الذي تم بعد ذلك ألا يمنع النجديون من الحج وأن يعاملوا معاملة طيبة، فبدأ حجاج نجد يفدون إلى مكة بدأً من موسم عام (١٢١٣هـ/١٧٩٨م) واستمر العمل بهذا الصلح حتى عام (١٢١٧هـ/١٨٠٢م) حيث اتهم غالب جاره الإمام عبد العزيز بن محمد ابن سعود بتورطه في عصيان القبائل على غالب في جنوب مكة وجنوبها الشرقي ورغم أن الإمام أكد له أنه لا صلة له بما يحدث إلا أن غالباً أعلن الحرب مرة ثانية والتقى الطرفان بالطائف، فظفر السعوديون بالنصر واستولوا على الطائف وزحفوا إلى مكة إلا أنهم لم يدخلوها في أيام الحج حتى انتهى الموسم، وقد عرض غالب على أمراء الحج الشامي والمصري أن يساعدوه فلم يقبلوا وغادروا مكة، فشعر غالب بالهزيمة فارتحل إلى جدة[2].

وحاولت القوات السعودية اقتحام مدينة جدة لكن أسوارها وقوة تحصينها حالت دون ذلك، وفي أوائل عام (١٢١٨هـ/١٨٠٣م) قتل الإمام عبد العزيز وتولى ابنه سعود[3] مهام الدولة، فعلم بتحركات الشريف غالب واتجاهه صوب مكة ومحاولة الاستيلاء عليها، فأصدر أوامره بالتحرك صوب جدة لمحاربة الشريف غالب، وقام بمحاصرته مرة أخرى داخل مدينته المنيعة، وأغلق جميع الطرق المؤدية إليه ليقطع عنه الإمدادات، وعندما شعر الشريف غالب أنه لا يستطيع الوقوف في وجه آل سعود بعث إلى الإمام سعود يطلب الصلح والأمان فقبل الإمام

---

(1) هو الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، تولى الحكم بعد وفاة أبيه عام (١١٧٩هـ/١٧٦٥م)، واستمر به حتى وفاته مقتولاً عام (١٢١٨هـ/١٨٠٣م) ، انظر: العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص.

(2) المرجع السابق، ص١٢٧- ١٢٩؛ نوال سراج محمد ششة: الحجاز تحت حكم محمـد علـي "١٢٢٦- ١٢٥٦" / ١٨١١ - ١٨٤٠م" ، (رسالة دكتوراه كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى ، مكـة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٩٨- ١٠٣.

(3) هو الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد المعروف بسعود الكبير تولى الحكم بعد مقتل والده عام ١٢١٨هـ جيش الجيوش التي أخضع بها لسلطانه أجزاء كبيرة من الجزيرة العربية ، توفي عام (١٢٢٩هـ/١٨٠٤م)، عبد ا الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية ، ص؛ الزركلي : الأعلام، ج٣، ص٩٠.

الصلح وأبقاه في إمارته تابعاً للدولة السعودية، واستمر حكم غالب بمكة تابعاً لآل سعود سبعة سنوات حتى عام (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م)[١].

لم ترض الدولة العثمانية بضم الحكام السعوديين الحجاز لدولتهم، فبفقدانها للأماكن المقدسة في مكة والمدينة والإشراف عليهما اهتزت مكانتها في العالم الإسلامي وبدأت تفقد هيبتها، لذا عهدت إلى واليها في مصر محمد علي باشا مهمة إخضاع الجزيرة[٢]، فأرسل محمد علي حملة عسكرية عن طريق البحر فوصلت ينبع، واتجهت إلى المدينة وسيطرت عليها عام (١٢٢٧هـ/١٨١٢م)، ثم دخلت مكة عام (١٢٢٨هـ/١٨١٣م) واستولت عليها، وبعدها جاء محمد علي إلى مكة ورتب شؤونها وكلف الشريف غالب بن مساعد بأمورها، غير أنه خشي بعد ذلك أن يستقل الشريف بحكم الحجاز، فقبض عليه وأرسله إلى تركيا وبقي بها حتى مات عام (١٢٣١هـ/١٨١٥م) [٣]، وبموت غالب **انتهى حكم الأشراف المستقل** في الحجاز، فجميع الأشراف الذين جاؤوا بعده كانوا معينين من الباب العالي، واكتفوا بالمخصصات الشهرية المحددة لهم من قبل الدولة[٤].

وقد استطاع محمد علي أن يبسط سيطرته بالكامل على مكة منفرداً منذ عام (١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م)، إلا أنه لم تستقر له الأحوال بهدوء، فقد قام أولاً بتولية الشريف يحيى بن سرور[٥] شرافة مكة بعد تنحيته للشريف غالب، فاستمر بها خمسة عشر عاماً، ثم قام محمد علي بعزله، وعين مكانه عبد المطلب بن غالب[٦]، ولم

---

(١) جيرالد دو غوري: حكام مكة، ترجمة: محمد شهاب، (ط١، القاهرة، مكتبة مدبولي: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص٢٤٨؛ نوال ششة: الحجاز تحت حكم محمد علي، ص٩٨ـ ١٠٦.

(٢) إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، (الرياض، مكتبة العبيكان)، ص١٢٩.

(٣) دحلان: خلاصة الكلام، ص٢٢٥؛ سيد رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، ص١٠٦.

(٤) شارل ديديه : رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي "١٨٥٤م"، ترجمة وتعليق: محمد خير البقاعي، (الرياض، دار الفيصل الثقافية: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص٢٥٣، ٢٥٤.

(٥) عزله محمد علي عن إمارة مكة نتيجة لقتله أحد أمراء القبائل مما أدى إلى ثورة الأعراب، فخرج من الحجاز صوب مصر واستقر بها، انظر: دحلان: خلاصة الكلام، ص٣٠٤.

(٦) هو الشريف عبد المطلب بن غالب بن مساعد، ولي إمارة مكة سنة (١٢٤٣هـ/١٨٢٨م)، وعزل منها بعد خمسة أشهر فتوجه إلى اسطانبول وأقام بها إلى سنة (١٢٦٧هـ/١٨٥١م)، ثم أعيد إلى إمارة مكة واستمر بها إلى سنة

تطل مدته الأولى سوى خمسة أشهر ثم عزل وعين مكانه الشريف محمد بن عبد المعين[١]، وتبعاً لمعاهدة لندن في عام (١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م)[٢] التي أجبرت محمد علي على الانسحاب من إقليم الحجاز، وإعادته للدولة العثمانية؛ استطاع شريف مكة الشريف **محمد بن عبد المعين** آنذاك تهدئة الأوضاع في الإقليم، فاستقر له الأمر مدة، ثم عزل ليتولى السلطة **عبد المطلب بن غالب**، إلا أن **محمداً** عاد مرة ثانية فأمسك بزمام الأمور حتى توفي عام (١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م)[٣]، ثم خلفه ابنه **عبد ا**[٤] الذي أمسك بمنصب الشرافة عشرين عاماً، وذلك حتى عام (١٢٩٤هـ/١٨٧٧م) ثم خلفه أخوه **حسن** ثلاث سنوات، استطاع بعدها **عبد المطلب بن غالب** أن يعود للحكم **للمرة الثالثة**، ولم تطل مدة حكمه سوى عامين، أمسك بزمام الأمور بعدها الشريف **عون بن محمد** المعروف **بالرفيق**[٥]، والذي امتد حكمه

---

(١٢٧١هـ/١٨٥٥م)، وعندما وقعت فتنة بمكة بسبب بيع الرقيق عزل من الإمارة ورحل إلى اسطانبول عام (١٢٨٤هـ/١٨٦٨م)، ومكث بها إلى سنة (١٢٩٨هـ/١٨٨١م) ثم عاد إلى مكة وتولى إمارتها مرة أخرى عام (١٢٩٩هـ/١٨٨٢م)، ثم فصل عنها، ومكث بداره حتى وافته المنية عام (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م)، انظر: دحلان : خلاصة الكلام، ص٣٢٧؛ السباعي : تاريخ مكة، ص٥٣٤؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص ١٥٤.

[١] هو الشريف محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن من أمراء مكة، ولد بها ونشأ فيها، ثم سكن مصر مدة، فسعى له واليها محمد علي باشا لدى الحكومة العثمانية فعين لإمارة مكة عام (١٢٤٣هـ/١٨٧٢م) ثم عزل، ثم عاد إليها واستمر بها حتى عام (١٢٦٧هـ/١٨٥١م) ثم عزل، فتوجه إلى الآستانة وأقام بها حتى عام (١٢٧٢هـ/١٨٥٦م)، ثم صدر مرسوم سلطاني بإعادته إلى الإمارة فانتقل إليها واستمر بها حتى وافته المنية عام (١٢٧٤هـ/١٨٥٨م)، انظر: دحلان : خلاصة الكلام، ص٣٠٩؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٢٤٧ـ ٢٤٨.

[٢] عقدت معاهدة لندن بعد وقوف بريطانيا وفرنسا وروسيا مع الدولة العثمانية في وجه محمد علي خوفاً من أطماعه التوسعية، وحصرت حكمه في مصر بصفة وراثية، وفي الشام حياة ابنه إبراهيم، انظر: موفق بني المرجة: صحوة الرجل المريض، أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، (ط٨، بيروت، دار البيارق: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ص ٤٠٥ ـ ٤٠٩، نوال ششة: الحجاز تحت حكم محمد علي، ص١٨٥، ١٨٦.

[٣] ابن عبد الشكور : تاريخ أشراف وامراء مكة، ق ١٦٤؛ السباعي: تاريخ مكة،ج١، ص٥٢١، ٥٢٨.

[٤] هو الشريف عبد ا بن محمد بن عبد المعين بن عون، ولد بمكة وأقام باسطانبول وأحرز رتبة الوزارة، ولي إمارة مكة بعد وفاة أبيه عام (١٢٧٤هـ/١٨٥٨م) واستمر بها حتى توفي بالطائف عام (١٢٩٤هـ/١٨٢١م)، انظر: دحلان: خلاصةالكلام، ص٣٢٦ـ ٣٢٧؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص١٣٢.

[٥] هو شريف مكة وأميرها عون الرفيق بن محمد بن عبد المعين بن عون، ولد بمكة ونشأ بها ، وناب في إمارتها عن أخيه الشريف حسين، ثم توجه إلى اسطانبول فترة من الوقت، ثم عين أمير لمكة عام

٢٤ سنة من (١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م) وحتى عام (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)، ثم خلفه أخوه **علي بن محمد** ثلاث سنوات[١]، ثم عزل وتولاها عبد ا بن محمد[٢]، غير أنه لم يباشر مهامه إذ أن المرض لم يمهله فمات وتسلم الأمر بعده ابن أخيه **حسين بن علي**[٣] عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) وفي عهده أعلنت الثورة العربية ضد العثمانيين وكان ذلك في نهاية عام (١٣٣٤هـ/١٩١٦م) وبانتهائها وفشلها **انتهى حكم الأشراف** في الحجاز[٤].

**ومن خلال تتبع الأوضاع السياسية في مكة في فترة البحث نجد أن البيت الهاشمي** في مكة لم يكن على اتفاق ووئام بين أبنائه والمنتسبين له دوماً، بل نجد أن النزاع على السلطة استمر طيلة حكم الأشراف، وإن تعجب فعجب أن يتولى أحدهم الشرافة ثم يعزل ثم يتولاها ثم يعزل ثم يتولاها ثم يعزل وهكذا، فعلى سبيل المثال تولى الشريف **سعيد بن سعد** إمارة مكة **خمس مرات**[٥] تخللتها نكبات أدت إلى خلعه

---

(١٢٩٩هـ/١٨٨٢م)، بعد انفصال الشريف عبد المطلب عنها، امتد سلطانه إلى الطائف، كان ذو سطوة ونفوذ، حصل على العديد من الأوسمة من الدولة العثمانية ، منها رتبة أمير أمراء الروملي عام (١٢٨٤هـ/١٨٦٧م)، انظر: دحلان: خلاصة الكلام، ص٣٢٩؛ مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة وحكامها منذ فتحها إلى الوقت الحاضر، ص٨٢؛ سهيل صابان: مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني، (الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة: ١٤٢٥هـ) ، ص١٥٠.

(١) عبد الستار دهلوي: تكميل وتذييل فيما يتعلق بأمراء مكة، ق ٢٦ ـ ٢٩؛ السباعي: تاريخ مكة، ص٥٥٧.

(٢)عبد الستار دهلوي: تكميل وتذييل فيما يتعلق بأمراء مكة، ق ٢٦ ـ ٣١؛ السباعي: تاريخ مكة، ص٥٦١.

(٣) هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون شريف مكة، ولد باسطانبول عام (١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤ ) وكان أبوه منفياً بها، انتقل معه إلى مكة وعمره ثلاث سنوات، نفي إلى اسطانبول عام (١٣٠٩هـ/١٩٠٨م)، عين أميراً لمكة عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) فعاد إليها وقاد حملة إلى بلاد عسير نجدة للعثمانيين، وانتهز الإنجليز فرصة سياسة الاتحاد والترقي في تتريك العرب فاتصلوا بالشريف حسين فأعلن الثورة على الدولة العثماينة عام (١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م)، انتقل من مكة إلى جدة عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) لدخول آل سعود مكة، سافر إلى عمان ومات بها عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) ثم نقل جثمانة إلى القدس فدفن به، انظر: السباعي: تاريخ مكة، ص٥٦٣؛ مساعد بن منصور: جداول أمراء مكة ، ص٨٥؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص٢٤٩ـ ٢٥٠.

(٤) لمعرفة المزيد عن علاقة الشريف حسين بالثورة وما دار بينه وبين الإنجليز انظر أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى، ج١، ص٤٢١؛ أنيس صايغ: الهاشميون والثورة العربية الكبرى (ط١، بيروت، دار العلم:١٩٥٦م)، .

(٥) منها مرتين خلال فترة البحث إحداهما من عام (١١١٦ هـ إلى ١١١٧هـ) والأخرى من عام (١١٢٣هـ إلى ١١٢٩هـ) والتي انتهت بوفاته انظر: محمد بن علي الطبري: اتحاف فضلاء الزمن لتاريخ ولاية بني الحسن،

ثم إعادته[1] وهكذا، وهذا يدل على شدة النزاع واستمراره بين أبناء البيت الواحد، ولعل ثمة عوامل ساعدت عل حدوث هذا النزاع منها:

١ ـ تدخل الدولة في **إذكاء** الصراع بين الأشراف، فقد كانت اسطانبول في عهد السلطان عبد الحميد الثاني[2] ممتلئة بالأشراف الطامعين في إمارة مكة ، وكان الصراع بينهم يحتدم أكثر من العادة كلما مات أو خلع أمير[3].

٢ـ وجود **أسرتين شريفتين** تنتقل الإمارة بينهما ولا سيما في آخر العهد وهما ذوي زيد وذوي عون، وكل منهما يرى أحقيته في الإمارة، ولم يكن موقف الدولة العثمانية منهما واحداً، فكانت الولاءات والترجيحات مع الأقوى دوماً، وقد أحاطت كل أسرة نفسها بما يخول لها البقاء في السلطة، والدفاع عن المنصب[4].

٣ ـ دخول **الدولة البريطانية** في الصراع، وقد بدأ الدور البريطاني بقوة مع إنشاء القنصلية البريطانية في جدة عام (١٢١٦هـ/١٨٠١م)، وقد أثبتت تقارير القناصل البريطانيين الدور الكبير الذي لعبته بريطانيا في إذكاء الفتنة بين الأشراف، فمثلاً كتب "زهراب" في تقرير له أن أسرة عون لا تنظر دوماً إلا بعين الود والصداقة للحكومة البريطانية على عكس أسرة زيد الناصبة للبريطانيين العداء،

---

(رسالة دكتوراة غير منشورة، تحقيق: ناصر بن عبد ا بن سلطان البركاتي، جامعة مانشتستر، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص٤٠٢، سالنامه ولاية الحجاز،ع ٤، ص ١٢١.

[1] دحلان: خلاصة الكلام، ص١٦٧.

[2] هو السلطان عبد الحميد الثاني ابن السلطان عبد المجيد الأول بن محمود الثاني، تولى السلطنة عام (١٢٩٣هـ/١٨٧٦م) وحتى عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) ، اضطر إلى أعلان الدستور مرتين مرة عام (١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م)، والأخرى عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) ، حاول جاهداً إحياء الخلافة الإسلامية عن طريق حركة الجامعة الإسلامية لكنه لم يتمكن من تحقيق مراده، وأجبر على التخلي عن الحكم عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م). جلال يحيى: الثورة العربية ، تاريخ القومية العربية، (ط١، القاهرة، دار المعرفة: ١٩٥٩م)، ص٤٢ـ ٥٤؛ عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية: ١٩٨٠م)، ج٢، ص١٠٠٣.

[3] فائق بكر الصواف: العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة ما بين "١٢٩٣ـ ١٣٣٤هـ/١٨٧٩ـ ١٩١٦م"، ( القاهرة، مطابع سجل العرب: ١٩٧٨م)، ص٩٤.

[4] شارل ديديه: الرحلة إلى الحجاز، ص٢٥٣.

وحاول "زهراب" تأليب وزير خارجيته على الشريف عبد المطلب ليتدخل لدى الباب العالي[1] في منع تعيينه للشرافة للمرة الثالثة[2]، ولا شك أن بريطانيا ذات الأطماع في المنطقة لم يفتها استغلال هذا التناحر والتعادي بين الأشراف[3].

٤ ـ أمن "**الشريف**" من المكروه **له أو لأسرته** في حالة الانهزام، فإن من قواعد الأشراف النبيلة أن الشريف المغلوب لا يخشى الغائلة على أهله إذا أجلي عن مكة وفي استطاعته أن يكل أمرهم إلى من يختاره من كبار الأشراف ليظلوا في حماه حتى يستدعيهم رب العائلة إلى حيث أراد أو يعود إليهم ظافراً بإمارته المنزوعة[4].

هذه كانت **أهم ملامح الحياة السياسية** لمكة فترة البحث، وفيما يلي إطلالة على **النواحي الأمنية** بها وحولها.

---

(1) الباب العالي: مقر رئيس الوزراء أو مقر الحكم في الدولة العثمانية، أنشأه السلطان محمد الرابع ـ فترة حكمه ( ١٠٥٨ ـ ١٠٩٩هـ) / (١٦٤٨ ـ ١٦٨٧م)، انظر : فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١٢٩ ـ ١٣٩؛ صابان: المعجم الموسوعي، ص٢٨.

(2) صالح العمرو: تقارير القناصل البريطانيين كمصدر لتاريخ الجزيرة، (مجلة العرب، جماديان، ١٣٩٧هـ ـ مايو/يونيو ١٩٧٧م)، ج١١، ١٢، ص٨١١ .

(3) كان السيد محمد رشيد رضا يطلق عليها "دولة الدسائس الشيطانية"، انظر: (مجلة المنار، مج٢٦) ، ص٢٠٥.

(4) السباعي: تاريخ مكة، ص٤٩٧ ـ ٤٩٨.

***الأحوال الأمنية في مكة.**

**مكة بلد الأمن والإيمان،** قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا﴾[١].

**أمن الله تعالى مكة وأمن من دخل إليها وأمن من قصدها،** قال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾[٢].

وامتد هذا الأمان الإلهي لمكة والحرم فشمل الحيوانات والنباتات فلا يحل صيد الحرم ولا تنفيره، ولا يحل قطع شجر الحرم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، لا يختلى خلالها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها))[٣].

وفي مكة نزل الوحي الذي من آمن به صار مؤمناً آمناً في الآخرة من عذاب الله، قال تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾[٤].

بل إن أمان مكة امتد إلى الناس في العالم أجمع، قال رسول الله ﷺ: ((لا تقوم الساعة حتى لا يحج الناس))[٥]، فقيام الكعبة بمكة أمان لكل أهل الأرض.

والحديث عن **الأحوال الأمنية** في مكة خلال فترة الدراسة يشمل دراسة أمرين: تأمين طرق الحج للبلد الحرام، والأمن داخل مكة.

**أولاً : تأمين طرق الحج للبلد الحرام.**

لقد كان تأمين طرق الحجيج مطلباً عاماً قبل مجيء العثمانيين، فقد كانت الهجمات على قوافل الحجيج في بعض الفترات الزمنية مشكلة كبرى لدى حكام

---

(١) سورة القصص، آية : ٥٧.

(٢) سورة آل عمران، آية : ٩٧.

(٣) البخاري: الصحيح، ج٤، ص٤٦، ح ١٨٣٣، ومعنى يعضد : أي يقطع.

(٤) سورة النحل، آية: ٨٩.

(٥) البخاري: الصحيح، ج٣، ص٤٥٤، ح١٥٩٣.

الدولة الإسلامية، حتى أن السلطان المملوكي الغوري[1] قبل موته عام (٩٢٢هـ/١٥١٦م) أوصى نائبه بوصايا جاء فيها : (إن كان درب الحجاز أماناً من فساد الأعراب فيخرج الحاج من القاهرة، وإن كان الدرب مخوفاً فلا يسافر أحد من الحاج هذه السنة)[2].

وحتى ندرك مدى حجم هذه المشكلة يحسن بنا دراسة أسباب ودوافع هجمات الأعراب على قوافل الحج والتي منها:

**- حالة الفقر التي كان يعيشها الأعراب ، والتي دفعتهم إلى النهب والسلب من الحجاج** حتى جعلوا ذلك مصدر رزقهم، يقول محمد صادق باشا عن هؤلاء الأعراب: (من دأبهم اتباع القوافل والمحامل في الخفية مدة خمسة أيام فأكثر ليسلبوا من يتأخر منهم ماله وجماله، التي لا يتركونها ولو ماتت ليسلخوا جلودها .. .. كما أن قبيلة من العرب تسمى اللهباء ما بين رابغ والمدينة حرفتها السرقة والنهب قديماً، ويتبعون القوافل من مكة إلى المدينة ذهاباً وإياباً، ويختفون نهاراً في الجبال، وفي الليل يسرقون الحاج، وبعد الحج يبيعون سرقتهم من الأمتعة الثمينة بأدنى قيمة)[3].

ففي عام (١١٩٧هـ/١٧٨٢م) لم يستطع أمير الحاج المصري الوصول **بقافلته** إلى الأماكن المقدسة إلا بعد أن دفع مبالغ مالية للأعراب القاطنين بطريق المدينة، بعد تعرض قافلته للسلب والنهب[4].

---

(1) السلطان الغوري : هو قانصوة بن عبد ا الشركسي المملوكي ، تسلطن عام ٩٠٦هـ/١٥٠١م، كان على درجة من العلم والثقافة، توفي عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م، في معركة مرج دابق مع العثمانيين، انظر: ابن زنبل الرمال: واقعة السلطان الغوري مع السلطان سليم العثماني، تحقيق عبد المنعم عامر، (القاهرة، الهيئةالمصرية العامة للكتاب: ١٩٦٢م)، ص١٢ـ ١٦.

(2) أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، ( ط١، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية: ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) ص٦٥.

(3) محمد باشا صادق: دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج، ( القاهرة، المطبعة الكبرى: ١٣١٣هـ/١٨٩٦م)، ص٩٣ـ ٩٥، ١٠٣ـ ١٠٤، وهذا التعميم على هذه القبيلة أو غيرها من المبالغات، فإن القرآن الكريم أشار إلى فئات الأعراب المحيطين بالمدينة زمن النبوة، بالمدح لبعضهم والذم لآخرين، فتعميم الحكم بالذم هنا ليس صواباً وا أعلم.

(4) ابن عبد الشكور : تاريخ أشراف وأمراء مكة، ق ١٨٨؛ دحلان: خلاصةالكلام، ص١٩٤.

وربما **تأخرت** القوافل في **طريق العودة** لبلادهم لذات السبب، كما حدث ذلك في عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)، حيث أغارت الأعراب على محمل الحاج المصري وركبه حين مغادرتهم للمدينة، رغم كونهم قد تسلموا العوائد المالية المخصصة لهم من قبل أمير المحمل[١]، إلا أنهم قاموا برمي المحمل بوابل من الرصاص أدى إلى استشهاد أعداد كبيرة من الحجاج والجنود، إضافة إلى عدد كبير من الجرحى والمصابين، مما دفع الحكومة المصرية والسلطات الحجازية بإصدار أوامرها لأمير الحاج[٢] بالبقاء بالمدينة، خوفاً على أرواح من تبقى من القافلة، ثم تفرق الركب إلى عدة قوافل سافرت من عدة جهات[٣].

- ومن **دوافع** هجمات الأعراب على قوافل الحجاج المسالمين **الانتقام ممن أساء إليهم**، أو الانتقام بسبب **تأخر أو منع عوائدهم**، فمن الحوادث المؤسفة في ذلك ما كان في مطلع سنة (١٢٠١هـ/١٧٨٦م) حيث اعتدى الأعراب على الحاج المصري بطريق المدينة بسبب العوائد القديمة التي كانوا يقبضونها من الركب ومنعوا منها، فاستطاع أمير المحمل أن يحجز لديه أربعة من الأعراب، وقام بكيهم بالنار فبلغ ذلك بقية أصحابهم، فتربصوا للحجاج في الطريق وقاموا بالإغارة عليهم وقتلوا نحو ثلثهم ونهبوا أغلب أمتعتهم وسبوا نساءهم، فعاد الحجاج إلى مصر في حالة يرثى لها[٤].

---

(١) المحمل عبارة عن جمل عليه هودج مزين يحمل كسوة الكعبة المشرفة من مصر ويتقدم ركب قافلة الحج يأتي في موكب من الطبول مما لا يتفق وقدسية المكان ، محمد السلمان: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي (الرياض، وكالة الفرقان: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٥٦.

(٢) أمير الحاج : هو شخص قوي يتم اختياره وتعيينه بفرمان سلطاني يستطيع الدفاع عن قافلة الحاج، والسفر والعودة بها سالمة ، إضافة إلى مهام أخرى تتعلق بالقافلة ، ويصرف له رواتب وأوقاف وصدقات وهبات ، ولمعرفة المزيد من التفاصيل يراجع : عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، (القاهرة، المطبعة السلفية: ١٣٨٤هـ)، ج١، ص٢٤٣- ٢٥٠.

(٣) إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين، (ط١، القاهرة، دار الكتب المصرية: ١٣٤٤هـ) ج٢، ص٢١٠- ٢٣٢، ٢٥٠- ٢٥٣.

(٤) عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق : حسن محمد وآخرون، (ط١، القاهرة، لجنة البيان العربي: ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م)، ، ج٢، ص١٧٧.

وفي عام (١٣٢١هـ/١٩٠٣م) قام عربان القبائل القاطنة بين مكة والمدينة بمهاجمة قوافل الحجيج لتأخر الدولة في دفع عوائدهم المقررة عليهم، وحين شكا الحجاج الأمر إلى والي الحجاز لم يفعل شيئاً بل قال لهم: إن ما يعانونه من مصائب هو في سبيل ا ، وأن عليهم التحلي بالصبر ولهم الجزاء عند ا [(١)].

**ونتيجة لهجمات الأعراب على القوافل وتعريض حجاج بيت ا الآمنين إلى المخاطر، قامت السلطات العثمانية بعدد من الإجراءات الأمنية لتأمين طرق القوافل بشتى الوسائل الممكنة والتي منها:**

- **عقد الاتفاقات والهدن مع رؤساء الأعراب:** ومن ذلك ما كان في بداية عهد الشريف عون الرفيق في سنة (١٢٩٩هـ/١٨٨١م)، فنتيجة لفقد الأمن على الطرق **تم تعيين الطريق الذي تسير فيه محامل الحج بين الحرمين** في مجلس انعقد لهذا الغرض حضره شريف مكة والوالي العثماني في الحجاز وأمراء الحج وأكابر مكة **ومشايخ عربان** القبائل القاطنة على طرق الحج بين الحرمين أو من ينوب عنهم، حتى تصبح هذه الطرق آمنة للحاج[(٢)].

- **وعلى الرغم من تحديد الطرق لقوافل الحج وتعيينها، إلا أنه قد يضطر أمير الحاج إلى استخدام طرق أخرى إذا كان ثمة مخاوف من سلك الطرق المعتادة،** ففي سنة (١٣١٦هـ/١٨٩٨م) اضطر ركب الحاج المصري لاستخدام طريق مغاير لخط سيرهم رغم مخاطر هذا الطريق ووعورته تخلصاً من شر عربان القبائل القاطنة على الطريق المعتاد الذي يربط بين المدينتين المقدستين[(٣)].

- **ولم يكن تعيين الطرق أو تغيرها الوسيلة الوحيدة لتوفير الأمن لقوافل الحجيج بل سلك طريق الاستمالة بالمال بدفعه للأعراب وشيوخهم، فعلى سبيل المثال** يذكر بيرم التونسي أن السلطان كان يعين: (حاكماً على الركب من رجال

---

(١) نواب حاجي أحمد حسين: سفرنامه حجاز ومصر، (كرزن بريس، دلهي)، ص١٠٨ـ ١٠٩.

(٢) محمد صادق: دليل الحج، ص٩٣ـ ٩٥.

(٣) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج٢، ص١٤٢، ٢٠٢ـ ٢٠٣؛ محمد لبيب **البتنوني** : الرحلة الحجازية، (ط٢، القاهرة، مطبعة الجمالية: ١٣٢٩هـ)، ص٢١١.

دولته، وبصحبته أمين الصرة الحامل للأموال المعينة لمصاريف الحرمين وللمواطنين **والأعراب الذين لهم عوائد من الدولة)**[1].

ـ وقد **تبذل الأموال لأمراء المناطق** لهذا الغرض أيضاً، فتذكر المصادر أن بعض أمراء حائل كان يتقاضى سنوياً جعلاً معلوماً ومرتبات من الحكومة العثمانية خلال الفترة من سنة (١٢٨٦هـ ـ ١٣١٤هـ) / (١٨٦٩م ـ ١٨٩٦م)؛ لقاء **تأمين طرق الحج العراقي،** من العراق إلى مكة[2].

ـ **وقد يكون على أمير الحاج أن يدفع هذه الأموال أثناء الطريق،** وذلك كما حدث مع الركب المصري عام (١٣٢٥هـ/ ١٩٠٨م)، ولنترك أمير المحمل **إبراهيم باشا** يصف لنا ما حدث لقافلته أثناء مرورها من مكة إلى المدينة عبر الطريق السلطاني، فيقول: (في طريقنا من بئر ابن حصلني إلى خليص وجدنا قبائل صبح والمحاميد وبني عمرو والحكالة قد انتشروا على رؤوس الجبال في مواقع عدة، وكلما مررنا بجماعة منهم صاحوا، والصياح عندهم آية الاعتداء، ولكن مشايخهم كانوا ينزلونهم من قمم الجبال، وقد أطلق علينا بعضهم طلقات نارية لم تمسنا بسوء... وقد طلبوا منا ٥٠٠٠ ريال[3] أو يفتكون بنا، فأرضيناهم بألف ومائة اتقاء لشرهم ، ... وحينما وصلنا إلى بئر خليص وجدنا هنالك الشيخ خليل بن حذيفة كبير مشايخ الأحامدة، فطلب منا مكافأة نظير أن يدفع عنا تعدي الأحامدة عن ركبنا، ....

---

(1) محمد بيرم التونسي: صفوة الاعتبار، ج٥، ص١٨٧؛ ويعلق محي الدين رضا على كلام التونسي قائلاً: (وإن كل ذلك الاستعداد لم يقي الحاج من اعتداءات الأعراب)، انظر: محي الدين : صور ومشاهدات من الحجاز، (القاهرة، المطبعة التجارية الحديثة: ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م)، ١٤٥.

(2) كانت قوافل الحج القادمة من العراق تضم حجاج العراق وإيرن والأفغان والهند والقوقاس والترك والكرد ، وعند مرور المحمل بحائل (عاصمة آل رشيد) يجبون أل رشيد الضرائب ، مقابل حماية القافلة، انظر: آن بلنت: رحلة إلى بلاد نجد، ترجمة: محمد أنعم غالب (الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر: ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م)، ص٢١٧، ٢٣٠ـ ٢٣٤، ٢٤١ـ ٢٥٣، ٢٥٥ـ ٢٥٩؛ عبد ا صالح العثيمين: نشأة إمارة آل رشيد، (الرياض، جامعة الرياض: ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٩٠.

(3) الريال: اسم شائع في جميع بلاد الشرق الأدني وأول من أجراه في السوق والتجارة الإسبانيون وما من نقد اختلاف سعره في البلاد والأزمنة مثله، كذلك اختلاف أنواعه وأسماؤه، انظر: انستاس ماري الكرملي البغدادي: النقود العربية وعلم النميات، (المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٢٩م)، ص١٧٤ـ ١٧٥.

فأعطيناه ٣٠٠ ريال، وبعد أن رافق ركبنا في مسيره قليلاً اختفى عن أنظارنا ... وأخبرت أنه سيرسل هجاناً من قبله يمنع أهل دياره أن يعتدوا على ركبنا، ولكن حينما مررنا بهم وقفوا على جبالهم .. وأبوا أن يسير المحمل ما لم ندفع ١٥٠ جنيهاً، وذلك بعد أن رمونا بالرصاص فاستشهدت امرأة .. فحقناً للدماء أن تراق دفعنا المبلغ ...)[١].

ـ **أيضاً قام العثمانيون بتجهيز القوافل بالأسلحة والحاميات القوية وإقامة التحصينات على الطرق**، وكانت هذه الاستعدادات الحربية مدعاة في الحملة للأمان وسلامة الحجاج، خاصة قوافل الحج المصري والشامي الرسمية، حيث يذكر الرحالة الدرعي أنه: (بخلاف المصريين والشاميين ولولا أمراؤهم وما ألهمهم ا تعالى لهم من الاستعداد لهذه البرية بإيجاد جيش مرتب على قانون لما أمكن لأحد ممن يأتي وراءهم الحج لطولها وخلائها إلا من القطاع)[٢].

وكان أمراء الحج يبذلون كافة طاقاتهم في حماية قوافلهم من هجمات الأعراب، حتى إن أمير الحاج المصري يوسف بك كان يلقب بـ **"الجزار"**، لكثرة ما كان يظهره من شجاعة في وقائعه مع الأعراب الذين تسول لهم أنفسهم مهاجمة قافلته[٣].

ـ **وقد تتدخل الدولة العثمانية بالجيوش لتأمين طرق الحج**، كما حدث في عام (١٢٩٥هـ/١٨٧٨م)، حيث منع الأعراب المحمل الشامي إلى مكة بعد مسيرة يومين من المدينة، فأرسلت الدولة قوة عسكرية من الجيش العثماني الموجود بالمدينة لردعهم[٤].

---

(١) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج٢، ص٢٠٤ـ ٢٠٦.

(٢) عن رحلة محمد بن عبد السلام الدرعي، حمد الجاسر (مجلة العرب، س٩، ع ٧، ٨، محرم ـ صفر / ١٣٩٥هـ ـ / فبراير ـ مارس / ١٩٧٥م)، ص ٤٩١ـ ٤٩٢.

(٣) أحمد الرشيدي: حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق ليلى عبد اللطيف أحمد، (القاهرة، مكتبة الخانجي: ١٩٨٠م)، ص٢١٣.

(٤) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج٢، ص٢٦٤، ٢٦٥ـ ٢٧١.

وعلى الرغم من الإجراءات الأمنية التي فرضها العثمانيون لتأمين قوافل الحجاج إلا أن ذلك لم يفلح في قطع دابر هجمات الأعراب على قوافل الحج.

**ولعل أبرز الأسباب الدافعة لذلك تعود إلى ما يلي:**

ـ **التنازع على السلطة بين الأشراف:** فمما لا شك فيه أن الأمن والاستقرار السياسي، وجهان لعملة واحدة، فإن الاستقرار السياسي يدفع الناس إلى احترام الولاية ونظمها، فيتفق الحاكم والمحكوم على التعاون للقضاء على كل ما يخل بالأمن والأمان، فإذا فقد الناس الاستقرار السياسي ودب التنازع والشقاق بين الأمراء فإن ذلك ينعكس ضرورة على الحالة الأمنية للبلاد، ومن ذلك قوافل الحجيج؛ فعلى سبيل المثال كانت الفترة الثالثة لولاية الشريف سعد بن زيد من (١١٠٦ـ ١١١٣هـ) / (١٦٩٤ـ ١٧٠١م) قد شهدت نوعاً من الاتفاق بين الأشراف وأمير مكة، فلم تسجل فيها متاعب أمنية للحجاج، ولكن حين عاد لإمارة مكة للفترة الرابعة عام (١١١٦هـ/١٧٠٤م) والتي استمرت ثمانية عشر يوماً حدث تنافر ونزاع على السلطة بينه وبين الشريف عبد الكريم بن محمد[1]، فوقع النهب والقتل في الطرق الحجازية[2].

ـ **ضعف التجهيزات العسكرية للحاميات**، فبالرغم من أن العثمانيين كانوا يجهزون قوافل الحجاج بقوات وحاميات تمنع القافلة من سلب ونهب الأعراب لكن أحياناً كانت هذه التجهيزات العسكرية ليست كافية، مما يؤثر على أمن هذه القوافل ويؤدي إلى مصاعب كبيرة للحجاج، فمن ذلك ما حدث في عام (١١٣٣هـ/١٧٢٠م) حيث أقام أمير الركب الشامي في طريق العودة إلى الشام نحو

---

(1) هو الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى تولى إمارة مكة ثلاث مرات آخرها من عام (١١١٧هـ/ ١٧٠٥م) حتى عام (١١٢٣هـ/ ١٧١١م)، توفي بالطاعون عام (١١٣١هـ/١٧١٨م) ودفن بمصر، وصلي عليه صلاة الغائب بمكة، انظر: الطبري: اتحاف فضلاء الزمن، ص ٣٧١؛ دحلان: خلاصة الكلام، ص١٦٦.

(2) دحلان: خلاصة الكلام، ص١٢٦ـ ١٢٩، ١٣٢، ١٤١، ١٤٩؛ سعيد بن عودة الردادي: أمن الحج قبل العهد السعودي، (ط ١، المدينة المنورة، دار المآثر: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص٣٠١.

عشرين يوماً في العلا[1] خوفاً من الأعراب، الذين نهبوا أسلحة القوة المعدة لحماية الركب[2].

بل ويعد ما حدث في عام (١١٧١هـ/١٧٥٧م) من أدل البراهين على قوة الأعراب وضعف الحاميات، فقد تعرض الركب الشامي في ذلك العام إلى هجوم كاسح من قبل الأعراب الذين أحاط بالقوة التي أرسلت لحماية الركب وقتلوا أكثرهم ونهبوا الباقي، ثم أجهزوا على قافلة الحجيج فقتلوا من قتلوا وسلبوا من سلبوا[3].

وفي عام (١١٩٤هـ/١٧٨٠م) هجم الأعراب على ركب الحاج المصري في وادي الصفراء[4]، وحاصروهم بين الجبال، وقتلوا الكثير من الحجاج وجنود المحمل، ونهبت الدواب بأحمالها[5] .

بل **ربما أدى ضعف** الحامية والقوة المساندة للركب **إلى التنكيل بمعظم الحجاج وأسر أميرهم،** ففي عام (١٢٠٨هـ/١٧٩٣م) هجم الأعراب على ركب الحاج المصري في الطريق ما بين مكة والمدينة، فقتلوا معظم الحجاج وكسروا المحمل وأحرقوه، ونهبوا من تبقى حياً من الحجيج، فأخذوا دوابهم وأحمالهم، وسبوا نساءهم، وأسروا أمير الحاج بعد أن أصابوه بثلاثة أعيرة نارية[6].

**- كما كان لسوء الإدارة والتخطيط وضعف الحكومة المحلية دوره في فشل توفير الأمن للحجاج،** فقد كانت الحاميات العثمانية والقوة المصاحبة لها لا تتحرك عادة إلا بعد **استصدار الأمر** من الشريف مباشرة أو الباب العالي، فلربما عاث الأعراب فساداً في قوافل الحج تحت مرأى ومسمع تلك الحاميات لعدم وجود أوامر

---

(1) العلا: مدينة تقع بين تبوك والمدينة مشهورة بنخيلها، عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، (دار مكة للنشر) ج٦، ص١٥٤.

(2) الردادي: أمن الحج ، ص٣٠٢.

(3) محمد خليل المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، (بغداد، مكتبة المثنى)، ج٢، ص٦٠ - ٦٢.

(4) وادي الصفرا : وادي يقع بين المدينة وبدر، وهو على الطريق ما بين مكة والمدينة، حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، نصوص ومشاهدات وانطباعات، (ط٢، الرياض، دار اليمامة: ١٤٠١هـ/١٩٨٦م)، ص١٨٧.

(5) الجبرتي: عجائب الأثار، ج٢، ص٥٨ - ٥٩.

(6) المصدر السابق ، ج٢، ص٢٥٠ - ٢٥٧.

لديهم بالمساعدة، فعلى سبيل المثال حاصر الأعراب من قبيلة حرب بمنطقة تبوك سنة (١١٧٥هـ/١٧٦١م) قافلة الحج الشامي، عند عودتهم من مناسك الحج، وطالبوهم بأموال طائلة، فما كان من أمير الحاج الشامي من حيلة غير أن أرسل إلى والي الشام يطلب النجدة، ولكن الوالي وعساكره تحيروا في أمرهم هل يلبوا النداء وينقذوا القافلة، أم يرسلوا إلى الباب العالي وينتظروا بماذا يأمرهم، وكان لهذا التردد أثره السلبي على أمير الحج وقافلته، إذ إن الأعراب لم يمهلوهم طويلاً وقاموا بالهجوم عليهم وقتلوا معظمهم ونهبوا متاعهم وأموالهم وأسرو نساءهم، وقد أرخ الحضراوي لهذه الواقعة في كتابه "تاج تواريخ البشر"، ووصف اليوم الذي وقعت فيه بأنه: (كان يوماً عظيماً ثلم فيه الإسلام أي ثلمة، وأظلم فيه الكون أي ظلمة)[1].

ومما يؤكد استمرار سوء الإدارة والتخطيط ما أخبر به رئيس حرس المحمل المصري عام (١٣١٨هـ/١٩٠٠م)، حيث ذكر أن بالطريق بين جدة ومكة: (جملة قلاع ذات اليمين وذات الشمال يقيم فيها جنود أتراك، وبه أماكن أخرى يقطنها عساكر الشريف غير نظامية وهؤلاء الحراس وجدوا للمحافظة على الأمن بالطريق، ولكنهم كما سمعت لا يفارقون أماكنهم لرد الغارات والضرب على أيدي اللصوص وقطاع الطرق، ولو كان ذلك بمرآي منهم ومسمع إلا إذا أمرهم الوالي وأين هو منهم، وكثيراً ما سلب الحجاج أمتعتهم إذا تأخروا عن القافلة لإصلاح الأحمال أو قضاء بعض الضرورات، وإذا ما سئل هؤلاء الحراس لماذا لا يقومون بالواجب قالوا "**أمرْ يوك**" أي ليس عندنا أمر فما أقبح العذر)[2].

**ومن أدل الحوادث على ضعف الإدارة المركزية للأشراف** في بسط نفوذهم على الحجاز؛ أن الشريف بمكة كان يعين أكبر مشايخ الأعراب، إلا أنهم لم يكونوا ينصاعون لأوامره، ولم يبرحوا التهديد للحجاج بالسلب والنهب أو دفع إتاوات لهم، ومن ذلك ما كان في عام (١٣٢١هـ/١٩٠٤م) حيث حضر شيوخ القبائل لمقابلة أمير الحاج المصري وطلبوا منه مبالغ مالية كبيرة نظير سماحهم لمرور المحمل

---

(1) أحمد الحضراوي: تاج تواريخ البشر وتتمة جميع السير،(مخطوط بمكتبة مكة المكرمة، رقم:١٢٣)،ج٣، ق٢٨٦.

(2) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص٢٤ـ ٢٥.

بحجاجه من ديارهم لزيارة المدينة، فما كان من الركب سوى انتظار ما تسفر عنه المخابرات بين الحكومة المصرية وأمير مكة والوالي العثماني بالحجاز، والتي انتهت بإخلاء الجميع مسؤوليتهم عن سلامة الركب، وترك الحرية للحجاج الراغبين في زيارة المدينة، أو العودة بالمحمل إلى مصر، ثم وفي اللحظات الأخيرة وردت أوامر سلطانية للمحمل بتغيير خط سيره واتخاذ طريق آخر أطول إلى المدينة بعيداً عن أراضي تلك الأعراب[1].

ولعل ما يؤكد **مدى الضعف** الذي وصلت إليه الإدارة المركزية بمكة؛ ذلك المعروض الذي أرسله علماء مكة وأعيانها عام (١٣٠٠هـ/١٨٨٢م) إلى الحكومة العثمانية يطالبونها بتوفير الأمن في الحجاز، وتأديب بعض القبائل التي تثير القلاقل والخوف للأهالي والحجاج[2].

بل إن الإدارة المركزية نفسها والتي يرأسها أمير مكة **طلبت من الباب العالي** توفير الأمن في الحجاز، فقد أرسل أمير مكة الشريف الحسين بن علي عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) معروضاً إلى الصدارة - رئيس الوزراء - يوضح فيه **فقدان الأمن** في الخط الحجازي **ويعرض** عليهم **طريقاً آخر** أكثر أمناً باستطاعة الحجاج سلكه، كذلك **يطالب** في معروضه من السلطة **توفير التدابير اللازمة** لدفع الاعتداءات التي يقوم بها الأعراب على الحجاج[3].

---

(1) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج٢، ص٨٨- ١٠٤. لم يستمر هذا الأمر طويلاً فمع بسط الملك عبد العزيز آل سعود نفوذه على الحجاز عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) وتطبيقة للشريعة الإسلامية استتب الأمن، وصار الحجاج لايحتاجون إلى حاميات أو جنود في طريق الحج، فقد ضرب الملك بيد من حديد كل من تسول له نفسه للتعرض للحجيج، مقتدياً بأسلافه وآبائه، فقد قام بمجهودات عظيمة لتأمين طرق الحج وانتشر هذا حتى شهد به القاصي والداني، والموافق والمخالف .

(2) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، وثيقة رقم : ١١/ ١٠٣/ و ح ج .

(3) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، وثيقة رقم : ١١/ ١٠٢/ و ح ج .

**ثانياً: الأمن داخل مكة :**

لقد استمرت مكة بحمد الله آمنة مطمئنة، ومن كان يصل إليها من الحجاج كان يجد ذلك واضحاً، إلا أن ثمة أموراً كانت تعكر هذا الأمن وألبست مكة لباس الجوع والخوف بسببها، ويمكن أن نحصر ذلك فيما يلي:

- **النزاع على السلطة بين أمراء الأشراف وشريف مكة:** فعلى سبيل المثال قام البدو المرافقون للشريف سعد بن زيد عند دخوله مكة لولايته للمرة الرابعة عام (١١١٦هـ/١٧٠٤م) بنهب البيوت وسلبها[١]، ويذكر أحمد دحلان (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) أنهم: (أخذوا ما وجدوا من نقود وقوت، وما عز وهان، من متاع وأثاث، وأراعوا الذكور والإناث، فكم من رجل نزعت من فوقه ثيابه، وكم من حرة وشريفة هتكت، وكاسية سلبت، وحامل أسقطت، فما زالوا ينهبون الرفيع والوضيع ويسومونهم الضرب والتقطيع حتى دخل الليل، فمن الناس من مات فجأة، ومنهم من مرض ومنهم من اختبل)[٢]. وعلى الرغم من المبالغة الواضحة في كلام دحلان إلا أنه يمكن أن نستشف من بين السطور فداحة الأمر الذي حدث.

- **هجمات الأعراب والبدو على مكة:** فعلى سبيل المثال استغل الأعراب الفتن الدائرة بين حكام مكة وتصارعهم على الحكم حين نشب قتال بين شريف مكة **سعيد** ابن سعد والشريف **عبد الكريم** بن محمد عام (١١١٧هـ/١٧٠٧م) ، استغله الأعراب، وعلى الفور قاموا بالهجوم على مكة وقتلوا ونهبوا الأهالي، حتى خلت الشوارع من الناس وتعطلت جميع الطرقات والجهات[٣].

- **الفتنة بين أمراء الحج:** تذكر المصادر التاريخية أنه نشب قتال بين أمير الحج المصري وأمير الحج الشامي يوم عرفة عام (١١١٨هـ/١٧٠٦م) وتراشق

---

(١) علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري: منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم تحقيق ملك محمد خياط، (مكة، مركز إحياء التراث الإسلامي: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج٥، ص٢٩١.

(٢) دحلان: خلاصة الكلام، ص١٤٢.

(٣) الطبري: اتحاف فضلاء الزمن، ص١٧٢؛ السباعي: تاريخ مكة، ص٤١٠.

الطرفان إطلاق النار بسبب تقدم المحمل الشامي على المحمل المصري عند النفر من عرفات على غير ما جرى به القانون والعادة[1].

- **الفتنة بين أهل مكة والمتخلفين من الحج:** ففي سنة (١١٤٤هـ/١٧٣١م) ثار العوام بالمسجد الحرام على مجموعة من الحجاج كانوا قد جاوروا في مكة لأن الحج فاتهم عام (١١٤٣هـ/١٧٣٠م)، فأقاموا بمكة ليحجوا في العام التالي، وصاروا يترددون على المسجد الحرام للعبادة والطواف، فزعم جماعة أنهم وضعوا نجاسة بالكعبة، فثارت فتنة بسبب ذلك أدت إلى إخراج الحجاج إلى جدة والطائف، ونهبت بيوتهم، ثم بعد مدة أذن لهم بالرجوع إلى مكة[٢].

- **تدخل أمراء الحج في سياسة إمارة مكة:** ففي موسم حج سنة (١١٧١هـ/١٧٥٧م) قام أمير الحج المصري بالاتفاق مع بعض الأشراف مقابل مبلغ من المال على تأمير الشريف **مبارك بن محمد**[٣] وعزل الشريف **مساعد بن سعيد،** فقام أمير الحج المصري بتوزيع قواته على أسطح المسجد الحرام، وفي المنائر وعلى المنازل المطلة على دار أمير مكة، وقاموا بإطلاق النار على الدار فدارت الحرب بين الفريقين راح ضحيتها الكثير من الحجاج والأهالي[٤].

وفي موسم حج (١١٨٣هـ/١٧٦٩م) اتفق أمير الحاج المصري مع الشريف **عبد ا بن حسين**[5]، على تمكينه من إمارة مكة وخلع أميرها، فعلم شريف مكة الأمير **مساعد بن سعيد** بالأمر وقام بالاتصال سراً بأمير الحج الشامي طالباً منه

---

(١) دحلان: خلاصة الكلام، ص١٦٠

(٢) المصدر السابق، ص١٨٤؛ السباعي: تاريخ مكة، ص ٤١٠ - ٤١١.

(٣) هو الشريف مبارك بن أمير مكة الشريف محمد بن عبد ا بن سعيد تنازع على إمارة مكة مع الشريف مساعد بعد وفاة أبيه، استطاع الأمير مساعد أن يتغلب عليه ويسجنه ليلقي حتفه عام (١١٧٢هـ/١٧٥٨م)، دحلان: خلاصة الكلام، ص١٩٧.

(٤) ابن عبد الشكور: تاريخ أشراف وامراء مكة ، ق١٠١؛ دحلان: خلاصة الكلام، ص١٩٧.

(5) هو الشريف عبد ا بن سعيد بن زيد بن محسن بن حسين ولي شرافة مكة بعد وفاة أخيه الشريف مساعد عام (١١٨٤هـ/١٧٧٠م) وبعد أن تمت له المبايعة تركها لأخيه الشريف أحمد بن سعيد بعد أن تولاها شهرين وثلاثة وعشرين يوماً، دحلان: خلاصة الكلام، ص٣٠١، ٣٠٥.

المساعدة، وأن يتأخر في الخروج من مكة بعد المحمل المصري، وبالفعل تمت الخطة، ولكن الشريف **عبد ا** غضب وقام بمهاجمة مكة ووقع القتال بين الفريقين أزهقت فيه الأرواح وسفكت فيه الدماء، وهزم فيه الشريف عبد ا ، فهرب إلى مصر، وطلب المساعدة من واليها، فجهزت حملة عسكرية مصرية مكنت الشريف عبد ا من تولي إمارة مكة، غير أن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد، فقد قام قائد الحملة وعساكره بنهب الأسواق والناس ولم يسلم أحد من أذيتهم بما في ذلك العلماء والتجار[١].

ـ **الفتنة بين العساكر الأتراك وعساكر محمد علي باشا:** فقد وقعت فتنة في مكة بين العساكر الأتراك وبين الجنود التابعين لوالي مصر محمد علي باشا عام ١٢٤٧هـ/١٨٣١م)، بسبب مطالبة العساكر الأتراك برواتبهم، وبعث محمد علي باشا مندوباً من قبله لتسكين الفتنة والإصلاح بين فئتي العساكر فزادت تعقيداً، واجتهد أمير مكة في تسكين الفتنة والإصلاح بين الفريقين فلم يوافقوه، فغادر بعد الحج إلى الطائف، وفي عام (١٢٤٨هـ/١٨٣٢م) دار القتال بين الفريقين، وانتهت سلسلة المعارك بينهم بهزيمة الجنود الأتراك، وسلب جنود محمد علي دكاكين خان الترك القريب من المروة، فقام بتعويض أصحابها[٢].

---

(١) ابن عبد الشكور: تاريخ أشراف وأمراء مكة، ق، ١٠٢ ـ ١١٤؛ الجبرتي: عجائب الآثار،ج١، ص٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٢) دحلان: خلاصة الكلام، ص٣٠٩؛ السباعي: تاريخ مكة، ص٥٢٠.

## جهود علماء مكة في التعامل مع الأحداث السياسية والأمنية

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[١] وأولوا الأمر هم الأمراء والعلماء[٢]، فوجود العلماء عنصر أمان واستقرار للساسة، وركن رئيس لاستتباب الأمن.

**ولقد كان لعلماء مكة مكانة مرموقة في مجتمعهم،** فكان يلاذ بالعلماء عند اشتداد الأزمات، وقد أبقى لنا التاريخ عدة براهين وحوادث تؤكد ذلك؛ فمن ذلك ما كان من شأن النزاع بين آل سعود وبين أمير مكة **عبد المعين**[٣]، فحين رضخ الشريف للصلح عام (١٢١٨هـ/١٨٠٣م ) أرسل كتاباً إلى الأمير سعود يعرض عليه أن يستبقيه في إمارة مكة، أشفع ذلك بندب بعض علماء مكة منهم الشيخ محمد طاهر سنبل، والشيخ عبد الحفيظ العجيمي، والسيد محمد بن محسن العطاس، والسيد محمد ميرغني، فاجتمعوا بالأمير سعود في وادي السيل بين الطائف ومكة فقبل منهم وأعطاهم كتاباً بالأمان وموافقته على بقاء عبد المعين على ولاية مكة، وعندما عاد وفد العلماء، قام مفتي المالكية الشيخ حسين بصعود المنبر وقرأ كتاب الأمان على ملأ من الناس[٤].

وعندما قررت الحكومة العثمانية عام (١٢٧٢هـ/١٨٥٦م) منع بيع الرقيق في أسواق الحجاز نتج عن ذلك ثورة من قبل الناس ضد قرار الحكومة، وقام مجموعة من طلبة العلم مؤيدين بالعلماء بالتوجه إلى منزل الوالي العثماني ومنزل القاضي، وأحدثت ضجة كبيرة وأطلقت الأعيرة النارية واستفحل الأمر، مما أدى

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) قال ابن عباس في آية سورة النساء هذه: معنى أولي الأمر يعني أهل الفقه والدين، وقال مجاهد وعطاء والحسن البصري يعني: العلماء، وقال ابن كثير: والظاهر وا أعلم أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء، انظر: ابن كثير : تفسير القرآن ، ج١، ص٥١٨.

(٣) هو الشريف عبد المعين بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد تولى إمارة مكة لبضعة أيام ثم أعطيت لأخيه غالب وصار عبد المعين وكيلاً لأخيه الذي رحل إلى مقر الإمارة في جدة بعد نشوب الصراع مع السعوديين، ولما دخل السعوديون مكة أقروه على منصبه. دحلان: خلاصة الكلام، ص٢٢٥؛ أوزون: أمراء مكة، ص١٥٠.

(٤) دحلان : خلاصة الكلام، ص٢٧٦؛ السباعي: تاريخ مكة، ج١، ص٤٩٧ .

إلى تراجع الحكومة العثمانية عن قرار منع بيع الرقيق وأرسلت خطاباً لعلماء مكة بذلك الشأن[1]، فما كان من علماء مكة سوى أن سطروا عريضة بعثوا بها إلى السلطان عبد المجيد[2]، تحمل توقيع ٣٨ عالماً **من علماء الحرم المكي**[3]، وبعثوا بأخرى إلى أمير عسير عائض المرعي[4] يطلعونه فيها أن الموجب لأحداث الثورة قد زال، فقد طلبوا منه المؤازرة والوقوف بجانبهم ضد قرار العثمانيين، فلبى طلبهم[5].

وفي عام (١٢٧٤هـ/١٨٥٨م) ثار عدد من الناس في جدة على القنصل البريطاني وقاموا بقتله[6]، فضرب الإنجليز مدينة جدة بالمدافع، فسارع والي الحجاز إلى عقد **مجلس برئاسة عدد من علماء مكة** منهم شيخ العلماء الشيخ جمال عمر أصدروا بياناً **شجبوا فيه قتل القنصل** وأكدوا على معاقبة أصحاب الثورة والتحقيق في الموضوع، وأرسلوا وثيقة مختومة بأختامهم إلى اسطانبول تتضمن حيثيات قراراتهم، التي هدأت من الأوضاع في الحجاز وقضت على الفتنة[7] .

---

(1) حسين ابن أحمد شمة: رسالة تتعلق بتاريخ الشريف عبد المطاب، (مخطوط بمكتبة مكة، رقم ٩٢٣)، ق ٧ـ ١١.

(2) هو السلطان عبد المجيد بن السلطان محمود الثاني تولى الحكم بعد وفاة والده عام (١٢٥٥هـ/١٨٣٩م) ، واستمر به حتى وافته المنية عام (١٢٧٧هـ/١٨٦١م)، محمد فريد: تاريخ الدولة العلية، ص٢٨٧.

(3) انظر نص الرسالة في كتاب سنان معروف أوغلو : نجد والحجاز في الوثائق العثمانية "الأحوال السياسية والاجتماعية في نجد والحجاز خلال العهد العثماني" ، (دار الساقي)، ص٦٢ ـ ٦٨.

(4) تولى إمارة عسير عام (١٢٤٩هـ/١٨٣٨م) اتصف بالورع والتقوى، وحب العلم خاض الكثير من المعارك مع الأتراك من أجل السيطرة على أوضاع المنطقة ، توفي عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٧م لمعرفة المزيد أنظر: عبد ا بن علي بن مسفر : السراج المنير في سيرة أمراء عسير، (ط١، دمشق، مؤسسة الرسالة: ١٩٧٨م)، ص٨٣ـ ٩٢.

(5) محمد بن عبد ا آل زلفة: دور عسير في أحداث الحجاز في الفترة ما بين "١٢٦٧هـ/١٨٥٠م ـ ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م"، بحث ضمن كتاب الولايات العربية ومصادر ووثائق في العهد العثماني، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، (ط١، زغوان، مطبعة الاتحاد العام التونسي: ١٩٨٤م)، ص٥٤ـ 55.

(6) سبب هذه الفتنة والتي انتهت بقتل القنصل على أيدي الناس في داره ، تعود إلى أن أحد تجار جدة كان له مركب عليه العلم الإنجليزي ، فاستبدله بالعثماني، فقام القنصل بإنزال العلم العثماني وتكلم في الحكومة العثمانية بلهجة أثارت من حوله، السباعي: تاريخ مكة، ص٥٣٤؛ جيرالد دو غوري: حكام مكة، ص٣٠٥.

(7) دحلان: خلاصة الكلام، ص ٣٢١ـ ٣٢٢.

وفي عام (١٢٨٨هـ/١٨٧١م) كانت (فتنة حوا) سبباً في تساقط القتلي والجرحي في مكة، حيث اشتبك رجل من مكة يدعى (حوا) مع أحد الجنود الأتراك في سوق مكة، مما تسبب في إحداث فتنة في جميع أنحاء المدينة، أسفرت عن مقتل عدد من العسكر وإغلاق الأسواق، وقد فتح الشريف عبد ا بن محمد بن عون تحقيقاً في معرفة ملابسات الحادث، وحضر التحقيق عدد كبير **من علماء مكة** من القضاة والمفتين، حكموا على مثيري الشغب بأحكام تتراوح ما بين النفي والحبس[1].

وفي عام (١٢٠٢هـ/١٧٨٧م) ورد أمر سلطاني **ملتمساً الدعاء من صلحاء مكة وعلمائها** بنصر المسلمين على الأوروبيين، فحضر المفتي مع جمع من العلماء والناس بعد صلاة الفجر قرب زمزم مقابل بيت ا وفتحوا باب الكعبة وقرئ بصوت عال فرمان السلطان الموجة لشريف مكة ووالي جدة وقضاة المذاهب والمفتي والعلماء أن يدعوا لهم بأن ينصر ا المسلمين على الأوروبيين الذين أغاروا على بلاد المسلمين، فرفع الجميع أيديهم بالدعاء وأتي بنسخة من صحيح البخاري وقسم المفتي أجزاءه على العلماء الموجودين ببيت ا ، وقرئت أجزاؤه في بضعة أيام حتى ختموه[2].

**وحين اشتد النزاع بين الحكومة العثمانية وإمام اليمن يحيى بن محمد بن حميد الدين)**[3] ووصل الأمر بهما إلى القتال، استعانت الدولة بعلماء مكة وأوفدت

---

(1) محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي الصباغ: تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، تحقيق ودراسة: عبد الملك بن عبد ا بن دهيش، (ط١، مكة، مكتبة الأسدي: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ج٢، ص٨٩٢؛ دحلان: خلاصة الكلام، ص٣٢٥.

(2) أحمد حاج علي خان: وصف رحالة الهند وباكستان للجزيرةالعربية، ( بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية)، ج٢، ص٩١٠.،

(3) هو الإمام يحيى بن محمد بن حميد الدين إمام اليمن ولد عام (١٢٨٦هـ/١٨٦٩م) في مدينة صنعاء ونشأ بها على حب العلم والتعلم ، فتلقاه على عدد من مشايخ بلاده ، حدثت بينه وبين العثمانيين معارك كثيرة انتهت بالصلح فيما بينهم، فتفرغ لتنظيم أحوال البلاد إذ فتح المدارس ونظم لها المدرسين ، وبعث المعلمين والقضاة في جميع أنحاء البلاد ، ومارس بنفسه مهنة التدريس إضافة إلى اشتغاله بالأدب وتنظيم الشعر، والتأليف ، توفي مقتولاً عام (١٣٦٧هـ) ، انظر: محمود سعيد بن محمد ممدوح أبو سليمان: تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة

إلى الإمام عام (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م) هيئة من **فقهاء مكة وعلمائها** منهم مفتي الشافعية الشيخ محمد سعيد بابصيل ، ومفتي الأحناف الشيخ عبد ا بن عباس بن جعفر، وذلك للتوسط لإيقاف القتال وإزالة سوء التفاهم بينهما وبالفعل سافر الوفد إلى اليمن، رائدهم الإصلاح وفض النزاع بين المسلمين وتوحيد كلمتهم والتقوا بالإمام فرحب بهم وبين لهم أسباب الخلاف، وهي أن اليمن تريد إقامة الحدود بموجب الشريعة الإسلامية، ورفض القوانين الوضعية، فطالبوه بتوثيق ذلك خطابياً، ثم قاموا ببعث صورة من الخطاب لأمير مكة لرفعه للسلطان عبد الحميد مؤيدين وجهة نظر الإمام[١].

ومن هذه الحادثة يتبين لنا أن **علماء مكة** كان لهم الدور في توجيه الحكومة إلى الشكل المناسب للحكم الموافق للشريعة الإسلامية، وهو يعد في الجملة **أعظم توجيه سياسي** يمكن أن يقوم به العلماء في أي عصر.

كذلك كان لعلماء مكة **مواقفهم** من الأحداث السياسية التي تحيط بالعالم الإسلامي سواء بالرفض والاعتراض أو القبول والتأييد، فهم يعلمون أن العالم الإسلامي يتطلع إليهم وأن آراءهم محل اعتبار وتقدير، فعلى سبيل المثال عندما ظهر **حزب الاتحاد والترقي**[٢] في الدولة العثمانية، وأعلن الدستور عام (١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م)[٣]، كان جل هم هذا الحزب أن يحصل على التأييد من فقهاء مكة

---

والسماع أو "إمتاع أولي النظر ببعض أعيان القرن الرابع عشر"، ( القاهرة، دار الشباب للطباعة)، ص ٥٧٠ ـ ٥٧٢.

(١) عمر عبد الجبار: سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، (ط٢، مكة، مؤسسة مكة للطباعة والاعلام: ١٣٨٥هـ) ، ص١٤٩؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٤٢٥.

(٢) حزب الاتحاد والترقي أو رجال الاتحاد والترقي، نسبة إلى الجمعية السرية التي أسسها هؤلاء الرجال من أجل القضاء على حكم السلطان عبد الحميد، وقد عمل العرب والأتراك في هذه الجمعية السرية سوياً، ونجح الاتحاديون في إعلان الدستور وعزل السلطان عبد الحميد، وتكوين مجالس في هذا الشأن، وكان العرب فيها أقلية مما أدى لشكوكهم في سياسة الاتحاديين فيما بعد ومعارضتهم لهم. انظر : جورج انطونيس: يقظة العرب، ترجمة علي الركابي، (دمشق، مطبعة الترقي: ١٩٤٦م)، ص١٠٧ ـ ١١٠.

(٣) هو القانون الأساسي الذي وضعه مدحت باشا الصادر في عام (١٢٩٣هـ/١٨٧٦م) ولكن مع بعض التغيير ، فأصبح هذا الدستور عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) دستور الدولة الإسلامية العثمانية بدلاً عن الإسلام وقد رفض

وعلمائها، إلا أن بعض علماء مكة رأوا أن هذا الحزب نذير سوء **فرفضوا دعمه وتأييده**، ومن هؤلاء العلماء: الشيخ **أحمد بن أبي بكر شطا**، فكان صريحاً في قوله، يقول الحق ولا يخشى في ا لومة لائم، أو سلطة حاكم، فحين عرض عليه المحضر المرسل من قبل حزب الاتحاد والترقي بعد أن أعلنوا الدستور، مطالبين موافقة علماء مكة على فكرتهم وحزبهم والتوقيع عليه، **رفض الشيخ التوقيع** غير مبال بما يترتب على هذا الرفض من عنت الاتحاديين وكيدهم[1].

---

السلطان عبد الحميد هذا الدستور لمعارضته للإسلام ولدعم الدول الأوروبية الكبرى له ! لكنه أجبر على قبوله ، وقد حاول السلطان عبد الحميد أن يلغي هذا الدستور ولكن الجيش العثماني قام عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) بمحاصرة قصره وخلعه ونفيه إلى سالونيك، انظر: خاف بن دبلان الوزيناني: الدولة العثمانية والغزو الفكري حتى عام "١٣٢٧هـ/١٩٠٩م" (رسالة دكتوراه منشورة، مكة، مطابع جامعة أم القرى: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ص٣٩١ ـ ٤٥٩.

(1) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٦٥.

## *الأحوال الدينية في مكة

الحديث عن الأحوال الدينية بمكة يشمل التطرق إلى **المناصب الدينية، كالقضاء، والإفتاء، إضافة إلى منصب سدانة البيت الحرام،** كما أن ظهور **الدعوة السلفية** التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أدى إلى نشاط في الأوساط الدينية يستدعي دراسته، والوقوف على آثاره على الحياة العلمية بمكة.

**ـ القضاء:**

هو الفصل في المنازعات، وهو أمر دل على مشروعيته الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾[1]، وقال رسول ا ﷺ: ((إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ، فله أجر))[2]، وقد أجمع المسلمون على مشروعية نصب القضاء والحكم بين الناس، وقد تولاه النبي ﷺ والأنبياء قبله، فكانوا يحكمون لأممهم بالعدل.

وكان **القضاء بمكة** له المنزلة الكبرى لدى الدولة العثمانية، ولا أدل من ذلك من أنه لا يتم تعيين قاضي اسطانبول إلا بشرط أن يكون قد تولى منصب القضاء في أحد الحرمين الشريفين[3]، ولعل سبب ذلك هو الرغبة في أن يلم القاضي بأوضاع العالم الإسلامي إضافة إلى العلوم الشرعية، فإن الحرم ملتقى أبناء المسلمين في العالم أجمع، والقاضي بالحرمين تعرض عليه قضايا أبناء الجاليات والحجاج من شتى أصقاع المعمورة، فتعرفه على عادات وتقاليد الناس، ومخالطته للأجناس المختلفة، تؤهله إلى معرفة القضايا على وجهها وا  أعلم.

---

(1) سورة المائدة، آية:٤٨.

(2) البخاري: الجامع الصحيح، ص١٥٣٩، ح ٧٣٥٢، مسلم : الجامع الصحيح، ج٣، ص٣٤٣، ح ١٧١٦.

(3) إسماعيل حقي أوزون: أمراء مكة في العصر العثماني، ص٨٩؛ عبد اللطيف بن دهيش: الحياة الاجتماعية في مكة المكرمة في مطلع القرن "٢٠"، بحث ضمن كتاب الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، (منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية، زغوان، ١٩٨٨م)، ص١٩٧.

وكان يعمل تحت إمرة قاضي مكة قضاة أربعة يمثلون المذاهب الأربعة في كل محكمة، وأطلق على المحكمة الحنفية (**المحكمة الكبرى**) حيث تودع فيها سجلات المحاكم الثلاث مرة كل ثلاثة شهور[١].

ولأجل خطورة منصب القضاء بمكة استأثرت الدولة العثمانية بتعيين القاضي من أحد علماء الأتراك، وكانت أحكامه مرتبطة **بمشيخة الإسلام**[٢] في اسطانبول، وعليه فإن القاضي التركي بمكة كان ممثلاً لساطة الأتراك الدينية، ومنفذاً للأحكام الشرعية وفق المذهب الحنفي، علاوة على أنه يقوم بترأس الاحتفالات التي يتم فيها تنصيب الأمراء ويعقد المراسم الخاصة بذلك، كما كان هو المسؤول عن تقديم الخلع السلطانية للأمير[٣].

واستمر تعين القضاة الحنفية في مكة من قبل الدولة العثمانية إلا في بعض الحالات الخاصة التي تم فيها تعيين قاضٍ من مكة كحالة وفاة القاضي العثماني مثلاً كما كان في عام (١١٣٦هـ/١٧٢٣م)، حين تولى قضاء مكة شيخ الإسلام الشيخ عبد القادر المفتي، حيث قلده الشريف عبد ا بن سعيد المنصب، لوفاة القاضي التركي بالشام وهو في طريق قدومه إلى مكة لتولي منصبه[٤].

**- الإفتاء:**

لم تستحوذ الدولة العثمانية على وظيفة (الفتوى) مثلما كان الأمر في القضاء، بل تركت أمور الفتوى في مكة في أيدي بيوت العلم من المكيين، وكانت الفتوى في المذاهب الإسلامية الأربعة، فلكل مذهب منها مفتٍ ويتولى رئاستهم مفتي الحنفية،

---

(١) فائز بن موسى الحربي: قضاة المدينة المنورة، (الرياض، من أبحاث مجلة الدارة: ١٤٢٢هـ) ص٧٦ - ٧٧.

(٢) تأسست مشيخةالإسلام في عهد السلطان العثماني مراد الثاني، وأول من حمل لقب شيخ الإسلام هو الشيخ شمس الدين الفناري عام ٨٧٨هـ/١٤٢٥م، وتهتم المشيخة بالأمور الدينية للمسلمين والعلوم الشرعية ، انظر: أحمد صدقي شقيرات: تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني "٨٢٨هـ - ١٣٤١هـ/ ١٤٢٥ - ١٩٢٢م" (ط١، الأردن: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص٨٩..

(٣) السباعي : تاريخ مكة، ص٥٩١.

(٤) إسماعيل حقي أوزن: أمراء مكة المكرمة، ص٨٩ ؛ هاملتون جب: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى، (القاهرة، الهيئة العامة للكتاب: ١٩٩٠م)، ص٢٠٠.

وإن كان الإفتاء على المذهب الحنبلي نادراً، وقد شغل المفتون وظائفهم على الأغاب مدى الحياة، كما كان المفتون الحنفية كالقضاة لهم الزعامة والمكانة الاجتماعية على من سواهم من أرباب المذاهب الأخرى(١).

**ـ السدانة:**

سدانة الكعبة هي: خدمة الكعبة، **والسدنة** هم: خدام الكعبة الذين يقومون بفتحها وإغلاقها ، ويعرفون أيضاً **بالحجبة** لأنهم يحجبون الكعبة عن العامة(٢).

وكانت السدانة بادئ ذي بدء بيد إسماعيل عليه السلام، ثم انتقلت إلى ابنه من بعده، وظلت في ذريته ثم انتقلت إلى جرهم ثم خزاعة، ثم قريش، واستقرت في واحد منهم وهو **عثمان بن طلحة بن أبي طلحة**(٣)، وعندما فتح النبي ﷺ مكة عام الفتح في السنة الثامنة للهجرة، دعا عثمان بن أبي طلحة وتلا قوله تعالى: {إن ا يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها}(٤)، ثم دفع إلى عثمان مفتاح باب الكعبة وقال له: ((هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم وفاء وبر))(٥)، وقد توفي عثمان عقيماً فورث المفتاح **شيبة بن عثمان بن أبي طلحة**(٦)، وتوارثه أبناؤه جيل بعد جيل، وعرفوا في التاريخ بآل الشيبي.

---

(١) عبد الوهاب إبراهيم أبو سلميان: الحرم الشريف الجامع والجامعة،(مكة، نادي مكة الثقافي الأدبي )، ص٣٦؛ هاملتون جب: المجتمع الإسلامي والغرب، ج١، ص٢٥٩، ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(٢) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط ، (مؤسسة الرسالة: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، ج٤، ص٢٣٥.

(٣) هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أسلم يوم الحديبية وهاجر مع خالد بن الوليد وشهد فتح مكة مع النبي صلى ا عليه وسلم ، وكان ثالث ثلاثة دخلوا الكعبة مع النبي صلى ا عليه وسلم ، انظر : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ج٣، ص ١٠.

(٤) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٥) عبد الملك بن هشام المعافري: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرين، (القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: ١٣٥٥هـ)، ج٣، ص٤١٣.

(٦) هو عبد ا بن عبد العزى الحجبي المكي ، كان مشاركاً لابن عمه عثمان في سدانة بيت ا تعالى أسلم قبل حنين ، توفي عام (٥٩هـ) بمكة. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص١٢.

وممن تولى سدانة البيت من أسرة آل **الشيبي في فترة البحث الشيخين الأخوين الشيخ محمد و الشيخ عبد القادر أبناء الشيخ عبد المعطي الشيبي المكي القرشي، فأما الشيخ عبد القادر** فقد تولى منصب السدانه مدة ٤٤ سنة من عام (١١٢٤هـ/١٧١٢م) حتى وفاته عام (١١٦٨هـ/١٧٥٤م)، ووصف بأنه شيخٌ جليلٌ عظيم القدر صالح كريم حسن الخلق والسيرة[١].

**وأما الشيخ محمد فقد ظهر من سلالته ابنه الشيخ محمد زين العابدين بن محمد بن عبد المعطي الشيبي،** تولى السدانة ٤٣ سنة، وتوفي بمكة عام (١٢٥٣هـ/١٨٣٧م)[٢]، وتولى رئاسة السدانة من بعده ابنه الأكبر **الشيخ عبد القادر بن محمد الشيبي** عام (١٢٦٠هـ/١٨٤٤م) فقام بعده **أخوه سليمان** ثم توفي عام (١٢٦١هـ/١٨٤٥م)[٣]، **فتولى أخوه جعفر** بن محمد زين العابدين السدانة إلى وفاته عام (١٢٦٢هـ/١٨٤٥م)، ثم آلت لأخيه **أحمد بن محمد زين العابدين** واستمرت فترة سدانته ١٢ سنة حتى وفاته عام (١٢٧٤هـ/١٨٥٧م)، وقد بنيت في عهده دار خاصةٌ لسكنى رئيس السدنة أطلق عليها "دار المفتاح"[٤]، وقام بالسدانة بعده أخوه **عبد ا بن محمد زين العابدين الشيبي،** توفي عام (١٢٩٦هـ/١٨٧٨م)[٥]، فتولى السدانة ابن أخيه **الشيخ عمر بن جعفر بن محمد،** وقد كان أكبر آل الشيبي سناً، وبقي فيها ثمان سنوات إلى أن توفاه ا عام (١٣٠٤هـ/١٨٨٦م)[٦]، فتولاها **عبد الرحمن بن عبد ا بن محمد بن زين**

---

(١) أحمد القطان: تنزيل الرحمات على من مات، (مخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم : ٣/ تراجم)، ج٢، ق٢٧٩.

(٢) حسين عبد ا باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة، (الرياض، ١٤١٩هـ) ص٣٠٤؛ أحمد بن إبراهيم الغزاوي: شذرات الذهب، (ط١، جدة، اصدار مجلة المنهل: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٤١٩.

(٣) باسلامة: تاريخ الكعبة ، ص٣٠٥؛ الغزاوي: شذرات الذهب، ص٤١٩.

(٤) عبد الستار بن عبد الوهاب الدهلوي: فيض الملك المتعالى بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالى ، (مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم : ١١٠١)، ج١، ق٢٨؛ الزركلي: الأعلام، ، ج٢، ص٤٨.

(٥) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام، (ط١، القاهرة، دار ممفيس للطباعة: ١٣٧٩هـ)، ص٢٨٥.

(٦) باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة، ص٣٠٦؛ الغزاوي: شذرات الذهب، ص٤٢٠.

**العابدين الشيبي** ومكث فيها إلى عام (١٣١١هـ /١٨٩٣م)، ثم من بعده ابن عمه **الشيخ محمد صالح بن أحمد بن محمد الشيبي** استمر في السدانة ٢٤ سنة حتى وفاته عام (١٣٣٥هـ /١٩١٦م)[١]، **وقد تولى بعده الشيخ عبد القادر بن علي بن محمد الشيبي** عام (١٣٣٥هـ/١٩١٦م)، مكث في سدانة الكعبة ١٦ عاماً حتى وفاته عام (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)، كان شهماً هماماً سموحاً، له إقبال على الناس محباً للخيرات[٢].

**- الدعوة السلفية وأثرها على الحياة العلمية بمكة :**

كان للدعوة الإصلاحية أثر في قيام النهضة العلمية في الحجاز عن طريق إثراء الفكر الحجازي بتنقية العقيدة مما شابها من بدع[٣] .

ولما بسط السعوديون نفوذهم على مكة عام (١٢٢٠هـ/١٨٠٥م) حتى عام (١٢٢٨هـ/١٨١٣م) قام رجال حركة الإصلاح بتوطين أركان الدعوة في الحرمين، ففي بداية الحكم السعودي أرسلت الحكومة العثمانية عام (١٢٢١هـ/١٨٠٦م) قاضيين مندوبين من تركيا للقضاء في مكة على عادة الأتراك في السابق، فلم يقبلهم السعوديون، وولوا أمر القضاء في مكة عالم مكة ومفتيها الشيخ عبد الحفيظ العجيمي[٤]، وقد كان الشيخ عبد الحفيظ **مفتياً** لمكة، فلما دخل السعوديون مكة قلدوه **القضاء** إضافة إلى الإفتاء والخطابة والإمامة والتدريس بالمسجد الحرام.

وتقليد السعوديين الشيخ عبد الحفيظ العجيمي القضاء له دلالات متعددة منها **حنكة السعوديين** وملاطفتهم أهل الحرمين، فكما **أقروا الشريف غالباً** على الأمارة تابعاً لهم، كذلك اختاروا من علماء مكة من يتولى القضاء، **ولم يفرضوا قاضياً نجدياً** كما له دلالة على مدى علم الشيخ عبد الحفيظ العجيمي وسلامة معتقده.

---

(١) عبد ا بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المعلمي: أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري (مكة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي)، ج١، ص٥٩١.

(٢) باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة، ص٣٠٧.

(٣) الفوزان: إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة، (الرياض، مطابع الفرزدق: ١٩٨١م)، ص٢٠٠.

(٤) السباعي: تاريخ مكة،ص ٥٩١.

كما نبه السعوديون على أمراء المحامل ألا يعودوا بعد عامهم، لما يصحبونه من دفوف وغيرها من المنكرات والبدع، ولذلك لم تخرج المحامل المصرية و الشامية ومن البلاد الخاضعة لتركيا طيلة حكم السعوديين، ورغم أن منع السعوديين إنما كان للشكل السياسي الذي كان يأتي به أمراء المحامل، وما يصحبونه من منكرات، لم يكن منعاً للحجاج، إلا أن الدولة العثمانية أرادت أن تؤلب الناس على السعوديين بحجة أنهم منعوا الحجيج تمهيداً للحركة السياسية والحربية التي كانت تدبرها مع والي مصر محمد علي باشا في إجلائهم من الحجاز[١].

**ومن أهم الإصلاحات الدينية** التي قام بها السعوديون بمكة: **هدم القباب** على القبور، وأبطلوا **بدعة تعدد الأئمة** في المسجد الحرام، فكانت العادة أن يصلي بالجماعة إمام من الأئمة من المذاهب الأربعة ثم يتلوه غيره، فأبطلت تلك العادة، وأصبح يصلي بالمسجد إمام واحد[٢]، كما أنهم حاربوا البدع والخرافات كبدعة الاحتفال بالموالد وغيرها[٣].

ولقد امتد تأثير **الدعوة السلفية** التي حملها السعوديون إلى البلد الحرام إلى شتى بقاع العالم الإسلامي، فعلى سبيل المثال أعجب **السيد أحمد الهندي** بالدعوة السلفية عندما حج عام (١٢٨٨هـ/١٨٢٢م) أي بعد نحو عشرة سنوات من خروج السعوديين من الحجاز، فعندما عاد إلى البنجاب أقام بها شبه دولة حارب من خلالها البدع والخرافات بشدة، ولقي الإنجليز نتيجة لهذه الدعوة كثيراً من المتاعب[٤].

---

(١) سنان أوغلو: نجد والحجاز في الوثائق العثمانية، ص١١٣ ـ ١١٤؛ علي بن بخيت الزهراني: الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة : ١٤١٤هـ)، ج١، ص١١٩ ـ ١٢٠.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٤٩٨.

(٣) محمد السلمان: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي (الرياض، وكالة الفرقان: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٥٥، ٥٦.

(٤) نصر الدين عبد الحميد نصر: مصر وحركة الجامعة الإسلامية من عام ١٨٨٢م إلى عام ١٩١٤م، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٨٤م)، ص١٠٦، وقد ذكر ثلة من المفكرين والمصلحين المتأثرين بهذه الدعوة كالشوكاني في اليمن، والأيوبي في بغداد والقاسمي في سورياوالتونسي بتونس وصديق بن حسن خان في بهوبال بالهند ، والأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا.

## * الأحوال الاقتصادية في مكة

دعوة نبي ا إبراهيم عليه الصلاة والسلام باقية على مر الأيام ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[2].

فدعا **الخليل عليه السلام** لأمن أهل الحرم، ورزق أهله من الثمرات، فاستجاب ا دعوة إبراهيم، وأغدق ا على أهل الحرم من الثمرات فأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

فمكة من أكثر بلدان العالم أمناً ورزقاً وخيراً وبركة، وقد لمس ذلك كل من سكنها ففي مكة: (لا أحد يعوزه خبز يومه ولا أحد يخشى الأعداء)[3].

عاشت مكة تحت ظل الحكم العثماني أوقات شهدت خلالها فترات من الرخاء الاقتصادي والانتعاش التجاري قابلتها فترات ركود نسبي وقحط، وكان لكليهما أسباب وعوامل وظروف شتى، حاولت جاهدة أن أجمعها من خلال النصوص التي وقفت عليها.

**فمن عوامل الازدهار:**

ـ **اهتمام السلاطين العثمانيين** بمكة من حيث كونها العاصمة الدينية للعالم الإسلامي، وأنهم يستمدون شرعية حكمهم بوصفهم حكاماً للمسلمين من خلال بسط نفوذهم على بلاد الحرمين الشريفين ، فنراهم يوثقون علاقات الصداقة والمودة بينهم

---

(1) سورة إبراهيم، آية: ٣٧.

(2) سورة البقرة، آية: ١٢٦.

(3) جون لويس بوركهارت: رحلات في شبة جزيرة العرب، ترجمة عبد العزيز بن صالح الهلابي وعبد الرحمن عبد ا الشيخ، (ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص١٨٧.

وبين أهل مكة من خلال إرسال **الصرة**[1] والهدايا وتوزيع الأموال والجرايات على سكان مكة من الحكام والعلماء والفقراء وغيرهم، **والاهتمام** بالمشاريع العمرانية بها خاصة ما يتعلق بالمسجد الحرام[2]،كما كانت الدولة العثمانية تنفق سنوياً على الحرم المكي وموظفيه وعامة ساكنيه مبالغ مالية وعينية طائلة[3]، ومما لا شك فيه أن ذلك له أثره على الانتعاش الاقتصادي بمكة، يقول بوركهارت عن ذلك: (إن الثروات تنساب إلى مكة سنويا من التجارة والصرة والأرباح المحصلة من الحجاج كبيرة جداً...)[4].

ـ **إعفاء ولاية الحجاز** بما فيها مكة من قبل الدولة العثمانية **من الضرائب** لمكانتها الدينية في العالم الإسلامي[5]، مما كان له الأثر في إيجاد سوق تجارية مفتوحة (**بغير قيود**) أي بلا جمارك ولا أنظمة مقيدة لحركة التجارة، ولا سيما في أيام منى، فمن المعلوم أن **السوق المفتوحة** تشجع على التجارة وتزيد في الانتعاش الاقتصادي على خلاف النظم الجمركية التي تؤدي إلى رفع أسعار السلع وتعقيدات في جلبها وتصريفها ونحو ذلك.

---

(١) كانت الدولة العثمانية ترسل سنويا مع قافلة الحج المصري مبلغاً كبيراً من المال **يسمى الصرة**، ويشرف عليها أمير المحمل ترافقه قوة حربية لحمايتها، وتوزع على فئات معينة من سكان الحرمين الشريفين . انظر: فائق الصواف: العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز، ص٤٥؛ أوزون: أمراء مكة، ص٦٢.

(٢) هريدي: شئون الحرمين، ص٢٩؛ ابن دهيش: الحياة الاجتماعية في مكة ، ص ١٨٩.

(٣) فرض السلطان العثماني سليم الأول أثناء إقامته بالقاهرة عام (٩٢٣هـ/١٥١٧م) ضرائب على جميع الولايات التابعة للدولة العثمانية بما فيها ضرائب الخراج، أما الحجاز فاكتفت الدولة بضريبة العشر، وهي ما يؤخذ من الأرض قليلة الغلال والأقرب إلى البور، ولما كانت الحجاز معظم أراضيها قفارا ، فكثيراً ما كانت الدولة **توزع العشر على المستحقين فيه** . انظر: أيوب صبري: مرآة جزيرة العرب، ترجمة : أحمد فؤاد متولي، أحمد المرسي الصفاقصي، (الرياض، دار الرياض للنشر والتوزيع: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ج١، ص١٨؛ ضياء قازيجي: خدمات الدولة العثمانية للحرمين الشريفين، (بحث ضمن كتاب الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني،جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العربية، زغوان، ١٩٨٦م)، ص٥٨٥؛ محمد مراد: المرتكزات البنيوية للمجتمع العربي في ظل السلطنة العثمانية، (مجلة تاريخ العرب والعالم، س١٩، ع١٧، رمضان شوال ١٤١٩/ يناير ـ فبراير ١٩٩٩م)، ص٧٦.

(٤) بوركهارت: رحلات في شبة جزيرة العرب، ص١٨٢.

(٥) أيوب صبري: مرآة جزيرة العرب، ج١، ص١٨ ـ ١٩.

ـ **تحسين الصورة السياسية** للحكومة العثمانية في إدارتها للحجاز ورعايتها للبلاد الحرام، فعملت على تنظيم الأمور المالية لمكة؛ فكان يعرض على السلطان دفاتر الحرمين الشريفين وخزينة الأوقاف من قبل رئيس الكتاب للنظر فيما تحويه من المصاريف والموارد ، وحين يحدث عجز في ميزانية الحجاز تقوم الدولة بتعويض ذلك من خزانتها العامة باسطانبول[1]، وبالتالي كفلت الدولة العثمانية لمكة مستوى اقتصادياً لا ينخفض عن مستواه، وهذا بدوره شجع أهل مكة على المخاطرة في التجارة مع أمن نسبي في توفير مقومات العيش.

ـ **رحلة الحج** فريضة وعبادة قبل أن تكون تجارة، إلا أن ا سبحانه وتعالى **أباح فيها التجارة**، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾[3]، وقد كان هذا **الإذن الإلهي** دافعاً لرواج التجارة في أيام الحج، بل إن الكثير من الحجاج ممن تقصر عليهم نفقة الحج يحتاج إلى إكمال النفقة عن طريق التجارة، وبالتالي لم تقتصر الحركة التجارية على التجار دون غيرهم، بل اتسعت لتشمل آحاد الناس، وإن لم يكن بعضهم يتاجر قبل ذلك، فمنهم من يشتري البضائع المكية ليبيعها في بلاده لندرتها هناك وارتفاع أسعارها، ومنهم من يجاب معه بضاعته ليبيعها في مكة وبأسعار معقولة تغطي

---

(1) دارة الملك عبد العزيز وثائق تقارير تحت رقم : ١/ ٢ـ ٢٠٩، ٢/٣م ـ ٦٣، ٢/٣ ـ م٣٢؛ وانظر: محمد عبد ا آل زلفة: ميزانية ولايتي الحجاز واليمن لعام "١٢٨٣هـ،١٨٦٦م" ، بحث ضمن كتاب الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، جمع وتقديم : عبد الجليل التميمي، ( زغوان ، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية: ١٩٨٦م) ، ص٣٤١ـ ٣٤٢.

(2) سورة البقرة، الآية: ١٩٨.

(3) سورة الحج، الآية : ٢٨.

تكاليف حجه وزيادة، ومنهم من يشتري الهدايا وما شاكلها لتكون ذكرى من أطهر البقاع تبقى في سويداء القلوب(١).

ـ **موقع مكة الاستراتيجي،** حيث تلتقي فيها طرق القوافل التي تنقل التجارة من الشمال إلى الجنوب والعكس، إضافة إلى قوافل الحجاج الذين يفدون إليها من كل فج لأداء فريضة الحج، وترتبط هذه الطرق بقصبة تجارية متميزة وهي ميناء جدة الذي يربط تجارة الشرق بالغرب على مر التاريخ(٢).

وهذا الموقع جعل مكة سوقاً للأنواع المختلفة من البضائع التجارية الشرقية والغربية ولم يكن ذلك مقتصراً على أيام الحج بل كان مستمراً في كل السنة، وإن كان ظهوره في الحج إجمالاً بصورة أكبر.

ـ وكان من نتيجة الازدهار التجاري ظهور **الأسر التجارية** التي ورثت مهنة التجارة أباً عن جد، فقد كان التاجر يدرب أحد أبنائه أو أكثر ليخلفه في المهنة، لدرجة أنه وجد من كان يزوج ولده في سن صغيرة قد تبلغ الثالثة عشر ليضمن بقاءه في أعمال التجارة ويعرفه سر المهنة منذ نعومة أظفاره(٣).

وفي اعتقادنا أن ذلك أدى إلى انتقال الخبرات التجارية وتوارثها عبر الأجيال وإلى زيادة رأس المال، والرفاهية التي يعيش فيها المكيون والتي تجلت ذلك في ملبسهم ومطعمهم ومسكنهم، وإن حجم هذا التعامل التجاري الكبير، وهذه العوامل كانت كفيلة بالانتعاش الاقتصادي على مر الأيام.

ـ التجارة **عرض وطلب** والتجار يحرصون على **تزيين العرض** حتى يروج ويبتغون مواطن الطلب حتى تنفق السلعة، أما في مكة **فالتاجر في غنى عن ذلك**

---

(١) لقد قدر عبد العزيز دولتشين عائدات المكيين من قبل الحجاج بنحو ٨،٥ مليون روبل سنوياً انظر: يفيم ريزفان: الحج قبل مئة سنة، "الصراع الدولي على الجزيرة العربية والعالم الإسلامي ـ ١٨٩٨ ـ ١٨٩٩م" الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز دولتشين على مكة ( ط٢، بيروت، دار التقريب بن المذاهب الإسلامية: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص١٥٠.

(٢) ابن دهيش: الحياة الاجتماعية في مكة، ص١٨٩.

(٣) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص٢٢٩،٢٣٠؛ ضيف ا بن يحيى الزهراني وعادل محمد نور غباشي: تاريخ مكة المكرمة التجاري، (ط١، مكة، الغرفة التجارية والصناعية : ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ص٤٥.

خاصة في مواسم الحج والعمرة، ففي العادة أن أي معروض بمكة يمكن ترويجه كما أن الأعداد الكبيرة الواردة إلى مكة من كل حدب وصوب والمختلفين في الأجناس والطباع وعلى مدار العام من معتمرين ثم حجاج، يجعل من مكة سوق دائمة رائجة السلعة، مهما كان حال المعروض في البسط والأسواق العشوائية لأن الكثير منها إنما هو **سوق مؤقتة** مضمونة الرواج آمنة الكساد.

ـ **افتتاح قناة السويس** عام (١٢٨٦هـ/١٨٦٩م)، فقد أحدث هذا المشروع ثورة في مجال التجارية العالمية، بإقامة محطات تجارية جديدة وإنشاء شركات ملاحية وكثرة السفن التجارية في البحر الأحمر، فأثر ذلك على تجارة مكة، من حيث سرعة وصول البضائع القادمة إليها من الشمال[١].

ـ أسهم **خط سكة حديد الحجاز** والذي افتتح عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) في المدينة المنورة في ازدهار النشاط التجاري والاقتصادي في كافة ولاية الحجاز، والولايات العثمانية الأخرى، وقد استفادت مكة كثيراً من هذا الخط، إذا أصبحت البضائع تصلها أسرع من ذي قبل، وأصبح بمقدور الحجاج القادمين عبر السكة الحديد أن يحملوا معهم بقدر ما يستطيعون من بضائع إلى مدن الحجاز ويبتاعوا منها)[٢].

**مظاهر التقدم الاقتصادي بمكة:**

إن للتقدم الاقتصادي مظاهره المختلفة في كل بلد من اشتغال أهله بالحرف المختلفة وقيامهم بالوظائف الاقتصادية المتنوعة، ومكة وإن كانت بلداً تجارياً في المقام الأول، إلا أن هذا لم يمنع وجود مظاهر أخرى من زراعة ورعي وصناعات خفيفة، وفيما يلي بيان لذلك:

---

(١) نبيل رضوان : الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية ص٦٤ ـ ٧١.

(٢) اعتبر هذا المشروع من أهم المشاريع التي قامت بها الدولة العثمانية في إقليم الحجاز، وقد بدأ إنشاؤه من دمشق عام (١٣١٩هـ /١٩٠٠م) برعاية السلطان عبد الحميد الثاني، وانتهى منه في المدينة عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)، ولمعرفة المزيد من المعلومات انظر: محمد سيد الدقن : سكة حديد الحجاز الحميدية ـ دراسة وثائقية ( ط١، القاهرة، مطبعة الجبلاوي: ١٩٨٥م)، ص٢٦٧ ـ ٢٧٧.

**الصناعة والحرف**

وجد في المجتمع المكي بعض أنواع الصناعات، إلا أنها كانت في الجملة صناعات خفيفة مرتبطة بتجارة الحج، أو مرتبطة بمعايش الناس وحركة البناء، فيصف محمد صادق في رحلته إلى مكة عام (١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م) حرف السكان بقوله : (وأغلب سكانها ما بين مطوف وسقاء وبناء ونجار)[١]، ويضيف البتنوني في رحلته عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) أن الصناعة بمكة: (فيها غير مهمة، وهي لا تخرج عن **صياغة** بعض قطع ذهبية أو فضية، وخصوصاً عمل الدبل **والحدادة** عندهم بسيطة جداً، ولكنها دقيقة في عمل الأسلحة، وفيها من المصانع مصنع **لعمل الدوارق** والقلل)[٢].

فمن **الصناعات التقليدية** التي كانت قائمة بمكة، والتي لا غنى عنها في الحياة اليومية: **إنتاج السلع** التموينية والمستلزمات الغذائية التي تقوم على الإنتاج الزراعي والحيواني كعصر الزيوت وطحن الحبوب وتجفيف التمور والأسماك[٣].

كما وجد بمكة صناعة **السبح** وخرطها وتنسيقها، وهي تصنع من مختلف الخامات من الخرز والأخشاب وغيرهما، وهي صناعة تعد غالباً لموسم الحج، إذ ليس لها رواج كبير في غيره، وكانوا يصنعون **الفوانيس والمسارج والأباريق** وأواني المطبخ، والمشربيات والأسقف الخشبية بمختلف أحجامها وأشكالها الفنية مع الإتقان والإبداع والالتزام بالمنهج الإسلامي في الزخرفة والنقش[٤].

كذلك وجدت مصانع للزجاج، ولعل أسراً بأكملها عملت في هذه المهنة منها **أسرة القزاز**، حيث أقامت مصنعاً لصنع الزجاج بمنطقة القرارة، وكان ينتج ما

---

(١) محمد صادق: رحلة كوكب الحج ، ص٢٠١.

(٢) االبتنوني: الرحلة الحجازية، ص ٦٠ـ ٦١.

(٣) ابتسام محمد صالح كشميري: مكة المكرمة من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي "٩٢٣ـ ١٠٠٠هـ/ ١٥١٧ـ ١٥٩١م" (رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ، جامع أم القرى ، مكة: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ، ص ٣٠٠.

(٤) ابن دهيش: الحياة الاجتماعية بمكة، ص١٨٩.

تحتاجه مكة من فناجين القناديل ذات الفتايل، والتي توقد بالزيت ويؤمن لوازم الزينات والحفلات والزفات إضافة إلى الأكواب وغيرها[١].

كذلك عرفت مكة **صناعة الفخار**، ووجدت المصانع الخاصة بهذه الحرفة بمنطقة المعابدة، حيث يصنع هناك **الأزيار** لشرب الماء وغير ذلك من أدوات فخارية، وكانت دكاكين باعة الفخار في سوق الليل. كما وجد من تخصص في **صناعة الخصف** من سعف النخيل ويسمون بـ"**الخصفية**"، ومنهم من تخصص في **إصلاح الخيام** وخياطتها ويسمون بـ"**المخيمية والنحاسين،** وتمركزت دكاكينهم في شارع المسعى حيث يصنعون الأدوات والأواني النحاسية المختلفة**،** ومارس المكيون صناعة **براذع الجمال والحمير،** وحشو وسائد النوم بالقطن وصناعة الأحذية[٢].

ونلحظ أن هذه الحرف كلها من المهن التي **يحتاجها أهل مكة** في حياتهم وخدمة الحجاج في أداء المناسك، فهي **صناعات محلية** لا يتوقع أن يتم **تصدير** شئ منها خارج البلاد إلا ما يحمله الحجاج من هدايا معهم وكان مرتبطاً بالطابع المكي.

ومن **المهنيين** أيضاً السماكرة الخياطون والخضرية والفرانة والفكهانية وباعة الحبوب والحدادون والبناؤون والصاغة والدباغون[٣] .

ومن المهن التي كان لها رواج أكثر في زمن الحج مهنة "**العطرجية**" وهم باعة العطور، فقد كان بمكة فئة مشتهرة ببيع العطور والطيب على أنواعها كعطر الورد والعود والياسمين وأنواع أخرى من الأخشاب كخشب العود، ومهنة **بيع المجوهرات والأحجار الكريمة** كالماس والزبرجد والياقوت واللؤلؤ وما شابه ذلك.

وهناك من تخصص في **بيع البهارات** كالهيل وجوزة الطيب واللبان اللامي إضافة إلى الحناء والمساويك حيث كان الحجاج يحرصون على شراء مثل ذلك.

---

(١) الغزاوي: شذرات الذهب، ص١٤٣.

(٢) المصدر السابق، ص١٤٣؛ ابن دهيش: الحياة الاجتماعية بمكة، ص١٨٩.

(٣) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص ١١٢، ص١١٦ـ ١١٩، ٢٣٥؛ محمد عمر رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري ( ط١، مكة، منشورات نادي مكة الثقافي:١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٧٣، ص١٤٦ ـ ١٤٧؛ ضيف ا الزهراني وعادل غباشي: تاريخ مكة المكرمة التجاري، ص٦٦.

كما تخصص التجار **بجلب عدد من أنواع البضائع** التي كان السوق المكي بحاجة لها، فمنهم من تخصص بجلب الحبوب والحنطة والأرز والسكر والشاي والسمن وغير ذلك ، ومنهم من تخصص **بجلب الأقمشة** كالبفتة والصوف ونحوهما وكان معظم التجار وكلاء لتجار جدة، إلا النادر منهم، فقد يكون له اتصال مباشر مع أربابه من التجار سواء من الهند أو مصر أو الشام[١].

كما وجدت طائفة **الحلاقين**، وكانوا يشغلون الدكاكين القريبة من المروة، وذلك ليسهل على الحاج التحلل من الإحرام بعد أداء نسكه[٢].

**ولما** كان **التداوي** بين أهالي مكة في هذه الأزمنة **يفتقر إلى النظم الطبية الحديثة**، ويعتمد على العقاقير النباتية، لذا امتهن عدد من المكيين **مهنة بيع العقاقير الطبية النباتية والبهارات**، ولقبوا بالعطارين، وأكثر من مارس هذه المهنة أفراد من أهل الهند، وكأي مهنة في ذلك الزمان كانت تنتقل بالوراثة من الأب لابنه، أو من العم لابن أخيه أو من السيد لغلامه[٣]، بل ربما ورثت **الابنة** المهنة عن أبيها فقد ورثت "جميلة بنت ملا أمان" مهنة الطب عن أبيها، وكانت تداوي مرضاها بالعقاقير النباتية وبعض التراكيب مثل المعاجين والحبوب[٤]، كما كان نفر من البدو يمارسون الطب الشعبي، فكانوا يعالجون الكسور بالتجبير، وبعض الأمراض بالكي.

كما عمل **الصيادلة** بمهنة الطب بجانب العطارين والأطباء الشعبيين، ومارس الصيادلة مهنتهم في عدد من **الصيدليات**، منها صيدلية بالمروة ، وصيدلية في وسط شارع المسعى، وصيدلية أسسها "رمضان أفندي" وهو رجل من مجاوري الهنود، تعلم الصيدلة في استانبول ثم عمل بمكة صيدلياً في **المستشفى العسكري** الذي أقامته الحكومة العثمانية في قلعة جبل الهندي، وقد أسس هذه الصيدلية بعد إحالته على

---

(١) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١١٩؛ محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر، ص١٥٩.

(٢) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١١٢ ـ ١١٣؛ سعد ا بلقاسم: "رحلة ليون روش إلى الحجاز "١٨٤١ ـ ١٨٤٢م" ( الرياض، بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية:١٤٢١هـ)، ج١، ص٢٦٥.

(٣) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ص٤١٤.

(٤) محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٢٢٧.

التقاعد، ثم قام نفر من الأتراك المقيمين بمكة فأسسوا صيدلية بقاعة الشفا سميت "**حجاز أجزخانة سي**"[١].

وظهر بمكة أيضاً: **شيوخ الصنعة،** فقد كان لكل جماعة من هؤلاء المهنيين **رئيس معين** من طرف الإمارة، ويطلقون عليه **شيخاً**، فيقال : شيخ الجزارين، وشيخ الصاغة، وغير ذلك[٢].

**كما أسهم الوافدون إلى مكة في إنعاش الحياة الاقتصادية بها**، فيذكر البتنوني في رحلته أن: (أغلب هؤلاء **الأغراب** يشتغلون بالأمور المالية وخصوصاً التجارية)[٣]، ويقول غيره: (وتجارة هذا البلد كلها أو جلها في يد **الأغراب** خصوصاً الهنود)[٤].

وكان لبعض **الهنود** بيوت تجارية بجدة، ولها فروع بمكة، وكانوا متخصصين فيما يجلب من الهند خاصة في الأغذية والبهارات وبعض الأقمشة وغير ذلك[5]، كما كان نفر من **أهل الشام** يجلبون من بلادهم الأقمشة والملابس المطرزة، والمكسرات كاللوز والفستق والبندق والجوز والخروب، والفواكه الجافة ويبيعونها في مكة[٦]، أما **الحضارمة** فقد تخصصوا في بيع السكر والشاي، وشئ من الحبوب، في حين كان البخارية متخصصين في بيع أدوات الخياطة ولوازمها[٧].

وأسهم أهالي أفريقيا من **الهوسا والفلاتة والبرنو** وغيرهم في الحياة الاقتصادية **بالعمالة** التي لا يقوم الاقتصاد إلا بها، وكان يطلق عليهم "**الفعلة والحمالون**"[٨].

---

(١) السابق، ص٢٢٩.

(٢) محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص١٤٩.

(٣) البتنوني: الرحلة الحجازية، ص ٤١.

(٤) ريزفان: الحج قبل مئة سنة، ص١٥٠.

(٥) بيرم التونسي: صفوة الاعتبار، ص ١٤٤.

(٦) ضيف ا الزهراني وعادل غباشي: تاريخ مكة المكرمة التجاري، ص٤٩.

(٧) محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر، ص ١٦٢، ١٦٣ .

(٨) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص ٢٣٥.

ومما يجدر ذكره أن معظم هذه الحرف كان يتضلع بها الوافدون دون أهل البلاد، ويؤكد ذلك البتنوني بقوله: (وكل ذلك في يد الأجانب أيضاً، أما الأهالي فأغلبهم يعيش من **مهنة التطويف** ولا تروج تجارتهم إلا زمن الحج، وما يأتيهم فيه من رزق يعيشون منه طول عامهم)[1].

ومن **آثار النشاط التجاري المزدهر** بمكة أن أكثر أهلها لجؤوا إلى **استخدام البريد** خاصة التجار والمطوفين لرعاية مصالحهم، والخطاب عبارة عن ورقة مطوية يكتب العنوان الخارجي عليها ويلصق عليها بالصمغ، وهو عبارة عن إناء من النارجيل (جوز الهند) مملوء بالصمغ وقد غمس فيه مسواك، وكان يباع في بعض الدكاكين والبعض الأخر يتطوع بها، بل ومنهم من كان يتطوع بجمع رسائل الناس بنفسه ليسلمها لشيخ الحمارة لينقلها إلى جدة.

وحتى عام (١٢٩٦هـ/١٨٧٨م) لم تكن "**المظروفات**" معروفة بمكة، وإن عرفت فكانت نادرة، فيذكر محمد نصيف أنه وجد بين أوراق جده عمر أفندي نصيف رسالة إليه من أمير مكة الشريف **عبد ا بن محمد بن عون** (ت١٢٩٦هـ/١٨٧٨م)، مطوية ومجعولة في هيئة ظرف والعنوان المكتوب عليها هو: (جدة ـ عمر أفندي نصيف)، فقال لجده: (حتى أمير مكة كان يكتب بلا ظروف مثل الرسائل المتداولة بين أهل الأسواق من التجار الصغار؟، فقال: كانت الظروف عزيزة)[2].

**وكان الورق** المتداول بين الناس من الورق الرخيص، وكان يؤتى به من إيطاليا، أما بالنسبة **للطوابع** فلم تعرف الخطابات المكية سبيلها حتى تم إعلان الدستور العثماني عام (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م)[3].

---

(1) البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٦١.

(2) محمد نصيف: حلقة من تاريخنا المنسي، (مجلة المنهل، مج١٩، ج١، المحرم ١٣٧٨هـ/ أغسطس ١٩٥٨م)، ص١٤١ ـ ١٤٢.

(3) السابق ، ص١٤٢.

**وكان البريد منظماً** نسبياً ما بين مكة وجدة، إلا أنه عندما يأتي موسم الحج ومع الزحام والأعداد الكبيرة من الحجاج تحدث الفوضى، حتى إن البتوني تضرر من تلك الفوضى التي دفعته ليسجل ذلك في رحلته إذ يقول: (أما **البوستة** [يعني البريد] فشئ لا نظير له بالمرة في بوستات العالم، فإن المكاتيب تحضر في زمن الموسم من جدة إلى مكة على الجمال في عدة زكايب)[1] فتلقى في طرقة مكتب البوستة الضيقة، ويأتي المطوفون أو صبيانهم أو الحجاج أنفسهم، فيفرزونها، ويأخذ كل ما يعثر عليه باسمه أو باسم معارفه، وعليه فأغاب الخطابات لا تصل إلى أربابها)[٢].

**الزراعة والرعي:**

على الرغم من قلة موارد المياه في مكة، والطبيعة الجبلية للبلاد، إلا أنه عمل بعض السكان بالزراعة في الأودية المحيطة بمكة، وخاصة مناطق **العابدية والحسينية ووادي فاطمة والشرائع**، وكان من **حاصلاتها** التمور والليمون واللارنج والنبق والعنب والورود والرياحين إضافة إلى الخضروات وبعض الفواكه كالبطيخ[٣]، وتقوم **البادية عادة بالرعي** وتربية الماشية في المناطق المحيطة بمكة كعرفات ووادي حنين ووادي نعمان والجعرانه[٤]، وعادة ما يرفع البدو أسعار بيع المواشي في موسم الحج، وكذلك أسعار إيجارات الجمال والدواب التي تستخدم في نقل الناس أو المواد الغذائية أو المياه إلى مكة[5]. فمما لا شك فيه أن سوق "الحج"

---

([١]) الزكيبة لفظة دارجة تعني كيس القماش الكبير.

([٢]) البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٥٧.

([٣]) رحلات الإمام محمد رشيد رضا، جمع وتحقيق: يوسف أيبش، (ط٢، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: ١٩٧٩م)، ص١١٣؛ ابتسام كشميري: مكة المكرمة من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن العاشر الهجري، ص٣٠٣.

([٤]) محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف: المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية (ط١، جدة، دار الأندلس الخضراء: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، (رحلة جوزيف بتس)، ص٣٣٥؛ بن دهيش: الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ص١٨٩.

([5]) الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة،ج٢، ص١٠٠٧، ١١٧١؛ ريزفان: الحج قبل مئة سنة، ١٥١.

كانت **تحتاج آلاف الرؤوس** في كل عام للهدي والأضاحي وغيرها سوى ما يستخدم من دواب للركوب مما وفر سوقاً مضمونه لأرباب الماشية.

*مهنة الطوافة:*

الطوافة من المظاهر الاقتصادية المهمة في مكة، وهي تدخل تحت أنواع المهن، إلا أنها تعتبر **أهم المهن** في المجتمع المكي على الإطلاق، فهي **تشريف** للمطوف الذي يقوم بخدمة ضيوف الرحمن وتقديم المساعدة لهم والسهر على راحتهم وإرشادهم لأداء نسكهم على أحسن وجه، إضافة إلى ما **تحققه من مردود مالي** كبير من خلال تقديم خدمات الإسكان والنقل وغير ذلك للحجاج[1].

ولذا امتهن الكثير من المكيين بمهنة الطوافة، والتي كانت تحقق لهم أرباحاً كبيرة تغنيهم عن العمل في أي مهنة أخرى طيلة العام، ويقرر هذه الحقيقة البتنوني في حجه عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)، إذ يقول: (أما الأهالي **فأغلبهم** يعيش من مهنة التطويف، ولا تروج تجارتهم إلا زمن الحج وما يأتيهم فيه من رزق يعيشون منه طوال عامهم)[2].

ولقد ظلت مهنة (الطوافة) مقتصرة على الجهود الذاتية، ومدى معرفة المطوف بمسؤولي بعثات الحج، ولم تتدخل الدولة في ذلك بادئ ذي بدء، ولكن نتيجة لكثرة أعداد الحجاج عاماً بعد عام، كانت الحاجة ماسة **لتنظيم مهنة الطوافة**، فصدرت مراسيم عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) تقضي بأن يكون لكل بلد مطوفٌ

---

(1) أشار عدد من المؤرخين إلى أن مهنة الطوافة تعود إلى العصر المملوكي حيث خصص أمير مكة بعض من العلماء وطلبة العلم لتعتني بمن يرد من أعيان الأعاجم وبعض ملوكهم إلى مكة لأداء النسك، وإرشادهم إلى الواجبات الدينية كذلك قام القاضي إبراهيم بن ظهيرة بتطويف السلطان المملوكي قايتباي حين حج عام (٨٨٤هـ/١٤٤٠م)، انظر: محمد طاهر الكردي: التاريخ القويم لمكة وبيت ا الكريم، (ط١، بيروت، دار خضر للطباعة والنشر: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج، ص٢٤٨- ٢٥٠؛ محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص١٦٧.

(2) البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٦١ .

مسؤولٌ عنهم، وقد حددت المراسيم **تعرفة الحجاج** التي يدفعونها للمطوف أثناء فترة إقامتهم في مكة طوال موسم الحج)[١].

وبذلك أصبح بشكلٍ رسمي لكل مطوفٍ **حجاجٌ تابعون له** من منطقة معينة من مناطق العالم الإسلامي، يهتم بشؤونهم على أن يكون عالماً بلغتهم وأحوالهم ليسهل عليه التعامل معهم، وتقديم أفضل الخدمات لهم، ويتقاضى على ذلك أجراً، وقد قام المطوفون بعملهم في خدمة ضيوف الرحمن من لدن قدوم الحجاج حتى سفرهم، فنجد المطوف يهتم بمعرفة البواخر القادمة إلى جدة، فيرسل وكيله ليستقبل الحجاج الذين يتبعونه، بل نراه أحياناً يذهب إلى جدة بنفسه، أو يرسل أحد أولاده ليستقبل الحجاج إن كان بينهم شخصية لها أهميتها في المجتمع[٢].

والكثير من أهالي مكة خاصة من يملكون منازل قرب الحرم المكي الشريف، كانوا يؤجرون منازلهم للمطوفين أو الحجاج في موسم الحج، وبالتالي يجنون مبالغ مالية كبيرة في فترة زمنية قصيرة، فتذكر بعض المصادر أن: (أهل مكة المكرمة يخلون أماكنهم للحجاج، فهذا الموسم بمثابة سوق لهم ، فالمكي يؤجر الغرفة في هذا الموسم لفترة لا تزيد عن ستة عشر أو سبعة عشر يوماً بمبلغ يزيد ثلاث مرات عن إيجارها طوال العام)[٣].

وذكر سنوك ذلك في كتابه إذ يقول: (لقد اعتاد أهالي مكة **تأجير بيوتهم** لحجاج بيت ا ومعتمريه لقاء مبالغ مالية ، فمنهم من يؤجر مسكنه بالكامل ومنهم من يؤجر بعضه، ويسكن هو وأهله في البعض الأخر إذ إن إقامة الحاج في مكة لأداء نسكه ليست بالطويلة، وكان الأهالي يحققون أرباحاً كبيرة من تأجير مساكنهم والتي كانت من أهم مصادر الدخل لهم)[٤].

---

(١) محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص١٩٥؛ السباعي: تاريخ مكة، ج٢، ص٢٠٠ـ ٢٠١.

(٢) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ص٨٧ـ ٩٩، ٢٣٠ـ ٢٣١؛ نواب حاجي أحمد حسين: سفرنامه حجاز ومصر، ص٩٥

(٣) محمد بن حسن: المختار من الرحلات الحجازية، (رحلة جوزيف بتس) ، ص٣٢٩.

(٤) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ص١٠٩ـ ١١١.

**الزمازمة :** هم طائفة تقوم بسقيا الحجاج من ماء زمزم في المسجد الحرام، وتقوم بإيصاله إلى بيوت بعضهم ممن يرغب ذلك، وقد يختار الحجاج إجراء سبيل في المسجد من ماء زمزم فيتولى سقاءه وتهيئة ذلك، وكانوا يستخدمون الأواني من الفخار معدة لذلك تسمى بـ "دوارق"، وهي على شكل مخروطي تثبت على مرافع خاصة بها، وكان لهذه الطائفة رئيس وأنظمة وأعراف خاصة بها[1]، وقد ظلت إلى عهد قريب هذه الدوارق بمكة حتى حل محلها مشروع السقيا الضخم الذي ملأ الحرمين وفق ا كل من أسهم فيه وأجزل له المثوبة.

**النشاط التجاري:**

النشاط التجاري في مكة هو أوسع مظاهر الحياة الاقتصادية، ولا سيما في مواسم الحج والعمرة، حتى إن الاشتغال بالتجارة لم يقتصر فيها على التجار أو أهل البلاد أو المستوطن بالبلاد، بل كان يشتغل بها القادم من الحجاج أيضاً، وإن لم يكن من أهلها، وذلك **للسوق المفتوحة** التي تقبل كل أنواع التعامل مع الأمن من الكساد، ودون قيود الأنظمة التي تفرضها الدول.

يقول السنوسي موضحاً ذلك: (قد رأيت أثناء إقامتي بمكة من رواج سوق التجارة بها ما علمت به حسن حالة التجار في تلك الديار)[2].

وعادة ما كانت تكثر البضائع في مكة خلال موسم الحج والعمرة حتى وصف البعض هذه المواسم النشطة تجارياً بأنها: (تفوق أكبر المعارض التجارية العالمية، لأنها عفوية ولسلعها صفة التجدد والتنوع والدوام والوفرة والندرة والنفاسة)[3].

وكانت البضائع تصل إلى مكة من الهند ومصر واليمن والشام وغيرها من بلدان العالم عن **طريق البواخر التجارية**، التي تحط بمراسيها في **ميناء جدة القصبة**

---

(1) انظر عن هذه الطائفة : فيصل محمد عبيد: زمزم والزمازمة، ( جدة، دار القبلة، ١٤١٥هـ)؛ محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر، ص١٧٤.

(2) محمد بن عثمان السنوسي: الرحلة الحجازية ، تحقيق على السوفي ، (تونس، الشركة التونسية للتوزيع: ١٩٧٨م) ص .

(3) Faroqhi , Suraiya Pilgrims and Sultans, The Hajj under The Ottomans 1683 london , New york .1 .B. Tauris and co. ltd 1990, P. 168. 160.

**التجارية لمكة**، وكلما اقترب موسم الحج اكتظ الميناء بالسفن التجارية المحملة بالبضائع المختلفة لتغطي الطلب على السوق التجارية بمكة، حيث يكثر في هذا الموسم حجم التبادلات التجارية وشراء البضائع من قبل الحجاج، خاصة البضائع التي لا تتوفر في بلادهم[١].

**وأما أشهر البضائع المجلوبة لمكة فهي**: الحبوب كالقمح والشعير والذرة والأرز والفول، وكانت تجلب إليها من سائر مدن الحجاز وكذلك تستورد من الخارج من البصرة والخليج والهند[٢] ومصر التي استطاعت أن تفتح لها أسواقاً بمكة لبضائع ومنتجات أخرى كالزبدة والسمن والجبن و والفواكه البصل والسكر والبقسماط والحمص والأقمشة الكتانية والورق والمرجان والسلاح والذخيرة[٣]

كذلك امتلأت أسواق مكة ببضائع الشام كالفواكه المجففة والمربى وماء الليمون والأسماك المملحة والأقمشة، أما البن فكان يجلب إليها من اليمن، عن طريق المراكب[٤]، كما كان يجلب من ميناء سواكن بالسودان الحصير، والحقائب الجلدية وجلود الحيوانات، والمواشي[٥].

---

(١) محمد بيرم التونسي: صفوة الاعتبار ، ج٥، ص١٩ ـ ٢٠.

(٢) بوركهارت : صفحات من تاريخ مكة، ص٤١؛ ضيف ا الزهراني وعادل غباشي: تاريخ مكة المكرمة التجاري، ص٤٦؛ إبراهيم محمد الصبحي: بلاد الحجاز في القرن السابع عشر ، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا: ١٩٨٩م)، ص١٠١ ـ ١١٢.

(٣) سميرة فهمي: دور عربان الوجه البحري في تاريخ مصر العثمانية (رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة الإسكندرية : ١٩٨٩م)، ص١٥٥، ١٧١ ـ ١٧٣.

(٤) بوركهارت: صفحات من تاريخ مكة، ص٣٢.

(٥) سيد أحمد علي عثمان العقيد: العلاقات السودانية المكية عبر التاريخ، (ط١، القاهرة، الدار العربية للنشر: ٢٠٠٦)، ص١٢٣.

## الأسواق التجارية

الحج فريضة إسلامية يفد لأدائه المسلمون من العالم كله، كما قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (١).

ومن الطبيعي أن يجلب الحجاج معهم تجاراتهم من شتى النواحي مما أقام السوق التجارية الكبرى بمكة، وفي هذا الصدد يقول بيرم:(وفي مكة المشرفة أسواق كثيرة تباع بها سلع سائر الأقطار)(٢).

ولم تتميز أسواق مكة بالتخصص التجاري رغم كثرة التجارات الواردة إليها، وذلك لأن سوق الطلب عام في كل أرجاء مكة، فكان سوق العرض كذلك.

فعلى سبيل المثال نرى أن "**سوق الشامية**" الواقع في شمال الحرم الشريف عند باب السلام تحتوي على عدد من الحوانيت التي تعرض بضاعتها طيلة أيام السنة، وما أن يأتي موسم الحج حتى تزاحمها حوانيت جديدة فتحت في السوق، وقد امتلأت بالبضائع المجلوبة من بلاد الشام وغيرها، فتعرض الفواكه المجففة والأقمشة الحريرية الدمشقية والحلبية، والأقمشة القطنية والكتانية البيضاء المصنوعة في الهند وتركية ونابلس، والمقصبة بالذهب والفضة من حلب، والكوفيات من بغداد ودمشق والحرير من لبنان، والسجاجيد من الأناضول والعباءات من حماة(٣)، إضافة إلى

---

(١) سورة الحج : آية ٢٧، ٢٨.

(٢) محمد بيرم التونسي: صفوة الاعتبار، ص١٤٤

(٣) بوركهارت: رحلات في شبه الجزيرة العربية، ص١١٥- ١١٦، وانظر رحلة محمد بن أبي بكر الحيوني المغربي إلى الحجاز لأداء فريضة الحج عام ١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م ، نقلاً عن عبد الهادي التازي: رحلة الرحلات، مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، (مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة:١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج٢، ص٤٨٦.

السبح والفصوص الفيروز والياقوت والعقيق والمجوهرات والأشياء الثمينة(1)، وقد تميز سوق الشامية بكونه مسقوفاً وذلك لحماية المرتادين من الشمس والأمطار(٢).

و"**السوق الصغير**" وهو تجاه باب إبراهيم وأغلب دكاكينه هي محال لبيع المواد الغذائية كالخبز واللحوم والبقول الجافة والخضر التي يؤتى بها من الأودية المحيطة بمكة، إضافة إلى الأسماك المقلية التي يؤتى بها من جدة (٣).

وفي شرق المسجد الحرام يوجد "**سوق الليل**" وهي سوق كبيرة مختلطة فيها جميع احتياجات الناس، كذلك يباع فيها الأثاث وتجارة الجملة من الفواكه والخضروات (٤).

أما "**سوق المسعي**" فيعتبر من أكبر وأشهر أسواق مكة، يمتد من الصفا إلى المروة(5)، وعادة ما تزدحم بالناس لتوفر متطلبات وحاجات السكان والحجاج في محلاته، إذ يحتوي على الكثير من البضائع المختلفة والمتنوعة، من ملابس وسيوف وساعات ومخطوطات من القرآن الكريم، والعطور والمسابح والطرابيش والخردوات والعمائم والصرافة والأواني النحاسية، إضافة إلى المأكولات ولا سيما المربي والفطائر في الصباح والمشويات بعد الظهر والمهلبية في المساء(٦)، وقد وصف أحد الشعراء سوق المسعى وما يباع فيه من فواكه فقال:

في سوق مكة فواكِه تَشرحُ الخَاطِر    من فَضل ربي تَعالى الُمنعِمِ القَادِر

عنب وتين وخوخ ناعم وشى فاخر    كذَا الرطَب في الَمكاتِلِ دبسه فاطر

---

(١) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين ، ج١، ص١٨١ـ ١٨٤، ٢٠٧.

(٢) عبد ا محمد غازي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلاد ا الحرام، (مخطوط بمكتبة الحرم ، رقم ٢٧٤٣) ، ج١، ق١٩٤.

(٣) البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٦١.

(٤) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١١٨؛ ضيف ا الزهراني وعادل غباشي: تاريخ مكة المكرمة التجاري، ص٥١.

(٥) نواب حاجي أحمد حسين: سفرنامه حجاز ومصر ، ص٩٣؛ محمد علي مغربي: ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، (ط١، جدة، تهامة للنشر: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص٦٠.

(٦) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١١٢ـ ١١٣؛ سعد ا بلقاسم: "رحلة ليون روش إلى الحجاز ١٨٤١ ـ ١٨٤٢م" ( بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية ، الرياض: ١٤٢١هـ)، ج١، ص٢٦٥ .

يحكى المربى وشيقَ القلب للّناظر     وتوتٌ وخِربز وحبحب مستوى ياسر
وكُلّ من مر بالمسعى غدا شاكراً     وبحمدِ ا  في الباطن وفي الظاهِر[1].

و"**سوق سويقة**" وتقع بالقرب من طرف المروة للجانب الشرقي من المسجد الحرام وقد سقف بسقف معقود من الحجر المحمول من الجانبين على العديد من المباني الضخمة التي تستخدم كمخازن لبضائع التجار، وقد احتوى على سلع وبضائع تهم الحاج والمعتمر كالسبح والعطور والبخور والبلسم المكي وعقود المرجان واللؤلؤ الصناعي والعقيق الأحمر [2].

و"**سوق الغزة**"، وكان مخصصاً لبيع المواشي من إبل وأبقار، وهناك أيضاً: "**سوق الحدادين**" و"**سوق المعلاة**" للمواد الغذائية والعطارة والحبوب، و"**سوق المدعى**" ، وفيه يوجد صاغة الذهب والفضة، وأما "**سوق الفشاشية**" فيضم بعضاً من حوانيت صناعة السلاح، وتجارةالجملة من الفواكه والخضروات[3].

**ولم تخل الأسواق** أيضاً من احتياجات البيوت من الأواني والأوعية فوجد في الأسواق المكية جميع أنواع وأدوات المطبخ سواء المحلية الصنع، أو المجلوبة من الخارج، فمن الأدوات المحلية الصنع الرحى المستخدمة لطحن القمح أو ما شابهه، والقدور والصحون والأباريق الفخارية ، أما ما كان مجلوباً من الخارج فقد وجدت الصحون والأباريق المصنوعة من الفضة أو النحاس أو الصيني[4].

---

(1) الطبري: اتحاف فضلاء الزمن، ص٦١٥.

(2) نواب حاجي أحمد حسين: سفرنامه حجاز ومصر ، ص٩٣؛ مغربي: ملامح الحياة الاجتماعية، ص٦٢.

(3) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١١٦ـ ١١٩؛ ضيف ا  الزهراني وعادل غباشي: تاريخ مكة المكرمة التجاري، ص ٥١ ـ ٥٢

(4) أحمد بن إبراهيم الغزاوي: شذرات الذهب (المنهل، مج ٢٤، ج٥، شوال ١٣٨٣هـ/مارس ١٩٦٤م)، ص ٦٠٤؛ عبد القدوس الأنصاري: يوم في متحف مكة المكرمة، (المنهل،مج٢١، ج٥، جمادى الأولى ١٣٨٠هـ/ نوفمبر ١٩٦٠م)،ص١٣٥٥ ـ ١٣٥٦.

أما "**سوق الماشية**" فكان المشتغلون بمهنة الاتجار بالمواشي من أهالي مكة يجلبون مواشيهم من أماكن متفرقة من خارجها، ليبيعونها في أسواقها، ويعتبر "**سوق منى**" من أشهر أسواق المواشي فترة الحج[1].

كما اعتاد أهل مكة على إقامة **سوق في منى** يعتبر من أعظم الأسواق يباع فيها كل ما يحتاجه الحاج أو يفكر فيه بدءاً من الجواهر النفيسة إلى أدنى الخرز[2]، ومنهم من يشتري لحاجته للشراء، ومنهم من يشتري لمجرد الذكرى، ويصف الورثيلاني سوق منى حين شهد حج عام (١١٧٩هـ/١٧٦٦م) فيقول: (ثم عمرت الأسواق، وأخرجت البضائع ذوات الأثمان وصنوف التجارات ، وتزاحم الناس على الشراء)[3].

كما امتازت أسواق مكة **بجمالها ونظافتها** خاصةً سوق سويقة حيث اشتهرت بجمالها ونظافة شوارعها، وقد امتدحها بوركهارت وقال بـ: (أنها تنظف بشكل منتظم وترش بالماء)[4].

ويوضح الرحالة كورتلمون الذي زار مكة عام (١٣١٢هـ/١٨٩٤م) قضية مهمة ، وهي أن مكة تعتبر سوقاً عالمية فترة الحج ، فيقول: (إن سوق مكة المكرمة ذو أهمية كبيرة، فهو أحد أكبر معارض العالم التجارية في موسم الحج السنوي، إذ تعقد هناك صفقات بين جميع دول العالم الإسلامي تتعلق بالتبادل التجاري الذي يقدر بمئات الملايين من الفرنكات)[5].

ويؤكد قوله الرحالة ريزفان الذي زار مكة عام (١٣١٧هـ-١٨٩٩م) ، فهو يرى أن الأسواق في الموسم لا تقتصر على الأسواق المعروفة في سائر السنة، بل يمكن اعتبار **منطقة الحرم كلها سوقاً** واسعة إن لم تكن كامل أزقة وشوارع مكة، إذ

---

(1) محمد بن حسن: المختار من الرحلات الحجازية، (رحلة جوزيف بتس) ، ص٣٤٠.

(2) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص٥٣.

(3) الحسين بن محمد الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، أو "الرحلة الورثيلانية"، (ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ص ٤٠٠.

(4) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١١٤.

(5) جيل جرفيه كورتلمون: رحلتي إلى مكة (ط١، الرياض، مؤسسة التراث: ١٤٢٣هـ)، ص١٠٨.

يقول عن موسم الحج : (تتحول أسواق مكة إلى بازار هائل ينتشر من أبواب الحرم **وفي جميع الشوارع والأزقة)**[1].

ومن الطبيعي أن الأغلبية تحاول أن تستفيد من هذا الموسم التجاري حتى وإن لم يكن لهم باع في التجارة، ولكن يقينهم بالربح وظنهم عدم الخسارة يدفعهم لتحضير أماكن ومواقع لعرض بضائعهم فيها، حتى إن البتوني أشار إلى ذلك أثناء حجه في عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)، إذ لفت انتباهه كثرة الدكاكين، فراح يعدها حتى وصلت إلى **ثلاثة آلاف** دكان[2]، وأن أسواق مكة تشهد في فترة الموسم : (حركة لا تنقطع، يأتي من ورائها ربح عظيم لأهل البلد) [3].

ولقد تميزت **أسواق مكة أيضاً برخص أسعارها خاصة** فيما يتعلق بالمواد الغذائية كاللحوم والخضروات، فيذكر نواب حاجي أحمد حسين في رحلته إلى مكة عام (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) أنه: (في كل موسم تحصيل على الخضروات الطازجة وكأنها قطفت الآن من الأشجار، والتفاح والرمان واللوز والزبيب والشمام والبطيخ وغيرها تحصل عليها بأرخص الأثمان)[4]، كما أكد ذلك رشيد رضا إذ قال أن:(اللحم في مكة كثير ورخيص، وهو جيد والثمرات الخضر فيها كثيرة أيضاً ورخيصة)[5].

وقد يعزى كثرة اللحم إلى كثرة ما يباع فيها من الهدي والأضاحي، وأما الخضروات فلأن هذه من ثمار المزارع المحيطة بمكة.

---

(1) ريزفان: الحج قبل مئة سنة، ص١٤٨. وهذا له امتداد مماثل في هذا العصر ، فنجد الباعة على أبواب المساجد وعند أماكن نزول الحجاج في مختلف شوارع مكة في مواسم الحج.

(2) البتنوني: الرحلة الحجازية ، ص٣٨. بالتأكيد كانت هذه المحال في منطقة الحرم ، لكونها منطقة أهلة بالحجاج، وأن الكثير منها بعد ذهاب الحجاج إلى أوطانهم يغلق أو يزال خاصة لو كان بسطات أو صنادق كما هو الشأن في هذه الأيام.

(3) البتنوني: الرحلة الحجازية ، ص٦١.

(4) نواب حاجي أحمد حسين: سفرنامه حجاز ومصر، ص٩٢.

(5) رحلات الإمام محمد رشيد رضا، ص١٤٣ـ ١٤٤.

وحظيت أسواق مكة بقدر من **التنظيم الإداري** خلال السنة في غير فترة موسم الحج، فكانت السلطات لا تسمح للتجار بإخراج مصاطب محلاتهم التجارية عن سمت أركان الحوانيت، فعلى سبيل المثال قامت حكومة مكة برئاسة الشريف عبد الكريم بن محمد عام (١١٢٠هـ/١٧٠٨) بالعمل على توسعة الشوارع فندبت لجنة لذلك كانت تدور في الأسواق لتشرف على هدم الدكات الخارجة عن حدود الدكاكين والبيوت وإزالة المباسط من الأسواق[١].

**أما في موسم الحج** فيختلف الوضع، حيث تعود البسطات والدكات في الشوارع من جديد، فيشاهد الكثير من مظلات الحصر الخفيفة والمربوطة بالأعواد الطويلة منتشرة بجانب الحوانيت وقد امتلأت بالبضائع والسلع[٢].

كما **نظمت الحسبة** فظهر **المحتسب** الذي يقوم بمراقبة البضائع والأسعار وما يحصل فيها من غش وتزوير[٣]، وقد اتخذ المحتسب أول شارع المدعى **مكاناً لإقامته** لكي يتسنى له الإشراف على الأسواق، وبنيت له غرفة خشبية مرتفعة عرفت بـ"**كشك الحاكم**" ويطلق على **المحتسب** كلمة "**الحاكم**"، ولعل في هذه التسمية دلالة واضحة على الهيمنة التي كان يتمتع بها المحتسب في مكة[٤].

ثم تغير **اسم الحسبة إلى اسم "البلدية" بعد إعلان الدستور عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)** تمشياً مع التطور الذي طرأ على أجهزة الدولة، فحين تولى إمارة مكة الشريف الحسين بن علي، عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) شكلت هيئة الدستور إدارة باسم "**البلدية**" جعلت مقرها مخفر الشرطة الذي أنشأه الوالي عثمان نوري[٥]

---

(١) السباعي: تاريخ مكة، ص٤١١؛ الكردي: التاريخ القويم، ج٥، ص٤١٨.

(٢) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١١٢.

(٣) محمد بيرم التونسي: صفوة الاعتبار، ج٥، ص٢٥.

(٤) بخلاف أهالي المدينة الذين ظلوا يحتفظون للمحتسب باسمه، وإن أطلقوا على مكانه "عشة المحتسب"!، حتى تبدل حالهم عام (١٣٢٨هـ/١٩١٠م) بإنشاء البلدية وتعيين رئيس لها، انظر: على حافظ: فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص٤٦، ٣٩٩.

(٥) هو عثمان نوري باشا، عين قائداً للحجاز عام (١٢٩٧هـ/١٨٨٠)، ثم والياً على الحجاز وشيخاً للحرم في عام (١٢٩٩هـ/١٨٨٢م)، وبقي في المنصب حتى عام (١٣٠٣هـ/١٨٨٦م)، ثم عزل، وفي عام

بالصفا، وقد أسند إلى الشيخ **عبد القادر بن علي بن محمد الشيبي** منصب رئيس البادية، وبذلك يكون هو أول رئيس لها[1].

**العملات والنقود المتداولة في مكة:**

رغم أن ولاية الحجاز لم تسك فيها عملة خاصة بها، إلا أنه وجد بها دار لسك النقود العثمانية، ففي عهد الشريف أحمد بن غالب قام أناس من أهل مكة بتزييف النقود ، فأصدر الشريف أوامره بمصادرة بيوت أولئك المزيفين وإخراجهم من البلد وأصلح آلات السك وأدواته وشدد على القائمين بمراقبة دار السك وتفقد أحوالها[2]، كما زخرت مكة بعدد كبير من أنواع العملات المحلية والأجنبية، فأصبحت سوقاً دولية تستعمل فيها جميع العملات، ولاسيما في أوقات الحج، لأن الحجاج يأتون بنقود بلادهم للتعامل بها فهي تشبه إلى حد كبر البورصة العالمية التي تتضارب فيها جميع العملات[3].

الجنية الذهب العثماني والريال المجيدي نسبة إلى السلطان عبد المجيد، وله أجزاء (نصف الريال وربعه، ثم العملة الصغيرة منه بقيمة قرشين)[4]، والبارة[5]،

---

(١٣١٠هـ-/١٨٩٢م) أعيد تعيينه والياً على الحجاز فاستمر في منصبه حتى عام (١٣١١هـ-/١٨٩٣م)، ثم عزل وعاد إلى اسطانبول وتوفي بها عام (١٣١٦هـ-/١٨٩٨م)، انظر: سالنامه الحجاز: ع٣، س١٣٠٥هـ-، (مطبعة الولاية، مكة المكرمة، ١٣٠٥هـ-)، ص٩٩؛ سهيل صابان: مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني، ص١٣٣.

(١) محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٢٤٢؛ وذكر محمد طاهر الكردي في كتابه التاريخ القويم، ج٥، ص٤٠٨، أن : (بلادية مكة أنشأت عام ١٣٣٢هـ-/١٩١٤م) ، ولعل هذا الفارق الزمني البسيط لا يؤثر في أهمية ذلك الجهاز الكبير.

(٢) ضيف ا الزهراني وعادل غباشي: تاريخ مكة المكرمة التجاري، ص٩٥.

(٣) الكردي: التاريخ القويم، ج٥، ص٤٣٣؛ علي حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية، ص١٢٠.

(٤) لقد كانت العملات التركية بجميع أنواعها من الذهب والفضة والنيكل والنحاس تستخدم في كافة مدن الحجاز فهي تضرب باسم خليفة المسلمين، انظر: المغربي: السابق، ١٦٢؛ الكردي: التاريخ القويم، ج٥، ص٤٣٤.

(٥) البارة: أو النصف فضة بمعنى واحد وهي أصغر عملة فضية في مصر العثمانية وكانت قيمته ٢٥% من القرش، ثم تراجع إلى ٢,٥% ، حتى وصلت عام (١٣٠٢هـ-/١٨٨٤م) إلى أقل من ١,٥% من القرش العثماني ، وكانت هناك عملات منه وهي الأقجة والعثماني، حيث كانت الأقجة تساوي ثلثي البارة، والعثماني يعادل

والقرش[1]، والروبية الهندية[2]، والريال البرم الجاوي[3]، وريال ماريا تريزا الفضي[4]، والريال الشنكو، والريال أبو طيرة، والجنيه الإنجليزي والفرنساوي والروسي، والجنيه المسكوني والجنيه النبتو[5].

ومما لا شك فيه أن التعامل النقدي في تجارة مكة بمختلف العملات المحلية والأجنبية كان له أثر كبير في ازدهارها وربطها بالتجارة العالمية، وصارت مدداً لأسواق **الصرافة**، وهذا بدوره أدى إلى نشاط في حركة البيع والشراء داخل أسواقها الكثيرة والمتنوعة كما أضفى بظلاله على مستوى المعيشة للسكان، فنعموا بالرفاهية والثراء، فهي بلدة طيبة، وربُّها غفور.

**وعلى** الرغم من وجود مقومات التجارة الناجحة في مكة إلا أنها أصيبت بنوع من **التدهور النسبي** في بعض الفترات، ويرجع ذلك إلى عدة **أسباب** منها:

- **وجود الاضطرابات الأمنية**، فقد كان للفتن والقتال بين الأشراف فيما بينهم على الحكم، وكذلك هجمات البدو الأعراب (العربان) على القوافل ونهبهم للبضائع والأموال[6]، دور كبير على حدوث الاضطرابات الكفيلة بمنع وصول السلع إلى مكة، وارتفاع أسعارها إن وصلت.

---

نصف البارة ، انظر: الرشيدي: حسن الصفا والابتهاج، ص١٩؛ خليل ساحلي أوغلو : النقود في البلاد العربية في العهد العثماني، (بحث منشور في مجلة كلية الأداب جامعة عمان ، الأردن)، ص١٦.

(١) القرش: نقد عثماني فضي ، ضرب أول مرة في عهد السلطان مراد الرابع، وكان القرش الواحد يساوي أربعين باره، والريال المجيدي يساوي ٢٠ قرش صاغ أو ٦٠ قرش شرك، كما أن الهلله الواحدة تساوي خمس القرش . أما الليرة فتساوي ١٦٠ قرشاً ، أي خمسة ريالات، سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية: ١٤٢١هـ )، ص ؛ صلاح هريدي: الإدارة في الإسكندرية في العصر العثماني ، (المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع ٦٥، زغوان ،تونس: ١٩٩٢م)، ص٤٥٢.

(٢) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين ، ج١، ص٢٠٧.

(٣) كان استعماله نادراً وربما قصر استخدامه لتدني قيمته على فئة معينة كالشحاذين، حيث كثيراً ما كانوا يقولون: (شرم برم حالي غلبان). انظر: البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٦١.

(٤) عرف باسم الريال الفرانسة، وقد ضرب بالنمسا سنة (١١٩٥هـ/١٧٨٠م)، انظر: مغربي: ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ص١٦٣.

(٥) ريزفان: الحج قبل مئة سنة، ص١٥٢؛ انظر المغربي: ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ص ١٦١.

(٦) دحلان: خلاصة الكلام، ص١١٥، ١١٦، ١١٨؛ أيوب صبري: مرآة جزيرة العرب، ج١، ص١٠٦- ١١٠.

- **احتكار** الأمراء أو كبار التجار دون غيرهم **لسلع معينة** فعلى سبيل المثال: إن محمد علي حاكم مصر احتكر تجارة الحبوب أثناء إقامته في الحجاز سنة (١٢٣٠هـ/١٨١٤م)، ليحقق من ذلك أرباحاً على تغطية نفقات حربه للدولة السعودية الأولى، كما احتكر شريف مكة الشريف غالب بن مساعد تجارة الملح، وقد امتلك مراكب لنقل بضاعته من وإلى جدة[١]، كما آثر الشريف عبد المطلب بن غالب بعض المقربين إليه باحتكار سلع معينة كالخضار والفاكهة لقاء مبالغ مالية، فتضرر بقية الباعة ضرراً شديداً[٢].

- **اشتغال بعض الوافدين** على مكة بالتجارة ومحاولة احتكارها، مما أثر ذلك **بالسلب** على أهالي مكة من التجار.

فلم تكن التجارة في موسم الحج مقصورة على أهل مكة كما سبق بيانه، بل شاركهم فيها التجار القادمون إليها من مختلف الجهات جهات العالم الإسلامي، وكان للتجار الهنود الحظ الأوفر في تجارة مكة، إذ تمكنوا من السيطرة على تجارة العقاقير والعطور وغيرها من المنتجات، وقاموا بإنشاء علاقات تجارية مباشرة مع موانئ الهند بالإضافة إلى أعمال السمسرة مما ساعدهم على منافسة غيرهم ببيع البضائع بأسعار أرخص[٣].

ويأتي في المرتبة الثانية بعد الهنود التجار الجاوى، فقد شرعوا في التوافد على مكة بكثرة لعدة دوافع من بينها المصالح التجارية[٤].

وكثيراً ما أصدرت السلطات **الأوامر بترحيل الحجاج بعد أداء مناسكهم،** كما حدث عام (١١٤٩هـ/١٧٣٦م)، عندما أمر بالنداء العام في أسواق مكة بوجوب مغادرة المهاجرين لمكة، وغلظ في عقوبة من يتخلف منهم، وذلك لاحتكارهم الكثير

---

(١) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص ٤١، ٤٢.

(٢) السباعي: تاريخ مكة، ج٢، ص٥٤٧.

(٣) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص ١٧٧.

(٤) ريوفان: الحج قبل مئة سنة، ص١٤٨.

من المرافق التجارية بها[1]، غير أن عدم متابعة مثل تلك القرارات أدى إلى استمرار الوافدين إلى امتلاك زمام الأمور التجارية في مكة[2]، وهذا وإن كان إيجابياً في نواحٍ كثيرة تجارية كزيادة وتنوع المعروض، ورخص الأسعار، إلا أنه أثر سلباً على التجارة الدائمة بمكة في غير المواسم.

- **انتشار الأوبئة والأمراض**، بين سكان مكة من قبل الحجاج والوافدين عليها خاصة من مناطق جنوب شرق آسيا والهند، وهذا يؤدي إلى نقص في عدد سكان مكة والوافدين إليها[3]، مما ينتج عنه بطء في حركة البيع والشراء ودورة رأس المال فينتج عنه الكساد رغم قلة الأسعار.

- **الدعاية المغرضة**، فحين عجز الغزاة والمستعمرون من السيطرة على الحجاز، استغلوا **مرض الكوليرا** في محاولة منهم لتحقيق مخططاتهم وخلخلة الوضع الاقتصادي بها، فنشرت الإشاعات المغرضة بأن مكة موطن الوباء، ومنعت رعايا الدول الإسلامية المسيطرة عليها من السفر إلى البقاع المقدسة، بحجة الخوف عليهم من الوباء وانتقاله[4]، فعلى سبيل المثال منعت فرنسا عام (١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) حجاج تونس والجزائر من السفر إلى مكة خوفاً من انتشار المرض، وفي عام (١٣١٣هـ/١٨٩٥م) منعت إنجلترا حجاج الهند من التوجه إلى مكة لنفس السبب[5].

---

(١) دحلان: خلاصة الكلام، ص١٩٤؛ السباعي: تاريخ مكة، ص٤٢٩.

(٢) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص٢٠٦؛ سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ص٥٣ ـ ٥٨.

(٣) لأخيل أدريان بروست: الحج إلى مكة المكرمة وانتشار الأوبئة، ترجمة: محمد خير البقاعي، (مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج ٨، ع١، محرم ـ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ ، مارس / أغسطس ٢٠٠٢م)، ص٢٣٤، ٢٤٤؛ الردادي: أمن الحج، ص٣٢٧.

(٤) فعلى الرغم من علم الدول الأوروبية أن **الهند** هي مركز الوباء (الكوليرا) إلا أنها ظلت مصرة على ترويج فكرة أن **مكة** مصدر الكوليرا سعياً وراء بعض الأهداف السياسية ، فمنعت المسلمين من الذهاب إلى الحج، لأن الحركات الإسلامية كانت تستمد القوة من مكة فتحقق النجاح، يلدز، جولدن صاري: الحجر الصحي في الحجاز "١٨٦٥ ـ ١٩١٤م" ، ترجمة: عبد الرزاق بركات، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص٢١٢.

(٥) المصدر السابق، ص١٢٣ ـ ١٢٧.

ـ **تعطل خط سكة حديد الحجاز** أثناء الحرب العالمية الأولى[١]، فكسدت تجارة موسم الحج في مكة، بل ونقص عدد الحجاج بسبب انعدام وسائل النقل السريعة، وبالتالي قلة الواردات المالية التي تعود على إدارة الحجاز ومكة خاصة من الرسوم المفروضة على الحجاج[٢]، وقد علق أحمد الخطيب المكي (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) الذي شهد الحرب العالمية الأولى، وشاهد أثارها السلبية على العالم الإسلامي وعلى مكة بقوله: (وصار بسببها الضيق والتعب والفقر على جميع العالم الإسلامي وغيرهم، وصار أهل مكة في غاية الضيق، من انقطاع البوابير والأرزاق من الهند وسائر البلاد، وانقطع الحجاج من البحر فعم الفقر والاحتياج على أهل مكة، وباع أهلها كل غال من الأثاث والملابس بأرخص ثمن )[٣] .

ـ **ارتفاع الأسعار وشح السلع وقلة الأرزاق** بمكة لأسباب مختلفة كقلة الأمطار **والقحط** أو سوء الأوضاع الأمنية، كما حدث على سبيل المثال في الأعوام (١١١٥، ١١٣٦، ١١٣٧هـ/١٧٠٣، ١٧٢٣، ١٧٢٤م) حيث اشتد الكرب، وعزت السلع الغذائية كاللحم والحبوب، ولم يوجد في الأسواق غير الفول، ولتفادي مثل هذه الأزمات، فإن الحكومة المكية كثيراً ما كانت تتدخل للحل ففي سنة (١١٣٦هـ/١٧٢٣م) ونتيجة للغلاء الذي أصاب مكة، أمر الشريف عبد ا بن سعيد من ينادي في الأسواق أن كل من عنده حب أو أرز أو غير ذلك من الأقوات يترك له كفايته ويخرج الباقي إلى السوق، وكل من لا يفعل ذلك يفتش بيته وينهب ما فيه ويشنق[٤].

---

(١) اشتعلت الحرب العالمية الأولى ما بين عام (١٣٣٢ ـ ١٣٣٦هـ) / (١٩١٤ ـ ١٩١٨م)، بين الدولة العثمانية ودول الوسط (ألمانيا النمسا ـ المجر) من جهة وبين الحلفاء (بريطانيا ـ فرنسا ) ، وانتهت الحرب بهزيمة الدولة العثمانية وتقسيم أملاكها، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، (ط٨، القاهرة، دار الكتاب الجامعي: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ص٢٨٩.

(٢) محمد بيرم التونسي: صفوة الاعتبار، ج٤، ص١٣٦؛ الدقن: سكة حديد الحجاز الحميدية، ص٢٧١.

(٣) أحمد الخطيب: القول التحيف في ترجمة تاريخ حياة أحمد خطيب بن عبد اللطيف، (مخطوط، بمكتبة مكة المكرمة، رقم :١١٦ )، ق٢٣.

(٤) غازي: إفادة الأنام، ج٢، ق ٥٤٢، ٥٨٣.

ولم تكن **مصر** بمنأى عما يجري ببلاد الحرمين من أزمات اقتصادية(1)، فهي الصدر الحنون لهذا الإقليم بحكم التبعية السياسية وبحكم القرب الجغرافي منه، فكان من الطبيعي توثيق الصلات الاقتصادية بمصر وربطها بها(٢)، وهو ما برز بصورة أوضح في ظل السيادة العثمانية خلال فترة البحث في أمرين: الأول في التبادل التجاري وقد أوضحناه سابقاً، والأمر الأخر اهتمام مصر بمعالجة ظروف بلاد الحرمين الاقتصادية و ما كانت تقدمه من مساعدات اقتصادية تمثلت في المساعدات الآتية:

أ - **الصرة الرومية**(٣): فقد وصلت مبالغ الصرة الرومية المرسلة إلى مكة مبلغ [١٩٦] كيساً(٤) عام (١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م)، و[٤٠٢] كيساً عام (١١٧٦هـ/١٧٦٢م)(5)، وفي القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي وصلت الصرة الرومية إلى [٦٢٨] كيساً مصرياً سنة (١٢١١هـ/ ١٧٩٦م)(٦).

---

(١) قد يرسل حكام أو أثرياء بعض البلدان الإسلامية مساعدات إلى مكة كبعض الشموع أو الحصر أو توزيع بعض الأموال على الأهالي خاصة رعاياها من المجاورين ، ولكن لم تكن بشكل مستمر أو إلزامي كما كان الحال بالنسبة لمصر.

(٢) أيوب صبري: مرآة جزيرة العرب، ص١٣٠ - ١٣١.

(٣) **الصرة الرومية**: هي مجموعة الأموال التي كانت ترسل للحرمين، وأول من أرسلها السلطان العثماني بايزيد الثاني، فلما آل الأمر إلى السلطان سليم خان أرسل الصدقات الرومية أضعاف ما كان يرسله والده ، وجعل لها دفتراً تسجل فيه تلك العطايا، وقد ظلت ترسل من مصر حتى سنة (١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، انظر: محمد بن عبد المعطي الإسحاقي: لطائف أخبار الأول من تصرف في مصر من أرباب الدول (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٩م)، ص١٥٨؛ السيد الدقن: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، (ط٢، القاهرة: ١٩٩٦م)، ص٣٩.

(٤) **الكيس**: يعني لغوياً الكيس الخاص بحمل النقود، واصطلاحاً استخدم لملء هذا الكيس نقوداً، وكان هناك ثلاثة أنواع من الكيس أو الكيسة في الدولة لعثمانية :الكيسة الرومية التي تعادل ٥٠٠ قرش، والكيسة الديوانية التي تساوي ٤١٦ قرشاً، ثم الكيسة المصرية المستخدمة في مصر وحدها وكانت تساوي ٦٠٠ قرش، وقد استخدم نظام الكيس في الدولة العثمانية حتى عام (١٢٩٤هـ/١٨٧٧م)، ثم ترك مكانه، فاستخدم القرش بدلاً منه، صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، ص ١٩٤ - ١٩٥.

(5) دار الوثائق : الروزنامة ، صرة رومية أهالي حرمين شريفين ، واجب سنة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م ؛ وواجب سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م، رقم ١٤١، عمومي ٤٥٢٨، مخزن تركي ١٣.

(٦) دار الوثائق : الروزنامة ، صرة رومية أهالي حرمين شريفين ، واجب سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م، رقم ٤٤٦، حفظ نوعي ٦٩٥، عمومي ٥٩٣٨، مخزن تركي ١.

ب ـ **صرة الخزينة الإرسالية**[1]: وتتمثل في أموال ثابتة وأخرى غير ثابتة لمعالجة الظروف الاقتصادية الطارئة التي تحل بالحرمين، فبالنسبة للأموال الثابتة فكانت رواتب نقدية وعينية لم تتغير طوال العصر العثماني، تصرف على شريف مكة وبعض أولاد الأشراف وعوايد العربان وغيرهم[٢]، أما الأموال غير الثابتة فكانت عبارة عن مدفوعات تقدمها مصر إلى أهالي الحجاز وإداراتهم ولشراء قناديل وشمعدانات وكسوة الكعبة والذخيرة وما سوى ذلك[٣].

ج ـ المقررات "**الضرائب**": كمحاولة من مصر لعلاج الظروف الاقتصادية الصعبة في الحجاز، كانت في كثير من الأحيان تضطر إلى فرض مقررات على ولايات مصر الكبرى وأقاليمها المختلفة[٤]، إضافة إلى ترتيب أموال من جهة الجمارك والموانئ المصرية لصالح أهالي الحرمين الشريفين[5]، بل وأحياناً كانت الإدارة المصرية تلجأ إلى فرض ضرائب على الأهالي المصريين لصالح أهالي

---

([1]) **الخزينة الإرسالية**: هي المقدار المتبقي من إيرادات مصر الذي يرسل إلى الباب العالي بعد إنفاق ما يقرر السلطان إنفاقه على الإدارة ومختلف شئون الصرف بما فيها شؤون الحرمين الشريفين وأول خزينة أرسلت كانت في عهد سليمان باشا المتولي على مصر عام (٩٣١هـ/١٥٢٤م )، انظر: حسين أفندي الروزنامجي: ترتيب الديار المصرية، نشره محمد شفيق غربال بعنوان "مصر على مفرق الطرق" ، (مجلة كلية الآداب ، القاهرة، ج١، مايو ١٩٣٦م) ج١، ص١٥.

([٢]) دار الوثائق : سجلات الديوان العالي: س ١ م ١٢ ص ٦؛ س ٢ م ٣٧٩ ص ٢٥٠؛ سجلات الروزنامة : الصرة الرومية ، واجب سنة ١١٥٥هـ/١٧٤٢م، رقم ٤٥، حفظ نوعي ٢٥٤، عمومي ٥٤٩٧، مخزن تركي ١؛ وواجب سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م ، رقم ٥٣٢، حفظ نوعي ٧٦١ ، عمومي ٦٠٠٤، مخزن تركي ١.

([٣]) دار الوثائق : سجلات الديوان العالي، س ٢ م ٣٩٠، ص ٢٥٥، م ٤٠٦، ص ٢٦٥؛ سجلات الروزنامة : دفتر مصاريف وواردات خزينة عامرة ١١٧١هـ/٢٦٧م، عمومي ٢١١٤، ونوعي ٣/١١٢ ، حفظ نوعي ١٧، عين ٢٩، مخزن تركي ١، واجب سنة ١١٣٦هـ/١٧٢٣م، م ع ٢١٢٢، نوعي ١٧، عين ٢٩، مخزن تركي ١.

([٤]) دار الوثائق : الروزنامة : دفتر بسط وتطبيق واردات ومصاريف خزنة عامرة، واجب سنة ١١١٧هـ/١٧٠٥م ، عمومي ٢١١٤، نوعي ٢٩، عين ٩، مخزن تركي ١.

([5]) دار الوثائق : الروزنامة، إيرادات مال الجمارك ، دفتر إسكلها ، ومقاطعات ، واجب ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، حفظ نوعي ١٤٦، عين ٥٤، م ٤٢٨٤، مخزن تركي ١؛ ودفتر قيد عوائد عن واجب سنة ١٢١٥هـ/١٨٠٠م ، م ع ٤٢٨٥، حفظ نوعي ١٤٧، عين ٥٤، مخزن تركي ١.

الحرمين كما حدث عام (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) فقد استطاعت الإدارة المصرية أن تجمع من الأهالي المصريين نحو خمسين كيساً أرسلت لأهالي الحرمين[١].

د ـ **المقررات والإسهامات العينية:** وقد تمثلت هذه المساعدات في المواد الغذائية كالحبوب من قمح وذرة وغير ذلك، أو مواد الإعاشة كالزيت للإنارة والقناديل والحصر وغيرها، ولو نظرنا إلى بعض ما قدمته مصر في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي من إخراجات إلى الحرمين نجد أنها بلغت ما يقارب [١٨١٦٣١] بارة، وأما ما صرف لفرش الحرمين بالحصير فبلغ [٥٤٠٠٠] بارة، وما كان لشراء قناديل للحرمين بلغ [٥٦٤٢٠] بارة وغير ذلك من مصاريف كبيرة كانت تنفق سنوياً على طرق الحج وتأمين القوافل والحاميات والقلاع العسكرية[٢].

**من خلال هذا العرض الموجز** لتلك الحقائق التاريخية نتلمس الدور البارز الذي قامت به **مصر** في استقرار الأوضاع الاقتصادية بمكة مما وفر للأهالي والمجاورين جواً من السكينة والهدوء ساعدهم على التفرغ للعلم والتعليم طالما أن النفقات التي هم بحاجة إليها تصلهم من الإدارة المصرية ومن أهالٍ طابت لهم أنفسهم بالصرف على أوجه الخير بمكة ابتغاء مرضاة ا  وطمعاً في الأجر والثواب.

---

(١) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، (بيروت ، دار الجيل)،ج٢،ص٢٣٣.

(٢) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر إجمالي واردات ومصاريف خزينة عامرة، واجب ١١١٧هـ/١٧٠٥م عمومي ٢١١٤، نوعي ٩، عين ٢٩، مخزن تركي ١؛ دفتر ومصاريف خزينة عامرة واجب ١١٣٦هـ/١٧٢٣م ، م ع ٢١٢٢، نوعي ١١٢/٣، حفظ نوعي ١٧، عين ٢٩، مخزن تركي ١.

## الأحوال الاجتماعية في مكة

إن البنية السكانية لمدينة مكة تتكون في معظمها من الأشراف والقبائل العربية الموجودة في منطقة الحجاز وبقية مناطق شبه الجزيرة العربية، إضافة إلى الوافدين من الدول العربية والإسلامية[1]، الذين قدموا إليها لعدة دوافع منها الدينية وذلك لأداء مناسك الحج أو العمرة، أو دوافع سياسية نتيجة لقوى الاستعمار التي اجتاحت أجزاء من العالم العربي والإسلامي مما اضطر معه الكثير من المسلمين إلى الهجرة إلى مكة خوفاً على أنفسهم من الحروب والفتن والقتل[2]، أو لدوافع اقتصادية[3]، ثم استوطنوا في مكة، وكان لهذا الخليط من القوميات المختلفة[4] أثره على العادات والتقاليد، بل وألوان البشرة وملامحها، ولا سيما أن تعداد الوافدين إلى مكة في كثير من الفترات لم يكن قليلاً، بل ربما فاق أحياناً عدد الأهالي المكيين[5]، ومع مرور الزمن أصبحوا من أهلها وأثروا في عاداتها وتقاليدها بقدر ما انصهروا هم فيها وتأثروا بها، يقول السباعي: (إن مجموعة الأجناس والجاليات أثرت في تكوين طابع مكة حتى إذا استقام ذلك الطابع، استطاع أن يدمغ جميع القاطنين

---

(١) ابن دهيش: الحياة الاجتماعية في مكة، ص١٨٨.

(٢) لقد شهد العالم الإسلامي هجمة شرسة من قبل المستعمرين بدءاً بالبرتغال والأسبان والهولنديين الذين سيطروا على بلاد الهند وإندونيسيا ، ثم الإنجليز والإيطاليين والفرنسيين والألمان الذين سيطروا على دول الشمال الأفريقي وبلاد الشام ، كما وفد الكثير من التركمان إلى مكة للإقامة الدائمة بها بسبب الغارة التي قام بها قياصرة الروس وملوكهم في القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشر على الإمارات القائمة في تركستان، لذا هجر الكثير من المسلمين ديارهم فراراً بدينهم صوب مكة. لمعرفة المزيد انظر: جميل عبد ا محمد المصري : حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ، (ط١، المدينة المنورة: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

(٣) البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٤١؛ وانظر مبحث الأوضاع الاقتصادية في هذه الرسالة.

(٤) ريزفان: الحج قبل مائة سنة، ص١٤٥.

(٥) من الصعب إحصاء عدد سكان مكة في فترات البحث، لكونها بلداً مفتوحاً طوال العالم للوافدين عليها من الحجاج والمعتمرين، حتى إن الإحصائيات التي أجريت عليها كانت في الغالب متباينة، فعلى سبيل المثال ذكر رفعت باشا أن عدد سكان مكة عام (١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م) يقدرون بـ ١٢٠ ألف بينما البتنوني ذكر أن عددهم عندما حج عام (١٣٢٨هـ /١٩١٠م ) بلغ ١٥٠ ألف منهم ٥٠ ألفاً من الأهالي والباقي من الأعراب والمهاجرين للمدينة، انظر: إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين، ج١، ص٢٠٣؛ البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٤٠؛ سليمان عبد الغني مالكي : تاريخ الحج من خلال الحجاج المعمرين، ( ط١، مكة، مطابع جامعة أم القرى)، ص٣١

والمجاورين بدمغة واحدة يبدو أثرها في أكثر تقاليدهم وعاداتهم ولغتهم وطريقة حياتهم)[١]، والتي لم تخرج عن الأطر الإسلامية وتوجيهات الشرع الحنيف، فهم يعرفون حقوق الجار، ويقدمون المساعدة له، ويحترم الصغير فيهم الكبير، ويتمسكون بالروابط الأسرية، ويكرمون الضيف ويرحبون بالغريب[٢].

ويصف لنا الرحالة الروسي عبد العزيز دولتشين المكيين بعد أن احتك بهم عن قرب عام (١٣٠٦هـ/١٨٩٨م) فانطبعت في ذاكرته صورة عنهم بالعموم بأنهم: (أذكياء، لطفاء جداً في التعاشر والتخاطب، متأدبون ومجاملون مع مسحة من بعض الاعتزاز، مضيافون أنيسون، مع احتفاظهم دائماً بشعور الكرامة الشخصية، وهم منعمون كبار)[٣].

ويؤكد على لطف طباع أهل مكة وسماحتهم التي لمسها دولتشين ما ذكره صاحب تذكار الحجاز بأنهم: (أهل فضل وظرف وسماحة وكرم)[٤].

ولما أصبح المكيون خليطاً من كثير من الشعوب الإسلامية **أمسى طعامهم خليطاً** أيضاً مما تتعاطاه تلك الشعوب، فمن طعامهم في الإفطار "الفول المدمس" يكثرون عليه السمن وبعضاً من الطحينة، والعسل والبيض والحليب، وأما الغداء فكانوا يتناولون وجبة مكونة في الغالب من اللحم والخضار والأرز، وفي المساء يتناول الأهالي الأطعمة الخفيفة كالبيض والفول والفطائر[5]. وقد أطلقوا مسميات كثيرة على أطعمتهم؛ وإن كانت لا تخرج عن كونها مؤلفة من اللحم والأرز، وإن اختلفت طريقة الصنع والمواد المضافة لها، فمن أطعمتهم السليق والمبشور والمندي

---

(١) السباعي: تاريخ مكة، ج٢، ص١٩٣.

(٢) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١٨٦؛ محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٢٢٥.

(٣) ريزفان: الحج قبل مئة سنة، ص١٤٥.

(٤) عبد العزيز صبري بك: تذكار الحجاز، (القاهرة، المطبعة السلفية: ١٣٤٢هـ)، ص١٨٤.

(٥) محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٤٨ـ ٦٠؛ ابن دهيش: الحياة الاجتماعية في مكة، ص١٩٣.

والكوزي والأرز البخاري ومغازلية الكشري والأرز بحمص[١]، وكان يقدم مع طعامهم الكثير من أنواع الفاكهة كالعنب والرمان والخوخ والمشمش والتفاح والتين[٢]، والموز واللوز والجوز والسفرجل، وغيرها من الفواكه التي تجلب من الطائف ومن سائر جهاتها[٣].

ويمكن تصور ما يقدمه المكيون من أطعمة خلال تلكم الفترة من خلال وصف الرحالة "بيرتون" لمأدبة غداء عند أحد أهالي مكة ويدعى علي بن ياسين الزمزمي حيث قدم الطعام لهم في أطباق صينية وصينيات نحاسية كبيرة بلغ محيطها قرابة الأقدام الستة مزخرفة بزخارف ونقوش عربية فوق كرسي معتاد مزين السطح وقوائمه من خشب الصندل وأدوات المائدة من مادة كالصيني، لها منظر نظيف، ويضيف بيرتون: (وقد بدأنا بتناول مسلوقات مختلفة مسلوق السبانخ ومسلوق البامية وحساء خضروات مغذ، وأطباق البرياني؛ شراح اللحم المقلية بالزبد ومحشي أوراق العنب بلحم الضأن، والكباب أو اللحم المشوي، بالإضافة للسلطات من الخيار المنعش، ثم البطيخ المقطع، وأما الخبز فكان مدوراً على النسق الشرقي لكن مذاقه كان رائعاً، وأفضل بكثير من الخبز الهندي المعروف بالشباتي، أما الماء فكان معطراً بالمستكة، وبعد ذلك أتت الكنافة المحلاة بعسل النحل، وقد رش فوقها مسحوق السكر، والتفاح والسفرجل والمهلبية المضاف لها راحة الحلقوم غالي الثمن لأنه يجلب من اسطانبول، وقد وضعت الفاكهة فوق المنضدة، أطباق مليئة بحبوب الرمان والتمور ذات المذاق الرائع، وانتهى العشاء بأطباق الأرز والزبد وقد تناولناه بملاعق خشبية)[٤].

---

(١) لمعرفة المزيد عن هذه الأطعمة انظر: مغربي: ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ص٢٥٤ـ ٢٥٦. وهذه الأطعمة لا تزال مشهورة في مكة إلى يومنا هذا.

(٢) ابن دهيش: الحياة الاجتماعية في مكة، ص١٩٣.

(٣) الشاذلي: الرحلة الوهبية إلى الأقطار الحجازية،ص٥٤ .

(٤) محمد بن حسن: المختار من الرحلات الحجازية، (رحلة بيرتون) ، ص٥٨٢ـ٥٨٣ ، ومن الملاحظ أن أكثر هذه الأطعمة هي ما يتناوله سكان مكة في الوقت الحاضر.

ولطبيعة مكة الصحراوية والجبلية فلم يكن من السهل الحصول على الماء، لذا حرص السلاطين والولاة العثمانيين على تسهيل وصوله إلى أهالي مكة فعلى سبيل المثال قام السلطان مصطفى خان عام (١١٨١هـ/١٧٦٧م) بترميم عين زبيدة[١] ثم تبعه السلطان محمود الثاني، وقام بإجراء إصلاحات وترميمات في العين ففي عام (١٢٣٤هـ/١٨١٨م) جف ماء العين بسبب الخراب الذي طرأ عليها فشرب الناس خاصة الفقراء منهم من مياه الآبار المالحة، مما دفع الدولة العثمانية بإرسال أوامرها إلى محافظ مكة بتصليح نبع العين، فقام بإعمارها عام (١٢٣٥هـ/١٨١٩م) [٢]، وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني تم تجديد وإعمار عين زبيدة، وقد بدأ الإعمار عام(١٢٩٧هـ/١٨٧٩م) وانتهى بحلول عام (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م)[٣].

وكان الماء يصل إلى البيوت عن طريق السقاة؛ حيث ينقلونه في قِرب من الجلد ونحوه، ويحفظ في البيوت في أزيار من الفخار، ويشربون في دوارق من الفخار مزينة بنقوش جميلة بارزة، ويوضع فوقه كأس للشرب إمعاناً في النظافة[٤] ويطيبون ماء الشرب بالزهر والكادي وماء الورد والمستكة[٥].

وزيادة في الرفاهية فكانوا يشربون الماء **مثلجاً**، ويدفعون فيه أثماناً غالية؛ إذ يذكر رشيد رضا عن وجود مصانع للثلج بمكة فيقول: (أنه كان يعمل من الماء ثلج يعمله بعض الهنود في قوالب من الزنك ويبيعونها بأثمان غالية)[٦].

---

(١) أمرت بحفرها وتعميرها السيدة زبيدة زوج الخليفة هارون الرشيد ، ولمعرفة المزيد عن جهود العثمانيين في توفير مياه الشرب لأهالي مكة انظر: عادل محمد نور غباشي: المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصر العثماني ، دراسة حضارية (رسالة دكتوراه لم تنشر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة:١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

(٢) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، وثيقة رقم: ١٤، ١١٧ / و ح ج .

(٣) سالنامه ولاية الحجاز، العدد ٣، عام ١٣٠٥هـ، ص ١٧٢ـ ١٧٣.

(٤) عبد القدوس الأنصاري: يوم في متحف مكة المكرمة، (المنهل، مج ٢١، ج٥، جمادى الأولى ١٣٨٠هـ / نوفمبر ١٩٦٠م)، ص١٣٥٢.

(٥) محمد بيرم التونسي: صفوة الاعتبار، ص١٤٤؛ محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٦٨.

(٦) رحلات الإمام محمد رشيد رضا، ص١١٣.

**ومن المشروبات** التي كان أهالي مكة يفضلونها شراب عصير الرمان والليمون والتوت والزبيب والتمر الهندي وغير ذلك من الفواكه[١]، وعرف المكيون القهوة، وكانت تصنع من البن المحمص، وتصب في فناجين للشرب مرة واحدة، وكانوا يعتنون بالأدوات الخاصة لصنعها[٢]،وكان للشاي النصيب الأوفر عند المكيين[٣]، فلهم في صنعه طرق وأدوات خاصة[٤].

وكما تميز المكيون بتنوع طعامهم وشرابهم تميزوا أيضاً **بتنوع لباسهم، فقد اختلفت ملابس المكيين وأشكالها على حسب طبقات المجتمع** المكي، **فالبسطاء** كالصناع والبنائين والعمال ومن على شاكلتهم لباسهم بسيط عبارة عن ثوب أبيض أو أزرق يحتزم عليه بحزام من الصوف، و"كوفية" من البفتة على الرأس، وفي المناسبات والمواسم يعتمون بأحاريم مطرزة جميلة.

**أما أوساط الناس والتجار** فكانوا يلبسون الثياب البيض، وفي المناسبات يلبس فوقها ثوب آخر يعرف بالجبة مصنوعة من أقمشة تتناسب والفصل من السنة إن كان صيفاً أو شتاءاً، أما لباس الرأس فهو عبارة عن "كوفية" ذات جودة عالية في الصنع، يلف من حولها الإحرام، وتتفاوت أسعاره وجودته حسب حالة المعتم به، وفي المناسبات والأعياد تستبدل الكوفية عادة بـ "العمامة"[٥].

---

(١) ابن دهيش: الحياة الاجتماعية في مكة، ص١٩٤.

(٢) أما الطريقة الشائعة الآن والمشهور تعاطيها في شرب القهوة في فناجين صغيرة تقدم مراراً، فلم تنتشر في مكة إلا بعد أن ضم الحجاز للحكم السعودي، حيث تأثر المكيون بالقهوة النجدية وأصبحت هي الغالب. انظر: محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٧١.

(٣) ريزفان: الحج قبل مئة سنة، ص١٤٦؛ لم يعرف الحجاز الشاي قبل عام ١٢٦٠هـ، وأول من عرفه بيت نصيف، وذلك عندما وفد على عبد ا نصيف وكيل شريف مكة، جماعة من الأتراك وكان معهم الشاي وأدواته وقاموا بعمله وتقديمه لعبد ا نصيف فطاب له مذاقه، وبدأ يجلبه من الهند ومن ثم انتشر بين الناس، لمعرفة المزيد انظر: محمد حسين نصيف: أول دخول الشاي في الحجاز، (المنهل، محرم ، صفر ١٣٧٦هـ/ اغسطس، سمبتمبر ١٩٥٦م)، ص٤٨١.

(٤) محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٧٣؛ عبد القدوس الأنصاري: يوم في متحف مكة المكرمة، (المنهل مج ٢١، ج٥، جمادى الأولى ١٣٨٠هـ / نوفمبر ١٩٦٠م)، ص١٣٥١.

(٥) السباعي: تاريخ مكة، ج٢، ص١٩٤ - ١٩٨.

**وأما لباس العلماء وخطباء المسجد الحرام**، وأئمته فلا يختلف عن لباس بقية الناس غير أن الجبة كانت واسعة الأكمام عن المألوف، والعمامة لها لفة مخصوصة تميز العلماء عن غيرهم[(١)]، وعموماً كانت ملابسهم تميل إلى الألوان الفاتحة خاصة اللون الأبيض، وامتاز لباس الطلبة بالبساطة فكانوا يرتدون ملابس عادية خفيفة مع غطاء للرأس بالكوفية أو الطاقية، وأحياناً يلبسون الجبة والعمامة خاصة من هم على عتبة التخرج[(٢)].

**أما لباس الأشراف** فلم يختلف من حيث المسمى عن لباس الأهليين والوجهاء، وإنما يمتاز فقط بنوعيته وبشكله، ولا سيما الأسر الحاكمة، فقد كان **السلطان العثماني** يهدي إلى أمير مكة في كل عام نوعاً من الجبب المقصبة، وله أزرار قريب من العنق، من الألماس ، ربما بلغت قيمته خمسين جنيها ذهباً، وكان يسمى بـ"الخفتان"، وكان يجلب بهذه الكسوة الفاخرة من القسطنطينية إلى الحجاز مأمور كبير خاص يسمى بالتركية "خفتان أغاسي" إضافة إلى عدد من الهدايا الأخرى من بينها خمسين طاقة من الصوف الفاخر من كل لون خمس طاقات ومجموع ذلك عشر ألوان، وكانت الطاقة الواحدة تكفي لصنع ثلاثة جبب أو أربع، وكان أمير مكة يهدي جلساءه ومن يشاء من ذلك ما عدا لوني السواد والبياض فإنه لا يهدي منهما لأحد بل يستأثر بهما لنفسه[(٣)] .

**وكانت النساء** المكيات يلبسن السديري المصنوع من البفت غالباً، والسراويل القطنية القاتمة الألوان أو المخططة بالأبيض والأسود، وكن يلففن شعورهن بقطعة من القماش المصنوع من الشاش الأبيض يسمونها "محرمة"، أما حين الخروج فكن يرتدين سراويل من الحرير من مصنوعات مصر، وغالباً ما يكون لونها أبيض أونباتي والخطوط سوداء، ويلبسن على الرأس فوق "المحرمة" قطعة من القماش محلاة يلبس فوقها تلفيعة تسمى "مدورة" مصنوعة من الشاش أو الحرير الرقيق،

---

(١) محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٣٥.

(٢) ابن دهيش: الحياة الاجتماعية في مكة، ص١٩٤.

(٣) محمد نصيف: الخفتان والقفطان، (المنهل، مج ٢٣، ج١، صفر ١٣٨١هـ/١٩٦١م)، ص٨٦١.

محلاة أطرافها بمطرزات متنوعة، يغالي في شكلها وثمنها، فقد يصل البعض منها إلى بضعة جنيهات ذهبية، ثم يلبسن فوق ذلك البرقع، ثم فوقه ترتدي العباءة أو الملاءة وهي من الحرير الأسود[١].

**ولما كانت الزينة** من أهم أولويات المرأة فقد اعتنت المرأة المكية بزينتها فلبست الخلاخيل والعقود، بل اتخذت من الفضة حبلاً لنشر ملابسها وهي عروس[٢].

وينتعل الرجال الخف وأما النساء فلهن أحذية خاصة بهن، ومعظم الأحذية تصنع محلياً وبعضها يجلب من مصر و الشام و الهند[٣].

وكان الأمراء عادة يتمنطقون بخنجر جرابه مصنوع من الفضة أو الذهب المموه[٤]، وكانت الخلع المرسلة من قبل الدولة يرتديها أمراء مكة في المناسبات والحفلات الرسمية[٥].

وكما طاب لأهل مكة ارتداء الملابس الزاهية، والثياب الفاخرة، طاب لهم أن يفرشوا بيوتهم بالمفروشات الجيدة[٦] بغض النظر عن كون البناء بسيطاً أو مكلفاً، بعيداً عن الحرم أم قريباً، وكانت مادة البناء لمعظم البيوت المكية خاصة القريبة من الحرم مكونة من الحجر **و**النورة، وقد صممت المباني بطريقة تسمح بتقسيم المنزل إلى وحدات متعددة، منفصل بعضها عن البعض الآخر بحيث تتكون كل وحدة من غرفة جلوس ومطبخ صغير تلبية لحاجة المستأجرين[٧] من الحجاج والمعتمرين،

---

(١) السباعي: تاريخ مكة،ص٥٧٣ ـ ٥٧٥.

(٢) عبد القدوس الأنصاري: يوم في متحف مكة المكرمة، (المنهل: مج ٢١، ج٥، جمادى الأولى ١٣٨٠هـ/ نوفمبر ١٩٦٠م)، ص١٣٥٤.

(٣) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص٢٠٧؛ بن دهيش: الحياة الاجتماعية في مكة، ص١٩٥.

(٤) محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٤٩.

(٥) البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٤٩.

(٦) ريزفان: الحج قبل مئة سنة، ص١٤٥.

(٧) بروكهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١٠٢.

كما أن المنازل كانت لا تتجاوز ثلاث طوابق، وقد يكون منها ذو الأربع والخمس طوابق[(١)].

وتُخَص الطوابق الأرضية عادة لمجالس الرجال واستقبال الضيوف، وهي عبارة عن حجرة واسعة أمامها ردهة مكشوفة، أو مجلس مسقوف بدون ردهة مكشوفة، وتصنع السقوف من جذوع النخل المغطى بالجريد والأعواد بعد أن تصف ويوضع عليها الحصير ونبات الإذخر ثم يخاط التراب المبال، وبعد أن يجف يكبس به السطح[(٢)].

وأما السلالم والأرضية فكانت مغطاة بطبقة من مادة صلبة مكونه من خليط من الرمل والكلس والرماد، ومن هذه المادة أيضاً يبنون في بعض البيوت خزانات لأجل المياه[(٣)].

**ولما كانت الحاجة ماسة للنوم في الأسطح** وقت اشتداد الحر فغالبا ما تحاط الأسطح بجدار من الآجر يشتمل على شبابيك مخرمة ذات ألوان بهيجة كالأحمر والأزرق والأصفر والأخضر، ويكون في قسم من السطوح غرفة مستقلة تحفظ فيها أفرشة النوم نهاراً، ومن كان يعتاد تأجير داره في زمن الحج، فإنه يستقل هو وأسرته في الإقامة في هذه الغرفة ليترك بقية المنزل للحجاج[(٤)].

**وكانت العقود** تزين الأبواب الرئيسة، والشبابيك تزين بالرواشين المخرمة على شكل نقوش وأزهار[(5)] تكسبها شكلاً جمالياً بديعاً، وعادة ما تجاب من الهند هي والأبواب، وتحلى أسقف بيوت الأثرياء والوجهاء بالنقوش والزخارف الجميلة[(٦)]

---

(١) ريزفان: الحج قبل مئة سنة، ص١٤١.

(٢) لمعرفة المزيد عن طريقة سقف الاسطح والمواد المستخدمة انظر: محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٢٣ .

(٣) ريزفان: الحج قبل مئة سنة، ص١٤٣.

(٤) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ص٣٤٨؛ محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٢١

(٥) نواب حاجي أحمد حسين: سفرنامه حجاز ومصر، ص٩٣.

(٦) سعد ا بلقاسم: "رحلة ليون روش إلى الحجاز، ج١، ص٢٦٣؛ محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٢١.

وتفرش الحجرات بالبسط والسجاجيد وتزين بالمساند والمخدات[1]، والشمعدانات الكبيرة المصنوعة من الزجاج والمعدن الفضي اللون[٢].

وأما حجرات الفقراء أو متوسطي الحال فكانت تفرش بالحنابل من القطن وتجلب من الهند، أو من البسط المحلية المصنوعة بالطائف، ثم يضعون عليها مساند مصنوعة من القطن [٣].

**وتحلى جدران الغرف** بأرفف يوضع عليها الصحون أو التحف أو الكؤوس ونحو ذلك[٤] .

**أما الأحياء البعيدة** عن منطقة الحرم فتكون في العادة **مساكنها أقل جودة** وتتكون في الغالب من طابق واحد[5] وكلما اتجهنا نحو الضواحي تتضاءل المساكن الجيدة وتحل محلها الأكواخ والتي تسمى "العشش" [٦].

**وكانت البيوت والمساجد تضاء** بالمسارج والقناديل بالزيت والشموع، وحرص الوجهاء والأعيان على إضاءة أبواب دورهم ليلاً، ولما عرف القاز (الكيروسين) أو "الكاز" وكان ذلك في عهد الشريف عبد ا بن محمد بن عون (ت١٢٩٦هـ/١٨٧٨م)، وضعت أول مسرجة "لمبة" في دهليز بيت الإمارة، ثم انتشرت الإضاءة بالغاز بعد ذلك، أما المسجد الحرام فقد كان يضاء بالقناديل الشموع والزيت فينار الحجر وباب الكعبة المشرفة بشمعدان من المعدن المموه بالفضة أو من النحاس الأصفر، وكانت الشموع ضخمة تصنع خصيصاً لذلك،

---

(١) ريزفان: الحج قبل مئة سنة، ص١٤٥.

(٢) عبد القدوس الأنصاري: يوم في متحف مكة المكرمة، (المنهل، مج ٢١، ج٥، جمادى الأولى ١٣٨٠هـ / نوفمبر ١٩٦٠م)، ص١٣٥١.

(٣) محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٢٩.

(٤) أحمد إبراهيم الغزاوي: شذرات الذهب، (المنهل، مج ٢٩، ج٢٢، ذو الحجة ١٣٨٨هـ/ مارس ١٩٦٩م)، ص ١٥٩١.

(5) كانت العلاقة بين عدد الطوابق في البيوت والحرم علاقة عكسية، فكلما اقتربت البيوت من الحرم ارتفع البناء ليشمل عدداً من الطوابق، وكلما ابتعد قلت الطوابق، ويعود السبب في ذلك أن البيوت القريبة من الحرم تؤجر في موسم الحج عكس البعيدة.

(٦) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ص٣٥١.

وحول المطاف كان ثمة سياج من القناديل المضاءة بها الأروقة[١]، وشرع السكان في تعليق مصابيح الكاز في الشوارع وأمام منازلهم[٢].

ونتيجة للجبال المحيطة بمنطقة الحرم والمساحة الضيقة حوله والتي حرص الجميع في استغلالها والبناء عليها فإن ذلك أثر على **تخطيط شوارع مكة** فتميزت بعدم استقامتها وعشوائية تخطيطها، فتارة تتقدم البيوت وتارة تتأخر عن خط الشارع، ورغم ذلك فقد شهد الرحالة بوركهارت على أن: (مدينة مكة من المدن التي خططت على نحو أنيق، فشوارعها بصفة عامة أعرض من شوارع المدن الشرقية الأخرى، ودورها أ كثر فخامة )[٣].

ويتفرع من **الشوارع الرئيسة شوارع ضيقة** يطلق عليها اسم (حارة)[٤]، وكان لكل حارة من حارات مكة شيخ خاص بها يتولى شؤونها[٥].

ولأجل ضيق هذه الشوارع والحارات في الجملة، وكونها في الجبال والشعاب، لذا كانت **وسائل النقل** تعتمد على الخيل والبغال والحمير والجمال[٦].

واستخدمت كذلك **العربات الكارو** والتي كان يجرها حصان أو بغل، وهي عبارة عن مركبة خشبية قوية مزخرفة وملونه من الخارج لها درابزين من الخشب المخروط المصبوغ بالألوان المختلفة، وفي داخلها على الجانبين مصطبتان خشبيتان لجلوس الركاب، وللعربة عجلتان كبيرتان على كل منهما طوق حديدي متين يقيان العجلتين من التمزق والتطاير، ويحمل العربة "دنقل" حديدي إمعاناً في تثبيتها [٧].

---

(١) محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص ٣٠ـ ٣١ .

(٢) ريزفان: الحج قبل مئة سنة ، ص١٤٤.

(٣) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١٠١.

(٤) ريزفان: الحج قبل مئة سنة، ص١٤٤؛ أحمد علي الشاذلي: الرحلة الوهبية إلى الأقطار الحجازية، ( القاهرة، مطبعة الإسلام :١٣٢٢هـ)، ص٥٢.

(٥) السنجاري: منائح الكرم، ج٥، ص٣١٤.

(٦) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص٢٠٠؛ البتنوني: الرحلة الحجازية، ص ٦٢.

(٧) عبد القدوس الأنصاري: يوم في متحف مكة المكرمة، (المنهل، مج٢١، ج٥، جمادى الأولى ١٣٨٠هـ/ نوفمبر ١٩٦٠م)، ص١٣٥٢.

وهناك **عربات خاصة لرش الماء** في شوارع مكة منعاً لتطاير الأتربة وإيذاء المارة، حيث تربط دابة إلى عربة ذات عجلتين وفوقها برميل يحمل الماء وله في آخره رشاشات وله مسك ومفك، وتخترق العربة **الشوارع الرئيسة** بمكة كشارع المسعى إذ تخترق الشارع من الصفا إلى المروة، وبالعكس، فترش ما بينهما بعد كل عصر، فيهدأ الغبار ويتلاطف الجو ولاسميا في فصل الصيف، كذلك الحال بالنسبة **لبقية شوارع مكة الكبرى** الموجودة ما بين جرول والمعابدة، فترش هي الأخرى بالماء ولكن بواسطة قرب السقائين، كل مساء، مقابل مبلغ زهيد قد لا يتعدى القرش شهرياً يتحمل دفعه لهم أصحاب الحوانيت الممتدة على طول هذه الشوارع فهم أكثر المستفيدين من عملية الرش، أما بالنسبة **للحارات والأزقة** فإن شيخ الحارة هو المسؤول عن نظافتها، فكان يهييء لها كناس يقوم بجمع المخلفات وتنظيف الأزقة والحارات[(١)].

**وكانت شوارع مكة تزين** في الكثير من المناسبات السعيدة، فعندما تولي الشريف سعد بن زيد الإمارة عام (١١١٦هـ/١٧٠٤م)، نادى المنادي في شوارع مكة بالزينة فزينت له مكة ثلاثة أيام[(٢)]، وكذلك تظهر الزينات **ليلة الختمة** أي عند ختم التراويح في المسجد الحرام، حيث توضع فوانيس كبيرة الحجم من الزجاج الملون بألوان مختلفة كالأحمر والأزرق والأبيض محمولة على كراسي خشبية مخرمة مخروطة ما بين مثلثة أو مربعة، ومزخرفه بأشكال بديعة، توضع أمام إمام المسجد أثناء ختمه القرآن بالناس[(٣)].

ولم يحتج المكيون في الجملة إلى **الأسلحة** لانتشار الأمن، إلا أنه لم تخل البيوت من السلاح لرهبة من تسول له نفسه الإلحاد في حرم ا ، وكان سلاحهم هو البندقية والمسدسات والرماح ذوات عصى من جريد النخل، والرماح والسيوف

---

(١) الغزاوي: شذرات الذهب، ص٨١٧، ٨٩٠.

(٢) السنجاري: منائح الكرم، ج٥، ص٣٢٣.

(٣) عبد القدوس الأنصاري: يوم في متحف مكة المكرمة، (المنهل، مج٢١، ج٥، جمادى الأولى ١٣٨٠هـ /نوفمبر ١٩٦٠م)، ص١٣٥١.

والخنجر التي يسمى الواحد منها جنبية وبلطات، وترد البنادق من مصر وسوريا واليمن وتركيا والهند[1]، وكانوا يستخدمون نوعاً من أنواع البارود في **احتفالاتهم في الأعياد والمناسبات السعيدة كالزواج.**

وتسير مراسيم **الزواج** وفق الشريعة الإسلامية فتبدأ بالخطبة ثم عقد النكاح فالزواج وفي الخطبة يتم عقد القران ويقدم العريس المهر إضافة إلى مقدارٍ من سكر النبات المكلل بأوراق الذهب أو الفضة الخفيفة، ومعه كمية من العطور كالورد والعود، مع كمية من الهيل والقرنفل محمول ذلك على خزانة خاصة أو خزانتين ويسمى هذا بـ "**الدفع**" والخزانات أشبه بالمناضد مثمنة الأضلاع مزخرفة منقوشة ومغطاة بغطاء مطرز بالقصب من الفضة المموه بالذهب[2]، وفي فترة العقد يبدأ أهل العروس في شراء ما يلزم للبنت من حلي، ويبدأ العاقد في تجهيز بيت الزوجية، و تحدد بعد ذلك ليلة العرس وعادة ما تكون إما ليلة الجمعة أو ليلة الاثنين، وفي هذه الليلة يرتدي الرجل أفخم الثياب وأجملها ليتميز عن الجميع ويدل على أنه الزوج، فيرتدي الثوب الناعم والجبة من الصوف الجميل وعمامة مقصصة وشالاً من الصوف الفاخر وحزاماً وبعد العشاء يتقدم الزوج وأقاربه وضيوفه في موكب بهيج نحو بيت العروس، وقد اصطف حملة صواني الحلوى التي أعدت للمدعوين على الجانبين ويتقدمهم عن الشمال وعن اليمين حملة مصابيح الشمع، ولما عرفت الأتاريك (وهي مصابيح تضاء بالقاز) شاع استعمالها، ويظل الموكب سائراً مشياً على الأقدام، إلى أن يصل إلى بيت آل العروس، فيستقبلهم والد العروس وأقاربها بالترحيب ويبدأ المنشد بإنشاد القصائد الخاصة بهذه المناسبة، ثم تقدم الولائم والحلوى للجميع[3].

---

(١) محمد بن حسن: المختار من الرحلات الحجازية، (رحلة بيرتون) ، ص ٤٩٩ ـ ٥٠٠ .

(٢) عبد القدوس الأنصاري: يوم في متحف مكة المكرمة (المنهل، مج ٢١، ج٥، جمادى الأولى ١٣٨٠هـ / نوفمبر ١٩٦٠م)، ص١٣٥٣.

(٣) أحمد عبد الإله عبد الجبار: عادات وتقاليد الزواج في الحجاز، (ط١، جدة، منشورات تهامة: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص١٦٥ ـ ٢٠٣.

**أما العروس** فكانت تزين[1]، وتجمل بعقود الفل أو التفاح الأخضر ذي الحبات الصغار[2]، وتؤخذ للمدعوات في زفة بهيجة، وعادة تجلس العروس على منصة خشبية مفروشة بالبسط وقد أضاء المنصة شمعدان ضخم مصنوع من النحاس محلى بشمعة بيضاء كبيرة[3]، لكي يتجلى جمالها أمام الحاضرات، ثم بعد ذلك تقدم للزوج الذي بدوره يقدم لها عدداً من النقود الذهبية[4]، وبعد إتمام مراسم الزفاف تذهب العروس إلى بيت زوجها، وكانت عادة العروس أن تحمل إلى بيت زوجها حتى عام (١٢٩٩هـ/١٨٨١م) في تخت خشبي له باب ونوافذ، فتوضع به العروس وملابسها وفرشها[5]، ليبدآن حياة جديدة سعيدة، فإذا ما ولد لهم مولود يأتي أبوه أو جده فيؤذن في إحدى أذنيه ثم يكبر في الأخرى ويسمونه، وفي اليوم السابع من مولده يدعى لفيف من الأقرباء والجيران؛ حيث تعد الشموع والحلوى ويعمل للمولود "زفة" بالشموع من الأطفال، وعندما يبلغ من العمر أربعين يوماً تذهب به أمه وبعض أقاربها إلى المسجد الحرام رغبة في الخير والبركة من الله[6].

**كما أحيا المكيون أعيادهم** الدينية، وأهمها **عيد الفطر المبارك**، ففيه يتجه معظم السكان وعلى رأسهم الشريف والوالي العثماني والعلماء إلى المسجد الحرام

---

(١) كن يقوم بعملية تزيين العروس وتمشيطها وتجميلها ووضع الحناء لها نساء امتهن هذه الصنعة والتي ما زالت موجودة حتى يومنا الحاضر، أحمد إبراهيم الغزاوي: شذرات الذهب، (المنهل، مج٢٤، ج١٠، شوال ١٣٨٣هـ / مارس ١٩٦٤م)، ص٦٠٤.

(٢) البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٥٠.

(٣) عبد القدوس الأنصاري: يوم في متحف مكة المكرمة ( المنهل، مج ٢١، ج٥، جمادى الأولى ١٣٨٠هـ /نوفمبر ١٩٦٠م)، ص١٣٥٦.

(٤) لمعرفة المزيد عن حفلات الزوج في هذه الأزمنة وما يقام فيها من مظاهر انظر: سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ص٤٥٤؛ محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٩٠.

(٥) عبد القدوس الأنصاري: يوم في متحف مكة المكرمة، (المنهل، مج ٢١، ج٥، جمادى الأولى ١٣٨٠هـ / نوفمبر ١٩٦٠م)، ص١٣٥٦.

(٦) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ص٤٣٥؛ محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٩٣. وما زالت هذه العادة متأصلة في كثير من العائلات المكية مظنة أن ينال المولود رعاية الله وحفظه، وما كان من أذان في أذنه، فهو له أصل في الشرع، وأما الذهاب به في الأربعين للحرم فليس له أصل صحيح في الشرع.

وقد لبسوا أجمل ما لديهم من ثياب، فيؤدون الصلاة ويستمعون إلى الخطبة، ثم ينطلقون إلى زيارة الأقارب وتناول الفطور عندهم، أما **عيد الضحى**، فقد كان مناسبة في مكة ليس كغيرها لأنه يتزامن مع فريضة الحج، فكان اشتغال المكيين بالحج وخدمة الحجاج يحول في الجملة من الاحتفاء به كاحتفائهم بعيد الفطر(١).

**وتأصل في المكيين** عادة تبخير الكعبة وكذلك منازلهم بأجود أنواع البخور مستخدمين المباخر المصنوعة من النحاس أو الفضة ذات الأشكال الجذابة والمزخرفة، حتى إن الدولة العثمانية شاركتهم في تبخير الكعبة ، فكانت ترسل لهم أجود أنواع البخور إضافة إلى مباخر مصنوعة من النحاس عليها شعار الدولة(٢).

ولم يكن البخور وحده هو المستأثر على حب المكيين للروائح العطرة بل شاركه المرش وهو عبارة عن زجاجة ملونه توضع بها ماء ورد أو عطر سائل ترش على الحاضرين أو على المكان المراد رشه(٣).

وعرف **المكيون** وسائل عدة للتسلية والترفيه عن النفس، منها ما هو مخصص للصغار ومنها ما هو للكبار، فقد كان **الصغار** مولعين بلعبة **الكرة**، **والغماية** حيث يختبئ اللاعبون في الأزقة أو ما شابهها، ليبدأ أحدهم بالبحث عنهم فإذا عادوا جميعاً إلى نقطة الانطلاق دون أن يمسك بأحدهم أعادوا الكرة عليه من جديد(٤)، أيضاً كان **للكبار** حظهم من التسلية واللهو، ففي أيام السمر كانت الأراجيز والأغاني كالمزمار، وذلك باستخدام طبول كبيرة مصنوعة إما من الفخار أو النحاس تصاحبها طبول أصغر منها، ويجلس الجميع حول نار مشتعلة تضيء لهم عتمة الليل، وينشدون الأغاني الشعبية، ومن أراد منهم الرقص حمل عصا في يده، وبدأ

---

(١) ابن دهيش: الحياة الاجتماعية في مكة، ص١٩٠.

(٢) عبد القدوس الأنصاري: يوم في متحف مكة المكرمة، (المنهل، مج ٢١، ج٥، جمادى الأولى ١٣٨٠هـ/ نوفمبر ١٩٦٠م)، ص١٣٥٣.

(٣) المصدر السابق، ص١٣٥٦.

(٤) للتعرف على مزيد من هذه الألعاب انظر: مغربي: ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ص٢٥٤ـ ٢٥٦.

يلوح بها بطريقة معينة، ومن وسائل التسلية أيضاً لعبة **الشطرنج والنرد** وغير ذلك مما هو منتشر في تلك الفترة[١].

**ولأهل مكة ولع بالتنزه والخروج إلى الضواحي** وخاصة في الأعياد والأجازات والمناسبات السعيدة، فيخرجون في مواكب كبيرة على الدواب إلى الجعرانة والحسينية والسنوسية والعكيشية والسوله والزيمة ووادي فاطمة، ومنطقة الشهداء، أو بعض البساتين المحيطة بمكة يحملون معهم أنواعاً عديدة من الأطعمة والفواكه، فيقيمون هنالك يوما أو عدة أيام مليئة بالأفراح والألعاب الشعبية[٢].

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الأماكن **تمد مكة** بالمزروعات كالبطيخ والليمون والنورنج والنخيل والبرسيم والخضر بجميع أنواعها المختلفة[٣].

**ومن أماكن منتجعاتهم**: الطائف والهدى[٤]، ووادي المسيل أو مضيق وادي ليمون وصفه الرحالة بيرتون بأنه: (وادي مشهور بنقاء هوائه لذا فهو مكان أثير لانتجاع أهل مكة، فلا شيء يمكن أن يكون أكثر إراحة للنفس والعقل من الأوراق الخضراء الداكنة لأشجار الليمون والرمان، ومن عند سفح التل كان ينساب جدول ماء رقراق خلال البساتين فيمدها بالحياة)[٥].

**كما عرف المكيون الفرح والتكاف في الأعياد عرفوا الحزن عند فراق عزيز،** فإذا مات أحدهم بادر ذووه بغسله والصلاة عليه في المسجد الحرام، ثم ينقل ليدفن في إحدى مقابر مكة إما المعلى أو الشبيكة[٦]، ويقف ذوو الميت عند باب المقبرة لتقبل العزاء[٧].

---

(١) محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٩٣.

(٢) السباعي: تاريخ مكة، ٥٧٣؛ بن دهيش: الحياة الاجتماعية في مكة، ص١٩١، ولا تزال هذه الأماكن مشهورة بهذه الأسماء وهي محيطة بمكة جهتي طريق الطائف وطريق المدينة.

(٣) محمد أمين المكي: الآثار المبرورة لسلاطين آل عثمان في الحرمين الشريفين، ترجمة: سعد الدين أونال، (مكة، جامعة أم القرى ، مركز أبحاث الحج،)، ص٦٣.

(٤) البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٥١؛ محمد صادق : كوكب الحج، ص٢٠١.

(٥) محمد بن حسن: المختار من الرحلات الحجازية، (رحلة بيرتون) ، ص٥٢٥

(٦) أحمد بن إبراهيم الغزاوي: شذرات الذهب، ص١١٤.

(٧) ريزفان: الحج قبل مئة سنة، ص١٥٨؛ سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ص٤٦٤.

ولم يكن فقدان عزيز هو الحالة الوحيدة التي تسبب الحزن لأهالي مكة فهناك **الكوارث الطبيعية كالسيول والأوبئة والقحط والغلاء:**

**فقد أودت السيول** بحياة المكيين والحجاج على حد سواء، وألحقت الضرر الفادح بالمنشئات خاصة المسجد الحرام، ففي عام (١١٥٣هـ/١٧٤٠م) هطلت على مكة أمطار غزيرة أحدثت أضراراً كبيرة، إذ سالت على إثرها سيول جارفة، هدمت العديد من المنشآت ودخلت الحرم الشريف ووصلت إلى باب الكعبة، وتعذر بسببها على الناس الوصول إلى الحرم وأداء صلاة الجمعة، ومن استطاع الوصول لم يتعد النفر ما بين خمسة إلى ستة أشخاص أقاموا الصلاة عند باب الزيادة[١].

وفي عام (١١٥٩هـ/١٧٤٦م) وفي أثناء موسم الحج هطلت أمطار غزيرة بمنى ومكة أدت إلى حدوث **سيول** طمست الكثير من الناس بما فيهم الأطفال[٢].

وفي عام (١٢٧٨هـ/١٨٦١م) **جاء سيل عظيم** ودخل الحرم، فامتلأ المسجد بالمياه، حتى وصل الماء إلى قناديل الحرم وغمر مقام المالكي، وغرق عدد من الناس في المسجد، ولم تسلم الكتب كذلك من التلاف والغرق، كما هدمت مجموعة من الدور، ولعل ما يؤكد عظم هذا السيل والخسائر التي أحدثها في الأموال والأنفس؛ أن آثار المياه التي خلفها بقيت مدة أسبوع في المسجد الحرام[٣].

وفي عام (١٢٨٠هـ/١٨٦٢م) جاء **سيل جارف** دخل المسجد الحرام حتى بلغ ارتفاعه أقفال الأبواب، وهدم في طريقه الكثير من المنازل[٤].

**وكان للسيول أثرها البالغ** في تدمير دور العلماء ووفاتهم وان نجوا لم ينجو أحباؤهم: فقد جرف السيل الذي أصاب مكة دار الشيخ عبد القادر منديلي الجاوي المدرس بالمسجد الحرام فماتت **زوجته وأولاده** تحت الهدم، وكانت المصيبة كبيرة

---

(١) القطان: تنزيل الرحمات، ق٢٦٦؛ الصباغ: تحصيل المرام ، ج٢، ص ٦٢٣

(٢) دحلان: خلاصة الكلام، ص١٩٤.

(٣) غازي: إفادة الأنام، ج٢، ق٥٤٠ـ٥٤٢؛ أيوب صبري باشا: موسوعة مرآة الحرمين وجزيرة العرب، ترجمة : محمد حرب، (دار الأفاق العربية: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ج٢، ٥٤٢.

(٤) ويذكر غازي أن أهل مكة أطلقوا على هذا السيل "أبو قرنين"، وإن لم يقل لنا لماذا، ولعل هذه التسمية نتيجة لفداحته والخسائر التي سببها انظر: إفادة الأنام، ج٢، ق٥٤١.

عليه حتى أنه سافر إلى بلاده جاوه ليجمع من أهل الخير فيها ما يمكن أن يجبر فيه مصيبته، وبالفعل أعانه الأهالي هناك، ورجع إلى مكة ليبدأ من جديد[(١)].

ونظراً لطبيعة مكة الجغرافية، وصعوبة التعامل مع هذه السيول؛ لم تكن سبل الحماية منها بالأمر اليسير، ولا سيما وأنها لم تكن متكررة، بل كانت على فترات زمنية طويلة نوعاً ما، وقد وجدنا في بعض الوثائق العثمانية ما يفيد محاولة التقليل من أخطارها، حيث أمرت الدولة العثمانية بتنظيف وتطهير أزقة مكة من الأتربة منعاً لخطر السيول[(٢)].

**أما الأمراض الفتاكة والأوبئة فربما انتشرت في مكة زمن الحج،** فرغم أن الحكومة العثمانية كانت حريصة على تعيين فريق طبي لمرافقة قوافل الحجاج في الذهاب والإياب لمعالجة الحجاج ومنع انتشار الأمراض ومحاصرة الأوبئة، إلا أن ذلك لم يكن بالأمر الكافي لمنع انتشار الأوبئة التي كانت تفد إلى مكة مع الحجيج، وتؤدي إلى وفاة أعداد كبيرة منهم.

فمن الأمراض التي انتشرت بمكة بسبب الحجيج مرض **"أبو الركب"،** وهو ضرب من الأنفلونزا، كان ينتشر بين الحجاج بسرعة خاصةً الحجاج القادمين من الشمال، حيث كانوا يتناولون الطعام الثقيل على المعدة مما جلبوه معهم من أوطانهم[(٣)]، فتظهر عليهم أعراض المرض على شكل حمى شديدة ووجع في الركب والمفاصل[(٤)].

**وأما "الكوليرا"** فأول ظهور لها في مكة كان عام (١٢٤٠هـ/١٨٢٤م)، حيث وفدت إليها مع حجاج الهند، وفي عام (١٢٤٦هـ/١٨٣٠م) عادت مع الحجاج القادمين إلى مكة لأداء مناسك الحج، وتسببت في وفاة الكثير من أهالي مكة

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٧٧.

(٢) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، وثيقة رقم: ١٠، ١٢٠/ و ح ج ، مؤرخة عام ١٢٣٢هـ .

(٣) ريزفان: الحج قبل مئة سنة، ص١٥٨.

(٤) الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٨٩٥.

والحجاج حتى غصت الأسواق والطرقات بجثث الموتى وعجز الناس عن دفنهم[(١)] وفي عام (١٢٦٣هـ/١٨٤٦م) ظهرت الكوليرا بمكة مع الحجاج أيضاً، فأودت بحياة خمسة عشر ألف حاج[(٢)]، ثم عادت مع الحجاج عام(١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م)، وتوفي منهم بمكة أكثر من مائتي حاج[(٣)]، كما شهدت مكة عام (١٣١٠هـ/١٨٨٢م) أعنف وباء لمرض الكوليرا، مات منه خلق كثير يعدون بالآلاف، مما اضطر معه الألوف من الحجاج أن ينقطعوا عن إتمام المناسك ويغادروا مني في أول أيام النحر، وفي عام (١٣١٩هـ/١٩٠١م) فتك وباء الكوليرا بأرواح الكثيرين من أهل مكة ومن حجاج بيت ا الحرام[(٤)].

وقد عملت **الدولة العثمانية** جاهدة للحد من الأوبئة والأمراض أثناء موسم الحج وذلك باتخاذ التدابير الصحية اللازمة كمنع بيع المأكولات والمشروبات الضارة بالصحة أثناء الموسم، وإرسال الهيئات الطبية إلى الحجاز، ففي عام (١٢٨٣هـ/١٨٦٦م) أرسلت **هيئة** مكونة من رئيس وخمسة أطباء وأربعة حراس، لتقديم **المساعدة للحجاج ومراقبة الوضع الصحي، وتحسين** وضع **مستشفى الغرباء** بمكة، حيث زودته بـ ستين سريراً وأطقم ملابس وآلات وأدوات لازمة[(٥)]، وكان ذلك بناءاً على طلب من شريف مكة ورئيس اللجنة الصحية فيها، حيث تم رفع الأمر إلى الدولة العثمانية وفيه بيان حاجة المستشفى للإصلاح وتوفير كافة المستلزمات الطبية حتى يتسنى لها خدمة الحجاج[(٦)].

---

(١) دحلان: خلاصة الكلام، ص٣٠٩.

(٢) يلدز: الحجر الصحي في الحجاز، ص٢٣.

(٣) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، وثيقة رقم: ١٨/ ١٠٧/ و ح ج.

(٤) محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٢٢٨.

(٥) سهيل صابان: مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز، ص٣٩. ولمعرفة المزيد عن الوضع الصحي بمكة والأمراض التي انتشرت به وأسبابها ومحاولة الدولة العثمانية الحد منها والجهود التي بذلتها في هذا السبيل انظر: بروست: الحج إلى مكة المكرمة وانتشار الأوبئة، ص٢٢١ـ ٢٥٥.

(٦) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، وثيقة رقم : ٤/ ١٠٦/ و ح ج .

وفي عام (١٢٩٦هـ/١٨٧٨م) أمرت الدولة العثمانية **بتعيين أماكن خاصة لذبح الأضاحي** في منى، وعمل **حفر لدفن مخلفات تلك الأضاحي**، في محاولة منها لمنع انتشار الأوبئة والأمراض للمحافظة على الصحة العامة للحجاج والمقيمين[(١)]، كما عملت جاهدة على مداواة المرضى من الحجاج والكشف عليهم وصرف العلاج لهم بالمجان[(٢)].

وفي عام (١٣١١هـ/١٨٩٣م) أمرت بإنشاء **محجر صحي** آخر بجدة، كذلك أمرت **بترميم مجاري المياه بمكة**، والاهتمام **بالنظافة العامة** في أسواقها وشوارعها، إضافة إلى ما قامت به من **توسعة** أخرى لمستشفى الغرباء، إذ تم إنشاء طابق ثانٍ للمستشفى لاستيعاب أكبر عدد ممكن من المرضى، كما قامت بإرسال **عدد من الأطباء والصيادلة** للإشراف على صحة الحجاج، واتخاذ **التدابير الصحية** اللازمة في المشاعر المقدسة كعرفة ومنى[(٣)]، وفي عام(١٣٣٠هـ/١٩١١م) أرسلت **عدداً** من الأطباء للعناية بشؤون الحج[(٤)].

**وكان للأوبئة الأثر السلبي على الحياة العلمية بمكة**، حيث **توفي** من جراء تعاقب هذه الكوارث والأوبئة عدد من **العلماء**، فقد توفي من وباء عام (١٢٧١هـ/١٨٥٤م) الشيخ عبد الله بن محمد صالح مرداد، وهو من علماء المسجد الحرام ومدرسيه إضافة إلى ما كان لديه من مناصب دينيه كالخطابة وإمامة المسجد الشريف[(٥)].

---

(١) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، وثيقة رقم: ١٠٩/١ / و ح ج .

(٢) سالنامه ولاية الحجاز، ع١، س ١٣٠١هـ، ص٦٢. لقد ورثت الحكومة السعودية هذه المكرمة، ففي مواسم العمرة والحج تقدم المراكز الصحية والمستشفيات بمكة كافة الخدمات الطبية لزوار بيت الله الحرام بالمجان ، فجزى الله القائمين على هذا الأمر الخير الكثير.

(٣) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، وثيقة رقم : ٤١/ ١٠٧/ و ح ج .

(٤) محمد أمين المكي: الآثار المبرورة لسلاطين آل عثمان، ص ١٢؛ محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٢٢٨.

(٥) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق١٤٥.

وحين اجتاح وباء الكوليرا مكة عام (١٣١٠هـ/١٨٩٢م) أخذ معه أرواح عدد كبير من الناس منهم علماء أجلاء كالشيخ **حافظ عبد ا بن الشيخ حسين الهندي** المكي الحنفي، أحد مدرسي المسجد الحرام، كان لعلمه الغزير وتقريراته المفيدة أن الشيخ عبد الرحمن سراج كان يعول عليه في كتابة بعض الأسئلة التي تعرض عليه، فكان يحرر الأجوبة عليها بغاية الدقة والصحة، وكان الشيخ عبد الرحمن يبجله وينوه بعظم شأنه، غير أن المنية لم تمهل الشيخ ليرى فيه ما كان يأمله فقد توفي وعمره نحو **أربع وثلاثين سنة**، ودفن بالمعلاة بعد أن صلي عليه عند باب الكعبة، رحمه ا [(١)].

وممن توفي بنفس الوباء ومن نفس العام: الشيخ **حسن بن محمد المالكي** **و**كان من شعراء مكة البارزين مع العلم والتفقه في الدين، صلى بالقرآن العظيم التراويح مراراً بالمسجد الحرام، فقد كان ماهراً في علم القراءات، وأجازه علماء عصره بالتدريس، فاقتدى بعلمه الكثير من طلبة العلم[(٢)].

وممن توفي بنفس الوباء الشيخ **حسن بن عبد القادر طيب** الحنفي، كان من كبار علماء الأحناف بمكة ومن مشايخها البارزين، تولى التدريس بالمسجد الحرام وله العديد من المؤلفات في الفقه[(٣)].

كما حصد وباء عام (١٣١٢هـ/١٨٩٤م) أرواح عدد كبير من علماء مكة منهم الشيخ **محمد بن محمد الكناني**، ولنترك أبو الخير مرداد يسرد لنا حياة خاله فيقول: هو: (محمد بن محمد بن علي الكناني المكي الشافعي، خالي، العالم الثاقب الأديب الصالح، ولد بمكة المكرمة ونشأ بها نشأة حسنة في صيانة ورفاهية وطواعية في كنف والده، فحفظ القرآن العظيم وجوده، وقرأ في العلوم على والده وعلى العلامة السيد بكري شطا، وعلى المحدث الشيخ محمد القاوقجي، وعلى

---

(١) أبو الخير مرداد: نشر النور والزهر، ص١٦٤.

(٢) المصدر السابق، ص١٦٥.

(٣) عبد ا محمد غازي المكي: نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة، (مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم ٣٥٧٣)، ق١٧٤.

العلامة عبد الغني الرافعي وغيرهم وأجازوه بسائر ما لهم من المرويات وبالتدريس فجلس ودرس بالمسجد الحرام، وما زال مشتغلا بذلك حتى وافاه الحمام وانتقل إلى دار السلام، فتوفي بمكة المشرفة في ليلة الثامن عشر من ذي الحجة سنة اثني عشر وثلاثمائة وألف، وصلي عليه عند باب الكعبة ...، ودفن بالمعلاة ..، وكان ذلك **بداء الوباء** أصيب به بعد صلاة ظهر يوم السابع عشر، وقضى عليه بعد صلاة المغرب، فكتب له الشهادة،..)[١].

وممن توفي بهذا الوباء من نفس العام العالم الشاب الشيخ **محمد بن عبد العزيز بن عباس مالكي،** كان من مدرسي المسجد الحرام المشهورين، أصيب بالوباء فمات منه على الفور ودفن بالمعلاة[٢].

**ولم تكن الكوارث منحصرة في الأوبئة والأمراض،** بل ربما كانت أيضاً في **الغلاء** الناجم عن الأمراض أو قلة الوارد من التجارة نتيجة هجمات العربان، أو غير ذلك من الأسباب[٣]، ففي سنة (١١١٥هـ/١٧٠٣هـ) اشتد الغلاء وتضاعفت أثمان الأقوات كالأرز والسمن وغيرهما ، ويصف السنجاري هذا الغلاء بقوله: (وفي هذه السنة جعل الغلاء يزداد في كل يوم وساعة، وأطال بالناس التعب وفقد كل شي، فلما كان شهر صفر اشتد الحال بالناس ووصل الحب الإردب إلى عشرين أحمر، ونفذ كل شي والأمر لا يزداد إلا شدة، إلى أن وصلت كيلة الحب المكي إلى نصف ريال والأرز إلى قرش ريال، وانتهى الأمر إلى الأطراف فساوى سعر الطائف سعر مكة، وعدم السمن، ولحقت شدة)[٤].

ولم يكن العلماء بمكة بمعزل عن الأهالي بل نراهم يهتمون بشؤونهم، ولاسيما الفقراء منهم وأهل الحاجة والمسكنة، فعلى سبيل المثال كتب علماء مكة وأئمتها وخطباؤها محضراً إلى الباب العالي طالبوا فيه بإنشاء مخزن في جدة تجمع

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٧٩.

(٢) المصدر السابق، ص٤٨٠.

(٣) تم بحث أسباب التدهور الاقتصادي النسبي في آخر مبحث الحياة الاقتصادية من هذه الرسالة.

(٤) السنجاري: منائح الكرم، ج٥، ص٢٩٠.

فيه الغلال القادمة من مصر للمحافظة عليها من التلف نظراً لرطوبة الأرض وهطول الأمطار، مما يحدث ضائقة مالية للفقراء والمحتاجين في مكة[1].

ولما كان المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى، فقد كان **لمصر الأيادي البيضاء** في الوقوف بجانب المكيين في أزماتهم، فعندما اشتد الغلاء بمكة عام (١١١٥هـ/١٧٠٣م)، وعدمت الأقوات أرسلت مصر المراكب المحملة بالغلال والحبوب، ففرح الناس بمكة كثيراً ورخصت الأسعار بها ،مما دفع التجار الذين احتكروا الحبوب إلى إظهارها في الأسواق خوفاً على كسادها[2].

وفي عام (١٢٧٩هـ/١٨٦٢م) أرسل خديوي مصر إسماعيل باشا[3] الغلال الحبوب إلى الحجاز للتوسعة على أهلها لما بلغه أنهم يحتاجون إلى ذلك لغلاء حل بهم[4].

كذلك كان **للتكية المصرية**[5]، والتي شيدها محمد علي باشا في مكة عام (١٢٣٨هـ/١٨٢٢م) بشارع أجياد، دور بارز في التكافل الاجتماعي، فقد عمل جميع موظفيها في خدمة الفقراء سواء فقراء مكة أو القادمين إليها من الحجاج فكان يصرف لهم الخبز والقمح والأرز والسمن واللحم والحمص[6].

---

(١) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، وثيقة رقم: ٣٤/ ١١٠/ و ح ج .

(٢) السنجاري: منائح الكرم ، ج٥، ص٢٩٠- ٢٩١.

(٣) هو **إسماعيل بن إبراهيم باشا** بن محمد علي، حكم مصر من عام (١٢٨٠هـ/١٨٦٣م) وحتى عام (١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م)، انظر: صلاح أحمد هريدي: دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر "١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م - ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م"، (ط١، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: ٢٠٠٠م)، ص٢٣٤.

(٤) عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر فيما مضى من الحوادث والعبر من هبوط أبينا آدم أبي البشر إلى القرن الثاني عشر، (مخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم: ١٠٠ تاريخ) ق٣٣٤.

(٥) **التكية**: جمعها تكايا، وهي لفظ استعمل بديلا للفظ خانقاة، والخانقاة كلمة فارسية معناها بيت العبادة، أو بيت الأكل، ويعود تاريخ إنشاء الخوانق إلى حدود القرن الرابع الهجري، أحمد بن علي المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م)، ج٢، ص٤١٤؛ محمد عبد القادر الخطيب: تاريخ التربية الإسلامية،(القاهرة، ١٩٨٤م)، ص٣٢.

(٦) سالنامه ولاية الحجاز، ع١، س١٣٠١هـ، ص ٦٥؛ إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص ١٨٥- ١٨٦.

وقد أولت الحكومات المصرية المتعاقبة اهتمامها بهذه التكية لبقاء استمرارها وعطائها ففي عهد الخديوي عباس[1] جدد مبنى التكية وقد كتب على بابها أبياتاً تخليداً لهذه المناسبة نقلها الغازي في كتابه وهي:

لعباس مولانا الخديوي فضائل     عليها دليل كـل يوم مجدد
رأيناه قد أحيا تكيـ ـ ـة جدهِ     فقلنا أعباس بنى أو محمد[2].

وكان الفقراء يحصلون على طعامهم اليومي بالمجان، حتى إن عدد المستفيدين بلغ في بعض السنوات خمسمائة شخص يومياً، ويزداد هذا العدد في المواسم كالحج والعمرة[3]، ولم يكن عطاء التكية المصرية محصوراً على الفقراء بل تعداه إلى كافة طبقات المجتمع المكي بدءاً بالأشراف والعلماء وانتهاء بطلبة العلم والذين استفادوا من أعطياتها المالية والعينية[4].

كما أقام السلطان عبد الحميد من ماله الخاص مبنى كبير عرف ب"**دار الضيافة** " بمنطقة جرول وتدعى "**مسافر خانة**" وكانت لفقراء مكة وحجاج بيت ا ، مكونة من طابقين ولها فناء واسع وأبواب ونوافذ من الخشب، وتستوعب أربعة آلاف شخص، وقد زودت بطاقم من الموظفين، منهم ناظر وإمام ومؤذن وعدد كبير من الخدم، وتألفت الوجبة المقدمة كل يوم من حساء وأرز مع اللحم ورغيف وأطعمة أخرى، وتم افتتاحها سنة (١٣١٨هـ/١٩٠٠م)، غير أنها ظلت خاوية على

---

(١) هو الخديوي **عباس الأول** بن طوسون باشا بن محمد علي، تولى حكم مصر عام (١٢٦٦هـ/١٨٤٩م) وحتى عام (١٢٧١هـ/١٨٥٤م) . انظر: هريدي: دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ص٢٣١.

(٢) غازي: إفادة الأنام، ج٣، ق٢٢٠ ـ ٢٢٢.

(٣) ريزفان: الحج قبل مئة سنة، ص١٤٣؛ البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٥٨.

(٤) محمد آل زلفة: إصلاحات حسيب باشا، ص٦٩؛ وقد ظل عطاء التكية المصرية حتى وقت قريب من العهد السعودي، انظر: محمد عبد السلام الجندي: تقرير في بعض مشاهدات وملاحظات عن الأقطار الحجازية عام "١٣٥٦هـ/١٩٣٨م"، ( القاهرة، مطبعة الاعتماد: ١٩٣٩م)، ص١٠ ـ ١١.

عروشها إلا من موظفيها، إذ زهد المحتاجون فيها لبعدها عن الحرم رغم الرعاية الفائقة المقدمة لهم[1].

---

(١) غازي: إفادة الأنام، ج٣، ق٢٢١؛ محمد أمين المكي : الآثار المبرورة لسلاطين آل عثمان، ص ٩. وانظر منظر لـ"مسافر خانة" السلطان عبد الحميد الملحق رقم ٤ / ب.

## الفصل الأول

## عوامل ازدهار الحياة العلمية في مكة

- اهتمام الدولة العثمانية وولاتها، والأهالي بالتعليم.
- الأسر العلميـ ـ ـة.
- رحلات الحج والعمرة وأثرها في تشجيع العلاقات العلمية بين مكة والبلدان الإسلامية.

## اهتمام الدولة العثمانية وولاتها والأهالي بالتعليم

اهتم الإسلام بالعلم، وحث عليه وبين فضله، وآيات القرآن مملوءة بالإشادة بالعلم والعلماء، قال تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[1] .

ومما يظهر اهتمام الإسلام بالعلم والتعليم قول ا تعالى في معرض ذكر نعمه على خلقه: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[2] .

ولقد ضرب الرسول ﷺ قائد هذه الأمة المثل العملي لتنفيذ أوامر ا عز وجل في الاهتمام بالعلم والتعليم والحث عليه، ففرض على كل أسير من أسرى بدر يجيد القراءة والكتابة ولا يستطيع أن يفدي نفسه أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة[3]، كذلك حث النبي ﷺ أصحابه على تعلم اللغات الأجنبية، فطلب من زيد بن ثابت[4] رضي ا عنه أن يتعلم كتابة اليهود لأنه لا يأمن جانبهم[5].

وسار حكام الدولة الإسلامية على نهج النبي ﷺ فهم قادتها وقدوتها، وحماة الشريعة، وديننا الإسلامي الحنيف يحث على العلم وطلبه وخاصة علوم الشريعة الإسلامية الغراء، ويفضل فيمن يلي أمر المسلمين أن يكون على علم وفهم بعلوم الشريعة التي يكون تطبيقها في الرعية من أوجب واجباته.

فكان هذا الاهتمام العلمي أمراً طبيعياً في حكام المسلمين، فإن الاهتمام بالحياة العلمية في الحرمين الشريفين أشد وأبين، لما لمكة والمدينة من المكانة الدينية العالية

---

(1) سورة الزمر، آية: ٩.

(2) سورة البقرة، آية: ١٥١.

(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى، (بيروت، دار صادر)، ج٢، ص٢٢.

(4) هو أبو سعيد زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري، كاتب النبي ﷺ وأمينه على الوحي، قدم رسول ا ﷺ المدينة وزيد ابن إحدى عشرة سنة، وكان شاباً ذكيا ، جمع القرآن الكريم على عهد رسول ا ، وجمعه في صحف لأبي بكر، ثم تولى كتابة مصحف عثمان، كان عمر يستخلفه على المدينة إذا حج، توفي بالمدينة سنة ٤٥هـ ، انظر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: معرفة القراء، تحقيق: أبي عبد ا محمد حسن، ( ط١، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص١٧ ـ ١٨

(5) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ، ص .

في النفوس، ويتبع ذلك أيضاً اهتمام الأهالي لوجودهم في رحاب البلاد المقدسة التي تضفي على ساكنيها حباً للعلم واستشعاراً لأهميته والحاجة إليه.

ولقد حفلت فترة البحث بأمثلة متنوعة لهذا الاهتمام الحكومي والأهلي بالتعليم والعلماء بمكة، فقد عرف عن سلاطين آل عثمان حبهم للعلم وتكريمهم للعلماء[1].

ومن أمثلة من اشتهر من سلاطين آل عثمان باهتمامه بالعلم فترة البحث السلطان مصطفى بن أحمد[2]، كان له ولع بالعلم وخاصة علم الرياضة والفلك، وله مؤلف في هذا الفن دقيق، كما كان يكرم أرباب العلوم والمعارف، فمن ذلك مراسلته لعدد من علماء مكة والمجاورين بها، منهم الشيخ حسن والد المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي، والشيخ أحمد الدمنهوري، والشيخ حسن العجيمي المكي، فكان يهاديهم ويرسل لهم الصلات والكتب، فقد أرسل إلى حسن العجيمي ثلاثة كتب مكلفة من خزانته، وهي: كتاب "القهستاني الكبير"، و"فتاوى القروي"، و"نور العين في إصلاح جامع الفصولين" وكلاهما في الفقه الحنفي[3].

وهذا إن دل فإنه يدل على عدة أمور، منها أن السلطان لم يأنف أن يراسل العلماء وهم من رعيته، **فالتواضع** في ذلك عزيز لمن هو في هذه المنزلة إلا أن القادة الصلحاء ينظرون للعلماء نظرة عالية بحيث يستصغرون أنفسهم عند العلماء فلا يأنفون من مراسلاتهم فحسب، بل ويسعدون بها أيضاً.

كما أن **نوعية الهدايا** التي يهدي بها كانت ولا بد أن تشمل الكتب العلمية والتي وصفت في هدايا **السلطان مصطفى خان** بأنها مكلفة، فهي نسخ قد لا يستطيع العالم الحصول عليها إلا بكلفة تفوق مقدرته المالية، فهذا من أعظم أنواع إعانات

---

(1) رسالة للشيخ أحمد دحلان في شأن الدولة العثمانية، مطبوعة مع سالنامه ولاية الحجاز، ع ٣، لعام ١٣٠٣هـ، ص١١٣.

(2) هو السلطان مصطفى خان الثالث ابن السلطان أحمد، تولى السلطنة عام (١١٧١هـ/١٧٥٧م)، تم في عهده العديد من الإصلاحات السياسية، وصف بالعدل والصلاح وحب الخير، انشأ العديد من المنشآت الاجتماعية والعلمية كالمستشفيات والتكايا والمدارس، توفي عام (١١٨٧هـ/١٧٧٤م)، محمد فريد: تاريخ الدولة العلية ، ص١٥٢-١٥٩.

(3) الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص٤٣٨.

الحكام للعلم والعلماء، ولا غرو في ذلك فلقد كان السلطان مصطفى مشاركاً في العلوم حتى إنه اضطلع بوضع مؤلف وصف بأنه: "دقيق" أي ليس جمعاً ولا نقلاً عن غيره بل هو نتاج فكر منظم ودقة في الاختيار.

وتتابع السلاطين العثمانيون في اهتمامهم بالتعليم بمكة حتى وإن لم يكونوا مشاركين في العلوم بسهم، ولم يكن لهم من الاشتغال بالعلم حظ، فقد زاد السلطان **محمود الثاني**[1] من معاشات العلماء بالمسجد الحرام، إذ يذكر دحلان أنه قام بـ: (ترتيب المعاشات الشهرية والسنوية لخطباء الحرمين وعلمائهما وخدمة الحرمين الشريفين زيادة على ما كان لهم، وذلك أنه في سنة إحدى وخمسين ومائتين وألف اشترى أملاكاً كثيرة وعقارات ووقفها وشرط في غلتها أن تكون معاشات وسنويات لأهل الحرمين زيادة على ما هو مرتب لهم قبل ذلك من المعاشات والصرر والجرايات ...... فلما تسلطن ولده السلطان عبد المجيد ضم إلى ما رتبه والده مثله وكل ذلك يجري على ما رتباه إلى وقتنا هذا ..)[2].

وقد أثر عن السلطان **عبد المجيد** حبه للعلم إذ أصدر أوامره عام (١٢٦٤هـ/١٨٤٧م) بإنشاء وقف له بمكة يشمل مدرسة ومكتبة وسبيلاً ومنازل للسكنى[3]، وقد توفي السلطان والمبني تحت الإنشاء، فأكمل ابنه بعض منشئات البناء بعد أن تعثر بناؤه أكثر من مرة وتوقف إنشاؤه أحياناً كثيرة[4]. وهذا يدل على ضخامة البناء وحجم المبالغ المالية التي صرفت عليه.

---

(١) هو السلطان محمود الثاني ابن السلطان عبد الحميد الأول، تولى الخلافة في الفترة من بين عام(١٢٢٢هـ/١٨٠٨م) وحتى عام (١٢٥٥هـ/١٨٣٩م) انظر: محمد فريد: تاريخ الدولة العلية، ص١٩٧.

(٢) رسالة للشيخ أحمد دحلان في شأن الدولة العثمانية ، ص١٢٦.

(٣) الأرشيف العثماني: وثيقة رقم: ٢٤٥٣، نقلاً عن سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز ـ الأوقاف ـ المدارس ـ المكتبات ، (الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة:١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص٤٢ـ ٤٣.

(٤) رسالة للشيخ أحمد دحلان في شأن الدولة العثمانية ، ص١١٣.

وكان لعلماء مكة منزلة مرموقة عالية عند السلاطين العثمانيين، فعادة ما كان السلاطين يستقبلونهم بكل حفاوة وترحاب، ويعملون جاهدين على تحقيق مطالبهم وإرضائهم بالأعطيات والهدايا.

فحين سافر إمام وخطيب المسجد الحرام الشيخ **عبد الرحمن بن حسن العجيمي** (ت١٣٠١هـ/١٨٨٣م) إلى اسطانبول لمقابلة السلطان **عبد العزيز**(١) ليتباحث معه بشأن موظفي المسجد الحرام من أئمة وخطباء ومدرسين، وزيادة رواتبهم، فاستقبل هناك بكل حفاوة وترحاب من قبل السلطان وحاشيته، وخطب في مسجده يوم الجمعة خطبة كان لها أثرها في نفوس المصلين، وأكرمه السلطان، وحقق رغبته(٢).

وهذا يدل على بلاغة الشيخ عبد الرحمن، حيث أثر في نفوس المصلين من خلال خطبة واحدة، كما أثر في السلطان نفسه، والذي اعترف بعلمه فكان أن حقق ما أراده من زيادة المخصصات لأئمة الحرم الشريف.

وممن احتل مكانة مرموقة من قبل الدولة وولاتها ووصلته بالهبات والعطايا الشيخ **رحمت ا الهندي** (ت١٣٠٨هـ/١٨٩٠م) مؤسس المدرسة الصولتية بمكة فمنذ أن وصل إلى مكة عام (١٢٧٤هـ/١٨٥٧م) فاراً بدينه من سطوة الإنجليز والعدوان الغاشم الذي داهم بلاده الهند، وبعد المناظرة التي تمت بينه وبين القس فندر، أرسل السلطان **عبد العزيز** إلى أمير مكة الشريف عبد ا بن محمد يطلب منه الاستفسار من الحجاج الهنود عن حقيقة المناظرة التي تمت بين الشيخ رحمت ا والقسيس فندر وما حدث له، فكتب إليه الشريف عبد ا عن التجاء الشيخ رحمت ا إلى مكة، فطلب السلطان حضوره إلى اسطانبول، فسافر الشيخ ونزل بالقصر السلطاني فلما وصل خبر قدومه مسامع فندر هرب خوفاً من مناظرته مرة أخرى

---

(١) هو السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود الثاني، تولى السلطنة بعد وفاة والده عام (١٢٧٧هـ/١٨٦١م)، تم عزله عن السلطة وتوليه السلطان مراد خان الخامس ابن عبد المجيد الحكم عام (١٢٩٣هـ/١٨٧٦م)، انظر: محمد فريد : تاريخ الدولة العلية، ص٢٨٧، ٣٢١.

(٢)غازي: نظم الدرر، ق١٨٨؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٩١.

فلما علم السلطان عبد العزيز بهرب القس أعاد الشيخ إلى مكة معززاً مكرماً[1]، وفي عام (١٢٩٩هـ/١٨٨١م) أنعم السلطان العثماني عليه بالخلعة السلطانية ووسام المجيدي ورتبة "فايا الحرمين" أي "ركن الحرمين"، وهي رتبة لا تمنح إلا لرجال العلم والمجاهدين، وفي عام(١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) ونتيجة لمواقف الشيخ رحمت ا ، وجهاده في نشر الدين والعلم، طلب السلطان **عبد الحميد الثاني** من شريف مكة عون الرفيق ابتعاثه إلى اسطانبول، فلما وصل إلى هناك نزل بالقصر السلطاني وأكرمه السلطان وطلب منه ترجمة كتابه "**إظهار الحق**" فحقق رغبة السلطان وقام بترجمته إلى عدة لغات وطبع، وكان سلاحاً في يد علماء الدين لنصرة الإسلام، وقد طلب منه السلطان الإقامة باسطانبول فاعتذر، ورجع إلى مكة وقد رتب السلطان له ولعائلته رواتب تسد حاجاتهم[2].

فمن خلال هذا السرد يتضح لنا مدى اهتمام سلاطين آل عثمان بالعلماء وإنزالهم المكانة اللائقة بهم وبعلمهم، كذلك متابعة السلطان لأمر مناظرته مع ذاك القس فندر فإن هذه المتابعة تنم عن اهتمام حقيقي من سلاطين بني عثمان بنشر الدين الإسلامي والرد على المخالفين له.

ولم يقتصر حب السلاطين على حب العلم والعلماء وإكرامهم بالهبات والعطايا، بل شملت **عطاياهم أهل الحرم**، ولاسيما من طالبي الجوار به وطلبة العلم المحيطين بأروقته، فقد أرسل السلطان عبد الحميد الثاني مبلغاً وقدره [١٠٠٠] ليرة عثماني لفقراء وحجاج الهند من حسابه الخاص[3].

كما اشتهر عن هذا السلطان حرصه على نشر العلم، ومسايرته لمجريات العصر فيما يتعلق بأمور العلم، فنراه يحرص على إدخال المطبعة إلى ولاية الحجاز، وتم له ذلك بإنشاء **المطبعة بمكة** عام (١٣٠٠هـ/١٨٨٦م)، ويؤرخ أحمد دحلان مآثر السلطان عبد الحميد واهتمامه بالعلم ونشره فيقول: (من المآثر

---

(1) تقرير عن المدرسة الصولتية،ص١٣٦.

(2) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٩٦.

(3) محمد أمين المكي: الآثار المبرورة لسلاطين آل عثمان، ص٥.

والخيرات الجليلة العامة الفائدة للخصوص والعموم أنهم وضعوا مطبعة بمكة المشرفة ليطبع فيها كتب العلوم لكثرة انتشار العلم في موضع مهبط الوحي المكين فيحصل لهم بذلك ثواب نشر العلم وتأييد قواعد الدين، وكان وضع المطبعة .... في مدة سلطنة ...عبد الحميد خان الثاني .... في مدة إمارة مكة والمدينة وولايتهما... الشريف عون باشا .. وعثمان نوري باشا وفقهما ا )[1].

ومن الحوادث المشهورة التي تنبئ عن الاهتمام البالغ للسلطان عبد الحميد بالعلم والتعليم بمكة، أن الشيخ طاهر سنبل المكي (ت١٢١٨هـ/١٨٠٣م) كان من محققي علماء وقته وعلم السلطان بمنزلته من العلم، وأنه يمتاك **نسخة لصحيح البخاري**، صحيحة مقابلة، وعليها سماعات العلماء، ومحررة منقحة، فأرسل السلطان لذويه، وأخذها حتى تتم الطباعة على وفقها، وأجازهم عليها جائزة سنية، فالنسخ المطبوعة في هذا العهد المتداولة كانت نسخة الشيخ طاهر رحمه ا تعالى[2].

ولم يتوقف عطاء سلاطين بني عثمان على إرسال الصرر، وتوزيع الهبات على العلماء وطلبة العلم[3]، بل حرصوا على إنشاء ورعاية المؤسسات التعليمية من المدارس والكتاتيب والمكتبات، وأقاموا لها مساكن خاصة لإيواء المعلمين والطلاب الدارسين، ورتبوا لهم الرواتب والجرايات، وأوقفوا الأوقاف الكثيرة عليها لضمان استمراريتها، كالسليمانية والداودية ومدرسة محمد باشا وغيرها[4].

كما شمل اهتمامهم إنشاء **المكتبات العامة** وترميم الكتب وإصلاح ما تلف منها، فكانت الدولة ترسل عمالاً مختصين من اسطانبول لترميم الكتب وتجليدها، وقد وفرت لهم الأموال اللازمة لشراء الجلود والأدوات الخاصة بالتجليد وغير ذلك[5].

---

(1) رسالة للشيخ أحمد دحلان في شأن الدولة العثمانية، ص١١٤.

(2) جعفر بن أبي بكر اللبني: الحديث شجون شرح الرسالة الجدية لابن زيدون، (مخطوط بمكتبة مكة المكرمة، رقم: ٣٢ / أدب) ، ق٧٨.

(3) Shaw. J : The Finacial And A dministrative Organization and Development of Ottoman Egypt 1517 – 1798 . Princeton . New jersey 1964 . P . 399.400.

(4) سالنامه ولاية الحجاز، ع ا، س١٣٠١هـ، ص ٦٣ .

(5) سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص٢٥.

وقد بلغ الاهتمام الحكومي مداه من خلال استكمال متطلبات صيانة الكتب، **فإن تجليد الكتب وتوفير الأدوات اللازمة**، وإرسال العمال المختصين هي مسألة تأتي عادة في خاتمة سلم الاحتياجات، وعادة يتقدم ذلك تجهيز المكتبة، بتوفير الكتب والأوراق والأقلام إلى أخر قائمة احتياجات التعليم ومستلزماته، كما أن إرسال العمال المختصين من عاصمة الدولة له **دلالة إيجابية**، تعكس مدى العناية بالكتب بحيث يكون التجليد فاخراً على أعلى مستويات الجودة، حباً في العلم، وكتب العلم وإبقاء لها وقفاً جارياً، يستفيد منه أهل الحرم، وكل من ورد إلى البلد الحرام من طلاب العلم ومحبيه.

**اهتمام أمراء مكة وأشرافها بالتعليم:**

تسابق أمراء مكة في الميدان مع سلاطين بني عثمان في الاهتمام بالتعليم وقد حظي البحث بأمثلة للعديد من الولاة الذين أسهموا في إثراء الحياة العلمية والتعليم بمكة خلال فترة البحث، وذلك من خلال اهتماماتهم الشخصية التي سبقت توجيه الدولة، فلقد عرف الكثير منهم باشتغاله بالعلم، ومن لم يشتغل به كان محباً له مندرجاً في سلك الطلاب، جامعاً لكتب العلم وواقفاً الأوقاف الكثيرة عليه.

فقد سرد لنا التاريخ سيرة عدد من أشراف وأمراء مكة عرف عنهم حبهم للعلم، وتقريب أصحابه إلى مجالسهم، وبذل الأعطيات والهبات لمستحقيها، فتذكر المصادر أنه أثر عن **الشريف عبد الكريم بن محمد** عادة، وهي أنه كل يوم خميس يقوم بالمرور على مشايخ الحرم، ويكرم العلماء، ويفرق الأعطيات والأموال على طلبة العلم والمحتاجين، فقد أورد لنا السنجاري أنه في عام (١١٢٢هـ/١٧١٠م): (نزل الشريف إلى المسجد ودار على جاري عادته وجاري عادة مشايخ الحرم، ثم بعد ذلك فرق شيئاً من الإحسان على الأغوات[1] .. ومكاتب الأطفال، وألبس الشيخ

---

(1) الأغوات: جمع أغا، وهو الطواشي، وكانوا يجلبون من الأقطار البعيدة، وإن كان أكثرهم من السود، ثم دخل البيض في سلك الأغوات، وكانوا في الأساس لخدمة حريم السلطان، ثم تطور الأمر ودخلوا شتى ميادين الحياة في العصر العثماني، بما فيها خدمة الحرمين الشريفين، انظر: أحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، (القاهرة، ١٩٧٩م)، ص١٧ ـ ١٩.

تاج الدين القلعي المفتي ـ مفتي الحنفية ـ والشيخ محمد الشيبي والسيد أحمد أفندي نائب الحرم أفرية من القاقم، وألبس الشيخ عبد اللطيف الريس صوفاً نفيساً)[١].

كما عرف عن **الشريف مسعود بن سعيد،** حبه للعلم والأدب، فكان **مجلسه لا يخلو من أصحاب الخطابة والإنشاء،** يقربهم منه ويدنيهم من مجلسه، منهم الأديب الشاعر إبراهيم بن عبد الرحيم الشامي نزيل مكة (ت١١٥٣هـ/١٧٤٠م)، جعله الشريف من كتابه وجلسائه لمهارته في الخطابة والإنشاء وحسن خطه[٢].

أما أمير مكة الشريف **مساعد بن سعيد،** فكان أديباً شاعراً له نظم، حتى إن شعراء زمانه مدحوا شعره لجودته، وصف بالكرم والسخاء خاصة على **أرباب الأدب والشعر** الذين امتلأ مجلسه منهم[٣]، كالشاعر الأديب جعفر بن محمد البيتي المكي، المدرس بالمسجد الحرام، الذي جمع بين السياسة والرياسة، والعلم والأدب والشعر، فقد كان وثيق الصلة بأشراف مكة، تولى لهم مناصب كبيرة في المدينة آخرها منصب الممثل الإداري لأمير مكة[٤].

أما أمير مكة **الشريف محمد بن عبد المعين بن عون** فقد اهتم بقراءة بعض **كتب العربية** على مفتي المالكية الشيخ حسين بن إبراهيم المالكي (ت١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م)[٥].

ونلحظ من ذلك تنوع اهتمامات الأشراف فلم يكن اهتمامهم مقتصراً على العلوم الشرعية دون **الأدبية،** وأن من كان يميل إلى فن من الفنون فهو أكثر إنفاقاً في هذا المجال دون غيره.

---

(١) السنجاري: منائح الكرم، ج٥، ص٤٨٨، ولعل أفرية القاقم نوع من أنواع الجبب الصوفية الجيدة النوعية

(٢) غازي: نظم الدرر، ق٧٤.

(٣) ابن عبد الشكور: تاريخ أشراف وأمراء مكة، ق ٩٤ـ ٩٥.

(٤) المرادي: سلك الدرر، ج٢، ص٩؛ الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص٣٧٣؛ مراد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٥٣.

(٥) الصباغ: تحصيل المرام ، ج٢، ص ٨٠٢.

كما كان من عادة أمراء وأشراف مكة في موسم الحج، **الاجتماع بعلماء بلدان العالم الإسلامي**، والتباحث معهم في أمور فقهية وعلمية متنوعة، إضافة إلى تناول أوضاع العالم الإسلامي، وما يستجد فيه من وقائع وأحداث.

فعلى سبيل المثال تميز مجلس **الشريف محمد بن عون** باشتماله على **علماء المشرق والمغرب**، لتباحث القضايا المستحدثة والفتاوى المهمة، وعادة ما كان يعقد مجلسه الذي يستقبل فيه ضيوفه من العلماء والمشايخ في مدينة الطائف لعليل جوها وطيب هوائها، فقد تحدث روش في رحلته أن الشريف محمد قد جمع علماء بغداد ودمشق والمدينة ومكة الذين جاؤوا إلى الطائف لزيارته، وتباحثوا معه في بعض القضايا الفقهية[1].

كما ضم مجلس الشريف جماعة من العلماء المكيين، منهم الشيخ محمد بن حسين الفتياني المكي، (ت١٢٨٠هـ/١٨٦٣م)، من مدرسي المسجد الحرام، والذي أحبه أمير مكة لعلمه وفضله، وقلده وظيفة خطابة وإمامة المقام الحنفي وأعطاه تقريراً بيده يتضمنها[2].

**كذلك ضم محمد بن أحمد جاد ا الحنفي** (ت١٢٨٩هـ/١٨٧٢م)، من علماء الأزهر الشريف، قصد مكة لأداء فريضة الحج في حدود عام (١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، فحبب له البقاء فيها والمجاورة بها، وقد أهله علمه بأن يكون من مدرسي المسجد الحرام، كما كان شاعراً لطيف الطبع، لفت بعلمه أنظار الشريف **محمد بن عون** فقربه إليه ورتب له مرتبات من حب جراية وأشركه مع المطوفين في حرفتهم[3].

وهذه لفتة طيبة من شريف مكة أنه يفتح باباً للعمل للعلماء لا يجحف بوقتهم في طلب العلم، فإن الطوافة حرفة لا تستمر غالباً طوال العام، فهي أكثر نشاطاً في

---

(1) بلقاسم سعد ا : رحلة ليون روش إلى الحجاز ١٨٤١ - ١٨٤٢م، (بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية ، المنعقدة بالرياض من ٢٤- ٢٧ رجب ١٤٢١هـ- الموافق ٢١-٢٤ أكتوبر ٢٠٠٠، دارة الملك عبد العزيز)، ج١، ص٢٧٧.

(2) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٧٣.

(3) المصدر السابق، ص٤١٦.

أيام المواسم فقط، وهذا حرص من الشريف على أن يتفرغ العالم ما أمكن لطلاب العلم مع عدم احتياجه عند تفرغه.

ولقد ورث أبناء الشريف محمد حب العلم عن أبيهم، فمن أبنائه الذين حبب لهم العلم والتعلم ومجالسة العلماء والتباحث معهم، الشريف **سلطان بن محمد بن عبد المعين بن عون**، حب العلم والاشتغال به خاصة علم التاريخ والأدب، وصفه الحضراوي بأنه: (صاحب الفصاحة والبلاغة، رقيق المباني، إذا تكلم عن صناعة تنحط عند حديثه هام الثريا، وتثمل بسلاف رقائقه الفائقة ألباب الحما، اشتهر بالفضل والكرم .. كان يحفظ جملة من تواريخ العرب واستشهاداتهم، ويسمع الشعر ويحب أهله ويجزيهم عليه على قدر ذواتهم، بل كان نابغة الزمان في الحفظ والدراية)[1].

كذلك الحال بالنسبة للأمير **الشريف عبد ا بن محمد بن عبد المعين بن عون**، ورث حب العلم عن أبيه، فراح يقرأ بعض كتب العربية على الشيخ حسين مفتي المالكية، ورتب فقهاء إلى القرى لتعليم الناس[2]، وتميز مجلسه بانضمام عدد كبير من العلماء والمشايخ والأدباء إليه، وكانت تدور فيه المساجلات بين الكثيرين منهم في حضرته، فمن ذلك ما يذكره الحضراوي أنه: (كانت تجري المحاورات في مجلسه بين الشيخ خضر أفندي الكردي[3] وبين الشيخ الفاضل محمد محمود الشنقيطي، وربما طال البحث والجدال بينهما بحضرته في كلمة أو نحوهما في علم اللغة وغيره)[4].

كما كان مجلس الأمير **الشريف عبد المطلب بن غالب**، يعج بثلة من علماء مكة، خاصة أولئك الذين تولوا المناصب الدينية والعلمية بالمسجد الحرام كالإفتاء والتدريس، فعلى سبيل المثال ممن كان بمعية مجلسه الشيخ عمر بن عقيل الشافعي

---

(1) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٢، ص٢٨.

(2) الصباغ: تحصيل المرام ، ج٢، ص ٨٠٥.

(3) من علماء العراق وأدبائها قدم مكة عام ١٢٨٠ ونيف، حظي بالقبول عند فضلائها امتدح أمير مكة الشريف عبد ا بن عون وكان من المقربين عنده، انظر: الحضراوي: نزهة الفكر، ج٢، ص ٣٥٧.

(4) المصدر السابق، ج٢، ص٣٥٧.

(ت١٢٩١هـ/١٨٧٤م)، المدرس بالمسجد الحرام، ترجم له عبد الستار دهلوي وقال بأنه: (كان من أجل الجلساء عند أمير مكة الشريف عبد المطلب)[1] كما تبوء الشيخ عبد الرحمن بن حسن العجيمي (ت١٣٠١هـ/١٨٨٣م) مكانة مرموقة عند أمير مكة الشريف عبد المطلب، حتى إنه ولاه قضاء الطائف، وكان الشيخ عبد الرحمن من كبار الخطباء والأئمة بالمسجد الحرام[2].

كما اهتم أمراء مكة وأبناؤهم بإنشاء المدارس، فنجد أمير مكة **الشريف عبد المطلب بن غالب** عام (١٢٦٤هـ/١٨٤٧م) يتبرع بقطعة أرض كانت ملكاً لأبيه الشريف غالب بن مساعد، ليقيم عليها مبنى يشمل مدرسة ومكتبة أراد السلطان عبد المجيد إنشاءها بمكة، إذ إن المسؤولين عن بناء المدرسة وجدوا أن أنسب مكان لإقامة المدرسة عليه هو هذه الأرض وأرادوا شراءها من الأمير غير أن الأمير تبرع بها[3]، رغم كونها مسكناً خاصاً له[4]، حباً في نشر العلم وإسهاماً منه في الارتقاء بالمستوى التعليمي والثقافي لأهالي مكة.

وعرف عن **الشريف منصور بن يحيى بن مساعد** حبه للعلم، وإسداؤه المعروف والفضل للعلماء، وبذله المساعدة والعون لطلاب العلم، تذكر المصادر أنه تكفل بالشيخ خليل طيبة المكي (ت بعد ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م)، فكان قائماً له بجميع ما يلزم له من إيجار بيت لسكناه، وإجراء نفقته له ولعائلته، إذ إن الشيخ من علماء مصر الذين قدموا مكة واستوطنوها ودرس بمسجدها الحرام، كما أنشأ الشريف مدرسة دينية عند باب الصفا[5].

---

(1) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق١٤٠.

(2) غازي: نظم الدرر، ق١٨٨.

(3) الأرشيف العثماني: وثيقة رقم : ٧٧/١١٤، نقلاً عن سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص٤١.

(4) الأرشيف العثماني: وثيقة رقم : ٤٩٧٠، نقلاً عن سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص٨٥.

(5) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص ١٤٨، ٤٢٦.

ولما تولى **الشريف عون الرفيق بن محمد بن عبد المعين بن عون** إمارة مكة، نهج مسلك أسلافه من حب العلم وتقريب أصحابه وبذل الغالي والنفيس لهم فقد عرف عن هذا الأمير حبه للعلم، حتى إنه كان يتتبع المشايخ قبل توليه الإمارة ويقرأ على هذا ويأخذ من ذلك، فممن قرأ عليه العلوم من علماء مكة ومدرسي المسجد الحرام الشيخ محمد بسيوني الشافعي المكي (ت١٣٠٢هـ/١٨٨٤م)[١].

ولم يفتر **عون الرفيق** من حب العلم والعلماء بعد توليه الإمارة، بل نراه يقربهم منه رغم مشاغل الحكم والإمارة، فممن كان مقرباً للأمير ومن جلسائه الشيخ محمد المنصوري المالكي، قدم مكة في نيف وستين ومائتين وألف وجاور بها، كان عالماً فاضلاً حافظاً للقرآن الكريم، أهلته مكانته العلمية أن يدرس بالمسجد الحرام، ولاه الشريف منصب الفتوى بمكة[٢].

ومن العلماء الذين ضمهم مجلس الأمير المحب للعلم الشيخ **أحمد بن عيسى النجدي** (ت١٣٢٩هـ/١٩١١م) فقد كان هذا العالم له أثر كبير في **تصحيح مفاهيم العقيدة الإسلامية** عند الأمير وجلسائه، من ذلك دعوته للشريف عون بهدم بعض القباب المبنية على قبور مدن الحجاز وكان لدعوته أثر إيجابي في مفاهيم الشريف العقدية فقام بهدمها[٣].

كما عرف عن الشريف **علي بن محمد بن عون**، حبه للعلم وتحلية مجلسه بالعلماء والأدباء أمثال عثمان بن محمد بن أبي بكر الراضي (ت١٣٣١هـ/١٩١٢م)، طلب العلم على يد عدد من علماء مكة والوافدين إليها، منهم أحمد دحلان وغيره، أذن له مشايخه بالتدريس، فتصدى له بالمسجد الحرام وصفه الزركلي بأنه: ( أديب الديار الحجازية وشاعرها)[٤]، وكما رزق الراضي

---

(١) المصدر السابق، ص٤١١.

(٢) غازي: نظم الدرر، ق٢٠٧.

(٣)عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد ا آل الشيخ: مشاهير علماء نجد وغيرهم، (ط٢، الرياض، دار اليمامة للنشر : ١٣٩٤هـ)، ص٢٦٠ـ ٢٦٣.

(٤) الزركلي: الأعلام، ج٢، ص٣٧٨.

حلاوة في اللسان في عاطفة الشعر رزق كذلك جمالاً في خط البنان ، إذ يذكر الغزاوي أنه : (عرف بجودة وجمال الخط)[1].

وقد سار **الشريف الحسين بن علي** على خطى **والده** في حب العلم والعلماء، فقد حرص على حضور دروس العلم بالحرم الشريف قبل توليه الإمارة وبعد توليه، فكان قبل توليه إمارة مكة من ضمن طلبة الشيخ **رحمت ا** الهندي، المواظبين على حضور حلقة درسه خلف المقام الحنفي، والمعقودة صباحاً من كل يوم[2].

كما قرب الشريف **الحسين** العلماء من مجلسه وتأسى بإمامتهم، فقد كان الشيخ ياسين بن محمد بسيوني الشافعي المكي النحوي الأديب المدرس بالمسجد الحرام، إماماً عند أمير مكة الشريف حسين بن علي يصلي به[3].

وليس المقصود إقامة الصلوات فحسب، فإن قرب العالم من الحاكم يفيد الحكام في معرفة أمر ا تعالى، فإنه كان لا بد من وجود مناقشات وأسئلة ومحاورات في العديد من المسائل تجرى أمام هذا العالم، وليس من المعقول أنه كان صامتاً لا يبدي الرأي فيها، لذا فإنه يمكن القول **أن العلماء كذلك أسهموا بشكل أو بآخر في تسيير السياسة العامة للأشراف بالحجاز،** يتضح لنا أيضاً من هذه الرواية أن الأمراء كان لهم من الدين والفضل ما جعلهم يحرصون على قرب العلماء، وتخصيص بعضهم للإمامة بهم في حالة عدم صلاتهم بالمسجد الحرام.

كما أنشأ الشريف **الحسين بن علي** إبان إمارته على الحجاز في زمن الحكم العثماني مدرسة المسعى المقابلة لباب السلام[4].

**اهتمام الولاة العثمانيين بالتعليم:**

لما كان العلماء هم دعامة النهضة العلمية وأساسها المتين، عمل أولوا الأمر على توفير مناخ يكفل لهم المزيد من الإبداع العلمي والفكري في ظل ظروف

---

(1) الغزاوي: شذرات الذهب، ص٣٩٤.

(2) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص ٩٧.

(3) غازي : نظم الدرر، ق٢١٥.

(4) مرداد أبو الخير : نشر النور والزهر، ص٤٣٠.

اجتماعية واقتصادية متميزة، وقد أبقى لنا التاريخ أمثلة رائعة من اهتمام الولاة بالعلماء في البلد الحرام، من أبرزها: زيارة الولاة للعلماء في دورهم، والسؤال عن أحوالهم، إذ تشير المصادر إلى أن والي مصر محمد علي باشا، لما قدم مكة وبلغه أن الشيخ عبد الملك بن عبد المنعم القلعي (ت١٢٢٨هـ/١٨١٣م) مريض، زاره بمنزله وأعجب بذكائه وطلاقة لسانه وقوة ذاكرته رغم اعتلال صحته[١].

ومن الولاة الذين اقتدوا بالعلماء وتعاهدوا العلم طلباً ورعاية **والي الحجاز محمد رشدي باشا الشرواني الداغستاني** (ت١٢١٩هـ/١٨٠٤م)[٢]، كان محباً للعلم، حتى وصف: بالعالم العلامة الفاهم المتفنن، كذلك لم يقف حبه للعلم عن طلبه والتفوق فيه، بل راح يجمعه من خلال شرائه الكتب النفيسة والقيمة فامتلك مجموعة كبيرة من الكتب النفيسة، أوقفها بعد ذلك على مدرسة تابعه للحرم المكي[٣].

**اهتمامات الأهالي بالتعليم:**

لم يقتصر حب العلم والاهتمام به على **أولي الأمر**، بل تعداه إلى **الأهالي أسراً وأفراداً**، فقاموا بإنشاء المؤسسات التعليمية، وشجعوا الطلبة مادياً ومعنوياً على الالتحاق بركب العلم، فمن الأسر التي شاركت في تشجيع الحياة العلمية بمكة من خلال بذل الأموال على طلبة العلم والمهتمين به **أسرة المفتي** فقد كانوا أصحاب ثروة وعقارات وأوقاف، وكان جدهم الأكبر أبو بكر بن عبد القادر بن صديق صاحب خير وبر لأهل مكة، يحب خدمتهم وإسداء المعروف لهم، فكان يداخل الحكام، ويقوم بتقسيم ما يرد لأهل البلد من جباية وصدقات بنفسه دون مقابل[٤].

كما أن الكثير من أثرياء وعلماء مكة ممن فتح الله عليهم بالمال كانوا ينفقونه في سبيل العلم ونشره، فمنهم على سبيل المثال: **الشريفة عزة بنت الشريف عبد**

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٨٦.

(٢) ترقى في المناصب الإدارية والسياسية في الدولة حتى وصل إلى منصب الصدارة ثم عزل عنها وأعطي ولاية الحجاز، عام (١٢٩١هـ). دحلان: خلاصة الكلام، ص٣٢٦.

(٣) الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج٢، ق١٧٧؛ أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٤٦.

(٤) جعفر اللبني: الحديث شجون، ق٧٩.

**المطلب بن غالب كانت صاحبة خيرات خاصة على العلماء وطلبة العلم**[1]، كذلك كانت **الشريفة عائشة** من **بيت الحطاب** وهو أحد بيوت مكة المعروفة في القرن الثاني عشر الهجري، فقد أوقفت عقارها على أناس من أهل مكة، منهم بيت سنبل وغيرهم[2]، وبيت سنبل من البيوت العلمية العريقة بمكة[3].

كذلك كان **للتاجر** علي مشحومي الجداوي (ت١٢١٧هـ/١٨٠٢م)، خيرات وصدقات كثيرة على أوجه الخير بمكة، فيذكر الحضراوي عنه أنه كان موفقاً (لفعل الخيرات والصدقة سراً وجهراً، كانت صدقته تعم الحرمين الشريفين من علماء وخطباء وفقهاء وفقراء)[4].

كما أنفق **الشيخ** عمر عبد رب الرسول المكي (ت١٢٤٧هـ/١٨٣١م)، جل ماله في طاعة ا وإكرام طلبة العلم، إضافة إلى إطعام الفقراء والمساكين المجاورين والوافدين[5].

ونهج نهجه في البذل والعطاء على العلم وطلبته من الفقراء الكثير من علماء مكة كالشيخ **عبد ا بن عبد الرحمن سراج** (ت١٢٦٤هـ/١٨٤٧م)[6].

وشارك **أثرياء العالم الإسلامي** أهالي مكة في الدفع بعجلة التعليم بالبلد الحرام، والإنفاق على طلبته ، فعلى سبيل المثال نرى أن **الشيخ إبراهيم الحسيني الأزهري** (ت بعد ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م)، وهو من أثرياء مصر وعلمائها خصص مبلغاً كبيراً من المال لينفق سنوياً على قراء القرآن الكريم بمكة وطلبة العلم بها قد

---

(1) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق١٦٧.

(2) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٣٦٧.

(3) يأتي تفصيل ذلك في مبحث الأسر العلمية.

(4) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٢، ٢٤٦، ٢٥٠.

(5) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٧٩.

(6) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق٦٣.

بلغت قيمته [٧١٥٥٠] بارة سنوياً، إضافة إلى أموال أخرى قررها لفقراء مكة[١] أسهمت بشكل كبير في إنعاش الحياة العلمية بمكة فترة البحث.

كما أسهم **عدد من الأهالي** في إنشاء المدارس، منهم الشيخ محمد بن يوسف خياط الشافعي المكي أنشأ مدرسة له في دار صغيرة بجوار باب الدريبة[٢]

وأنشأ الشيخ **رحمت ا الهندي** المدرسة الصولتية، وأسس الشيخ **علي زينل** مدرسة الفلاح ، وسيتجلى الكثير من مظاهر اهتمام الأهالي بالتعليم من خلال ثنايا هذا البحث كل في محله.

**الأربطة والتكايا ودورها في الحياة العلمية بمكة:**

ومن أوجه الاهتمام بالعلم والتعليم ما كان من إسهام أولي الأمر والأهالي في بناء الأماكن التي تأوي الطلبة مساهمة في تخفيف نفقات التعليم، وترغيباً للأخذ بمسالك العلم وأهله، ولذا انتشرت الأربطة[٣] في كافة مدن العالم الإسلامي، بما فيها البلد الحرام مكة[٤] وكانت الأربطة الموجودة بها متميزة عن غيرها، إذ تعددت الأهداف التي من أجلها أنشئت الأربطة في أحيائها القريبة عادة من الحرم، فكانت

---

(١) دار الوثائق: الروزنامة، دفتر صرة جوالي حرمين شريفين، واجب سنة (١٢١٦هـ/١٨٠١م)، م ٥٠١، نوعي ٧٦٥، م ع ٦٠٠٨، مخزن تركي١. وسيأتي مزيد لذلك في مبحث موارد الإنفاق على التعليم في الفصل الثالث.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٣٠.

(٣) **الربط**: جمع رباط، والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو، ثم ما لبث أن أصبح لفظ الرباط يطلق على المكان الذي ينزل به الصوفية ، وطلبة العلم، انظر ابن منظور : لسان العرب، ج٣، ص١٥٦١ مادة الربط، عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، (ط٢، القاهرة، دار النهضة العربية: ١٩٩٢م)، ص١٨٦.

(٤) بدأ إنشاء الأربطة في مكة عام (٣١٢هـ/٩٢٤م) برباط السدرة وقد أدى الرباط ودوره الخيري حتى سنة (٨٨٣هـ/١٤٧٨م)، حيث أمر السلطان المملوكي قايتباي ببناء رباط باسمه، وقد تم إنشاؤه عام (٨٨٤هـ/١٤٧٩م) لتتوالى بعد ذلك بناء الأربطة بمكة. انظر: حسين عبد العزيز حسين شافعي: الأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني.. دراسة تاريخية حضارية "٩٢٣- ١٣٣٤هـ/١٥١٧- ١٩١٥م" (رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص٢٢- ٢٨.

منزلاً للمتعبدين والزهاد، وملجأً للأرامل والأيتام والنساء، ومسكناً للعلماء وطلبة العلم المجاورين، وخاصة الفقراء منهم[1]، مما يعين على التفرغ لطلب العلم.

وبالرغم من أن الأربطة في الأساس مؤسسات ذات صبغة اجتماعية إلا أنها أسهمت بشكل مباشر في الحياة العلمية بمكة، وتسابق السلاطين العثمانيون وولاتهم وتبعهم كذلك أهل الخير من كافة بلدان العالم الإسلامي في إنشاء الأربطة والتكايا والزوايا، إذ اعتبروها رافداً من روافد الخير، فتسابقوا في بنائها والإنفاق عليها، حباً في نيل الأجر والمثوبة من ا عز وجل، وتسهيلاً لسبل العيش على من انقطع من الناس عن العمل وتفرغ للعبادة، أو لطلب العلم، أو ألجأه الفقر والعوز، فلقد أسهمت هذه المنشآت الاجتماعية إسهاماً كبيراً في توفير المسكن والمأكل والمشرب والمشفى لطلبة العلم، خاصة للقادمين على مكة والوافدين عليها من بلدان العالم الإسلامي، والذين لا تكفيهم نفقاتهم على استئجار المسكن وتوفير المطعم، وإن اتجهوا للعمل فإنه يفوتهم غالباً قدر من العلم، لذا كان لهذه المنشآت دور بارز في تسهيل مهمة طالب العلم لكي يصل إلى ما يصبو إليه.

وكثيراً ما كانت الأربطة في مكة تلحق بالمنشآت العلمية أو الاجتماعية لتعم بها الفائدة المرجوة من إنشائها، كما كان العديد منها يعقد فيه حلقات العلم، خاصة وإن كان يسكنها أحد العلماء، بل كانت بعض الأربطة تعين **مدرساً**، وقد اشترطت أن يكون مشهوراً بالتدين وبالعفة وحسن الأخلاق، وأن يقرئ القرآن الكريم ، وعادة ما يكون بعد الظهر أو بعد صلاة المغرب أو العشاء، وأن يستظهر القراءة لطلبته، وكان يتقاضى راتباً محدداً بناء على شرط الوقف، وقد يساعده في عملية التدريس بالرباط معاون **،** ويشترط فيه هو الآخر التدين والأخلاق الحميدة مع الورع والأمانة، ومن مهامه أن يثبت الحضور والغياب[2].

---

(1) محمد علي فهيم بيومي: مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني "٩٢٣ـ١٢٢٠هـ/١٥١٧ـ١٨٠٥م"، (ط١، القاهرة، دار القاهرة للكتاب: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ص٣٨٥.

(2) دار الوثائق: حجة وقف داود باشا، رقم ٣٢٠، محفظة رقم ٣٥، ٤٧؛ وحجة وقف داود باشا ، رقم ٣١٧، محفظة ٤٧، ص٣٥ ـ ٥٤.

وعادة ما يتولى شئون الأربطة **الإدارة القائمة على الوقف** في مكة، وتتكون من ناظر ومتولي ومباشر وصراف، إضافة إلى الخدم والبوابين ومن مهامهم فتح الرباط وغلقه، وكنسه وتنظيفه، ومنع دخول الصبيان حفاظاً على نظافته، وعدم العبث في المصاحف والكتب، ومن موظفي الهيئة أيضاً **الوقاد** الذي يقوم بتعمير وصيانة القناديل فيه، إضافة إلى **السقاء** الذي يتولى حمل الماء من البئر الكائنة بالقرب من الرباط سواء التي أنشأها واقف الرباط أو من الآبار الموجودة داخل مكة، ويصرف لهؤلاء المعاونين رواتب تكثر وتقل حسب شروط الواقف(١).

وقد وضع الكثير من الواقفين شروطاً معينه لساكني الأربطة، منها تحديد مبلغ معينٍ من المال لقاطني الأربطة في مقابل تحصيلهم للعلم وطلبهم له(٢)، وكان لكل فرد من ساكني الرباط مكان ينام فيه، ولا يجوز لغيره أن يسكن مكانه، وإذا خالف الساكن شروط الوقف، فإن الناظر على الوقف يقوم بإخراجه ويحل مكانه سواه، شريطة أن تنطبق عليه شروط الوقف(٣).

وكانت مصر ترسل سنوياً للأربطة في مكة بوجه عام مبلغاً ضخماً من المال قدره [١٧٥٨١١] بارة تحت بند "حوالة كاتب الحرم بمكة من أربطة"(٤).

وقد بلغ عدد الأربطة بمكة عام (١٣٠١هـ/١٨٩٢م)، ما يقرب من مائة وخمسين رباطاً للفقراء المجاورين والأرامل وطلبة العلم(٥).

---

(١) دار الوثائق: حجة وقف داود باشا، حجة رقم ٣١٧، محفظة ٤٧، ص٥٢، رقم ٣٢٠، محفظة ٤٧، ص٢٣.

(٢) دار الوثائق : دفتر صرة رومية ، واجب سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م، رقم ٥٧، حفظ نوعي ٦٩٩، م ع ٥٩٤٢، مخزن تركي١.

(٣) دار الوثائق : حجة وقف داود باشا، رقم ٣١٧، محفظة ٤٧، ص٤٨، ٥٢، ٥٣.

(٤) محمد زكريا عناني: مراسلات متبادلة بين الشريف غالب ونابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق، (الرياض، دارة الملك عبد العزيز: ١٤١٦هـ)، ص١٦، ١٧.

(٥) سالنامه ولاية الحجاز، ع٢، س١٣٠٣هـ، ص١٨٧.

ومن ضمن الأربطة التي وجدت بمكة فترة البحث وكان لها إسهام في الحياة العلمية بمكة:

**ـ رباط السليمانية:**

نسبة إلى السلطان **سليمان** القانوني[1]، أنشأه ضمن مدرسته، وقد قرر له مبلغاً قدره [٣٢٠٠٠] بارة، تصرف على ساكني الرباط من طلبة المدرسة السليمانية والأهالي بمكة[2].

**ـ رباط خاصكي سلطانه[3]:**

أنشأته زوجة السلطان سليمان القانوني، وطلباً لاستمرار هذا الرباط صدقة جارية؛ أوقفت السلطانة الكثير من الأوقاف بمصر يرسل ريعها ليصرف على متطلبات الرباط[4]، وظل الرباط يؤدي دوره في الحياة الاجتماعية والعلمية بمكة بفضل الرعاية التي تلقاها من قبل السلاطين العثمانيين وأمهاتهم، فقد قامت والدة السلطان عبد المجيد بإعادة بنائه وأصبح يستوعب إطعام ألوف الفقراء كل يوم[5].

---

(1) هو السلطان سليمان الأول بن سليم الأول بن بايزيد، جلس على سرير الملك سنة (٩٢٦/١٥٢٠م)، وله من العمر ٢٦ عاماً، وصلت الدولة العثمانية في عهده إلى أقصى اتساعها ، كانت له خيرات كثيرة عم بنفعها المسلمين، واشتهر بالقانوني لما وضعه من الأنظمة الداخلية في كافة فروع الدولة، فقد أدخل بعض تغييرات في نظام العلماء والمدرسين إذ جعل أكبر الوظائف العلمية وظيفة المفتي ، توفي سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٦م. انظر: يوسف الملواني ابن الوكيل: تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب ، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن، (القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية: ١٩٩٨م)، ص١١٦ـ ١١٩؛ ؛ محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١٠٨.

(2) دار الوثائق: دفتر صرة رومية أهالي حرمين شريفين، واجب سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م، نوعي م ع ، ٤٥٢٨، عين ٧٢، مخزن تركي ١٣؛ وسجلات الروزنامة ، دفتر صرة رومية ١٢٠٠هـ/١٧٨٥هـ، م ١١٦، نوعي ٥٤٩، م ع ٥٧٩٢، عين ٧٢، مخزن تركي١.

(3) خاصكي سلطانه: مصطلح يطلق على الجارية التي كان يستحسنها السلطان وتدخل ضمن محظياته، وإذا تزوجها تكتسب لقب سيدة بدلاً من خاصكية، ويعين لكل واحدة منهن حرماً أو دائرة خاصة ، انظر: أوليا جلبي: الرحلة الحجازية، حاشية ، ص١٣٨، ١٣٩.

(4) دار الوثائق: سجلات الديوان العالي، س ١، م ٢٠٠، ص٩٥؛ س ١، م ٤٨٢، ص٢٣٢.

(5) محمد أمين المكي: الآثار المبرورة لسلاطين آل عثمان، ص٤٢.

وفي عام (١٢٧١هـ/١٨٥٤م) أمر بتخصيص عدد من الغرف بالرباط لسكنى الفقراء من الحجاج والوافدين، لعدم وجود أماكن للسكنى فارغة ونظيفة، إذ افترش البعض منهم الشوارع والأزقة والأماكن المحيطة بالحرم الشريف وأروقته فكان هذا الإجراء من الرباط حداً لمنع انتشار الأمراض والأوبئة وإفساد الجو الصحي للطائفين والعاكفين بالحرم، ولم يقتصر الأمر على إيواء هؤلاء الفقراء بل تعداه إلى صرف أدوية وأغذيه لهم[١] .

وظل الرباط معموراً يؤدي دوره من إيواء من لامسكن لهم وإطعام من لا قوت له حتى عهد السلطان عبد الحميد الثاني[٢].

ولاشك أن هذا الرباط كان يعنى بطلبة العلم الفقراء، مما أتاح لهم فرصة العيش الهنئ مع تفرغ للطلب.

**ـ رباط الداودية:**

كان والي مصر داود باشا (٩٤٥-٩٥٦هـ) رجلاً محباً للعلم والعلماء، قام بإنشاء رباط بمكة بجوار مدرسته عند باب العمرة، وجعل المدرس بالرباط والمشرف عليه هو **مدرس المذهب الحنفي بمدرسته،** وشرط أن يكون فيه ثلاثون طالباً يتعلمون العلوم الشرعية، ويحفظون كتاب ا  في كل يوم، ما عدا أيام العطلات، حيث يسامحون بترك الحضور فيها[٣]، وقد سكن الرباط العديد من العلماء وطلبة العلم الذين وفدوا إلى مكة، منهم الشيخ عبد ا  سراج الرومي الحنفي (ت١٢٤٠هـ/١٨٢٤م) وهو من العلماء الذين قدموا مكة وجاوروا بها وسكنوا الرباط وعرفوا بالخير والصلاح[٤].

---

(١) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، وثيقة رقم: ١/ ١٠٦/ و ح ج .

(٢) محمد أمين المكي: الآثار المبرورة لسلاطين آل عثمان، ص ٢١.

(٣) دار الوثائق: حجة وقف داود باشا، حجة رقم ٣١٧، محفظة ٤٧، ص٥٤.

(٤) حسين  شافعي: الأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني، ص٣١.

وممن **درس** برباط الداودية من علماء مكة الشيخ عبد الكريم بن حمزة الداغستاني الحنفي، ولى تدريس الفقه والتفسير والحديث والبلاغة والنحو والفلك في الحرم الشريف وفي رباط الداودية، وكان ذلك عام (١٣١٣هـ/١٨٩٥م) [١] .

**ـ رباط البصري أو رباط السادة:**

أنشأه الشيخ عبد ا بن سالم البصري (ت١١٦٠هـ/١٧٤٧م)[٢] وهو مكون من ثلاثة طوابق، كل طابق يحوي عشرة خلاوي، إضافة إلى مكان خاص لشيخ الرباط، وقد عرف فيما بعد برباط السادة[٣].

**ـ رباط ألماس آغا:**

أوقف ألماس آغا رباطين في مكة، الأول في حي الهجلة، على يسار المتجه إلى المسفلة، وقد أوقفه عام (١٢٦٣هـ/١٨٤٦م)، أما الثاني فيقع في الصفا ولم تذكر المصادر تاريخ وقفه، ومن المحتمل أنه وقف في نفس تاريخ الرباط الأول وقد شرط الواقف أن يكون الرباطان وقفاً على طلاب العلم الهنود، بالإضافة إلى فقرائهم الواردين إلى مكة، وحتى يضمن صاحب الوقف استمرارية أداء الرباطين في عملهما؛ قام بوقف عدد من الأوقاف يصرف ريعها على الرباطين منها وقف بجانب كل رباط، ووقف في حي الشبيكة يتكون من ست عمائر داخل حوش، كل عمارة تحتوي على ثلاثة أدوار، تؤجر ويشترى بثمنها أرز وزيت وسكر وغير ذلك ويتم توزيعها على سكان الرباطين[٤]

**ـ رباط الميمن:**

أوقفه إبراهيم بن عبد الستار الميمن عام (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م)، ويقع في زقاق جبل أبي قبيس، وقد أوقفه صاحبه على فقراء الهند والسند من أهل العلم

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص ١٨٤.

(٢) الطبري: اتحاف فضلاء الزمن، ص٤١٩؛ غازي: إفادة الأنام، ج٢، ق٤٧٣؛ حسين شافعي: الأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني، ص٤٧.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٠٢.

(٤) غازي: إفادة الأنام، ج٢،ق٤٧٠؛ حسين شافعي: الأربطة بمكة المكرمة في العهد العثماني، ص٦٧.

والصلاح[1]، وقد كتب على حجر الأساس للرباط بخط بارز أربعة أسطر متوازية كالتالي:

السطر الأول: الوقف   تعالى،

السطر الثاني: {ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين}،

السطر الثالث: أوقف وأنشا هذا الرباط المبارك المكرم الحاج إبراهيم بن..

السطر الرابع: عبد الستار الميمن سكناً على فقراء الهنود والسنود **من أهل العلم والصلاح** سنة (١٨٦٨/١٢٨٥م)[2].

وممن سكن الرباط من العلماء والد المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي الشيخ علي الجبرتي، قدم مكة مجاوراً عام (١٣٠٨هـ/١٨٩٠م)، فسكن رباط الميمن، وكان من العلماء الأفاضل حفظة كتاب ا ، عرف بالصلاح والتقوى والعبادة[3].

**ـ رباط دار الإقامة** (أو رباط معير واجد حسين)**:**

أوقفه صاحبه عام(١٢٩٣هـ/١٨٧٦م)، بحي الخندريسة على يسار حارة الباب بالقرب من مقبرة الشبيكة، وقد عرف برباط مير واجد حسين نسبة إلى واقفه وهو من محسني الهند[4]، كما عرف برباط دار الإقامة، لنزول طلاب المدرسة الصولتية فيه، حيث اشترط الواقف في وقفية رباطه على إيواء خمسين طالباً ممن طلاب المدرسة الصولتية الغرباء[5].

---

([1]) المصدر السابق، ص٧٨.

([2]) نفسه، ص٧٩.

([3]) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٥٢.

([4]) محمد علي مغربي: أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، (ط١، جدة، تهامة للنشر والتوزيع:١٩٨١م)، ج٢، ص٣٠٠.

([5]) محمد سليم محمد سعيد: أكبر مجاهد في التاريخ "الشيخ رحمت ا  الهندي" ، ترجمة: أحمد حجازي السقا، (ط١، القاهرة، مطبعة النهضة العربية: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ، ص ٦٥.

وقد تميز هذا الرباط بكبر مساحته وسعة حجمه، إذ إنه يتسع لخمسين طالباً لكل طالب غرفة خاصة به، كما كانت تأتيه مساعدات وتبرعات من مسلمي الهند توزع على الطلبة بحسب القسم الذي ينتمي إليه الطالب في المدرسة **الصولتية**[١].

**ـ رباط المغاربة:**

أو رباط الموفق، نسبة إلى موقفه القاضي الموفق جمال الدين بن عبد الوهاب الاسكندراني عام (٦٠٤هـ/١٢٠٧م)[٢]، تولى نظارته فترة البحث العالم عبد القادر مشاط (ت١٣٠٢هـ/١٨٨٤م)[٣]، كانت تعقد به حلقات علمية يحضرها كثير من طلاب العلم[٤].

**ـ رباط رمضان شقدار:**

نسبة إلى واقفه رمضان شقدار، أنشأه عام (١٣٠٢هـ/١٨٨٤م) بحي المسفلة، وقد اشترط أن يكون الرباط على نفسه أولاً، ثم على ذريته، ثم على الفقراء البنغاليين المقيمين من أهل العلم والصلاح، ثم على الفقراء والمساكين بمكة[5].

**ـ رباط شاه بابا غازي:**

ويقع بحي السليمانية، كان قائماً عام (١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م)، وهو مقسم إلى قسمين، قسم لسكنى العوائل والأخر لسكنى العزاب[٦].

**ـ رباط رحيم بيردي الأندجاني :**

أوقفه صاحبه رحيم الأندجاني عام (١٣٠٧هـ/١٨٨٩م)، ويقع في حي المسفلة، وعرف برباط بستان البخارية، نسبة لمزروعات كانت موجودة فيه، وقد نصت الوقفية على أن يكون الرباط على الحجاج الواردين إلى بيت ا الحرام من

---

(١) غازي: إفادة الأنام،ج٢، ق٤٧٣؛ محمد سليم رحمت ا : المدرسة الصولتية، (مجلة المنهل، ذو القعدة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م)، ص٤١٢.

(٢) الصباغ: تحصيل المرام، ج١، ص555.

(٣)غازي: نظم الدرر، ق٢٠٠.

(٤) الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٦٢٨؛ حسين شافعي: الأربطة بمكة في العهد العثماني، ص١٠ ـ ١١.

(5) المرجع السابق، ص٩٣ـ٩٤.

(٦) نفسه، ص٩٤.

أهل اندجان، والمجاورين بمكة من أهل إندجان، فإذا انقرضوا عن أخرهم يكون وقفاً على مصالح الحرم المكي الشريف(١).

**ومن المنشآت الاجتماعية الأخرى** التي كان لها دور بارز في إعانة طالب العلم للتفرغ له، **التكايا ودور الضيافة**، وقد سارع كل من السلاطين والأمراء والأثرياء ببناء الكثير منها بمكة، لتسهم في تخفيف أعباء المعيشة على الفقراء وطلبة العلم.

ومن أبرز التكايا بمكة **التكايا المصرية**، والتي تميزت بوفرة الهبات والصدقات التي كانت ترسل إليها من مصر مع الصرة، إضافة إلى المؤن والمعدات الخاصة بها، وكان يلحق ببعضها **معهد علمي** سواء كان مدرسة أو كتاب أو مكتبة، إضافة إلى عدد من المدرسين لتعليم المترددين عليها القرآن الكريم(٢).

ومن **التكايا المصرية** بمكة فترة البحث والتي كان لها دور إيجابي في إثراء الحياة العلمية بها:

**ـ تكية السلطان المملوكي جقمق**(٣):

أنشأها السلطان جقمق بمكة، وجعل عليها أوقاف بمصر يصرف ريعها في الصرف عليها، وشرط في حالة فقد ذريته أن تؤول إلى الحرمين الشريفين، وبالفعل آلت مسؤولية الصرف على هذه التكية إلى كاهل الدولة العثمانية، فتذكر الوثائق

---

(١) نفسه، ص٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر صرة جوالي، واجب ١٢١٦هـ/١٨٠١م، رقم ٥٢٦، حفظ نوعي، ٧١٥، م ع ٥٩٥٨، مخزن تركي،١؛ سلنامة ولاية الحجاز، ع١، س١٣٠١هـ، ص ٦٥؛ إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج١،ص ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٣) هو **جقمق بن عبد ا العلائي الظاهري** تولى الحكم عام (٨٤٢هـ/١٤٣٨م) حتى عام (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) إذ تنازل عن الحكم لولده لمرض أصابه. انظر: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد أمين، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٨٦م)، ج٤، ص٢٧٥.

التاريخية أن النفقات والأموال اللازمة للصرف على التكية ظلت ترسل من مصر إلى التكية دعماً لها حتى نهاية العصر العثماني[1].

**ـ تكية محمد علي:**

شيدها محمد علي باشا في مكة عام (١٢٣٨هـ/١٨٢٢م) بشارع أجياد، ولها دور بارز في التكافل الاجتماعي، كان جميع موظفيها في خدمة الفقراء سواء فقراء مكة أو القادمين إليها من الحجاج، يصرف لهم الخبز والقمح والأرز والسمن واللحم والحمص[2] بموجب تذاكر تسلم لهم كل صباح ومساء[3]، وقد أولت الحكومات المصرية المتعاقبة اهتمامها بهذه التكية لبقاء استمرارها وعطائها[4].

**ـ دار ضيافة السلطان عبد الحميد الثاني والمعروفة بـ"مسافر خانة":**

أمر السلطان عبد الحميد الثاني بإنشاء مستشفى ودار الضيافة بمكة عام (١٣١١هـ/١٨٩٣م)، بتكلفة مالية بلغت [٣٠ ألف] ليرة[5] بمنطقة جرول، وتدعى "مسافر خانة"، لتكون سكناً ومطعماً لفقراء مكة وحجاج بيت ا ، وكانت مكونة من طابقين، ولها فناء واسع وأبواب ونوافذ من الخشب، وتم افتتاحها سنة (١٣١٨هـ/١٩٠٠م)، بعد أن زودت بكافة المستلزمات [6].

---

(1) دار الوثائق: سجلات تقارير النظر، س ٣، م ٥٦١، ص١١٠؛ سجلات الروزنامة ودفتر حصرة جوالي سنة١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م ، رقم ٥٠١، حفظ نوعي ٧٦٥، عمومي ٦٠٠٨، مخزن تركي ١.

(2) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص١٨٥ ـ ١٨٦.

(3) غلام رسول مهر: يوميات رحلة في الحجاز "١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م، ترجمة: سمير عبد الحميد إبراهيم، (دارة الملك عبد العزيز)، ص .

(4) محمد بن عبد ا آل زلفة: إصلاحات حسيب باشا في ولاية الحجاز، ص٦٩؛ وقد ظل عطاء التكية المصرية حتى وقت قريب من العهد السعودي، انظر: الجندي: تقرير في بعض مشاهدات وملاحظات عن الأقطار الحجازية، ص١٠ ـ ١١.

(5) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، وثيقة رقم : ٢٧/ ١٠٧/ و ح ج .

(6) الغازي: إفادة الأنام، ج٣، ق٢٢١؛ ولمعرفة المزيد عن تكية دار الضيافة انظر: عادل غباشي: دار الضيافة بمكة في عصر السلطان عبد الحميد الثاني، (مكة، مجلة جامعة أم القرى ، ع ١٠، س ٨، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)

كما أسهم أبناء الأشراف بإنشاء مثل هذه المبرات فقد أنشأ السيد محمد بن بركات تكية دار الشفا مقابل بيت والده في القرن الثاني عشر الهجري بأجياد[1].

**ولنا وقفة مع اهتمامات الدولة والأهالي بالتعليم في هذا العهد:**

ـ إن الاهتمام بالتعليم كان مطلباً لكل محب للخير فتسارع إليه السلاطين والولاة والأهالي، فكان مردوده العلمي كبيراً من ناحية استمرار الحركة العلمية بمكة، كما أن نوعية التعليم كانت محل الاهتمام في الجملة، فلم يكن جل الاهتمام منصباً على توفير الحياة الكريمة لطالب العلم، يظهر ذلك من وقف المكتبات، والكتب على الطلبة والعلماء.

ـ كان لمشاركة الولاة في العلوم الشرعية الدافع القوي لرسوخ مكانة العلم بين المجتمع المكي، مما دفع الناس إلى مضاهاة أمرائهم في هذا الاهتمام وسبق أن من الولاة والأمراء من كان موصوفاً بأنه من العلماء، وطلبة العلم.

ـ كانت الأربطة في الأصل منزلاً للفقراء، إلا أنها أصبحت في نفس الوقت ملجأ ومسكناً للطلاب المحتاجين، ومكاناً ينزل به العلماء، وبعضها رتب فيه الدروس العلمية، ونظن أن ذلك كان لصغار الطلبة، أو تحقيقاً لشرط الواقف، وإلا فالطلاب ما كانوا ليتركوا حلقات العلم بالحرم والمدارس ليطلبوا العلم في تلك الأربطة.

---

(١) الغازي: إفادة الأنام، ج٣، ق٢١٢.

## الأسر العلمية

التواصل العلمي بين القرون لابد أن يعتمد على **نقلةٍ للعلم ووراثٍ له،** وإذا كانت الأموال تنتقل بين البيوتات الثرية جيلاً بعد جيل، فإن العلوم والمعارف تنتقل بين العقول البشرية والنافع منها يرجع إلى الأنبياء ، فالعلم ميراث النبوة، قال **رسول ا** ﷺ: ((إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر))[1].

وإن هذا الميراث العظيم لا يكون إلا لأفراد اصطفاهم **ا** تعالى كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[2]. فالخيرية والفضل والاصطفاء لا يكون بتوريث الأموال والمناصب والعدة والعتاد، وإنما بالميراث النبوي وهو العلم.

وقد ذكر المفسرون في قوله تعالى:﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾[3]، أن نبي ا سليمان إنما ورث النبوة، فإن الأنبياء لا تورث أموالهم كما تقدم في الحديث.

وإن العلم الشرعي هو الفقه في الدين، وإن من فتح ا له باباً للتفقه في الدين، فإنه قد أراد به الخير، كما جاء في الحديث أنه قال ﷺ: ((من يرد ا به خيراً يفقهه في الدين))[4].

فإذا اجتمع مع هذا الميراث النبوي، شرف المكان وعظمته فإن ذلك يورث تأثراً في النفوس يمتد إلى الأجيال المتعاقبة، **ومكة** أطهر بقاع الأرض وأقدسها، منها خرج نور الهدى ، فمن الطبيعي أن تتوارث الأجيال هذا الميراث وهي شاهدة لأماكن التنزيل التي لا تزال ماثلة أمام الأعين فهذا حراء وثور، وذاك ثبير وأبو

---

(١) أبو داود: السنن، ج٣، ص٣١٧، الترمذي: السنن ، كتاب العلم، ج٥، ص٤٧.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٢.وانظر في تفسيرها ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٣٥٨.

(٣) سورة النمل، الآية: ١٦.

(٤) البخاري: الجامع الصحيح، ص٢٠، (ح٧١)، ص١٥٣٣، (ح٧٣١٢).

قبيس[1]، وهذه المشاعر المقدسة، وذاك الركن، وهاكم المقام بين يدي باب الكعبة المشرفة، إن تدريس العلوم الشرعية في هذه الجنبات الطاهرة أزكى للنفوس وأكثر عمقاً، وأطول بقاء.

ولعل هذا **المكان الجليل** كان من أهم العوامل التي أدت إلى ظهور وتمركز الكثير من البيوتات العلمية والأسر المعرفية بالبلد الحرام.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك أيضاً **الحركة العلمية** المصاحبة **لرحلات الحج والعمرة** التي دفعت العديد من العلماء إلى حب البقاء والإقامة بمكة، ومن ثم **استوطنوا** البلد الحرام ودرسوا به **فظهر من ذريتهم من قام بالأمر من بعدهم** وحمل الراية لأولاده وأحفاده، بل لا نكون بعيدين عن الواقع إذ قلنا إن مكة كانت أرضاً خصبة لنشأة الأسر العلمية، فكم من قادم إلى مكة ظهرت علومه وورثها أبناؤه بعد استيطانه البلد الحرام.

ولعل **(الرخاء)** الذي تنعم به مكة على مر العصور، استجابة من ا تعالى لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام حيث دعا ربه: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[2]، فهذا الرخاء المادي دفع الكثير من أبناء البيت الواحد إلى التفرغ لطلب العلم، ومن ثم نشره، فإذا أضفنا إلى ذلك أيضاً استجابة ا تعالى لدعوة الخليل في قوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾[3]، عرفنا السر في ميراث العلم في الذرية بمكة، إذ الجميع يقتدون بأبي الأنبياء إبراهيم الذي

---

(١) هي جبال مكة الشهيرة، فجبل حراء بالحي الذي يسمى بـ (جبل النور) تيمناً ببزوغ نور الهداية منه، وجبل ثور هو المطل على حي (بطحاء قريش)، على الطريق المؤدي إلى عوالي مكة، وأما ثبير فهو الجبل الذي يحد = مزدلفة من الشرق، وجبل أبو قبيس هو المطل على الحرم من جهة أجياد، ولمعرفة المزيد انظر: عبد الملك بن دهيش: الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

وصى بنيه بالإسلام كما قال تعالى: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[1].

وكانت هذه وصية نبي الله يعقوب بن الخليل لبنيه أيضاً كما قال تعالى: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[2].

فهذه الآيات وما شاكلها من النصوص لا بد أن تكون ماثلة أمامنظر كل عالم يتمنى أن يحمل ولده مشعل العلم بعده، وينطلق براية الإيمان على الناس كلهم، ولا سيما إن كان في بلد طاهر وحرم مقدس.

ولعل **الاستقرار السياسي النسبي** في العهد العثماني بمكة أضفى بظلاله على البيوتات العلمية، وهو وإن كان مؤثراً على الحركة العلمية بوجه عام إلا أن تأثيره على نشأة وبقاء الأسر العلمية كان أكثر وضوحاً، حيث إن الولاة غالباً ما يكرمون الأسر والبيوتات العلمية رغبة في استجلاب الاستقرار السياسي إذ تأثير البيت العلمي في الرعية أشد من تأثير أفراد العلماء.

بل إذا شئت فقل: إن تأثير (البيت العلمي) كان في القرار السياسي أيضاً، إذ الولاة والأمراء قد لا ينقادون لرأي عالم إذا كان منفرداً، أما إذا كان من أسرة علمية معروفة فإن القرار السياسي يتأثر بذلك ولا شك.

ولهذا يكون التأثر الواضح للأسر العلمية في مدينة ما، فكيف بمكة واستقرارها مطلب لجميع الولاة، بل لكل المسلمين في شتى العصور، وإن ظهور الأسر العلمية في مكة أذكى روح التنافس في العلم، ودفع كبار الأسر إلى إنشاء المدارس العلمية التي يلي التدريس بها أفراد من الأسر، بل التدريس والخطابة بالمسجد الحرام كان كثيراً ما يتوارث، فيلي التدريس والخطابة ذوو الأهلية من

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

علماء الأسر، ويخلفهم من ذريتهم من كان كذلك، وكذلك الأمر بالنسبة للقضاء ولذا كثيراً ما نجد في تراجم هذه الأسر أن العالم الفلاني ولي التدريس بالمسجد الحرام ثم خلفه ابنه في مقامه.

لعل هذه كانت أبرز معالم الأسر العلمية في مكة وتأثيرها الإيجابي على الحياة العلمية بها.

وقد تنوعت الأسر وبرزت أسماء لامعة في سماء العلم على مر سني العهد العثماني؛ فمن تلك الأسر من امتد عطاؤها عشرات السنين يمد السابق اللاحق وتتواصل العقول عبر الأيام، بل ومنهم من تمتد أسرته العلمية تعبر القرون ويظل اسم عميد الأسرة على ألسنة العلماء والمؤرخين لاستمرار العطاء ردحاً من الزمان.

**ومن أمثلة تلك الأسر المكية:**

**أسرة بابصيل:**

ترجع أصول أسرة بابصيل إلى بلاد حضرموت، وقد نبغ الاسم العلمي للأسرة لما تولي إفتاء مكة عميدها **محمد سعيد بابصيل الجفري المكي الشافعي** (ت١٣٣٠هـ/ ١٩١١م)، تلقى العلم من علماء المسجد الحرام، منهم: أحمد زيني دحلان، أذن له بالتدريس بالمسجد الحرام، فانتفع به الطلبة، كما تولى منصب الإفتاء بمكة، فباشره بعفة ونزاهة، رافق الهيئة العلمية التي أوفدتها الحكومة العثمانية إلى الإمام يحيى بن حميد الدين بصنعاء سنة (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م) للتوسط بين الحكومة العثمانية وبين الإمام لإيقاف القتال وإنهاء النزاع وسوء التفاهم، ظل بابصيل في مناصبه العلمية حتى وافته المنية بمكة [(١)].

وقد كان من أبنائه **بكر بن محمد سعيد بابصيل الشافعي** (ت١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م)، أخذ العلم عن والده، وعن علماء عصره منهم: عمر باجنيد، و عبد الرحمن الدهان، و أسعد الدهان، وعمر وأبو بكر وعثمان أبناء محمد بن محمود شطا، و عبد الحميد قدس، وغيرهم كثر، أجيز له بالتدريس فتصدر له بالمسجد

---

(١) عبد الستار الدهلوي: نثر المأثر، ق١٦؛ غازي: نثر الدرر، ق٥٦.

الحرام، وعقد حلقة درسه بجانب حلقة أخيه علي بابصيل، وقد ظل رافداً من روافد العطاء حتى وافته المنية بمكة ودفن بها[1].

**ومن أبنائه أيضاً علي بن محمد سعيد بابصيل الشافعي** (ت١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م)، تلقى العلم عن والده وعلماء عصره، منهم: عمر باجنيد وعبد الرحمن الدهان، و أسعد الدهان، أجيز بالتدريس بالمسجد الحرام فدرس وتولى وكيل قاض، كان من ضمن الوفد الذي أرسله شريف مكة للتوسط بين الترك وإمام اليمن في إزالة أسباب الخلاف[2].

ومن أسرة بابصيل **محمد بن سالم بن محمد سعيد الشافعي، كان موجوداً عام** (١٢٨٠هـ/ ١٨١٣م )، تلقى العلم على عدد من علماء مكة منهم أحمد زيني دحلان، كانت لديه الملكة في التأليف فظهرت له مصنفات عدة[3].

**<u>أسرة الحباب:</u>**

عميد هذه الأسرة فترة البحث هو **يحيى بن محمد صالح الحباب المكي الحنفي**، روى عن حسن عجيمي، وأخذ عن العلماء المعاصرين له كطاهر سنبل وعبد الملك القلعي وغيرهما، وبرع في سائر العلوم، إلا أنه برز في القراءات والفقه، فكان شيخاً على القراء بمكة، ودرس بالمسجد الحرام ووصفته المصادر بأنه شيخ القراء بمكة، فقيه محدث مفسر، ومن آثاره: "حاشية على شرح منسك اللباب لملا علي قاري" ، كان المعول عليه في الدراسة في مكة زماناً.

ولم يعلم وفاته على التحديد، إلا أنه كان حياً عام (١١٧٨هـ / ١٧٦٤م) وبالتالي فقد تأخرت وفاته عن أخيه محمد[4].

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام، (ط١، القاهرة، دار ممفيس للطباعة: ١٣٧٩هـ)، ص٦٣.

(٢) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص ١٦٩؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج١، ص٢٤٩.

(٣) الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٤؛ البغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص٣٧٧.

(٤) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ٥٠٧؛ عبد الستار بن عبد الوهاب المباركشاهوي الصديقي الدهلوي، (ت١٣٥٥هـ): أزهار البستان في طبقات الأعيان ، ويسمى "الأزهار الطيبة النشر في ذكر الأعيان من كل عصر" ، (مخطوط، بمكتبة الحرم المكي، رقم: ٦٥ تراجم/ دهلوي) ، ق١٣٧.

وأخوه **محمد بن محمد صالح الحباب الحنفي**(ت١١٧٠هـ/١٧٥٦م) تلقى العلم عن مشايخ مكة وعدد من فضلائها، وكانت شهرته في القراءة والفقه، فقد وصف بأنه شيخ الفقهاء، وإن كانت شـهرته بالقراءة أكثر، وقد انتفع من عـلمه الكثير من الطلبة حتى وافته المنية بمكة ودفن بها[١].

وامتدت هذه الأسرة العلمية زماناً، حيث ظهر حفيد يحيى، وهو **أسعد بن أحمد بن يحيى الحباب الحنفي**(ت١٢٣٠هـ/١٨١٤م)، اتجه إلى طلب العلم منذ نعومة أظفاره، فأخذه من علماء عصره، وظل ملازماً لهم في الطلب حتى أجازوه بالإفتاء والتدريس، كان من مشاهير فقهاء وقته له عدد من المؤلفات أبرزها الهوامش التي كان يضعها على الكتب الدراسية استمر في أداء رسالته العلمية إلى أن توفي رحمه الله بمكة[٢].

**<u>أسرة الدهان:</u>**

يرجع تاريخ هذه الأسرة إلى **إبراهيم بن عثمان الدهان الحنفي**، أحد علماء القرن الحادي عشر الهجري توفي عام (١٠٥٣هـ/١٦٤٣م )[٣]، وقد ظهر من أفراد أسرة الدهان في فترة البحث في القرن الثاني عشر الهجري **تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم بن عثمان الدهان الحنفي المكي**، وهو من تلامذة حسن العجيمي، فقد لازمه وأخذ عنه علوماً كثيرة في التفسير والحديث والفقه والنحو، ومن وفائه لشيخه أخرج له أسانيد في ثلاثين كراسة أسماها "كفاية المستطلع ونهاية المتطلع في مرويات العجيمي"، تولى الدهان التدريس بالمسجد الحرام، فكان إماماً في الفقه، استفاد من علمه الكثير من الطلبة، ترك مجموعة من المؤلفات القيمة[٤].

---

(١) القطان: تنزيل الرحمات، ق٢٨١؛ عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢٣٨.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر،ص ١٢٨؛ عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج١، ق٤١.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٤.

(٤) المصدر السابق، ص ١٤٧؛ الكتاني: فهرس الفهارس، ص٥٠٤؛ وسيأتي تفصيل المزيد عن مؤلفات العلماء المكيين في الفصل الرابع من هذه الرسالة.

ولقد ورث العلم عن تاج الدين حفيده **أحمد بن أسعد بن تاج الدين بن أحمد الدهان الحنفي** (ت١٢٩٤هـ/١٨٧٧م)**،** أخذ العلوم عن عدد من علماء مكة، برع في الفقه والحديث[1] وتصدى للتدريس والتأليف، حتى وفاته بمكة[2].

وقد خلف من بعده ابنه **أسعد بن أحمد الدهان الحنفي** (ت١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م)، حفظ القرآن الكريم وجوده وصلى به التراويح بالمسجد الحرام مراراً، وطلب العلم على يد عدد من علماء عصره، أمثال رحمت ا الهندي و عبد الحميد الداغستاني و عبد الرحمن سراج وغيرهم كثير[3] وقد أهلته دراسته التي تنوعت ما بين علوم القرآن والحديث والفقه والتوحيد والمنطق والمعاني والبيان والحساب، إلى أن يتصدى للتدريس بالمسجد الحرام، وكان معظم طلابه من العلماء وطلبة العلم الممتازين الذين أخذوا عنه وانتفعوا به[4] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانته العلمية المتميزة.

ولم يكن أسعد هو الابن الوحيد الذي طلب العلم من أبناء أحمد بن أسعد الدهان، فقد كان أيضاً ابنه الأخر **عبد الرحمن بن أحمد بن أسعد الدهان الحنفي** (ت١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م) محباً للعلم، حفظ القرآن الكريم وجوده، وصلى به التراويح بالمسجد الحرام، وأخذ العلم عن جملة من علماء عصره منهم رحمت ا الذي درس على يديه التفسير والحديث والفقه والتوحيد والنحو والمعاني والبيان والحساب وغير ذلك[5]، وعندما تخرج من المدرسة الصولتية لم ينقطع عهده بالعلم بل نراه يلازم دروس المشايخ بالحرم المكي، وكان لتفوقه العلمي أثره في تصدره للتدريس بالمسجد الحرام، وكانت دروسه في التفسير والحديث، بالإضافة إلى تدريسه بالمدرسة الصولتية، وقد تخرج على يده الكثير من علماء مكة وغيرهم، وقد وصفه

---

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج ١، ق٢٢.

(٢) غازي: إفادة الأنام، ج٢، ق٢١٤.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٢٩؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٥٧.

(٤) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج١، ق٤١؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٧٢.

(٥) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٥٢؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج١، ص٤٣٦.

مترجموه بأنه من أكثر علماء مكة الأعلام ورعاً وتقوى وزهداً، طيب القلب، مخلصاً في تعليم طلابه وتوجيههم للتفقه في الدين والتذرع بالصبر وسعة الصدر ورحابة الخلق ودماثته[١].

**أسرة الريس أو (الزمزمي):**

هو بيت قديم راسخ في العلم توارثه أفراده جيلاً بعد جيل، إضافة إلى ما أكرم به من سقاية الحجيج اللقب الذي استمر معهم فترة من الزمان تحت مسمى الزمزمي[٢]، حيث كانت وظيفة رئاسة زمزم لهم لا يشاركهم فيها أحد، لذا عرفوا ببيت الزمزمي ثم ببيت الريس فيما بعد[٣]، وقد يكون بتسميتهم بيت الريس معنى يتعلق برياسة السقاة في وقت من الأوقات.

**وفي فترة البحث ظهر من هذه الأسرة ثلاثة من أبناء عبد السلام الريس الزمزمي الشافعي، وهم: عبد اللطيف وعلي وعثمان.**

أما **عبد اللطيف بن عبد السلام ريس الشافعي** (ت١١٣٠هـ/ ١٧١٧م) فقد شغل منصب (المؤقت)[٤] بالمسجد الحرام، كان فاضلاً أديباً شاعراً، توفي بمكة[٥].

**وأما علي بن عبد السلام الزمزمي الريس الشافعي**(ت١١٥٢هـ/١٧٣٩م)، فقد كان عالماً فاضلاً، شغل منصب (رئيس المؤقتين) بالمسجد الحرام، توفي

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٤١؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص١٦٠.

(٢) عبد الستار الدهلوي: موائد الفضل والكرم الجامعة لتراجم أهل الحرم، (مخطوط بمكتبة الحرم، رقم: ٨٢٩)، ق ١٦٥.

(٣) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق١٩٤؛ أبو هشام عبد ا بن صديق: الأسر القرشية أعيان مكة المحمية، ( ط١، جدة، مطبوعات تهامة :١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م)، ص٢٣٣.

(٤) التأقيت: وظيفة بالمسجد الحرام لتحديد أوقات الصلوات، وإعلام المؤذنين، ولذا فيشترط لها معرفة بفقه الأذان، مع اشتغال بالفلك لضبط ذلك.

(٥) القطان: تنزيل الرحمات، ق٢٤١.

بمكة[1]، وقد خلفه ابنه **أحمد بن علي الريس** في منصب (رئيس المؤقتين)، كان: (عالماً فاضلاً من أهل القرن الثاني عشر)[2].

وأما **عثمان بن عبد السلام الريس الشافعي**(ت١١٥٦هـ/١٧٤٣م)، **كان هو الأخر عالماً فاضلاً تولى** منصب رئيس المؤقتين، وظل به حتى وفاته[3].

وقد ظهر من علماء هذه الأسرة الجيل التالي في الأحفاد في عهد أجدادهم، فعرف منهم: **إبراهيم بن محمد بن عبد اللطيف بن عبد السلام الريس الشافعي** (ت١١٩٥هـ/١٧٨٠م)، طلب العلم فسمع من عدد من علماء مكة، كان محباً لجمع الكتب، فتكونت لديه مكتبة كبيرة حوت كتباً في علوم شتى[4].

وقد اعتنى إبراهيم بتعليم أبنائه، فطلب منهم العلم ابنه **محمد صالح بن إبراهيم الريس الشافعي** (ت١٢٤٠هـ/ ١٨٤٤م)، نشأ بمكة وحفظ القرآن الكريم صغيراً، كما حفظ مجموعة من المتون، واعتنى بطلب العلم وملازمة العلماء والأخذ عنهم، أذن له بالتدريس، فدرس التفسير والحديث والفقه والعربية وغيرها بالمسجد الحرام، استفاد من علمه عدد من العلماء وطلاب العلم، توفي بمكة وقد ترك خلفه رسائل فقهية في المذهب الشافعي[5].

**وسار على درب العلم من بعده ابن أخيه عمر بن أبي بكر بن إبراهيم الريس الشافعي** (ت١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م) تلقى العلم على يد عمه محمد صالح، كما لازم عدداً من علماء مكة وأخذ عنهم، تقلد منصب الإفتاء بمكة بعد وفاة عمه، فقام به أحسن قيام، توفي بالطائف[6].

---

(١) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق ٢٢٨.

(٢) المخطوط السابق، ق٢١٣.

(٣) القطان: تنزيل الرحمات، ق٢٦٨؛ عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢١٣.

(٤) الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص٦٥٠؛ صديق حسن خان: التاج المكلل من جواهر مأثر الطراز الأخر والأول، (بمباي، المطبعة الهندية العربية: ١٩٦٣م)، ص٥١١.

(٥) أبو هشام عبد ا بن صديق: الأسر القرشية أعيان مكة المحمية، ص٢٣٣؛ أحمد عطية ا : القاموس الإسلامي، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية: ١٩٧٠م)، ج٣، ص٣١.

(٦) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٧٦.

**وظهر من علماء هذه الأسرة عبد ا بن عبد ا بن علي بن محمد بن علي بن عبد السلام الريس الشافعي (**توفي في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي)**،** حفظ القرآن الكريم ومجموعة من المتون في التفسير والحديث والنحو والفرائض والمنطق وغير ذلك، ثم لازم عدداً من علماء مكة، منهم: أحمد دحلان قرأ عليه في التفسير والحديث والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق وأجازه بجميع مروياته ومقروءاته، وتصدى للتدريس بالمسجد الحرام، فدرس وأفاد وأخذ عنه عدد من طلاب العلم، وقد انفرد بعلم الفلك في عصره، وتقلد منصب رئيس المؤقتين[1].

ومن آخر من وصلنا خبره من هذه الأسرة فترة البحث هو **محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد السلام ريس الشافعي** (ت١٣٢٣هـ/١٨١٧م)، قرأ العلم على علماء مكة في عصره، كان أديباً لطيفاً ذا خلق حسن، كان ماهراً في علم الفلك والتوقيت، ظل في وظيفته حتى توفي بمكة[2].

**أسرة سِراج:**

**الحديث عن أسرة سِراج "بكسر السين وفتح الراء" هو حديث عن أسرة فقهية وعلمية تولت المناصب الدينية الرفيعة من قضاء وإفتاء وغير ذلك**، حديث يأخذنا إلى عميد هذه الأسرة **عبد ا بن عبد الرحمن بن سراج الحنفي** (ت١٢٦٤هـ/١٨٤٧م)، من مواليد مكة نشأ بها، وأخذ عن علمائها في عصره كعبد الملك القلعي وعبد الحفيظ العجيمي وغيرهم، كان عبد ا سراج مجداً مجتهداً له باع طويل في التفسير والحديث والفتوى، وأهله علمه للتصدر للإقراء والتدريس بالمسجد الحرام ، فانتفع به خلق كثيرون، تقلد القضاء بجدة، ثم مكة، فحمدت سيرته وظهر عدله.

---

(١) المصدر السابق، ص٢٩٤.

(٢) غازي: نظم الدر، ق٢١١.

ولم يزل يعلو شأنه بين العلماء حتى تم تعيينه رئيساً لعلماء البلد الحرام عام (١٢٣٣هـ/١٨١٧م)[(١)]، ويعد عبد ا أول من يشغل هذا المنصب في القرن الثالث عشر الهجري، كان مرجعاً يرجع إليه عند مشتبهات الأحكام والمسائل ويوضح ما أبهم من معضلات الدلائل، توفي بمكة[(٢)].

**ولا غرو أن يشب ولده عبد الرحمن سراج الحنفي** (ت١٣١٤هـ/١٨٩٦م) **في هذا الجو العلمي،** فيشرب من علوم والده، ويتصدر أقرانه حتى يشار إليه بالبنان، إذ حفظ القرآن الكريم صغيراً إضافة إلى مجموعة من المتون في كثير من الفنون، وأخذ عن أكابر علماء عصره منهم: جمال عبد ا الحنفي مفتي مكة، وبه تفقه ، كما أخذ عن مفتي الشافعية أحمد دحلان، ورحمت ا الهندي، وأجازوه بسائر مروياتهم، نبغ في الفقه والأدب والشعر، وتصدر للتدريس بالمسجد الحرام، تخرج به جماعة من طلبة العلم، تولى منصب الفتوى بمكة نيابة عن شيخه جمال حين توجه الأخير إلى المدينة المنورة زائراً، فظهرت براعته وحمدت سيرته، وبعد وفاة شيخه تقلد المنصب، فسلك فيه جادة الاستقامة وأثنى عليه الناس لنزاهته وورعه، هذا ولم يشغله منصب الإفتاء عن مواصلة حبه في اقتناء الكتب خاصة النفيسة النادرة، فكان يطلبها من مظانها، ويسعى في طلبها من الأقطار البعيدة، وينسخ منها بخطه ما يشاء، ولقد كان لهذه الكتب إضافة إلى ما لديه من علم غزير دور في اشتغاله بالتأليف.

وهكذا نبغ عبد الرحمن سراج في العلوم الشرعية حتى وصف بأنه **مفتي مكة وداعيها ومفسرها وراويها وشيخ علمائها** الذي لم يزل للعلم طالباً ومعلماً إلى أن وافته المنية بمصر[(٣)].

**وخلف عبد الرحمن من ذريته عالمين كبيرين، الأول هو عبد ا بن عبد الرحمن سراج الحنفي** (ت١٣٦٨هـ/١٩٤٩م)، التحق **بالمدرسة الصولتية** وتخرج

---

(١) سيأتي بيان لهذا المنصب في الفصل الثالث "مبحث المدرسين" إن شاء ا .

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٩٧؛ الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص٧٥٢.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٤٣؛ المغربي: أعلام الحجاز، ج٣، ص٣٣٩.

بها، كما أخذ عن كبار علماء عصره، بدأ بوالده، ورحل في طلب العلم فنزل مصر ودرس بالجامع الأزهر، ولما تمكن من العلوم والفنون عاد إلى مكة فتولى إفتاءها، فحمدت سيرته وتجلت نزاهته(١).

**وأما أخوه محمد علي** فقد حفظ القرآن الكريم ومجموعة من المتون في الفرائض والنحو والبلاغة والمنطق، وعرضها على والده فشرح له غوامضها، تولى الإمامة والخطابة بالمسجد الحرام في نهاية العهد العثماني(٢).

**أسرة السقاف:**

**تعود أصول أسرة السقاف إلى جنوب الجزيرة العربية،** إذ ولد عميد هذه الأسرة وهو **أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن عقيل الشافعي بإحدى مدن حضرموت** ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم، وتلقى العلم على أيدي عدد من علمائها، ثم قدم مكة فاستكمل ما فاته من علم وتحصيل، فلازم الشيوخ والتنقل بين حلقات العلم، ومازالت هذه حاله بمكة حتى وافته المنية عام ( ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م)(٣)، بعد أن ترك ذرية أنجبت عدداً من العلماء منهم: **المحدث عمر بن أحمد بن أبي بكر بن عقيل السقاف الشافعي** (ت١١٧٤/١٧٦٠م)، طلب العلم، فحصله عن عدد من علماء مكة، روى عن جده لأمه عبد ا بن سالم البصري، إضافة إلى عدد من مشايخ عصره، ووصف بالمحدث المسند شيخ الحديث في الحجاز، توفي بمكة(٤).

---

(١) وقد امتد به العمر فتولى منصب قاضي القضاة ورئيس الوكلاء في الدولة الهاشمية، كما أسند إليه رئاسة الوزراء الأردنية، ، وحين ضم الملك عبد العزيز آل سعود الحجاز طلب منه العودة، إلا أن المرض حال دون ذلك، فمات بالأردن عام ١٣٦٨هـ. انظر: غازي: نثر الدرر، ق٤٧؛ المغربي: أعلام الحجاز، ج٣، ص٣٧٥.

(٢) غازي: نثر الدرر، ق٥٨. وامتد العمر بالشيخ حتى وافته المنية عام (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، فقد تولى قضاء الطائف، وعضواً برئاسة القضاء بمكة في العهد السعودي، انظر: عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٢٧٤.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٦٥.

(٤) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق١٧٤؛ وقد ذكر القطان في تنزيل الرحمات، ص٢٨٢، ومرداد أبو الخير في نشر النور والزهر، ص٣٧٦، أن وفاته كانت عام (١١٧١هـ)؛ الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص٧٩٢.

**ومن علمائها أيضاً محمد بن عبد ا  السقاف الشافعي**، قرأ القرآن الكريم وحفظه، كان أديباً فاضلاً ناظماً ناثراً حسن الخط، تولى الإمامة بالمسجد الحرام(١).

**ومن أولاد عمومتهم: عقيل بن عمر السقاف الشافعي (ت١٢٤٧هـ/١٨٣١م)**، كان عالماً فاضلاً درس عليه عدد من علماء مكة منهم: عمر عبد رب الرسول و محمد صالح ريس، توفي بمكة، وله عدد من المؤلفات(٢).

**وابنه إسحاق بن عقيل بن عمر السقاف الشافعي** (ت١٢٧١هـ/١٨٥٤م) تلقى العلم عن عدد من علماء عصره، منهم: عمر عبد رب الرسول الحنفي المكي، كان شاعراً ذا وجاهة، توفي بالطائف مقتولاً، له مؤلف في تاريخ الأشراف(٣).

**أسرة سنبل:**

**ظهر اسم "سنبل" في القرن الثاني عشر الهجري بمكة**، إذ إن عميد هذه الأسرة هو **محمد سنبل الشافعي**، ورغم أن المصادر التي بين أيدينا لم تشر بمعلومات وفيرة عنه، إلا أن اشتهار الأسرة علمياً يرجع إلى والديه وهما المحدثان محمد هلال و محمد سعيد(٤).

**فأما محمد هلال سنبل الشافعي** (ت١١٥٩هـ/١٧٤٦م)، فقد طلب العلم واجتهد في تحصيله، فتلقى عن شيوخ عصره، وكان أكثر تلقيه عن المحدث أحمد ابن محمد النخلي وروى عنه، وكان له اليد الطولى في علم الحديث، ويؤكد ذلك وصف الدهلوي له بـ: (العلامة المسند والحبر الأوحد الهمام الكامل)(٥)، وتصدى للتدريس فدرس بالمسجد الحرام، وأخذ عنه كثيرون، منهم: أخوه محمد سعيد سنبل، وابنه مفتي مكة  عبد الغني محمد هلال سنبل وغيرهما(٦).

---

(١) غازي: إفادة الأنام، ج٢، ق٢٠٣.

(٢) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٢، ق ٨٣.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٢٨؛ الزركلي: الأعلام، ج١، ص٢٨٧؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٤١٨.

(٤) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢٣٩.

(٥) مرداد  أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٤٣؛ عبد الستار الدهلوي: مائدة الفضل والكرم، ق٢١٣.

(٦) غازي: نظم الدرر، ق١٥٠، رجال من مكة المكرمة، (جريدة الندوة، ع١٠٥٥٠، في ١٤١٤/٣/٦هـ)، ص٥.

**وأخوه هو محمد سعيد سنبل الشافعي**(ت١١٧٥هـ/١٧٦١م) أخذ العلوم ورواها عن عدد من مشايخ وعلماء مكة ، برع في الحديث والفقه، وتولى الإفتاء والتدريس بالمسجد الحرام[١]، ذكره صاحب تنزيل الرحمات وقال عنه: (إمام الحديث، الإمام الشافعي الصغير المجمع على فضله وعلمه)[٢]، توفي بالطائف، وله عدد من المؤلفات معظمها في علم الحديث[٣].

**وقد تفقه على يديه** ابنه مفتي **الشافعية بمكة عبد الغني هلال بن محمد هلال سنبل** (ت١٢١٢هـ/١٧٩٧م)، أخذ عن عدد من العلماء حتى تأهل وتصدى للتدريس والإفتاء، وانتفع بعلمه الكثير من طلبة العلم[٤].

**وكان معاصراً له ابن عمه: محمد بن محمد سعيد بن محمد سنبل الحنفي المكي** (ت١٢١٦هـ/١٨٠١م)، تلقى العلم عن والده وعن علماء مكة، تصدى للتدريس بالمسجد الحرام، فدرس وأفاد[٥]، **ورثه في علمه أخواه العالمان طاهر و عباس** ، أما الأول فهو **طاهر بن محمد سعيد سنبل الحنفي**(ت١٢١٨هـ/١٨٠٣م) قرأ على والده وأكثر أخذه عنه كذلك درس على يد عدد من علماء عصره أمثال علي الصديقي مفتي مكة، و يحيى ابن محمد الحباب، وعبد الرحمن بن حسن الفتني وغيرهم، واشتهر بعلم الفقه فدرسه بالمسجد الحرام ، وتخرج على يديه الكثير من العلماء ، توفي بمكة وله عدد من المؤلفات القيمة في الفقه[٦].

---

(١) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٢، ص١٩؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٩٢.

(٢) القطان: تنزيل الرحمات، ق٢٨٦.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٤٢؛ الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص١٠٠.

(٤) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٢، ق ١٤٣.

(٥) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٤١.

(٦) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٢، ص55؛ البغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص٣٥٤، وفيه وفاته عام ١٢١٩هـ، كحالة: معجم المؤلفين ، ج١٠، ص١٠١.

**أما عباس بن محمد سعيد سنبل الحنفي** (ت١٢٨٨هـ/١٨٧١م)، فقد اشتغل بالعلوم الشرعية أيضاً، درسها على يد والده وعلى يحيى بن محمد صالح الحباب وغيرهم، وتصدى للتدريس بالمسجد الحرام[(١)].

ولم يقتصر الاشتغال بالعلم على رجال هذه الأسرة فحسب، بل اشتهر من نسائها ممن تعلم وعلم، فقد كانت أم **الحسن ابنة مصطفى البغدادية زوجة محمد سعيد سنبل**، علامة متقنة كما أفاد بذلك طاهر سنبل في ثبته وأنها كانت من جملة من تلقى العلم عنهم[(٢)].

**أسرة شطا:**

بيت شطا بيت مشهور بالعلم والفضل[(٣)]، **تعود أصوله إلى مصر، والتي ولد فيها عميد هذه الأسرة محمد بن محمود بن علي زين الدين شطا الشافعي** (ت١٢٦٦هـ/١٨٤٩م)، حفظ القرآن الكريم، ودرس على عدد من علماء الأزهر وتضلع في عدد من العلوم، ثم قدم مكة وتوطنها، وتصدر للإقراء والتدريس بالمسجد الحرام، كان عالماً متبحراً عفيفاً متواضعاً، آية في الحفظ متوقد الذكاء استمر في التدريس حتى وافته المنية بمكة ودفن بها[(٤)].

**وقد خلف من بعده من أبنائه ثلاثة كلهم قام في العلم بعده وهم عمر وعثمان وأبو بكر الملقب ببكري.**

**فأما عمر بن محمد شطا الشافعي** (ت١٣٣١هـ/١٩١٢م)، فقد نال العلم على يد عدد من علماء مكة منهم: محمد سعيد بابصيل، وأحمد دحلان، وما أن أجيز له بالتدريس بالمسجد الحرام حتى بادر بعقد حلقة درسه به في الفقه والعقائد والنحو انتفع بعلمه عدد كبير من الطلبة[(٥)].

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٤٠؛ غازي: نظم الدرر، ق ١٤٧؛ .

(٢) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢١٢.

(٣) أبو هشام عبد ا بن صديق: الأسر القرشية أعيان مكة المحمية، ص١٥٩.

(٤) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٤٧؛ عبد الستار الدهلوي: مائدة الفضل والكرم، ق١٢٣.

(٥) غازي: نظم الدرر، ق١٩٥؛ عمر عبد الجبار: ماضي التعليم وحاضره ، ص٢٨١، وفيه أن وفاته عام ١٣١٠هـ، إثر وباء حل بمكة في موسم الحج.

**وأما أخوه عثمان شطا الشافعي** (ت١٢٩٥هـ/١٨٧٧م)، فقد حفظ القرآن الكريم ومجموعة من المتون، طلب العلم فدرسه على يد والده وعلى محمد سعيد بابصيل وأحمد زيني دحلان[١] تصدى للتدريس بالمسجد الحرام فدرس سنوات عديدة، إلا أنه لم يعمر طويلاً، فتوفي وهو في أول العقد الرابع من عمره[٢].

**وثالث الأبناء هو أبو بكر بن محمد زين العابدين شطا الشافعي** (ت١٣٠٠هـ/١٨٨٣م) نشأ في كفالة أخيه عمر شطا، فقد توفي أبوه وهو ابن ثلاثة أشهر، فتربى يتيماً في كنف أخيه، والذي اعتنى به فحفظ القرآن الكريم وجوده وعمره سبع سنوات، وحفظ مجموعة من المتون في القراءات والفقه الشافعي والفرائض والنحو والبلاغة ولازم السيد أحمد دحلان، درس على يديه عدداً من العلوم، وكان أخواه عمر وعثمان قد لمسا فيه النجابة والفهم والتفقه في الدين، فأخذا يتتبعانه ويذاكرانه في دروسه، فنبغ في العلوم الدينية والعربية، وتصدى للتدريس بالمسجد الحرام فعقد حلقة درسه، وأقبل عليه الطلبة واستفاد من علمه الكثير من العلماء والطلبة[٣]، توفي بمكة تاركاً إرثاً ضخماً من المؤلفات[٤].

**وقد سار على درب العلم من بعده أبناؤه الثلاثة أحمد وصالح وحسين.**

فأما **أحمد شطا الشافعي** (ت١٣٣٢هـ/١٩١٣م) فترعرع بمكة على حب العلم وطلبه، فحفظ القرآن الكريم ومجموعة من المتون، واستفاد من علم والده ومن عاصره من علماء مكة فدرس عليهم التفسير والحديث والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق وغير ذلك، تصدى للتدريس بالمسجد الحرام، فدرس وأفاد توفي بمكة[٥]. بعد أن عاش حياة ملأها علماً وعملاً رحمه ا .

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٢، ق١٤٢.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٣٧.

(٣) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٣٤٠.

(٤) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٤٣؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص٤٨.

(٥) غازي: نظم الدرر، ق١٦١؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٦٥؛ رجال من مكة المكرمة، (جريدة الندوة، ع ١٠٥٧٠، في ١٤١٤/٣/٢٩هـ)، ص٥.

**أما حسين بن شطا** (ت١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)، فقد توفي والده وعمره ثلاث سنوات، فكفله أخوه أحمد واعتنى به، فطلب العلم فتلقاه عن أخيه وعدد مشايخ عصره منهم: حسين حبشي مفتي الشافعية بمكة وعبد الرحمن دهان، وعبد ا دحلان وغيرهم، ونبغ في العلوم الدينية واللغة العربية، وأجيز له بالتدريس فدرس بالمسجد الحرام، وتخرج على يده عدد من طلاب العلم[١].

وآخر هذه الأسرة في فترة البحث هو **صالح شطا الشافعي** (ت١٣٦٩هـ/١٩٤٩م) **توفي والده وهو** في الثانية من عمره، فقام أخوه أحمد شطا برعايته، فحفظ القرآن الكريم ومجموعة من المتون في الفقه واللغة العربية، تلقى العلم عن أخيه أحمد شطا، وعن مجموعة من علماء مكة ، قام برحلات ثقافية وعلمية إلى مصر وفلسطين والشام ولبنان والهند، وبعد انتهاء الغرض من رحلاته عاد إلى مكة، فتصدر لتدريس علوم اللغة العربية والفقه الشافعي بالمسجد الحرام [٢].

**أسرة الشيبي:**

وقد ظهر من أسرة آل **الشيبي في فترة البحث عددٌ من العلماء منهم: محمد زين العابدين بن محمد بن عبد المعطي الشيبي** (ت١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م)، كان عالماً فاضلاً، ينظم الشعر، وله "رسالة في مناسك الحج" على مذهب الإمام الشافعي نظماً[٣]، أما ابنه **عبد ا بن محمد الشيبي** (ت١٢٩٦هـ/١٨٧٨م) فقد وصف بحب العلماء والفقهاء وأهل الورع والصلاح، كان كثير التلاوة والذكر قرأ بعض العلوم على عدد من علماء المسجد الحرام[٤].

كما ظهر من أسرة الشيبي **محمد صالح بن أحمد الشيبي**(ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م)، طلب العلم فأخذه من علماء المسجد الحرام، وأجازوه في علوم القرآن والعربية[٥].

---

(١)عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٩٣؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج٢، ص٥٦١.

(٢) وفي عهد الدولة السعودية عين مستشاراً لنائب الملك في الحجاز، ثم مديراً للمعارف ثم عضواً بمجلس الشورى، أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٤٥؛ عمر عبد الجبار : سير وتراجم، ص١٢٤.

(٣) الغزاوي: شذرات الذهب، ص٤١٩؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٣٦٨.

(٤) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٢، ص٦٨؛ مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٩٧.

(٥) المعلمي: أعلام المكيين، ج١، ص٥٩١.

وأما ابنه **عبد القادر بن محمد صالح الشيبي** (ت١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، فقد اشتغل بطلب العلم منذ صغره، فقرأ على والده وعلى عدد من علماء مكة، ومن قدم إليها من مصر والشام، وأجازوه، كان ذا دراية بالفقه الشافعي ومشاركة في العلوم العربية، يحضر مجالسه أهل العلم وغيرهم روى عنه عدد كبير من المشايخ[١] .

**بيت الصديقي أو بيت المفتي :**

بيت المفتي هم عائلة كبيرة فيهم من هو من أهل الفقه والأدب، تعود أصولهم إلى تجار الهند ، كانت لهم ثروة كبيرة بمكة وأوقاف وعقارات [٢].

كما يقال لهم بيت الصديقي نسبة إلى عميد هذه الأسرة السيد أبي الفرج أبي بكر عبد القادر الصديقي، ويقال لهم بيت المفتي لأن هذه الأسرة تولت منصب الإفتاء بمكة على المذهب الحنفي قرابة قرن من الزمن، فقد تولى منصب الإفتاء بمكة على المذهب الحنفي أربعة من علماء هذا البيت أولهم المفتي عبد القادر بن أبي بكر وكان ابتداء تقلده له عام (١١٠٨هـ/١١٩٦م) وثانيهم ابنه المفتي يحيى بن عبد القادر وثالثهم ابنه الأخر المفتي علي بن عبد القادر ورابعهم حفيده المفتي عبد القادر بن يحيى بن عبد القادر وهو آخر المفتيين منهم، فإن: ( الفتوى مكثت عندهم قريباً من قرن ولم يتيسر ذلك لغيرهم)[٣].

فأما عميد هذه الأسرة، فهو **أبو الفرج محي الدين عبد القادر بن أبي بكر الصديقي الحنفي المكي** (ت١١٣٨هـ/١٧٢٥م)، ولد بمكة ونشأ بها، ولازم العلماء وأخذ عنهم حتى بلغ عدد من أخذ عنهم من أهل العلم من مشايخ مكة ما يربو عن الستين عالماً، أخذ منهم الفقه على المذاهب الأربعة، وحصل على الإجازات العامة والخاصة، كذلك أخذ علم القراءات من مشايخ وقته عن علماء الحرمين الشريفين ومصر والشام والمغرب والهند واليمن والعراق، ولازم جده لأمه **حسن بن علي**

---

(١) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٣٢٣.

(٢) جعفر اللبني: الحديث شجون ، ق٧٩.

(٣) القطان، تنزيل الرحمات، ج٢، ق ٢٤٨؛ مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٧٦.

**العجيمي** المكي[1]، وتفقه به وسمع عليه الموطأ والصحيحين وعدداً من كتب الفقه وحضر دروسه في التفسير، وقرأ عليه في المعاني والبيان، وأجازه، وقد جمع له من الوظائف الدينية المكية ما لم يجتمع في غيره من العلماء، وصفه المؤرخ مرداد أبو الخير بقوله: (قد اجتمع في شيخنا صاحب هذه الترجمة من الوظائف الدينية المكية والمناصب الشريفة السنية ما لم يعرف اجتماعه في شخص قبله قط ولا كتب في تاريخ فيما رأيناه)[2].

**فمن المناصب** التي تولاها عبد القادر **منصب الإفتاء** على المذهب الحنفي، والتدريس بالمسجد الحرام والمدرسة السلمانية، بالإضافة إلى خطبة مسجد نمرة وإمامة مسجد مزدلفة وخطبة المسجد الحرام، **وللشيخ الكثير من المؤلفات** جلها في الفقه، ولقد أهلته مكانته العلمية أن تطلق عليه الأوساط العلمية في زمانه **بشيخ الإسلام**[3]، توفي بمكة تاركاً خمسة من الأبناء العلماء الأعلام وهم المفتي يحيى والمفتي علي وعمر وأحمد وعبد الرحمن حملوا راية العلم بعده وورثها أبناؤه.

فأما **يحيى بن عبد القادر الصديقي الحنفي** (ت١١٤١هـ/١٧٢٨م)، أخذ العلم عن والده وغيره وتقلد منصب الإفتاء بعد وفاة والده، وظل به حتى وفاته بمكة[4].

وقد خلف ابناً عالماً فقيهاً أديباً وهو **عبد القادر بن يحيى بن عبد القادر الصديقي الحنفي** (ت١١٩١هـ/ ١٧٧٧م)، تلقى العلم على جماعة من علماء مكة منهم **عمه علي الصديقي**، الذي درس عليه الفقه الحنفي، فبرع فيه وأتقنه وتفقهه، قام بتجريد مؤلفات **جده لأمه حسن عجيمي** وذلك من خلال الهوامش التي كان يكتبها العجيمي بخطه ويعلقها على الكتب منها "حاشية على الأشباه والنظائر"

---

(١) جعفر اللبني: الحديث شجون، ق٧٩.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٦٤.

(٣) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٢، ص٢٠٨؛ عبد الستار الدهلوي: مائدة الفضل والكرم، ق١٦٩.

(٤) القطان: تنزل الرحمات، ق٢٥٦؛ مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٥١٥.

و"تاريخ الطائف" وغير ذلك، أهلته مكانته العلمية للتدريس بالمسجد الحرام إضافة إلى منصب الإفتاء[1] الذي باشره بعفة ونزاهة حتى وافته المنية[2].

**ومن علماء هذه الأسرة: أحمد بن عبد القادر الصديقي،** (من أهل القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي)، قرأ على والده وغيره، تولى إمامة وخطابة المسجد الحرام، كان أديباً شاعراً له العديد من القصائد والأشعار[3].

أما أخوه **عمر بن عبد القادر الصديقي الحنفي** (ت١١٦٢هـ/١٧٤٨م)، فقد قرأ هو الآخر على والده وغيره من الفضلاء، وصف بالأخلاق الحسنة والأفعال المستحسنة، تولى خطابة المسجد الحرام، وتوفي بمكة[4].

كما عرف بالعلم والتفقه في الدين أخوهم **علي بن عبد القادر الصديقي الحنفي**(ت١١٨٧هـ/١٧٧٣م) أخذه عن والده وعدد من علماء عصره، فبرع ودرس وتولى خطابة وإمامة المسجد الحرام، تولى إفتاء مكة بعد وفاة تاج الدين القلعي سنة (١١٤٩هـ/١٧٣٦م)، وظل فيها حتى دنو أجله[5].

ومن علماء هذه الأسرة **عبد القادر بن أسعد بن علي بن عبد القادر بن أبي بكر الصديقي** (ت١٢٥٠م/ ١٨٣٤م)، قرأ على علماء عصره، فبرع في العلوم الشرعية والعربية والأدبية، تصدر للتدريس بالمسجد الحرام، فدرس واستفاد منه طلبة العلم ورواده حتى وفاته بمكة رحمه ا [6].

**أسرة الطبري:**

---

(١) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢٢٦؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص١٧١.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٧٥.

(٣) المصدر السابق، ص١١٨.

(٤) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ص٢٣٢؛ .

(٥) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٢، ص٢٤٤؛ مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١١٨.

(٦) غازي: نظم الدرر، ق١٣٢.

أسرة الطبري أسرة عريقة، وصفت بأنها: (بيت علم وشرف مشهورون في مشارق الأرض ومغاربها، وهم أقدم ذوي البيوتات بمكة)[1]، **أصلهم** من **الشام**، ثم استوطنوا مكة قروناً من الزمان ظهر فيها علماء بارزون وأئمة وفقهاءومدرسون، امتد تأثيرهم لأجيال طويلة[٢].

انفرد الطبريون بمناصب دينية لم يشاركهم فيها أحد بمكة، كالفتيا والقضاء والإمامة والخطابة بالمسجد الحرام[٣] ، ذكر المحبي في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر أنه في عام (١١٠١هـ/ ١٦٨٩م) حاول شخص أن يشارك الطبريين إمامة مقام إبراهيم لكنه منع ولم يعط الإذن من الجهات الرسمية، وذلك لرسوخ قدم هذه الأسرة في العلم حيث إن: (المناصب العلية في أيديهم يتلقونها كابراً عن كابر، ويعقدون عليها في مقام الافتخار بالخناصر، من القضاء والفتوى والتدريس والإمامة والخطابة ببلد ا النفيس)[٤].

وامتد عطاء هذه الأسرة منذ ظهورها في القرن **السادس الهجري** حتى القرن **الثاني عشر الهجري**، اشتهر من رجالاتها ونسائها من وصف بالخير والفضل والعلم، ومثل هذا الامتداد التاريخي قلما يكون لأسرة أخرى في بلد ما.

ذكر مرداد أبو الخير(ت١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) أنه لم يكن في زمانه في **القرن الرابع عشر الهجري** أحد من أولاد الظهور لهؤلاء الأسر، بل من قبله من نحو مائة وخمسين سنة[5]، أي مع نهاية القرن الثاني عشر الهجري انقرضت هذه الأسرة.

---

(١) حسن بن علي العجيمي: خبايا الزوايا، (مخطوط بمكتب الحرم ، رقم: ٧/ تراجم دهلوي)، ق ١٠٩؛ محمد بن أحمد المكي الحموي: فوائد الارتحال ونتائج السفر في أعيان القرن الحادي عشر ، (مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٠٩٣ / تاريخ )، ج١، ق٩٥.

(٢) عائض الردادي: الأسرة الطبرية المكية، (ط١، الرياض، دار الرفاعي: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ص٢٣ـ ٢٥.

(٣) عبد الستار الدهلوي: مائدة الفضل والكرم، ق٩٥.

(٤) محمد أمين بن فضل ا المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، (بيروت، دار صادر)،ج٢،ص٤٦١.

(5) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص .

وظهر من أعيان هذه الأسرة في فترة البحث **ذرية محيى الدين عبد القادر بن محمد بن يحيى بن مكرم الحسيني الطبري الشافعي، وأخيه عبد ا بن محمد الطبري الشافعي.**

**فأما محيى الدين عبد القادر الطبري الشافعي**(ت١٠٣٣هـ/١٦٢٣م) فهو إمام المقام الشافعي في عصره، تقلد الإفتاء والخطابة بالبلد الحرام توفي بمكة وقد ورثت ذريته العلم من بعده (١)، **فمن أحفاده العلماء في فترة البحث حسن ومحمد**

**فأما حسن بن علي(٢) بن عبد القادر الطبري الشافعي**(ت١١٢٢هـ/١٧١٠م)، كان أديب زمانه حفظ القرآن الكريم وصلى به التراويح في المسجد الحرام، وحفظ عدة متون واشتغل بالعلم ، فقرأ على والده وعمه زين العابدين الطبري توفي بمكة (٣).

**وأما محمد بن علي بن عبد القادر الطبري**، حفظ القرآن الكريم وجد في طلب العلم فأخذه عن مشايخ عصره، له العديد من المؤلفات توفي بمكة عام (١١٦٣هـ/١٧٤٩م)(٤).

**ومن أبناء أحفاد عبد القادر العلماء يحيى بن أحمد بن زين العابدين بن عبد القادر الطبري الشافعي** (ت١١٣٧هـ/١٧٢٤م)، مات والده وهو صغير، إلا أن يتْمه لم يشغله عن طلب العلم، فظهرت نجابته وساد أقرانه، بما حفظه من العلوم والمتون، تولى إمامة المقام الشافعي بالمسجد الحرام توفي بمكة ، وكانت جنازته حافلة بالناس(٥)، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى المكانة العلمية التي وصل إليها وحب الناس له رحمه ا .

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٦٧.

(٢) هو علي بن عبد القادر بن محمد الطبري ولد بمكة ونشأ بها وحفظ القرآن وجوده ولازم والده في الفنون العلمية وأخذ عن أكابر العلماء في عصره، أفتى ودرس بالمسجد الحرام توفي عام ١٠٧٠ هـ، له العديد من المؤلفات منها الأرج المسكي في التاريخ المكي، الجواهر المنظمة بفضيلة الكعبة المعظمة، انظر: المحبي: خلاصة الأثر، ج٣، ص١٦١؛ الزركلي : الأعلام، ج٥، ص١١٥؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٧، ص١٢٦.

(٣) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢١٨.

(٤) القطان:تنزيل الرحمات، ق٢٧٤؛ مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٥٧.

(٥) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق١٣٧؛ غازي : نظم الدرر، ق١٠٧.

ومن هذه الأسرة ظهرت **الطبرية خديجة بنت عبد الوهاب بن علي بن عبد القادر الطبرية المكية الشافعية**، تلقت العلوم عن والدها وغيره من علماء عصرها من الطبريين، روى عنها كثير من علماء مكة أمثال عمر بن عبد رب الرسول توفيت بمكة (في أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي)[1].

كما ظهر من أسرة الطبري في فترة البحث **ذرية عبد ا الطبري أخي عبد القادر الطبري، حيث حمل لواء العلم حفيده علي بن فضل[2] بن عبد ا بن محمد مكرم الطبري الشافعي** (ت١١٢٠هـ/١٧٠٨م)، حفظ القرآن الكريم وجوده، واشتغل بطلب العلم فقرأ على والده وعلى عدد من علماء مكة، تولى إمامة المسجد الحرام درس وأفاد، ووصف بأنه كان: (ذا أخلاق حسنة وشيم مرضية، وافر العقل والأدب كثير الحياء حليم، جميل المحيا متمسكا بآداب الشريعة المحمدية)[3]، وخلف من ذريته أبناءه محمداً وعبد الوهاب، فأما **محمد والملقب بالجمال الأخير الشافعي** (ت١١٧٣هـ/١٧٥٩م)، فقد تلقى العلوم على يد والده ومجموعة من علماء عصره أمثال المفتي عبد القادر الصديقي الذي حفظ القرآن وجوده على يديه بالإضافة إلى مجموعة من المتون، كذلك قرأ على عدد من علماء مكة وأجازوه، برع ونبغ في العلوم الشرعية، له عدد من المؤلفات، توفي بمكة رحمه ا [4].

**وأما عبد الوهاب الطبري** (ت١١٧٦هـ/١٧٦٢م)**،** فكان عالماً فقيهاً تولى الإفتاء والإمامة بمكة بلغ درجة من العلم حتى وصف بأنه: (شيخ الإسلام)[5].

## أسرة عبد الشكور الهندي أو بيت هندية:

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ١٨٨؛ الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص٣٢٧، ج٢، ص٩٤٣، ٩٦٠.

(٢) هو فضل بن عبد ا بن محمد بن يحي بن مكرم الطبري، ولد بمكة ونشأ بها وأخذ عن عدد من علمائها تولى الإفتاء بمكة كان شاعراً أديباً، توفي بمكة عام (١٠٨٤هـ)، انظر: المحبي: خلاصة الأثر، ج٣، ص٢٧١؛ ميرزا علي ابن معصوم: سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، (ط٢، الدوحة: ١٣٨٢هـ)، ٦٤.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٦١؛ عبد الستار الدهلوي: أزهار البيستان، ق٢٢٩.

(٤) عبد ا غازي: نظم الدرر، ص١٠٣؛ وقد ذكر القطان أن وفاته كانت عام ١١٦٣هـ، انظر تنزيل الرحمات، ق٢٧٤؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص١٨٩؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج١١، ص٣٤.

(٥) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٢، ص١٧١؛ عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٢، ق٧٩.

من عنوان الأسرة نجد أنها تعود إلى مؤسسها عبد الشكور الهندي، الذي قدم من بلاده إلى مكة، ولا ندري في قرارة نفسه حين وفد إليها أكان يخطط للعودة أم البقاء، هل قدم مكة وحيداً أم صحب معه أفراد أسرته، هل جاء إليها طالباً للعلم أم حاجاً فجاور، ومهما تكن التساؤلات التي لم نجد لها إجابة فيما توفر لنا من مصادر إلا أنه يقيناً قدم مكة قبيل فترة البحث إن لم يكن بدايتها، حيث إن ابن حفيده عبد ا عبد الشكور توفي بمكة عام (١٢٥٧هـ/١٨٤١م).

ولعل بعض الإجابات يمكن أن تتضح من خلال سرد تعريف بعلماء هذه الأسرة: **فعبد ا عبد الشكور بن محمد بن عبد الشكور المكي الحنفي** (ت١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م)، وصف بيته بأنه: (أحد بيوت الأدب بمكة الزاهرة)[1]، شرع في طلب العلم فأخذه من أعلامها ومشايخها، ولما كان صاحب الترجمة مولعاً بالأدب والنظم، فقد صنف فيه العديد من المؤلفات، توفي بمكة[2]، وقد ترك من ذريته ثلاث أبناء علماء وهم محمد وعبد الملك ومحمد علي.

**أما عبد الملك بن عبد ا عبد الشكور بن محمد بن عبد الشكور الحنفي** (ت١٢٦٠هـ/١٨٤٤م)، فهو عالم أديب أخذ العلم عن والده وغيره من مشايخ مكة، نبغ في الأدب والشعر كوالده وأخويه، فصار أحد علماء عصره وفقهائه وأدبائه وشعرائه، له في الأدب مؤلفات قيمة، توفي بمكة ولم يعقب[3].

ومن هذا البيت أيضاً: **محمد بن عبد ا عبد الشكور بن محمد بن عبد الشكور الحنفي** (ت١٢٧٠هـ/١٨٥٣م)**، عالم شاعر أديب،** قرأ على والده وغيره من علماء مكة، برع في الأدب والنظم وله فيه أشعار، توفي بمكة وأعقب ابنا واحداً ويدعى أحمد سافر بعد موت والده إلى الهند وانقطع خبره[4].

---

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٢، ق١٤٤.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٠٥؛ محمد صالح جمعة: (مجلة المنهل ، ج٦، س١٣٩٢هـ)، ص٦٨٧.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٣٠.

(٤) المصدر السابق، ص٤٦١؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج١، ص١٢٧.

**وأما علي بن عبد الله عبد الشكور بن محمد بن عبد الشكور الحنفي**، فرغم أنه توفي قبل أخيه محمد بعشر سنوات (ت١٢٦٠هـ/١٨٤٤م) إلا أنه ترك ذرية علمية خلدت ذكرها في كتب التراجم والأدب، تلقى علي بن عبد الشكور العلم من عدد من علماء مكة بدأً بوالده ففضلائها أمثال: عمر عبد رب الرسول وياسين الميرغني وغيرهم، حتى صار من أدباء مكة الأعلام، وصف بالعالم الشاعر الأديب، كان مولعاً بعلم الأدب وينظم الشعر الحسن، له عدد من المؤلفات الأدبية.

**من نظمه:**

نظرتُ بني الدنيا فلم أر منهم أخاً صادقاً في وده وخِطَابِه

وجربتُ أبناء الزمان فلم أجِد سِوى ظالِمٍ والظُلم مِلء إهابِه

توفي بمكة[1] وخلف **ابنين** أحدهما **محمد** ولا نعرف عن سيرته شيئاً سوى أنه كان من فضلاء مكة، وأما الأخر فهو **زين العابدين بن علي بن عبد الله عبد الشكور بن محمد بن عبد الشكور الحنفي**(ت١٢٨٧هـ/١٨٧٠م)، أخذ العلم عن عدد من علماء مكة منهم والده ، جد واجتهد فحاز طرفاً وافراً من علم الأدب، حتى وسم بـ: (الأديب الشهير)[2]، أحبه أمير مكة الشريف عبد الله بن محمد بن عون فقربه وأدناه منه لما رأي فيه من الأهلية في الإنشاءات، واللهجة الفصيحة وحسن الخط وحلو المحادثة، فكان المعول في تحرير الخطابات من الإمارة إلى الدولة والوزراء والولاة وغيرهم، توفي بمكة وأعقب ثلاثة أبناء **حبيب وعبد الله وعلي** وأصبحت شهرة بيتهم ببيت **زين العابدين** نسبة لأبيهم **واندثرت شهرتهم السابقة بيت عبد الشكور**[3]، وهذا دليل واضح على أن زين العابدين قد أحدث تحولاً علمياً واجتماعياً في مسيرة الأسرة وذلك من خلال بلوغه القدح المعلى في الأدب وتقربه من أمير مكة وعمله في ديوان الإنشاءات لديه.

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٨٨.

(٢) الحضراوي: نزهة الفكر، ج١، ص٤٢٤؛ مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٦٢.

(٣) عبد الستار الدهلوي: مائدة الفضل والكرم، ق٢٧٧.

وقد عقب زين العابدين ثلاثة أبناء كما تقدم ، كان أكثرهم تشبهاً به حباً للأدب وتنظيماً للشعر، **علي بن زين العابدين** (ت١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، أخذ العلم عن أبيه وعن علماء المسجد الحرام في عصره[1].

ومن علماء هذه الأسرة: **أحمد بن أمين بن محمد سعيد بن محمد بن عبد الشكور الحنفي**(ت١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)، حفظ الكثير من المتون ثم اشتغل بطلب العلم فتفقه على جملة مشايخ منهم: عبد الله بن محمد صالح مرداد، قرأ عليه في النحو والعروض ولازمه مدة ثم لازم عبد الرحمن جمال، وقرأ على أحمد دحلان في التفسير والحديث والنحو والمنطق والمعاني والبيان والعروض وغيرها، تصدر للتدريس بالمسجد الحرام وأفاد، ونظم النظم الحسن، له عدد من المؤلفات، بنى مربعة[2] بأجياد لأجل الاجتماع فيها، فكان يحضر بها غالب علماء وأعيان مكة يتجاذبون فيها طرفاً من العلوم والآداب، توفي بمكة[3].

**أسرة العجيمي:**

**أسرة علمية تعود جذورها إلى مصر، عرفت بالعلم والصلاح، قدم بعض أفرادها مكة واستوطنوها، وكانت لهم** الأيادي البيضاء في فعل الخيرات وإنشاء السبل والمبرات بمكة، **أما عميد هذه الأسرة فترة الدراسة** فهو عالم فقيه حنفي، ولد بمكة، وانتهت إليه رياسة العلم بها حتى لقب بـ: **(شيخ الشيوخ محدث الحجاز) وهو حسن بن علي بن يحيى بن عمر بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد أبو البقاء وأبو الأسرار العجيمي الحنفي المكي**، توارث أجداده العلم أباً عن جد، **وحياة العجيمي** كانت **مليئة بالعبر**، فقد مات والده قبل أن يبلغ سن السنة من عمره، إلا أن الله قيض له والدته التي قامت على تربيته والاعتناء به، فكان من ثمار ذلك أن أتم

(١) وفي العهد الهاشمي عينه الشريف الحسين بن علي في عدة مناصب قضائية منها وكيل نيابة بمدينة جدة، ثم قاضياً في ينبع، وفي عام ١٣٤١هـ استقال الشيخ من منصب القضاء وعاد إلى مكة وتوفي بها. المعلمي: أعلام المكيين، ج١، ص١٢٥،١٢٦.

(٢) لعلها استراحة كالمنتدى للضيوف.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص ١٠٣.

حفظ القرآن وهو لم يتجاوز التاسعة من عمره، غير أن المنية لم تمهل أمه لترى ثمار غرسها ، فماتت وتركته صبياً في حاجة لمن يعوله، **فقيض الله له أخاه لأبيه** الذي اعتنى بتربيته، فحبب إليه العلم وجلس بين يدي العلماء يطلبه، درس الفقه والفرائض والفلك والميقات على عدد من علماء مكة [1].

أما الذي أثر فيه تأثيراً شديداً فهو العالم عيسى الثعالبي المغربي المكي[2] فقد لازمه العجيمي نحواً من خمس عشرة سنة وقرأ عليه كتباً كثيرة في فنون عديدة، بل ربما كرر بعض هذه الكتب قراءة عليه، وكانت علوم الحديث والتفسير وأصول الفقه والفرائض والتوحيد والنحو والمعاني والبيان والعروض والصرف والمنطق والجدل وعلم الحساب والسير من قائمة العلوم التي تلقاها عنه.

وقد بارك الله تعالى للشيخ حسن في وقته، فكان لا يكاد يخلي أوقاته من قراءة الحديث وسماعه، واشتهر بالحديث وحبب إليه جداً، وطلب الإجازة فيه، فأجازه من شيوخ مصر على الشبراملسي[3] وغيره، وكان يذهب به للسماع على الشيوخ، وقد بلغ في الحديث شأواً بحيث أطلق عليه (محدث الحجاز) و(المسند) بل إن شهرته في الرواية والسماع والإجازة جعلته محط أنظار العلماء بحيث صار أحد الشيوخ الذين تنتهي إليهم غالب أسانيد من بعدهم من العلماء في الحجاز واليمن ومصر والشام وغيرها من بلدان العالم الإسلامي.

تصدر للتدريس بالمسجد الحرام خلفاً لشيخه الثعالبي، فدرس الفقه والحديث والمصطلح والنحو والمعاني والبيان والبديع والحساب والفرائض والسير، انتفع بعلمه الكثير منهم: محمد بن عقيلة، والمفتي عبد القادر بن أبي بكر الصديقي، وتاج

---

(١)مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص ص١٦٨؛ عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ص٢١٩.

(٢) هو أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجزائري المغربي، محدث مشهور توفي بمكة عام (١٠٨٠هـ/ ١٦٥٩م)، له كنز الرواية المجموع ومقاليد الأسانيد في أسانيد عيسى الثعالبي، المحبي: خلاصة الأثر، ج٢، ص٢٤٠؛ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩، ص٤٥٧.

(٣) هو علي بن علي أبو الضياء نور الدين الشبراملسي، الشافعي، كف بصره صغيراً، برع في العلوم ولا سيما الفقه، وكثرت مؤلفاته، توفي عام (١٠٨٧هـ/١٦٧٦م)، البغدادي: هدية العارفين، ج٣، ص٢٦١.

الدين بن الدهان، والمفتي تاج الدين القلعي وغيرهم كثر، وإضافة للتدريس فإن للعجيمي إرثاً علمياً كبيراً متمثلاً في مؤلفاته المتنوعة.

ولم يزل يبث العلم ويرحل إليه الطلبة حتى كبر سنة ووافته المنية بالطائف، كما ذكر ذلك الطبري الذي عاصر وفاته، وأرخها في حوادث عام (١١٣١هـ/ ١٩١٢م) في كتابه إتحاف فضلاء الزمن فيقول: (وفي شوال ورد من الطائف خبر وفاة مولانا وسيدنا حسن العجيمي شيخ العصر المشار إليه بالبنان في فنون العلوم وعليه انتهى الفخر)[١].

**والحبر الثاني في هذه الأسرة هو محمد بن حسن العجيمي الحنفي** (ت١١٥٦هـ/١٧٤٣م)، تتلمذ على والده وعلماء عصره، ولم يزل يترقى في العلوم حتى صار علماً من أعلامه، فأجيز بالتدريس، فقام فيه مقام أبيه بالمسجد الحرام، توفي بمكة تاركاً عدداً من المؤلفات الفقهية[٢].

**وممن تتلمذ على محمد وأخذ عنه وقام مقامه ابنه أبو الفتح بن محمد بن حسن العجيمي الحنفي،** وصف بأنه: (عمدة المحققين وخاتم المدققين)[٣]، كان أكثر أخذه وانتفاعه بوالده، وقد اتصل سند جده إليه في العلوم كلها، فكانت روايته للعلوم بأسرها عن أبيه عن جده، برع في الفقه حتى قيل إنه لم يكن له نظير في علم الفقه في زمانه، وتتلمذ علي يديه عد كبير من الطلاب، **توفي** أبو الفتح في مكة في

---

(١) الطبري: اتحاف فضلاء الزمن، ص٤٢٥. نقل أكثر من مؤرخ وفاته أنها في عام ( ١١١٣هـ/١٧٠١م) اعتماداً على ما جاء في كتاب الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص١٧٧، ومع دراسة مصادر الجبرتي والطريقة التي يحصل بها على معلوماته خاصة فيما يتعلق بوفيات مكة من أول القرن إلى أخر سنة ١١٤٢هـ والذين لم يعاصرهم وجدناه يصرح في بداية كتابه بقوله: (فإني لم أعثر على شيء من تراجم المتقدمين من أهل هذا القرن ولم أجد شيئاً مدوناً في ذلك إلا ما حصلته من وفياتهم فقط ، وما وعيته في ذهني واستنبطته من بعض أسانيدهم وإجازات أشياخهم على حسب الطاقة). كما رجح القطان في تنزيل الرحمات، ق ٢٤٣، أن وفاته كانت عام (١١٣١هـ).

(٢) القطان: تنزيل الرحمات، ق٢٦٨؛ مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٦٧.

(٣) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢١١.

القرن **الثالث عشر الهجري** ولم يعقب أحداً من أولاده إلا أنه قد اتصلت السلسلة العلمية بعد ذلك عن طريق أخويه علي و درويش(1).

**ومن هذه الأسرة عبد الحفيظ بن درويش بن محمد بن أبي البقاء حسن عجيمي الحنفي** (ت١٢٤٥هـ/١٨٢٩م)، أخذ عن علماء مكة الأعلام، منهم عبد الملك القلعي، وطاهر سنبل، وبهما تخرج، ولم يقتصر أخذه عن علماء مكة، بل لازم الوافدين إليها فأخذ عن عدد من علماء مصر والشام(2).

ولم يزل يطلب العلم حتى اشتهر به، وولي المناصب الدينية، فتقلد نيابة القضاء بمكة عام (١٢٢١هـ/١٨٠٦م) فحمدت سيرته، ثم قلد القضاء(3)، إضافة إلى الإفتاء، وكان خطيباً بالمسجد الحرام وإماماً له، وبث علمه كذلك بالتدريس بالمسجد الحرام فتخرج به كثير من الأفاضل منهم: عبد ا ميرغني، وعبد ا سراج، ويحيى مؤذن وغيرهم، إضافة إلى الوافدين إلى مكة والذين كانوا يجلسون لحلقاته بالحرم يستفيدون منه وينقلون العلوم إلى بلادهم، كما استفاد الكثير من طلبة العلم ومحبيه بمصنفاته العلمية، التي كانت جلها في الفقه وأصوله، توفي بمكة(4).

**وقد كان معاصراً له عالم آخر من هذه الأسرة وهو أبو بكر بن محمد بن علي بن محمد بن حسن العجيمي الحنفي** (ت١٢٣٦هـ/١٨٢٠م)، اشتغل بطلب العلم على جماعة من علماء مكة أجلهم المفتي عبد الملك القلعي وطاهر سنبل، وقد برع في العلوم ولا سيما الفقه والنحو فوصف بأنه: فقيه وقته ونحوي عصره، وكانت له رسالة في النحو تسمى بـ "**رسالة العجيمي**" كان الطلاب بمكة يعتمدون عليها في دراسة النحو(5).

---

(1) مرداد أبو الخير: نشر النور، ص٧٠؛ الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص٨١٢.

(2) غازي: نظم الدرر، ق١٣٠.

(3) الحضراوي: نزهة الفكر،ج٢، ص٢٠٧؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٩١

(4) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٢، ق١٤٠.

(5) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٣٢٨.

**ولم تنقطع سلسلة العلم المبارك في هذه الأسرة، فقد نبغ فيها عبد الرحمن ودرويش أبناء الشيخ حسن بن محمد بن علي بن محمد بن حسن العجيمي ، فأما عبد الرحمن العجيمي الحنفي** (ت١٣٠١هـ/١٨٨٣م)، فقد حفظ القرآن الكريم، ومجموعة من المتون، تلقى العلم عن عدد من مشايخ عصره العلماء في البلد الحرام وتفقه على جمال المالكي، وحضر دروسه في التفسير والحديث، وقرأ على رحمت ا الفقه والمعاني والبيان والتفسير وغير ذلك، كما أجازه أحمد دحلان في عدة علوم، وقرأ على عبد الرحمن بن جمال، وعلى عبد الرحمن سراج في التفسير والفقه والتوحيد، كما أجازه جمع من مشايخه.

**وقد أسندت له الوظائف الدينية، فدرس وأفتى وخطب بالمسجد الحرام** تولى القضاء بالطائف، كما كان أمين الفتوى عند قاضي مكة عبد الرحمن سراج[(١)] الذي دربه على الفتوى وأصولها وتخرج به وأجازه عام (١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م)[(٢)].

كانت له مكانة علمية واجتماعية بين أقرانه، وحظوة وتقدير عند السلاطين، وصف بأنه حسن الخط كتب به الكتب والرسائل النفيسة، فقد توفي بمكة ولم يبلغ الخمسين من عمره[(٣)]، **وعقب ابناً** يدعى **حسن** عرف عنه حبه للعلم وأخذه من أفواه الشيوخ، فقد أجازه عمر بن محمد شطا عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م)[(٤)].

**وأما درويش بن حسن بن محمد بن علي بن محمد بن حسن العجيمي الحنفي** (ت١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)، حفظ القرآن الكريم، وكان حسن الصوت صلى به التراويح بالمسجد الحرام مراراً، واشتغل بالعلم على جماعة من علماء مكة منهم أحمد مرداد أبو الخير، وبه تفقه وأجازه بمروياته، ولم يقنع درويش بعالم واحد فأخذ عن عدد من علماء مكة منهم بكري شطا حيث حضر دروسه في الحديث

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٩١.

(٢) عبد الرحمن سراج: إجازة علمية للشيخ عبد الرحمن العجيمي وقد كتبت سنة ١٢٩٥هـ بخط المجيز، (مخطوط بجامعة الملك سعود بالرياض، قسم المخطوطات، رقم : ١٣٠٢)، ق١ـ٢.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٤٧؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص١٧٥.

(٤) عمر بن محمد شطا: إجازة علمية من عمر شطا للشيخ حسن بن عبد الرحمن العجيمي، كتبت في رجب عام ١٣٢٩هـ، (مخطوط بجامعة الملك سعود بالرياض، قسم المخطوطات، رقم : ٢/١٨٥٩م)، ق١ـ ٢.

والتفسير والتوحيد وغير ذلك، كما لازم مفتي الحنفية الشيخ عبد الرحمن سراج وانتفع بعلمه وطريقته في الإفتاء.

**ولما تأهل علمياً أم وخطب بالمسجد الحرام، وتصدر للتدريس بإحدى حلقاته**، وتخرج به الطلاب وانتفع بعلمه الكثير.

**كما تولى أمانة الإفتاء برئاسة القضاء**، فكان مثال الأمانة فيما يصدره من الفتاوى لحل مشاكل المجتمع بين جميع الطبقات دون محاباة أو مجاملة، ولم يزل يدرس ويفتي ويخطب حتى تواري جسده في التراب رحمه ا تعالى[(١)].

**أسرة فقيـــــه:**

أسرة علمية ظهرت فترة البحث، امتازت بحفظ أفرادها للقرآن الكريم وحسن قراءته وتجويده، مما أهلها لأن تتولى الخطابة والإمامة بالمسجد الحرام وأن تؤم به المسلمين لتصلي بهم التراويح .

ومن أفراد هذه الأسرة القرآنية: **عبد ا بن جعفر فقيه الشافعي المكي** (ت١٢٩٥هـ/١٨٧٨م)، حفظ القرآن الكريم وجوده، ثم تنقل بين حلقات العلم طالباً إياه من علماء عصره، فلازم مفتي الشافعية بمكة أحمد الدمياطي، وقرأ عليه في الفقه وغيره، تولى منصب الخطابة والإمامة بالمقام الشافعي بالمسجد الحرام بتوجيه من الشريف محمد بن عون، فكان إذا قرأ تعجب كل الناس من حسن صوته وأدائه، توفي رحمه ا بمكة[(٢)].

وقد خلف من بعده ابنه **أحمد بن عبد ا بن جعفر فقيه الشافعي**، من علماء القرن (الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي)، وهو خطيب وإمام المسجد الحرام، ، واشتغل بطلب العلم الشرعي على علماء عصره، فقرأ على أحمد دحلان، ومحمد سعيد بابصيل، ومحمد بسيوني وغيرهم [(٣)].

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٩٤، ومن أبناء هذه الأسرة المباركة بعض من يضطلع بالتدريس بجامعة أم القرى، مما يؤكد بقاء الميراث العلمي لهذه الأسرة حتى يومنا هذا.

(٢) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٢، ق١٤٦.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١١٠؛ غازي : نظم الدرر، ق١٦١.

واستمر العطاء القرآني المبارك في ذريته وظهر منهم: **سليمان بن أحمد بن جعفر فقيه الشافعي** (ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م)، حفظ القرآن الكريم وأحسن تجويده قرأ كتباً كثيرة في التفسير والحديث والفقه والنحو وغير ذلك على عدد من علماء مكة منهم عمه عبد ا فقيه، وأحمد زيني دحلان، وعبد الحميد الداغستاني، وأذنوا له بالتدريس، وأجازوه، تولى التدريس بالمسجد الحرام بالإضافة إلى كونه خطيباً وإماماً، توفي بالمدينة أثناء زيارته لمسجد الرسول ﷺ [(١)].

**أسرة القلعي:**

**أسرة علمية أدبية،** تعود جذورها إلى بلاد الروم كما أخبر بذلك أفرادها

وقد ظهر منها عدد من العلماء لعل أبرزهم عميد الأسرة التي عاشت في فترة بحثنا وهو **عبد المحسن بن سالم بن خير الدين بن سالم بن عبد المحسن القلعي المكي الحنفي** (ت١٠٨٤هـ/١٦٧٣م) طلب العلم حتى بلغ فيه الغاية فدرس وأفاد، بالمسجد الحرام، وولي نيابة القضاء بمكة، عدة مرات توفي بها رحمه ا [(٢)]، فورثه في علمه ابنه **تاج الدين محمد بن عبد المحسن بن سالم القلعي الحنفي** (ت١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م)، مفتي مكة وقاضيها، الخطيب والإمام بالمسجد الحرام، وصفته الأقلام التي تناولت ترجمته بأنه: (أحد العلماء الأعلام قدوة المحققين وعمدة المسندين، كان إماماً جليلاً فقيهاً محدثاً)[(٣)]، أخذ العلوم عن حسن العجيمي وعبد ا بن سالم البصري، فكانت جل مروياته عنهما، وروى عن غيرهم أمثال عيسى الثعالبي، وقد أهلته مكانته العلمية وإجازة شيوخه له في أن يعقد حلقات درسه بالمسجد الحرام **فدرس كتب الأمهات الست في الحديث** (البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه)، وكان إذا ختم كتاباً منها جمع رسالة في خاتمته،

---

(١) عبد الستار الدهلوي: نثر المأثر، ق٣٤.

(٢) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق١٢٢.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٤٨؛ غازي: إفادة الأنام، ج٢، ق١٩٦.

كعادات محدثي علماء مكة وغيرهم من المتقدمين، تولى **قضاء** مكة، **وإفتاءها** ثلاث مرات توفي رحمه الله بمكة(1).

**وقد** ترك **تاج الدين عالمين جليلين وهما : علي بن تاج الدين القلعي الحنفي** (ت1172هـ/ 1758م)، تربى في حجر أبيه وقرأ عليه وعلى غيره من فضلاء مكة، وأخذ عن الواردين إليها، ومال إلى فن الأدب، فوصل فيه الغاية والهدف حتى أصبح أديباً شاعراً، رحل إلى الشام عام (1142هـ/1729م)، والتقى بالأديب عبد الغني النابلسي(2) فأخذ عنه، كما رحل إلى مصر عام (1160هـ/1748م)، واستغل فترة وجوده بأرض كنانة في إكمال شرحه على بديعيته وعلى بديعيتين لشيخه عبد الغني النابلسي، له عدد من المؤلفات الأدبية والشعرية، توفي بالإسكندرية (3).

**أما عبد المنعم بن تاج الدين القلعي الحنفي (ت1174هـ/1760م)**، جد في طلب العلم فتلقاه عن والده وغيره من علماء مكة حتى أصبح مفتي مكة وخطيب وإمام المسجد الحرام، كما أنه اعتنى بعلم الحديث فكانت مروياته في الأسانيد غالبها عن والده، وعبد الله البصري، وحسن العجيمي له عدد من المؤلفات العلمية(4).

وقد قام بالأمر بعده ابنه: **عبد الملك بن عبد المنعم القلعي** (ت1228هـ/ 1813م)، قرأ العلوم على والده وعلى عدد من علماء مكة منهم يحيى الحباب، وعبد القادر الصديقي، ولم يكتفِ بعلماء مكة فنراه يتحرى الالتقاء بالوافدين عليها للأخذ عنهم خاصة في علوم اللغة العربية كعبد الله الشبراوي المصري(5) وغيره، تصدى

---

(1) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق216؛ الكتاني: فهرس الفهارس، ج1، ص97.

(2) هو الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الشامي، من علماء الشام، رحل إلى العديد من البلدان، وتوفي (1143هـ/1730م)، الجبرتي: عجائب الآثار: ج1، ص232؛ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق8، ص286.

(3) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص370؛ الجبرتي: عجائب الأثار، ج2، ص126؛ عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق224؛ البغدادي: هدية العارفين، ج1، ص768.

(4) غازي: نظم الدرر، ق94؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج6، ص196.

(5) هو عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي، عالم مصري نحرير تضلع في علوم اللغة العربية وفنونها ، قدم مكة فترة البحث ومكث بها فترة يعلم الناس اللغة العربية ، انظر ترجمته : الحضراوي: نزهة الفكر، ج2، ص68.

للتدريس بالمسجد الحرام ، فأقبل عليه الطلبة وعكف عليه الأفاضل الكرام، كما تولى منصب الفتوى بمكة، فباشره بعفة ونزاهة[1]، ولقد بلغ من المكانة العلمية والاجتماعية أن والي مصر محمد علي باشا لما قدم مكة وعلم بمرضه، زاره في بيته، وأعجب بذكائه وطلاقة لسانه وقوة ذاكرته رغم اعتـلال صحته، له عدد من المؤلفات انتفع بها طلبة العلم في حياته وبعد مماته[2].

**أسرة مرداد:**

أسرة مرداد من الأسر التي **برز نجمها في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري** بمكة، فتقلدت المناصب الدينية واضطلعت بمهام التدريس ونشر العلوم الشرعية في البلد الحرام مدة من الزمان، من خلال **ذرية محمد صالح مرداد الحنفي المكي،** والذي **خلف ثلاثة** من **الأبناء** هم محمد وسليمان وعبد الرحمن، وكان لكل منهم أسرة علمية متميزة بالبلد الحرام، وأول من أتحفنا التاريخ باسمه في فترة البحث، **محمد بن محمد صالح الحنفي** (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، طلب العلم الشرعي فدرسه على عدد من علماء مكة، تولى إمامة وخطابة المسجد الحرام، بالإضافة إلى التدريس والإفاده وبذل النفع للعباد، توفي بمكة[3].

وقد استمر العطاء العلمي لهذه الأسرة من خلال ابنه **عبد المعطي بن محمد بن محمد صالح مرداد الحنفي** (ت١٢٦٢هـ/١٨٤٥م)**،** تلقى العلم عن والده وعن عدد من علماء مكة كعبد الملك القلعي وغيره، كان عالماً جليلاً فاضلاً صالحاً محدثاً، تولى خطابة وإمامة المسجد الحرام، إضافة إلى التدريس به، توفي بمكة وخلف أولاداً نجباء خطباء أفاضل[4]، استطاع واحد منهم وهو سليمان مرداد أن يتولى مشيخة الخطباء والأئمة بمكة، أدرك جهابذة عصره كعبد الرحمن جمال،

---

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٢، ق ١٤٣؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٨٦.

(٢) ابن عبد الشكور: تاريخ أشراف وأمراء مكة، ق ١٤٥؛ مرداد أبوالخير : نشر النور والزهر، ص١٤٨؛ الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص٩٧.

(٣) عبد الستار الدهلوي: مائدة الفضل والكرم، ق٢٠٩؛ عبد ا غازي: نظم الدرر، ق ١٤٩.

(٤) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٢، ق٩٣؛ عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٢، ق ١٤٣.

وعبد الحفيظ العجيمي، وعمر عبد رب الرسول، وياسين ميرغني، وأخذ عنهم وأجازوا له بالتدريس بالمسجد الحرام، تولى مشيخة الخطابة بمكة عام (١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م) بعد وفاة عبد العزيز بن محمد صالح مرداد ومكث فيها إلى سنة (١٢٩٣هـ/١٨٧٦م) حيث وافته المنية في هذه السنة[(١)]، ومن أبنائه **محمد علي بن سليمان بن عبد المعطي بن محمد مرداد الحنفي** (ت١٢٩٤هـ/١٨٧٧م) شيخ الخطباء والأئمة، الفقيه الخطيب الإمام بالمسجد الحرام، تلقى علومه على عدد من علماء مكة، عقد حلقة درسه بالمسجد الحرام فانتفع بعلمه الكثير من الطلبة[(٢)] قام بالأمر من بعده ابنه **أمين بن محمد علي بن سليمان بن عبد المعطي بن محمد مرداد الحنفي** (ت١٣٤٢هـ/١٩٢٣م) حفظ القرآن الكريم، وحام حول حلقات العلم فأخذه من عدد من رواده في طليعتهم والده ، درس بالمسجد الحرام، وتولى وظيفتي الخطابة والإمامة به بعد وفاة والده، وناب في القضاء بمكة وتوفي بها رحمه ا [(٣)] .

**وأما أسرة سليمان بن محمد صالح** فقد ظهر من **أبنائه محمد صالح بن سليمان بن محمد صالح مرداد الحنفي** (ت١٢٨٠هـ/١٨٦٣م)، الإمام المدرس بالمسجد الحرام، قرأ على عبد الرحمن جمال المكي، وعمر عبد رب الرسول، و عبد الحفيظ العجيمي، تمتع بقوة الحافظة مع شدة الذكاء، كان إماماً عند شريف مكة الشريف يحيى بن سرور، توفي بمكة وله من العمر نيف وتسعون سنة، وقد رزق نحو خمسة وثلاثين من الولد جميعهم ماتوا في حياته[(٤)].

وقد زودنا مرداد أبو الخير بترجمة اثنين من أولاد محمد صالح وهما عبد العزيز آخر أولاد محمد صالح موتاً في حياة أبيه، وعبد ا جد مرداد أبو الخير.

**فأما عبد العزيز بن محمد صالح مرداد الحنفي** (ت١٢٧٥هـ/١٨٥٧م)، فقد حفظ القرآن الكريم وجوده، واشتغل في العلوم على شيوخ عصره، وبلغ مرتبة من

---

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق٤؛ غازي: نثر الدرر ، ق٣.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٩٠.

(٣) غازي: نظم الدرر، ق١٦٨؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٧٤.

(٤) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٨٩؛ غازي: نظم الدرر، ق١٤٥.

العلم جعلته يتولى مشيخة الخطباء والأئمة بمكة في (١٢٧١هـ/١٨٥٤م) بعد موت أخيه عبد الله مرداد، كان صالحاً ورعاً زاهداً، صاحب وقار وهيبة، حسن الخط ذا سرعة فيه مع كمال الضبط، كتب بيده جملة من أمهات الكتب[١] .

**وأما عبد الله بن محمد صالح مرداد الحنفي** (ت١٢٧١هـ/١٨٥٤م)، حفظ القرآن الكريم وصلى به إماماً التراويح بالمسجد الحرام، حفظ مجموعة من المتون اشتغل بطلب العلوم فجد واجتهد، أجازوه مشايخه بمروياتهم وبالتدريس بالمسجد الحرام[٢]، تولى مشيخة الخطباء والأئمة بالمسجد الحرام عام (١٢٦٤هـ/١٨٤٧م) وظل فيها إلى أن حانت وفاته[٣].

وخلف ابناً عالماً هو **أحمد بن عبد الله بن محمد صالح مرداد الحنفي** (ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م)، شيخ الأئمة والخطباء بالمسجد الحرام، وأحد المدرسين الأعلام بأروقته، حفظ القرآن الكريم مجوداً ومجموعة من المتون في النحو والصرف والفرائض والعقائد، والمنطق والقراءات والعروض والمعاني والبيان وغيرها، برع في علم القراءات، ولاه الشريف عبد الله بن محمد بن عون مشيخة الخطباء بعد وفاة سليمان ابن عبد المعطي مرداد ، عرف عنه حبه للناس خاصة طلبة العلم الذين منحهم من وقته الكثير وفتح داره لهم لتكون مرجعاً لأسئلتهم واستفساراتهم[٤]، وقد ورثه في علمه من بعده **ابنه المؤرخ عبد الله بن أحمد مرداد أبو الخير الحنفي** (ت١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) **صاحب كتاب "نشر النور والزهر"**، تلقى العلم عن والده وعن أفاضل علماء مكة منهم رحمت الله الهندي الذي لازمه مدة طويلة في جميع العلوم خاصة أصول الفقه، إضافة إلى تعهده حضور حلقات دروس علماء المسجد الحرام، ولما امتلك حصيلة كافية في العلوم الدينية أذن له بالتدريس، فتصدره بالمسجد الحرام، وإلى جانب تضلعه من العلوم الدينية وتدريسه لها كان له

---

(١) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٢، ص١٩١؛ مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٦٠.

(٢) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٢، ق١٤٥.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ٣١٩؛ غازي: نظم الدرر،ق ١٣٣.

(٤) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي،ج١، ق١٩؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٧٣.

إلمام واسع بالتاريخ وتراجم الرجال، تولى مشيخة الخطباء وإمامة المسجد الحرام، توفي بالطائف[1] قبل أخيه الأكبر **محمد سعيد بن أحمد أبو الخير مرداد الحنفي** (ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، فقد نشأ في كنف أبيه فحفظه القرآن وأدبه فأحسن تربيته، علماً وتهذيباً وأخلاقاً، تلقى علومه في أروقة المدرسة الصولتية، مع أخذ المتون من علماء عصره، حتى إن محفظته كانت لا تخلو من متن بجانب المصحف وكراسات دروسه، وقد قطف ثمار جهده ومثابرته على العلم بأن أجيز له بالتدريس بالمسجد الحرام، فأقبل عليه طلبة العلم للاستفادة من علمه[2].

**وأما أسرة عبد الرحمن بن محمد صالح بن محمد مرداد،** فقد افتتحت بـ **عبد الرحمن بن محمد صالح مرداد الحنفي** (ت١٢٠٧هـ/١٧٩١م)، قرأ العلوم على مشايخ عصره الأفاضل، فبرع وعد من الكرام، ووصف بأنه عالم فاضل فقيه، محدث، تولى مشيخة الخطباء في عام (١١٦٥هـ/١٧٥١م)، وهو أول من تولاها من بيت مرداد وقد مكث فيها حتى وفاته[3].

ومن أبنائه **عبد ا بن عبد الرحمن مرداد الحنفي** (ت١٢٥٧هـ/١٨٤١م)، اعتنى به والده ورباه تربية حسنه إذ حفظه القرآن الكريم وأشغله بطلب العلم، فقرأ عليه وعلى علماء مكة الأجلاء، حتى برع في العلوم خاصة علم الفرائض، فإنه كان يشار إليه فيه، حتى إنه لقب بالعالم الفرضي، تولى مشيخة الخطباء والأئمة بالمسجد الحرام بعد والده، فمكث فيها نحو خمسين سنة، وتوفي وخلف أبناء ثلاثة **عبد الملك**

---

(١) عبد ا غازي: إفادة الأنام، ج٢، ق٢٣٥؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص١٩٣؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص١٩٥.

(٢) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢١٠. ، وقد امتد العمر بمحمد سعيد فعين عضواً بهيئة التمييز في عهد الحسين ومديراً للأوقاف في العهد السعودي، وكانت الحكومتان ترشحه في اللجان التي تعقد لحل المشاكل، لحكمته وصبره وقدرته على تفهم المواقف.

توقفنا كثيراً عن معرفة السبب الذي جعل عبد ا مرداد لا يترجم لوالده وأخيه رغم كونهما عالمين بارزين كان لهما دور كبير في الحياة العلمية بمكة، ولكن عزاءنا أنه توفي قبلهما ، فلعله كان في نيته أن يترجم لهما فيما بعد ولكن حال الموت دون ذلك.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٥٤ غازي: نظم الدرر ،ق١٢٨.

**ومحمود ومصطفى**[1]، وقد استطاع **مصطفى مرداد الحنفي** (ت١٢٦٤هـ/١٨٤٧م)، أن يتولى مشيخة الخطباء والأئمة بالمسجد الحرام بعد وفاة والده، وذلك عن جدارة علمية استحقها، فلو نظرنا لسيرته العلمية نجد أنه بالإضافة إلى ما قرأ من العلوم، كان حافظاً لكتاب ا العظيم بالقراءات، حيث تلقاها من المشايخ الأفاضل فأتقنها وكان حسن الصوت في قراءته لآيات الذكر الحكيم[٢]، وهذا ما يفسر بقاء المشيخة في يده حتى وفاته بمكة.

إن عطاء هذه الأسرة كان متميزاً وتوليهم مشيخة الخطباء والإمامة بالحرم المكي الشريف ردحاً من الزمان يدل على حبهم لميراث النبوة الذي حرصوا على تلقينه أولادهم من بعدهم سوى ما جمعوه من علوم وفنون رحمهم ا تعالى.

**أسرة المنوفي:**

أسرة علمية ظهرت بمكة في القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجري، وذلك بعد أن هاجر عميدها محمد بن أحمد المنوفي من موطنه مصر ليستقر بمكة[٣]، ويكون ذرية عرفت بالعلم والصلاح، فقد وصف بيتهم في بطون التاريخ بأنه: (بيت علم وخطابة وفضل ورياسة)[٤].

ومن أفراد هذه الأسرة ممن ظل نجمهم ساطعاً في فترة بحثنا **سعيد بن محمد بن محمد بن أحمد المنوفي (ت١١٢٠هـ/١٧٠٨م) مفتي الشافعية بمكة**، قرأ على والده وعلى عدد من علماء مكة، كان ذا ذاكرة قوية مكنته من حفظ المذهب الشافعي ، أفتى وحدث ودرس بالمسجد الحرام، توفي بمكة وعقب أبناءه الأفاضل **إبراهيم وحسين وزين العابدين**[5] الذين ورثوا عنه حب الأدب وفنونه.

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٢١.

(٢) غازي: نظم الدرر ،ق ١٥٢.

(٣) ابن معصوم: سلافة العصر، ص١٢٤؛ عبد الستار الدهلوي: مائدة الفضل والكرم، ق٢٣١.

(٤) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ٢٠١.

(٥) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢٢١؛ غازي: نظم الدرر ،ق ٨٤.

**فأما زين العابدين بن سعيد بن محمد المنوفي الشافعي**(ت١١٥١هـ/ ١٧٣٨م) **فقد** كان من علماء مكة وأدبائها الأفاضل، فهو بحق (أحد السادة المشهورين بالعلم والفضل)(١).

أما الابن الثاني فهو **حسين بن سعيد بن محمد المنوفي الشافعي** (ت١١٦٧هـ/١٧٥٣م)، عالم فاضل، اعتنى به والده فأنشأه على حب العلم وطلبه، فحفظ القرآن الكريم وجوده على يد عدد من علماء مكة، ظهر نبوغه في الأدب والإنشاء، حتى وصف بالكاتب الشاعر الأديب، وكان اشتغاله بالأدب ومعرفته بالبلاغة دافعاً لاختياره كاتباً بديوان الإنشاءات عند أمير مكة(٢).

**ونختم سيرة هذه الأسرة بالابن الثالث إبراهيم بن سعد بن محمد المنوفي الشافعي،** الذي لم يكن بأقل حظاً من أخويه اشتغالاً بالعلم ولاسيما الأدب، فقد ترجم له الجبرتي في تاريخه بقوله: (الماهر الأديب الشاعر الكاتب المنشئ)، أخذ العلم عن كبار علماء مكة أمثال حسن العجيمي وعلي السنجاري وغيرهما، كذلك حرص على تلقي العلم من الواردين على الحرمين من آفاق البلاد، **برع في الأدب والشعر** حتى وصف بأنه: (**أديب جزيرة الحجاز دون استثناء**)(٣)، إذ امتازت إنشاءاته بالعذوبة وقوافيه بالتناسب، حتى أنه ولي كتابة السر بإمارة مكة، اختلف المؤرخون في سنة وفاته وإن أجمعوا على أنه مات بمكة، فمنهم من جعلها عام (١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م) ومنهم من أخرها حتى سنة (١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م)(٤).

**أسرة الميرغني:**

أسرة علمية ظهر صيتها العلمي بمكة في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، فقد أنجب الشيخ **أبو بكر بن عبد ا  ميرغني الحنفي** ولدين نجيبين

---

(١) الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص٢٤٣؛ عبد الستار الدهلوي: إزهار البستان، ق٢٢٠.
(٢) القطان: تنزيل الرحمات، ق٢٧٨؛ عبد الستار دهلوي: أزهار البستان، ق٢١٩؛ مرداد أبو الخير: نشر النور، ص ١٨٢.
(٣) الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص٤٢٧.
(٤) المصدر السابق، ج٣، ص٥١؛ غازي : نظم الدرر، ص٧٤؛ البغدادي : هدية العارفين ج١، ص٣٨.

هما ياسين ومحمد، كلاهما كان له نصيب وحظ في العلم، وإن كان أوفرهما حظاً محمد؛ إذ خرج من صلبه أسرة علمية مباركة، فقد اشتغل ولداه **محمد عثمان وعبد ا** بالعلم وجنيا ثمار والدهما الذي غرس في قلوبهم حب العلم والجد في طلبة.

**فأما محمد عثمان بن محمد بن أبي بكر ميرغني الحنفي**(ت١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م) قرأ العلوم على عمه **ياسين ميرغني** وغيره من مشايخ عصره، وتصدر للتدريس بالمسجد الحرام، له العديد من المؤلفات في التفسير والحديث والنحو، توفي بالطائف ودفن بمكة، وقد ورثه في علمه ابناه **محمد وجعفر**[(١)].

**فقد وصف محمد بن محمد عثمان ميرغني الحنفي**(ت١٢٧١هـ/١٨٥٤م) بأنه كان **محدثاً فقيهاً**، اشتغل بطلب العلم على جماعة من علماء مكة، منهم: عمه عبد ا بن محمد أبي بكر الميرغني، تصدى للتدريس بالمسجد الحرام، رحل إلى اليمن ومكث به سنين يدرس وانتفع به الكثير من طلبة العلم، ذاع صيته العلمي في اليمن وكانوا يطلقون عليه "المحدث"، عاد إلى مكة عام (١٢٧٠هـ/١٨٥٣م) وعاود إلقاء دروسه بالمسجد الحرام توفي بمكة رحمه ا [(٢)]، وقد ترك من ذريته عالماً فقيهاً وهو **محمد بن محمد بن محمد عثمان ميرغني الحنفي،** كان حياً (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) له العديد من المصنفات العلمية، فقد برع في العلم خاصة الحديث، إذ أخذه عن أبيه، وعدد من علماء مكة منهم عمه[(٣)] **جعفر بن محمد عثمان بن محمد بن أبي بكر ميرغني الحنفي** (ت١٢٧٧هـ/١٨٦٠م) والذي قرا العلوم على عمه عبد ا ميرغني مفتي مكة وعلى والده، أذن له مشايخه بالتدريس بالمسجد الحرام فباشره بجد واجتهاد، فانتفع به الطلبة واستفادوا، توفي بمكة تاركاً عدداً من المؤلفات جلها في الرقائق والمديح النبوي[(٤)].

---

(١) غازي: نثر الدرر، ق١٢؛ الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن "٣ هـ - ١١ هـ " (ط١، مكة مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي: ١٩٩٤م)، ص٤١٦.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٩١.

(٣) غازي: نثر الدرر، ق١٢.

(٤) الحضراوي: نزهة الفكر، ج١، ص٢٥٥؛ مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٥٨.

أما **عبد ا بن محمد بن أبي بكر بن عبد ا ميرغني ،** فقد كان عالماً فاضلاً لقن علمه لأولاده الثلاثة أولهم: **محمد ياسين بن عبد ا ميرغني الحنفي** (ت١٢٥٥هـ/١٨٣٩م) قرأ على والده وعلى مشايخ مكة منهم طاهر سنبل، وعبد الملك القلعي وأحمد جمل الليل، وغيرهم، أجازوه، فدرس بالمسجد الحرام الحديث والفقه وغيرهما من العلوم عرض عليه منصب الإفتاء فامتنع، له عدد من المؤلفات[١]، جلها في الفقه الحنفي والذي برعت فيه هذه الأسرة.

أما الابن الثاني لعبد ا فهو: **إبراهيم بن عبد ا بن محمد بن أبي بكر بن عبد ا ميرغني الحنفي**(ت١٣٠٢هـ/١٨٨٤م) حفظ القرآن الكريم وبعض المتون، تلقى العلم عن والده، وعمه محمد عثمان ميرغني، إضافة إلى عدد من علماء مكة منهم عبد ا بن محمد صالح مرداد، عرض عليه منصب الفتوى فلم يقبله، لورعه وتقواه، واكتفى بمنصبه الأسمى وهو التدريس بالمسجد الحرام وإفادة الطلبة[٢].

أما الابن الثالث لعبد ا ، فهو **أحمد بن عبد ا بن محمد بن أبي بكر بن عبد ا ميرغني الحنفي،** كان أصغر من أخيه إبراهيم بخمس سنوات، وكان حياً في عام (١٢٩٨هـ/١٨٨٠م)، حفظ القرآن الكريم وبعض المتون، طلب العلم على عدد من علماء مكة بدأهم بوالده الذي استفاد منه كثيراً، كما تفقه على عبد ا مرداد، وأخذ الحديث عن محمد مراد البنغالي المجاور بالبلد الحرام، برع في الفقه والحديث، فدرسهما بالمسجد الحرام وأفاد طلبة العلم، عين لمنصب الفتوى عام (١٢٩٨هـ/١٨٨٠م) فرفضه وقال: أوصاني والدي بعدم قبوله، فأخذه ولده محمد عنه، توفي بمكة ودفن بها[٣].

**وبعد هذا التطواف بين حلقات العلم الممتدة عبر الزمان من خلال عرض للأسر العلمية** الغراء التي امتد عطاؤها للأجيال المتعاقبة، يجدر أن ألحق بعضاً مما أدركته من خلال بحثي لهذا المطلب من الرسالة:

---

(١) غازي: نظم الدرر، ق١٥٤.

(٢) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج١، ق٣٢.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١١٨؛ عبد الستار الدهلوي: نثر المآثر، ق٣١؛ غازي: نظم الدرر، ق١٦٣.

ـ الأسر العلمية امتد ظهورها وعطاؤها طيلة فترة البحث، بحيث لم يخل عقد من الزمان إلا وكان فيه عالم من علماء هذه الأسرة أو تلك، فما خلت مكة بحمد ا تعالى من علماء الشريعة على مر الأيام.

ـ لقد كان بروز هذه الأسر قوياً في علوم الشريعة، وإن كانت بعض الأسر اختصت بأحد الفنون دون باقيها، فأسرة برزت في **الفقه الحنفي**، وأخرى كان إليها المرجع في الفتوى في **الفقه الشافعي**، وأسرة كان أبناؤها **محدثين**، وأخرى كان **القضاء والإفتاء** بمنصبيهما أظهر فيها، وثالثة تولت **مشيخة الخطابة والإمامة** بالمسجد الحرام ردحاً من الزمان وهكذا.

ـ لم أعثر على اشتغال أسرٍ منها **بالفقه الحنبلي**، وقد يرجع اشتغال العلماء بالمذهب الحنفي إلى أنه مذهب الدولة العثمانية الرسمي، وإلى الاشتغال بالمذهب الشافعي والمالكي للأسر التي وردت من جهات بالعالم الإسلامي، فقد كان المذهب الشافعي منتشراً بالهند وإندونيسيا وغيرها، والمذهب المالكي كان بالمغرب العربي.

ـ كان **للإجازات العلمية** دورها في نقل المرجعية العلمية للأسر، فكانت الإجازة يظهر فيها (أخذ عن أبيه، وجده) ونحو ذلك، وقد يكون ذلك من الأسباب الإيجابية في استمرار عطاء الأسرة العلمي وتمسكاً بموروثها العلمي الفذ.

ـ ظهر خلال فترة البحث **وجود أسر علمية متزامنة**، واللطيف في ذلك أن علماء الأسرة لا يكتفون بالأخذ من آبائهم وأقربائهم، بل تأثرت ببعضها عن طريق الشيوخ، فالمحدث العجيمي مثلاً هو في أسانيد شيوخ الأسر المهتمة بالحديث، وعبد الرحمن سراج، كان معلماً لجمع من الأسر المهتمة بشؤون الفقه الحنفي.

ـ **الاتجاه العلمي للأسرة** يتحدد مع مقدم أو بروز عميدها في البلد الحرام، وغالباً ما يستمر هذا الاتجاه في الأسرة طيلة بقائها، فالأسرة **الطبرية** مهتمة بالمذهب الشافعي، لأن المحب الطبري كان من كبار أئمة الشافعية، وأسرة **العجيمي** كانت مهتمة بالحديث لأن حسناً العجيمي كان محدثاً، وأسرة **سراج** اضطلعت بالإفتاء لتقلد عبد الرحمن سراج الإفتاء بمكة، وأسرة **المنوفي** تربعت على عرش الأدب خلفاً لعميدها محمد المنوفي، وهكذا.

ـ جمعت عدداً ضخماً من الأسر العلمية التي شارك فيها **اثنان فقط** من العلماء في حمل العلم من هذه الأسر، ولما كان **أقل الجمع ثلاثة**، كما هو الراجح رأيت أن أثبت ما كان من أسرة مكونة على الأقل **من ثلاثة**، وبعض الأسر عمرت زمناً، وظهر فيهم عدد كبير من العلماء، فقد وصل عدد العلماء الذين ظهروا في أسرة **مرداد** إلى ما يزيد على **العشرة**، ممن حمل العلم على مر الزمان، وقد أمتد عطاء أسرة **الطبري** إلى **ستة قرون** من الزمان رحمهم ا تعالى.

ـ ولما كان العلم لا يقتصر على الرجال دون النساء، فقد ظهر في الأسر العلمية **نساء فضليات** حبب إليهن بعد الطلب والتحصيل تدريس العلوم الشرعية وإعطاء الإجازة فيها كأم الحسن البغدادية وخديجة الطبرية.

ـ بل ربما غلبت **النسبة الشرعية** على الأسرة، فأسرة صديقي لما تولت الإفتاء مدة من الزمان في مكة صار يقال لهم (**بيت المفتي**) وصار هذا من ألقاب المنتمين إلى هذه الأسرة، ونلحظ ذلك أيضاً في أسرة (**فقيه**) وغير ذلك.

ـ تأثرت بعض الأسر **بالبيئة العلمية** في مكة، فوجود حرم ا والاشتغال بالإمامة فيه كان دافعاً قوياً للاهتمام بالقرآن والقراءات، فنجد (أسرة فقيه) مثلاً اشتهرت بحسن التلاوة والتجويد، حيث كانوا يؤمون الناس في صلاة التراويح.

ـ كانت المصاهرة ظاهرة بين الأسر العلمية: فعلى سبيل المثال صاهرت أسرة العجيمي أسرة المفتي، حيث إن عبد القادر بن مفتي الصديقي هو سبط العلامة حسن العجيمي(١)، وهناك أيضاً مصاهرة بين أسرة شطا وأسرة دحلان، فوالدة عبد ا بن صدقة بن زيني دحلان كانت أخت أبي بكر شطا(٢).

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص ٢٧٥.

(٢) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٢، ق١٧٧.

## رحلات الحج والعمرة وأثرها في تشجيع العلاقات العلمية بين مكة والبلدان الإسلامية.

الحج شعيرة إسلامية عظيمة افترضها ا سبحانه على المسلمين، وجعله ركناً من أركان الإسلام قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[(١)].

وقال ﷺ: ((أيها الناس إن ا قد فرض عليكم الحج فحجوا))[(٢)].

ولا يزال الحج أملاً يراود المسلمين في شتى أنحاء الأرض منذ نداء الخليل عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[(٣)].

ومنافع الحج كثيرة ومتنوعة، وذلك لأن مكة بلد مبارك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ﴾[(٤)].

قال ابن ظهيرة: أي كثير الخيرات لما يحصل لمن حجه واعتمره أو عكف عنده أو طاف حوله أو استقر به من الثواب والبركة[(٥)].

لأجل هذا كانت النفوس كلها تواقة ومتجهة إلى مكة، فهي منطلق الإسلام ومشع نوره وثقافته.

وقد تعود المسلمون منذ العهد النبوي الأول أن يكون الحرم المكي في موسم الحج موطناً للقاء بين العالم والمتعلم ومكان التلقي للمعرفة والتفقه، فقد كان رسول ا ﷺ في حجة الوداع قائماً على التعليم والتثقيف يسأل فيجيب، ويعلم فيستجاب له،

---

(١) سورة آل عمران، آية : ٩٧.

(٢) مسلم: الصحيح، ج٢، ص٩٧٥، ح ١٣٣٣٧.

(٣) سورة الحج، آية : ٢٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٩٦.

(٥) ابن ظهيرة: الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف (ط١، القاهرة: ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م)، ص١٩.

ودعا الناس صلوات ا عليه وسلامه في منى إلى إبلاغ العلوم وتداولها والعمل على وصولها إلى الناس كافة[(١)].

وهكذا ارتبط موسم الحج ارتباطاً وثيقاً بالعلم والتعلم والمعرفة والتثقيف فمكة يفد إليها الجميع من مشارق الأرض ومغاربها، وكل يأتي محملاً بثقافته ومعرفته وعلمه، وتبدأ حلقة اتصال المعرفة من جنبات البلد الحرام، فكان كثير من العلماء يحرص على هذا الملتقى العظيم، حيث يفيد بما عنده، ويستفيد ما قصرت علومه عنه، فيخرج الحاج من هذه الرحلة العظيمة بعظيم الأجر والثواب، وبالمزيد من العلم والمعرفة، مع ما يغرسه العلماء الحجاج في مكة من ثروة كبيرة في العلوم والثقافات.

**وترتبط رحلات الحج والعمرة بالنواحي العلمية** ارتباطاً وثيقاً معلوماً بأصل التشريع العام للحج والعمرة، وذلك لأنها تشتمل على مناسك لا يصح الحج إلا بها وعلى أركان وواجبات لا بد للحاج أو المعتمر أن يتعلمها ويبحث عنها، ويسأل ويباحث ويناظر ويناقش ويستفسر .... إلخ.

ومع كثرة أحوال الناس واختلافهم تزداد المسائل وتتنوع، فتصبح مكة في أيام الحج منتدى علمياً واسعاً، فلا تكاد ترى أحداً فيها إلا وهو يتعلق من العلوم بطرف، أو يتصل بالعلماء صباحاً ومساءاً، ولا تكاد تخطو في المسجد الحرام إلا وحلقات العلم تدور في جنباته، وبالأخص فيما يدور حول الحج.

إلا أنه لم تقتصر الحياة العلمية في أثناء رحلات الحج والعمرة على مسائل المناسك، بل امتدت لتشمل جميع فروع العلم والمعرفة، ويحمل وفد ا من الحجاج والعمار العلوم والمعارف من بلادهم إلى مكة ثم يعودون بعلوم جديدة غلب عليها الطابع الإيماني الذي تلقوه من روحانيات المكان والزمان، مما يكون له الأثر القوي دوماً في ازدهار الحركة العلمية في شتى بلدان العالم الإسلامي.

---

(١) روي الترمذي في سننه حديثاً نصه: ((قام رسول ا ﷺ بالخيف من منى فقال نضر ا عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم أسلمها إلى من لم يسمعها ، فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)) السنن: ج١٠، ص١٤٤.

ولقد تنبه **علماء مكة** إلى هذه الحقيقة الواضحة، وهي ارتباط وفود الحجيج بالحركة العلمية، ولذا ازدهرت العلوم بمكة، وأعد العالم المكي نفسه لهذه المهمة العظيمة، فصار العالم المكي موسوعة علمية متحركة، مشاركاً في علوم التفسير والحديث والفقه والمغازي، بل وجمع الكثيرون إلى ذلك الأدب والأنساب والطب.

ولم يخل موسم من مواسم الحج من **مناظرات علمية** رائعة لم تقتصر على شؤون الحج بل امتدت لتشمل شتى مسائل الشرع، بل ومسائل الدنيا والسياسة والاقتصاد وغيرها.

كما كانت مكة في هذا الموسم العظيم محط رحال العلماء من راغبي **اقتناء الكتب الشرعية** التي امتازت برخص أسعارها وتوفرها، مع ما في اقتنائها من بلاد الحرمين من ذكرى عاطرة تبقى مع الحاج كلما طالع في كتابه الذي اقتناه من مكة.

وقد رأيت بحث ذلك من خلال بيان حرص الحجاج على طلب العلم الشرعي بمكة، ولا سيما العلوم التي تؤخذ بالمشافهة كالقرآن والتجويد، والعلوم التي تقل في بلادهم، ومن كان منهم أهلاً تصدر للتدريس بالبلد الحرام، ومنهم من اشتغل بالتصنيف، وكثير منهم اهتم بوضع مؤلف يصف فيه رحلته، كما حرص الحجاج كذلك على اقتناء الكتب من مكة ونشرها في بلادهم، أضف إلى ذلك انتشار الدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، وقيام كثير من الحجاج بنشرها في بلادهم، ومن الحجاج من دعم مسيرة التعليم بالإنفاق على المدارس وغيرها من دور العلم، وفيما يلي عرض لشيء من ذلك.

- حرص الحجاج على طلب العلم الشرعي في مكة:

فمنذ أن بزغ فجر الإسلام وانتشر نوره في ربوع الأرض تحولت الأنظار إلى البقاع الطاهرة من كافة الأرجاء[1].

---

(١) لقد انتشر الإسلام في آسيا وأفريقيا وأوروبا بفضل ا  تعالى ثم بجهود الدعاة المبتعثين والتجار المسلمين المتحلين بالمعاملة الحسنة مع جميع فئات الناس، كما كان للجهاد والفتوحات الإسلامية دور فعال في سرعة دخول أهل تلك البلاد إلى دين ا  أفواجاً، ولمعرفة المزيد من من التفاصيل التاريخية عن كيفية وصول =

وأصبح في هذه المناطق مراكز مهمة لنشر الثقافة الإسلامية والعربية التي وجدت رعاية واهتماماً من قبل الحكام والأمراء المسلمين الذين شجعوا العلماء وطلبة العلم، مما أدى إلى وجود تفاعل بين هذه المناطق وبين مكة منبع الثقافة الإسلامية والعربية[1].

وزاد من العلاقات العلمية الثقافية انتشار الدعوة السلفية، وانتقالها من بلاد العرب إلى هذه المناطق عن طريق العلماء والحجاج الذين وفدوا إلى مكة ومضوا فيها فترة من الزمن نقلوا خلالها أفكار ومبادئ الدعوة السلفية إلى حواضرهم ، حتى قامت دعوات مماثلة لها في بلادهم تدعو لوحدة الأمة الإسلامية وتنقية العقيدة الإسلامية من البدع والشوائب[2].

وإن المطالع في تراجم الحجاج القادمين إلى مكة يجد أن الطابع العلمي كان واضحاً في طريقهم لرحلة الحج، فما أن تحط رحالهم على الأرض المباركة إلا ويبدؤون بطلب العلم وتحصيل السماع والإجازات وملاقاة الشيوخ، وحضور حلقات العلم التي يعج بها المسجد الحرام، وكانت إقامة بعضهم تطول بحيث يحصل فيها علوماً شتى.

والملاحظ أن كتب التراجم التي ترجمت لهؤلاء العلماء حرصت على ذكر تواريخ حجهم، والمعلوم أن كتب التراجم هذه تعنى بالسيرة العلمية المحضة، فذكرهم (الحج) وهو فريضة على العالم وغير العالم، لابد أن يكون لارتباطه بالعلم والعلماء.

---

الإسلام إلى ربوع الأرض أنظر : أحمد بن يحي البلاذري : فتوح البلدان، راجعة محمد رضوان، (بيروت: ١٩٧٨م)؛ إحسان حقي: تاريخ شبه الجزيرة الهندية والباكستانية، (ط١، بيروت: ١٩٧٠م)، ص٤٨.

(١) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: بلاد الهند في العهد الإسلامي، (القاهرة: ١٩٨٠م)، ص٢٤١.

(٢) سيد مقبول أحمد: العلاقات العربية الهندية، ترجمة نقولا زيادة، (ط١، بيروت، الدار المتحدة للنشر: ١٩٧٤م)، ص٨٦ـ ٩٧.

وإلا فلم نجد في تراجمهم أن فلاناً (صام) أو (زكى) أو (صلى) فلم يذكروا إلا ما له ارتباط وثيق بالعلم مما يؤكد أن (مكة) والحجاز عموماً كان منبعاً يجذب العلماء إليه، مما ساعد في ازدهار الحركة العلمية به.

وقد حفلت تراجم بعض هؤلاء العلماء بمن أخذوا عنه العلم، والكتب التي سمعوها، وطالت مدة إقامة بعضهم بمكة حتى نسب بعضهم إليها[(١)]، ويلاحظ أيضاً أن كثيراً من العلماء الذين أتوا إلى مكة حجاجاً ثم استوطنوها كانوا شيوخاً للطلبة القادمين من بلادهم أيضاً.

وكان الكثير من الحجاج العلماء يجمعون في رحلتهم إلى مكة نية أداء فريضة الحج مع نية طلب العلم الشرعي، وأخذه من علمائه فمنهم :

- **أحمد بن أبي المنصور الكوباموي،** من علماء الهند (في القرن الثاني عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي)، سافر إلى الحجاز، والتقي بعدد من علماء الحرمين واستفاد من علمهم، حتى برع في الفقه وأصوله والعربية[(٢)].

- **أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي** (ت١١٢٩هـ/١٧١٧م)، قدم مكة حاجاً عام (١١٢١هـ/١٧٠٩م)، التقي بعدد من علمائها وأخذ عنهم ، منهم: مفتي الاحناف محمد تاج الدين القلعي وابناه عبد المحسن وعبد المنعم، كما أخذ عن المحدث عبد ا بن سالم البصري، والتقى بمؤرخ مكة مصطفى الحموي وأطلعه الأخير على جزء من تأليفه "فوائد الارتحال ونتائج السفر في أبناء أهل القرن الحادي عشر"[(٣)].

- **محمد الصغير داود التونسي توجه** إلى مكة سنة (١١١٥هـ/ ١٧٠٣م ) لأداء فريضة الحج، فاجتمع في الحرمين الشريفين بعلمائها وأخذ عنهم جملة من

---

(١) المعلوم أن النسبة إلى بلد أو مكان تكون بعد أربع سنوات كما قاله ابن المبارك، وقيل غير ذلك، أنظر : جلال الدين السيوطي: تدريب الراوي، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر: ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م) ، ج٢، ص٣٨٥.

(٢) عبد الحي فخر الدين الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"، (ط١، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج٦، ص٦٩٣.

(٣) عبد الهادي التازي: رحلة الرحلات في مائة رحلة مغربية ورحلة، (مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج١، ص٢٦١.

العلوم أهلته حين عاد إلى تونس ليتولى التدريس والإفادة فانتفع بعلمه عدد كبير من الطلبة[1].

- **أبو عبد الله محمد زيتونة التونسي** (ت١١٣٨هـ/١٧٢٦م) توجه إلى الحج سنة (١١١٤هـ/١٧٠٣م)، وبعد أداء الفريضة رجع إلى بلاده تونس، غير أن الحنين إلى مكة راوده، فعاد إليها حاجاً عام (١١٢٤هـ/١٧١٣م)، وطاب له المقام بها فترة من الزمن، تردد خلالها على عدد من علمائها واستفاد من علمهم، منهم عبد الله بن سالم البصري، ولما شعر بأنه بلغ مرتبة من العلم تؤهله للتدريس وإفادة الطلبة ، شد رحاله إلى وطنه ولازم التدريس والتأليف في الحديث والتفسير[٢].

- **أبو الطيب محمد بن عبد القادر سندي (**من أهل القرن الثاني عشر الهجري / السابع عشر الميلادي) وأحد العلماء المحدثين بالهند، سافر إلى الحجاز للحج، فالتقى بعدد من علماء مكة منهم حسن العجيمي، أخذ عنه علم الحديث[٣].

- **أبو العباس أحمد بن مبارك المغربي** (ت١١٥٦/١٧٤٣م) رحل صوب مكة لأداء فريضة الحج برفقة عدد من العلماء المغاربة، فكانت هذه الصحبة سبباً كافياً للقاء العلماء بمكة والأخذ عنهم، له العديد من المؤلفات[٤].

- **صفة الله الخير آبادي الهندي** (ت١١٥٧هـ/١٧٤٤م) كان محباً للعلم طالباً له، سافر إلى بلاد الحرمين سنة (١١٢٤هـ/١٧١٢م) لأداء فريضة الحج، وأخذ الحديث عن عدد من علمائها، واستمرت إقامته بالحجاز ثلاث سنوات، ثم عاد إلى الهند، وكان قبل مجيئه للحج مشتغلاً بالمنطق والفلسفة، وحين عاد إلى موطنه

---

(١) حسين خوجة: ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق : الطاهر المعموري، (ليبيا، الدار العربية للكتاب)، ص١٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص٢٣٠.

(٣) الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ،ج٦، ص٦٨٩.

(٤) عبد الله المرابط الترغي: فهارس علماء المغرب، منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منهجيتها تطورها، قيمتها العلمية، (ط١، تطوان، كلية الأداب والعلوم الإنسانية: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص٦٦٨.

قام بتدريس العلوم التفسير والحديث[1]، فكانت سنوات مكثه بالحجاز كافية لتعديل مسار حياته العلمية، والتزامه بتدريس العلوم الشرعية وترك الفلسفة والمنطق.

- **أحمد بن مصطفى بن أحمد الاسكندري** (ت١١٦٢هـ/١٧٤٨ م) من علماء مصر، رحل إلى الحرمين لأداء فريضة الحج فأخذ الحديث عن عدد من علمائهما أمثال النخلي وعبد ا البصري[2].

- **محمد هاشم السندي** (ت١١٧٤هـ/١٧٦٠م)، شد رحاله من بلاده الهند صوب مكة لأداء فريضة الحج، وفي مكة التقى بعدد من علمائها ودرس على يديهم الفقه والحديث، منهم: عبد القادر بن أبي بكر بن عبد القادر الصديقي المكي مفتى الأحناف بمكة، وحين رجع إلى وطنه ، درس وأفتى وصنف وصار شيخ بلادته بعد عودته من الحج[3].

- **أحمد بن عبد العزيز الهلالي المغربي** (ت١١٧٥هـ/١٧٦١م) رحل للحجاز بقصد الحج مرتين، التقى في مكة بالمشايخ فسمع منهم وأجازوه، أمثال: محمد بن الطيب المغربي، سمع منه بخلوته في المسجد الحرام الحديث المسلسل بالأولية، وهو أول حديث سمعه منه[4].

- **أبو سعيد بن محمد ضياء النقشبندي** (ت١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م) وصل مكة عام (١١٨٧هـ /١٧٧٣م) قادماً من بلاده الهند لأداء فريضة الحج فاغتنم فرصة وجوده بمكة بعد فراغه من أداء الفريضة، وزيارة المدينة المنورة، فالتقى بعدد من علمائها وأخذ عنهم[5].

---

(١) محمد البشير ظافر الأزهري: طبقات المالكية المسمى "اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة"، (ط١، القاهرة، دار الأفاق العربية: ١٤٢٠هـ)، ص٤٢.

(٢) القطان: تنزيل الرحمات، ق٢٧٠؛ محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة: علماء دمشق وأعيانها في القرن ١٣هـ، (ط١، بيروت، دار الفكر المعاصر: ١٤١٢هـ /١٩٩١م) ، ج٢، ص٤٨٨.

(٣) الحسيني : الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ،ج٧، ٨٤٢.

(٤) عبد الكبير الفاسي: تذكرة المحسنين: موسوعة أعلام المغرب (دار الغرب الإسلامي)، ج٥، ص٢٢١٤.

(٥) الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ،ج٦، ص٦٨٧، ٦٨٨.

ويدل رجوعه مرة ثانية على طلبه لشيء لم يكن متوفراً في غير مكة آنذاك بالصورة التي يريدها.

ـ **مفتي الشام محمد خليل المرادي** (ت١٢٠٦هـ/١٧٩١م)، قدم من دمشق لأداء فريضة الحج، أجازه الكثيرون من علماء مكة أمثال: محمد سعيد سنبل ويحيى العجيمي، ومحمد عابد سندي، ومحمد بن محمد سعيد سنبل[1].

ـ **حاجي شريعت ا  الهندي** (ت ١٢٥٦هـ/١٩٢٧م)، سافر من موطنه الهند إلى مكة لأداء فريضة الحج عام (١٢١٤هـ/١٧٩٩م)، فطاب له المقام بها عشرين عاماً تخللتها فترات كان يسافر فيها إلى وطنه، ثم يعود إلى مكة مرة أخرى، ولعل ما يبرر طول تلك الفترة هو حبه لطلب العلم، ومذاكرته على أيدي علمائها ، حيث اشترك في حلقة طاهر سنبل الشافعي المكي وغيره من علماء مكة فدرس القرآن والحديث والفقه والعلوم الإسلامية الأخرى التي كانت تدرس في الحرمين الشريفين وبرع في العربية وعلومها، وتذكر المصادر التي أرخت له أنه عاد إلى موطنه سنة (١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م) فنال شهرة كبيرة بين علماء بلده[2].

ـ **عبد ا  بن عثمان بن عبد ا  النجدي** (ت ١٢٥٦هـ/١٩٢٧م) أخذ العلم من مشايخ مكة حين توجه إليها حاجاً[3].

ـ **عبد اللطيف بن أبي الحسن الويلوري** (ت١٢٨٩هـ/١٨٧٢م)، من علماء الهند، رحل إلى الحجاز عام (١٢٦٠هـ/١٨٤٤م) فحج وصحب عدداً من علماء مكة وأخذ عنهم، رجع إلى بلاده وصرف عمره في نشر العلم والتأليف[4].

ـ **عبد الرحمن بن محمد الكزبري** (ت١٢٦٢هـ/١٨٤٥م) من علماء دمشق سافر إلى البقاع الطاهرة لأداء فريضة الحج فالتقى بعلماء مكة، وأخذ العلم عن عدد

---

(١) محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة: علماء دمشق وأعيانها ، ج١، ٥٦.

(٢) سمير عبد الحميد نوح: أثر مكة والحج في ثقافة وأدب شبه القارة الهندية، (أبحاث ندوة الحج لعام ١٤٢٣هـ)، ص٤٢٢.

(٣) محمد بن عبد ا  بن حميد : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، تحقيق بكر بن عبد ا  أبو زيد وعبد الرحمن بن سليمان العثيمين، (ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤١٦هـ) ، ج٢، ص٦٣٣؛ عبد ا  بن محمد بن أحمد الطريقي: معجم مصنفات الحنابلة ، (ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ج٦، ص١١٠.

(٤) الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ، ج٧، ص ١٠٣٣ ـ ١٠٣٤.

منهم: عبد الملك بن عبد المنعم بن تاج الدين المفتي، ومن الأخوة: محمد وطاهر وعباس أولاد المحدث سعيد سنبل[1].

- **جلال الدين البرهانبوري الهندي** (ت١٢٧٣هـ/١٨٥٦م) رحل إلى الحرمين الشريفين حاجاً، فاغتنم فرصة وجوده بالبقاع المقدسة ومع هذا التجمع الديني العلمي الكبير، بأن أخذ الحديث عن الأئمة والعلماء ، ثم رجع إلى بلاده الهند وتصدر للتدريس والإفادة والتأليف فاستفاد بعلمه الكثير من الطلبة[2].

- **عبد السلام بن عبد الرحمن الدمشقي،** إمام الحنابلة بالجامع الأموي، حج بيت ا عام (١٢٧٤هـ/١٨٥٧م) وعام (١٢٨٤هـ/١٨٦٧م) واستجازه كمال بن عبد ا المكي الحنفي رئيس المدرسين بالمسجد الحرام وكتب له الإجازة بخطة[3].

- **أحمد على الهاربنوري الهندي** (ت١٢٩٧هـ/١٨٧٩م)، قدم من بلاد الهند بنية أداء فريضة الحج، فالتقى بمكة عدد من علمائها، منهم: إسحاق بن محمد أفضل ا الدهلوي المكي، قرأ عليه كتب الحديث، وأجازه، وقد أهلته هذه الإجازة مع ما لديه من علم لأن يتصدر التدريس في بلاده حين عاد إليها بعد أدائه فريضة الحج، فقام بتدريس الصحاح الست، كذلك عكف على تصحيح نسخة لصحيح الإمام البخاري ووضع عليه حاشية[4].

- **المرجاني القازاني،** من علماء قازان رحل إلى مكة لأداء فريضة الحج عام (١٢٩٧هـ/١٨٧٩م) ، فالتقى بعدد من علماءها منهم الشيخ رحمت ا الهندي حيث ذهب إليه في مدرسته الصولتية، وتباحث معه في بعض الشؤون العلمية وقد أهداه الشيخ رحمت ا مجموعة من مؤلفاته العلمية من بينها كتاب "إظهار الحق" و "إزالة الأوهام"[5].

---

(١) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢٨٢؛ محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة: علماء دمشق وأعيانها، ج٢، ص٤٨٨.

(٢) الحسيني : الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ،ج٧، ص٩٤٥.

(٣) محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة: علماء دمشق وأعيانها، ج٢، ٧٣٥.

(٤)الحسيني : الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ، ج٧، ص٩٠٧.

(٥) رضاء الدين فخر الدين : أتراك بلغار وقزان، ( ط١، تتارستان، مطبعة قزان: ١٩٩٣)، ٥٤.

ـ **إبراهيم بن عبد العلي بخش** من علماء الهند البارزين، قدم مكة حاجاً، أخذ الحديث عن عدد من علماء مكة منهم أحمد زيني دحلان و أحمد بن أسعد الدهان ومفتي الحنابلة محمد بن عبد ا بن حميد، ولما عاد إلى بلاده أسند الحديث عن هذه الثلة العلمية، ولعله تأثر بالحياة العلمية النشطة بمكة وبالمدارس والمدرسين وسير العملية التعليمية بها، فقد أسس مدرسة ببلاده وذلك عام (١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م)[١].

ـ **أحمد بن غالب القديمي اليمني** توجه إلى مكة عام (١٣٠١هـ/١٨٨٣م) فحج وطاب له المقام بها، حيث وجد بغيته في علمائها الذين بلغوا ستين عالماً من أكابر العلماء، ويقرر هو بنفسه هذه الحقيقة حين يقول في رسالة بعثها إلى أحد علماء اليمن قال فيها: (وصلت مكة وأقمت بها مدة تسع سنين بالتمام، ووجدت فيها من العلماء ستين عالماً، كلهم يدرسون في العلم، من أجلهم شيخ شيوخنا السيد أحمد دحلان، وحسب ا ، والسيد بكري شطا، وعمر باجنيد ومحمد سعيد بابصيل، وعباس صديق، والسيد حسين المجشي، وشيخنا ومربينا محمد الشرقاوي، وجعفر الدغستاني، وغيرهم من علماء أهل السند، والحمد قرأت عليهم ولازمت القراءة هناك إلى سنة عشرة، ثم أزعجني الشوق إلى اليمن والمعاهدة بالأهل فرحلت)[٢].

ـ **عبد ا بن عائض** (ت١٣٢٢هـ/١٩٠٤م) قدم مكة من بلدته القصيم لأداء فريضة الحج، فقرأ على عدد من علمائها منهم: عبد الرحمن سراج، و محمد ابن عبد ا بن حميد، وعلي باصبرين، ثم عاد إلى القصيم، فعكف على الإفادة والتأليف منها مصنف في رحلته التي وصف فيها سفرته إلى مكة[٣].

---

(١) المصدر السابق،ج٦، ص٨٣٧.

(٢) الحسني: نشر الثناء الحسن، ج١، ص١٢٣ ـ ١٢٤.

(٣) الطريقي: معجم مصنفات الحنابلة، ج٦، ص٢١٠.

*** كما حرص الحجاج على تلقي علوم القرآن والتجويد من مشايخ الحرم المكي الشريف مشافهة، حيث إن علوم القراءات والتجويد الأصل في تلقيها أن تكون مشافهة[١].**

**فقد حرص إسماعيل الرانديري الهندي** حين سافر إلى الحجاز حاجاً (في القرن الثاني عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي) أن يلتقي بشيخ القراءات بمكة محمد الدمياطي، فأخذ عنه القراءات والتجويد، ثم عاد إلى الهند ليتولى الخطابة بها في الجامع الكبير في بلدته[٢].

كما **حفظ العالم الهندي محمد قاسم** بن غلام شاه القرآن الكريم أثناء وجوده بمكة لأداء فريضة الحج عام ( ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م) واستغل وقته في التنقل بين حلقات تحفيظ القرآن الموجودة بين أروقة الحرم الشريف، وبعد انتهائه من أداء المنسك عاد إلى الهند غير أن حنينه راوده للحج مرة أخرى فحج سنة (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م)[٣].

*** ولما كانت مكة ملتقى العلماء من جميع بقاع العالم وجسراً ثقافياً ما بين الشرق والغرب ، الكل يجتمع فيها على صعيد واحد في بوتقة تمتزج فيها العلوم والثقافة الإسلامية ثم تنتقل إلى كافة أرجاء العالم الإسلامي بغض النظر عن اللون والجنس واللغة والبلد ، فالكل مسلمون تجمعهم رابطة واحدة رابطة الدين والإيمان لذا نجد الكثير من الحجاج يغتنم فرصة وجودة بمكة بالالتقاء بإخوانه العلماء من البلدان الإسلامية الأخرى فيأخذ عنهم ويستجيز منهم:**

**فقد اجتمع الحسين بن محمد السعيد الورثلاني الجزائري (ت١١٩٤هـ/١٧٨٠م)** صاحب الرحلة الحجازية والمسماة "**نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**" والذي حج عام (١١٧٩هـ/١٧٦٥م) بأحد علماء البحرين وقال عنه إنه من فقهاء المالكية، ووصفه بالعظمة في الفقه، وأنه كان يحفظ أكثر الشروح، وأن

---

(١) انظر في طرق تلقي القرآن الكريم الفصل الثالث مبحث العلوم والمصنفات التي كانت تدرس في مكة .

(٢) الحسيني : الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ،ج٨، ص١١٨٧.

(٣) المصدر السابق، ج٧، ص١٠٦٨.

مسائل الفقه كلها على طرف لسانه، كما اجتمع بعدد من علماء مكة دارت بينه وبينهم عدة مسائل علمية منهم: عبد ا بن سالم البصري، و محمد تاج الدين القلعي، وابناه عبد المحسن وعبد المنعم[(١)].

**كما حرص محمد بن عبد السلام الدرعي المغربي** (ت١٢٣٩هـ/١٨٢٣م) أثناء وجوده بمكة على أن يلتقي بأحمد العطار الشافعي (ت١٢١٨هـ/١٨٠٣م) إمام مسجد الجامع الأموي بدمشق والمدرس به، وتباحث معه في بعض المسائل الفقهية والحديثية وطلب منه الإجازة فأجازه[(٢)].

**كذلك حرص كلٌ من: العلامة محمد بن عبد الهادي الأهدل اليمني، وعمه عبد ا الباري** أثناء حجهما عام(١٢٦٠هـ/١٨٤٤م) على لقاء مفتي طرابلس إبراهيم الخليل، وأخذا منه الحديث، وقد كتب الطرابلسي بخطه إجازة مطولة للشيخ عبد ا الباري[(٣)].

**كما التقى أنور بن معظم شاه الحسيني،** أحد علماء الفقه بالهند ، حين حج عام (١٣٢٣هـ / ١٩١٤م) بمحدث الشام حسين بن محمد الجسر الطرابلسي بمكة وأسند عنه الحديث ثم رجع إلى بلاده ليدرس بها الحديث، فنفع ا بعلمه الطلبة[(٤)].

كذلك حرص عبد الحق الكتاني أثناء وجوده بمكة للحج على الالتقاء بالعلماء والأخذ عنهم ، ففي حجه عام (١٣٢٣هـ/١٩١٤م) التقى بعلي بن محمد البطاح الأهدل الزبيدي، وأخذ منه إجازة في رواية كتاب "النفس اليماني والروح الريحاني" لمفتي زبيد وجيه الدين عبد الرحمن بن سليمان بن يحيى الأهدل[(5)]، وقرأ على

---

(١) الحسين بن محمد الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، أو "الرحلة الورثيلانية" ( ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ص٣٩١، ٤٢٤.

(٢) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢٥٩؛ حمد الجاسر: أشهر رحلات الحج ، ص١٤٠.

(٣) الحسني: نشر الثناء الحسن ، ج١، ص٣٤٢.

(٤) الحسيني : الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ،ج٨، ص١١٩٩.

(5)عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والسلسلات، (دار الغرب الإسلامي، بعناية إحسان عباس)، ج٢، ص٦٩٥.

حسين الحبشي المكي ثبت "النفحات الغوالي في الأسانيد العوالي" للمحدث أحمد قاطن الصنعاني اليمني[1].

* وكان علماء مكة يوقرون علماء البلدان الإسلامية ويستقبلونهم بحفاوة وترحاب إجلالاً لمكانتهم العلمية، وإشعارهم بالأنس والمحبة وأنهم في بلادهم:

ففي عام (١١٧٧هـ/١٧٦٣م) حين قدم إلى مكة حاجاً شيخ الأزهر الشريف[2] أحمد بن عبد المنعم بن عبد المؤمن الدمنهوري المصري الشافعي، خرج لاستقباله قاضي مكة وعدد من علمائها، وقد درس الدمنهوري بالحرم الشريف علوماً شتى منها علم القراءات الذي برع فيه وله فيه مؤلفات كثيرة[3].

وأما **المحدث الفقيه الهندي أبو سعيد الدهلوي** (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، فقبل وفاته بعام توجه إلى مكة لأداء فريضة الحج، فلما وصل إلى مكة استقبله العلماء واحتفى به الشيخ عبد ا سراج مفتى الأحناف بها، وعمر مفتى الشافعية، وعبد ا ميرغني وغيرهم من العلماء[4].

*** ولما كان أهل مكة بعلمائها أهل كرم يجودون بما لديهم لغيرهم، فقد غضوا الطرف عن مزاولة الحجاج لمهنة التدريس وسكتوا عن الحلقات العلمية التي كانت تدور في جنبات الحرم الشريف، أو في أرجاء مكة، والتي ترأسها الحجاج القادمون من بلادهم سواء كانوا علماء أو طلاب علم تتلمذوا في يوم من الأيام على أيدي علماء مكة وتخرجوا من حلقاتهم العلمية:**

**فحين ذهب صوب بلاد الحرمين حاجاً الحافظ المحدث كمال الدين المجيدري الشنقيطي** (ت١٢٠٥هـ/١٧٨٨م)، أهلته مكانته العلمية لان يمكث بها مدة مدرساً

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ص٧٠٠.

(٢) منصب شيخ الأزهر: منصب شرفي وإداري يقوم صاحبه بإدارة شؤون الأزهر الشريف لايعرف على وجه التحديد أول من تولى هذا المنصب، لمزيد من المعلومات انظر: عبد العزيز الشناوي: الأزهر جامعاً وجامعة، (القاهرة، مكتبة الأنجلوا المصرية: ١٩٧٨م)، ج١، ص١٨٩.

(٣) الجبرتي: عجائب الأثار،ج ١، ص ٥٢٥؛ بروكلمان : تاريخ الأدب، ج٨، ص٣٧٩ .

(٤) الحسيني : الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ،ج٧، ص٨٩٣.

بالمسجد الحرام، فبقيت صورته بمكة مشرقة وضاءة، وذلك ما أوضحه تلميذه محمد عبد ا ابن البخاري بقوله: (وأخبار شيخنا محمد بن حبيب ا المجيدري مشهورة من أرضنا إلى الغرب إلى أفريقية إلى مصر إلى مكة إلى المدينة، وإن تتبعت أثره لم تجد موضعاً إلا له فيه تلميذ، وقل مصر مر به إلا سلم له أهله، وأعجبهم من عالم..) (1).

**كما** كان محمد الجوهري المصري (ت١٢١٥هـ/١٨٠٠م)، ينتهز فرصة وجوده بمكة كلما ذهب إليها حاجاً ليعقد حلقته بأروقة المسجد الحرام حباً في نشر العلم ورغبة في تلبية دعوة طلابه، فحين قدم إلى مكة حاجاً عام (١١٨٧هـ/١٧٧٣م)، عقد بالمسجد الحرام درساً كان يحضره جم غفير من الطلبة وحين حضر للحج مرة أخرى عام ١١٩٩هـ/١٧٨٤م وفدت عليه الوفود من الحجاز والمغرب والهند والشام، للاستفادة من علمه، ثم رحل مرة أخرى لأداء مناسك الحج فكانت له حلقة علم واسعة في المسجد الحرام حضرها عدد كبير من محبي العلم(2) .

وممن درس أيضاً بالمسجد الحرام من العلماء الحجاج **حجازي بن عبد المطلب المالكي** العدوي (ت١٢٣٢هـ/١٨١٦م) من فقهاء مصر وعلمائها، رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، فدرس بالمسجد الحرام **الفقه الحنفي**، وله مؤلفات عدة في مذهبه انتفع بها العديد من طلبة العلم(3).

**وتوجه العالم حبيب الرحمن الهندي** إلى مكة حاجاً عام (١٢٧٠هـ/١٨٥٤م) فبقي بها فترة درس علي يديه عدد كبير من طلاب مكة، وخاصة أبناء الجالية الهندية، كذلك عقد عدداً من اللقاءات العلمية مع علماء الحرمين، كما استغل

(1) حمذن بن احمد بن المحبوب:الرحلات الشنقيطية صوب الجزيرة العربية (مجلة التاريخ العربي، ع ١٧، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص٢٧٧.

(2) الجبرتي: عجائب الأثار، ج٢، ص٤٤٠ـ ٤٤٢.

(3) محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات السادة المالكية، (القاهرة: ١٣٢٩هـ)، ص٣٧٩؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص١٦٩.

فترة وجوده بمكة في تأليف كتابٍ ضمنه رحلته لمكة والمدينة، وكان ذلك في حج عام (١٢٨٤هـ/١٨٦٧م)(١).

**ومنهم عبد الحق الإله آبادي الهندي** من علماء (القرن الثالث عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي)، رحل إلى مكة حاجاً فطاب له المكوث بها لتحصيل العلم بين أروقتها، وعلى أيدي علمائها الذين أجازوه بعدد من مروياتهم التي أهلته لشرف التدريس بالحرم المكي، فكثر تلاميذه وطلابه، وسطع نجمه بين العلماء، وصنف العديد من المؤلفات القيمة وهو مقيم في مكة(٢).

واستمع عدد من علماء مكة وطلاب العلم فيها **لدروس محمد أبو النصر بن عبد القادر الخطيب الدمشقي** حين قدم مكة حاجاً عام (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) حيث درس صحيح البخاري لطلبة العلم وأجاز الكثير منهم (٣).

**وعندما قدم بهاء الدين بن داوود الخالدي الجاوي** الحنفي مكة في موسم حج عام(١٣٢٩هـ/١٩١١م) أجاز عدداً من طلبة العلم المكيين علومه ومروياته(٤).

ولم يقتصر التعليم على الرجال، فقد شاركت المرأة في ذلك، فكانت الفقيهة المحدثة **فاطمة بنت أحمد الزبيرية العراقية** (ت١٢٤٧هـ/١٨٣١م) عالمة في الحديث والتفسير والفقه، لها مصنفات منها "شرح صحيح مسلم"، ذهبت إلى مكة لأداء فريضة الحج، فأقامت بها، وتردد عليها غالب علماء مكة وسمعوا منها وأسمعوها من وراء ستارة(٥).

---

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج١، ق ١١٥؛ محمد بن عثمان السنوسي: الرحلة الحجازية ، تحقيق علي الشوفي، (تونس، الشركة التونسية للتوزيع: ١٩٧٨م)، ج٣، ص١١٧ـ ١٢١.

(٢) عبد الستار الدهلوي : فيض الملك المتعالى، ج ١، ق٨٥.

(٣) أبو بكر بن أحمد بن حسين الحبشي: الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبيب المشير، (ط١، مكة، المكتبة المكية: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص ٤٤.

(٤) الحسني: نشر الثناء الحسن، ج٣، ص١٩٢.

(٥) عبد ا بن عبد الرحمن بن صالح البسام: علماء نجد خلال ستة قرون، (ط١، مكة،مكتبة النهضة الحديثة: ١٣٩٨هـ)، ج٥، ص٣٦٠؛ الطريقي: معجم مصنفات الحنابلة ، ج٦، ص٥٠.

*** كما كان الجو الروحاني في أروقة المسجد الحرام وفي أرجائه مدعاة للتأليف والتصنيف، حيث وجد الحجاج في تلك البقعة الطاهرة الهدوء والسكينة اطمأنت نفوسهم وصفى ذهنهم واشتغلوا بالتأليف:**

فقد كانت الهدية التي يجلبها معه الحاج من الأماكن المقدسة هي الهدية الأكثر قيمة في مقتنياته، لذلك نراه يحتفظ بكل ما جاء به من رحلته ولو كان شيئاً بسيطاً كخاطرة مقدسة، إلا أن الهدية الغالية والباقية التي كانت تترك في النفوس الأثر الباقي والذكرى الجميلة هي **الكتاب**، لذلك اهتم الحجاج اهتماماً خاصاً بأن يؤلفوا الكتب في رحاب الحرم المكي الشريف ليعودوا بها إلى أوطانهم باعتبار أن هناك ذكرى خاصة لكل كلمة وسطر كتب في الأماكن المقدسة .

ولعل ما يؤكد ذلك القول أن الحجاج الأتراك كانوا يطلقون على مؤلفاتهم التي صنفوها في بلاد الحرمين بـ **"تحفة"** ـ بمعناها الحقيقي ـ فعلى سبيل المثال **أطلق الشاعر العثماني الكبير يوسف نابي** (ت١١٢٥هـ/١٧١٣م) على رحلته التي قام بها لبلاد الحرمين لأداء فريضة الحج بـ **"تحفة الحرمين"**، وصف فيها أحاسيسه حين شاهد البقاع الطاهرة ووقوفه أما الكعبة والصلاة في الروضة الشريفة[١]، كما أطلق **علي بن ولي بن حمزة العثماني** على كتابه الذي ألفه بحقل الرياضيات في مكة **"تحفة الأعداد لذو الرشد والسداد"**[٢].

وممن وقفت عليهم من علماء اشتغلوا بالتأليف فترة مكوثهم بمكة لأداء فريضة الحج: **عبد السلام بن أحمد الفاسي** من علماء المغرب في القرن الثاني

---

(١) سهيل صابان: رحلة علي سعاد إلى الأحساء والبحرين والمدينة المنورة عام ١٣٢٧هـ، (بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية)، ج٢، ص٣٢٥؛ (بحوث المؤتمر الدولي حول العلم والمعرفة في العالم العثماني بمناسبة الذكرى السبعمائة على قيام الدولة العثمانية، (مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ـ اسطانبول، ١٩٩٩م)، ج١، ص١٥٠؛

(٢) إحسان فضلي أوغلو: الحج في الأدب التركي العثماني بين الحقيقة والمجاز، (ندوة أبحاث الحج عام ١٤٢٢هـ)، ص٢٤٧، ٢٥٥.

عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، تأليف **حسنة، وأدعية نبوية في نحو كراسة ونصف** أثناء مقامه بمكة لأداء فريضة الحج[1].

**أحمد بن أبي سعيد الأميتهوري** (ت١١٣٠هـ/١٧١٧م) كان عالماً فاضلاً سافر إلى الحرمين الشريفين فحج وأقام مدة من الزمن يطوف بين مكة والمدينة محصلاً للعلم من هنا وهناك، ثم رجع إلى الهند ، غير أن حنينه للحرمين دفعه للسفر إليه مرة أخرى بعد ست سنوات من عودته إلى بلاده ، فحج عن أمه ثم أبيه، وخلال هذه الفترة التي مكث بها في مكة قام بدراسة الصحيحين بتدبر وإتقان ومراجعة إلى الشروح ، كذلك عكف على تأليف عدد من المصنفات في علوم مختلفة حيث ألف كتاب "**السوانح**" وأنشأ قصيدة على نهج البردة فيها مئتان وعشرون بيتاً، ثم رجع إلى الهند فاشتغل بالتدريس والتصنيف، فاستفاد منه عدد كبير من طلاب العلم ومحبيه[2] .

**وألف عبد الوهاب بن أبي البركات الشافعي المصري** عام(١١٤٩هـ/١٧٣٦م) كتابه "التيسير لمريد التفسير" وذلك أثناء مقامه بمكة حين توجه لها من مصر لأداء فريضة الحج [3].

وقام حامد العمادي المفتي الدمشقي (ت١١٧١هـ/١٧٥٧م) ، بشرح كتاب محمد الإسكندري المكي في "القراءات" وذلك حين قدم مكة من بلاد الشام لأداء فريضة الحج عام (١١٢٨هـ/١٧١٥م)، وقد التقى بالشيخ الإسكندري، وأعجب بكتابه فعكف على شرحه[4].

**و صنف أنوار ا   بن محمد الهندي**، (من علماء الهند في القرن الثالث عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي)، أثناء وجوده بمكة رسالة نفيسة باللغة العربية سماها

---

(١) الأزهري: طبقات المالكية، ص١٥١.

(٢) الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ، ج٦، ص٦٩١.

(٣) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي في العصر العثماني(القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب: ١٩٩٥م)، ج٩، ص٦٩.

(٤) المرادي: سلك الدرر، ج٢، ص١٤، ١٥.

"**الشوارق المكية لدفع الظلمات البدعية**"[1]. ومن عنوان الرسالة يتضح أن وجوده في مكة والتقاؤه بعلمائها جعله يدافع عن الحق ويشنع بالبدع وأهلها.

وقام **عبد الحي بن هبة ا الهندي** حين سافر حاجاً إلى الحرمين الشريفين سنة (١٢٧٣هـ/١٨٥٦م) بتعريب "**الصراط المستقيم**" لأهل الحرمين[٢].

**ولأحمد رضا بن نقي علي الأفغاني** عدة رحلات إلى مكة لأداء فريضة الحج، كانت أولها عام (١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م)، التقى بعدد من علماء الحرم المكي، وأسند الحديث عن السيد أحمد دحلان، و عبد الرحمن سراج مفتي الأحناف بمكة، وذاكر علماء الحجاز ببعض المسائل الفقهية، والكلامية وألف بعض الرسائل أثناء إقامته بالحرمين، وقد أجاب عن بعض المسائل التي عرضت على علماء الحرمين فأعجبوا بغزارة علمه وسعة إطلاعه على المتون الفقهية والمسائل الخلافية وسرعة تحريره وذكائه، عاد إلى بلاد الأفغان، بعد أن تبحر في العلم وغاص فيه، عاد مرة أخرى إلى مكة للحج، وأقام بها مدة اشتغل خلالها بالتأليف والتصنيف، إذ كان يملك قلماً سيالاً وفكراً حافلاً في التأليف، خاصة في الفقه الحنفي، ويشهد بذلك مجموع فتاواه وكتابه "كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم" الذي ألفه في مكة عام (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)[٣].

**واختصر محمد بن عبد الحي الكتاني المغربي** وهو محرم بمنى عام (١٣٢٣هـ/١٩٠٥) كتاب: "النفح المسكي" بحضور صاحبه أبي الخير أحمد بن عثمان العطار، ويذكر الكتاني سبب ذلك الجمع والاختصار لذلك المعجم النفيس فيقول: (أني لما أوقفني عليه مؤلفه وجدته يخرج في مجلد ضخم لا يمكنني نسخه إذ ذاك فلتحققي بأنه جمع ووعى من أخبار المتأخرين وأسانيدهم وإجازاتهم ما شذ

---

(١) الحسيني : الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ،ج٧، ص٩٢٩.

(٢)الحسيني: الأعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ج٥، ص٣٤٣.

(٣) المصدر السابق، ج٨، ص١١٨١ ـ ١١٨٢.

مجموعه عن كثير من أهل العصر أردت تلخيص ما لا بد منه للراغب الشائق أتيت فيه بترجمة سبعين من مشايخه) [1].

وصنف **أحمد بن إبراهيم بن حمد النجدي** (ت١٣٢٩هـ/١٩١١م) الذي حج بيت ا وأقام بمكة مدة يعمل بالدعوة والتجارة عدداً من المؤلفات منها "الرد على ما جاء في خلاصة الكلام من الطعن على الوهابية والافتراء لدحلان" [2].

*** وظهر نوع من التأليف يتعلق برحلة الحج عرف بـ"أدب رحلات الحج" أسهم فيه العديد من الرحالة والعلماء، فقام كل منهم بتدوين تفاصيل رحلته الحجازية تاركاً العنان لقلمه ليسطر ما شاهده من أحداث ووقائع، وما لاقاه من صعاب وشدائد، ومن قابله وأخذ عنه من العلماء، لتكون رحلته فيما بعد أشبه بوثيقة علمية تشهد له بما حصله من علوم ومعارف :**

فقد اعتنى الرحالة بتسجيل كل ما كانوا يشاهدونه أثناء رحلتهم خاصة فيما يتعلق بإقليم الحجاز ومكة على وجه الخصوص، حيث كتبوا بدقة متناهية عن كل ما لاقوه من المنازل والمناهل والمفاوز والاستراحات والقلاع العسكرية وأماكنها ومن يسكن الصحراء من العربان وأسمائهم وشيوخهم، ووصفوا طريق الحاج بدقة متناهية، والمسافات التي توجد بين كل منزل من منازله، ومن يسكنها من الأتراك والعسكر، والتضاريس والمناخ وكيفية الوقاية من حرارة الشمس ووهج الصحراء، لقد كانت رحلاتهم تقدم معلومات في غاية الأهمية عن مكة سواء كانت اجتماعية أو تاريخية أو اقتصادية أو جغرافية.

**وممن أبقى من الرحالة كتاباً عن رحلته الحجازية خلفه في ميراث علمه:**

**أبو العباس أحمد بن محمد بالهشتوكي المغربي** (ت١١٢٦هـ/١٧١٤م) عزم على أداء فريضة الحج، فرحل من المغرب إلى بلاد الحرمين، وأثناء سفره التقى بعدد كبير من علماء المشرق ومنهم علماء الحرم المكي، وقد ضمن ذلك

---

(١) الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص٥٨٥.

(٢) محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان: روضة الناظرين من مآثر علماء نجد وحوادث السنين، (ط٢، القاهرة، مطبعة الحلبي: ١٤٠٣هـ)، ج١، ص٧١.

رحلته الحجازية المساه "**هداية الملك العلام إلى بيت ا الحرام**". ولعل لقاءه بعلماء الحرم وأخذه عنهم أهله حين عاد إلى بلاده لمنصب التدريس، حيث تذكر المصادر أنه تصدر للتدريس، وانتفع بعلمه عدد كبير من الطلبة[1].

- **عبد ا بن حسين السويدي البغدادي (ت١١٧٤هـ/)**، فقد سجل السويدي وقائع رحلته إلى الحج عام (١١٥٧هـ/١٧٤٤م) في كتاب عنوانه "النفحة المسكية في الرحلة المكية" احتوى على وصف عدد كبير من المدن والقرى والمحطات التي كانت تقع على الطريق العام المؤدي من بغداد إلى مكة، كما دون في رحلته العلماء الذين التقى بهم في مكة[2].

**ولأحمد بن قاسم بن محمد الجزائري** (ت١١٣٩هـ/١٧٢٦م) ، من علماء الجزائر، له رحلة حجازية سماها "**الروضة الشهية في الرحلة الحجازية**" ذكر فيها شيوخه المكيين الذين التقى بهم وأخذ عنهم[3].

**أبو محمد عبد المجيد الزبادي المنالي الفاسي** (ت١١٦٣هـ/١٧٤٩م) رحل من فاس إلى مكة عام (١١٥٨هـ/١٧٤٥م) بنية الحج، فلقي من شيوخها عدداً كبيراً، أخذ عنهم عدداً من العلوم، له مؤلفات عديدة متنوعة منها فهرسته التي ضمنها التعريف بشيوخه وعرض أسانيده ورحلته إلى الحجاز، والمسماه "**بلوغ المرام بالرحلة إلى البيت الحرام**"، وضمن رحلته هذه قصيدة سماها "**اتحاف المسكين الناسك لبيان المراحل والمناسك**"[4]

**ومن بلاد البوسنة والهرسك قدم قاضي سراييفوا الحاج مصطفى بوسنوي** (ت١١٦٤هـ/١٧٤١م) إلى مكة لأداء فريضة الحج عام (١١٦١هـ/١٧٤٨م)، ولأن الحاج مصطفى شاعر أديب فقد طغى قلمه على حسه المرهف فقام بتدوين

---

(١) الترغي: فهارس علماء المغرب، ص٦٦٠.

(٢) عبد ا بن حسين السويدي : النفحة المسكية في الرحلة المكية، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، (أبو ظبي، المجمع الثقافي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص٤٢٣.

(٣) أبو القاسم سعد ا : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، (ط٣، بيروت، دار الغرب الإسلامي : ١٩٩٠م)، ج١، ص١٨٢.

(٤) الترغي: فهارس علماء المغرب، ص٦٧٠؛ التازي: رحلة الرحلات، ج١، ص٣١٨.

رحلته نظماً موزوناً بديعاً، تداخلت فيه القصائد والأبيات تارة بالعربية وتارة بالتركية وأخرى بالفارسية، وقد أطلق على رحلته اسم "دليل المناهل ومرشد المراحل" لتكون الرحلة مرشدة لأهل بلاده وغيرهم الذين يريدون أن يذهبوا إلى الحج، كما تحدث في رحلته عن منازل الطريق التي مر بها ووصف التضاريس والمنشآت التي عرج عليها وأحوال تتعلق بالسكان في كل منطقة حل بها[1].

**كما سجل رفيع الدين المراد آبادي الهندي** الذي توجه إلى الحج عام (١٢٠١هـ/١٩٨٧م)، رحلته ومشاهداته ولقاءه بعلماء مكة وأعلامها في كتاب سماه "**مشاهدات حرمين شريفين**" ولهذه الرحلة أهمية تاريخية وأدبية، حيث إنها تكشف اللثام عن أحداث هذه الفترة [2].

**وأما محمد بن عبد السلام الدرعي المغربي** (ت١٢٣٩هـ/١٨٢٣م)، فهو من بيت علم مشهور بالمغرب، حج مرتين إحداهما عام (١١٩٦هـ/١٧٨١م) وكانت الثانية في عام (١٢١١هـ/١٧٩٦م) ألف في حجته الأولى "**رحلته الكبرى**" وهي من أوسع الرحلات وأوفاها، أما عن حجته الثانية فقد ألف عنها "**الرحلة الصغرى**"، وقد ذكر في "رحلته الكبرى" العلماء الذين التقى بهم في مكة وأخذ عنهم، منهم **أبو زيد المغربي،** تذاكر معه في مسائل في اللغة العربية، **و**قال عنه: **(**له ممارسة بالعربية واللغة والقراءة وغيرها، أوقفني على حواشي على القاموس في نحو ست كراريس)[3]**.**

---

(١) محمد الأرناؤوط : صورة مكة في رحلات الحج للبشانقة، (ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٣هـ)، ص ٧٢٩؛ محمد الأرناؤوط : مساحات مفتوحة من البوسنة إلى مكة المكرمة، (مجلة الحج ، جدة، ع٦ ، أكتوبر - نوفمبر ٢٠٠٢)، ص٩٤- ٩٥.

(٢) الحسيني ، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ، ج٧، ص٩٧٤. له الكثير من المصنفات منها: "قصر الآمال بذكر الحال والمآل"، "شرح الأربعين النووية"، "تذكرة المشايخ"، "تذكرة الملوك"، "كتاب الأذكار"، وغيرها كثير ؛ سمير عبد الحميد نوح: الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي (طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ص١١٣.

(٣) حمد الجاسر: أشهر رحلات الحج ، ص١٣٨؛ الترغي: فهارس علماء المغرب، ص٦٦٢.

**وسطر المصطفى الطالب أحمد بن طوير الشنقيطي** (ت١٢٦٥هـ/١٨٤٨م) رحلة حجازية نثرية بعنوان "المنى والمنة لجامعها ومنشئها الطالب أحمد المصطفى بن طوير الجنة" ، أوضح فيها الغرض منها بقوله: (وكل ما ذكرنا في الرحلة المباركة فمقصودنا فيه أمور منها التحدث بنعم ا تعالى، ومنها إفادة من يحب الاستفادة بسبب ما ذكرنا فيها من أحكام العلماء وفوائدهم وأشعار الشعراء وحكم الحكماء وطب الأطباء) [1].

وقد قام ابن طوير بتدوين أحداث رحلته منذ عزمه على السفر من بلاد المغرب وحتى وصوله إلى مكة عام (١٢٤٥هـ/١٨٣٠م)، والتي تناول الحديث فيها عن الحرم الشريف والمشاعر المقدسة وعلماء مكة الذين التقى بهم ، والوباء الذي اجتاح الحجاز وأهلك كثير من الناس وكان سبباً في إنهاء رحلته والعودة إلى دياره مع الركب المصري عام (١٢٤٧هـ/١٨٣١م)[2].

كما دون أسماء شيوخه في مكة **الحاج نواب محمد مصطفى خان شيفته الذي** رحل حاجاً من الهند إلى البقاع المقدسة عام (١٢٥٤هـ/ ١٨٣٩م)، **فمكث بالحجاز عامين** التقى خلالها بعدد من علماء مكة، كعبد ا سراج، وأحمد الدمياطي، ومحمد المرزوقي، وعبد ا وعثمان الميرغني، وغيرهم من العلماء، دون أسمائهم في رحلته المسماة **"جذب القلوب على ديار المحبوب"** فهذه الرحلة تتضمن معلومات مهمة عن علماء مكة، ومعلومات عامة عن العلوم والمعارف المنتشرة بها[3].

**وممن دون رحلته الحجازية أيضاً أحمد العربي الوزاني** (ت١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م) كان علامة مشاركاً فقيهاً خطيباً من بلاد المغرب، رحل إلى الحج في عام (١٢٦٩هـ/١٨٥٢م) فدون رحلته على صفحات القراطيس وسماها **"الرحلة الوزانية**

---

(١) حمذن بن احمد بن المحبوب: الرحلات الشنقيطية صوب الجزيرة العربية، (مجلة التاريخ العربي، ع ١٧، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص٢٦٥ .

(٢) التازي: رحلة الرحلات، ج٢، ص٤٩.

(٣) الحسيني : الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ،ج٦، ص٦٨٧، ٦٨٨؛ سمير نوح: الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي، ص١١٣.

**الممزوجة بالمناسك المالكية" وله "فهرسة"** ضمنها رحلته أشار فيها إلى من لقيهم من العلماء الذين أخذ عنهم[1].

**ومن الحجاج الذين دونوا رحلتهم الحجازية مفتي طرابلس الغرب محمد كامل بن مصطفى،** حيث توجه صوب مكة عام (١٢٩٥هـ/١٨٧٨م) لأداء مناسك الحج، ، فدون رحلته التي عرفت باسم **"الكناش"،** ذكر فيها أنه التقى في مكة بأشهر علمائها ووجهائها وقد سجل هذا بقوله: (ما أن وصلت إلى مكة المكرمة ـ صانها ا تعالى ـ اجتمعت فيها بكثير من علمائها وأفاضلها وأمرائها) فقد التقى بدحلان شيخ الحرم ومفتى الشافعية قبالة الكعبة المشرفة وقد وصفه بأنه: (كان كبير السن كبير القدر عظيم الجاه)، كما اجتمع عدة مرات بمفتي المالكية بمكة محمد الحسيني المالكي وقال عنه هو: (العالم الكبير الهمام الشهير الحاذق الفهم المصيب السهم الثابت على صراط العرفان الفارس في كل مكان)[2].

**كذلك قام محمد صادق باشا** بزيارة الأراضي الحجازية عدة مرات وقد سجل خلالها وقائع رحلاته، وما يهمنا الرحلة الثانية والثالثة وكانتا عام (١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م) و(١٣٠٢هـ/١٨٨٤م) بقصد أداء فريضة الحج عندما كان أميناً لصرة المحمل، وسجل وقائعهما في كتابه **"مشعل المحمل وكوكب الحج"،** وقد حرص اللواء محمد صادق في جميع رحلاته أن يتزود بالأجهزة العلمية التي أعانته في تسجيل البيانات ورسم الخرائط، وتعيين المحطات وذكر أسماء النباتات وأنواع الصخور والجبال وطبيعة الأرض بشكل عام، فأضافت رحلاته العديد من المعلومات الجغرافية القيمة في تاريخ الكشف الجغرافي للحجاز عامة ولمكة خاصة[3].

---

(١) عبد الكبير الفاسي: تذكرة المحسنين، (موسوعة أعلام المغرب)، ج٧، ص٢٦٢٩.

(٢) محمد كامل بن مصطفى: الكناش ، ص٦٠ ، ٦١، نقلاً عن عبد ا الأمين النعمي: القيم الدينية والتربوية من خلال رحلة محمد كامل بن مصطفى إلى الديار المقدسة عام "١٢٩٥هـ/١٨٧٨م"، (ندوة أبحاث الحج لعام ١٤٢٣هـ) ص٤٨٩.

(٣) محمد صادق : الرحلات الحجازية ، إعداد وتحرير محمد همام فكري، ص١٣ ـ ١٤.

**والرحالة الحاج محمد يحيى الولاتي المغربي** (ت١٣٣٠هـ/١٩١١م) وصل الحجاز لأداء فريضة الحج عام (١٣١١هـ/ ١٨٨٣م)، فانتهز طول المسافة بين بلاده وأرض الحرمين في تسطير مشاهداته وتدوين ملاحظاته، فاجتمع لديه مؤلف عن رحلته سماه **"الرحلة الحجازية"،** سجل فيها وقفاته بعواصم الثقافة والعلم التي مر بها، ومحاوراته للعلماء الذين التقى بهم، وما يهمنا من رحلته الجزء الخاص بمكة المكرمة، والذي هو أقرب ما يكون إلى مرشد للمعتمر ودليل للحاج؛ حيث سجل فيها مناسك الحج وتتبعها تتبعاً دقيقاً، وأورد جميع الأدعية المأثورة، موضحاً المواقف التي تقرأ بها مفصلاً القول في ذلك[١].

**ورحل محمد فال بن باب العلوي الشنقيطي** إلى بلاد الحرمين وذلك في عام(١٣٠٦هـ/١٨٨٨م) لأداء فريضة الحج فدون رحلته تحت مسمى **"رحلة الحج"** لم يهمل فيها تقييد الملاحظات، ولم يغفل تسجيل الانطباعات على طول الرحلة، مدوناً كل ما وقع عليه البصر[٢].

**كما سافر الرحالة المصري محمد لبيب البتنوني** عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) بمعية خديوي مصر عباس حلمي باشا إلى بلاد الحرمين لأداء فريضة الحج، قام بتصوير رحلته من خلال كتابٍ سماه **"الرحلة الحجازية"** أعطى فيه وصفاً دقيقاً عن الحجيج وظروف حجهم ووصف مدينة مكة ومنازلها وأسواقها والحالة الأمنية بها خلال أيام الحج [٣].

**كذلك شد الرحال صوب بلاد الحرمين ماء العينين الشنقيطي** (ت١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م)، قدم مكة عام (١٢٧٤هـ/١٨٥٧م)، وأدى مناسك الحج واجتمع بعدد من

---

(١) محمد محمد فال: صفحات من تاريخ الرحالة الموريتانيين لأرض الحرمين، (مجلة الحج، ج٧، س ٥٤، محرم ١٤٢٠هـ/مايو ١٩٩٩م)، ص٨٢.

(٢) حمذن بن احمد بن المحبوب: الرحلات الشنقيطية صوب الجزيرة العربية، (مجلة التاريخ العربي، ع١٧، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص٢٧٥-٢٧٦؛ محمد محمد فال: صفحات من تاريخ الرحالة الموريتانيين لأرض الحرمين، (مجلة الحج، ج٧، س ٥٤، محرم ١٤٢٠هـ/مايو ١٩٩٩م)، ص٨٠.

(٣) إبراهيم عبد العزيز الجميح: معاناة الحجيج في الحقبة الماضية كما صورها البتنوني في "الرحلة الحجازية" (مجلة الحج، ج٧، س ٥٤، محرم ١٤٢٠هـ/مايو ١٩٩٩م)، ص٥٨.

علمائها وأعيانها منهم **عبد ا أفندي** الذي توطدت العلاقة بينه وبين ماء العينين فقدم له الهدايا النفيسة والتحف النادرة، كذلك تضمنت رحلته معلومات قيمة عن مكة وأحوالها وما لقيه من العلماء بها[1].

**وحين سافر حاجي محمد منصب خان الهندي** إلى الحجاز عام (١٢٨٧هـ/١٨٧١م) لأداء فريضة الحج، دون مشاهداته في رحلة سماها "**ماء مغرب**" وتعد هذه الرحلة مرشداً لمن يسافر من الحجاج الهنود إلى منطقة الحجاز[2].

**كذلك رحل شبلي النعماني الأديب النحوي** إلى الحجاز لأداء مناسك الحج سنة (١٢٩٣هـ/١٨٧٦م) وكتب عن رحلته العلمية هذه كتاباً بعنوان "**سفر نامه روم ومصر وشام**"، عبر فيه عن حبه الشديد للعرب والعربية، وذكر أهل الجزيرة وما يتصفون به من كرم وبساطة وحسن أخلاق[3]، ولقد استفاد شبلي من رحلته في جميع النواحي، فقد تعلم الفرق بين اللغة التي يدرسها في الكتب، واللغة التي يتعلمها بالمعايشة حيث يقول: (أثناء الحج اضطررت إلى التحدث بالعربية، كنت أراعي استعمالات القواعد والنحو، وأتمسك أثناء الحديث بالإعراب وقواعده، ولاحظ هذا رفيقي العربي، فقال لي ذات يوم: شبلي .. أأنت نحوي؟؟ وظننت لعدم معرفتي قصده أن هذا تعبير عن قدرتي العلمية، ولكني عرفت فيما بعد أن هذا كان تعريضاً لا تحسيناً)[4].

وقد تأثر بالمدارس الدينية المكية ومنهجها الدراسي ، فحين عاد إلى الهند قام بإنشاء **جمعية** باسم "**ندوة العلماء**" سنة (١٣١٠هـ/١٨٩٣م) تتضمن معهد دار

---

(١) محمد الظريف: مكة المكرمة في رحلات علماء شنقيط (وزارة الحج، من أبحاث ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣)، ص55؛ محمد محمد فال: صفحات من تاريخ الرحالة الموريتانيين لأرض الحرمين، (مجلة الحج، ج٧، س ٥٤، محرم ١٤٢٠هـ/مايو ١٩٩٩م)، ص٨١.

(٢) سمير نوح: أدب الحج في القارة الهندية ( وزارة الحج، أبحاث ندوة الحج لعام ١٤٢٢هـ)، ص٣٣٣.

(٣) سمير نوح: الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي، ص٤٩.

(٤) شبلي النعماني: رحلة هندي في بلاد الشرق العربي ، ترجمة وتعليق جلال السعيد الحفناوي، (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة)، ص ٩٧.

العلوم لتدريس القرآن الكريم واللغة العربية بالإضافة إلى بعض المواد الأخرى كالاقتصاد والسياسة والتاريخ والجغرافيا والرياضيات وغير ذلك من علوم[(١)].

كذلك أسس شبلي النعماني "**دار المصنفين**" عام (١٣٣٣هـ/١٩١٤م) وهو مجمع علمي كبير انقطع فيه رهط من العلماء، ونخبة من الباحثين إلى البحث والدراسة والتحقيق والمطالعة في كافة الموضوعات العلمية والأدبية والتاريخية واستخلاص النتائج في صورة مؤلفات وكتب [(٢)].

**كما سافر نواب حاجي أحمد حسين خان** أحد أمراء الهند إلى الحجاز ومصر، وضمن مشاهداته رحلة سماها "**سفر نامه حجاز ومصر**"، فقد وصل إلى جدة لأداء مناسك حجه عام (١٣٢٠هـ/١٩٠٣م)، وفي أرض الحرمين فصل الحديث عن الأماكن التي تنقل بينها، مكة وعرفات ومني ومزدلفة، وينبع، والأماكن التي نزل بها بين مكة والمدينة، والمخاطر التي تتعرض لها قوافل الحجيج، وبعض النصائح للحجاج القادمين من بلاده للحج، كذلك وسائل النقل وغير ذلك من مشاهدات تعتبر سجلاً تاريخياً لهذه الفترة المهمة من حياة مكة[(٣)].

*** حرص الحجاج والعلماء على اقتناء الكتب النفيسة من مكة أثناء حجهم:**

**فقد كانت مكة بمثابة معرض دائم للكتاب، تميزت بوفرة الكتب ورخص أثمانها** وقد أكد هذه الحقيقة الرحالة العالم محمد ابن عبد السلام الدرعي في رحلته حيث قال: (وبمكة من الكتب سيما فقه الحنفية العجب، وهي كاسدة جداً لا يكاد يباع منها شيء إلا بالموسم)[(٤)].

فكان الكثير من الحجاج من بين أغراض رحلته الحصول على النفيس من الكتب إما بشرائها أو استنساخها، ويعبر الدرعي عن هذا الميل الشديد للكتب فيقول:

---

(١) محمد إسماعيل الندوي: تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، (ط١، بيروت، دار الفتح للطباعة والنشر)، ص٢٦٣.

(٢) عبد الحليم الندوي: مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند (الهند: مطبعة نوري مدراس) ص٨٥؛ جميل عبد ا محمد المصري: حاضر العالم الإسلامي وقاضاياه المعاصرة، ج١، ص٣٤٠.

(٣) نواب حاجي أحمد حسين: سفرنامة حجاز ومصر، ٢ـ ٤، ٩٣، ٩٥، وانظر غلاف الكتاب في الملحق، ٣/ي.

(٤) حمد الجاسر: أشهر رحلات الحج ، ص١٤١.

(ولقد كنت في وجهتي للحرمين مرتين لا حرمني ا من العود ـ أبحث كل البحث عن الكتب بالحرمين ومصر وطرابلس وتونس..)[1].

وقد حمل الكثير من العلماء أثناء وفودهم إلى مكة حجاجاً الكثير من الكتب والمؤلفات حتى بلغت أحمال بعير، فقد حمل العالم الرحالة الحاج محمد يحي الولاتي عشرات الكتب أثناء حجه لمكة، كذلك كان الحال بالنسبة لابن طوير الجنة الذي حمل ثلاثين بعيراً من الكتب استصحبها معه وهو عائد إلى بلاده، وقد جمع معظمها من مكة أثناء أدائه مناسك الحج[2].

كما لاحظ الرحالة بوركهارت هذه الظاهرة، فقال: (وكان الحجاج يبحثون عن النادر من الكتب لشرائها خاصة الحجاج الفرس والمالاويين)[3].

فقد كانت تلك البلاد يقل فيها أنواع من العلوم، فالمصنفات الواردة من تلك النواحي، تشير إلى علو هممهم في علوم المنطق والأصول، فوجدوا بمكة انتشار علوم الحديث والفقه والتفسير واللغة وآدابها، فتاقت هممهم إلى الاستزادة منها، فأكثروا من حضور الدروس، وأكملوا ذلك بما اقتنوه بالشراء من الكتب المفيدة.

وقد انتشرت محلات بيع الكتب حول المسجد الحرام والمنطقة المحيطة به وانتشرت هذه النوعيات من كتب الحديث والفقه، فيذكر الرحالة الدرعي أن مما وجده يباع في المسجد الحرام: "صحيح ابن حبان"، و"مشكل الأسماء والأثار" للطحاوي، و"المؤتلف والمختلف" و"التجريد" للذهبي، و"مختصر جامع الأصول والأحاديث المختارة" للضياء المقدسي، وذكر غير ذلك من كتب الحديث[4]، وقد كان

---

(١) عبد الخالق المفضل أحمدون: الرحلة الحجازية الصغرى لأبي عبد ا محمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي (ت١٢٣٩هـ/١٨٢٣م)، (الرياض، بحوث الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية)، ج١، ص٢٠٠.

(٢) محمد ولد أحمد البرناوي: العلماء الشناقطة ورحلة الحج، (بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية ن المنعقدة في الرياض في المدة من ٢٤ـ ٢٧ رجب ١٤٢١هـ/ ٢١ـ ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٠م)، ج١،ص ١٦٥.

(٣) بوركهارت: رحلات في شبه الجزيرة العربية، ص١٩٦.

(٤) حمد الجاسر: أشهر رحلات الحج ، ص١٤١.

الدرعي مهتماً بشراء الكتب واقتنائها من مكة إذ اشترى نسخه من كتاب "صحيح البخاري" بثلاثة وسبعين مثقال ذهباً[1].

ولعل هذا الثمن الباهظ الذي دفعه الدرعي لهذه النسخة يوضح لنا عدة حقائق منها أهمية هذا الكتاب للدرعي وحرصه على اقتنائه، وندرته في بلاده، وجودة النسخة التي اشتراها فقد تكون مذهبة وأوراقها ملونة، وخطها واضح ومقروء والغالب أن تكون ممهورة بسماعات وإجازات العلماء ومقابلة على أصولها.

ويذكر صاحب كتاب "فتح الشكور" أنه قد استفاد من مكتبة شيخه العلامة أبي بكر محمد عمر البرتلي الذي حج عام (١١٥٧هـ/١٧٤٤م) فجمع أثناء حجة مجموعة كبيرة من الكتب النفيسة في عدد من العلوم جعلته يقول: (وأتي بخزانة كتب نفيسة)[2]. فهذا يدل على مدى ضخامة عدد الكتب التي جلبها، ويشير أيضاً إلى رخص أسعارها، فلو كانت مرتفعة الأسعار لما جاب الكثير منها، ويدل على رواج سوق الكتب في مكة وتوفرها، وعلى الحياة العلمية النشطة بمكة، وتوفر كتب غير موجده في غيرها من بلدان العالم الإسلامي.

وتشير المصادر أن **إبراهيم بن مدين ا** (ت١٢٨٢هـ/١٨٦٥م) المدرس بإحدى مدارس الهند، حين سافر إلى الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج، كان حريصاً على جمع الكتب النفيسة من مكة، وقد رجع إلى بلاده ومعه مجموعة نادرة منها عكف على مطالعتها أثناء الليل والنهار، ساعدته على تصنيف العديد من المؤلفات منها "المحبي شرح ديوان المتنبي"، وحاشية على "شرح الشمسية"[3].

---

(١) الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص٦٧٧. نصاب الزكاة عشرين مثقالاً ، وبالتالي ثلاث وسبعين مثقالاً تساوي ما يزيد عن أثنى عشر ألف ريال بحساب هذه الأيام.

(٢) أبو عبد ا الطالب محمد بن أبي بكر الصديق الولاتي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد حجي، (ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي: ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٧٧-٨٧.

(٣) الحسني: نشر الثناء الحسن، ج٣، ص١١٤.

ولعل هذه الكتب كان لها الأثر الكبير في عكوفه على التصنيف والتأليف ومن خلال مصنفاته التي ألفها بعد عودته من الحج نقول إن الكتب النفسية التي اهتم بشرائها أثناء حجه لا تخرج عن كونها إما كتباً في الحديث أو الأدب أو فيهمامعاً.

كما اشترى من مكة جملة من كتب الحديث والفقه الحاج **محمد بن إبراهيم ابن هنبيق اليمني** (كان حياً عام ١٣٢٩هـ/١٩١١م)(١).

وكان **محمد بن إسماعيل الهتاري اليمني** من علماء القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي لا يفتر من تحصيل العلم مطالعة وكتابة وإفادة واستفادة ودرساً وتدريساً، وفد إلى حج بيت ا الحرام لأداء حجة الإسلام فاقتنى من مكة عدة عظيمة نافعة من **كتب** الحديث والتفسير والفقه والنحو واللغة والصرف وأصول الدين وأصول الفقه(٢).

وكان القاضي حسين بن محسن الخزرجي اليمني (ت١٣١٠هـ/١٨٩٢م) كثير التردد على مكة إما حاجاً أو زائراً، استطاع أن يجمع من مكة عدداً كبير من الرسائل العلمية والكتب النفيسة ودواوين العلم وقام بنقلها معه إلى بلاده(٣).

**كذلك كان الحجاج مولعين بشراء الكتب والمؤلفات المكية التي كانت تدرس في مكة، وإحلالها محل المؤلفات القديمة التي تدرس في مدارس بلادهم.**

فيذكر سنوك الذي زار مكة عام(١٣٠٣هـ/١٨٨٥م) أن التأثير العلمي المكي في بلاد إندونيسيا كان بارزاً وواضحاً من خلال الكتيبات المستعملة في مدارسهم الإسلامية ، وأن **المؤلفات الأدبية الحديثة** للعلماء المكيين كانت تحل محل المؤلفات القديمة التي تدرس في مدارس إندونيسيا حال صدورها، وتلك الكتب إما ألفها علماء مكيون يحظون باهتمام طلاب العلم في إندونيسيا، أو علماء من وطنهم الأم(٤).

---

(١) الحسيني : الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ، ج٧، ص٨٨٩.

(٢) الحسني: نشر الثناء الحسن، ج٣، ص١٩٢.

(٣) محمد بن محمد يحيى زبارة: نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، (ط١، صنعاء، مركز الدراسات والابحاث اليمنية: ١٩٧٩م)، ج١، ٢٩٤.

(٤) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص .

بل وصلت الكتب المكية أراضي روسيا فيذكر **الملا ميرزا عيم ابن دجام ا ميرزا رحيم الطشقندي** الذي أدى فريضة الحج في أواخر العهد العثماني أن: (عند بوابتي بيت ا الرئيسيتين توجد بازارات للكتب، والكتب والرسوم التي يشتريها الحجاج يوزعونها في شتى أقطار المعمورة، وعندنا في آسيا الوسطى نجد منها الكثير، كما هو معلوم ، وذلك في الجوامع وفي منازل السكان)[١].

كما كان بعض علماء مكة يهدي الحجاج شيئاً من كتبه سواء كانت من مقتنيات مكتبته أو من مؤلفاته، فعلى سبيل المثال: أجاز وأهدى أحمد أبي الخير العطار، ثبته المسمى "مشجر الأسانيد" للشيخ عبد الحي الكتاني حين قدم الأخير للحج عام (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)[٢]. كما أهدى له نسخة من ثبت أحمد قاطن الصنعاني اليمني المسمى "النفحات الغوالي في الأسانيد العوالي"[٣].

* اهتمام الحجاج بالدعوة الإصلاحية والعمل على تطبيقها في بلادهم.

**ونلحظ في العلماء الحجاج في القرن الثالث عشر أنه أضفى على اهتماماتهم العلمية في رحلة الحج البحث عن الدعوة الإصلاحية الناشئة التي كان أطلقها محمد بن عبد الوهاب وسار عليها أولاده وأحفاده من بعده؛ حيث تأثر الكثير منهم بهذه الدعوة وحاولوا تطبيقها في بلادهم إثر عودتهم من رحلة الحج:**

فعلى سبيل المثال حين سافر **سيد أحمد بريلوي الهندي** إلى الحجاز عام (١٢٣٦هـ/١٨٢١م) وفي معيته سبعمائة حاج ضارباً بعرض الحائط فتوى أصدرها بعض علماء الهند تبطل فريضة الحج بدعوى خطورة السفر، استقبل هو وجماعته من قبل أهالي مكة بحفاوة وترحاب، ولمكانة ذلك الحاج العالم المجاهد أرسل له السلطان العثماني حمل بعير من الدنانير غير أنه رفضها، كما وفد عليه أثناء إقامته بمكة عدد كبير من العلماء والشيوخ منهم المحدث عمر عبد الرسول الحنفي ومصطفى إمام الحنفية، وعبد ا سراج، وشمس الدين شطا، وشيخ الشافعية صالح

---

(١) يغيم ريزفان: الحج قبل مئة سنة، ص٣٠٩.

(٢) الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص٥٨٩.

(٣) المصدر السابق، ج٢،ص ٧٠٠ .

الشافعي، بالإضافة إلى عدد من الأعيان والوزراء أمثال خواجة ألماس الهندي، وخواجة سرا شيخ الدين، وأحمد باشا، وحسن أفندي نائب سلطان مصر، وأحد كبار مسلمي البلغار ممن يملك مطبعة في بلغاريا، ووزير سلطان المغرب السيد محمد الذي اشتهر **بحفظه** لصحيح البخاري مع شرح القسطلاني.

وتتضح مكانة الإمام العلمية كذلك في **طلب علماء مكة** من مرافقيه أن **يترجموا لهم كتبه**، حيث طلب **حسن أفندي** من المولى **عبد الحي** والمولى **محمد إسماعيل** بترجمة كتاب الإمام "**الصراط المستقيم**" إلى اللغة العربية ، فقاموا بترجمته وحصل على نسخ منه لعلماء الذين وفدوا على مقر إقامة الإمام [(١)].

فهذه الحادثة تبين مدى المكانة العلمية التي وصل لها الإمام والأهمية العلمية لكتابه وحاجة العلماء المكيين له .

**وقد تأثر أثناء وجوده بالحجاز بالدعوة السلفية،** وما تنادي به من إصلاح والعودة إلى نبع الإسلام الصافي وترك البدع والخرافات، لذا عندما عاد إلى دياره بدأ في تنفيذ برنامجه الإصلاحي فتنامي أتباعه وتلاميذه الذين عملوا جاهدين على القضاء على البدع والخرافات ونشر الإسلام الصحيح الخالص من الشرك [(٢)].

**كذلك تأثر الحاج تيتو مير أحد علماء البنغال** بالدعوة الإصلاحية عندما حج عام (١٢٣٩هـ/١٨٢٣م)، حيث مكث ثلاث أو أربع سنوات بمكة بعد أدائه لفريضة الحج درس أثناءها العلوم الإسلامية وتأثر بالأفكار الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعندما عاد إلى بلاده سنة (١٢٤٣هـ/١٨٢٧م) **بدأ حركته الإصلاحية بين مسلمي المنطقة** ودعاهم إلى التمسك بالتوحيد والبعد عن الشرك والبدعة[(٣)].

كما تأثر **حاجي شريعة ا البنغالي** (ت ١٢٥٦هـ/١٩٢٧م)، بالدعوة الإصلاحية، فترة وجوده بمكة لأداء فريضة الحج عام (١٢١٤هـ/١٧٩٩م)، فأنشأ

---

(١) سمير نوح: الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي، ص١١٦ـ١١٧.

(٢) سمير عبد الحميد نوح: الأدب الأردي الإسلامي، (طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، ص٣٠٦ـ ٣١٠.

(٣) سمير عبد الحميد نوح: أثر مكة والحج في ثقافة وأدب شبه القارة الهندية، (ندوة أبحاث الحج لعام ١٤٢٣هـ)، ص٤٢٠.

في بلاده الهند "الجماعة الفرائضية"[1]، والتي نستشف من اسمها أنها كانت تركز على فرائض الإسلام ومحاربة البدع والشركيات.

ومن الحجاج الدارسين في مكة الذين حملوا إلى بلادهم دعوة الإصلاح ونشروا العلم الشرعي **الحاج عمر سعيد شكرو أمينوتو،** أنشأ **"شركة الإسلام"** عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م) وهي أقدم هيئة في أندونيسيا احتضنت الدعوة الإصلاحية وضمنت عدداً كبيراً من العلماء المسلمين وقادتهم[2].

**كما كان للدعوة أثر بالغ في حياة أحمد الخطيب سنبمس الجاوي** (ت١٣٣٤هـ/١٩١٦م)، قدم من بلاده حاجاً، فجاور في مكة مدة تلقى فيها العلم من منابعه، حتى أصبح له درس في المسجد الحرام، لقن من خلاله مبادي الدعوة إلى تلامذته والذين منهم على سبيل المثال **عبد الكريم أمر ا الخطيب، وزين الدين يونس الأندونيسي، والحاج أحمد دحلان الجاوي،** فقد عاهدوه على الدعوة للإصلاح ومقاومة البدع والخرافات في بلادهم متأثرين بعلماء مكة في هذا الشأن وبالفعل صدقوا فيما وعدوا به، فقد أنشأ زين الدين مجلة "المنبر" لسان أنصار الإصلاح وكانت أكبر المجلات الإسلامية في أندونيسيا، وقد أنشأت هذه الحركة الإصلاحية العديد من المدارس وألف لها عبد الكريم كتباً للدراسة لتكون معبراً للمنهج الإصلاحي نحو المجتمع.

وأنشأ الحاج **أحمد دحلان الجاوي** عام(١٣٣١هـ/**١٩١٢**م)**"الجمعية المحمدية"** التي ركزت اهتماماتها على نشر مبادئ الإسلام بالمناطق الجاوية فافتتحت المدارس وأسست المساجد والمستشفيات[3].

---

(١) المرجع السابق، ص٤٢٢.

(٢) محمود شاكر: أندونيسيا، ص١٤٥.

(٣) عمر عبد الجبار : دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٤١؛ محمود شاكر: سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية، أندونيسيا، (مؤسسة الرسالة)، ص٤٥.

* كان للحجاج العلماء منهم والأثرياء أثر في دعم المسيرة التعليمية بمكة وذلك من خلال الإنفاق على طلبة العلم ومراكز التعليم بمكة :

فعلى سبيل المثال أسهم الكثير من الحجاج في بناء المؤسسات التعليمية بمكة كالمدارس والأربطة لطلاب العلم، فيذكر **يفيم ريزفان** أنه توجد بمكة : (كثرة من بيوت الأوقاف تبرع بها الحجاج الأغنياء لاستعمالها بصفة مدارس دينية أو على الأرجح بصفة "تكيات" أي بصفة مساكن في زمن الحج للحجاج من أبناء القومية التي ينتسب إليها المتبرع، وهكذا توجد تكيات هندية وماليزية وقشغرية وأفغانية وقازانية وقرغيزية والخ..)[1].

كما **قامت إحدى سيدات الهند الثريات وتدعى (صولت النساء بيغم)** حين قدمت إلى الحجاز في موسم حج عام (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م) باستشارة رحمت ا الهندي المكي في إقامة رباط خيري لطلبة العلم والهنود المجاورين بمكة، فعرض عليها بأن مكة مليئة بالأربطة، ولكن ليس بها مدرسة يتعلم فيها أبناء المسلمين فحبذت الفكرة وتبرعت بقسط وافر من ثروتها الكبيرة **لتشييد المدرسة**[2].

كما أنفق أحد علماء المغرب ويدعى أحمد الخياط أبو العباس الفاسي المغربي أموالاً طائلة على بعض أهل مكة أثناء حجه عام (١١٥٠هـ/١٧٣٧م) [3].

**ومن خلال هذا العرض لمسيرة الحج بمكة خلال فترة البحث يمكن أن ندرك عدة أمور منها:**

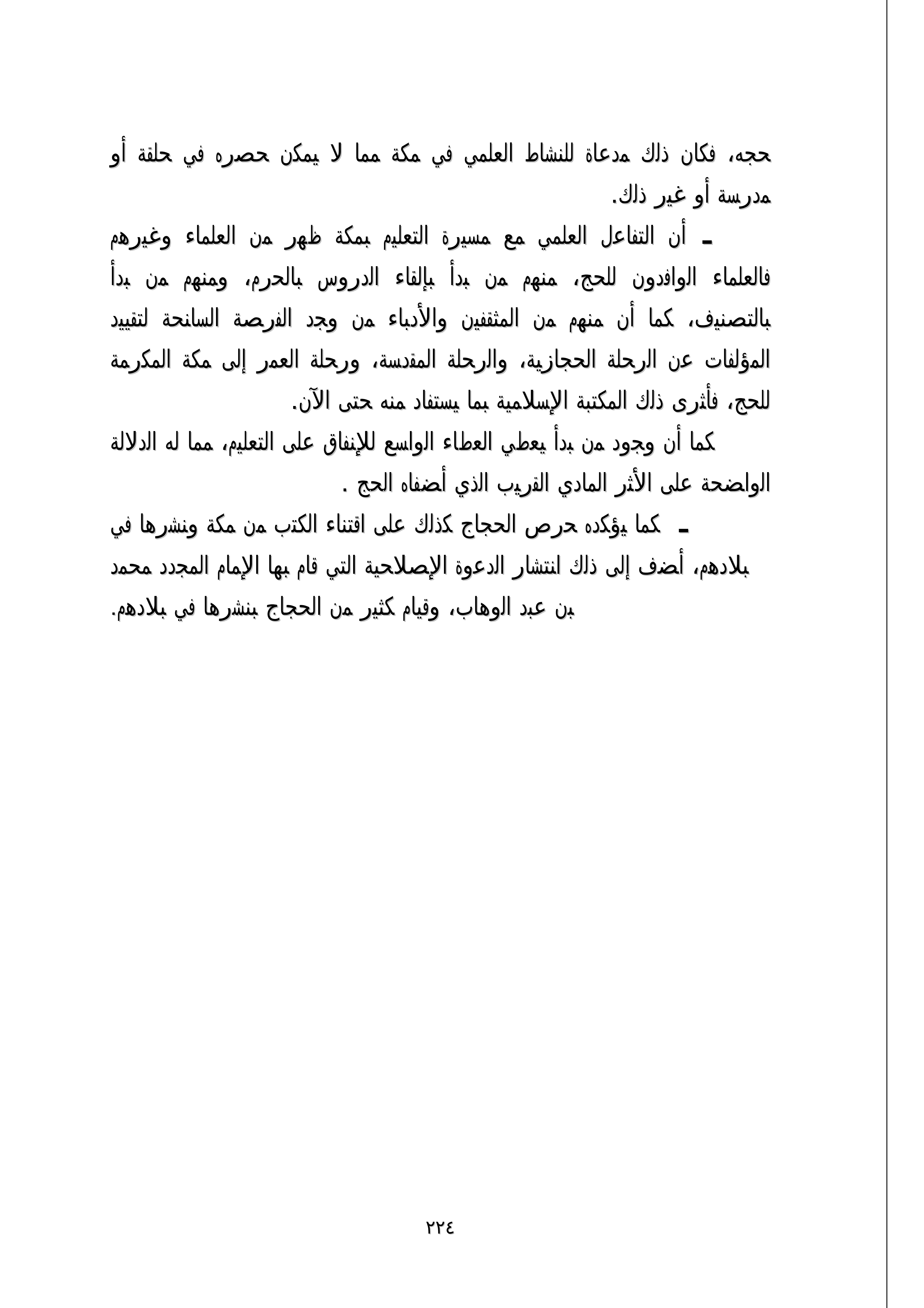
- لم يكن مجئ الحجاج إلى مكة رحلة لأداء الشعائر التعبدية فحسب، بل اقترن مجيئهم بطلب العلوم الشرعية، فمما هو معلوم أن أداء النسك يفتقر إلى معرفة وسؤال وتعلم وبحث وغير ذلك، فما من أحد من الحجاج إلا ويحب أن يتقبل ا منه

---

(١) يفيم ريزفان: الحج قبل مئة سنة، ص١٤٤.

(٢) سيأتي الحديث مفصلاً عن هذه المدرسة وظروف نشأتها في مبحث المدارس .

(٣) عبد الكبير الفاسي: تكرة الحسنين: موسوعة أعلام المغرب، ج٥، ص٢٢٥٤، وانظر ما يلي في الفصل الثالث مبحث الآنفاق على التعليم.



حجه، فكان ذلك مدعاة للنشاط العلمي في مكة مما لا يمكن حصره في حلقة أو مدرسة أو غير ذلك.

- أن التفاعل العلمي مع مسيرة التعليم بمكة ظهر من العلماء وغيرهم فالعلماء الوافدون للحج، منهم من بدأ بإلقاء الدروس بالحرم، ومنهم من بدأ بالتصنيف، كما أن منهم من المثقفين والأدباء من وجد الفرصة السانحة لتقييد المؤلفات عن الرحلة الحجازية، والرحلة المقدسة، ورحلة العمر إلى مكة المكرمة للحج، فأثرى ذلك المكتبة الإسلامية بما يستفاد منه حتى الآن.

كما أن وجود من بدأ يعطي العطاء الواسع للإنفاق على التعليم، مما له الدلالة الواضحة على الأثر المادي القريب الذي أضفاه الحج .

- كما يؤكده حرص الحجاج كذلك على اقتناء الكتب من مكة ونشرها في بلادهم، أضف إلى ذلك انتشار الدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، وقيام كثير من الحجاج بنشرها في بلادهم.

## الفصل الثاني

## أماكن التعليم في مكة

- المســـــاجد.
- الكتاتيب.
- المدارس (أهلية ، حكومــية).
- مجالس العلم في بيوت العلماء.

## المساجد

يعتبر المسجد مؤسسة مهمة من مؤسسات التربية الإسلامية، فلم يقتصر دوره على العبادة فقط، بل كان مكاناً للتعليم والتربية ومدرسة للعلم والأدب، يتم فيه تعميق مبادئ العقيدة الإسلامية وغرس القيم والأخلاق الفاضلة.

ولقد ورث العلماء التعليم فيه عن رسول ا ﷺ الذي لم يورث درهماً ولا ديناراً وإنما علماً وهدياً حملهم أمانة إبلاغه للناس، فكما تصدى عليه السلام للتعليم في المسجد النبوي في المدينة المنورة جاس علماء المسلمين بعده في كل مساجد الدنيا متبعين سنته ومبلغين هديه.

**ومن مميزات التعليم في المساجد** أنها مفتوحة لكافة الناس فكل من يجد لديه الرغبة في الانضمام لأي حلقة من حلقات العلم في المسجد له ذلك دون شرط أو قيد، فلن يسأل عن سنه أو مستوى العلم الذي وصل إليه.

وهذا الاتساع في المساحة المخصصة للطلاب يتيح وصول العلم إلى أكبر قدر ممكن من الناس حتى لمن لم يقصد أخذه، فالناس عامة تقصد المساجد للعبادة، وقد يتطرق لأسماع بعضهم المداولات العلمية الدائرة في حلقة من الحلقات العلمية القائمة في بعض أروقته فينجذب إليها ويستمع لما فيها من فوائد علمية وتربوية.

*** التعليم بالمسجد الحرام:**

قال ا تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [1]، لقد كان الحرم الشريف مباركاً منذ أن وضعه ا تعالى للناس، ولم تكن بركته تقتصر على وفود الحجيج له للعبادة وأداء الشعائر، وإنما كان أعظم البركة في العلم الذي نشأ بين جنباته بـ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [2] فنشأ الإيمان بمكة وشع نوره في جنبات الأرض، فكان الحرم أول منارة للعلم وأول منارة للدين والإيمان.

---

(١) سورة آل عمران، آية:٩٦.

(٢) سورة العلق، آية:١.

بدأ تعليم الدين الحنيف في المسجد الحرام منذ بدأ المعلم الأول النبي محمد ﷺ يعلم أصحابه أمور دينهم ودنياهم حول الكعبة المشرفة، فكان عليه الصلاة والسلام يجلس بالحرم الشريف ويلتف حوله الناس يسألونه في أمور الإسلام، فيشرح لهم ما يتعلق بالعقيدة والعبادة وما يصلح أمور دينهم ودنياهم فكانوا يتناقلون ما قاله وقرره وما فعله حتى يستفيد غيرهم ممن دخل في الإسلام، وعندما تم فتح مكة سنة (٨هـ/٦٣٩م) و بعد أن استخلف الرسول ﷺ معاذ بن جبل[(١)] رضي ا عنه وكلفه بمهمة التعليم في مكة، فبدأ التعليم الإسلامي ينتشر من خلال المسجد الحرام، ومع تعاقب السنين ازدحم بحلقات الدرس، فهنا حلقة لدراسة القرآن وتفسير آياته، وهناك حلقة لتدريس الحديث، وأخرى لأصحاب الفتوى وثانية لسرد السيرة النبوية، فعلى سبيل المثال عقد حبر الأمة عبد ا بن عباس رضى ا عنه حلقته العلمية عند بئر زمزم أمام الكعبة المشرفة، وكان يحضرها أعداد كبير من طلاب العلم[(٢)].

واستمرت حلقات العلم تدار في المسجد الحرام واستمر العلماء والفقهاء في أداء رسالتهم العلمية به.

وفي العصر العثماني وخلال فترة البحث نجد أن المسجد الحرام شهد حركة علمية نشطة، حيث ازدادت الحلقات العلمية وانتشرت في كافة أروقته وساحاته المحيطة بالمطاف، وتعددت الدروس العلمية واتسعت الحلقات لتشمل أبناء مكة والزائرين لها والمجاورين فيها لطلاب العلم[(٣)]. قلوبهم مفعمة بالحيوية والنشاط وطِلبتهم المعارف والعلوم.

وفي المسجد الحرام يستطيع الطالب الحضور والانضمام إلى أي حلقة شاء فهو ليس مقيداً بالحضور والغياب أو بسن معينه فإلي جانب طالب العلم اليافع الشاب

---

(١) معاذ بن جبل صحابي جليل شهد بدراً ، توفي بالأردن عام (١٧هـ)، انظر: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، (ط٦، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٩٨١م)، ج١، ص٤٤٣.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٥١.

(٣) عبد اللطيف بن دهيش: نظرة على تقرير عن المؤسسات التعليمية في الحجاز حتى عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م ، بحث ضمن كتاب الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، (ط١، زغوان، مركز الدراسات والبحوث العثمانية: ١٩٩٠م)، ج١ ص١٠٢، ١٠٢.

والكهل والمسن، إضافة إلى أن التعليم فيه كان مجاناً، فأغلب العلماء كانوا يقومون بالتدريس فيه قربة إلى ا واحتساب الأجر في الآخرة.

ونجد كذلك أن المسجد الحرام شمل التعليم به المراحل التعليمية كافة من المرحلة الأولية كالكُتاب حتى تلك الحلقات التي يتخرج منها الطالب وهو مؤهل ليقوم بعملية التدريس وإفادة لناس.

إن كل هذه الأمور تؤكد أهمية المسجد الحرام كمنارة **علم ومعرفة** ليس لأهل مكة فحسب، بل للعالم الإسلامي أجمع، حتى إنه وصف بالجامعة من قبل الكثير من الرحالة الذين زاروا مكة فترة البحث ومنهم ليون روش فحين زار مكة عام (١٢٥٨هـ/١٨٤٢م) قال عنه أنه: (مكاناً للعبادة، وجامعة علمية ومدرسة)[1] كما كرر هذه المقولة الرحالة سنوك لما قدم مكة في عام (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م)، إذ قال: (إن أقدم الجامعات في مدينة مكة هو الحرم الشريف)[2].

**وليون وسنوك** أرادا المدلول العلمي للجامعة الذي كان معروفاً في أوروبا في ذلك العصر، وهو يعكس أعلى مستوى علمي في الأمم آنذاك، فلم تكن نظرتهما للمسجد كموضع عبادة فحسب كما كانت النظرة الأوروبية لدور العبادة، بل وجدا من مستويات التعليم بالحرم الشريف ما بهرهما وأكد عندهما هذه القضية، مما يعكس حقيقة المستوى العلمي للتدريس بالمسجد الحرام آنذاك، بل وأشد لا سيما وكثير من الأعاجم لا يقدرون علوم العربية والشريعة قدرها.

ولقد كان للعلماء **حرية عقد حلقات الدرس بالمسجد الحرام** دون وجود رقيب عليهم حتى استحدث منصب **شيخ العلماء** عام (١٢٣٣هـ/١٨١٧م) وهو من أهم الوظائف الدينية والعلمية والإدارية التي أوجدها الشريف محمد بن عون إذ أقام عبد ا سراج رئيساً على علماء مكة ثم صار التداول عليها من بعده[3].

(١) بلقاسم سعد ا : رحلة ليون روش إلى الحجاز، ص٢٧١.

(٢) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ص٤٩٠.

(٣) غازي: إفادة الأنام، ج٤، ق٦٥.

**ولشيخ العلماء** العديد من الأعمال المنوطة به، منها الدينية كالإفتاء، والعلمية كالتدريس، والإدارية إذ إن له الصلاحية في تعيين العلماء في المناصب التي يراها مناسبة لهم، ويرأس لجنة امتحان المتقدمين لطلاب التدريس بالحرم ، ويوزع العطايا والمنح على العلماء والطلاب حسب تقديراته، ويقوم بتنظيم الدراسة في الحرم[١].

**ولم يكن من السهل** أن يقوم أي من ظن أن له نصيباً في العلم بممارسة التدريس في ساحة وأروقة **المسجد الحرام**، فلا يتصدى لهذه المهمة الجليلة إلا من لدية كفاءة علمية عالية وقدرة على السيطرة والتوجيه على حلقة التدريس وإلا كان عرضة للسخرية والاستهزاء[٢]، فلقد كان الحرم المكي ملتقى الطلبة دوماً لذا يعد التدريس بالمسجد الحرام غاية كل عالم وفقيه لا يبلغها إلا من كان أهلاً لها.

وقد بلغ عدد **مدرسي المسجد الحرام** عام (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م) (١٠٧) من المدرسين[٣]، وقد ظل العدد ثابتاً حتى عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)، كما ورد في رحلة البتنوني[٤]، هذا إن كان البتنوني عده بنفسه أو اعتمد على إحصائيات جديدة غير ما ورد بالسالنامه الصادرة عام (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م)، وإن ذكر في موضع أخر في رحلته أن عدد المدرسين عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) بلغ ثلاثين مدرساً[5] ولعله يقصد المدرسين المخصص لهم رواتب من قبل الدولة، وأما الباقي فهم متبرعون، أو قصد المدرسين الذين عقدوا حلقات درسهم في موسم الحج، إذ إن الدراسة في الموسم تعطل في المسجد الحرام إلا من بعض المدرسين المتبرعين بالوعظ وتعليم المناسك.

ويؤكد ما ذهبنا إليه أن سنوك حين زار مكة عام (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م) وهي السنة التي صدرت فيها سالنامه الحجاز، ذكر أن عدد المدرسين بالحرم يتراوح ما

---

(١) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص ٤٩٣، ٤٩٤.

(٢) Ibn Dohaish. Abdullatif , History Of Education In The Hijaz Up To 1925 , Dar Al Fikr – Al Arabi . Cairo . 1978 –1393. p 193.

(٣) سالنامه ولاية الحجاز، ع٢، عام ١٣٠٣هـ، ص٧١ـ ٧٤.

(٤) البتنوني: الرحلة الحجازية، ص١٠١.

(٥) المصدر السابق، ص ٦٠.

بين خمسين إلى ستين مدرساً، وأن عشرين إلى ثلاثين منهم من أساتذة الشافعية[1] في حين أن السالنامه ذكرت أن عددهم **مائة وسبعة** مدرسين[2]، وهذا يشير إلى أن سنوك قد أحصاهم في موسم الحج وهم قلة نظراً لانقطاع المحاضرات في هذا الموسم، أو أنه ركز على العلماء الجهابذة منهم دون الالتفات إلى المدرسين ممن كان أقل منهم في الرتبة العلمية.

وكان الكثير من مدرسي المسجد الحرام لهم خلاوٍ بالمسجد يطالعون فيها دروسهم التي يتلقونها أو يلقونها على طلابهم، فعلى سبيل المثال كان للشيخ محمد علي بالخيور(ت ١٣٣٨هـ/١٩١٩م) خلوة بالمسجد الحرام عند باب الداوودية يطالع فيها دروسه التي يتلقاها أو يلقيها على طلبته[3].

وفي هذا إشارة واضحة على مدى ما كانت تقدمه إدارة الحرم من تسهيلات للمدرسين بتهيئة أماكن خاصة لهم بالحرم يطالعون فيها دروسهم التي سيلقونها على طلابهم، وليكونوا قريبين منهم إذا ما احتاجوا إليهم في الإجابة عن سؤال ما حول الدرس، أو توضيح عن استفسار ما أياً كان نوعه، فعلاقة الطالب بشيخة لا تنقطع مع انتهاء وقت الدرس، وأسئلة الطالب واحتياجه لمعلمه لا تقتصر على الجوانب العلمية فقط، خاصة إذا تمتع المدرس برحابة الصدر وفتح لطلابه فتحة يلجون فيها إلى قلبه.

وعادة ما يلتحق بالدراسة بالمسجد الحرام من أكمل تحصيله العلمي بالكتاتيب، حتى يستطيع إتمام تحصيله العلمي والدراسة على يد علماء الحرم ومن ثم يحصل على إجازة علمية في العلم الذي درسه ونجح فيه فيكون بهذه الإجازة مؤهلاً للتدريس في الحرم المكي أو دور العلم أو تولى القضاء[4].

---

(١) سنوك : صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص٥٠٥.

(٢) سالنامه ولاية الحجاز، ع ٢، عام ١٣٠٣هـ، ص٧١ـ ٧٤.

(٣) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٢٤.

(٤) الفوزان: اقليم الحجاز، ص٢٧٠.

**ولم يكن عدد الطلاب** متساوياً في كل أيام السنة، بل يلاحظ انخفاضه في موسم الحج بدرجة ملحوظة[١]، وكان الطلاب يزدادون وينقصون تبعاً لمادة الدرس ووقته وشخصية مدرسه، وهم متباينو الأعمار والأعمال، فالصغير بجانب الكبير والتلميذ بجانب الموظف والتاجر بجانب العامل.

وكان على الطلبة القادمين إلى مكة من بلدان إسلامية غير عربية أن يتعلموا اللغة العربية أولاً قبل الشروع في تلقي العلوم الدينية، إذ إن حلقات العلم في المسجد الحرام كانت تلقى باللغة العربية[٢]، وكان المدرسون ملتزمين بذلك إلا ما ندر، فهم يستخدمون لغة الطلاب لشرح ما استغلق عليهم فهمه[٣].

وشملت فترة الدراسة عامين دراسيين، يدرس فيها الطالب القرآن الكريم مع تجويده وحفظه والتفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة والعقيدة وعلوم اللغة العربية من النحو والصرف والعروض والشعر والمنطق والحساب والفلك[٤].

**أما بالنسبة لأوقات الدراسة بالمسجد الحرام**، فتبدأ **عادة بعد صلاة الفجر** مباشرة في ساحات المسجد الحرام وأروقته، وقد خصصت الدروس الصباحية لدراسة الفقه الإسلامي وهي منظمة حسب المذاهب الفقهية التي ينتمي إليها المدرس والطالب، أما إن كانت المادة هي أصول فقه فالانتماء المذهبي ليس بشرط [٥]، **وبعد صلاة الظهر تعقد حلقات علمية** عادة ما تكون في الحديث أو النحو والصرف، ومن بعد صلاة العصر تكثر حلقات الدرس خاصة التي تتعلق بالفقه والعقيدة[٦].

---

(١)Ibn Dohaish, op. cit , p190.

(٢) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص٥١٧.

(٣)Ibn Dohaish, op. cit , p193.

(٤) الطوالع السنية في نظام التدريس الجديد بمسجد مكة المحمية، (ط١، مكة، مطبعة الترقي الماجدية: ١٣٣٢هـ)، ص ٩ ـ ١٠؛ عبد الوهاب أبو سليمان: الحرم الشريف الجامع والجامعة، (ط١، مكة، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي)، ص٨٣.

(٥) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص ٥٠٤.

(٦)Ibn Dohaish, op. cit , p 194.

**أما المحاضرات التي كانت تلقى بعد صلاة العشاء** فكانت نادرة وقليلة وفي موضوعات كثيرة علوم متنوعة[1].

وفي اعتقادنا أن سبب وجودها في هذا الوقت من الليل والذي يعتبر متأخراً نوعاً ما في تلك الأزمنة يعود لعدة أسباب إما بسبب انشغال الشيخ ببعض أموره نهاراً كأن يكون ممن يمتهن مهنة معينة تحول دون تفرغه إلا في هذا الوقت، أو أن يعتذر عن محاضرة الصباح لسبب خاص به فيؤخرها إلى ما بعد العشاء، أو لعل الطلبة خاصة ممن يعملون منهم تتناسب هذه الأوقات وظروفهم بقية المحاضرات المقامة بالمسجد الحرام سواء الصباحية أو المسائية.

وكانت أوقات المحاضرات تخضع لنوع الدرس ومكانة المدرس، فعلى سبيل المثال نجد أن جميع المدرسين المعتمدين للتدريس بالمسجد الحرام والكبار منهم يلقون دروسهم في الفترة الصباحية حيث يعقدون الحلقات ما بين صلاة الصبح إلى صلاة الظهر، وتكون موضوعاتها في أمهات العلوم، ويلتحق بتلك الحلقات الطلبة المنتظمون الراغبون في التحصيل حتى الحصول على الإجازة بالتعليم، بينما الحلقات أو المحاضرات التي كانت تلقى بعد صلاة العصر فكانت للمدرسين الجدد الذين تلقوا العلم في الصباح، وتكون موضوعاتها عن بعض العلوم المساعدة كأركان الإسلام والعبادات الأخرى، أما المحاضرات التي بين المغرب والعشاء فغالبيتها في الوعظ والإرشاد والسبب في اختيار هذا الموعد أن الكثير ممن يأتي لصلاة المغرب بالمسجد الحرام يجلس للعشاء لقصر الفترة الزمنية بين الفرضين، فيستغل المشايخ هذه الفترة في توجيه المجتمع وإرشاده وتعليمه ما ينفعه بطريقة سهلة مجتنبين الأسلوب العلمي المتخصص حتى لا ينفر منه من لم يكن من طلبة العلم.

وقد بلغ عدد حلقات العلم بالمسجد الحرام **مائة وعشرين حلقة** في بعض الأوقات[2].

---

(١) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص ٥٢٥.

(٢) Ibn Dohaish, op. cit , p194.

**وكانت العطلة الأسبوعية** في يومي الثلاثاء والجمعة، وكون العطلة في هذين اليومين لأجل ترك الفرصة للطلاب لمراجعة دروسهم، وإتاحة المجال للمدرسين للمراجعة وما شابه ذلك، كما أن **الجمعة** يوم عيد بالنسبة للمسلمين تقام فيه شعائر الجمعة، يتبادل فيه الأهل والأصدقاء الزيارات، أو يخرج الناس فيه للتنزه والترويح عن أنفسهم وعائلاتهم، **وأما الثلاثاء** فيذكر سنوك: (أنه لا يعرف سبباً لذلك فالبعض يذكر أن هذا اليوم يوافق يوم وفاة أبي حنيفة)[١]. ونعتقد أن هذا القول غير صحيح لأن عطلة الثلاثاء كان معمولاً بها منذ عهد الدولة المملوكية في مصر والشام ولم تكن الدولة المملوكية حنفية المذهب بل كانت شافعية في الجملة فقاضي القضاة كان شافعياً يتبعه قضاة المذاهب المختلفة[٢]، والظاهر أن اختيار الثلاثاء ليكون عطلة منتصف الأسبوع، كما أن الجمعة عطلة نهايته.

ومن العلماء من كان **يدرس في هذين اليومين** كالشيخ سعيد بابصيل (ت١٣٣٠هـ/١٩١١م) فقد كان يعطي محاضرات للنساء ممن لهن الرغبة في الدراسة[٣]، مما يؤكد أن المرأة في ذلك الزمان ـ شأنها شأن المرأة المسلمة في كل العصور ـ كانت حريصة على تعلم ما يفيدها في أمور دينها ودنياها، وكان أهل العلم يعينونها على ذلك دوماً.

**كذلك الحال بالنسبة ليوم الجمعة** فقد وجدت بعض الحلقات القليلة جداً التي خصص غالبها لتدريس قواعد اللغة وعلومها، وإن أعطيت دروس إضافية يومي الجمعة والثلاثاء بعد الفجر أو العصر في موضوعات العقيدة والتفسير واللغة العربية والحديث، فتكون غالباً محاولة من المدرسين لإنهاء المناهج[٤].

ولم يكن المدرسون على حالة واحدة في العطلات بل منهم من لم تنقطع حلقات وعظه مطلقاً، فمن مدرسي الوعظ والإرشاد في الحرم الشريف ممن

---

(١) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص ٥٢٥.

(٢) آمال رمضان: الحياة العلمية في الإسكندرية، ص ٣٥٥.

(٣) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص٥٢٥.

(٤)Ibn Dohaish, op. cit , p 195- 196.

استمرت حلقات درسه ولم تتوقف طيلة أيام السنة: الشيخ الواعظ إبراهيم حسن عرب (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م)[١] .

**أما العطلة السنوية** فتبدأ بحلول شهر رمضان، وفي شوال تكون غالبية الدروس في الوعظ ومناسك الحج ومع زيادة أعداد الحجيج تتعطل كثير من المحاضرات العلمية[٢]. وذلك فيما يبدو إفساحاً للمكان للقادمين من الحجيج، وتظل الحلقات العامة من الوعظ والإرشاد ومسائل الحج مستمرة كما تقدم.

فإذا حل **موسم الحج** ينتهي علماء المسجد الحرام من دروسهم ليفسحوا للحجاج مواضع حلقاتهم ليؤدوا نسكهم في هدوء وسكينه ويستمتعوا بمشاهدة بيت ا الحرام ويتفرغوا لعبادة ا .

**غير أن بعض المدرسين ممن لا يتجاوز عددهم أصابع اليد** كانوا يواصلون دروسهم بالمسجد، وكانت مخصصة في مناسك الحج على المذاهب الأربعة لإرشاد الحجاج إلى أركان الحج وواجباته وسننه ومحظوراته، ومن هؤلاء العلماء شيخ خطباء المسجد الحرام عبد ا بن أحمد أبو الخير (ت١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، حيث كان يعقد حلقة درسه في رواق[٣] باب الصفا في زحمة السير وضيق المسجد الحرام بالحجاج يرشد الناس إلى مناسك الحج[٤].

وكذلك الحال في شهر رمضان فكثير من دروس العلم النظامية كانت تتوقف شيئاً فشيئاً ليتفرغ الطلاب بالقرآن الكريم كما هو مقتضى السنة، فإن رمضان شهر القرآن، ولا يبقى من الدروس سوى العامة منها والتي تتناول مواضع في الوعظ والإرشاد، وذلك للحاجة الملحة لها بالحرم حيث إن الوافدين من المعتمرين والزائرين يحتاجون إلى الإجابة عن أسئلتهم ولا سيما المتعلقة بأداء المناسك وأحكام

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ٣٥.

(٢) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص ٥٠٢.

(٣) الرواق : هو مكان في أحد جوانب المسجد لسكن الطلاب وللتدريس العلوم المتنوعة. وليد عبد الحميد: الحركة العلمية في مصر في القرن العاشر، (رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة: ١٩٩٨م)، ص١٧٣.

(٤) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٦٢.

تتعلق برمضان، كقيام رمضان وأحكام الصيام والاعتكاف مما كان يتسع له مجالس الوعظ والإرشاد المستمرة في الحرم التي تبدأ مع بداية الشهر وتعقد بعد صلاة العصر إلى صلاة المغرب.

ويصور لنا عمر عبد الجبار ما كان يحدث في مستهل شهر رمضان فيقول: (.. انتهى شهر شعبان فأخذ باعة الأطعمة والمشروبات يرددون أهازيجهم .. وشرع أغوات المسجد الحرام ينظفون قناديل المطاف ويجددون زيوتها وقناديلها ويحذو حذوهم آل السراج في قناديل الأروقة والأبواب، وأبدى خدمة الحرام نشاطاً في نظافة المسجد وإعداده للصائمين والمعتكفين، ونشط الزمازمة في تجديد الدوارق وتبخيرها للصائمين ، وفاحت من خلواتهم روائح المستكى، وتوقفت جميع الدروس في المسجد الحرام، ولم يبق فيه سوى حلقات وعظ وإرشاد تعقد بعد صلاة العصر إلى أن تميل الشمس نحو المغيب)[١].

ومع بداية شهر الحج والعشر الأيام الأول من محرم كانت هناك إجازة طويلة لا تقل عن أربعين يوماً[٢]، إضافة إلى إجازة موسم الحر الشديد (يوليو وأغسطس) والتي تستمر لمدة شهرين كما حددها نظام التعليم الصادر أواخر الدولة العثمانية[٣] ولا بد أنه كان مبنياً على واقع ملموس تم وضعه في صورة النظام.

وأما أماكن انتشار الحلقات بالمسجد الحرام؛ فنجدها انتشرت داخل أروقة المسجد الحرام،وعند الأبواب الرئيسة مثل باب السلام، وباب إبراهيم، وعند المنبر وصحن المسجد، وعند المقامات الأربعة، ومقام إبراهيم.

وقد اختلفت مواعيد انعقاد الحلقات من وقت إلى أخر ومن مدرس إلى مدرس، ومن أشهر الحلقات في فترة البحث:

حلقة محمد **البديري** (ت١١٤٠هـ/١٧٢٧م) درس فيها الفقه والأصول[٤].

---

(١)المصدر السابق، ص١٦٢.

. (٢) Ibn Dohaish, op. cit , p 194.

(٣) الطوالع السنية، ص ١١.

(٤) المحبي: خلاصة الأثر، ج٤، ص٣٩.

أما حلقة مفتي مكة **جمال** بن عبد ا  الحنفي (ت١٢٨٤هـ/١٨٦٧م) فكانت في التفسير بالمسجد الحرام بين الركن اليماني والحجر الأسود قبيل العشاء(١).

كما درس بالمسجد الحرام محمد بن علي الرهبيني الشافعي المكي (ت١٢٩٣هـ) وكانت حلقة درسه بين باب الداودية(٢)، وباب العمرة(٣).

وعقد محمد صالح كمال (ت١٣٣٢هـ/١٩١٣م) حلقة درسه بالمسجد الحرام في حصوة باب النبي(٤).

أما حلقة درس أحمد بن أبي بكر شطا (ت١٣٣٢هـ/١٩١٣م) فكانت صوب باب السلام(٥) مما يلي المطاف(٦).

وكانت حلقة صالح محمد بافضل (ت١٣٣٣هـ/١٩١٤م) في الحصوة التي أمام باب الزمامية(٧) خاف حلقة إبراهيم عرب، وخلفه حلقة محمد بافيل(٨).

---

(١) أحمد الحضراوي: نزهة الفكر، ص٢٦٩.

(٢) يقع بالجهة الغربية من المسجد الحرام.انظر: حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم، (جدة : ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص١٢٨.

(٣) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق٨٢. ويقع باب العمرة بالجهة الغربية من المسجد الحرام، وسمى بذلك لأن المعتمرين من التنعيم تعودوا الدخول والخروج منه، أنشأه الخليفة أبو جعفر المنصور العباسي وجدده الخليفة المهدي ثم جدد في عهد العثمانيين ، انظر حسين باسلامة : تاريخ المسجد الحرام، ص١٢٩.

(٤) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢١٩؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص ١٨٤. ويقع باب النبي في الجهة الشرقية من المسجد الحرام ، قيل سمي بذلك لأن النبي صلى ا  عليه وسلم كان يخرج منه إلى منزله دار السيدة خديجة رضي ا  عنها، مع أنه أحدث في عهد المهدي، وقد تمت له عدة إصلاحات منها عمارة في العهد العثماني تمت عام (١٣١٤هـ/١٨٩٦م)، انظر: حسين باسلامة: عمارة المسجد الحرام، ص١١٨.

(٥) يقع في الجانب الشرقي من المسجد الحرام، وعرف قديماً بباب بني شيبة ، وباب بني عبد شمس، وعندما عمر المهدي المسجد الحرام أطلق على الباب باب السلام، وقد جددت عمارته في عهد السلطان العثماني سليمان وقد بقيى على متانته وحالته حتى تمت التوسعة الكبرى في العهد السعودي . انظر : حسين باسلامة: عمارة المسجد الحرام، ص١١٤ـ ١١٥.

(٦) غازي: نظم الدرر، ق ١٦١؛ رجال من مكة المكرمة، (جريدة الندوة، ع ١٠٥٧٠، ١٤١٤/٣/٢٩هـ)، ص٥.

(٧) يقع بالجهة الشمالية من المسجد الحرام ، وهو تابع لمدرسة الزمامية، انظر: حسين باسلامة: تاريخ المسجد الحرام، ص١٣٠.

(٨) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٢١.

واعتاد إبراهيم عرب (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) على أن يعقد حلقة درسه في الوعظ والإرشاد بعد المغرب في حصوة باب العمرة بين مقامي الحنفي والمالكي، وفي شهر رمضان كانت حلقة درسه برواق باب الباسطية[(١)].

ودأب أحمد الخطيب (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) على عقد حلقة درسه في رحبة باب الزيادة[(٢)].

وتولى التدريس بالحرم بحصوة باب النبي: عبد الحميد قدس (ت١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م)، وكانت دروسه في السيرة والنحو، وظهر ذلك على مؤلفاته[(٣)].

كما تصدر أسعد بن أحمد الدهان (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م) للتدريس بالمسجد الحرام فعقد حلقة دروسه في رواق باب السليمانية، صباحاً ومساءاً[(٤)].

وجلس للتدريس بالمسجد الحرام محمد علي بالخيور (ت١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م) عقد حلقة درسه بعد العصر أمام باب الداودية[(٥)].

واعتاد أمين بن محمد مرداد (ت١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، أن يعقد حلقة درسه في الرواق الذي بين باب الباسطية وباب القطبي[(٦)]، وكانت في الفقه الحنفي والتفسير والحديث[(٧)] .

وعقد مفتي الشافعية بمكة عبد ا بن محمد صالح الزواوي (ت١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) حلقة درسة في الحصوة التي خلف باب بني شيبة[(١)].

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٠ ـ ٣٥؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج٢، ص٦٧٢.

(٢) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٣٣٠.

(٣) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٤٩؛ أبو سليمان عبد الوهاب بن إبراهيم: العلامة عبد الحميد قدس، وتراثه العلمي، ملحق التراث بجريدة المدينة، ع٢٩، س ١٩، ١٤١٦/٥/٤هـ، وع٣٠، س١٩، ١٤١٦/٥/١١هـ.

(٤) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٢٩؛ عبد الجبار: سير وتراجم، ص ٧٥ .

(٥) الحبشي: الدليل المشير ، ص٥٠.

(٦) يقع في الجهة الشمالية من المسجد الحرام ، عرف قديماً بباب زيادة دار الندوة ، ثم باب القطبي لكونه بجوار مدرسة قطب الدين الحنفي ، أنشأه الخليفة العباسي المعتضد با سنة ٢٨١، وبقي على متانته حتى تمت توسعة المسجد الحرام في العهد السعودي ، انظر : حسين باسلامة : تاريخ المسجد الحرام، ص١٣١

(٧) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج١، ق٤٧؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٦٠.

وعقد إمام وخطيب المسجد الحرام ومفتي الحنابلة بمكة **عبد ا  بن علي بن محمد بن حميد** (ت١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)، حلقة درسه في رواق باب الزيادة[٢].

أما حلقة بكر محمد سعيد بابصيل (ت١٣٤٨هـ/١٩٢٩م) فكانت بباب الوداع[٣] بجانب حلقة أخيه علي بابصيل[٤] .

وكان جمال المالكي (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) يعقد بالمسجد الحرام حلقة درسه في الفقه والنحو والحديث بين باب الداودية وباب إبراهيم[٥].

وعقد عبد الحميد فردوس (ت١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) حلقة درسه تحت منارة باب الوداع، وكانت في علم الحديث الشريف[٦].

أما عباس بن عبد العزيز المالكي (ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤م) فكانت حلقته أمام باب الزيادة في الرواق الذي بين بابي المحكمة[٧] والباسطية[٨] .

وكان شعيب بن عبد الرحمن الدكالي المغربي (ت١٣٥٦هـ/١٩٣٧م)، يلقى دروسه في التفسير والحديث بالمسجد الحرام صباحاً في حصوة باب الصفا[١] ومساءاً في رواق باب السليمانية[٢].

---

(١)عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص١٤٠؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج١، ص٤٨٨.

(٢)عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص ٢٢٦.

(٣) يقع في الجهة الغربية من المسجد الحرام وقد عرف قديماً باب الحزورة ، ثم عرف بباب الوداع وقد أحدثه الخليفة المهدي في عمارته للمسجد الحرام وجدد في العهد المملوكي ولم تطرأ عليه أي تجديدادت حتى التوسعة السعودية ، انظر : حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد ال حرام، ص١٢٦.

(٤) عبد الستار الدهلوي: نثر المأثر فيمن أدركت من الأكابر، ق١٧.

(٥) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٦٣؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٧٠. وباب إبراهيم يقع في الجهة الغربية من المسجد الحرام ، نسبة إلى خياط كان يعمل عنده يدعى إبراهيم ، وهو من أكبر أبواب المسجد الحرام فترة البحث جدد في عمارة السلطان المملوكي الغوري وقد ظل على حالته حتى توسعة المسجد الحرام في العهد السعودي ، انظر باسلامة: تاريخ المسجد الحرام، ص١٢٧.

(٦) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق٧٣؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٤٤.

(٧) يقع في الجهة الشمالية من المسجد الحرام أسسه الأمير قاسم بك كممر للمدرستين التابعة للسليمانية، وسمي بباب المحكمة عندما تحولت إحدى المدارس السليمانية مركزاً للمحكمة الشرعية. باسلامة: تاريخ المسجد الحرام، ص١٣٢.

(٨) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص١٦٣.

وبدأ صالح بن بكري شطا (ت١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م) دروسه بالمسجد الحرام عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) فكانت حلقة درسه في الحصوة التي أمام باب الزيادة[٣].

**ومن خلال هذا السرد لبعض حلقات الدرس التي كانت تعقد بالمسجد الحرام نجد أنها كانت متقاربة نوعاً ما،** ولا يشوش أحد المعلمين على الأخر، ولا يفتئت الطلاب على بعضهم. ويؤكد ذلك ما ذكره عمر عبد الجبار واصفاً مدى تقارب الحلقات العلمية بعضها من بعض فيقول: (أن حلقة درويش العجيمي في الحصوة التي أمام باب الزيادة، وخلفه حلقة السيد أحمد الخطيب، وعن يساره حلقة جعفر لبني، وعن يمينه حلقة سالم شفى، و أحمد ناضرين، كل منهم يلقى درسه دون أن يشوش على الآخرين رغم استرسال كل منهم في شرح وتوضيح مادة درسه)[٤].

ومع نهايات القرن الثالث عشر الهجري وبداية القرن الرابع عشر الهجري حدث **تدهور نسبي في عملية التدريس** بالمسجد الحرام شملت المدرسين والطلبة على حد سواء ولعل لذلك أسبابه، والتي منها: أن جمعية الاتحاد والترقي التي استولت على السلطة في نهاية الدولة العثمانية أهملت تطوير التعليم بالمسجد الحرام خاصة ومكة عموماً، كما أن قيام الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣هـ-١٩١٤م) / (١٣٣٧هـ/١٩١٨م) وما سبقها من إرهاصات أثرت كثيراً على الأوضاع الاقتصادية، فضعفت حركة التجارة وضاقت مصادر الرزق بالناس، وانقطعت المنافذ والسبل إلى مكة، وقل ورود الحجيج، فانصرف الناس لطلب الرزق مقابل طلب العلم، وجفت منابع الصرف على العلماء، فمن استطاع أن يدرس حسبة فله ما

---

(١) يقع بالجهة الجنوبية من المسجد الحرام وسمي بذلك لأنه يلي الصفا ، فالخارج منه يستقبل الصفا، أحدثه الخلفة المهدي في عمارته للمسجد الحرام ، وجدد في عهد السلطان العثماني مراد خان. انظر: باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص١٢٢.

(٢) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج ٢، ق ٣٢؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم ، ص١٤٠.

(٣) غازي: نثر الدرر، ق ٣٩؛ أبو سليمان : تشنيف الأسماع، ص ٢٤٥. ويقع باب الزيادة في الجهة الشمالية من المسجد الحرام، انظر: حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص١٣٢.

(٤) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٩٢.

أراد ومن كانت مسؤولياته اتجاه من يعولهم أكبر من الاحتساب والتدريس بالحرم راح يبحث عن مهنة أخرى يعيل بها أولاده وأسرته.

ونتيجة لهذه الحالة المأساوية انبرى عدد من علماء مكة لإصدار نظام للتدريس بالمسجد الحرام، في محاولة منهم لإنقاذ الوضع وذلك من خلال الإشراف على العملية التعليمية بالمسجد الحرام، فتم تشكيل لجنة مكونه من عدد من علماء تحت إشراف أمير مكة الشريف الحسين بن علي، أصدرت في (٢ محرم ١٣٣٢هـ ـ ٣٠/ نوفمبر١٩١٣م) نظاماً جديداً للتدريس عرف بـ (الطوالع السنية في نظام التدريس الجديد بمسجد مكة المحمية) حددت بموجبه واجبات وقواعد تعيين المدرسين والعلوم التي تدرس ومواعيد الامتحانات والأجازات الرسمية [1]، وفي الواقع كان لزاماً على الحكومة العثمانية أن تتدارك ما آلت إليه الأوضاع العلمية في مكة خاصة مع اقتراب أفول نجم هذه الدولة في سماء مكة، فالحرم المكي الشريف يعد أكبر مركز علمي في العالم الإسلامي ففيه كعبة العلم ومجتمع العلماء، يفد العلماء وطلاب العلم من كافة بقاع العالم، فأي إهمال في نظام التعليم المتبع في المسجد الحرام، أو عدم تماشيه مع تطورات العصر كان يؤثر بصورة سلبية على حركة التعليم بمكة وبالتالي على الصورة العلمية لها أمام العالم الإسلامي.

ورغم الجهد الملحوظ لعلماء مكة لوضع هذا النظام، غير أن أثره على تنظيم التعليم بالمسجد الحرام لم يكن واضحاً وملموساً لتأخر صدوره وانتهاء الحكم العثماني في مكة عام (١٣٣٤هـ ـ/١٩١٦م).

**ولكن النظام في الجملة** يعطى لمحة صحيحة عن التعليم في هذا الوقت وما أرادوا له أن يكون، **إذ نص النظام الذي أقر** بأن تتم إدارة التدريس بالمسجد الحرام عن طريق لجنة من أربعة مفتيين، كل واحد منهم يمثل أحد المذاهب الربعة وهم الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة، وجميعهم تحت سلطة المفتي الحنفي، وهو رئيس العلماء، وكان أعضاء هذه اللجنة بيدهم سلطات واسعة منها حرية التدريس

---

. (١) Ibn Dohaish, op. cit , p 191.

وسيأتي تفصيل عن هذا النظام ضمن المبحث المخصص لذلك بالفصل الثالث من هذا البحث.

في أي وقت أرادوا وفي أي مادة شاءوا، كما أنهم يتمتعون بسلطة كاملة على هيئة الإداريين والمدرسين في المسجد الحرام، وهم ينظرون في الشكاوي التي تقدم ضد المدرسين، ويتخذون اللازم إزاءها، وكان عليهم ملاحظة المعلمين في دروسهم والمواد التي يدرسونها، ويكتبون تقارير إذا ما غاب أحد منهم، وكان عليهم متابعة المدرسين الغير رسميين ويكتبون تقارير عنهم ومدى اتباعهم للأنظمة المتبعة، وإذا ما تم خرق شئ منها فإن لجنة تحقق مع المدرس وإذا ما ثبت عليه شيء فإن اللجنة التحقيق تكتب إلى الحكومة لتنظر في أمره، كما أن اللجنة كانت مخولة بوضع الترتيبات الخاصة بالإجازات والامتحانات، كما أنها تقوم بتعيين كاتب وتمده بثلاث سجلات يدون في السجل الأول أسماء وتوقيعات هيئة التدريس النظاميين وما يتعلق بهم، أما السجل الثاني فكان يشمل بنود الإنفاق ومسجل فيه أسماء الإداريين بالمسجد الحرام وعليهم أن يوقعوا أمام أسمائهم عند استلامهم مرتباتهم الشهرية، وأما السجل الثالث فكان بمثابة كتاب يومي يسجل فيه تاريخ وأرقام جميع الاتصالات المرسلة والمستقبلة، وفي نهاية العام تقوم اللجنة بمراجعة السجلات والموافقة عليها[1]،

وما أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها عام ( ١٣٣٧هـ/١٩١٨م) حتى انفرجت الأزمة الاقتصادية التي حلت بالحجاز وعادت التجارة الدولية تجوب موانئه وامتلأت طرق قوافل الحجيج بفلول الحجيج و عاد الرخاء والأمن والاستقرار مرة أخرى إلى مكة وأرخى بظلاله على الحياة العلمية التي تجدد نشاطها، وفي ظل النظام الجديد للتعليم نشطت حلقات العلم بالمسجد المكي الشريف، يقول عمر عبد الجبار: (أدركت أواخر العهد العثماني وكانت حصوات المسجدين مكتظة بحلقات التدريس وانكب الطلاب شيباً وشباناً على الدرس والمطالعة والاستعانة بمصابيح الشمع "**اللالات**" حيث لا توجد كهرباء ولا أضواء غير قناديل الزيت المسرجة حول المطاف والأروقة، ولم يكن للمدرس راتب من الحكومة، ولا ينتظر من طلابه

---

(١) Ibn Dohaish, op. cit , p 193.

وسيأتي تفصيل لطرق التدريس بالحرم المكي ضمن المبحث المخصص لذلك بالفصل الثالث من هذا البحث.

صدقة، ولا زكاة، ولا معونة، لأن تعليمه كان في سبيل ا ولذلك مات معظم علماء السجد الحرام فقراء لم يتركوا سوى الذكر الحسن، وكان المسجد الحرام يغص بكبار العلماء)[1] .

**وهكذا نرى أن حركة التعليم الديني في مكة** لم تتوقف أو تضعف في أي عهد من العهود رغم كل الظروف وإنما ظلت مستمرة مضيئة من القرن الهجري الأول إلى اليوم، وهذا من فضل ا سبحانه وتعالى فهي نقطة التقاء ومركز تجمع لجميع المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية في شرق البلاد وغربها وشمالها وجنوبها في مختلف العصور والأزمان. كان لعلماء المسجد الحرام سواء أهالي مكة أو الوافدين إليها مصدر نشاط الحياة العلمية بها فتخرج عليهم آلاف الطلاب فأمدت الحجاز والجزيرة والبلاد الإسلامية بالمدرسين والفقهاء والقضاة والمفتين وغيرهم.

**الاهتمام بعمارة المسجد الحرام وتهيئة مكان للتعليم:**

لقد أولت الدولة العثمانية اهتماماً ملحوظاً بعمارة المسجد الحرام؛ وليس المقصود هنا التوسع في الناحية الحضارية البحتة؛ فهذا له شأن آخر خارج عن نطاق البحث[2]، وإنما المراد ههنا إعطاء صورة صحيحة عن الدور الذي قامت به العمارة في خدمة التعليم بالحرم الشريف.

فقد تعاقبت إصلاحات السلاطين العثمانيين على المسجد الحرام خاصة فيما يتعلق بتعميره وفرشه وإضاءته، ففي فترة البحث تم فرش المسجد الحرام بالحصى، ووضع في حصواته[3] المتفرقة في جهاته المختلفة، كما قام السلطان عبد الحميد الأول عام (١٢٠٠هـ/١٧٨٥م) بتعمير وترميم المسجد الحرام[4]، وكان لهذه

---

(١) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص١٩ـ ٢١.

(٢) أكثر المؤرخون في الحديث عن عمارة المسجد الحرام، وظهرت العديد من المؤلفات في هذا الشأن منها كتاب حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام؛ ومن أجمعها كتاب الدكتور عبد اللطيف بن دهيش: عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي، والذي طبعته دارة الملك عبد العزيز: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة. جمع فيه متفرقات حضارية للعمارة بالمسجد الحرام، حتى العصر الحاضر.

(٣) انظر في حصوات المسجد الحرام ملحق ٤/ج.

(٤) القطان: تنزيل الرحمات، ق ٣١٠.

العمارة أثرها البالغ في نفوس المسلمين عامة والعلماء ومدرسي المسجد الحرام خاصة، فانبروا بمدح هذه العمارة والتي تمت في عهد الشريف سرور بن مساعد(١).

وفي وثيقة أرخت عام (١٢٣٤هـ/١٨١٨م) ورد فيها أن الدولة العثمانية قد زودت مساجد مكة بما فيها المسجد الحرام بحصر مصرية(٢).

كما زين المسجد الحرام بأعمدة الإنارة المختلفة، **فعادة ما يضاء المسجد الحرام يومياً** قبل الغروب بقناديل من الزجاج البلوري محاطة بمدار المطاف والمقامات والرواقات بالمسجد وتزود عصر كل يوم أو صباحه بالوقود الزيت وبالفتائل، ولها موظفون ومعتنون بها تصرف لهم رواتب من قبل الدولة(٣).

وأهدت والدة السلطان عبد المجيد للمسجد الحرام في حوالي ألف ومائتين ونيف وخمسين ستة من الأعمدة النحاس طول كل عمود نحو خمسة أذرع وفي رأسها شكل نخلة معلق عليها ستة قناديل، وضعت مفرقة بالمسجد الحرام أربعة مقابلة أركان المسجد وواحد خلف مقام الحنفي وأخرى مقابلة في جهة باب الصفا(٤).

كما كان يتدلى من كل قبة من قبب سقف المسجد الحرام سلسلة تعلق فيها القناديل، وقد زاد السلطان عبد المجيد عام (١٢٧٤هـ/١٨٥٧م) عوارض من حديد بين الأساطين الأمامية المطلة على الحصاوي وعلق في كل عارضة بين الأسطوانتين خمسة قناديل توقد من ابتداء رمضان إلى عشرين من ذي الحجة، وقد بلغت عدد القناديل التي كان يضاء بها المسجد في القرن الثالث عشر الهجري حوالي (١٢٢٢) قنديلاً خلاف ما في المقامات وعلى أبواب المسجد وخارج الأبواب وعلى المنائر(٥).

---

(١) سالنامه ولاية الحجاز، ع ٣، عام ١٣٠٥هـ، ص ١٦٧.

(٢) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، وثيقة رقم: ١٧/ ١٢٠/ و ح ج .

(٣) الغزاوي: الشذرات، ص٥٤٥، وانظر ملحق ٤/ج صورة للمقامات حول الكعبة.

(٤) محمد صادق باشا: الرحلات الحجازية، ص١٠٢، أحمد رجب محمد علي: المسجد الحرام بمكة المكرمة ورسومه في الفن الإسلامي ( ط١، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية:١٩٩٦م)، ص٨١.

(٥) سالنامه ولاية الحجاز، ع ١، ١٣٠٣هـ، ص١٢٧.

وفي عهد السلطان عبد المجيد في عام (١٢٥٩هـ/١٨٤٣م) تم ترميم لبعض أعمدة المسجد وإحداث ممشى لباب علي[(١)] وباب بازان[(٢)] الذي يوصل إلى المدرسة السليمانية[(٣)]، وفي عام (١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م) أمر السلطان بتزويد المسجد الحرام بالقناديل حول المطاف وخلف مقام إبراهيم وفي الأروقة، خاصة في شهر رمضان وأشهر الحج والأعياد ورتب لها خدمة، وقام السلطان عبد الحميد الثاني بتجديد وإعمار المسجد الحرام عام (١٢٩٧هـ/١٨٧٩م) وعام (١٢٩٩هـ/١٨٨١م).

وقد ابتهل علماء مكة بأعمال السلطان فنظموا في هذه التعميرات المدائح الكثيرة التي تبين مناقب سلطانهم، وفي عام (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م) رممت جميع أرض الحرم ورصت بالحصي، ورممت الاسطوانات الستة الواقعة في جهة المدرسة الداودية، إضافة إلى تزويده بالكثير من الشموع التي كانت تضئ بعض الأماكن منه[(٤)].

**ولحاجة الناس إلى ضبط مواعيد الأذان**، ولا سيما في المسجد الحرام، وجد به **مزولة** فوق بئر زمزم يعمل بها رئيس المؤذنين، تبرع بها عام (١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م) شخص يدعى بركات المغربي ليضبط بها رئيس المؤذنين الأوقات، وكانت مصنوعة من الرخام المرمر الأبيض واستمر العمل بها حتى عام (١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م)، حيث استبدلت **بالساعات الفلكية** التي أمر بإرسالها السلطان عبد المجيد، وقد وضعت هذه الساعات في القبة المسماة بقبة الفراشين، ثم نقلت هذه الساعات نتيجة للسيل الذي دخل الحرم عام (١٢٧٦هـ/١٨٥٩م) فوضعت ما بين باب علي

---

(١) يقع في الجهة الشرقية من المسجد الحرام عرف بباب هاشم وباب البطحاء، أول من أنشأه الخليفة المهدي ، وجدد عمارته في عهد السلطان العثماني سليم ، انظر: باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص١١٩.

(٢) يقع في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام، أنشأه الخليفة المهدي وقد جدد في عهد السلطان العثماني مراد خان، انظر : حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص١٢٠.

(٣) رسالة للشيخ أحمد دحلان في شأن الدولة العثمانية، ١٣٠٣هـ، ص١٢٧.

(٤) سالنامه ولاية الحجاز ، ع ٣، ١٣٠٥هـ، ص ١٧١ـ ١٧٢؛ محمد أمين المكي: الآثار المبرورة لسلاطين آل عثمان في الحرمين الشريفين، ص١ـ٢؛ الكردي: التاريخ القويم ، ج٣، ص٣٣، ٣٤.

وباب بازان، وفي عام (١٣٣١هـ- /١٩١٢م) جلب للمسجد الحرام ساعتان كبيرتان يبلغ طول الواحدة منهما نحو مترين[١] .

وكانت **إدارة شؤون المسجد الحرام** تسند إلى الوالي التركي "**شيخ الحرم**" أو "**مدير الحرم**"، ولما كان من غير الممكن على الوالي أن يقوم بجميع شؤون المسجد الحرام بإضافة إلى عمله كوالي على جدة؛ فكان ينيب عنه من يقوم بالإشراف على جميع أمور المسجد الحرام من نظافة وكنس وخدمة واستقبال كبار الزوار والنظر في أمور الموظفين، من أئمة وخطباء ومؤذنين وأغوات وكتبة وخدمة وبوابين وزمازمة وكناسين وفراشين، وكان الوكيل من أهالي مكة.

وقد بلغ عدد **موظفي الحرم الشريف** عام (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م) ما يزيد عن سبعمائة موظف وهم:

**شيخ الحرم** وهو الوالي التركي، **ونائبه، ووكيل للنائب، ومدير للحرم، ومئات الموظفين،** منهم "١٠٧ "مدرسين، ومنهم "٧٩" إماماً وخطيباً للحنفية، والمتبرعون منهم "٣٤"، ويتقاضى "٤٥" منهم مرتبات، وللشافعية "٢٤" إماماً وخطيباً" المتبرعون منهم "١٦"، والباقون بمرتب، وأئمة وخطباء المالكية "١٤" المتبرعون منهم "٨"، وللحنبلية "5"، المتبرعون "٢"، ومنهم ٥٢ أغا من بينهم رئيس ونقيب لهم ومن ذلك "٤١" مؤذناً و "٨" وقادين و "١٢" فراشاً و"١٠" محافظين على النظام و"٢٠" كناساً و "٣٠" بواباً و"١١" ملّاء للماء و "١٨١" غسالاً لقناديل المسجد و "١٨" خادماً ومن الخدم أيضاً "٢٠" لهم مرتبات دائمة، و"١٥" موظفاً في سقاية زمزم، أما الذين يقومون بخدمة الكعبة فسدنتها من بني شيبة[٢].

---

(١) الكردي: التاريخ القويم، ج٣، ص١٠٣- ١٠٥.

(٢) الكردي: التاريخ القويم، ج٣، ص٦٤، ٦٦.

*** التعليم بالمساجد في مكة:**

البلد الحرام كان دوماً في اتساع وزيادة في عدد سكانه بحيث ازدادت أحياؤه وتطلب الأمر على مر الزمان وجود مساجد بأحيائه وأطرافه بجانب المسجد الحرام، فازدادت المساجد شيئاً فشيئاً حتى بلغ عددها في عام (١٣٠٩هـ/١٨٩١م) سبعة وستين مسجداً وستة جوامع إضافة إلى المسجد الحرام(١).

**وقد حفظت لنا المصادر التاريخية** ذكر دور مهم للتعليم في بعض هذه المساجد بأسمائها، فمثلاً كان الأطفال والصبية بل الكبار يحفظون القرآن الكريم بالمساجد والجوامع ، والتي منها:

**- مسجد المورة أو الموارعة:**

يقع بجرول، ممن تولى التعليم فيه أحمد بن عبد ا الدمشقي الشامي، حفظ القرآن بها ثم رحل إلى مكة عام (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م) ودخل المدرسة الصولتية ليتمم فيها دراسته، فأتم حفظ القرآن وتجويده ودرس فيها بعض العلوم وتخرج منها سنة (١٣٠٧هـ/١٨٨٩م)، عين بعد تخرجه إماماً في مسجد **الموارعة،** وكان يعلم في المسجد القرآن الكريم وبعض العلوم الشرعية مدة كبيرة(٢).

**- مسجد أبي قبيس :**

ويقع على رأس جبل أبي قبيس، ويطل على المسجد الحرام ويرجع بناء المسجد إلى القرن الأول الإسلامي حيث ورد ذكره في تاريخ الأزرقي وسماه بمسجد إبراهيم، نسبة إلى إبراهيم القبيسي وهو شخص كان يسكن في جبل أبي

---

(١) محمد صادق باشا: الرحلات الحجازية، ص٣٢٣؛ سالنامه ولايةالحجاز، ع٥، عام ١٣٠٩هـ، ص١٨٤.

(٢) لقد طال العمر به حتى توفي عام (١٣٦٢هـ/١٩٤٣م) شهد في سني عمره موت ولديه شابين، رحل إلى جدة فعمل بمدارس الفلاح حتى عام (١٣٤٠هـ/١٩٢١م) ، ثم إلى الهند للعلاج على نفقة محمد زينل ، وعندما عاد من رحلته العلاجيه درس أبناء علي زينل حتى عام (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) ثم رجع إلى مكة ولزم داره فاتحاً أبوابها لطلبة العلم والراغبين فيه انظر: الحبشي: الدليل المشير، ص٤٣- ٤٤.

قبيس[١]، وقد قام بإعادة بنائة وتجديده تاجر من تجار الهند عام (١٢٧٥هـ/١٨٥٨م)[٢].

- مسجد خالد بن الوليد:

ويقع بحارة الباب، قيل سمي بذلك لأن خالد بن الوليد غرز فيه رايته يوم فتح مكة، وقد جرت عليه عدة تعميرات منها التي أجراها ناظر التكية المصرية حسن أفندي عام (١٢٨٠هـ/١٨٦٣م)[٣]، وممن تولى التدريس فيه أحمد بن سالم حمام من مواليد مكة عام (١٢٩٢هـ/١٨٧٣م)، درس في المسجد فترة طويلة من عمره حتى أصابه الهرم ولازم دارة إلى أن وافته المنيه[٤].

- مسجد الإجابة:

ويقع بالمعابدة[٥]، قيل سمي بهذا الاسم لأن النبي نزل به وصلى به المغرب، وقد تم إعادة تعميره عدة مرات منها عام (١١٣٤هـ/١٧٢١م) وأشرف على عملية الترميم الشيخ سالم البصري فوسع فيه وجعل له عقوداً وفي وسطه منارة وأحدث فيه مخزنين وجعل له حنفية وفرش سطحه، فصار كما يقول الطبري في إتحافه: (نزهة للناظرين وفرجة للمتفرجين)[٦]، كما تم ترميم المسجد مرة أخرى زمن السلطان عبد المجيد الأول، كانت تدار به حلقات تعليم القرآن للأطفال[٧].

- مسجد الراية:

(١) مجهول: كتاب في أحوال الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف، يعود لعام ١٢٨٧هـ رقم : ١٤٦٣، ق٧.

(٢) الصباغ: تحصيل المرام، ج١، ص٥٢٤.

(٣) الصباغ: تحصيل المرام، ج١، ص٥٢٢؛ الكردي: التاريخ القويم، ج٣، ص٨١.

(٤) الحبشي: الدليل المشير، ص ٤٢.

(٥) وهو لا يزال موجوداً الآن بمدخل ريع ذاخر أمام أمانة منطقة مكة، بالمعابدة.

(٦) الطبري: اتحاف فضلاء الزمن، ص٤٨٢.

(٧) الصباغ: تحصيل المرام، ج١، ص٥٢١.

وسمي بالراية لأن النبي ركز في موضعه رايته يوم فتح مكة وصلى فيه، ويقع بالجودرية[1]، ممن تعلم فيه القرآن الكريم سليمان بن عبد الرحمن الصنيع[2].

**ـ مسجد سوق الليل**:

ممن تولى التدريس فيه الشيخ يوسف ابن حجر، ومن طلبته أحمد بن عبد ا ناضرين (ت١٣٧٠هـ/١٩٥١م)، حيث كان أول تعليمه القرآن الكريم على يد الشيخ يوسف ووصل عنده إلى سورة الغاشية، ثم انتقل إلى الكُتاب ليكمل تعليمه[3].

**ـ مسجد الجن:**

يقال إنه موضع الخط الذي خطه رسول ا لابن مسعود ليلة سمع منه الجن، ويسميه أهل مكة مسجد **الحرس** لأن العسس كانوا يجتمعون عنده ليلاً ويقع المسجد على يسار الصاعد إلى المعلا قريب من شعب الحجون[4].

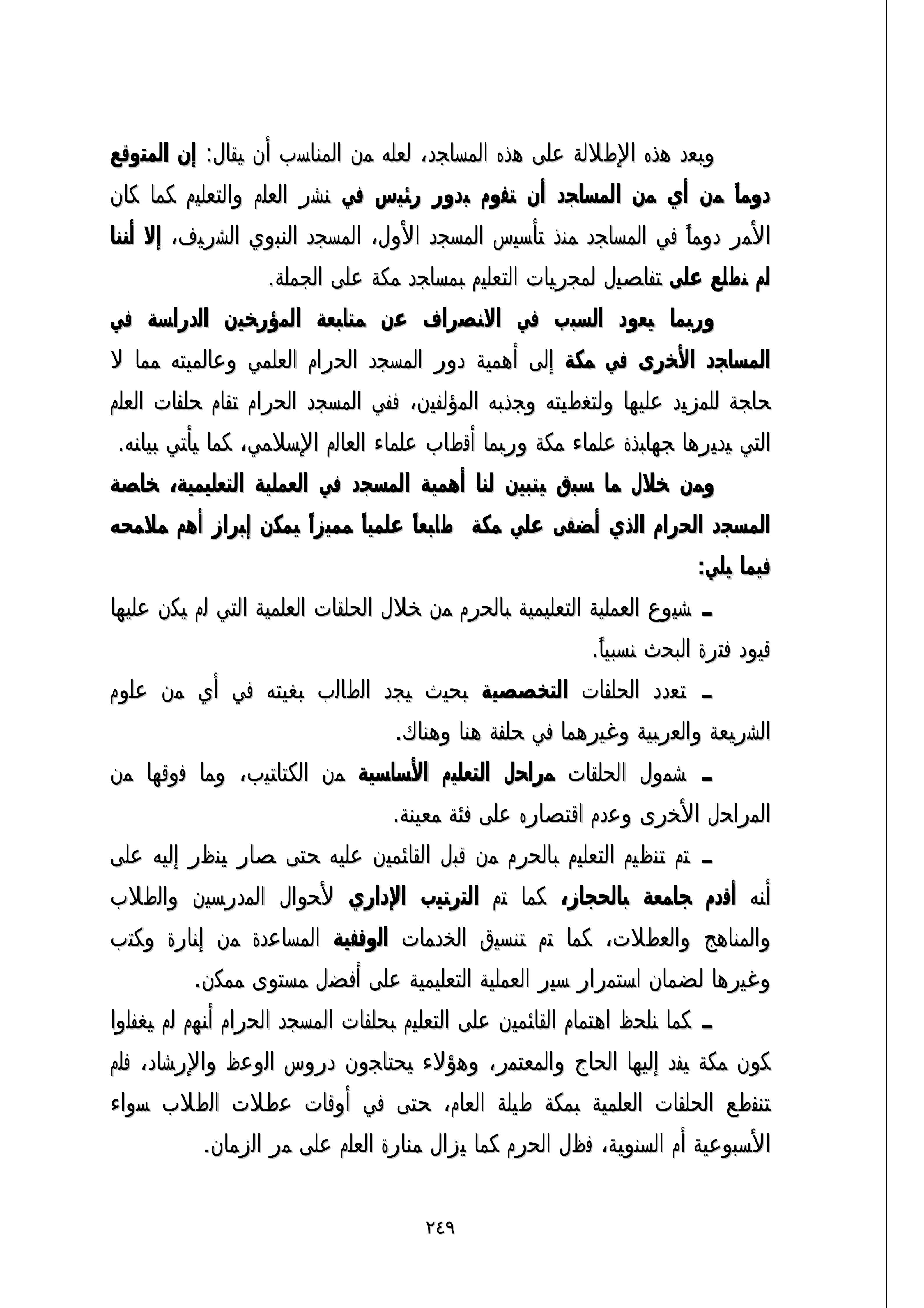
---

(١) الكردي: التاريخ القويم، ج٣، ص٧٩.

(٢) غازي: نثر الدرر، ق٣٥.

(٣) الحبشي: الدليل المشير، ص ٤٨.

(٤) أحمد بن محمد الأسدي المكي: إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، تحقيق: الحافظ غلام مصطفى، (دمشق، دار الصحوة)، ص٢٣٦؛ الصباغ: تحصل المرام، ج١، ص٥٢٠؛ ولايزال المسجد قائماً في هذا المكان ببناء حديث.



وبعد هذه الإطلالة على هذه المساجد، لعله من المناسب أن يقال: **إن المتوقع دوماً من أي من المساجد أن تقوم بدور رئيس في** نشر العلم والتعليم كما كان الأمر دوماً في المساجد منذ تأسيس المسجد الأول، المسجد النبوي الشريف، **إلا أننا لم نطلع على** تفاصيل لمجريات التعليم بمساجد مكة على الجملة.

**وربما يعود السبب في الانصراف عن متابعة المؤرخين الدراسة في المساجد الأخرى في مكة** إلى أهمية دور المسجد الحرام العلمي وعالميته مما لا حاجة للمزيد عليها ولتغطيته وجذبه المؤلفين، ففي المسجد الحرام تقام حلقات العلم التي يديرها جهابذة علماء مكة وربما أقطاب علماء العالم الإسلامي، كما يأتي بيانه.

**ومن خلال ما سبق يتبين لنا أهمية المسجد في العملية التعليمية، خاصة المسجد الحرام الذي أضفى علي مكة طابعاً علمياً مميزاً يمكن إبراز أهم ملامحه فيما يلي:**

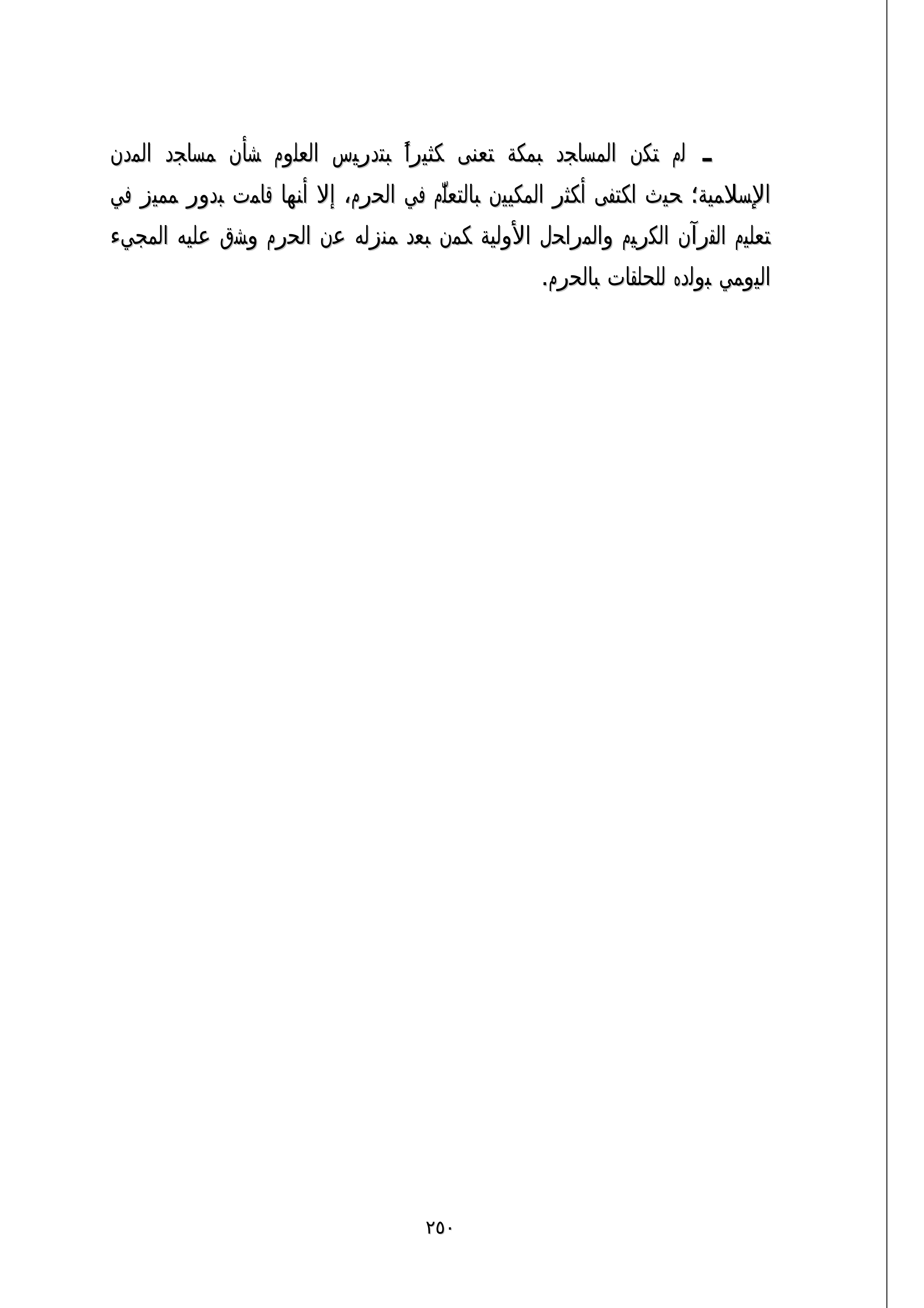
ـ شيوع العملية التعليمية بالحرم من خلال الحلقات العلمية التي لم يكن عليها قيود فترة البحث نسبياً.

ـ تعدد الحلقات **التخصصية** بحيث يجد الطالب بغيته في أي من علوم الشريعة والعربية وغيرهما في حلقة هنا وهناك.

ـ شمول الحلقات **مراحل التعليم الأساسية** من الكتاتيب، وما فوقها من المراحل الأخرى وعدم اقتصاره على فئة معينة.

ـ تم تنظيم التعليم بالحرم من قبل القائمين عليه حتى صار ينظر إليه على أنه **أقدم جامعة بالحجاز**، كما تم **الترتيب الإداري** لأحوال المدرسين والطلاب والمناهج والعطلات، كما تم تنسيق الخدمات **الوقفية** المساعدة من إنارة وكتب وغيرها لضمان استمرار سير العملية التعليمية على أفضل مستوى ممكن.

ـ كما نلحظ اهتمام القائمين على التعليم بحلقات المسجد الحرام أنهم لم يغفلوا كون مكة يفد إليها الحاج والمعتمر، وهؤلاء يحتاجون دروس الوعظ والإرشاد، فلم تنقطع الحلقات العلمية بمكة طيلة العام، حتى في أوقات عطلات الطلاب سواء الأسبوعية أم السنوية، فظل الحرم كما يزال منارة العلم على مر الزمان.



ـ لم تكن المساجد بمكة تعنى كثيراً بتدريس العلوم شأن مساجد المدن الإسلامية؛ حيث اكتفى أكثر المكيين بالتعلّم في الحرم، إلا أنها قامت بدور مميز في تعليم القرآن الكريم والمراحل الأولية كمن بعد منزله عن الحرم وشق عليه المجيء اليومي بولده للحلقات بالحرم.

## الكتاتيب

تعد الكتاتيب[1] أحد أبرز معاهد التعليم في الإسلام، وكانت على مر العصور رمزاً لحفظ العلم والدين، وتربية للنشء [2] .

وقد وجد الكتاب قبل ظهور الإسلام؛ إذ وجدنا من يجيد القراءة والكتابة من قريش، و بلغ عددهم نحواً من سبعة عشر رجلاً[3]، وهو عدد وإن لم يكن كبيراً إلا أنه يشير إلى البدايات الأولى للكتاب.

وانتشار الكتاب بشكل واسع وكبير تم **بعد ظهور الإسلام**، انطلاقاً من توجيهات الدين الخالد الذي حض على تعلم القراءة والكتابة، حيث أصبح تعليم الصبية من جملة مهام الدولة الإسلامية، فعن ابن عباس رضي ا عنه قال : (أنه كان ناس من الأسارى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول ا صلى ا عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة)[4].

وهذا يدل على الاهتمام الكبير بالتعليم، فعلى الرغم من احتياج الدولة في العهد النبوي **للعامل الأمني** بقتل المشركين إرهاباً لمن تسول نفسه بالهجوم على المسلمين، واحتياجها إلى **العامل الاقتصادي** بتوفير المال فداء للمشركين، إلا أن تخصيص فداء بعض المشركين بتعليم الصبية يدل على الاهتمام أيضاً **بالعامل الثقافي** منذ ظهور الدولة الإسلامية.

ثم تلا هذه الخطوة افتتاح العديد من الكتاتيب لتعليم أطفال المسلمين على أيدي معلمين حفظة لكتاب ا ... فقد ذكر البخاري في صحيحه أن أم سلمة رضي ا عنها بعثت إلى **معلم الكتاب**:(ابعث لي غلماناً ينفشون صوفاً)[5].

---

(1) **عرفها** الرازي بقوله:ٍ الكُتاب بالضم والتشديد والمكتب واحد،والجمع الكتاتيب والمكاتب، أي موضع الكتابة انظر: محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ( بيروت، دار الكتاب العربي: ١٩٦٧م)، ص٥٦٢.

(2) أحمد فؤاد الأهواني : التربية في الإسلام، (القاهرة، دار المعارف)، ص٦٣.

(3) أحمد البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية: ١٩٥٦م)، ج٣، ص٥٧٩ ـ ٥٨٣.

(4) أحمد بن حنبل: المسند، ج١، ص٣٤٧.

(5) البخاري: الصحيح، (دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م) ، ج٨، ص٥٩.

ويظهر من النص أن الكتاب كان **معروفاً** بحيث لم يحتج الراوي أن يعرفه، كما أنه كان يعنى بتعليم الغلمان، ويتيح لهم فرصة الظهور **كوحدة اجتماعية** واحدة، كما يقال جماعة المصلين، وكتيبة الجيش، وما إلى ذلك.

ويرجع الفضل في تطوير هذه المنشأة وتنظيمها إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي ا عنه الذي أمر ببناء مكاتب منفصلة عن المساجد لتعليم الصبيان وتأديبهم[1]، وجعل عليهم معلماً يأخذ رزقه من بيت المال، ورتب للصبيان يومي الخميس والجمعة أجازة أسبوعية ودعا بالخير لمن أحيا هذه السنة ودعا بضيق الرزق لمن أماتها[2].

وهذا التطور تناسب مع **تطور شؤون الدولة** بسبب الفتوحات وكثرة الداخلين في الإسلام، بحيث أصبح وجود الكتاتيب في المساجد تضييق على المصلين، ورواد المسجد، مما احتاج إلى فصلها، فهو يعكس مدى إقبال الأهالي على تعليم أولادهم وكثرة عدد المسجلين في هذه الدور العلمية، بحيث احتاج الأمر إلى فصلها عن المسجد، وترتيب أمورها إدارياً، كما أن تخصيص إجازة أسبوعية للصغار، فيه دلالة على **الأسلوب التربوي** مراعاة لسنهم وبعدم الملالة التي يسببها حرمانهم من اللعب واللهو، ولقد خرجت هذه الكتاتيب **جيل التابعين** الذي نشر العلم في أرجاء الدولة كلها مع اتساعها.

ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية انتشرت الكتاتيب في كافة الأرجاء التابعة للدولة، وظهرت بعد فترة وجيزة، وهي تشمل ثلاثة أنواع:

ـ كتاب خاص بتعليم القراءة والكتابة، ويكون عادة في منازل العلماء[3].

ـ كتاب خاص بتعليم القرآن الكريم، ومبادئ الدين الإسلامي، ومكانه المعتاد المسجد، أو ملحق به.

---

(1) عبد الحي الكتاني : التراتيب الإدارية، ( بيروت، دار الكتاب العربي)، ج٢، ص٢٩٤.

(2) أحمد النفراوي: الفواكه الدواني، (بيروت، دار الفكر)، ص١٩٢؛ محمد السيد الوكيل، الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه، (ط١، جدة، دار المجتمع: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص٤٧ ـ ٤٨.

(3) صالح باقارش وعبد ا محمود السبحي : أصول التربية، (ط١، مكة، دار الثقة للنشر والتوزيع: ١٤١٠هـ)، ص٢١١.

ـ كتاب خاص بتعلم الخط بأنواعه ، ومكانه أيضاً المسجد أو ما يلحق به[1].

ولم تلبث الكتاتيب أن أصبحت على اختلاف أنواعها معنية بتعليم القرآن الكريم والقراءة والكتابة والحساب والأحكام الدينية وحسن الخط[2]، واستمر هذا الوضع طيلة عصور الدولة الإسلامية في الجملة.

وقد تميزت **مكاتب مكة** فترة البحث[3]، بنوع من التنظيم والتطور الملحوظ والنابع عن أهداف وغايات لعل من أبرزها:

ـ **المناخ الديني الروحي** الذي شمل بردائه البلد الحرام، ولاسيما أن القادم إلى مكة يكون طالباً للزاد الروحي عادة قبل التجارة والرزق الدنيوي، فكان لابد لأهل الحرم أن يأخذوا قسطاً من العلوم الدينية الأولية **بالفرض الاجتماعي** الذي يعيشون فيه.

ـ تحقيق رغبة أولياء الأمور في **تعليم أبنائهم** القرآن الكريم وحفظه أو حفظ بعض سور منه ليمكنهم من أداء واجباتهم الدينية كالصلاة، **وتهذيب سلوكهم وفق منهج قرآني** إضافة إلى **محو أميتهم** بتعلمهم القراءة والكتابة.

ـ تأهيل الطلبة الذين تعلموا القرآن الكريم حفظاً وتلاوة لتولّي **منصب الإمامة في أحد المساجد**، أو التشرف بالإمامة في المسجد الحرام، ولاسيما في صلاة التراويح في رمضان.

ـ تأهيل الطالب للالتحاق **بإحدى المدارس** لمواصلة تعليمه أو الانضمام إلى حلقة من حلقات الدرس بالمسجد الحرام، وبعضهم كان يستمر في تعلمه حتى يجلس محل شيخه معلماً.

---

(1) عبد ا عبد الدائم: التربية عبر التاريخ، (ط٤، بيروت، دار العلم للملايين:١٩٨١)، ص١٤٦.

(2) صالح سالم باقارش وعبد ا محمود السبحي: أصول التربية، ص٢١١.

(3) اعتادت المصادر العثمانية على تسمية الكتاتيب بالمكتب والمكاتب ، انظر وثائق : سجلات الروزنامة، دفتر صرة رومية أهالي حرمين، واجب سنة ١١١٨هـ/١٧٠٦م، رقم ٥٣٣، حفظ نوعي ٨٠، م ع ٥٣٢٣، مخزن تركي ١؛ سجلات الديوان العالي، س ٢، ص٤٥٤، ص٢٩٣، م ٤٣٥، ص٢٨٥.

ـ تمكين الأبناء من **مساعدة آبائهم** في أعمالهم التجارية من خلال تعلمهم للقراءة والكتابة والحساب.

ـ **فرص العمل** عادة تكون مهيأة أمام غير الأميين بصورة أكبر، فيتمكن الطالب بعد تخرجه من الإنفاق على أسرته وإعالته لهم، وذلك بالالتحاق ببعض الوظائف الكتابية الحكومية أو العمل في بعض المحال التجارية.

وقد **شهدت مكة عدداً كبيراً** من مكاتب تعليم الصبيان في فترة البحث وإن لم يدون عنها بالتفصيل في المصادر التي توفرت لدينا، لكن آثارها تدل عليها، فقد التحق عدد كبير من أبناء الحرم بالمدارس وحلقات العلم بالمسجد الحرام، ولابد أن يكون القسم الأكبر من هؤلاء تلقى علومه الأولية في الكُتاب.

وقد انتشر بمكة فترة البحث نوعان من الكتاتيب: عامة وخاصة، والفرق بينهما يكمن في جهات الإنفاق والإشراف لا في المنهج المدرس عادة.

**فأما الكتاتيب العامة** فعادة هي كتاتيب خيرية يتعلم فيها غير القادرين من التلاميذ ومنهم الأيتام وتقوم على المساعدات الخيرية أو توقف عليها الأوقاف، سواء من الدولة أو الواقفين عليها، ويحدد عدد المنضمين إليها حسب شرط الواقف والموارد المالية للكتاب[1].

وكانت هذه الكتاتيب على **مستوى حضاري** يتناسب مع الوظيفة المنوطة بها، فقد اشترط فيها أن تكون **متسعة جيدة التهوية وقريبة من سكن** من يدرس فيها، وعادة ما كانت **تفرش** غرفة الكُتاب بحصر أو بسط بسيطة، ثم تطورت بعض هذه الكتاتيب فاستعملت **دكاك أو مقاعد خشبية** طويلة يجلس عليها الطلاب[2].

---

(1) محمد بيومي: مخصصات الحرمين الشريفين ، هـ ـ ص٣٥١ ـ ٣٥٢؛ عز الدين : الحركة العلمية، ص٣٣.

(2) عبد الرحمن صالح عبد ا : تاريخ التعليم في مكة المكرمة، (ط١، دار الفكر، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م)، ص٥٦؛ عبد اللطيف بن عبد ا بن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، (ط٣، بيروت، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع: ١٤١٨هـ)، ص٤٦.

كما تميزت **الكتاتيب العامة الوقفية** بعدة مميزات إذا إنها غالباً ما يقام أسفل منها **سبيل**[1] **ماء**، ويتم تعيين هيئة معاونة للإشراف على الكُتاب؛ منها **السقاء** وهو مسؤول عن استمرارية توفير الماء بالسبيل، إضافة إلى **الفراش** الذي ينظف المكتب بعد فراغ الصبيان من التعليم في كل يوم، وقد يوجد أكثر من فراش في المكتب الواحد، فضلاً عمن يقوم **بإصلاح القناديل** إذا كان التعليم ليلاً أو كان الكُتاب مظلماً. وكان يرتب لكل واحد من هؤلاء العاملين مرتب حسب شروط الواقف، إضافة إلى الكسوة والطعام توسعة للخدم في المعاش[2]، كما حرص بعض الواقفين على تعيين **نفقات أخرى** تتعلق بما يحتاجه الأطفال بالمكتب من توفير اللوح والقلم والمداد والمبراة والدواة وسائر الأدوات التي تتعلق بالكتابة إضافة إلى البسط والحصير للمكتب وغير ذلك من أمور تتعلق بفرش المكتب وغير ذلك[3].

**وكانت الدولة متكفلة بدفع رواتب العاملين** في الكتاتيب التابعة لها، وقد بلغ ما كان يأخذه الفقيه شهرياً في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري مائتي قرش عثماني ومائة أخرى للعريف[4]، وهو مرتب وإن كان قليلاً نسبياً، إلا كان كفيلاً باستمرار الكتاتيب، ولاسيما أن الكادر العام للموظفين آنذاك لم يكن مرتفعاً، فقد كان مدرسو الحرم الشريف في نهاية فترة البحث لا تتجاوز أعطياتهم خمسمائة قرش شهرياً[5].

---

(1) السبيل: كلمة معناها اللغوي الصراط المستقيم، وتطلق على صنبور المياه العمومي الذي يهبه أحد الخيرين ويجري عليه الأوقاف لرعايته وصيانته، وهو من خصائص الحضارة الإسلامية، وكان يعلوه عادة مكتب لحفظ القرآن الكريم. انظر: كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية في مصر (ط٤، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب:١٩٩١م)، ص١٢١

(2) دار الوثائق: سجلات الديوان العالي، س ١، م ١٩٣، ص٩٤، م٤٧٥، ص٢٣٠، س٢، م ٢.

(3) دار الوثائق: دفتر صلة جوالي ، واجب سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م، رقم ٥٢٦، حفظ نوعي ٧١٥، عمومي ٥٩٥٨، مخزن تركي ١؛ سجلات الديوان العالي ، س ٢، م ٢٨٨، ص١٩٦، م ٣٦٥، ص٢٤٥.

(4) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، ص٦٠.

(5) سالنامه ولاية الحجاز، ع ١، عام ١٣٠١هـ.

ومما تميزت به الكتاتيب العامة أيضاً أنها كانت تخضع **للإشراف الطبي** لتضمن سلامة المعلمين والأطفال من الأمراض[١] .

وإن كنا نعتقد أن هذه الخدمة الإنسانية قد تشمل الكتاتيب الخاصة أيضاً، فلا يعقل أن يمرض طفل غير منتسب للكتاتيب العامة ويذهب إلى الطبيب ليعالجه ويرفض، فالدين الإسلامي دين رحمة ومحبة.

**وأما الكتاتيب الأهلية فهي** التي تفتح بجهود القادرين على دفع أجر الفقيه ولو كان ضئيلاً، والصرف على الكُتاب، إذ **يدفع** فيها الدارسون مبالغ زهيدة مقابل تعليمهم[٢]، ويتحدد عدد المنضمين إلى الكُتاب بمقدرة الشيخ وشهرته والكثافة السكانية للمنطقة التي بها الكُتاب، إضافة إلى الإمكانات المادية للكتاب والأهالي.

ومن الملاحظ أن معظم **أصحاب الكتاتيب الأهلية** بمكة كانوا من **العلماء الأجلاء** الذين رحلوا في طلب العلم من الأمصار والبلدان، وحصلوا فيه الإجازات، فكانوا مدرسين إما في مدارس أو في المسجد الحرام، فقد أحبوا العلم وأرادوا بذل الخدمات العلمية للبلد الحرام، بما لهم من مكانة علمية واجتماعية؛ فكانت كتاتيبهم أكثر تميزاً من الناحية العلمية حيث إنهم هم المشرفون مباشرة على الكُتاب، وهذه ميزة لم تكن ظاهرة في الكتاتيب العامة، فرغم ضآلة المخصص المادي لهذه الكتاتيب، إلا أنها كانت محل إقبال لهذا السبب.

وتميزت المكاتب الخاصة أيضاً باستقلال المعلمين فيها، دون تدخل من الدولة[٣] في تنظيمها أو وضع لوائح وأسس لعملها، مما أعطى لها الحرية في النشاط الثقافي نسبياً، فلم تكن الدولة تطلب من أصحاب الكتاتيب استصدار موافقتها على فتح مكاتب تعليم الصبيان، ولم تضع أي شروط أو مؤهلات خاصة لذلك، فبإمكان أي شخص لديه القدرة على أن يفتح له كتاباً لتعليم الصغار في زاوية المسجد أو

---

(١) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر صرة رومية أهالي حرمين، واجب سنة ١١٣٤هـ/١٧٢١م، رقم ٤٣، حفظ نوعي ١٥٣، عمومي ٥٣٩٦، مخزن تركي ١.

(٢) محمد بيومي: مخصصات الحرمين الشريفين ، هـ ص٣٥١ ـ ٣٥٢؛ عز الدين : الحركة العلمية، ص٣٣.

(٣) حسن عبد العال: التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، (القاهرة، دار الفكر العربي: ١٩٧٧م)، ص١٨٤.

منزله الخاص شرط أن يكون ملماً بالقراءة حافظاً لكتاب ا ، أما إن كان الكُتاب لتعليم الخط فلا بد للفقيه هنا أن يكون ملماً بهذا الفن ودروبه لكي يتمكن من تدريسه لطلابه على الوجه الصحيح[١].

وعليه فصاحب الكُتاب الأهلي، كانت له الحرية في وضع ما يريد من شروط خاصة بكتابه، والطريقة التي يريدها في تنظيم أوقاته وشؤونه، وله أن يغير في شروط الانضمام لكتابه وفق مصالحه الخاصة أو مصالح الكُتاب، كما له أن يرفع أجرة الانضمام للكتاب أو نقله إلى أي مكان أراد حسب مصلحة الكُتاب وهذه مساحة كبيرة للإدارة بخلاف الكتاتيب الموقوفة، فالناظر عليه أن يحقق شرط الواقف وفق مصلحة الوقف وعدد الطلبة، والمخصصات المالية المحددة على الكُتاب وغير ذلك.

**وحتى ندرك ونلمس هذا الأمر عن قرب،** أنقل على سبيل المثال نظاماً حدده صاحب كتاب أهلي الشيخ حسن العبادي ، فحين افتتح كتّابه عام (١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م)، وضع نظاماً حدد بموجبه **شروط الالتحاق بالكُتاب** جاء على النحو التالي:

١ ـ أن يقدم ولي الأمر مجيدين "ريالين" للشيخ عند الدخول باسم **الفتوح.**

٢ ـ أن يدفع ولي الأمر كل خميس **ربع مجيدي** "خمس قروش" للشيخ باسم الخميسية مقسمه على النحو التالي قرش للحصير الذي يجلس عليه الصبي، وقرش للماء الذي يشربه وثلاثة قروش للشيخ الذي يعلمه.

٣ ـ إذا وصل الطالب إلى سورة الفتح أو الضحى أو عم أو تبارك ، فإن على ولي أمره أن يدفع ثلاثة مجيدات للشيخ "ثلاث ريالات تركية" منها نصف مجيدي للعريف الذي يقوم بنقش لوح "**الصرافة**" بالألوان، ونصف أخرى قيمة الألوان والباقي للشيخ، مع تقديم شيء من الحلوى توزع على الطلاب.

٤ ـ إذا ختم الطالب القرآن الكريم، فإن ولي أمره يدفع للشيخ خمسة عشر مجيدياً، منها مجيديان للعريف الذي ينقش لوح الإقلابة بالألوان الذهبية، والباقي

---

(١) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، ص٥٠.

للشيخ، مع تقديم كمية من الحلوى لطلبة الكُتاب ، وأن ما يلقى من قروش على اللوح فهو للشيخ دون غيره.

٥ ـ أن يرسل ولي الأمر للشيخ الإكرامية والحلوى في المناسبات كالأعياد، وفي آخر شهر رمضان عليه أن يبعث **بالعيدية** منذ يوم ٢٧ رمضان، وأن يسلمها للشيخ[١].

ونلحظ من هذه الشروط أن المرتب لم يكن شهرياً، بل حسب إنجاز الحفظ، وهو يفيد في اهتمام الشيخ بطلابه أكثر وحرصه على انتهائهم من الختم مبكراً.

وتقام الكتاتيب الخاصة إما في منازل أصحابها أو في الأربطة المنتشرة بمكة، وكانت عبارة عن غرفة أو أكثر مفروشة بأنواع بسيطة من الحصر أو البسط، ويرص أمامها أزيار الماء لشرب التلاميذ[٢] .

**أما عن سن الالتحاق بالكُتاب:** فإن التوجيه النبوي الكريم ((مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر))[٣] يحدد السن الذي بموجبه يمكن لعموم الطلاب أن يدركوا ما يلقى عليهم من علوم.

إلا أن هذا لم يكن مطرداً في الكتاتيب، فلا توجد سن محددة للالتحاق بالكُتاب، وإن تراوحت في الغالب ما بين الرابعة والسابعة، أما بقاء الطالب في الكُتاب فغير محدد بفترة معينة، وإنما يعتمد على عاملين أولهما مدى قدرة الطالب على الحفظ والتعلم، وثانيهما: العامل المادي والاجتماعي لأسرة الطالب، ومدى قدرتها على الإنفاق عليه، لحين انتهائه من تعليمه في هذه المرحلة[٤]، وإن كنا نعتقد أن بقاءه في الكُتاب لا يتعدى فترة الحلم إذ إن معظم الصبية ينتهون من الحفظ أو الدراسة عادة قبل سن التكليف لذلك سموها مكاتب الصبيان.

---

(١) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولها، ص٥٨ ـ ٥٩.

(٢) المرجع السابق، ص٤٦.

(٣) أبو داود: السنن، ج١، ص ١٣٣.

(٤) مي عبد العزيز العيسى: الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى ، (الرياض، دارة الملك عبد العزيز: ١٤١٧هـ)، ص٢٩٠؛ صلاح هريدي: التعليم في مصر في القرن الثامن عشر الميلادي( الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية: ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ص٢٠.

أما **زمن الالتحاق بالكُتاب** فليس من الملزم أن يلتحق الطالب بالكُتاب مع بداية العام ، ففي أي وقت من أيام السنة شاء ولي أمر الطالب أن يلحقه بالكُتاب فعل[١].

وهنا فرق بين الكتاتيب والمدارس الابتدائية والتي لا يسمح بالالتحاق بها إلا مع بداية العام الدراسي ، وقد يضيع على الطالب فرصة التعليم المبكر بسبب ذلك، بينما الكتاتيب كانت تراعي هذه المسألة فهي أشبه بما في عصرنا من جماعات تحفيظ القرآن الكريم المنتشرة الآن والتي أتت أكلها وثمارها يانعة بحمد ا .

وبالنسبة **لوقت الدراسة** في الكتاتيب فهي مقسمة على فترتين الأولى صباحية، حيث يذهب الطلبة إلى الكُتاب من الصباح الباكر وقبيل الظهر يعودون إلى منازلهم للراحة وتناول وجبة الغذاء ، وذلك لمدة ساعة من الزمن، أما الفترة الثانية، فكانت تبدأ من بعد صلاة الظهر وحتى أذان العصر.

وفي بعض المكاتب كانت الدراسة تستمر **منذ الصباح الباكر وحتى أذان العصر** من دون عودة الطلاب إلى منازلهم للراحة والغذاء، بل كانوا يحضرون وجبة غذائهم معهم إلى الكُتاب، ويتناولونها فترة الساعة الراحة، وأحياناً كانت الفترة الثانية والتي تبدأ من بعد الظهر تمتد إلى أن تصل إلى صلاة المغرب في بعض الكتاتيب[٢] .

ولما كانت الدراسة طوال اليوم باعثة على السأم والملل في قلوب الطلاب فلا نستغرب منهم كثرة استئذانهم للخروج من الكُتاب بحجة الشرب أو قضاء الحاجة والبقاء خارجه لفترة أطول أو الهروب من الكُتاب إذا استدعى الأمر.

وفي محاولة من المسؤولين عن الكُتاب بتلطيف جو الكُتاب وطرد الملل من نفوس الطلاب والترويح عنهم، كانت تباع الحلوى بالكُتاب[٣] لجذب الطلاب للكتاب

---

(١) مقادمي: التعليم الأهلي للبنين في مكة، ص٨٧.

(٢) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين وما حولها، ص٦١.

(٣) وما زالت هذه العادة المستحسنة متبعة في الكثير من جماعات تحفيظ القرآن في البلدان الإسلامية، ولاسيما في حلقات تحفيظ صغار السن.

والحيلولة دون الشراء من الباعة المتجولين لعدم ضمان نظافة بضاعتهم، إضافة إلى الكسب المادي، والذي قد يصرف في صيانة الكُتاب وتوفير احتياجاته من أدوات تعليمية أو فرش أو نحو ذلك.

وتبدأ **العطلة الأسبوعية** في الكُتاب من ظهر يوم الخميس إلى نهاية يوم الجمعة، أما الإجازات العامة، فهي تتراوح بين أيام الأعياد كعيد الفطر وعيد الأضحى، وهناك إجازات طارئة كهطول الأمطار وما يصاحبها من سيول[1] وإجازات الكُتاب نفسه بمناسبة حفظ أحد طلبته للقرآن الكريم كاملاً، أو جزء منه[2].

ونلحظ ههنا أن يوم الثلاثاء لم يكن عطلة عند عامة الكتاتيب، وهو يوم عطلة التدريس بالمساجد كما تقدم، ولعل السبب في ذلك اجتماع العطلة في يومي الخميس والجمعة ليأخذ الطفل قسطاً متصلاً من الراحة يدرك فيه بغيته من اللعب والمرح.

ويتولى تدريس الطلاب في الكتاتيب سواء العامة أو الخاصة **معلم يطلق عليه الفقيه أو المؤدب**، ومهمته تعليم الأطفال الكتابة وتحفيظهم القرآن الكريم، ويشترط فيه عدة شروط خلقية واجتماعية وعلميه، فلا بد أن يكون معلماً صالحاً حافظاً لكتاب ا ، من أهل الدين والورع والتدين، متزوجاً إن أمكن، وأن لا يكون متكاسلاً عن الصبيان أو متوانياً عنهم، وأن يكون مشتغلاً بالعلوم الشرعية عارفاً بالخط العربي والحساب وتاريخ الإسلام[3]، وأن يحث الطلبة على الحفظ ويتفقد أحوالهم، وأن يكون ليناً رحيماً معهم[4].

وعادة ما يساعد **الفقيه** في مهمته طالب من الكُتاب يطلق عليه **العريف:** وهو ما يلي الفقيه مرتبة حيث عليه أن ينهض بالصبيان المتخلفين من أقرانهم ويلي مكان المؤدب حال غيابه، ويشترط أن تكون أخلاقه على نفس أخلاق الفقيه، ولا بد من

---

(1) إبراهيم الغزاوي: شذرات ، ص٩٢١.

(2) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين وما حولها، ص٦١.

(3) المرجع السابق، ص٣٦؛ وليد عبد الحميد:الحركة العلمية في مصر في القرن العاشر، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر، القاهرة: ، ١٩٩٨م)، ص١٢٢.

(4) صلاح هريدي: التعليم في مصر ، ص٢١ ـ ٢٢.

توفر عدة صفات في العريف لعل من أبرزها أن يكون **أسن** من بقية الطلبة **ومحل توقير** واحتشام من قبل الجميع، إضافة إلى كونه **أكثرهم حفظاً** لكتاب ا **وأغزرهم علماً** وأجودهم خطاً، وأن يراجع ألواح الأطفال في غيبة المؤدب ولم يكن له راتب معين بل حسب ما يقرره الواقفون، أو صاحب الكُتاب[1].

وأما بالنسبة للمعلمين (الفقيه أو المؤدب) فغالباً ما كانت لهم أجور تدفع من قبل الكُتاب وإن اختلفت من كتاب لآخر ومن معلم لآخر، وقد يتقاضى المعلم **راتباً أسبوعياً** عن كل طفل، وربما كان راتبه شهرياً أو سنوياً من قوت الناس كالحبوب والحنطة وقد يحدد المعلم المبلغ المطلوب دفعه من ولي أمر الطالب، ولولي الأمر الحرية في قبول دفع المبلغ أو البحث عن كتاب آخر لابنه، وأحياناً كان المعلم **لا يحدد أجراً** على عمله، فيحتسب فيه الأجر عند ا تعالى، ويكتفي بالهدايا التي يجود بها ولي أمر الطالب عند التحاق ابنه بالكُتاب، أو عند تخرجه منه[2]، وقد تكون ثمة أجور تكون عند الانتهاء من حفظ الطالب مرحلة معينة كما تقدم.

وفي الجملة فإن أجور المعلمين في الكتاتيب سواء كانت مالية أو عينية تكاد تكون أجوراً رمزية، وأن الكثيرين من المعلمين كانوا يقومون بعملهم احتساباً وبغية الثواب والأجر من ا .

وقد تنوعت المادة الدراسية التي يتلقاها الطلاب في الكُتاب، فالقرآن الكريم هو الأساس، يدرسونه حفظاً وتلاوة، وقد يحفظه البعض كاملاً، إلا أن بعضهم كان يكتفي بحفظ أجزاء منه[3]، إضافة إلى اللغة العربية وحروفها الهجائية، قراءة عن طريق ترديدها بشكل جماعي خلف المعلم، وكتابةً بالتدريب عليها في ألواح خاصة، اعتماداً على ما يسمى بالطريقة البغدادية التي تعلم الحروف في حالات الفتح والضم

---

(1) الغزاوي: شذرات الذهب، ص٣٩٩.

(2) عبد الحامد: الشعر في الجزيرة العربية "نجد والحجاز والاحساء والقطيف خلال القرنين ١١٥٠هـ - ١٣٥٠هـ" (ط١، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م)، ص٥٢.

(3) مي العيسى: الحياة العلمية في نجد ، ص٢٩٠؛ عبد ا بن محمد أبو داهش: الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية، (ط٢، أبها، نادي أبها الأدبي: ١٤٠٦هـ)، ص٤٢، ٤٩.

والكسر والسكون، ويعد هذا أساساً لتعليم القرآن الكريم[١] كما كانوا يدرسون الحساب بعملياته الأربع، الجمع والطرح والضرب والقسمة، والخط والإملاء، إضافة إلى بعض مبادئ الفقه والحديث والتوحيد[٢] والتي تتناسب واستيعابهم وأعمارهم، إضافة إلى بعض الشعائر الدينية كتعلم كيفية الصلاة، غير ما كانوا يتلقونه من الآداب الإسلامية التربوية كاحترام الوالدين والمعلم وغير ذلك من أمور توجيهية يتلقاها الطفل عن معلمه.

أما **طريقة التدريس** المتبعة في الكتاتيب فكانت تقوم على تلقين الفقيه لطلابه بعض الجمل وتكرارها من قبلهم بصوت مرتفع وبشكل جماعي، إضافة إلى استخدامه اللوح في كتابة بعض الآيات القرآنية الكريمة سواء كانت من قصار السور أم طوالها، أو بعض المسائل الحسابية البسيطة، أو بعض المقاطع الأدبية القصيرة والتي يدار عليها تدريس مادة الإملاء والخط[٣]، حيث إن حفظ الحروف الهجائية وكتابتها تعد قاعدة أساسية للانتقال إلى القراءة في المصحف الشريف، ثم حفظه بالتدريج[٤] .

ويستخدم الطلاب **أدوات دراسية** في هذه المرحلة تتباين نوعيتها ومواد إعدادها حسب ما يتوفر من مواد، وحسب التدرج الزمني لفترة البحث وإن كانت في غالبها لا تخرج عن كونها مؤلفة من: **اللوح** ويستخدم للقراءة والكتابة، ويكتب عليه الطالب ما يأمره به معلمه، وهو من الخشب، ويصنعه في الغالب النجارون خصيصاً لهذا الغرض، ويكون على شكل مربع الجوانب أو مستطيل، له رأس زائدة في وسط أعلاه، مثقوبة لربطها بخيط متين ليتمكن الطالب من حمله في يده[٥].

---

(١) مي العيسى: الحياة العلمية في نجد ، ص٢٩٠؛ أبو داهش: الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية، ص٤٢.

(٢) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، ص٤٩.

(٣)عبد ا ناصر السبيعي: الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية "١٣٥٠هـ - ١٣٨٠م /١٩٣٠م - ١٩٦٠م"، (ط١، ١٤٠٧هـ) ، ص٢٨.

(٤) أبو داهش: الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية ص٤٢.

(٥) مقادمي: التعليم الأهلي للبنين في مكة، ص٨٩؛ ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولها، ص٥٦.

**أما أداة الكتابة على الألواح** فهي: القلم، ويصنع عادة من أغصان الشجر وغالباً القصب أوالخيزران أو العوشز [١].

ومادة الكتابة فهي الحبر الذي يصنع محلياً من مواد مختلفة فقد يصنع من الفحم، أو من قشور الرمان مضافاً إليها السنا الذي يؤخذ من القدور، ثم يطبخ على النار حتى تصبح مادة سوداء[٢]، أو يصنع من الشب الأسود ونوى الخوخ بعد سحقه جيـداً[٣]، أو عن طريق الهباء من السرج القديمة وغيرها ثم يضاف إليه صمغاً من شجرالطلح ويطبخان فترة من الزمن[٤]، وعادة ما يحفظ الحبر في ما يسمى بالمدواة أوالمحبرة، ويستخدم لمسح الكتابة مادة تسمى "المدر" وهي مادة طينية متجمـدة مـن مخلفـات السيول على سفوح الجبال[٥].

وعلى الرغم من الأدوات المتواضعة التي كان يستخدمها الطلاب في الدراسة، إلا أن الكُتاب لم يتوقف عمله على نوعية هذه الأدوات، وأخرجت الكتاتيب ثلة من العلماء حملوا مشاعل العلم وأنوار الهداية رغم قلة الموارد ورقة الأدوات.

**وكان الأطفال يعرضون** على معلمهم ما كتبوه على الألواح في الكُتاب أو ما كان ضمن الواجبات المنزلية ليصححه لهم[٦]. فعادة ما كان الفقيه يأمرهم بواجبات منزلية كحفظ بعض الآيات والسور القرآنية، والتمرن على كتابة بعض المقاطع التي

---

(١) السبيعي: الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية ، ص٣٠.

(٢) استخدمت هذه الطريقة في صنع الحبر في منطقة نجد انظر: حمد بن إبراهيم السلوم: التربية والتعليم العام في المملكة العربية السعودية بين السياسة والنظرية والتطبيق ، نظرة تقويمية (١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ، ج٢، ص١٧.

(٣) استخدمت هذه الطريقة في صنع الحبر في المناطق الشرقية من الجزيرة العربية. انظر: السبيعي: الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية، ص٣٠.

(٤) استخدمت هذه الطريقة في صنع الحبر في جنوب غرب الجزيرة العربية ، انظر: أبو داهش: الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية، ص٣١ـ ٤٢، وفي اعتقادنا أن مكة ربما استخدمت أكثر من طريقة في صناعة الحبر خاصة وأن مواد صنعه متوفرة محلياً ، إضافة إلى أن مكة مجتمع مفتوح طوال العام بسبب ما يرد عليه من معتمرين وحجاج ومجاورين فلعل هذه الطرق قد انتقلت إلى مكة عبر الوافدين عليها، من هذه المناطق، بل ربما وجدت طرق أخرى لصناعة الحبر كانت منتشرة في أقطار إسلامية في فترة البحث.

(٥) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، ص٥٦.

(٦) صلاح هريدي: التعليم في مصر ، ص١٨ـ ١٩.

سبق لهم دراستها في الكُتاب[1]، وقد يترتب على ذلك ثواب وعقاب من قبل المعلم لطلابه، عادة ما يقدره على حسب سن الطالب ومدى ما قام به من عمل مستحسن أو خطأ مستقبح ..الخ.

وكانت هناك **ضوابط** لا بد للمعلم من اتباعها في تقرير العقوبة على الطفل فلا يجوز له ضرب الطفل إلا بإذن وليه ، فإن وجد الأذن جاز له الضرب على كل خلق سيء صدر من الولد، أو لتكاسله عن الحفظ وتفريطه فيما علمه، وأن يكون الضرب مفرقاً لا مجموعاً في محل واحد، وأن يكون في غير الوجه وفي غير مقتل كأن يكون تحت الأذن، وثغرة النحر، وأن يكون بين الضربتين زمن يخفف فيه ألم الأولى، وأن يكون السوط معتدل الحجم فيكون بين القضيب والعصا وأن يكون معتدل الرطوبة فلا يكون رطباً فيشق الجلد لثقله والشديد اليبوسة فلا يؤلم لخفته[2]، وإضافة إلى السوط فهناك العصا والفلقة وجريدة سعف النخيل[3].

وفي الغالب كان يستخدم المعلم هذه الأدوات **للتهديد لا للضرب**[4] .

وإن كان المربون يرون أن العقوبة البدنية تعد سبباً من أسباب التعلم إذا ما أحسن استخدامها، لأن من التلاميذ من لا يتعلم إلا بالخوف والضرب[5].

وإن كان العامل الأول والأخير في التأديب مجرد النظرة المركزة الساخرة أو الساخطة فإنها كانت أشد من وقع النبل[6].

---

(1) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين، ص٤٩؛ السبيعي: الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية ، ص٢٨.

(2) أحمد بن محمد بن علي الهيتمي: تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال، تحقيق: محمد سهيل الدبس، (ط١، بيروت: دار ابن كثير: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٧٨ـ ٨٠.

(3) الفلقة عصا مثقوبة من طرفيها ويشد في ثقبيها خيط يشد على رجل الصبي المعاقب حتى لا يحركها، ماجد الحازمي: عقوبة المتعلم عند المربين المسلمين ، ص١٤٣.

(4) عبد القادر الخطيب : تاريخ التربية الإسلامية، (القاهرة: ١٩٨٤م) ص٢١٩ـ ٢٢٠.

(5) ماجد بن عبد ا بن خليل الحازمي: عقوبة المتعلم عند المربين المسلمين (بحث مكمل لنيل درجة الماجستير ، كلية التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، مكة: ١٤٢١هـ)، ص ١٣٦.

(6) الغزاوي: شذرات الذهب، ص٣٩٩.

ولا شك أن هذه الأساليب وما فيها من توجيه وتوعية للسلوك تعد من أفضل ما وصلت إليه أساليب التربية في العصور اللاحقة لهذا العصر.

**ولم تكن الكتاتيب تمنح شهادات علمية لطلابها الخريجين،** غير أن الاحتفال بتخرج الطالب وهو ما يعرف بـ (الإصرافة والإقلابة) كان بمثابة أكبر شهادة له من الكُتاب على أنه قد أتم تعليمه وبجداره .

**و(الإصرافة)** هي احتفال بسيط يقام في الكُتاب بمناسبة إتقان الطالب قراءة سورة من القرآن الكريم ، ويأتي أهل الطالب إلى الكُتاب ليستمعوا إلى السورة التي بلغها ابنهم[١]، وحينما ينتهي الطالب من قراءة السورة يقدم أهله الهدايا للمعلم (الفقيه) وتوزع الحلوى كـ "اللوزية" أو "البتاسة " أو "السمسمية" أو "الأنبوتة" أو سكر "النبات" على التلاميذ ، ثم يعلن ذلك اليوم عطلة رسمية للجميع [٢].

أما **(الإقلابة)** فيرتدي الطلاب أبهى ملابسهم ويصطفون في صف واحد يتصدره أصحاب الملابس النظيفة واللامعة ويسيرون في الشوارع يتقدمهم الطالب المحتفى به، حاملاً لوحة كتب عليها السورة التي بلغها حتى يصلوا إلى دار المحتفي به ليتناولوا منه قطع الحلوى[٣] .

وإن كان أهل الطالب المحتفى به **من الميسورين حالاً** أقيمت له الولائم، فيدعى لها الأهل والأقرباء، والجيران والأصدقاء، وبذلت قطع النقود على الشيخ أو الشيخة والعريف أو العريفة، مكافأة وصدقة على ما منه ا على ابنهم أو ابنتهم من تمام حفظ القرآن[٤].

وذكر أوليا جلبي أن بمكة مائة وخمسين مكتباً[٥]، وزيارة أوليا لمكة كانت قبل فترة البحث بعدة سنوات، وربما هذا العدد شمل الكتاتيب العامة والخاصة، إذ

---

([١]) عبد الرحمن صالح عبد ا :تاريخ التعليم في مكة، ص٥٧.

([٢])Ibn Dohaish, op. cit , p 168.

([٣]) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين، ص٥٥.

([٤]) الغزاوي: شذرات الذهب، ص٣١٥.

([٥]) أوليا جلبي: الرحلة الحجازية، ص٢٧٨.

جاء في سالنامه ولاية الحجاز الصادرة عام (١٣٠١هـ/١٨٨٣م) أن عدد الكتاتيب المنتشرة بمكة بلغ ثلاثة وثلاثين كتاباً موزعة على النحو التالي: أربعة بسوق الليل، وخمسة في القرارة، وثلاثة بالقشاشية، وخمسة بشعب عامر، وواحد بالنقا، وواحد بالسليمانية، وواحد بالمسفلة، وأربعة بالشبيكة، و ثلاثة بحارة الباب، وستة بالشامية وقد بلغ عدد الطلاب الدارسين فيها ألف ومائة وخمسين طالباً[1]، ونعتقد أن هذه الكتاتيب كانت كتاتيب عامة أو وقفية تابعة للدولة، وقد زاد عدد هذه الكتاتيب بمكة ليبلغ ثلاثة وأربعين كتاباً عام (١٣٠٩هـ/١٨٩١م)[2]، أي ما يقارب افتتاح كتاب زيادة كل عام، وفي هذا إشارة على النمو السكاني بمكة وعلى اهتمام الأهالي بإلحاق أبنائهم بالكتاتيب لتلقي العلم.

**اولاً: الكتاتيب العامة:**

انتشرت في مكة الكتاتيب العامة الموقوفة على تعليم الصبية كتاب ا والقراءة والكتابة، ووجدت في المسجد الحرام والمدارس أو في أبنية خاصة لها، ومنها ما خصص لتعليم الأيتام من المسلمين ومنها ما كان لتعليم الأطفال عامة. وفيما يلي إطلالة على ذلك:

**الكتاتيب التي أنشئت داخل الحرم المكي الشريف :**

امتلأت أروقة وجنبات المسجد الحرام بحلقات تعليم القرآن الكريم، والتي خصصت لتعليم الصبيان[3]، وكان يتولى تعليم كل مجموعة منهم فقيه ، عادة ما كان معيناً من قبل الدولة، وفي عهد الوالي العثماني حسيب باشا (١٢٦٥هـ/١٨٤٨م) قام بإخراج الكتاتيب من الحرم، وفرقها في الزوايا القريبة من الحرم، وخصص

---

(1) سالنامه ولاية الحجاز، ع ١، عام ١٣٠١هـ، ص٦٣.

(2) سالنامه ولاية الحجاز، ع ٥، عام ١٣٠٩هـ، ص١٨٤.

(3) البرخت زيمة : شبه الجزيرة العربية في كتابات الرحالة الغربيين في مائة عام "١٧٧٠ - ١٨٧٠م" ، ترجمة : غازي عبد الرحيم شنبك، (الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة : ١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ج١، ص٢٤.

لمعلميها مائة قرش من خزانة الدولة، فقد رأى أن الصبيان الصغار قد يلوثون المسجد الحرام ولا يراعون حرمته فأخرجهم منه[١].

وما أن ولى عهد الوالي العثماني حسيب باشا حتى عادت الكتاتيب مرة أخرى للمسجد الحرام ، فيذكر أحد المشايخ من الذين تلقوا تعليمهم بالكُتاب داخل المسجد الحرام في القرن الثالث عشر الهجري حوالي عام (١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، أن الكتاتيب الخاصة بتعليم الصبيان انتشرت داخل الحرم، وأن الفقيه المسؤول عن الكُتاب الذي تعلم فيه كان حريصاً على حضور جميع الأطفال المسجلين في كتابه فإذا غاب أحدهم أرسل أحداً من طلبة الكُتاب إلى منزله لإحضاره[٢].

وهذا الأمر عادة يكون باجتهاد شخصي من المشرف على الكُتاب ولذلك لم يكن عاماً في كل الكتاتيب، لكنه يدل في الجملة على اهتمام المجتمع المكي بدور الكُتاب بحيث أفرز مثل هذه الأمور الجيدة.

ومن الكتاتيب التي وجدت بداخل الحرم المكي الشريف فترة البحث:

**- مكتب قراءة القرآن بعد صلاة الصبح:**

بلغ عدد المنتسبين فيه من القراء ثلاثون قارئاً، مهمتهم تعليم الأطفال القرآن الكريم بعد صلاة الصبح، وقد بلغت الأموال المخصصة لهم في القرن الثاني عشر الهجري [١٦٢٠٠] نصف ديوان فضة[٣].

**- مكتب تعليم التجويد:**

وهو من كتاتيب الحرم الشريف، ويصرف عليه من قبل الأوقاف بمصر، فقد خصصت مبالغ مالية نقدية لثلاثة من علماء مكة جميعهم من مشايخ الحرم القراء خصص لهم مبلغ قدره [١٤٠٤٠] بارة، لأكبرهم [٩٠٠٠] بارة وثانيهم [٣٦٠٠] بارة

---

(١) يحيى محمود بن جنيد: الحياة الثقافية في مكة المكرمة في القرن التاسع عشر الميلادي "١٢١٥هـ - ١٣١٧هـ"، (الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية: ٢٠٠٢م)، ص١٦

(٢) العلم والأدب والتاريخ والاجتماع، جريدة صوت الحجاز، ١٣٥١/٩/٦هـ( مكتبة الحرم المكي، رقم: ٣٤٥)، ص٦.

(٣) دار الوثائق القومية: سجلات الروزنامة، دفتر صرة رومية أهالي حرمين ، واجب ١١٣١هـ/ ١٧١٨م، رقم ٥٣٨٢، حفظ نوعي ١٣٩، عين ٧٢، مخزن تركي١.

وأما الأخير فله [١٤٤٠] بارة لقاء تعليمهم سنوياً ثمان وسبعين طفلاً القرآن الكريم[١]، وتشجيعاً للأطفال على الإقبال على حفظ كتاب ا فقد خصص لهم مبلغ [١٤٠٠] بارة تصرف عليهم سنوياً[٢]، وتخصيص هذا المبلغ الضخم للأطفال يدل على اهتمام من الواقفين على تشجيع الطلاب للالتحاق بالكُتاب ويعد حافزاً لهم على حفظ كتاب ا .

**الكتاتيب العامة لتعليم الأطفال خارج المسجد الحرام:**

**ـ مكتب السلطان محمود الأول[٣]:**

أنشأه ضمن مجموعته العلمية الاجتماعية والمتمثلة بالمدرسة والرباط والسبيل وجعله لتعليم الصبيان كتاب ا والقراءة والكتابة، وقرر فيه راتباً للمؤدب والمعاونين من فراشين وغيرهم، وكذا مخصصات مالية لشراء أدوات التعليم وجعل تحته سبيلاً لأهالي مكة[٤].

ولا شك أن وجود مكتبٍ للسلطان بمكة كان له الدافع للتجار والموسرين ومحبي العلم لحذوا هذا الحذو فالناس كما قيل على دين ملوكهم.

**ـ مكتب مراد باشا:**

وهو من باشاوات مصر الذين دفعهم حب العلم والمعرفة، وخدمة أطفال المسلمين إلى إنشاء كتاب بمكة، وأوقف عليه أوقاف عظيمة، وقد بلغ ما كان يرسله

(١) دار الوثائق القومية: سجلات الروزنامة ، دفتر صرة رومية حرمين شريفين واجب سنة ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م، عمومي ٥٣٢٧، حفظ نوعي ٨٤، عين ٧٢، مخزن تركي ١؛ وواجب ١١٢١هـ/١٧١٩م، عمومي ٥٣٣٣، حفظ نوعي ٩٠، عين ٧٢، مخزن تركي ١، وواجب ١١٦١هـ/١٧٤٨م، عمومي ٥٦٥٦، حفظ نوعي ٥٣، عين ٦٥، مخزن تركي ١.

(٢) دار الوثائق القومية: سجلات الروزنامة، دفتر رومية أهالي حرمين، واجب١١٢٠هـ/١٧٠٨م، دفتر رقم ١١٢.

(٣) هو السلطان محمود الأول بن السلطان مصطفى، تولى الحكم عام (١١٤٣هـ/١٧٣٠م) وظل به حتى وافته المنية سنة (١١٦٨هـ/١٧٥٤م) له الكثير من الأعمال الخيرة، ساد الأمن بلاده أثناء فترة حكمه. انظر: أحمد شلبي بن عبدالغني : أوضح الإشارات، ص٥٧١؛ محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١٥١.

(٤) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر صرة رومية أهالي حرمين شريفين، واجب سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م، رقم ١١٧، عمومي ٤٥٣١، مخزن ١؛ واجب سنة ١٢٠٧ هـ/١٧٩٢م، رقم ٣١٩، عمومي ٥٨٦٣، مخزن ١، واجب سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣، رقم ٣٨، نوعي ٧٢٧، عمومي ٥٩٧٠.

من مصروفات سنوية من مصر [٣٦٠٠] بارة سنوياً، منها ستون بارة سنوياً لعشرة أطفال تحت بند "تحفيظ الأطفال القرآن لكريم"[١]، وهذا يدل على استخدام أسلوب التشجيع المادي لتحفيز الأطفال على الحفظ.

**ـ مكتب حسن أفندي الدفتردار:**

من مكاتب الصبيان التي وجدت في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، وقد كان يصرف عليه في اليوم الواحد [٢٦٨] بارة أي في العام قرابة [٤٨٢٤٠] بارة، كانت ترسل من مصر إلى مكة مع أمير الحاج منذ عام (١١١٨هـ/ ١٧٠٦م)، ثم ارتفع المبلغ ليصل إلى [١٢٠٨] بارة يومياً منذ عام (١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م) وقد ظل المكتب يؤدي وظيفته طيلة القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي[٢].

ونحن بالقياس المادي على المكاتب الأخرى نجد أن المخصص المادي الضخم لا بد أن يعكس العدد الكبير للطلاب الملحقين به، وربما عكس أيضاً شروطاً تشجيعية للاهتمام بحفظ القرآن الكريم.

**ـ مكتب عيسى أفندي:**

وهو من أهالي مصر الميسورين، أنشأ المكتب وجعل عليه أوقافاً يصرف ريعها في الإنفاق عليه، حيث كان يصل إلى المكتب ما قيمته [٥٤٠٠] نصف فضة

---

(١) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر صرة رومية أهالي حرمين شريفين، واجب سنة ١١٧٣هـ/١٧٥٩م، رقم ٦٠، حفظ نوعي ٣٥٩، م ع ٥٦٠٢ عين ٧٢، مخزن تركي ١؛ واجب سنة ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م، رقم ٥٣٩، حفظ نوعي ٥٦٤، م ع ٥٨٠٧، مخزن تركي ١؛ واجب سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م، رقم ٣٧٦، حفظ نوعي ٥٩٩، م ع ٥٨٤٢، عين ٧٢، مخزن تركي ١.

(٢) دار الوثائق : سجلات الروزنامة، دفتر صرة رومية أهالي حرمين شريفين، واجب ١١٧١هـ/ ١٧٥٦م، رقم ٥١٢، نوعي ٣٤٤، م ع ٥٥٨٧، عين ٧٢، مخزن تركي ١؛ وسنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م، رقم ١٢٨، نوعي ٤٥٣، عمومي ٥٦٩٥، عين ٧٢ مخزن تركي ١، ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م، رقم ٥٠٦، نوعي ٧٢٣، عمومي ٥٩٦٦، عين ٧٢، مخزن تركي ١، واجب سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م ، رقم ٥٣٢، نوعي ٧٦١ عمومي ٦٠٠٤، مخزن تركي ١.

ديوانية، كانت ترسل مع الصرة، وقام المكتب بأداء وظيفته في تعليم الصبيان طيلة القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري[1] .

ونلاحظ أن وجود وقت محدد للصرة المرسلة من مصر سنوياً شجع الواقفين على إرسال الأموال، لأن الصرة كما تقدم تحاط بحراسة مشددة مما يحول بين العربان وبين أموال الواقفين، ويحفظها من الضياع، فيضمن الواقف أن أمواله وصلت إلى محل الوقف وصرفت في موضعها.

**ـ "مكتب معلمين حرم مكة مكرمة" أو مكتب محمد أفندي :**

أنشأه محمد أفندي وهو من أعيان مصر، أطلقت عليه الوثائق العثمانية "**مكتب معلمين حرم مكة مكرمة**" وقد جعل الواقف مكتبه خاصاً لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم وقد خصص لهم مبلغ [٥٤٠٠ ] نصف فضة ديوانياً[2] .

**ـ مكتب عنبر أغا:**

أنشأه أحد أغوات مصر ويدعى عنبر، وقد جعل تحته سبيل ماء، وجعل عليه مرتباً سنوياً قدره [٤٥٠٠] بارة[3]

**كتاتيب وقفيه خاصة لتعليم الأيتام:**

حث الدين الإسلامي الحنيف على العناية بأمر اليتيم ورعاية مصالحه، وأمر الأوصياء عليه بحسن معاملته وتربيته، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾[4].

---

(1) دار الوثائق : سجلات الروزنامة، دفتر صرة رومية أهالي حرمين شريفين، واجب سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م، رقم ١١٧، عمومي ٤٥٣١، مخزن ١؛ واجب سنة ١٢٠٧ هـ/١٧٩٢م، رقم ٣١٩، عمومي ٥٨٦٣، مخزن ١، واجب سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣، رقم ٣٨، نوعي ٧٢٧، عمومي ٥٩٧٠.

(2) دار الوثائق القومية: سجلات الروزنامة، دفتر رومية أهالي حرمين شريفين ، واجب سنة ١١٢١هـ/١٧٠٩م، رقم ٥٣٣٣، حفظ نوعي ٩٠، عين ٧٢، مخزن تركي ١؛ وواجب سنة ١١٣١هـ/١٧١٨م، رقم ٥٣٨٢، حفظ نوعي ١٣٩، عين ٧٢، مخزن تركي ١.

(3) دار الوثائق : سجلات الروزنامة، دفتر صرة رومية أهالي حرمين شريفين، واجب سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م، رقم ١١٧، عمومي ٤٥٣١، مخزن ١؛ واجب سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣، رقم ٣٨، نوعي ٧٢٧، عمومي ٥٩٧٠.

(4) سورة الضحى، آية: ٩.

ورغب في كفالة اليتيم وتأديبه ووعد كافله والقائم بأمره ونفقته بالجنة ، قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: ((أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار بأصبعيه يعني السبابة والوسطى))[1]، ومن هذا المنطلق النبيل شرع سلاطين العثمانيين وغيرهم من أبناء المجتمع في العناية بالأيتام والقيام على تعليمهم وتهذيبهم وكفالتهم، وذلك بإنشاء العديد من المكاتب الخاصة بهم، وأوقفوا عليها ما يكفل لها القيام بدورها على أكمل وجه، ورتبوا فيها المعلمين وأجروا لهم الرواتب، ووفروا لهم ما يحتاجونه من غذاء وكساء ومقررات شهرية ، فضلاً عن التعليم.

وقد وجد بمكة فترة البحث عدد من هذه الكتاتيب منها:

**ـ مكتب السلطان محمود الأول:**

قرر فيه رواتب للصبيان الأيتام[2]. ولم تحدثنا الوثائق عن مقدار هذه الرواتب، إلا أننا من معرفتنا بالسلطان محمود وأعماله الخيرية في مكة يمكن أن نستنتج أن المخصص لليتيم تجاوز ما كان يأخذه الطالب لحفظ القرآن الكريم إلى ما يعين به أهله أيضاً حتى لا يخرجوه من المكتب للعمل اكتساباً للعيش.

**ـ مكتب حسن أفندي دار الرومي:**

أنشأه مؤسسه السيد حسن أفندي بمكة وشرطه لتعليم الأيتام القرآن الكريم والكتابة والقراءة ، فقد خصص له مبلغ وقدره ٣٤٢٠٠ بارة سنوياً على عشرة من الأطفال الأيتام لحفظ القرآن الكريم، وقرر لهم شيخاً يعلمهم القرآن الكريم ومعلمين لتعليمهم الكتابة والقراءة ، وقد ازداد المبلغ المقرر للكتاب عام (١١٣٤هـ/١٧١٢م) ليصل إلى [٤٧٠٣٢] بارة وكانت ترسل سنوياً من الأوقاف بمصر[3] .

---

(1) الترمذي: السنن، ج٤، ص٢٨٣.

(2) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر صرة رومية أهالي حرمين شريفين، واجب سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م، رقم ١١٧، عمومي ٤٥٣١، مخزن ١؛ واجب سنة ١٢٠٧ هـ/١٧٩٢م، رقم ٣١٩، عمومي ٥٨٦٣، مخزن ١، واجب سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣، رقم ٣٨، نوعي ٧٢٧، عمومي ٥٩٧٠. وهو نفس المكتب الذي أشرنا إليه سابقاً.

(3) دار الوثائق : سجلات الروزنامة ، دفتر صرة رومية أهالي حرمين شريفين ، واجب سنة ١١٣١هـ/١٧١٨م، رقم ٥٣٨٢، حفظ نوعي ١٣٩، عين ٧٢، مخزن تركي ١؛ وواجب سنة ١١٦١هـ/١٧٤٨م، رقم ٧٤٢، حفظ نوعي ٢٨٧، عمومي ٥٥٣٠، مخزن تركي ١.

وهذا المبلغ الكبير له دلالته أيضاً كما سبق أنه تخطى مخصصات الحفظ إلى الكفاية والإعاشة لأهل اليتيم

**ـ مكتب يوسف بن عبد الرحمن أفندي:**

من أعيان مصر اللذين أسهموا في الحياة العلمية بمكة بإقامة كتاب لتعليم الصبيان كتاب ا ، وقد فرض صاحبه للصرف على المكتب [١٨٠٠] بارة تصرف سنوياً للمكتب منها [٩٠٠٠] بارة على أيتام المكتب(١).

وهذا لون آخر من المكاتب جمع فيه منشئه بين الأيتام وغيرهم، وليس بالضرورة أن يكون عددهم محدداً، بل ظاهر الوثيقة أنه لا يشترط ذلك، إلا أن تخصيص نصف المبلغ للأيتام خاصة لا بد أن ينطوي على شرط يتضمن تحديداً أدق للأعداد حتى يتم إنفاق المال في محله.

**ثانياً: الكتاتيب الخاصة:**

لم يقتصر الأمر في إنشاء الكتاتيب على الدولة والأعيان من خارج مكة بل أنشأ الأهالي العديد من الكتاتيب الخاصة، وقد شهدت مكة فترة البحث **عدداً كبيراً** من هذه الكتاتيب لعل أبرزها:

**ـ كتاب الشيخ عبد الحي:**

تأسس عام (١٢٩٥هـ/١٨٧٨م) في حي أجياد كان يدرس به القرآن الكريم والقراءة والكتابة ومبادئ الحساب، وعندما تأسست المدرسة الفخرية العثمانية كان الكُتاب بطلبته نواة لها(٢).

ومن هذا ندرك أن الكُتاب كان مرحلة مهمة سلم التعليم يتدرج بالطالب إ ا دارس الدينية.

---

(١) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر صرة رومية أهالي حرمين شريفين، واجب سنة ١١٢٦هـ/١٧١٤م، م ٣٧، م ع ٥٣٤٨، حفظ نوعي ١٠٥، مخزن تركي ١؛ وواجب سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م، م ع ٤٥٢٨ ، عين ٧٢، مخزن تركي ١٣.

(٢) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، ص٢٣

**ـ كتاب الشيخ أ د عجيمي:**

وجد في نهاية فترة البحث ، وقد أنشأه صاحبه في **أحد المنازل بالقشاشية** لتعليم الأطفال القرآن الكريم ،فالتحق به العديد من الطلاب حتى تراوح عددهم ما بين ٧٠ إلى ٨٠ طالباً[١] .

ووجود هذا الكُتاب بالقشاشية له دلالة، فإن (حي القشاشية) قريب جداً من المسجد الحرام ، ونحن نتسائل لِم لم يكن هذا الكُتاب داخل المسجد الحرام ، وما السر في ازدياد عدد الطلاب به مقارنة بغيره، ولعل الجواب لذلك يكمن في الظروف الاجتماعية التي حفت به من اجتماع أهل الحي على ذلك ووثوقهم بالشيخ، وصيانة للمسجد الحرام من عبث هذا العدد الكبير من الأطفال ونحو ذلك.

**ـ كتاب الشيخ عبد ا حمدوه السناري :**

أنشأه الشيخ عبد ا بن إبراهيم حمدوه السناري المكي السوداني (ت١٣٥٠هـ/١٩٣١م)، دخل مكة وعمره عشرون سنة فجود القرآن الكريم على الشيخ إبراهيم سعد (ت١٣١٦هـ/١٨٩٨م) والشيخ أحمد حامد التيجي المكي، وانتظم بحلقات العلم الدائرة بالمسجد الحرام، رحل إلى مصر فدرس على عدد من علماء الأزهر وأجازوه، ثم رجع إلى مكة وواصل دراسته ثم رحل إلى المدينة، ودرس على عدد من علمائها وأجازوه ثم عاد إلى مكة، وافتتح كتاباً عند باب الزيادة وكان يعاونه على قراءة القرآن الكريم وحفظه **السيد عبد ا السركتى** مؤسس جمعية الإرشاد بأندونيسيا وصاحب مجلة الذخيرة التي كانت تصدر من جاكرتا، وكان عريف الكُتاب الشيخ **مصطفى يغمور،** وكان الشيخ عبد ا حمدوه محور حركة نشاط الكُتاب يوجه المعلمين ويرشدهم وينصح التلاميذ ويؤدبهم، ولما اكتظ ديوان السمان بالطلاب انتقل من باب الزيادة إلى باب الباسطية في إحدى بيوت الأشراف[٢] .

---

(١) فيصل مقادمي: التعليم الأهلي للبنين بمكة المكرمة، ص١٤٨.

(٢) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٥٨ ـ ١٥٩.

ونحن هنا نتوقف لإلقاء النظرة على هذه المعلومة التاريخية، فإن كون الكُتاب بالمسجد الحرام هو أمر مشهور، وكونه يكون في أحد بيوت الأحياء هو كذلك طبيعي ومقبول، أما كون الكُتاب في بيوت الأشراف، فهذا أمر ملفت إذ لم يكن الكُتاب مقتصراً على فئة اجتماعية دون أخرى لكن يعكس حرص الأشراف أو بعضهم على التعليم وفي مقدمته القرآن الكريم في ذلك الوقت، ولعل وجود الكُتاب ببيت الشريف كان دافعاً لتطويره، فقد ذكر المؤرخون أن الشيخ عبد ا حمدوه أجرى تحسينات على الكُتاب إذ قسمه إلى صفوف وقرر تعليم الحساب وتحسين الخط بجانب حفظ القرآن وتجويده فزاد الإقبال عليه من قبل الطلبة ورغب أولياء الأمور إلحاق فلذات أكبادهم في هذا الكُتاب المتميز والذي يعتبر في تنظيمه ومنهجيته في التعليم بمثابة طفرة أصابت التعليم بالكتاتيب في مكة في فترة البحث.

كما أن الكثير من الطلبة الذي كانوا يؤمون الناس في الصلاة التراويح في شهر رمضان هم من خريجي هذا الكُتاب، فممن تتلمذ فيه الشيخ حسن بن محمد المشاط المالكي المكي حيث قرأ فيه القرآن الكريم وجوده[1] .

وعندما فتح محمد علي زينل مدرسة الفلاح بمكة عام (١٣٣٠هـ / ١٩١١م) وقع اختياره على الشيخ عبد ا حمدوه ليديرها ، فانتقل الشيخ بطلابه إليها وعين مدرساً بها، وفي عام (١٣٤٠هـ/١٩٢١م) عين مديراً لها مع تدريسه بها وبالمسجد الحرام القراءات والنحو والفقه[2] .

**ـ كتاب الشيخ عبد ا قاري (ت١٣٣٧هـ/١٩١٨م):**

تولى الشيخ عبد ا قاري التدريس به وتحفيظ الأطفال القرآن الكريم وبعض مبادئ الكتابة والقراءة، وكان التركيز على حفظ القرآن وتجويده من أهم أهداف الكُتاب، إذ إن من يتخرج من هذا الكُتاب يستطيع أن يؤم الناس في صلاة التراويح بالحرم الشريف أو في غيره من مساجد مكة ، ولا يزال هذا الأمر معمولاً به في هذه الأيام والحمد .

---

(1) المصدر السابق، ص١٥٨؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص١٥٩.

(2) غازي: نثر الدرر، ق ٤١؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٣٢٩ ـ ٣٣٠.

وممن تخرج من كتاب القاري وأم الناس بالتراويح بالمسجد الحرام ، مختار بن عثمان مخدوم البخاري المكي، عندما بلغ سن الدخول إلى الكُتاب عهد به والده وهو من التجار البخاريين إذ كان له دكان بالمسعى يتعاطى فيه التجارة، فأدخل ولده مختاراً كتاب الشيخ عبد ا القاري فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وجوده وصلى التراويح بالمسجد الحرام وحفظ على يد شيخه بعض المتون ثم التحق بعد انتهائه من التعليم بالكُتاب إلى المدرسة الصولتية فأكمل دراسته[1].

**ـ كتاب ديوان الخندريسة:**

ممن درس فيه القرآن الكريم الشيخ أحمد بن سالم حمام (ت١٣٦٠هـ/ ١٩٦١م)، حفظ القرآن الكريم فقرأه على الشيخ عبد المعطي النوري وأتقنه وجوده حتى صار من المقرئين المشهورين، درس القرآن الكريم للطلبة بديوان الخندريسة بمحلة الباب، ثم انتقل إلى مسجد خالد بن الوليد ومكث فيه يعلم مدة حتى هرم فترك التعليم ولزم داره إلى أن توفي[2].

وقد تخرج على يد الشيخ أحمد حمام في كتاب ديوان الخندريسة علماء كثر منهم: أبو بكر بن حسين الحبشي ، إذ التحق به في الفترة ما بين عامي (١٣٢٧هـ و ١٣٣٢هـ/١٩٠٩م و١٩١٣م)[3]، ولندع الشيخ الحبشي يسرد لنا قصته مع الكُتاب فيقول: (كان أول تعليمي الهجاء وابتداء تعلمي قراءة القرآن الكريم على يديه ، فإن سيدي الجد الحبيب حسين بن محمد الحبشي ، ذهب بي أنا وسيدي العم عبد ا بن حسين إليه في الديوان الذي يعلم فيه في الخندريسة، فقابله الشيخ أحمد بالترحيب والإجلال ومكث عنده برهة أوصاه فيها علينا ورجع، وكان سني يومئذ نحو **ست سنوات**، ومكثت عند شيخنا المذكور مدة أتعلم فيها إلى أن تمكنت من قراءة الحروف وحفظ بعض السور من جزء عم والكتابة على ما يرسمه الشيخ المذكور

---

(1) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٥٣٩.

(2) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٤٢.

(3) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٦.

لي،...)[1].وهذا النص نستفيد منه السن الذي يسمح فيه للطالب بالالتحاق بالكُتاب هو السن المعمول به الآن في المدارس الابتدائية، وهو يؤكد ما ذكرته سابقاً[2].

**ـ كتاب الشيخ أحمد السوركتي :**

أسسه السوركتي في مستهل القرن الرابع عشر الهجري في حارة الباب وعندما تأسست مدرسة الفلاح بمكة عام (١٣٣٠هـ/١٩١١م) انضم جميع طلاب هذا الكُتاب إلى المدرسة وكانوا نواة لها[3].

وهذا يؤكد ما سبق من أن طلاب المدارس (العامة أو الخاصة) والتي أنشئت فترة البحث كان جلهم ممن تعلم في الكتاتيب، وحفظ القرآن الكريم فيها مما يشير إلى ارتفاع مستوى التعليم في بداياته مقارنة بغيره، والحق أن الكثير من المؤرخين والكتاب يذكرون أن خريجي هذه المدارس كانوا على درجة تعليم عالية مقارنة بخريجي المدارس بل وجامعات اليوم.

**ـ كتاب الشيخ عبد الحي غندورة:**

أسسه صاحبه في أوائل القرن الرابع عشر الهجري بمنزله بحارة الباب[4].

وحارة الباب من أقرب الأحياء المكية للحرم، وكانت فترة تأسيس هذا الكُتاب متزامنة للفترة التي انتشرت فيها الكتاتيب بالحرم المكي الشريف، مما يشير إلى حاجة ملحة لتأسيس الكتاتيب بالأحياء المختلفة.

**ـ كتاب الشيخ عبد الهادي:**

أسسه الشيخ عبد الهادي وهو إنجليزي الأصل اسلم بمصر واشتغل فيها بتعلم القرآن الكريم فحفظه ، وتزوج بمصر من امرأة عمياء حافظة للقرآن من أهل دمياط تدعى الشيخة صالحة، فانتقل بها من مصر إلى مكة المشرفة وأقام بها لتعليم القرآن الكريم للرجال والصبيان واشتغلت زوجته لتعليم النساء والفتيات فاشتهر أمرهما

---

(1) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٤٢.

(2) انظر ص ٢٥٧.

(3) عبد الرحمن الصباغ: تربية النشئ في المنزل والمدرسة والمجتمع، (القاهرة، ١٣٨١هـ)، ج٢، ص١٦٦.

(4) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، ص٢٠.

وأقبل الناس عليهما لقراءة القرآن، وكان أكثرهم من الجالية الجاوية، وكان الشيخ عبد الهادي رجلاً كريماً، يصرف كل ما يصل يده من الدراهم على المحتاجين وطلبة العلم، وممن درس فيها الشيخ أحمد الخطيب والشيخ سليمان الخالدي[1].

وكون أكثر من كان يتعلم بهذا الكُتاب من الجالية الجاوية له دلالة على دور الترجمة نسبياً، فإن الشيخ عبد الهادي كان رجلاً انجليزياً فهو يتقن غير العربية، مما يؤهله لتعليم غير الناطقين بها، والإنجليزية لغة عالمية يمكن للكثيرين تعلمها، فلعل هذا الإقبال من غير العرب على هذا الكُتاب كان هذا سببه، ولهذا الأمر دور إيجابي آخر وهو نشر اللغة العربية عن طريق القرآن الكريم، فإن غير الناطقين بها إن لم يجد من يعلمه بلغته أو بترجمة ، ربما نشط لتعلم العربية بنفسه.

**ـ كتاب الشيخ محمد عريف:**

لم تحدثنا المصادر كثيراً عن هذا الكُتاب إلا أنه يقع بزقاق الحجر، وممن درس فيه الشيخ أحمد بن عبد ا ناضرين، ما أن بلغ سن الكُتاب حتى ألحقه أهله بكتاب الشيخ محمد عريف، فعكف على دراسة كتاب ا حفظاً وتجويداً حتى أتمه[2].

**ـ كتاب الشيخ أمين الماحي:**

أسسه صاحبه في أوائل القرن الرابع عشر الهجري واتخذ مقره بمنزله بحي الشبيكة، وقد امتاز أنه جمع بين تدريس القرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتعليم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والعلوم الدينية[3].

ولقد كانت هذه سمة نسبية في كتاتيب نهاية فترة البحث من ناحية العلوم المدرسة وانتشار الكتاتيب في الأحياء المكية.

---

(1) أحمد الخطيب: القول التحيف، ق٣.

(2) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٤٨.

(3) وقد تحول هذا الكتاب إلى مدرسة عام ١٣٣٩هـ ، ودرس بها جميع العلوم وقد تخرجت منها أول دفعة عام ١٣٤٨هـ. مقادمي: التعليم الأهلي للبنين بمكة، ص١٤٦؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج٢، ص٨٢٤.

**ـ كتاب الشيخ أحمد فودة:**

أسسه صاحبه في منزله بحي أجياد في أوائل القرن الرابع عشر الهجري وتراوح عدد طلابه ما بين ٦٠ إلى ٧٠ طالباً[١]، وهذا العدد الكبير هو أيضاً سمة من سمات كتاتيب نهاية فترة البحث مما يدل على إقبال شديد على الكُتاب.

**ـ كتاب الشيخ حسين العبادي:**

أسسه صاحبه عام (١٣١٦هـ/١٨٩٨م) في **منزله بحي الفلق**، وحين انتقل الشيخ إلى **حي أجياد** نقل كتابه معه، والتحق بكتابه عدد كبير من الطلبة للمميزات التي امتاز بها الكُتاب فهو يدرس القرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتجويداً إضافة إلى القراءة والكتابة والحساب ومبادئ العلوم الدينية[٢].

**ـ كتاب الشيخ مصطفى يغمور:**

تأسس في أوائل القرن الرابع عشر الهجري في منزل الشيخ **بحي الشامية**، وكان يدرس به القرآن الكريم تلاوة وحفظاً والتجويد، والقراءة والكتابة ومبادئ الحساب والعلوم الدينية، وعندما تأسست مدرسة الفلاح بمكة عام (١٣٣٠هـ/ ١٩١١م) انضم جميع تلاميذه للمدرسة[٣].

وهذا مما يبين السبب الرئيس في ارتفاع معدلات التحصيل والمرتبة العلمية العالية التي امتازت بها مدرسة الفلاح ، كما يأتي تفصيله لاحقاً إن شاء الله تعالى.

**ـ كتاب الشيخ عوض باسعدان:**

أسسه صاحبه مع مطلع القرن الرابع الهجري **بمنطقة المعابدة** وتراوح عدد الطلاب ما بين ٧٠ ـ ٨٠ طالباً يدرسون فيه القرآن الكريم، والكتابة والقراءة[٤].

---

(١) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، ص٢٠.

(٢) محمد عبد الرحمن الشامخ: التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، (ط١، الرياض، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص٩٦؛ ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، ص٢١.

(٣) مقادمي: التعليم الأهلي للبنين في مكة، ص٨٦ ـ ٨٧.

(٤) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، ص٢٧

نلاحظ أن هذا الكُتاب قد أنشئ بعيداً عن منطقة الحرم، وهو يشير إلى الاتساع الديموجغرافي للبلد الحرام، فبينما كانت الكتاتيب الأولى بالمسجد الحرام، ثم في الدائرة الملاصقة له من أحياء أجياد والفلق والقشاشية والشامية، فإن هذا الكُتاب قد ظهر في حي "المعابدة" وهو في الدائرة الثانية، وكونه قد التحق به هذا العدد الكبير من الطلاب فهو يدل على كثافة سكانية في هذا المكان في تلك الفترة ويؤكد ذلك انتشار أكثر من كتاب في تلك المنطقة كما في كتاب الشيخ الكثامي الآتي الذكر.

**ـ كتاب الشيخ فرج بن عبد ا :**

شيخ سوداني قدم من بلاده في أواخر القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، وافتتح كتاباً بمكة يعلم فيه الأطفال القرآن الكريم ، وبأجر يكاد يكون زهيداً إن لم يكن بدونه، فأمه فقراء الطلبة وبسطاؤهم، منهم الشيخ حسين باسلامة[1].

**ـ كتاب الشيخ سالم الحبشي:**

أسسه صاحبه الحبشي نهاية فترة البحث في أواخر الربع الأول من القرن الرابع الهجري، بمسجد بايزيد بالمعابدة، وعدد الطلاب به حوالي مائة طالب ، يدرسون فيه القرآن الكريم تلاوة وحفظاً، والقراءة والكتابة[2].

**ـ كتاب الشيخ عبد ا مجاهد:**

أنشأه صاحبه في أوائل العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجري بالمسفلة، وكان يدرس فيه القرآن الكريم مع التجويد ومبادئ القرآة والكتابة[3].

**ـ كتاب الشيخ محمد العبادي:**

أسسه صاحبه مع نهاية فترة البحث في أوائل الثلاثينات من القرن الرابع الهجري، بأجياد وتراوح عدد طلابه ما بين ١٠٠ على ١٢٠ طالباً، وكان يدرس فيه القرآن الكريم والإملاء والحساب والسيرة النبوية[4].

---

(1) حسين عبد ا باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص أ.

(2) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين، ص٢٦.

(3) المرجع السابق ، ص٢٦؛ مقادمي: التعلي الأهلي للبني في مكة، ص٨٧.

(4) المرجع السابق، ص٢٦.

**ـ كتاب الشيخ عبد ا الكثامي:**

أسسه الكثامي حوالي عام (١٣٢٨هـ/١٩١٠م)، وهو من أكبر الكتاتيب التي أنشئت بمنطقة المعابدة حيث بلغ عدد الطلاب المنتسبين إليه ما بين ٩٠ ـ ١٠٠ طالب، ويدرس فيه القرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتجويداً، ولعل العدد الكبير للطلبة لا يعود لكبر الكُتاب فقط بل نستطيع أن نقول إن الشيخ الكثامي كان عنصر جذب للطلبة للالتحاق بكتابه فقد كان الشيخ من علماء مصر الذين تميزا بنداوة الصوت وجودته مع إتقان التلاوة والتجويد(١).

وربما يمكن أن نضيف أنه كان عنصر جذب لأولياء أمور الطلاب، رغبة أن يصبح ولدهم في هذا المستوى الرفيع من الأداء، فربما اختير للإمامة بالحرم في صلاة التراويح.

**ـ كتاب الشيخ سعيد بحميش:**

من الكتاتيب التي أسست نهاية فترة البحث، فقد أسسه صاحبه في أوخر العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجري، بمنطقة المعابدة ، وكان عدد طلابه يتراوح ما بين ٥٠ ـ ٦٠ طالباً، ويدرس فيه القرآن الكريم تلاوة وحفظاً، والقراءة والكتابة ومبادئ الحساب والعلوم الشرعية(٢).

**ثالثاً: كتاتيب تعليم الخط العربي :**

وجدت في مكة فترة البحث **كتاتيب** بالمسجد الحرام **لتعليم الخط الجميل** بأنواعه الرقعة والنسخ والثلث والديواني، أسهم في إنشائها الدولة والأهالي، وكانت منتظمة في باب السلام وفي باب الزيادة، ولم يقتصر عمل الخطاطين على تعليم الخط فقط بل تعداه إلى تعليم الإملاء والحساب والإنشاء والسيرة النبوية وعلم الفرائض لمن تقدم به سنه، واتضح ذكاؤه واستعداده وقابليته، ورغم كونها كانت قليلة نوعاً ما مقارنة بكتاتيب تعليم القرآن الكريم والقراءة والكتابة، إلا أنها لعبت دوراً إيجابياً في الارتقاء بالحياة العلمية بمكة فكانت تؤهل الطلاب للعمل لدى بعض

---

(١) نفسه، ص٢٨.

(٢) نفسه، ص٢٦.

التجار لتحرير الجوابات وجمع الحسابات أو أي وظيفة كتابية[1]، ونضيف إلى ذلك أن الوراقة كانت قد نشطت في هذا العصر كما يأتي تفصيله، فكانت هذه الكتاتيب بمثابة شريان إمداد لامتهان الوراقة ونسخ الكتب، وكانت من أسباب انتشار محلات الوراقة في فترة البحث قبل انتشار الكتب المطبوعة، ودخول الطباعة إلى مكة.

**وقد** أسهمت الدولة العثمانية في افتتاح كتاتيب لتعليم الخط وإن كانت قليلة نوعاً ما مقارنة بتلك التي فتحها الأهالي، فقد وجدت وثيقة مؤرخة عام (١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م) ورد فيها تخصيص مبلغ مائتين وخمسين قرشاً كراتب شهري لرئيس المعماريين في مكة الشيخ محمود وهبي إبراهيم أفندي زادة لتعليم الأطفال فن الخط، وقد طلب الشيخ من الحكومة مبلغ ألف وخمسمائة قرش دفعها إيجار سنوي للمحل الذي أستأجره لتعليم الأطفال الخط، كذلك طلب إكرامية سنوية من الدولة كمكافأة له على مجهوداته في تعليم الأطفال، فصرفت له الدولة المبلغ الذي دفعه للسكن، كما صرفت له الإكرامية السنوية التي طلبها، وأمرت المسؤولين بمكة بتخصيص مكان مناسب ليكون مقراً لتعليم الخط للأطفال[2] ، كما أسهم الأهالي بافتتاح العديد من كتاتيب الخط الخاصة، ومما وجد من هذه الكتاتيب فترة البحث:

**ـ كتاتيب آل غزاوي:**

كتاب الشيخ **فرج غزاوي** ومقره **دكة باب زيادة** داخل المسجد الحرام، وقد اشتهر الشيخ فرج ببراعته في فن الخط بأنواعه المختلفة وإتقانه للغة العربية وآدابها، وقد تخرج علي يديه علماء أجلاء منهم الشيخ محمد صالح المكي الحنفي فقد تعلم الخط العثماني أي "الثلث" على يد الشيخ فرج الغزاوي، وقد أقر الشيخ بمعرفة تلميذه بقوانين الخط وفنونه وأجازه بممارسته[3].

---

(1) مقادمي: التعليم الأهلي للبنين في مكة، ص٨٤.

(2) الأرشيف العثماني، وثيقة رقم ٥٩/٨٧، نقلاً عن سهيل صابان : نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص ١١٦ ـ ١١٧.

(3) عبد الستار الدهلوي: نثر المآثر، ق٣٤.

وقد ورث **أبناء** الشيخ **فرج الغزاوي** عن أبيهم فن الخط ، فأنشئوا عدداً من الكتاتيب لتعليمه، إذا أقام الشيخ **تاج الدين غزاوي** كتابه بدكة باب زيادة وقد تعلم من والده فن الخط وعلوم اللغة العربية(١).

أما الشيخ **سليمان غزاوي** فقد كان مقر كتابه بدكة باب القطبي، وكان لتعليم الخط والحساب(٢)، وممن تعلم على يديه الكتابة والإملاء وجودة الخط والحساب حسين عبد ا باسلامة(٣).

ومن أسرة الغزاوي ظهر **محمد فرج غزاوي** كان يدرس الخط **بمنزله**، كما أن تلاميذه كانوا من أبناء أمراء وأعيان مكة المكرمة(٤)، ومن البعيد أن يقال إن هؤلاء كان المال مطلبهم، فليس من المتوقع أن يمتهن أبناء الأمراء والأعيان مهنة الوراقة ونسخ الكتب، وإنما هو حباً في العربية لغة وكتابة على ما يظهر.

**- كتاب الشيخ إبراهيم حلواني المعروف بالخلوصي:**

من تلامذة الشيخ **تاج الدين الغزاوي** الذين تلقوا فن كتابة الخط على يديه، فخاف أستاذه في تعليم الطلاب الخط بكتابه الواقع بباب الزيادة ثم نقل الكُتاب خارج المسجد الحرام(٥)، ولعل سبب ذلك كثرة الطلبة بالكُتاب؛ فدعت الحاجة لنقله خارج المسجد حتى يتسنى للطلاب الاستفادة دون تضييق المسجد على المصلين.

**- كتاب الشيخ محمد الفارسي:**

وكان كتابه بالمسجد الحرام عند باب السلام(٦)، وممن أكمل فيه تعلمه الشيخ حسين عبد ا باسلامة (٧) .

---

(١) عبد الرحمن صالح عبد ا : تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص٥٥ـ ٥٦؛ عبد اللطيف بن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، ص٣١.

(٢) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، ص٢٩.

(٣) حسين عبد ا باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص أ.

(٤) عبد الرحمن صالح عبد ا : تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص٥٥ـ ٥٦؛ عبد اللطيف بن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، ص٣١.

(٥) مقادمي: التعليم الأهلي للبنين في مكة، ص٨٤.

(٦) الحبشي: الدليل المشير، ص ٤٨؛ الغزاوي: شذرات الذهب، ص٣٩٩.

(٧) حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص أ.

**ـ كتاب الشيخ حسن اللبني:**

كان لتعلم الخط والإملاء والحساب، ممن تعلم فيه الشيخ حسن بن محمد المشاط المالكي، قبل أن ينتقل إلى المدرسة الصولتية عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م)[١].

**ـ كتاب السيد علي بن حسين الكتبي:**

ويقع في **باب الزيادة** داخل الحرم المكي الشريف، وصف صاحب الكُتاب بأنه (كان من أتقنهم وأجملهم مظهراً ومخبراً ووقاراً وزياً وسبقاً)[٢] مقارنة بالمشايخ الذين تولوا تعليم الخط وفتحوا كتاباً له.

ويلاحظ أن أكثر هذه الكتاتيب كانت داخل المسجد الحرام عند **الأبواب الرئيسة،** إذ كان ارتباط الناس ولا يزال في تعليم القرآن الكريم بالحرم الشريف، والقرب من الأبواب لئلا يشغل الطلاب العباد من الطائفين والمصلين.

**رابعاً: مكاتب تعليم الفتيات:**

أمر الشرع الحنيف بطلب العلم وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة،قال رسول الله ﷺ: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم))[٣]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قالت النساء للنبي ﷺ، غلبنا عليك الرجال **فاجعل لنا يوماً من نفسك،** فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن، وأمرهن، فكان مما قال لهن: ((ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار، فالت امرأة: واثنين، فقال: واثنين))[٤] .

وقال رسول الله ﷺ: ((ثلاثة لهم أجران، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله تعالى وحق مواليه، ورجل كانت

---

(١) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص١٥٩.

(٢) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٤٨؛ الغزاوي: شذرات الذهب، ص٣٩٩.

(٣) ابن ماجة: السنن ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ج١، ص٨١، رقم ٢٢٤.

(٤) البخاري: الجامع الصحيح، ج١، ص ٢٣٦؛ مسلم: الجامع الصحيح، ج٤، ص ٢٠٢٨، برقم ٢٦٣٣.

عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها، **وعلمها فأحسن تعليمها،** ثم اعتقها فتزوجها، فله أجران))[١] .

كما أن النبي ﷺ طلب من **الشفاء بنت عبد ا العدوية**، وكانت من نساء العرب القارئات الكاتبات أن تستمر في تعليمها لأم المؤمنين **حفصة بنت عمر بن الخطاب** رضي ا عنهما، حتى بعد زواجه بها ﷺ [٢]، يضاف إلى ذلك إكثار الناس في الأخذ عن أم المؤمنين **عائشة** رضي ا عنها لموقعها من رسول ا ﷺ [٣].

ومن هذا المنطلق أولى أهالي مكة عناية خاصة بتعليم بناتهن، فكانت الفتاة الصغيرة لها نصيبها من التعليم الأولي في (الكُتاب) وتقوم بالتدريس فيه امرأة حازمة مهيبة ذات سمعة حسنة يطلق عليها (الفقيهة)، تدرس القرآن الكريم والقراءة والخط والإملاء ومبادئ الحساب ومبادئ العلوم الدينية والسيرة النبوية والأخلاق[٤]، وعادة ما تذهب الفتاة إلى الكُتاب ومقره منزل الفقيهة غالباً (متحجبة) بزي خاص يسمى (الغدفة) وهو عبارة عن ملاءة ترتديها الفتاة، وتحمل في يدها (قفة) مزركشة مصنوعة محلياً من الخيوط المحلاة بالألوان المختلفة من أخضر وأحمر وأصفر، وللقفة "دنادش" تحليها، وقد امتلأت بما تزوده الأم لابنتها من غذاء أو خبز أو فاكهة أو حلوى[٥]، وكانت كتاتيب الفتيات **تبدأ مع بداية الصباح من كل يوم وحتى بعيد الظهر**[٦].

وأما **مصاريف الكُتاب** فكانت في الغالب تقع على كاهل أولياء أمور الفتيات، إذ عليهم أن يدفعوا للفقيهة بالأسبوع وتسمى "الخميس" مقابل ما تبذله من جهد لتعليم

---

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله، ج١، ص ٢٢٩، برقم ٩٧؛ مسلم: الجامع الصحيح، ج١، ص١٣٤، برقم ١٥٤.

(٢) أبو داود: السنن، ج٤، ص ١١، برقم ٣٨٨٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ج٤، ص ١١.

(٣) روت أم المؤمنين عائشة (٢٢١٠) حديثاً وهي سادس المكثرين من الصحابة في الرواية، بعد أبي هريرة وابن عمر وابن عباس وجابر وأنس بن مالك رضي ا عنهم ، انظر السيوطي: تدريب الراوي، ج٢، ص ٢١٧.

(٤) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين، ص٣٢.

(٥) الغزاوي: شذرات الذهب، ص٤٥٨.

(٦) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين، ص٦١.

فتياتهم، وما تدفعه من مال لاستئجار المنزل وتحضير الماء، وغير ذلك من أمور[١]، وإن كن بعض الفقيهات يقمن بالتدريس تطوعاً رغبة في الأجر والثواب من ا [٢].

ومتى تمكنت الفتاة من أداء فروضها أو استطاعت أن تختم القرآن الكريم أو بعض سوره منحت **(الإصرافة) أو (الإقلابة)** وأقيمت لها حفلة كبرى ، توزع فيها الحلوى على الحاضرات من الأهل والقريبات والجارات، وتغدق الأم على الفقيهة بالهدايا والأعطيات [٣].

**وكانت بعض الكتاتيب تضيف** على حفظ سور القرآن والكتابة بعض **أشغال الإبرة** على منسج صغير يتعلمن عليه أعمال الخياطة[٤] .

**وقد جد عدد من الكتاتيب لتعليم الفتيات فترة البحث منها :**

- **كتاب "السيدة آشية":** وكان تأسيسه في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ومقره منزل مؤسسته بالمروة[٥].

- **كتاب الفقيهة فاطمة هانم التركية:**

أسسته صاحبته بدارها بحي أجياد عام (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م)، وكانت تدرس فيه القرآن الكريم والإملاء ومبادئ العلوم الدينية الحساب والاشتغال بالأعمال اليدوية، وتراوح عدد طالباته نحو خمسين طالبة[٦].

- **كتاب الشامية:**

أسس في أوائل القرن الربع عشر الهجري ومقره بالشامية[٧].

---

(١) المصدر السابق، ص٤٥٨.

(٢) إبراهيم عبد العزيز السليم: التعليم في حريملاء قديماً وحديثاً، (الرياض، دار الوطن للنشر والإعلام: ١٤١١هـ)، ص٨٢.

(٣) الغزاوي: شذرات الذهب، ٤٥٨.

(٤) محمد عمر رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٣١٩؛ الشامخ:التعليم في مكة والمدينة، ص٣٥، ٣٦.

(٥) تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام (١٣١٩هـ/ ١٤١٩هـ)، إعداد لجنة تحت إشراف الرئيس العام لتعليم النبات علي بن مرشد المرشد، (عدد خاص بمناسبة المئوية، ١٤١٩هـ)، ص١٦٠.

(٦) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما ، ص٣٦.

(٧) المرجع السابق، ص٣٢.

**ـ كتاب الشيخة صالحة:**

صاحبته فقيهة عمياء حافظة للقرآن من أهل دمياط تدعى الشيخة صالحة، انتقلت مع زوجها الإنجليزي عبد الهادي إلى مكة المشرفة وأقامت بها لتعليم القرآن الكريم للنساء والفتيات فاشتهر أمرها وأقبلت عليها بنات جنسها لقراءة القرآن [١].

**ـ كتاب الفقيهة خيرية خوجة:**

استطاعت السيدة خيرية خوجه عام (١٣٢٨هـ/١٩١٠م) فتح كتاب صغير بمنزلها بمنطقة بئر بليلة بأجياد، لتدريس القرآن الكريم تلاوة وحفظاً، ومبادئ العلوم الدينية والحساب والإملاء، وقد تراوح عدد الطالبات فيه ما بين ٢٠ إلى ٣٠ طالبة[٢].

**ـ كتاب الفقيهة أمينة هانم البورصلية:**

أسسته صاحبته أمينة هانم بمنزلها الصغير بحي أجياد ببئر بليلة عام (١٣٣٠هـ/١٩١٢م)، بهدف تعليم بنات جنسها كتاب ا تلاوة وحفظاً ، إضافة إلى مبادئ بعض العلوم الدينية ، والإملاء والخط، وتراوح عدد المنتسبات لهذا الكتاب ما بين ٢٥ ـ ٣٠ طالبة[٣].

**ومن النساء اللاتي تخرجن من كتاتيب مكة** وكان يشهد لهن بالعلم والصلاح بنات الشيخ محمد صالح بن فيض ا الكردي خديجة وفاطمة، فقد كانتا حافظتين لكتاب ا عن ظهر قلب بالتجويد وكانتا تقرآن وتكتبان إضافة إلى إتقانهما أشغال الخياطة والتطريز وغير ذلك[٤] .

**كما** انفردت مكة عن غيرها من المدن بوجود كتاتيب لتعلم اللغة الغير عربية كالهندية والجاوية وغيرهما، إضافة إلى القرآن الكريم والكتابة والقراءة وبعض مبادي الحساب، وكان الملتحقين بمثل هذه الكتاتيب من أبناء المجاورين كالهنود والجاوة، ويؤكد على وجود هذه الكتاتيب في مكة فترةَ البحث الشيخ الخطيب إذ

---

(١) أحمد الخطيب: القول التحيف، ق٣.

(٢) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، ص٣٦.

(٣) المرجع السابق، ص٣٦.

(٤) وهما أختا الشيخ محمد ماجد كردي صاحب المطبعة الكردية ، انظر : أحمد الخطيب: القول التحيف،ق ٧.

يقول: (أما ولدي عبد الملك خطيب كانت ولادته في ستة من ربيع الثاني من العام الخامس بعد الثلاثمائة والألف، فكان من صغره حاد المزاج حتى إنه إذا غضب دق برأسه في الجدار، فلما تهيأ للتعليم أدخلته في مكتب الجاويين رجاء أن يتعلم لغة الجاوى، فكان إذا أراد الفقيه ضربه عزم على إلقاء نفسه من الطاقة، فيخاف الفقيه من ذلك فيأخذه بالرفق واللين، فقرأ شيئاً من القرآن عند ذلك الفقيه ...)[1]، ويمكن مع شئ من الإغضاء اعتبار هذا الطالب **من الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة**، فقد كان بإمكان صاحب الكُتاب عدم قبوله ، لكن قبوله له يدل على اهتمام نوعاً ما بهذه الفئة، ويكون هذا العصر قد اهتم بهذا القطاع وإن لم تكن العناية من قبل الدولة.

**ونلاحظ من دراستنا للكتاتيب بمكة فترة البحث ما يلي:**

ـ كان انتشار الكتاتيب يمتد في مساحتين المساحة الزمانية بحيث شمل الفترة، والمساحة المكانية حيث كانت تتركز الكتاتيب بالمسجد الحرام والأحياء المجاورة، ولما اتسعت الرقعة السكانية ظهرت الكتاتيب في الأحياء البعيدة نسبياً، مما يؤكد حرص الدولة والأهالي على إنشاء هذه المؤسسات العلمية المهمة.

ـ تنوعت الكتاتيب، وإن كان أهمها كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم، إلا أن كتاتيب تعليم الكتابة والقراءة ومبادئ الحساب وكتاتيب تعليم فن الخط العربي كانت معروفة ومشهورة في فترة البحث، كما كانت الكتاتيب تؤدي دوراً اجتماعياً مهماً كمأوى للأيتام وجهة صرف على حاجاتهم.

ـ كان أهم ما أفرزته هذه الكتاتيب هي تلك الصورة الإيجابية عن النواحي العلمية فكانت تخرج الطلاب القادرين على إمامة الناس في صلاة التراويح بالحرم والمساجد المكية، كما كان لطلابها نواة المدارس النظامية، فلم تكن الدولة في حاجة لافتتاح المدارس الابتدائية لأن الكُتاب كان يقوم بهذا الدور في تعليم القراءة والحساب والكتابة، إضافة إلى تعليم القرآن الكريم ومن هنا ندرك أن المدارس الحديثة التي افتتحت لاحقاً كانت في معظمها رشدية وليست ابتدائية.

---

(1) أحمد الخطيب: القول التحيف، ق٨.

ـ تعددت جهات الإنفاق على الكُتاب ابتداءاً بالدولة والسلاطين والأمراء والحكام والأعيان وانتهاءاً بالأهالي ومحبي العلم، وقد أوقفت الأوقاف الكثيرة في جهات مختلفة سواء بمصر أو مكة، ومن ثم صرف ريعها على الكتاتيب، فضمنت لنفسها موارد مالية كانت كفيلة ببقائها أطول فترة ممكنة، كما حظيت بنظام إداري وعلمي أتاح لها أن تؤدي مهمتها التعليمية على خير وجه.

ـ لم يكن من المستغرب أن يكون ثمة كتاتيب تدرس الفتيات القرآن الكريم فإن الرعيل الأول من المؤمنين لم يكن قاصراً على الصحابة، بل من المؤمنات الفضليات من أسهم في بناء الدولة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، واستمر المسلمون على هذا المنهج في تعليم المرآة العلم النافع والقرآن الكريم واستمر ذلك طيلة فترة البحث ولا يزال حتى يومنا هذا و الحمد.

ـ أن أغلب الكتاتيب الأهلية كانت تأخذ مقابلاً مادياً من الطلبة عكس الكتاتيب العامة التي كانت تقوم بعملها بدون مقابل من الطلاب، بل ربما تعطي الطلبة بعض الحوافز التشجيعية، ومن المفترض أن صاحب الكُتاب الخاص كان لا بد أن يعطي شيئاً من التميز في الأداء والمكان والخدمات حتى يجذب الطلاب له، وقد يكون التميز وجود الكُتاب في حي ليس به كتاب، كما قد يكون في شخصية الفقيه أو المؤدب ونحو ذلك.

ـ إن أسلوب التعليم في الكتاتيب جمع بين الرغبة والرهبة، وهو الأسلوب الأمثل مطلقاً وهو يتوافق مع القرآن الكريم قال تعالى عن أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾[١] .

فكان من أنواع **الرهبة:** استخدام النظرة القاسية والضرب التأديبي أو التلويح به، كما كانت من أنواع **الرغبة:** الحلوى والهدايا وحفلات التخرج كالإصرافة والإقلابة، والتي تحفز وتشجع من لم يختم القرآن إلى سرعة الحفظ حتى يلتحق بالركب الإيماني المتميز.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

## المدارس

تعد المدارس[١] أحد أهم المؤسسات التعليمية الحضارية، فهي عبارة عن مبنى لتلقي العلم هيئ بكيفية مخصوصة تلائم عملية التعلم، وزود بما ييسر أسبابه للمقبلين عليه، بهدف إيجاد مناخ دراسي ملائم ومشجع يجذب نحوه الطلبة[٢].

وقد شهدت **مكة** أول مدرسة في الإسلام وهي **دار الأرقم** بن أبي الأرقم[٣].

أما المدارس النظامية فقد عرفتها مكة مؤخراً، وكان أول ظهور لها بها في الربع الأخير من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بأمر من السلطان صلاح الدين الأيوبي[٤]، حيث أسس نائبة مدرسة الزنجيلي[٥]، ثم تنافس المسلمون من حكومات وأفراد في إقامة المدارس بجوار الحرم بعد ذلك وكانوا يوقفون عليها أوقافاً في المناطق المجاورة لها أو خارج الحجاز كالشام ومصر[٦].

---

(١) المدارس والمدرس: الموضع الذي يدرس فيه، والمدرس: الكتاب، والمدراس الذي يقرأ الكتب ويدرسها، ودرس الكتاب، يدرسه درساً ودراسة. ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص١٣٦٠؛ الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص٧٠٢.

(٢) عرفها بعض المؤرخين بأنها: "المسجد الجامع الذي أقيمت في حرمه بيوت لسكن فريق للجميع فيه سبل البحث والدراسة والمعيشة وأجريت عليهم الجرايات الوافرة". انظر: أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، (القاهرة، دار المعارف: ١٩٦٩م)، ج٢، ص١٩٢.

(٣) هو الصحابي الجليل الأرقم بن أبي الأرقم بن أسد بن عبد ا بن عمر بن مخزومة، من السابقين الأولين، شهد بدراً توفي بالمدينة سنة ٥٣هـ، وقيل ٥٥هـ/٦٧٤م، ابن الأثير:الكامل في التاريخ،(دار صادر)،ج٣، ص٣٤٧.

(٤) هو السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين (ت٥٨٩) ، تولى سلطنة مصر والشام، واستطاع أن يطرد الصليبين من الكثير من الإمارات الإسلامية أهمها بيت المقدس وطبرية وعسقلان وحطين. انظر: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، (ط٦، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٩٨١م)،ج٢١،ص٢٧٨.

(٥) أسسها فخر الدين عثمان الزنجيلي نائب السلطان صلاح الدين الأيوبي ، عند باب العمرة عام (٥٧٩هـ/١١٨٣م)، وخصصها لدراسة الفقه الحنبلي والتفسير ، عرفت بدار السلسلة ، ثم بمدرسة الزنجيلي نسبة إلى مؤسسة، انظر: الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٦٠٣.

(٦) عبد الغني بن إسماعيل النابلسي: الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى مصر والشام والحجاز، (لقاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٨٦م)، ص ٤٥٣ـ ٤٥٤؛ ناجي معروف: مدارس مكة، (بغداد ، مطبعة الإرشاد) ص٢٧؛ عبد القادر محمد بن عمر النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، (دمشق، المجمع العلمي: ١٩٤٨م)، ج١، ص٤٣١ـ ٥٣٥.

وهذا يدل على أمرين: **الأمر الأول:** القناعة الفكرية لدى المسلمين بأن المدارس أصبحت دور علم يتقرب بها إلى الله تعالى بإنشائها والإنفاق عليها لما رأوه من النفع والخير الذي عمت آثاره المناطق التي أنشئت فيها.

وأما **الأمر الثاني:** فهو الجانب العلمي الذي تبنته هذه المدارس ودورها في النهوض بالناحية العلمية، وحرص المسلمين على أن تكون هذه الهيئة بالبيت الحرام أسوة بعواصم الثقافة في العالم الإسلامي.

وقد انتشرت في مكة فترة البحث **ثلاثة أنواع من المدارس**:

**١ ـ مدارس ملحقة بالمسجد الحرام وبمحيطه.**

**٢ ـ مدارس حكومية نظامية حديثة.**

**٣ ـ مدارس أهلية نظامية حديثة.**

وكان لكل نوع أسباب ودوافع أدت إلى إنشائه، وأهداف وغايات تربوية وتعليمية يصبوا إليها، وطرق صرف مختلفة تموله.

**أولاً: المدارس الملحقة بالمسجد الحرام ومحيطه:**

وهي مدارس أنشأها السلاطين والوزراء والأعيان والعلماء، وكان التعليم فيها منصباً على العلوم الدينية كتفسير القرآن وعلوم القراءات، والفقه وأصوله والحديث وعلومه، واللغة العربية بصرفها ونحوها، مع شيء من الاهتمام بعلوم البلاغة والفلك والحساب، وأهم ما يميزها أن أصحابها أوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة، خاصة مدارس السلاطين أو الأمراء، والتي أوقف عليها أوقاف كثيرة بمصر من قرى وضياع بل أقاليم بأكملها، كفلت بقاءها واستمراريتها، وكانت معظم هذه المدارس ملحقة بالمسجد الحرام أو محيطه، وملحق بمعظمها خلاوي لسكن المعلمين مثل المدارس السليمانية ومدرسة داود باشا[1].

---

(1) دار الوثائق: حجة وقف داود باشا، حجة شرعية، رقم ٣٢٠، محفظة ٤٧، ص٢١؛ عبد الله الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين، (مطبوع على هامش كتاب الواقدي: فتوح الشام، القاهرة، مطبعة المشهد الحسيني: ١٣٦٨هـ)، ج٢، ص١٧٨ ـ ١٨٠.

ومما لا شك فيه أن مثل هذه الخلاوي تحقق عدة أهداف للمدرس والطالب والمدرسة، فهي من جهة تزيح عن المعلم عناء البحث عن سكن قريب من المدرسة وفي نفس الوقت توفر مقاربة علمية بين المدرس والطالب للتجاور في المسكن، مما يتيح للطالب التعلم في حياته اليومية بعيداً عن قاعة الدرس، كما أنه يستطيع أن يستفيد من المكتبة المتوفرة بالمدرسة في غير وقت الدرس.

كما أن الكثير من المدارس ألحقت بها أربطة لكي يسكن فيها الطلبة[1] ومما هو مؤكد أن تأمين السكن للطالب، يجعله في غنى عن العمل من أجل توفير أجرة مسكن له أو لعائلته إن كان متزوجاً خاصة هؤلاء القادمين إلى مكة من أقطار العالم الإسلامي المختلفة طلباً للعلم، فحين يجد الطالب بأن هذه المدارس كفلت له السكن فإنه يتفرغ لطلب العلم بنفس مستقرة وذهن صافي، ومن ثم يؤدي المهمة التي قدم من أجلها بنجاح.

ونزول العلماء والمدرسين وطلاب العلم بالمدارس يتيح لطلاب المدرسة مناقشة ومناظرة بعضهم بعضاً، ويوسع آفاق المتعلم للإطلاع على علوم أخرى غير التي يدرسها في مدرسته، وهذا يثري الحياة العلمية ويجعلها في نشاط وحيوية دائمين، ويعزز من قدرات الطلاب والمدرسين أيضاً.

كما ألحقت بالعديد من المدارس مكتبات لطلبة العلم لتكون الكتب ميسرة بين أيدي الطلاب، وقد وضعت أنظمة الإعارة للكتب بطريقة تحفظ الكتاب من التلف أو الضياع وفي نفس الوقت تعم فائدتها لكافة الطلبة[2].

ومما لا شك فيه أن توفير الكتاب للطالب يجعله في غنى عن البحث عن المعلومة بالمكتبات العامة، والتقيد بأوقات فتحها، كما أنه يوفر عليها مادياً شراء الكتب، كما أن وجود المكتبات الكبرى بالمدرسة كان عامل جذب وشهرة للمدرسة فإذا عرف عنها أنها تحوي مكتبة تضم كافة فروع العلم والمعرفة تسابق عليها الطلبة للدراسة بها.

---

(1) محمد عمر رفيع: مكة في القرن الرابع عشر، ص٢٠٠.

(2) أوليا جلبي: الرحلة الحجازية، ص١٣٨.

ومن حسنات هذه المدارس أنها كانت تحدد مبالغ مالية تصرف على الطلبة الملتحقين بها إضافة إلى مؤنة سنوية من حب وغيره كمساعدة لهم في تحمل أعباء الحياة والتفرغ لطلب العلم، إضافة إلى ما تقدمه المدرسة من خدمات اجتماعية أخرى كتوفير الماء، إذ أن معظم المدارس كان ملحق بها سبيل، كما عينت الكثير من المدارس سقاة لتوفير ماء زمزم لساكني المدرسة[١].

ويعمل بالمدرسة **ثلاث هيئات علمية وإدارية وفنية** وأهمها الهيئة العلمية والمكونة من **المدرس**: وعادة ما يكون من المشهور لهم بالعلم والصلاح، **والمعيد**: ومهمته إفهام الطلبة الدرس، وذلك بإعادة ما ألقاه المدرس عليهم، وتسميعهم الدرس وتفهيمهم ما غمض عليهم أو غفلوا عن فهمه أثناء شرح المدرس، وكان ينوب عن المدرس في شرح الدرس للطلبة إذا غاب المدرس لظرف ما.

إضافة إلى الهيئة المعاونة والتي تشمل **هيئة إدارية** مكونة من الناظر أو المتولي، وهو المسئول الأول عن الإشراف على مباني المدرسة وموظفيها وعمارة أوقافها، وإجاراتها وقبض أثمانها وصرفها وفق شرط الواقف، والخدمة المعاونين من فراشين وبوابين، **أما الهيئة الدينية** فتشمل الإمام والخطيب والمؤذن وقارئ القرآن الكريم[٢].

ولم تمدنا مصادر تاريخ مكة بوصف دقيق لنظام التعليم بالمدارس الدينية التي وجدت بمكة فترة البحث، ولكنها اكتفت بسرد موجز لهذه المدارس يعثر الباحث في ثناياه على عبارات تدل دلالة قريبة أو بعيده على شيء من هذا النظام.

وعلى كل فانتشار المدارس بمكة في مختلف أرجائها فترة البحث، لا بد أن يتزامن مع حركة علمية واضحة المعالم وهو ما وجدنا أثره في المؤلفات ولاسيما التي كانت توضع على الكتب التي تدرس بالمدارس والحلقات العلمية.

---

(١) باسلامة: تاريخ الكعبة ، ص٧٧ـ ٧٩؛ عبد الرحمن محمود عبد التواب، قايتباي المحمودي ، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٨م)، ص٢١٨

(٢) محمد الخطيب: تاريخ التربية الإسلامية، ص٨٦ـ ٨٩.

**ومن أهم المدارس الدينية التي وجدت بمكة فترة البحث:**

**- المدرسة الباسطية:**

وتقع في الجانب الشمالي من المسجد الحرام[1]، ويعود تاريخ إنشائها إلى عام (٨٢٦هـ/١٤٢٣م)، إذ أمر ببنائها الوزير عبد الباسط[2] على باب العجلة على يسار الداخل إلى المسجد الحرام، بحيث تشرع شبابيكها على المسجد، وأنشأ بها خلاوي في غاية الإتقان والاستحكام، ، وبني معها سبيل بجانبها[3]، وأوقفها على أئمة مقام الحنفي، وعرفت بمدرسة العجلة[4]، ثم عرفت بعد ذلك بالباسطية نسبة إلى منشئها وكان يقوم بأمرها السادة البخاريون الواردون إلى مكة من العلماء أو ممن بقي للعلم والمجاورة، أما الصرف على المدرسة والمدرسين والطلبة فقد أوقف لها منشئها الكثير من الأوقاف بمصر والتي كفلت الصرف عليها طيلة فترة البحث، وكانت هذه الأموال تصلها مع الصرة كل عام ، فقد وجدنا وثيقة عثمانية من وثائق صرة الجوالي يعود تاريخها إلى سنة (١٢٠٨هـ/١٧٩٣م) تؤكد على بقاء هذه المدرسة في أداء رسالتها العلمية، فقد جاء فيها أن محمد الإسكندري كان يدرس بها مقابل راتب، إذ نصت على أن: (مرتب وظيفة محمد الإسكندري المالكي المدرس ببيت ا الحرام، والباسطية، مقابل [٢٨٠] بارة)[5].

---

(١) حسين باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم، (جدة: ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص١٣٠. وانظر موقع المدرسة بالنسبة للمسجد الحرام الملحق، ٤/د.

(٢) هو الوزير عبد الباسط بن خليل الدمشقي، تولى نظر الجيش في عهد السلطان جقمق المملوكي، توفي عام (٨٥٤هـ/١٤٥٠م)، الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص٣١٥.

(٣) المحبي: خلاصة الأثر، ج٢، ص١٨٠، علي بن موسى: رسالة في وصف المدينة، نشر: حمد الجاسر ، ضمن مجموعة تحت عنوان "رسائل في تاريخ المدينة المنورة" (الرياض، دار اليمامة) ص٥١ـ ٥٢.

(٤) الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٦٠٣؛ الصباغ: تحصيل المرام ، ج٢، ص٦٢٠؛ عدنان محمد فايز الحارثي: عمارة المدرسة في مصر والحجاز في القرن ٩هـ/١٥م، دراسة ومقارنة، (رسالة دكتوراه منشورة، جامعة أم القرى، مكة: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ج١، ص١٧٣.

(٥) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر صرة الجوالي، ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م، ع ٥٨٧٦، حفظ نوعي ٦٣٣، عين ٧٦، مخزن تركي ١.

وقد ذكر باسلامة في تاريخه أن المدرسة ظلت باقية على حالها في عصره)[1] وقام بوصفها فذكر أنها: (.. في غاية الإحكام والإتقان ولا تزال هذه المدرسة على حكمها إلى العصر الحاضر، وهي على شمال الداخل من هذا الباب ـ باب الباسطية ـ إلى المسجد الحرام، .. وللمدرسة شبابيك مشرفة على المسجد الحرام، وسبيل إلى جانب المدرسة باقية إلى الآن بيد النجارين أئمة المقام الحنفي، ويسكنها الأعيان الواردون إلى الحج ، وكانت عليها أوقاف بمصر دثرت الآن..)[2].

والظاهر أن المدرسة كانت قائمة كمبني فقط حين أرخ لها في زمنه، ولم تكن مدرسة تؤدي وظيفتها التعليمية، وا أعلم.

**ـ المدارس السليمانية:**

قرر السلطان سليمان القانوني إنشاء مدرسة بمكة حباً في نشر العلم وطلباً للأجر والمثوبة من ا على ذلك، فجاء الأمر بإنشاء أربع مدارس تدرس كل منها أحد المذاهب الأربعة، وأقيمت المدارس السليمانية الأربعة في موضع المدرسة الغياثية[3]، ووضع حجر الأساس قاضي مكة عام (٩٧٢هـ/١٥٦٤م)، ومن ثم شرع في البناء الذي استكمل عام (٩٧٤هـ/١٥٦٦م ) في عهد السلطان سليم الثاني بن سليمان[4]. ولعل ذلك يعود إلى ضخامة البناء وارتفاع كلفته مما أخذ مدة في البناء.

كما أنها حوت خلاوي للمنتسبين للمدرسة من المدرسين يجلسون فيها ويقررون بها الدروس[5]، إضافة إلى مساكن للطلبة والمعاونين، والفراشين، وأوقف

---

(1) ولد باسلامة نهاية الوجود العثماني بمكة، وتعلم في كتاتيبها في هذا العهد، توفي عام (١٣٦٤هـ) ، انظر مقدمة كتابه : تاريخ المسجد الحرام، أ ـ ب.

(2) باسلامة: تاريخ المسجد الحرام، ص١٣٠.

(3) المدرسة الغياثية: أسسها الملك المنصور غياث الدين بن المظفر أعظم شاه صاحب بنجالة من بلاد الهند سنة (٨١٣هـ)، تقرر أن يدرس فيها المذاهب الأربعة لستين طالباً يتولى التدريس لهم قضاة مكة، كان لها أوقاف في ضواحي مكة، ويقسم ريعها بين الطلاب والمدرسين ومتطلبات الصيانة، انظر: الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٦٠٤؛ النجم عمر بن فهد: اتحاف الورى، ج٣، ص٤٨٥.

(4) قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي : الإعلام بأعلام بيت ا الحرام،(دار الكتب) ص٣٣٤ـ ٣٣٥؛ علي الطبري: الارج المسكي، ص٣٣.

(5) غازي: إفادة الأنام، ج٣، ق ٢٢٢.

السلطان سليمان أوقافاً بالشام، يرسل ريعها سنوياً إلى مكة للصرف على المدارس، و حدد الرواتب التي تدفع للطلبة والمدرسين، حيث عين لكل مدرس خمسين قرشاً عثمانياً، في كل يوم، أما المعيد فله أربعون قرشاً يومياً ، ولكل مدرس خمسة عشر طالباً، ويمكن لنا أن ندرك الاهتمام الواضح بالطلاب من خلال عدد الطلبة لكل مدرس، فإن العدد القليل "١٥ طالباً" يمكن المدرس من الاعتناء الخاص بالطالب ومراعاة الفروقات الفردية ورعاية المواهب المختلفة ، كما حددت مكافآت للطلبة عبارة عن قرشين يومياً تصرف لهم تشجيعاً لهم على طلب العلم كي يتفرغوا للدراسة والطلب، كما حدد للفراش والبواب قرش يصرف له يومياً لكي يعتني بنظافة المدرسة وترتيبها، واشترط تدريس المذاهب الأربعة فيها، ثم درس الحديث بدلاً من المذهب الحنبلي، لعدم وجود مدرس أهل للتدريس بهذا المنصب، ومع نهاية القرن العاشر درست جميعها المذهب الحنفي[1]، وقد اعتنى الواقفون على المدرسة بمبنى المدرسة فتعاهدوه دوماً بالعمارة والترميم كي يظل يؤدي دورة التعليمي ولا يؤول للخراب ففي عام (١١٣٧هـ/١٧٢٤م) تم إعادة بناء وترميم المدرسة[2].

وقد تبوأت المدرسة السليمانية مكانة مرموقة بين مدارس مكة، حتى إن الرحالة الأوروبي ليون روش الذي زار المدرسة عام (١٢٥٨هـ/١٨٤٢م)، أطلق عليها "**الجامعة السليمانية**"، إذ رأي أن علماءها كانوا كبار السن ولهم حرمة كبيرة ولهم امتياز في إلقاء دروس الدعوة (الوعظ) على كرسي الحرم[3]. فعلى الرغم من كونها من المدارس القديمة التي أنشئت بداية العهد العثماني ورغم مرور زمن على تأسيسها، وأنها عاصرت مدارس كان من أنشأها من كبار السلاطين العثمانيين إلا أنها صارت متميزة بعلمائها الذين برزوا بين كوكبة علماء مكة مارسوا التدريس بالمسجد الحرام والمدارس المنتشرة حوله.

---

(١) النهروالي : الإعلام بأعلام بيت ا الحرام، ص ٢٩٥ـ ٢٩٦.

(٢) محمد عبد اللطيف هريدي: شئون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية ( القاهرة ، دار الزهراء)، ص٥١.

(٣) بلقاسم سعد ا : رحلة ليون روش إلى الحجاز، ص٢٧٧.

ومما يؤكد سمو مكانة المدرسة السليمانية بين المدارس الأخرى والتي ظلت تؤدي دورها التعليمي الديني بريادة منقطعة النظير أن الحكومة العثمانية عندما أنشأت المدرسة الرشدية بمكة عام (١٣٠١هـ/١٨٨٣م) انتخبت مجموعة من طلبة المدرسة السليمانية ليكونوا نواة للمدرسة الرشدية[١] دون غيرهم من طلاب المدارس رغم انتشار العديد من المدارس الدينية في هذه الفترة، كما أن اختيار عدد من طلاب المدرسة السليمانية دون غيرها يدل على المستوى التعليمي الذي يتمتع به الطلبة.

ولمكانة المدرسة العلمية في المجتمع المكي كانت ملتقى العلماء والباحثين عن العلم والمعرفة، فقد كان علماء مكة والقادمون إليها من أهل العلم وطلابه يلتقون فيها للتباحث، في القضايا العلمية، فيذكر عبد الستار الدهلوي أنه في عام (١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م) اغتنم فرصة وجود شاعر المدينة عبد الجليل براده بن عبد السلام براده المدني بمكة فترة من الزمن، والتقى معه عدة مرات بإحدى قاعات المدرسة السليمانية وتباحث معه في بعض القضايا العلمية[٢].

ولعل تقابل العلماء بها كان تحت نظر شيخ العلماء بها، فقد تميزت هيئة التدريس بالمدرسة أن لها شيخاً يقوم بشؤونها العلمية ويشرف على سائر المعلمين فتذكر لنا المصادر التاريخية أن الشيخ أسعد بن أحمد الدهان الحنفي (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م) من مدرسي المدرسة السليمانية، عينه الشريف الحسين بن علي **شيخاً** على أهل المدرسة السليمانية، إضافة إلى عدد من الوظائف منها التدريس براتب بالمسجد الحرام[٣].

وقد تولى التدريس بها جمع من علماء مكة والمجاورين لها ظهر منهم فترة البحث عدد كبير لعل من أبرزهم: مفتي مكة عبد القادر الصديقي الحنفي (ت١١٣٨هـ/ ١٩١٩م)[٤]، فقد اشترطت المدرسة أن يتولى التدريس بها مفتي

---

(١) سالنامه ولاية الحجاز، ع ١، عام ١٣٠١هـ، ص٦٤.

(٢) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق٧٠.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٦.

(٤) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٢، ص٢٠٨؛ مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٦.

مكة[1]، وهذا يدل على حرص الواقف على أن يتولى التدريس بها كبار العلماء إذ كان المفتي آنذاك يتم اختياره من كبار العلماء وأن يكون على قدر كبير من العلم والفقه والأدب.

ولم يكن التدريس بها حكراً على علماء مكة بل تولى التدريس بها علماء أتراك معينين أو علماء مجاورين، فممن باشر التدريس بها في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي من العلماء الأتراك **علاء الدين أبو الفضل**، درس الفقه الحنفي بالمدرسة[٢]، وكان يتميز بمعرفته التامة باللغة العربية، وله عدد من المؤلفات، كما كان له اهتمام بمساجد القبائل الموجودة بالحجاز، فأفرد لها مصنفاً سماه "جامع الفضائل في مساجد القبائل"[٣].

وممن تولى التدريس بالمدرسة السليمانية **أحمد بن محمد الداغستاني،** قدم مكة مجاوراً، فتلقى العلم بها على عدد من علمائها، وحين أذنوا له بالتدريس باشره بالمدرسة السليمانية وظل في عطائه العلمي ما بين إفادة الطلبة والتدريس، والعكوف على التأليف والتصنيف حتى توفي عام (١٢٩٥هـ/١٨٧٨م)، له "شرح على صحيح البخاري وتفسير للقرآن الكريم"[٤].

وبرغم العناية التي كانت تشهدها المدرسة السليمانية من قبل القائمين عليها إلا أنها لم تسلم ما بين فترة وأخرى من استيلاء الأيدي على بعض مبانيها، ففي منتصف القرن الثالث عشر الهجري كانت المدارس السليمانية اثنتان منها بالقرب من باب الزيادة تداولتها الأيدي وحولتا إلى محكمة[5]، غير أن الحكومة قررت نقل المحكمة وإخلاء المدرستين، وإعادتهما لسابق عهدهما، أما المدرستان الأخريتان وهما بجوار باب السلام فقد وضع يده عليهما أحمد باشا وزير الحربية بمصر حين

---

(1) دار الوثائق : محافظ الأبحاث، دفتر ٢٨، وثيقة رقم : ٥٦٧، تاريخ ٧ شعبان، ١٢٤٢هـ.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٦.

(٣) أبو الفضل علاء المدرس: جوامع الفضائل في مساجد القبائل، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم : ٩٦ م ، تاريخ تركي، ق ١، ٢.

(٤) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٨٧.

(5) انظر لموقع المدارس ملحق ٤/د.

كان والياً على جدة، وحولهما إلى قصر، وقد طلبت الحكومة بهدم ما بناه وإعادتها إلى حالتها الأساسية[1].

ومع نهاية فترة البحث تم بيع إحدى المدارس على أحد تجار جدة المشهورين ويدعى عبد ا   باناجه لتأجيرها كمنزل في موسم الحج، وقد قوبل بعدد من العراقيل أخرت تسليم ولاية الحجاز المدرسة له، منها أن المدرسة كانت تضم مكتبة كبيرة ولا تدري السلطة أين تنقلها لعدم توفر مكان مناسب لها[2].

**ـ المدرسة الداودية:**

أقيمت المدرسة الداودية بالجانب الغربي من المسجد الحرام على أنقاض مدرسة الملك المنصور عمر بن علي صاحب اليمن[3]، بين باب إبراهيم وباب العمرة[4]، وسميت بالداودية نسبة إلى منشئها داود باشا والي مصر في القرن العاشر الهجري[5]، وكان على باب مقر الطلبة في شارع السوق الصغير حجر مكتوب فيه اسم منشئ المدرسة وتاريخ إنشائها ومن قام بالعمل عليها، وجعل فيها مدرساً من أهل العلم والدين والصلاح حنفي المذهب يقرره الناظر، ويبدأ المعلم دروسه مع الصباح الباكر وهي في العلوم الشرعية، وله من الأموال ثلاثمائة نصف فضة، كما

---

(1) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، وثيقة رقم: ٢٠/ ٤ و ح ج .

(2) سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص ١٧٦.

(3) الملك المنصور عمر بن علي أول سلاطين الدولة الرسولية باليمن والتي أنشئها عام ٦٢٨هـ ـ /١٢٣٠م) واتخذ من تعز عاصمة لها، اغتيل غدراً عام (٦٤٧هـ ـ/١٢٤٩م)، عمر بمكة المدرسة المنصورية وأوقف عليها أوقافاً كثيرة وأوقفها على الفقهاء الشافعية، انظر: علي بن الحسن الخزرجي : العقود اللؤلوية في تاريخ الدولة الرسولية، (ط٣، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني: ١٤٠٣هـ ـ/ ١٩٨٣م)، ج١، ص٨١.

(4) عمر بن محمد ابن فهد : اتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق : فهيم محمد شلتوت، (ط١، مكة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي جامعة أم القرى)، ج٣، ص ٦٠؛ الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٦٢١؛ غازي: إفادة الإنام، ج٢، ق٤٦٣. وانظر موقع المدرسة بالنسبة للمسجد الحرام الملحق ٤/د .

(5) وهو داود باشا الخادم ، عين والياً على مصر عام ٩٤٥هـ ـ/١٥٣٨م، واستمر في حكمه لمصر أحد عشر عاماً وشهرين إلى أن توفي عام ٩٥٦هـ ـ/١٥٤٩م، انظر : ابن الوكيل : تحفة الأحباب ، ص١٥٢.

كان يدرس فيها القرآن الكريم[1]، وحددت العطلة في المدرسة بيوم الجمعة وعيد الفطر وستة من ذي الحجة الحرام[2].

وكانت المدرسة تحتوي على مساكن للطلبة مؤلفة من طابقين في كل طابق غرف تدور على ردهة مكشوفة وفي الردهة صنابير وبيوت للخلاء[3].

ومع تطاول السنين على المدرسة أصابها الإهمال والخراب في بعض أجزائها حتى إن سكانها من طلبة العلم والفقراء أرسلوا للدولة العثمانية معروضاً عام (١٢٣٥هـ/١٨١٩م) يوضحون فيه حالة المدرسة وأنها أشرفت على الخراب وأوشكت جدرانها على السقوط، وإن الإقامة بها خطرة وصعبة للغاية، وطالبوا في المعروض ترميم المدرسة وإصلاحها[4].

وحاولت الدولة جاهدة ترميم المدرسة، خاصة مساكن الطلبة، غير أن الخراب كان قد استفحل بها وانتهى المطاف إلى أن آلت ملكية بعض أجزائها إلى الشريف عبد ا بن محمد بن عون أثناء إمارته، كما انتزع حجرتين من الطابق الأرضي من سكن الطلبة ليجعلها طريقاً ينفذ منها على مدخل باب العمرة، وعوض الطلبة ببناء حجرتين في السطح في البناية الخاصة بسكناهم[5].

ومع كل هذه الصعاب الاقتصادية التي مرت بالمدرسة وحالت دون بقائها كما أرادها صاحبها و أقامها على أساسها،إلا أنها ظلت صامدة أمام الظروف التي مرت عليها في سبيل الاستمرار في أداء رسالتها التربوية والتعليمية التي أنشئت من أجلها، بل كان العلماء حريصين على الالتحاق بالهيئة التعليمية لهذه المدرسة، ففي عام (١٢٧٦هـ/ ١٨٦٩م) ذهب زكريا داغستاني إلى اسطانبول للحصول على وظيفة التدريس بالمدرسة لكونها شاغرة، بتزكية من مدير المدرسة والمسئول عنها

---

(1) دار الوثائق: حجة وقف داود باشا، ٣٢٠، محفظة ٤٧، ص ٢٢ ـ ٢٥.

(2) محمد بيومي: مخصصات الحرمين الشريفين، ص٣٦٢.

(3) محمد عمر رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٢٠٠.

(4) الأرشيف العثماني، وثيقة رقم٢٩٣١٤، نقلاً عن سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز "الأوقاف ـ المدارس ـ المكتبات"، (الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص١٢.

(5) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، وثيقة رقم: ٣ / ١٢٠/ و ح ج.

حسن أفندي ، فقد ورد في وثيقة مؤرخة عام ١٢٧٦هـ وصادره من ديوان مكة المكرمة أنه: (..تم منح زكريا أفندي الداغستاني تذكرة المرور للتوجه إلى استانبول بغية الحصول على وظيفة التدريس الشاغرة في المدرسة الداودية الواقعة في مكة المكرمة ، وقد منحت له هذه التذكرة بناء على إفادة حسن أفندي المدرس بالمدرسة المذكورة)[١].

وممن تولى التدريس بالمدرسة الداودية وسكن بها، عبد ا السراج الرومي الحنفي (ت١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م)، قدم مكة وجاور بها وتولى التدريس بالمدرسة الداودية وسكن بها على شرط الواقف، وصف بأنه أحد أكابر العلماء والمدرسين استفاد من علمه عدد كبير من مشايخ مكة الذين تتلمذوا على يديهم منهم مفتي مكة عبد ا بن عبد الرحمن سراج الحنفي[٢].

كذلك سكنها وعمل بها مدرساً عبد الكريم بن حمزة الداغستاني الشافعي (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م)، أخذ العلم من علماء بلاده داغستان، ثم رحل إلى العراق عام (١٢٨٨هـ/١٨٧١م)، ومكث يدرس ويفيد حتى عام (١٢٩٦هـ/١٨٧٨م)، بعدها رحل صوب مصر، فقرأ على علمائها، وأخذ عنهم، ثم توجه إلى مكة واستقر بها، ولازم دروس عبد الحميد الداغستاني الشافعي وقرأ عليه الفقه والحديث وأجازه بجميع مروياته، وتصدر للتدريس بالمسجد الحرام وفي الداودية، وكانت دروسه في التفسير والفقه وأصوله والحديث والبلاغة والنحو والفلك، وأخذ عنه كثير من علماء مكة وطلابها [٣].

كما درس بها الكثير من المشايخ بالخلاوي التابعة للمدرسة واستفاد من علمهم جمع غفير من الطلبة، فممن تولى التدريس بخلوته بالمدرسة الداودية عمر

---

(١) الأرشيف العثماني ، وثيقة رقم ٩١/٢٠، نقلاً عن سهيل صابان: نصوص عثمانية، ص١٢٢.

(٢) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ١٤٥.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٧٩.

بن حسين الداغستاني[1]، ومحمد بن علي الرهبيني الشافعي، كانت له خلوة بالمدرسة يدرس فيها طلابه من الأندونيسيين القرآن الكريم والتجويد[٢]

وعبد الستار بن عبد الوهاب أبو الفيض الدهلوي، (ت١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)، التحق بالمدرسة الصولتية وأخذ عن شيوخها ومنها تخرج، ثم لازم حلقات الدرس بالمسجد الحرام وأخذ عن علمائه منهم أحمد دحلان، وعبد الرحمن سراج، كذلك أخذ عن الوافدين على مكة كعبد الجليل برادة، درس بالمسجد الحرام، وكانت حلقة درسه عند باب المحكمة الشرعية بعد صلاة العصر كما كان يدرس التفسير والحديث ومصطلح الحديث، في خلوته برباط الداودية، وأخذ عنه عدد من طلاب العلم توفي بمكة مخلفاً آثاراً من مؤلفاته الخطية تشهد له بغزارة العلم وسعة الإطلاع في الحديث ومصطلحه وأسانيده والتاريخ والتراجم[٣].

**ـ المدرسة المرادية:**

أنشأها السلطان العثماني مراد الثالث[٤] بمكة عند الصفا بالجهة الشرقية من المسجد الحرام [5]، وقد أوقف عليها عام (٩٩٧هـ/١٥٨٨م) عدداً كبيراً من القرى بمصر، وعين للمدرسة مدرساً وعشرة طلاب يدفع لهم راتباً سنوياً قدره [١٥٠] ديناراً ذهباً، وللطالب عشرة دنانير ذهباً سنوياً[٦]، وقد ظلت هذه المدرسة تؤدي دورها العلمي حتى القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي[٧] .

---

(١) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص ٢٤٢ .

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٣٠.

(٣) غازي: نثر الدرر، ق٤؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٣٠٣.

(٤) هو السلطان مراد بن سليم الثاني ابن سليمان القانوني، تولى الحكم عام (٩٨٢هـ/١٥٧٤م)، كان محباً للعلم وفعل الخيرات ، توفي عام (١٠٠٣هـ/١٥٩٤م) انظر : محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١١٣ـ ١١٧.

(٥) انظر موقعها بالنسبة للمسجد الحرام ، الملحق ، ٤/د.

(٦) أوليا جلبي: الرحلة الحجازية، ص٢٦٥.

(٧) دار الوثائق: سجلات الديوان العالي : س ٣، م ٢٦، ص ١٦، م ٢٨، ص ١٦، م ٣١، ص١٧.

- **مدرسة محمد باشا:**

أنشأها وزير مصر محمد باشا[1] وتقع في سويقة بجوار باب الزيادة[2]، وكانت في الأصل بيمارستاناً ثم حولت إلى مدرسة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، بأمر من الوزير محمد باشا الذي أوقف عليها الكثير من الأوقاف بمصر، ظل ريعها يرسل باستمرار من دفاتر الصرة الرومية[3]، وقد كانت هذه الأموال كفيلة ببقاء المدرسة طيلة فترة البحث، كما أن الدولة تعهدت المدرسة بالرعاية والاهتمام ففي عام (١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م) صدرت الموافقة من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني على تخصيص راتب شهري بمبلغ مائة قرش لحسن أفندي من سكان المدرسة إضافة إلى صرف أردب[4] من الحنطة له سنوياً[5].

وفي عام(١٣٠٥هـ/١٨٨٧م) صدر أمر سلطاني بترميم وإعمار المدرسة[6] وممن تولى التدريس بها وسكن في إحدى خلواتها عبد الحميد بخش، من علماء مكة الأعلام في علم الفلك، درس علي يديه الكثير من علماء مكة في هذا الفن منهم عبد الستار الدهلوي[7]، وقد استمرت مدرسة محمد باشا في أداء رسالتها العلمية حتى نهاية فترة البحث[8].

---

(1) محمد باشا : قدم مصر ليتولى مهامه عام (٩٦١هـ/١٥٥٤م)، فأقام بها سنتين وتسعة عشر يوماً، ثم عزل عام (٩٦٣هـ/١٥٥٦م). أحمد شلبي عبد الغني: أوضح الإشارات فيمن ولي مصر من الوزراء والباشات، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن، (القاهرة، مكتبة الخانجي: ١٩٧٨م)، ص٦١؛ ابن الوكيل: تحفة الأحباب، ص١٥٣.

(2) انظر موقعها بالنسبة للمسجد الحرام ، الملحق ،٤٠/د.

(3) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر صرة رومية ، واجب ١١٢٨هـ/ ١٧١٦م، رقم ٨٢٧، حفظ نوعي ١١٧، م ع ٥٣٦، مخزن تركي واحد.

(4) الأردب :ميكال كبير شاع استخدامه في مصر والحجاز في العصر العثماني ويعادل ٦٩,٦ كغم ، أي حوالي ٩٠ لتراً ، انظر ضيف ا الزهراني وعادل غباشي: تاريخ مكة المكرمة التجاري، ص١١٢.

(5) سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص١٧٥.

(6) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، وثيقة رقم : ٢/ ١٠٥/ و ح ج .

(7) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق١٩٧.

(8) غازي: افادةالأنام، ج٢، ق٤٦١.

- المدرسة المحمودية :

أنشأها السلطان محمود الأول، بسوق الليل قرب المسعى[1] بهدف تعليم الصبيان والطلاب علوم الدين، وقد رتب لها الهيئة العلمية من مدرسين ومعاونين، إضافة إلى الخدمة كالفراشين وغيرهم، كما ألحق بها مكتبة[2] وأمر بتوفير كسوة للمنتسبين للمدرسة وتوفير أدوات التعليم للطلبة، ونتيجة لهذه المصاريف الباهظة على المدرسة فقد خصص لها مبلغاً كبيراً من المال قدره [٤٥٠٠٠] بارة سنوياً[3]، وقد ظلت المدرسة تؤدي دورها التعليمي حتى نهاية فترة البحث[4].

وفي هذا دلالة واضحة على حسن التدبير في اختيار نوعية البناء، وكثرة المنشآت الموقوفة عليها والتي جعلتها تستمر هذه الفترة الطويلة، إضافة إلى اهتمام القائمين على الدولة بالمدرسة وتعهدها بالرعاية والاعتناء دوماً، كما أن الجانب العلمي كان محل اهتمام من توفير مكتبة للطلبة، وتوفير أدوات التعليم ومستلزماته والكسوة وغير ذلك. وهو يندرج تحت تخفيف الأعباء المالية على الطلبة، وبالتالي يساعد بصورة كبير للتفرغ للعلم.

- مدرسة قرة باش:

أنشأ عمر قرة باش[5] عام (١٠٣١هـ/١٦٢١م ) مدرستين واحدة بمكة والأخرى بالمدينة[6]، ولكي يضمن استمرار مدارسه في العمل أوقف عليها الأوقاف الكثيرة بمصر ومكة، وظلت المدرستان عامرتان تؤديان مهامها حتى القرن الثاني عشر الهجري/الثاني عشر الميلادي، إذ ورد في وثيقة صادرة من نظارة المعارف

---

(١) انظر موقعها بالنسبة للمسجد الحرام ، الملحق ، ٤/د.

(٢) دار الوثائق : سجلات الديوان العالي، س ١، م ٢٨٨، ص ١٩٦.

(٣) دار الوثائق: محافظ الأبحاث ، دفتر رقم ٤٠ ، خديوي تركي ، وثيقة رقم ٢٣٧، تاريخ ٣ ربيع الآخر، ١٢٤٥هـ.

(٤) سالنامه ولاية الحجاز، ع١، عام١٣٠١هـ، ص ٦٣؛ السباعي: تارخ مكة، ج٢، ص٢٠١- ٢٠٢.

(٥) عمر قرة باش: قاضي تركي تولى القضاء في مكة والمدينة والقاهرة، خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري، عبد الباسط بن بدر: التاريخ الشامل للمدينة، ج٣، ص٩٢.

(٦) علي بن موسى: رسالة في وصف المدينة ، ص52؛ عبد الباسط بن بدر: التاريخ الشامل للمدينة، ج٣، ص٩٢.

عام (١١٩٨هـ/١٧٨٣م) رغبة أحد المدرسين المنتسبين لمدارس قرة باشا بعدم تدخل أحد في شؤون إدارته للمدرسة[١].

**ـ المدرسة المجيدية:**

سعى السلطان عبد المجيد بإنشاء مدرسة له بمكة بجوار باب الوداع[٢] على غرار مدرسته التي أنشأها بالمدينة، وكانت بالضخامة بمكان حتى إنه استغرق إنشاؤها أعواماً، وحين حل عام (١٢٨٠هـ/١٨٦٣م) لم يكن قد اكتمل الكثير من منشآت المدرسة كالمكتبة والسبيل، بل إن كثيراً من فصولها لم يتم الانتهاء من تجهيزه لاستقبال الطلبة وكانت المدرسة مصممة لتضم ثماني عشرة أو عشرين غرفة على غرار مدرسة الحميدية وقاعة دراسية ومكتبة[٣]، ولكن بسبب عدم توفر المبالغ اللازمة لإتمام بناء المدرسة توقفت عملية الإنشاء أكثر من مرة حتى إن القائمين عليها هموا عام (١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م) بتحويلها إلى رباط للنساء في حالة إن تعذر إكمال إنشائها[٤] غير أنهم وجدوا أن المكان يقع في الشارع العام وشكل المباني القائمة لا يتناسب أن يكون سكناً للنساء، وأن تغيير هيكل الأبنية سوف يكلف الدولة مبلغاً كبيراً يصل إلى سبعة أحمال وتسعة آلاف وسبعمائة وستين قرشاً وسبعة عشر باره، وأن هذا المبلغ لو صرف في إكمال المباني، خاصة المكتبة والسبيل ودار التوقيت لكان أجدر، إذ إن دار التوقيت والمكتبة التي بداخل الحرم الشريف في حاجة ماسة لنقلها من موضعها لتزايد خطر الأمطار والسيول التي تجرف في طريقها كل ما تجده، فقد أتلفت الأمطار عام (١٢٧٩هـ/١٨٦٢م) العديد من الكتب النفيسة، ولتفادي هذا الخطر لا بد من إتمام القسم الخاص بالمكتبة وأحد السبيلين المقرر إنشاؤهما لاتخاذه داراً للتوقيت، ورأى القائمون على إنشائها أنه لا بأس من

---

(١) الأرشيف العثماني : نظارة المعارف، وثيقة رقم ٢٣٢٨ ، نقلاً عن سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص ٣.

(٢) انظر موقعها بالنسبة للمسجد الحرام ، الملحق ، ٤/د.

(٣) سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص٣٥.

(٤) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، وثيقة رقم : ٣/ ١٠٦/ و ح ج .

تأخير بقية منشآت المدرسة مرة أخرى من الوقت حتى يتوفر المال اللازم لإتمام البناء، وقد وافق السلطان على هذا الاقتراح وأمر باتخاذ اللازم لتنفيذه[1] .

واستطاع القائمون على إنشاء المدرسة بناء ما يمكن أن يتخذ مكاناً للدراسة وصرف ما يمكن توفره من مصروفات على المدرسة والهيئة التعليمية بها، ففي إحدى وثائق الأرشيف العثماني والصادرة عام (١٢٨٦هـ/١٨٦٩م) جاء أن **مقصود أفندي ومحمد أفندي** من مدرسي **المدرسة المجيدية بمكة** سافروا إلى اسطانبول لتحسين أوضاعهم المعيشية فقد جاء في نص الوثيقة أنه: (بالنظر لكون المدرسة المحمودية الواقعة في المدينة المنورة أصيبت بالخراب، فإن المدرس يوسف أفندي اضطر لأن يدرك لنفسه منزلاً، وبما أنه واقع تحت الديون، فإنه قد قدم إلى إستانبول لأجل الاستعطاف عليه، كما أن المدرس بالمدرسة المجيدية مقصود أفندي وكذلك محمد أفندي من أهالي مكة المكرمة الكرام اللذين قدما معه فقراء الحال، وكافتهم يستحقون الاستعطاف عليهم والترحم بحالهم، ولأجل حصول دعوات الخير منهم لجناب السلطان فإن دفع عطية سنية بمبلغ عشرة آلاف قرش ليوسف أفندي، وألفين وخمسمائة قرش لمقصود أفندي وخمسة آلاف قرش لمحمد أفندي منوط بجنابكم الكريم وسوف يتم تنفيذ ما يراه السلطان)، و جاءت الموافقة من قبل السلطان على منح هؤلاء المدرسين المبالغ المطلوبة[2].

ولكن قلة المردود المالي المصروف على المدرسة جعلها كثيرة التعثر ففي عام (١٢٩٩هـ/١٨٨١م) اقترح الصدر الأعظم سعيد باشا بتحويل المدرسة المجيدية المعطلة في مكة إلى ثكنة عسكرية، حيث ذكر في معروضه الذي رفعة للسلطان عبد الحميد الثاني أن مكة بحاجة إلى ثكنة عسكرية لعدم وجوده ثكنة لإقامة العساكر بها، وإن اقتراح السكن في القصر الموجود بأجياد مكاف إذ يحتاج إلى مبلغ أربعة آلاف قرش لترميمه إضافة إلى مبلغ تسعمائة قرش سنوياً إيجار للمبنى لذا فهو يقترح أن يقيم العساكر في أبنية المدرسة المجيدية الواقعة بجانب باب الوداع

---

(1) سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص١٤٢ـ ١٤٣.

(2) المصدر السابق، ص١٥١.

والتي أصبحت معطلة، وأن عملية ترميمها يحتاج إلى مبلغ أربعة آلاف ليرة مع الخدمة الفعلية التي يقدمها الجيش وأن في هذا الإجراء توفيراً للدولة[1] .

ومن الواضح ومن خلال دراسة هذه الوثائق نجد أن المدرسة المجيدية كانت في تعثر مستمر، وأنها انتهت مع نهاية القرن الثالث عشر الهجري وأصبحت أثراً بعد عين، فقد ورد في العدد الأول من سالنامه ولاية الحجاز الصادر عام (١٣٠١هـ/١٨٨٣م) أن عدد المدارس الخيرية التي أوقفها ولاة الأمر العثمانيون من سلاطين وولاة بلغ أربع مدارس عام (١٣٠١هـ/١٨٨٣م) وهي المدرسة السليمانية والداودية ومحمد باشا والمحمودية[2].

كما ذكر الصباغ (ت١٣٢١هـ/١٩٠٣م) أنه: (لم يبق من المدارس إلا مدرسة محمد باشا بباب الزيادة صاحب حمام العمرة، والداوودية، وكذلك رباط وراء المدارس السلطانية من جملة المدارس، هذه هي التي بقيت من المدارس يسكنها الفقراء وما عداها توالت عليها الأيدي)[3].

كما ساهم أشراف مكة وأبناؤهم والعلماء والوجهاء ببناء المدارس رغبة في نشر العلم والحصول على المثوبة من ا ، فمن المدارس التي وجدت فترة البحث:

**ـ مدرسة الشريف منصور بن يحيى:**

قام الشريف منصور بن يحيى بن سرور بإنشائها عند باب الصفا[4]، في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، ولم تسعفنا المصادر التي توفرت لنا عن مدرسين وطلاب المدرسة والنظام التعليمي المتبع فيها، فكل ما وجدناه عنها لا يعدو ترجمة لعالم يدعى **محمد حياتي العباسي** الشافعي قدم مكة صغيراً للحج فتوطنها، ونشأ بها وقرأ على عدة مشايخ منهم السيد أحمد دحلان ومحمد سعيد بابصيل، حدثت له حادثة غريبة وهو أنه في إحدى الليالي حدث سيل

(١) سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص١٦٨ ـ ١٦٩.

(٢) سالنامه ولاية الحجاز، ع١، عام١٣٠١هـ، ص ٦٣.

(٣) الصباغ: تحصيل المرام ، ج٢، ص ٦٢٣.

(٤) انظر موقع المدرسة بالنسبة للمسجد الحرام الملحق ، ٤/د.

كبير بمكة دخل المسجد الحرام وكان نائماً ليلة دخوله بها بخلوة كانت بباب الصفا هي لأحد الزمازمة تحت مدرسة السيد منصور ابن الشريف يحيى، فلم يشعر إلا بالماء وقد دخل الخلوة، وكان بها خسف كثير للزمزمي فألهمه ا تعالى أن وضع بعضه على بعض حتى ارتفع ووجد حديدة بها فأخذها وصعد على الخسف، وصار يخرق سقفها، وكان غمسا حتى فرغ مقدار ما يدخله المدرسة المذكورة، فدخلها ونجاه ا من الغرق[1] .

**ـ مدرسة الشريف غالب بن مساعد** (ت١٢٣١هـ/١٨١٦م)**:**

أنشأها الشريف غالب في الجهة الغربية من المسجد الحرام، وجعلها ملاصقة له، وجعل لها باباً يفتح على المسجد الحرام وقد نسب الباب لها فصار يعرف باب مدرسة الشريف غالب[2].

**ـ مدرسة المسعى:**

أسسها الشريف الحسين بن علي حين كان أميراً على الحجاز من قبل الدولة العثمانية، وكانت هذه المدرسة وليدة لمدرسة أخرى وهي مدرسة الشيخ خياط التي أسسها بدار صغيرة بجوار باب الدريبة[3]، فحين اكتظت بالطلبة قام الشريف الحسين بتقديم كافة المعونات المادية وغيرها لتسهيل سبل نقل المدرسة إلى مكان مقابل لباب السلام وسميت عندئذ بمدرسة المسعى وكان ذلك عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)[4].

**ـ مدرسة شمس الدين بن عمر الذهبي:**

تنسب إلى شمس الدين الذهبي الذي يبدو لنا أن أمر إنشائها يعود إليه، ورغم أنني لم أقف على ترجمة له ولا على تاريخ إنشائها ضمن ما توفر لي من مصادر إلا أنها كانت موجودة ضمن المدارس الدينية المشهورة بمكة فترة البحث التي أولتها الدولة رعايتها واهتمامها والإنفاق عليها، فقد كان تعيين المدرسين بها يتم عن طريق

---

(1) أبو الخير مرداد : نشر النور والزهر، ص٤٢٦.

(2) باسلامة: تاريخ المسجد الحرام، ص١٢٨.

(3) انظر موقع المدرسة بالنسبة للمسجد الحرام الملحق ، ٤/د.

(4) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص ٤٤٠.

شهادة تعين موضح فيها الموافقة على تعيين المدرس بالمدرسة،وعلى الراتب المقدر له، والمكان المخصص لصرف هذا الراتب، ففي وثيقة مؤرخة عام (١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م) باسم عمر بن محمد العجيمي المدرس بمدرسة **الذهبي** وعليها ختم العجيمي مرسله إلى (المعارف) يوضح فيها أن وظيفة التدريس بمدرسة الذهبي شاغرة منذ سنين وقد وجهت له الوظيفة بالمدرسة بأمر سلطاني عام (١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م) بشهادة التعيين وراتب يومي قدره مائة وخمسون آقجة، تصرف من أموال الشام، ولكنه يصرف المال من الصرة السلطانية، منذ أربع سنوات، لذا فهوا يطالب أولي الأمر بإصدار أمر التعيين وصرف الراتب كما هو موضع في أمر التعيين[١].

**- مدرسة دار الخيزران:**

دار الخيزران تقع قرب الصفا[٢]، وهي دار الأرقم بن أبي الأرقم، اشتراها الخليفة المهدي العباسي ووهبها لزوجته الخيزران، تناقلت ملكيتها في يد الملوك والسلاطين، لضمان الإنفاق عليها وبقائها[٣]، إذ كانت تقام بها دروس دينيه استمرت عدة قرون، فقد ذكر عبد الستار الدهلوي أن ممن تولى التدريس بها الشيخ محمد بن سلطان الوليدي المكي(ت١١٣٤هـ/١٧٢٤م)، وصفه بأنه: (عالم فاضل أخذ العلم عن عدد من علماء عصره كحسن العجيمي وأحمد الدمياطي وغيرهم )[٤].

فمن هذا النص نستطيع أن نقول إنها كانت موجودة مع نهاية القرن الحادي عشر واستمرت حتى القرن الثاني عشر الهجري، وأن من مدرسيها علماء بارزين إذ تلقوا العلم على علماء مكة الكبار، وعادة وجود أحد العلماء مدرساً في مدرسة يضفي بظلاله على قوة المدرسة ونشاطها المتميز.

---

(١) الأرشيف العثماني: نظارة المعارف، وثيقة رقم ٤٩٤٤، نقلاً عن سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص٢٨.

(٢) انظر موقع المدرسة بالنسبة للمسجد الحرام الملحق ، ٤/د.

(٣) الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص٢٠٠؛ النهروالي: الإعلام، ص٤٤١.

(٤) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان ، ق١٢٣.

**ـ مدرسة الثعالبي:**

منشؤها هو أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجزائري المغربي، محدث مشهور توفي بمكة عام (١٠٨٠هـ/١٦٥٩م)[١]، أنشأ مدرسة بمكة ، لتدريس العلوم الدينية، كانت موجودة بمكة عام (١١١٧هـ/١٧٠٥م)[٢].

**ـ المدرسة النخلية:**

وهي من المدارس التي ذكرها الطبري في إتحافه حين تحدث عن الخلاف الذي نشب بين الأشراف من جهة وأمير مكة الشريف عبد ا بن سعيد من جهة أخرى عام (١١٣٦هـ/١٧٢٣م)، والذي دار حول مخصصاتهم المالية، وكيف تطور الخلاف إلى نشوب حرب بين الطرفين التجأ فيها بعض الأشراف إلى المدرسة النخلية[٣] .

وقد حاولنا جاهدين من خلال ما توفر لنا من مصادر أن نحصل على معلومات أكثر عن هذه المدرسة وعن مؤسسها، ولكن المصادر لم تجد علينا بشيء واكتفت بما ذكره الطبري، وإن كنا نعتقد أن هذه المدرسة تعود إلى عالم مكي يحمل لقب النخلي كان معاصراً لفترة تأسيس المدرسة، وهو المحدث أحمد بن محمد النخلي المكي، كان من علماء المسجد الحرام ومدرسيه توفي بمكة عام (١١٣٠هـ/ ١٧١٧م)[٤]، وأفاد الكتاني عن النخلي ومكانته العلمية فقال على لسان أحد الشيوخ المكيين: (اعلم أن علم الحديث في القرون الثلاثة الأخيرة قد قويت شوكته وارتفع له أعلى منار .. والسبب في ذلك بديارنا الحجازية وجود مسانيد الحجاز السبعة أولهم أبو مهدي الثعالبي، ويليه ابن سليمان الرداني المغربي، ويليه قريش الطبرية، ويليه أبو البقاء العجيمي، ويليه الشمس بن أحمد بن محمد النخلي، ويليه البصري)[٥].

---

(١) المحبي: خلاصة الأثر، ج٢، ص٢٤٠؛ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩، ص٤٥٧.

(٢) الطبري: اتحاف فضلاء الزمن، ص٢٨٣.

(٣) المصدر السابق، ص٥٦٩.

(٤) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان ، ق١٥١.

(٥) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص٢٥١.

وإن صحت توقعاتنا بأن هذه المدرسة تعود للمحدث الكبير النخلي، فنستطيع الجزم عندها أنها كانت من المدارس المتميزة في تدريس الحديث الشريف.

**ـ مدرسة منزل أبي نخلة:**

لم تجد المصادر بمعلومات عنها سوى أنها مدرسة أقيمت بمنزل "أبي نخلة" الواقع أمام باب الصفا[1]، فلا نعلم هل مؤسسها هو أبو نخلة صاحب النخلية المتقدمة وأنها مدرسة واحدة، أم أنها مدرسة أخرى، إلا أن المؤكد عندنا أن الشيخ أمين الماحي كان من مدرسي هذه المدرسة، فما أن أنهى دراسته بالمسجد الحرام وأذن له مشايخه بالتدريس باشر التدريس بهذه المدرسة، قبل أن يؤسس مدرسته الخاصة عام (١٣٣٩هـ/١٩٢٠م)[2] .

**ـ مدرسة سالم بن عبد ا بن سالم البصري** (ت١١٣٤هـ/١٧٢١م)**:**

ذكرها الطبري في معرض حديثه عن وصول باكير باشا لغسل الكعبة المشرفة في ٢٠ ذي القعدة من عام (١١٣٨هـ/١٧٢٥م) حيث قال: (ونزل بمدرسة سالم البصري الموجودة بباب العمرة)[3]، ومن المرجح أن هذه المدرسة كانت لتعليم الحديث الشريف، إذ إن سالم بن عبد ا البصري كان مشهوراً بين علماء عصره بأنه كان إماماً محدثاً جليلاً معظماً في الحرمين[4] . كما نتوقع ازدياد عدد طلابها نسبياً لكون محلها في باب العمرة.

**ـ مدرسة الملا الخوندجان:**

أسسها الملا الخوندجان بن محمد هادي البخاري ، قدم مكة عام (١٢٧٩هـ/١٧٦٥م)، ثم رحل إلى المدينة المنورة وأقام بها ثلاث وعشرين عاماً درس خلالها الحديث والتفسير على عدد من علمائها وأجازوه، سافر إلى السودان وبعدها عاد إلى

---

(١) انظر موقع المدرسة بالنسبة للمسجد الحرام الملحق ، ٤/د.

(٢) مقادمي: التعليم الأهلي للبنين في مكة ، ص١٤٦؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج٢، ص٨٢٤

(٣) الطبري: اتحاف فضلاء الزمن، ص٤٨١.

(٤) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٠٢؛ عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢٢٠.

مكة عام (١٣١٠هـ/١٨٩٣م) فأسس فيها مدرسته بالمسفلة، وعكف على التدريس بها حتى وافته المنية عام (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م)، وقد أوقف كتبه عليها[1].

**ـ مدرسة محمد عمر نواوي الجاوي:**

مؤسسها هو محمد بن عمر نواوي الجاوي المكي الشافعي (ت١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م)، قدم مكة صغيراً فجاور بها وتلقى علومه على يد عدد من علمائها منهم أحمد الدمياطي ومحمد حسب ا وغيرهم ، رحل إلى مصر والشام رغبة منه في طلب العلم ، له العديد من المؤلفات، أنشأ بداره مدرسة لتعليم العلوم الدينية، كان جل المنتسبين إليها من الطلبة الجاوى، ممن عمل بها حفيده عبد الحق الجاوي المكي(ت١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م)، درس على عدد من مشايخ عصره، إضافة إلى ملازمته لجده، حيث عرض عليه ما حفظه من المتون وقرأ عليه شروحها، وغيرها في فنون كثيرة وبه تخرج وأجازه، درس بمدرسة جده، فانتفع به طلبة العلم[2].

**ـ المدرسة الأحمدية:**

أنشأها أحمد مكي بن محمد ضياء الدين البنغالي والمعروف بحافظ أحمد الفقيه (كان حياً عام ١٣١٩هـ/١٩٠١م)، لازم رحمت ا الهندي وأخذ عنه، أذن له مشايخه بالتدريس بالمسجد الحرام فبرع فيه، كان حبه للعلم ونشره دافعاً له في إنشاء مدرسة لتعليم العلوم الشرعية بمكة سماها: (المدرسة الأحمدية) مارس فيها التعليم بنفسه، وله العديد من المصنفات الدراسية التي انتفع بها الطلبة[3].

**ـ مدرسة علي بن صديق كمال** (ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م) **:**

لا نعلم عن هذه المدرسة الكثير فكل ما لدينا من معلومات عنها هي أنها من المدارس التي عرفتها مكة فترة البحث، وأن مؤسسها يدعى علي بن صديق كمال الحنفي المكي ، أحمد علماء مكة ، اشتغل بطلب العلم على عدد من المشايخ منهم

---

(1) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج١، ق٧٢.

(2) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص ٢٣٣، ص٥٠٤

(3) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج١، ق٣٨.

أحمد دحلان، أسسها بمنزله مدرسة لتدريس العلوم الدينية، وباشر التدريس فيها بنفسه[1].

ومن خلال ما تم بحثه من مدارس أهلية دينية غير نظامية بمكة نستطيع أن نقول أنها امتازت بعدة مميزات، أولها أنها انفردت بتدريس علم الحديث الشريف، وأن مؤسسيها هم الذين قاموا بالتدريس فيها، وأن التعليم بها كان مجاناً، وهي مدارس صغيرة الحجم نوعاً ما، وبالتالي لم تكن بحاجة لمصاريف كثيرة فقد تقام ببناية المنشئ أو عند أبواب المسجد الحرام، ويستفيد الطلبة فيها عادة من مكتبة صاحبها، الذي إذا توفي أوقف كتبه على مدرسته غالباً، وظلت هذه المدارس تؤدي دورها العلمي طيلة فترة البحث رغم وجود التدريس في المسجد الحرام ووجود عدة مدارس نظامية حديثة، وذلك لحاجة المجتمع المكي هذه المدارس وقلة عددها مقارنة بعدد السكان، كما أن جغرافية مكة في الجملة أدت إلى وجود احتياج للمدارس في الشعاب والأزقة المختلفة في مستوياتها الثقافية والاجتماعية والمتباينة في قربها أو بعدها عن الحرم، وكذا في ارتفاعها وانخفاضها في الجبال والهضاب

**ـ المدارس الحكومية والأهلية النظامية الحديثة:**

وضعت الحكومة العثمانية عام (١٢٨٦هـ/١٨٦٩م) نظاماً للتعليم وفق أطر حديثة غير تقليدية في محاولة منها بالنهوض بالتعليم والإرتقاء بالمستوى الثقافي عامة، مع الاحتفاظ بطابع التعليم الشرعي، وقد انتشر هذا النظام في كافة الولايات التابعة للدولة العثمانية، بما فيها الحجاز، وقد صنف هذا النظام المدارس إلى صنفين حكومية (عامة) ومدارس أهلية (خاصة).

وكان للمدارس بالحجاز سواء العامة أو الخاصة إدارة للمعارف تتولى شؤونها، وممن توظف فيها إمام ومدرس المسجد الحرام أحمد بن علي نجار (ت١٣٤٧هـ/١٩٢٨م)، إذ كان مفتشاً للمعارف[2].

---

(1) أبو الخير مرداد ، ص٣٧؛ عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق٢٠٢.

(2) الحبشي: الدليل المشير ، ص٥١ـ ٥٢.

**ثانياً: المدارس الحكومية النظامية الحديثة:**

وينقسم التعليم فيها على مراحل :

**المرحلة الأولى** وتشمل التعليم الابتدائي: وهي مقسمة على ثلاث مستويات كالتالي: المدارس الصبيانية (الكتاتيب).

الابتدائية (الابتدائي المنخفض).

الرشدية (الابتدائي العالي).

**المرحلة الثانية**: وتشمل التعليم الثانوي، وهي مقسمة على ثلاث مستويات كالتالي: الإعدادية أو "المتوسطة" (الثانوي المنخفض)

السلطانية (الثانوي العالي).

**المرحلة الثالثة**: وتسمى مدارسها (المدارس العلية)، وكانت مختصة بتعليم الفنون والحرف والعلوم.

**المرحلة الرابعة**: الجامعة، وكانت تسمى (دار الفنون)[1].

وهذا الترقي في نوعية المدارس يعد نقلة نوعية في التعليم، فهو وإن أعطى الطلاب مساحة ثقافية واسعة إلا أنه في المقابل شتت كثيراً من قوى الطالب التي كانت تهدف إلى نوع واحد من العلوم وهو العلوم الشرعية، ولذلك لم تنتشر هذه المدارس بهذا التقسيم في مكة، **فقد شهدت مكة المرحلة الأولى فقط من التعليم الابتدائي فترة الدراسة**، فبالنسبة للمدارس الصبيانية أو "الكتايب"، قد تمت دراستها في مبحث الكتاتيب، أما المستويان الآخران فهما كالتالي:

**المدارس الابتدائية المنخفضة:**

**ـ مدرسة ابتدائية تابعة للمدرسة الرشدية:**

أنشئت بمكة عام (١٣٢٩هـ/١٩١٠م)، وقد حضر الافتتاح الوالي التركي في الحجاز وشريف مكة الحسين بن علي والعديد من الشخصيات الهامة[2].

---

. ([1]) Ibn Dohaish, op. cit , p64.

([2]) البتنوني : الرحلة الحجازية، ص٥٧.

وكان تسجيل التلاميذ فيها يقع على كل أسرة عندما يبلغ أبناؤهم سن السادسة من العمر، فرغم أن التعليم فيها إلزامي، غير أنه لم يطبق، وغطى المنهج التعليمي لهذه المرحلة فترة أربعة أعوام من سن التلاميذ يقضونها في دراسة اللغة العربية قراءة وكتابة، والقرآن الكريم تلاوة وحفظاً[١]، إضافة إلى دراسة بعض المبادئ كمبادئ الحساب والجغرافيا، وبعض عناصر التاريخ العثماني، والأخلاق والآداب الإسلامية [٢].

وممن تولى التدريس بالمرحلة الابتدائية الشيخ أحمد بن عبد ا الشامي (ت١٣٦٢هـ/١٩٤٣م) حيث عين فيها معلماً أولاً وظل بها حتى انتهاء حكم العثمانيين بمكة[٣].

وهذا يدل على تداخل ما يدرسه الطالب في الكتاتيب وما يدرسه في هذه المدارس، كما أن السن الذي يلتحق به الطالب بها هو نفس سن الكتاب، لهذا فأغلب الظن أنها كانت بمثابة النقلة عن الكتاب بحيث تصبح بديلاً لا مسانداً له، كما أن التعليم الإجباري الرسمي ظهر في هذه المدرسة نظراً لمحاولة الدولة العثمانية لإصلاح التعليم وإن كان عدم تطبيقه بسبب ظروف أهل مكة الاجتماعية التي حالت دون ذلك.

**ـ المدارس الرشدية بمكة "ابتدائي عالي":**

أنشأت الحكومة العثمانية خمس مدارس رشدية بالحجاز خاضعة لنظام إداري حديث قائم على التعليم باللغة التركية بهدف تخريج مؤهلين للعمل في قطاعات الخدمة المدنية المختلفة[٤].

وشهدت في مدينة جدة عام (١٢٩١هـ/١٨٧٤م) أول مدرسة رشدية في الحجاز، إذ إن مدينة جدة كانت مركز القنصليات الخارجية ويكثر بها الأجانب، وقد

---

(١) الشامخ: التعليم في مكة، ص٣٥، ٣٦.

(٢)Ibn Dohaish, op. cit , p65.

(٣) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٤٣.

(٤) Ibn Dohaish, op. cit , p79.

قام أهالي مدينة جدة بجمع التبرعات والمعونات لإنشاء المدرسة[1]، تلتها مدرسة رشدية بالمدينة المنورة عام (١٢٩٨هـ/١٨٨٠م) إذ يكثر بالمدينة الجالية التركية والتي هي بحاجة ماسة لمثل هذه المدارس لتعليم أبنائها، وقد خصصت مشيخة الحرم النبوي فصلاً من الفصول الإحدى عشر بالمدرسة الابتدائية الواقعة بباب التوسل من أبوب الحرم النبوي الشريف لجعله مدرسة رشدية، وأرسلت بعد ذلك لنظارة المعارف تطلب منها تعيين الهيئة التعليمية اللازمة للمدرسة وإرسالها إلى المدينة[٢] .

ثم جاءت مكة في المرتبة الثالثة متأخرة عن مدينة جدة والمدينة المنورة إذ تم افتتاح المدرسة الرشدية بها عام (١٣٠٢هـ/١٨٨٤م) عند باب الدريبة أحد أبواب الحرم المكي الشريف [٣]، وإن كان مشروع إنشاء المدرسة الرشدية بمكة بدأ التفكير به منذ عام (١٣٠٠هـ/١٨٨٣م)، حيث صدر خطاب من نظارة المعارف باسطانبول من نفس العام جاء فيه: (لقد ذكرت المعروضات الواردة من ولاية الحجاز أنه تقرر إنشاء مدرسة رشدية "متوسطة" في مكة المكرمة حتى يتم توفير المعرفة والعلم اللازمين لأولاد الأهالي فيها، ويستغلوا أثمن وقت من أعمارهم، وذلك بتخصيص موقع من الأراضي الحكومية لإقامة مباني المدرسة عليها، وبما أن هؤلاء الأولاد الذين يتربون في هذه الأماكن يتقنون اللغة العربية أكثر من اللغة التركية، فإن تعيين مدرس يتقن اللغة العربية أمر ضروري ونظراً لكون المدرس الموجود في المدرسة الرشدية بجدة يتقن اللغة العربية بسبب وجوده في جده واستمراره في عمله التعليمي منذ عدة سنوات، بالإضافة إلى إلمامه بأوضاع المنطقة وحصوله على معلومات موسعة عنها، فإنه إذا ما أضيف إلى راتبه مبلغ من المال

---

(١) الأرشيف العثماني: إرادة داخلية، رقم: ٤٨٦١٨ ، بتاريخ ١٢٩١هـ، نقلاً عن : سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص١٥٦.

(٢) الأرشيف العثماني: إرادة داخلية، وثيقة رقم / ٦٧٠٨٥، بتاريخ ١٢٩٨هـ ، نقلاً عن : سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص١٦٢.

(٣) ثم انتقلت المدرسة إلى مكان مطبعة الحرم ثم انتقلت إلى سوق المعلاه انظر: السباعي: تاريخ مكة، ص٥٨٠؛ الشامخ : التعليم في مكة، ص٣٢.

فيمكن توجيهه إلى المدرسة الرشدية بمكة المكرمة، ثم يتم تعيين شخص آخر محله الذي يبقى شاغراً، ولقد تم تحويل الأوراق المذكورة إلى إدارة التعليم المتوسط، التي أفادت بأنه نظراً للأهمية التي تتميز بها مكة المكرمة عن غيرها من البلاد ، فإن الهدف من إنشاء المدرسة الرشدية مبني على الرغبة في تعميم التعليم والمعرفة للمنطقة، وأن الراتب الذي يتقاضاه المدرس في المدرسة الرشدية لجدة هو ستمائة وأربعون قرشاً، فإذا ما تم نقل المدرس المذكور إلى مكة المكرمة فينبغي إضافة مبلغ من المال على هذا الراتب، بعد الإشعار الذي يأتي من محله، وعلى الرغم من أن توفير مدرس آخر ليشغل محله الشاغر براتب ستمائة وأربعين قرشاً في الوقت الراهن يعد معسراً، إلا أنه يمكن تخصيص راتب ألف قرش للمعلم الأول ومائة وعشرين قرشاً للبواب وخمسمائة قرش للمصاريف المتفرقة سنوياً، وذلك من ميزانية المعارف، ويتم بعد ذلك اختيار مدرس ليعمل في المدرسة الرشدية بجدة براتب وقدره ستمائة وأربعين قرشاً بعد ضم ثلاثمائة وستين قرشا لراتبه بحيث يبلغ ألف قرش ..)[١] .

وسعت الدولة من وراء إنشاء المدرسة الرشدية بمكة لتحقيق عدة أهداف منها توفير المعرفة والعلم اللازمين لأولاد الأهالي، والعمل على استغلال أثمن أوقاتهم فيما ينفعهم، ولأهمية مكة ومكانتها عن غيرها من البلاد[٢] .

وإذ نظرنا في الوثيقة الصادرة من نظارة المعارف بشأن تأسيس المدرسة الرشدية بمكة عام (١٣٠٢هـ/١٨٨٤م) نجد أنها طلبت توفير مكان لها لإقامة المدرسة عليه، فانتهى الأمر بتخصيص موقع من الأراضي الحكومية لإقامة مباني المدرسة عليه[٣].

---

(١) الارشيف العثماني: ، إرادة داخلية، وثيقة رقم ٧٣٨٢٧، نقلاً عن سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص١٧٢ـ ١٧٣.

(٢) نفسه ، ص ١٧٣.

(٣) الأرشيف العثماني: إرادة داخلية، وثيقة رقم / ٧٣٨٢٧ ، بتاريخ ١٣٠٢هـ، نقلاً عن : سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص١٧٢.

وفي هذا إشارة أن مشكلة إقامة المدارس الرشدية بالحجاز لم تكن تتعلق بالأهالي وعاداتهم وتقاليدهم بقدر ما كانت تتعلق بالإمكانيات المادية للحكومة العثمانية من إيجاد مبني يقام فيه المدرسة وتوفير المدرسين وتأمين رواتبهم.

فبعد أن تم توفير مبنى للمدرسة من أوقاف الحرمين الشريفين عند باب الدريبة، تميز باتساعه واتصاله بالمسجد الحرام [١]واختيار عدد من طلاب المدرسة السليمانية الدينية ليكونوا نواه للمدرسة الرشدية، عجزت الحكومة العثمانية عن إرسال المدرسين من اسطانبول[٢] ، وظل الطلبة بدون دراسة حتى قررت الحكومة العثمانية حل هذه المشكلة عن طريق نقل المدرس الثاني بالمدرسة الرشدية بجدة إلى مكة بحجة أنه يتقن اللغة العربية، وقامت بترقيته إلى مدرس أول، وطلبت من المدرسة الرشدية بجدة الانتظار حتى يتم تعيين و إرسال مدرس ثاني[٣].

ويتضح أيضاً من خلال هذه الوثائق أن المعلم الأول بالمدرسة الرشدية كان يرسل من قبل نظارة المعارف باسطانبول، ويشترط فيه أن يكون ملماً باللغة العربية عارفاً بها، وحدد له راتب شهري قدره ثمانمائة قرش، وتعيين معلم ثاني بعد ترشيحه من محله براتب أربعمائة قرش، وبواب براتب شهري قدره مائة وعشرون قرشاً، وألف قرش مصروفات متفرقة للمدرسة[٤]. ثم بعد ذلك أصبح يعين فيها مدرسون من مكة أو من العرب إن صح التعبير[٥].

---

(١) المندوب البريطاني عند الدولة العثمانية: تقرير عن المؤسسات التعليمية في الحجاز في عام ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م، ترجمة ودراسة وتحليل : عبد اللطيف بن دهيش، (الرياض، مجلة جمعية التاريخ والأثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، دارة الملك عبد العزيز: ١٤٢١هـ/٢٠٠م)، ص١٠٤.

(٢) سالنامه ولاية الحجاز، ع١، عام ١٣٠١هـ، ص٦٤.

(٣) الأرشيف العثماني: إرادة داخلية، وثيقة رقم / ٧٣٨٢٧ ، بتاريخ ١٣٠٢هـ، نقلاً عن : سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص ١٧٣.

(٤) كانت هذه المخصصات للمدرسة الرشدية بالمدينة عام ١٢٩٨هـ، سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص١٦٢.

(٥) السباعي: تارخ مكة، ج٢، ص٢٠١- ٢٠٢.

وقد بلغ عدد طلاب المدرسة الرشدية بمكة عام (١٣٠٣هـ/١٨٨٩م) تسعة عشر طالباً جميعهم من الأتراك[١]، ثم بدأ العدد يزداد سنة تلو الأخرى ففي عام (١٣٠٥هـ/١٨٨٧م) بلغ عدد الطلاب ستين طالباً[٢]، وظل العدد في ازدياد حتى وصل إلى سبعين طالباً عام (١٣٠٩هـ/١٨٩١م)[٣].

وكان للعدد المطرد في زيادة الطلاب دوره الطبيعي في زيادة عدد المدرسين إذ بلغ عام (١٣٠٥هـ/١٨٨٧م) ثلاث مدرسين[٤]. وهم المدرس الأول وهو المدير، ومدرس ثاني ومدرس ثالث، إضافة إلى البواب الذي يشرف على فتح وإغلاق المدرسة وتنظيفها وكنسها، وكانت تصرف رواتب منتظمة للعاملين بها إضافة إلى أموال أخرى تقررها الحكومة تصرف على المكتبة وتوفير الماء للمدرسة وشراء الجوائز التي تمنح للطلبة، وتوفير الأوراق والأقلام وغير ذلك من وسائل تعليمية يستخدمها المدرسون أثناء الشرح[٥].

أما الفصول الدراسية فقد فرشت بالأثاث المدرسي والمكون من سبورة ومكاتب خشبية تسع من أربعة إلى خمسة تلاميذ، إضافة إلى توفر غرفة مخصصة للمدرسين مفروشة بمنضدة عريضة وكراسي للمدرسين إلى جانب مكتب خاص بالمدير المعين للمدرسة[٦].

وجاء في شروط التحاق التلاميذ بالمدرسة الرشدية أن يكون سن الطالب ما بين العاشرة والحادية عشرة سنة، وأن يكونوا قد نالوا نصيباً من التعليم يمكنهم من القراءة والكتابة بطلاقة ومعرفة مبادئ الحساب بكل يسر قبل دخولهم في المدارس الرشدية[٧].

---

(١) المندوب البريطاني : تقرير عن المؤسسات التعليمية في الحجاز، ص٣٥٦.

(٢) سالنامه ولاية الحجاز، ع٣، عام ١٣٠٥هـ، ص١٢١.

(٣) سالنامه ولاية الحجاز، ع٥، عام ١٣٠٩هـ، ص ١٨٥.

(٤) سالنامه ولاية الحجاز، ع٣، عام ١٣٠٥هـ، ص١٢١.

(٥) الشامخ: التعليم في مكة، ص٣٥، ٣٦.

(٦) Ibn Dohaish, op. cit , p 89.

(٧) Ibn Dohaish, op. cit , p 79.

وبالنسبة لمدة الدراسة بالمدرسة الرشدية فإن الدراسة بها موزعة على أربع سنوات دراسية يدرس الطلاب فيها المواد الدراسية الآتية:

**السنة الأولى:** القرآن الكريم دراسة مع حفظ الأجزاء الأول منه، ومبادئ العلوم الدينية، وموضوعات للقراءة باللغة التركية، وحساب شفوي.

**السنة الثانية:** القرآن الكريم مع حفظ أجزاء أخرى منه والتوسع في دراسة بعض العلوم الدينية ، وحساب شفوي وتحريري ، ومبادئ قواعد اللغة العربية.

**السنة الثالثة:** القرآن الكريم مواصلة الدراسة والحفظ في أجزاء أخرى منه ومبادئ اللغة الفارسية والتركية، والخط العربي وقواعده، والحساب بتوسع.

**السنة الرابعة:** القرآن الكريم، مواصلة الدراسة والحفظ، ومواد تاريخية وجغرافية مختصرة عن الدولة العثمانية بمختلف ولاياتها، والتوسع في دراسة مبادئ الهندسة (أي مبادئ المحاسبة)، والتوسع في دراسة القواعد الحسابية، ومبادئ الرسم للحيوانات والبيوت، ومسك الدفاتر[١].

ويتضح من المنهج العام للمدرسة أنها كانت تسعى لتخريج الموظفين الإداريين الذين لهم علم باللغة التركية، والمحاسبة والتخطيط الإداري مع الاهتمام بالقرآن الكريم والعلوم الدينية مراعاة لحال المكان، كما أن تدريس الجغرافية التركية وتاريخها كان فيما يبدو لبذر الولاء في نفوس هؤلاء الصغار حتى يتربى وهو مخلص للدولة، وأما مادة كتابة المراسلات، فهي تشير أيضاً إلى الهدف الذي من أجله تأسست المدرسة وهو تأهيل الطلبة لشغل المناصب الإدارية في الدولة كما تقدم.

ويوضح الجدول التالي المنهج المقرر تدريسه في المدارس الرشدية من قبل نظارة المعارف[٢]:

---

(١) المندوب البريطاني: تقرير عن المؤسسات التعليمية في الحجاز، ص٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٥١ ـ ٣٥٢.

**السنة الأولى:**

| عدد الدروس في السنة | عدد الدروس في الأسبوع | اللغة والمادة | المنهج |
|---|---|---|---|
| ٧٢ | ٢ | العربية | المبادئ الدينية |
| ٧٢ | ٢ | التركية والعربية | النحـ ـو والـ ـصرف |
| ٧٢ | ٢ | التركية | الابتدائي |
| ١٠٨ | ٣ | العربية | الدروس الأخلاقية |
| ١٠٨ | ٢ | الأرقام العربية | تأليف الجمل |
| ٢٦ | ١ | العربية | من البداية إلى القسمة |
| | | | كتابة العربية (خط الثلث |
| | | | المستعمل في المراسلات |

**السنة الثانية:**

| عدد الدروس في السنة | عدد الدروس في الأسبوع | اللغة والمادة | المنهج |
|---|---|---|---|
| ١٤٤ | ٤ | العربية | علم النحو والصرف |
| ٧٢ | ٢ | الفارسية | علم النحو والصرف |
| ٣٦ | ١ | التركية | الـ ـدروس الأخلاقيـ ـة |
| | | | "الحكايات والنوادر" |
| ٧٢ | ٢ | | الإنشاء والهجاء وتأليف |
| ٧٢ | ٢ | | الجمل |
| ٧٢ | ٢ | | الجبر |
| ٣٦ | ١ | | التعريفات الجغرافية |
| ٣٦ | ١ | | الخطوط والزوايا |
| | | | كتابة الحروف في التركية |

**السنة الثالثة:**

| عدد الدروس في السنة | عدد الدروس في الأسبوع | اللغة والمادة | المنهج |
|---|---|---|---|
| ١٠٨ | ٣ | علم الصرف | الإعراب |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٧٢ | ٢ | والنحو الفارسية التركية | كتاب كلستان وأقوال الحكماء |
| ٧٢ | ٢ | | علم الصرف والنحو العثماني |
| ٧٢ | ٢ | | النشر ـ القصص |
| ٧٢ | ٢ | | الطرح |
| ٧٢٧٢ | ٢ | | القارات الخمس |
| ٧٢ | ٢ | | تاريخ العثمانيين |
| ٧٢ | ٢ | | كتابة الحروف في التركية |
| ٧٢ | ٢ | | رسم الحيوانات ـ البيوت |
| ٧٢ | ٢ | | كتابة المراسلات |

**السنة الرابعة:**

| عدد الدروس في السنة | عدد الدروس في الأسبوع | اللغة والمادة | المنهج |
|---|---|---|---|
| ١٠٨ | ٣ | علم الصرف والنحو الفارسية التركية | المنطق |
| ٧٢ | ٢ | | كلستان كل الكتاب |
| ٧٢ | ٢ | | فن المراسلات |
| ٣٦ | ١ | | مسك الدفاتر |
| ٧٢ | ٢ | | جغرافية الدولة العثمانية |
| ٧٢ | ٢ | | تاريخ الدولة العثمانية |
| ٧٢ | ٢ | | مسح الأرض الابتدائي |
| ٧٢ | ٢ | | أساس البلاغة |
| ٣٦ | ١ | | التصوير والرسم |
| ٣٦ | ١ | | كتابة المراسلات المتنوعة |

ولو نظرنا إلى الكتب المقررة على الطلبة نجد أنها قد طبعت باللغة التركية وتسلم عن طريق الخزنة "المالية المحلية" إلى مدير المدرسة الذي يقوم بدوره ببيعها إلى الطلبة[١] .

والظاهر من هذا أن ثمة إقبال بشكل ما على المدرسة في تلك الفترة ، فإن بيع الكتب الدراسية للطلاب ليس إلا عاملاً سلبياً للالتحاق بالمدارس، ولكن ما يرغب فيه الطالب أن يدركه بعد تخرجه من وظيفة ومركز اجتماعي ونحو ذلك كان مساعداً للالتحاق بالمدرسة ودفع مصاريف التعليم.

وفي عام (١٣٣١هـ/١٩١٢م) تم سن قانون يسمح بتدريس اللغة العربية في المدارس فطبعت الكتب العربية، ولكن هذا القانون لم يستخدم بمكة بشكل واسع إذ إن الكتب الدراسية كانت حتى نهاية فترة الدراسة تطبع باللغة التركية باسطنبول وترسل إلى مكة [٢].

ولعل هذا القانون من ضمن الإصلاحات الإدارية التي طالب بها العرب الدولة العثمانية في عهودها المتأخرة، إلا أن الإنسان ليعجب من التعصب للغة التركية رغم معرفة الأتراك بفضل العربية التي وسعت أن يكون القرآن الكريم بلسانها دون غيرها من اللغات كما قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[٣]، فهي أشرف اللغات على الإطلاق، وحيويتها ودلالتها على المعاني من المباني والأصوات لا تضاهيها لغة في العالم، فلو اهتم الأتراك أول أمرهم بجعلها اللغة الرسمية للدولة لكان خيراً لهم ولا سيما وقد كانت اللغة التركية تكتب بحروف عربية.

ويتم تقيم الطلاب عن طريق ما يتحصل عليه من تقديرات وهي "ممتاز" و"جيد جيداً" و " مقبول"، وتكتب هذه التقديرات على الشهادة باللغة التركية العثمانية وعليها توقيع مدرسي المواد والممتحنين الخارجين ومدير المدرسة[٤].

---

(١) الشامخ: التعليم في مكة، ص٣٥، ٣٦.

(٢) Ibn Dohaish, op. cit , p 96.

(٣) سورة الشعراء: آية ١٩٥.

(٤) Ibn Dohaish, op. cit , p 89.

إضافة إلى شهادات متنوعة يحصل عليها الطالب أثناء الدراسة، منها شهادة مكتوب عليها "**افرم أفرم**" بمعنى جيد جداً بالتركية وذلك إذا حصل الطالب على درجة التفوق في علم من العلوم، وإذا حصل على درجة التفوق في ثلاثة علوم فإنه يعطي شهادة مكتوب عليها "**نامه سي**" وهي وثيقة تعني أن حامل هذه الشهادة يزاد في الاختبار على مجموع درجاته درجة أخرى، وتعطى هذه الشهادة مع شهادة الدراسة ليفتخر بها الطالب[١] .

وهذه التقديرات تعطي المجال الجيد للتنافس بين الطلاب كما تمنح مقياساً صحيحاً للتحصيل يمكن من خلاله المفاضلة عند التعيينات الإدارية.

وبالنسبة للامتحانات في المدارس الرشدية فقد كان يعقد امتحان تحريري كل ستة أشهر بواسطة المدرسين ، إضافة إلى امتحان عمومي "نهائي" تحريري وشفوي يقام للتلاميذ نهاية العام الدراسي وعادة ما يكون في شهر شعبان وقبل رمضان وموسم الحج، ويحضره عدد من الموظفين الرسميين منهم قائمقام المنطقة أو أمير البلدة[٢]، وبعد الامتحانات يتم تقديم الجوائز للممتحنين الأكثر استحقاقاً ثم توزع الحلوى والعصائر على الحاضرين.

وكانت المدارس الرشدية تغلق أبوابها أمام الإجازات الرسمية وهي يوم **الجمعة ، و**مرتين في العام مرة في شهر رمضان ومرة خلال موسم الحج، وذلك لكي يتسنى للمنتسبين للمدرسة أداء الفرائض والشعائر الدينية بتمامها وكمالها، كما أن موسم الحج عادة ما يعمل فيه التلاميذ لتحسين مستواهم المالي[٣].

وعليه فإن المدارس كانت تعمل أحياناً شتاء وأحياناً صيفاً فإن الأشهر الهجرية تدور خلال الفصول الأربعة، إلا أنه لا بد من القول بأن الصوم في رمضان لا يمنع العمل والتعلم.

---

(١) الشامخ: التعليم في مكة، ص٣٢.

(٢) المندوب البريطاني: تقرير عن المؤسسات التعليمية في الحجاز، ص٣٥٥.

(٣) Ibn Dohaish, op. cit , p 97-98.

كما كانت تعطل أيام الأعياد كعيد الفطر ويستمر من ثلاثة إلى سبعة أيام من بعد انتهاء شهر رمضان ، وعيد الأضحى وهو اليوم العاشر من ذي الحجة، ويوم الثاني عشر من ربيع الأول، وليلة المعراج في سبعة وعشرين رجب، وليلة النصف من شعبان وهو اليوم الخامس عشر منه[1] بالإضافة إلى الإجازات الطارئة نتيجة لمناسبات خاصة كاستقبال ضيف مهم لدى الحكومة، أو تنصيب سلطان أو حاكم أو وفاة أحد منهم، أو نتيجة سيول وأمطار غزيرة تهطل على مكة.

واستلزمت فترة الدراسة اليومية ست ساعات أربعة في الصباح واثنين بعد الظهر، وكانت الحصة تستمر من أربعين إلى خمس وأربعين دقيقة، وأما يوم الخميس فكانت الفترة الدراسية الصباحية فقط ، فلم يكن هناك أي دروس بعد الظهر.

وبين فصول الصباح وفصول ما بعد الظهر كانت تؤخذ فترة راحة تستمر من ساعة إلى ساعتين لتسمح للمدرسين والتلاميذ بالذهاب إلى بيوتهم لتناول الغذاء وأداء فريضة الصلاة في المسجد[2].

وممن تولى التدريس بالمدرسة الرشدية **محمد أمين بن إبراهيم فودة،** درس على أيدي علماء الحرم الشريف، كان ذا اطلاع واسع إضافة إلى إجادته للغة التركية تحدثاً وكتابة، فكانت هذه الأسباب مجتمعة دافعاً قوياً ليعين مدرساً بالمدرسة الرشدية، فأدى واجبه في التدريس بلسانها في العلوم الحديثة[3].

---

(1) ويلاحظ أن الأجازات في ١٢ ربيع الأول وهو ما اشتهر عند الناس بأنه يوم مولد النبي صلى ا عليه وسلم، وليس بدقيق، فقد ثبت بالقطع أن تاسع ذي الحجة في حجة الوداع أنه كان في يوم الجمعة وأن وفاة النبي في يوم الأثنين، فمهما فرضت الشهور الثلاثة حتى ربيع وهي ذو الحجة والمحرم وصفر توام أو نواقص أو بعضها لم يصح ، ولذا رجح الحافظ ابن حجر أنه توفي صلى ا عليه وسلم في ثاني ربيع الأول كما في فتح الباري انظر ا بن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٦، ص١٢٩ـ ١٣٠؛ أما ٢٧ رجب وهو ما ا شتهر بأنه يوم المعراج فلا يصح ، فقد قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه ا : (وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها وكل ما ورد فيها فهو غير ثابت )، وكذلك الحال بالنسبة لليلة النصف من شعبان، انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، ج٣، ص٦٥ ، ٦٧.

(2) Ibn Dohaish, op. cit , p99.

(3) ولد بمكة عام ١٣٠٧هـ، تعهده والده بالعناية والتربية فحفظ القرآن الكريم وبعض المتون ، ثم شرع في طلب العلم على عدد من علماء وقته أمثال عمر باجنيد وغيره من علماء المسجد الحرام ، لم يكتف بالعلوم التي كانت

**ـ مدرسة دار الشفقة بمكة:**

في عام (١٣٣٢هـ ـ /١٩١٣م) قررت الحكومة العثمانية إنشاء مدرسة بمكة على غرار مدرسة دار الشفقة الإسلامية باسطانبول، وتشمل المرحلتين الابتدائية والرشدية "الإعدادية"، ولقد حددت الوثيقة التي صدرت من نظارة الداخلية أهداف إنشاء المدرسة وهي: (تدريس الأهالي في مكة والمناطق المجاورة من جهة وتقديم نموذج مادي ملموس من نظام التربية والتعليم إلى الحجاج من جهة أخرى، والعمل على توفير الإعانات المالية التي يقدمونها بغية تغطية مصاريف، وافتتاح شعبة خاصة بالأولاد القادمين مع الحجاج، ثم إعداد أعداد من الطلاب للكلية الإسلامية التي تقرر إنشاؤها في الطائف) [١]، وقد اقترحت اللجنة المشرفة على إقامة المدرسة مبنى الضيافة الموجود بجرول ليكون مبنى للمدرسة ولكن عدل عن هذا الرأي إذ إن مبنى الضيافة كبير يسع ما بين ثمانية إلى عشرة آلاف شخص ويستخدم قشلة عسكرية، وأن مبنى قشلة أجياد أو قشلة جرول يتناسب والمدرسة[٢].

وهنا استثمرت الدولة العثمانية مقدم الحجاج كوسيلة نشر العلم والتعليم، بأن أقامت نموذجاً ماثلاً أمام الحجاج ليقيموا في بلادهم أمثلة له، ولا سيما والحاج في مقدمه يكون رقيق القلب متعطشاً لما يربطه بالبلد الحرام، كما أن افتتاح شعبة خاصة لأولاد الحجاج له نفس البعد الاجتماعي والسياسي.

**ـ مدرسة برهان الاتحاد:**

حين استولى الاتحاديون على السلطة أنشؤوا لهم مدرسة بمكة عند المسجد الحرام أمام باب الصفا، ثم قاموا بنقلها إلى أجياد أمام مقر المالية[٣]، وتم تعيين

---

= تدار في حلقات وأورقة المسجد الحرام بل انكب على مطالعة كتب الأدب والعلوم الرياضية والقانون والفلك والتاريخ وعلم النفس ، فنبغ في هذه العلوم نبوغاً عظيماً ، وفي العهد السعودي عين وكيل رئيس القضاة ومدير عام المعارف ورئيس مجلسها ـ توفي عام (١٣٦٥هـ). انظر: عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٥٦.

([١]) سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص١٩٩ ـ ٢٠٠.

([٢])المصدر السابق، ص٢٠٠.

([٣]) السباعي: تارخ مكة، ج٢ص٢٠٣.

**عيسى رواس** ناظراً لها[١]، وقد افتتحت عام (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٨م)، وأقيم حفل افتتاح كبير لها حضره الوالي العثماني والشريف حسين وعدد كبير من الوجهاء والأعيان والعلماء، وقد نشر خبر افتتاحها في الصحف العثمانية[٢] .

**- المدرسة الصناعية أو "الفنية":**

أنشأت الدولة العثمانية بمكة نتيجة لمسايرة التعليم الحديث مدرسة فنية أو "صناعية" بمكة عام (١٣٢٨هـ/١٩١٠م)[٣]، وقد بدأ عملها في مبنى مؤقت ثم انتقلت إلى مبنى خاص بها في شارع المعلا، وقد سعد أهالي مكة بإنشاء مثل هذا النوع من المدارس وترجمت هذه السعادة من خلال حجم التبرعات الكبير الذي قدموه الأهالي والذي بلغ ٩٥% مقابل ٥ % قدمها مجلس التعليم الخاص بمكة.

وكانت الدراسة بها هي النجارة وتزين الأخشاب، وقد أوفدت الدولة العثمانية لها مدرسين من اسطانبول[٤]، ولم تستمر المدرسة سوى أعوام قليلة وبعدها أغلقت[٥] لأسباب لم تفصح عنها الوثائق. وقد يكون من ضمن الأسباب اكتفاء مؤقت بعدد الخريجين وإمكانية أن يكون كل من طلابها معلماً للآخرين دون الاحتياج إلى دفع مصاريف المدرسة.

**- المدارس الليلية:**

في خطوة متميزة نحو التعليم قامت الحكومة العثمانية بإنشاء مدارس للتعليم الليلي[٦] بمكة في محاولة منها لجذب التلاميذ إليها، والالتحاق بالمنظومة التعليمية وقد اتخذ تلاميذ المدرسة الليلية من بعض فصول المدارس النهارية مقاعد لهم، كما درسوا نفس المنهج الذي تدرسه المدارس النهارية[٧].

---

(1) Ibn Dohaish, op. cit , p 78.

(٢) البتنوني : الرحلة الحجازية، ص ٥٨.

(٣) الفوزان: اقليم الحجاز، ص٢٨٢.

(٤) جريدة الحجاز، العدد ٦٠، ٢٨/ ٧/ ١٣٢٨هـ- الموافق ١٩١٠/٨/٥م .

(5) Ibn Dohaish, op. cit , p90.

(٦) الفوزان: اقليم الحجاز، ص٢٨٢.

(7) Ibn Dohaish, op. cit , p91.

وقد وصف لنا عبد القدوس الأنصاري في مقالة له بمجلة المنهل غرفة كاملة للتعليم الليلي عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م)، وقد ضمت الغرفة اللالات التي تضاء بالشموع ومجموعة من الدواة الصفر يوضع بداخلها أقلام البوص في أنبوبة ملحومة بها وهي من الصفر، وعليها بعض الخطوط المستطيلة التجميلية، إضافة إلى طبق يحمل طقم دواة من الصيني المذهب(١).

ولعل سبب إنشاء المدرسة الليلية التأكيد على نشر الثقافة واللغة التركية بين السكان ومحاولة جذب أكبر عدد ممكن من الطلبة لتعويض النقص الشديد في أعداد المنتسبين للمدارس الصباحية، ونشر العلم بين جمع أكبر من فئات المجتمع، فلا شك أن انتشار التعليم له آثاره الإيجابية في استتباب الأمن الاجتماعي والسياسي وقلة الجرائم بالأمن ولاسيما في البلد الحرام.

**- مدارس القرى المحيطة بمكة:**

سعت الدولة العثمانية إلى إنشاء المدارس داخل القرى لتعليم البدو أمور دينهم ودنياهم، وأرسلت إليها المدرسين وعينت مفتشين على هذه المدارس لتتبع سير الدراسة والرقابة على المدرسين ،وممن عين مفتشاً على مدارس القرى من علماء مكة أحمد نجار (ت١٣٤٧هـ/١٩٢٨م) وقد أعد منهاجاً لنشر التعليم في البادية في عهد الحكومة العثمانية، وأعانه عليه الوالي العثماني "كاظم باشا"، وعهد إليه اختيار المعلمين فاختار طائفة منهم، وكان يرشدهم إلى الطريقة التي يأمل نجاحها(٢) ولا شك أن تعليم البدو كان يهدف إلى عدة أمور إضافة إلى نشر العلم والثقافة ولعل من أهمها وقف هجمات العربان على الحجيج، ونقل العقلية البدوية من الأمية لتستنير بنور العلم.

---

(١) عبد القدوس الأنصاري: يوم في متحف مكة المكرمة، (المنهل: مج ٢١، ج٥، جمادى الأولى ١٣٨٠هـ/ نوفمبر ١٩٦٠م)، ص.

(٢) عمر عبد الجبار: أحمد بن علي النجار "١٢٧٢هـ - ١٣٤٧هـ"، (مجلة المنهل ، مج ١، ج ١ و ٢، سن ٢٦، محرم وصفر ١٣٨٠هـ/ يوليو وأغسطس ١٩٦٠م)، ص ٥٣- ٥.

*** مجلس التعليم:**

وهو من المجالس الإدارية بالدولة العثمانية والذي يعني بتنظيم التعليم وقد تم إنشاؤه بناء على نص القانون الصادر عام (١٣١٨هـ/١٩٠٠م)، والأصل أنه يتقدم إنشاء المدارس إلا أن مجلس التعليم أو "مجلس المعارف" تأخر في مكة رغم إنشاء المدارس الابتدائية بها والرشدية بفترة زمنية طويلة، فقد تم إنشائه بمكة عام (١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م)[١].

ويتكون المجلس من مدير يعاونه اثنان من المساعدين وأربعة مفتشين وكان يتم تعيينهم بمرسوم سلطاني، ومكلف بالإدارة والتفتيش والرقابة على جميع المنشآت التعليمية ، وتنفيذ كافة التوجيهات والقرارات الصادرة من وزارة التعليم "نظارة المعارف" في اسطانبول، وإرسال تقرير سنوي إلى نظارة المعارف يصف حالة التعليم في الولاية والمنشآت التعليمية الحكومية والغير حكومية، فقد كان المجلس مخولاً بالتفتيش على جميع المدارس غير الحكومية والمكتبات ومكاتب النشر[٢].

ولا شك أن التنظيم الإداري يساعد المدارس الحكومية على أداء رسالتها المنشودة ويصلح الخلل الذي يظهر في أثناء أداء هذه الرسالة ، ولذلك لم تقتصر مهامه على المدارس الحكومية بل تعددت إلى كل دور الثقافة الأخرى من مدارس ومكتبات ومكاتب النشر حتى يتم ربط ذلك كله بالدولة.

فقد كانت الأهداف التعليمية للعثمانيين مرتبطة بالأهداف السياسية لهم في منطقة الحجاز.

ولما كان الغرض من إنشاء المدارس الرشدية هو إعداد الموظفين البسطاء للمعاونة في الأعمال الحكومية وتنظيم إدارتهم للبلاد[٣]، فقد ظهر أثره في مناهجها،

---

(١) عبد العزيز بن عبد ا السنبل وآخرون: التعليم في المملكة العربية السعودية، (كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص١٤٠، ١٨٤.

(٢) Ibn Dohaish, op. cit , p 70.

(٣) محمد أبو الفتوح الخياط: الجذور التاريخية للتعليم في المملكة العربية السعودية، (الدارة، ع ٢، س ١، جمادى الثانية ١٣٩٥هـ / يونيه ١٩٧٥م)، ص١١٧.

فرغم الحوافز والتسهيلات التي كانت تمنحها الدولة لأبناء هذه المدارس إلا أن الواقع يؤكد عزوف الكثير من الأهالي عن إلحاق أبنائهم بهذه المدارس، خاصة وأن لغتها تركية وغالبية مدرسيها أتراك، وأيضاً شاع بين الأهالي أن غرض الأتراك من إنشاء هذه المدارس تتريك العرب(١).

ومع ذلك لم يقاطع كافة الأهالي هذه المدارس بل وجد جمع من الأفراد ألحق أبناءه بهذه المدارس بغية الاستفادة من التعليم والثقافة التركية قدر الإمكان(٢).

لقد كان الولاء للدولة العثمانية يمكن أن يتم بغير اللغة التركية، وفرضها على الناس بهذه الصورة، وحسبهم أن تكون لغة ثانية في المدارس، وكان الأمر يمكن أن يتغير آنذاك وتؤدي المدارس رسالتها الأولى في نشر العلم والمعرفة.

**ثالثاً: المدارس الأهلية النظامية الحديثة:**

عرفت مكة المدارس الأهلية منذ الربع الأخير من القرن السادس الهجري فتذكر لنا المصادر التاريخية أن أحد تجار مصر الأثرياء ويدعى العفيف عبد ا بن محمد الأرسوفي أنشأ عام (٥٧١هـ/١١٧٥م) بمكة قريباً من باب العمرة مدرسة عرفت **بمدرسة الأرسوفي(٣)**.

**وقد** توالى فتح الكثير من المدارس الأهلية بمكة لاحقاً، وتعدد الأسباب والأهداف التي من أجلها أنشئت مثل هذه المدارس، وتنوعت طرق الإنفاق عليها والخدمات التي تقدمها لطلابها، والمميزات التي تجعلها منفردة عن غيرها، وفي فترة البحث شهدت مكة العديد من المدارس الأهلية إذ تضافرت عدة أسباب دفعت الأهالي بمكة إلى إنشاء مثل هذه المدارس التي تعلم العلوم الدينية والعربية بجانب العلوم الحديثة بعدما لُمس ضعف المدارس العثمانية وقلة فائدتها ومن هذه الأسباب:

---

(١) السنبل: التعليم في المملكة العربية السعودية،، ص١٤٠، ١٨٤.

(٢) الفوزان: إقليم الحجاز، ص٢٨٤.

(٣) الصباغ: تحصيل المرام، ج٢، ص٦٢٢؛ مقادمي: التعليم الأهلي للبنين في مكة، ص١١٢ .

ـ تأخر المدرسة العثمانية والذي يعود إلى قصور مناهج المدرسة العثمانية عن تقديم ما يفي باحتياجات العصر من معارف حديثة كالرياضيات[1].

ـ عدم الاكتراث من قبل الحكومة بإنشاء مدارس رشدية تفي بالأعداد الكبيرة لأهالي مكة.

ـ عدم محاولة الدولة طرق السبل التي تشجع الطلبة على الالتحاق بمثل هذه المدارس مادياً أو معنوياً، فالاهتمام يكاد يكون خاصاً بأبناء موظفيها ويوجه لتعليم اللغة التركية على الخصوص[2].

ـ ضعف الرواتب التي تقدم لطلبة المدارس، وانشغالهم بتدبير أسباب معيشتهم من طرق أخرى بما يؤثر على مستواهم العلمي، وعزوفهم عن الالتحاق بالمدارس العثمانية[3].

ـ كانت الأهداف التعليمية للعثمانيين مرتبطة بالأهداف السياسية لهم في منطقة الحجاز، إذ الغرض من إنشاء المدارس الرشدية كما تقدم هو إعداد الموظفين البسطاء للمعاونة في الأعمال الحكومية وتنظيم إدارتهم للبلاد[4]، فاكتفت الدولة بفتح المدارس الابتدائية والرشدية في فترة متأخرة نوعاً ما، وغضت الطرف عن فتح بقية المراحل الأخرى كالثانوي والعالي وغيرها، وهذا الشيء بالتأكيد يحد من طموح من يريد أن ينتسب لمثل هذه المدارس، فعزف الكثير من الأهالي عن إلحاق أبنائهم بهذه المدارس.

ـ شاع بين الأهالي أن غرض الأتراك من إنشاء هذه المدارس تتريك العرب[5]، وتأكد لهم ذلك حين رأوا أن الدراسة بها باللغة التركية وأن غالبية

---

(1) ماجدة صلاح مخلوف: أحمد جودت باشا وتطوير المدرسة العثمانية، من كتاب "العلم والمعرفة في العالم العثماني"، ص ٢١٣.

(2) عبد الحميد الخطيب: تطور التعليم بالمملكة العربية السعودية، من كتاب "قالوا عن محمد علي زينل"، ص ٢٦٨.

(3) ماجدة صلاح مخلوف: أحمد جودت باشا وتطوير المدرسة العثمانية ، ص ٢١٣.

(4) محمد أبو الفتوح الخياط: الجذور التاريخية للتعليم في المملكة العربية السعودية، (الدارة، ع ٢، س١، جمادى الثانية ١٣٩٥هـ / يونيه ١٩٧٥م)، ص١١٧.

(5) السنبل: التعليم في المملكة العربية السعودية، ص١٤٠، ١٨٤.

مدرسيها أتراك، وأكد صحة هذه الإشاعة بعض الباحثين حيث، ذكر أن الغرض من إنشائها هو تتريك العرب، وتخريج موظفين إداريين يعملون في الحكومة المحلية بمكة، لذا كان الإقبال عليها من قبل أبناء مكة والمجاورين فيها محدوداً جداً، بل كان جل طلابها من أبناء الموظفين الأتراك وبعض الأعيان[1] .

وقد وجدنا ما يؤكد صحة ما ذهب إليه الباحثون في نص ورد في معروض أرسله الصدر الأعظم إلى السلطان عام (١٢٩٨هـ/١٨٨٠م) بافتتاح مدرسة "رشدية" متوسطة بالمدينة بين أن (افتتاح مدارس متوسطة في تلك الأماكن المقدسة سوف يساعد على تعميم انتشار اللغة التركية فيها)[2].

ـ نتيجة لعزوف الأهالي عن إلحاق أبنائهم المدارس الحكومية التركية، بدأ الجهل والأمية تنتشر بين أبناء الأهالي مما دفع محبي العلم إلى إنشاء المدارس الأهلية لمحاربة الجهل، ويؤكد ذلك ما ذكره مؤسس الفلاح بمكة على زينل إذ يصف لنا **حالة التعليم** في الحجاز في أوائل القرن الرابع عشر الهجري بقوله: (كان يقوم الجمال من مكة المكرمة بأحماله ومعه ورقة بها اسم الرجل الذي له البضاعة فيدخل من باب مكة إلى أن يصل إلى الخاصكية فلا يجد من يحسن قراءة الورقة التي بيده إلى أن يسر ا من يقرؤها بعد الجهد والتعب، فيستدل على صاحب الأحمال وينزلها لديه،.... ، وكانت بمدينة جدة كلها مدرسة واحدة هي المدرسة الرشدية، وكان موقعها أمام مسجد الباشا، وقد هدمت بعد خرابها، وتقرر إبقاء الأرض دون بناء توسعة للشارع العثماني، وحين انتشار حركة التتريك التي كانت تمارسها جمعية الاتحاد والترقي التركية، .. هالني الأمر، ووجدت أنه لا بد من عمل شئ لتغيير الحال ، وتعليم الأولاد القرآن الكريم ، ومبادئ القراءة والكتابة على الأقل ، ولم يكن مسموحا بافتتاح المدارس أو الكتاتيب في ذلك العهد، فاستأجرنا مجلساً في بيت ذاكر بحارة الشام، واتفقنا مع أحد الفقهاء على تدريس الأولاد مبادئ القرآن الكريم والكتابة، وتعليمهم صغار السور بين المغرب والعشاء، وقد اخترنا

---

(1) السباعي: تاريخ مكة، ص ٥٨٠ .

(2) سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص١٦٤.

هذا الوقت لنختفي عن عيون الدولة حيث لم يكن مصرحاً لنا بهذا العمل، وقد تقدمنا إلى الحاكم التركي بطلب التصريح لنا بافتتاح مكتب لتعليم القرآن الكريم ، وقد حصلنا على التصريح فأصبحت المدرسة تمارس نشاطها في وضح النهار وأخذنا نشجع الكثيرين على إرسال أولادهم إليها)[1].

ويوضح هذا النقل مدى انتشار الأمية في مكة مع نهاية القرن الثالث عشر الهجري بداية القرن الرابع عشر، إضافة إلى الصعوبة النسبية في استصدار رخصة المدارس الأهلية.

ونتيجة لهذه الأسباب مجتمعة سارع الأهالي لفتح مدارس أهلية نظامية بمكة بعد أن حصلوا على رخصة من قبل الدولة، فمنذ أن وضعت الحكومة العثمانية قانون التعليم عام (١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م) الذي صنف المدارس إلى صنفين حكومية (عامة) ومدارس أهلية (خاصة)، تشرف عليها الدولة مباشرة كان لا بد على الراغبين من الأهالي بفتح مدارس أهلية الحصول على ترخيص من الدولة العثمانية[2].

**- المدرسة الصولتية:**

وهي من أوائل المدارس الأهلية النظامية، والتي كانت لها بصمات واضحة في العملية التعليمية بمكة، أنشأها الشيخ محمد رحمت ا الهندي[3] الذي قدم مكة من بلاده عام (١٢٧٤هـ/١٨٥٧م)، وأذن له بالتدريس في المسجد الحرام، تقديراً لفضله واستفادة من علمه، ولما رأى أنه لم تكن هناك دراسة منهجية أو مدرسة في مكة، فقد قام بتأسيس أول مدرسة على نفقته وبمفرده في المسجد الحرام وذلك في عام (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م)، إلا أن وجود مدرسة في محيط المسجد الحرام لا يؤدي الغرض المنشود من حيث تنظيم الدراسة كما كان ينشدها على غرار مدارس الهند الإسلامية والجامع الأزهر وغيرها من المدارس الإسلامية المنتشرة في بلدن العالم

---

(1) محمد علي مغربي: أعلام الحجاز، ص٢٨٠.

(2) مقادمي: التعليم الأهلي للبنين في مكة ، ص١٣٦؛ مدارس الفلاح الحضارة والتراث،ص٩٩.

(3) انظر ترجمته مفصلة مبحث المجاورين من الفصل الرابع من الرسالة.

العربي، وقد وفق ا أحد أمراء الهنود المهاجرين المقيمين في مكة فتبرع ببعض الأماكن من داره، وانتقلت مدرسة رحمت ا الهندي إلى هذه العمارة بمنطقة الشامية، وما أن سمع أهل مكة عن فتح مدرسة مستقلة على نهج جديد إلا وأقدموا على إلحاق أبنائهم بها، وضاقت الدار بالطلاب، واضطر المؤسس إلى نقل نصف طلابه إلى الحرم الشريف مرة ثانية، وكان الشيخ رحمت ا دائم السعي كثير الاجتهاد لبناء وإنشاء عمارة كبيرة مستقلة للمدرسة، فقد أدرك حاجة مكة لمدرسة نظامية ولكن كان ينقصه المال اللازم لإنشائها، وفي عام (١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) جاءت لأداء فريضة الحج سيدة هندية ثرية من مقاطعة كلكتا تدعى **صولت النساء** وأبدت رغبتها في بناء رباط بمكة[1]، وكان زوج ابنتها على اتصال مستمر بالشيخ رحمت ا ، وعرض عليه رغبة صولت النساء، فأوحى لها الشيخ أن بمكة العديد من الأربطة، وما ينقصها هو مدرسة تعنى بتعليم أبناء المسلمين، فاستحسنت صولت النساء هذا المشروع التعليمي الخيري، وقامت بدفع الأموال اللازمة، لإقامة هذا الصرح العلمي، فاشترى قطعة أرض بحارة الباب وبنى أول بناية للمدرسة وكمل البناء عام(١٢٩٢هـ/١٨٧٥م)، وسميت المدرسة باسم المدرسة "الصولتية" نسبة إلى المحسنة المتبرعة[2]، وبدأ التدريس فيها عام(١٢٩١هـ/١٨٧٤م) وتوسعت المدرسة وأصبح لها عدة فروع في حي أجياد والمسفلة والهجلة[3]، كما أصبح لها عدة بنايات ففي عام (١٣٠٢هـ/١٨٨٤م) ابتدئ بتشييد مسجد المدرسة، وكمل البناء عام (١٣٠٤هـ/١٨٨٦م)، وقد كان المسجد مقر قسم الحفاظ سابقاً، وقد أقامت المدرسة مبنى عام (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) وهذا المبنى يضم جميع الفصول والمكتبة، إضافة إلى مبنى رابع لطلاب القسم الداخلي يشتمل على عدة غرف وفرت فيها سبل

---

. (1) Ibn Dohaish, op. cit , p 133.

(2) عبد ا عبد المجيد بغدادي: الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية، أصولها ، جذورها، أولياتها، (ط٢، جدة، دار الشروق: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص٢٤١؛ عبد الرحمن صالح عبد ا : تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص١٢٧. وانظر مبني المدرسة الملحق ، ٤/د.

(3) المملكة العربية السعودية، "وزارة المعارف" الوثائق التربوية "المدرسة الصولتية" (الرياض: ١٣٩٢هـ) ص٣٦.

المعيشة الضرورية[1]، وقد سكن فيه العديد من الطلبة من جنسيات إسلامية وعربية مختلفة كالعراقية واليمنية والسورية والتركية والإيرانية والهندية والأندونسية والأفغانية والبخارية[2].

كما أن المدرسة كانت توفر لجميع طلابها وجبة الفطور والغذاء بالمجان، فقد كانت العادة أن يحضر الطلاب والمدرسون إلى المدرسة بعد صلاة الصبح، وبعد أداء نوافل الإشراق في المدرسة تقدم وجبة الفطور، ثم تبدأ الدراسة وتستمر حتى صلاة الظهر، وبعد صلاة الظهر يقدم الغذاء[3].

ولاشك أن نظام (اليوم الكامل) المعمول به في نظم التعليم الحديث يقتضي اعتماد الطالب على المدرسة ليس فقط في التعليم، بل وفي تناول الوجبات الغذائية المناسبة، فكان نظام الصولتية سابقاً عليه مما أفاد الطلاب وكان تميزاً في التعليم جديداً على مدارس مكة نسبياً.

وقد رسم الشيخ رحمت ا خطة تسير عليها مدرسته، تتلخص في عدم اشتغال المدرسين والطلاب بالأمور السياسية، وأن يبتعدوا عن المسائل الخلافية والعصبيات ودواعي الفرقة[4].

ولا شك في أن هذه الخطة تظهر مدى حكمته في تجنب مدرسته لمشاكل هي في غنى عنها خاصة وأن الفترة التي افتتحت فيها المدرسة كانت تعج اضطرابات سياسية كثيرة، كما لم يزج بالمدرسة ومنتسبيها في أتون الخلافات المذهبية التي ينشأ عنها التعصب والبغي والفرقة المذمومة شرعاً، فكان لهذه القيود الأثر البالغ في استمرار مسيرة المدرسة بتجنبها ما يشغلها عن رسالتها العلمية.

**مناهج المدرسة الصولتية:**

كانت مناهج المدرسة الصولتية في عام (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م) كالآتي:

---

(١) محمد باسلامة : المدرسة الصولتية، جريدة البلاد ، ١٤٠٣/٨/٣هـ، العدد ٧٣٤٢، ص١٠، ١١.

(٢)Ibn Dohaish, op. cit , p 137.

(٣) المملكة العربية السعودية ، "وزارة المعارف" الوثائق التربوية "المدرسة الصولتية" ، ص٤٢.

(٤) محمد سليم محمد سعيد: أكبر مجاهد في التاريخ "رحمت ا الهندي" ، ص ٥٦.

ـ أولاً: **القسم التحضيري**: ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات، يدرس في السنة الأولى **الهجاء**، **والقاعدة البغدادية**، وبعض السور الأولية وكتابة الأحرف وحفظ وكتابة الأعداد، أما بقية السنوات فيدرس فيها الطالب:

**القرآن الكريم:** نظراً بأكمله وحفظ جزئي "تبارك وعم" غيباً.

**التجويد:** وتمرين الطلاب على قراءة القرآن الكريم مرتلاً.

**الفقه** ويدرس فيه كتاب المسائل النفيسة ومتن أبي شجاع.

**الحساب:** القواعد الأربع مع حفظ الأعداد وكتابتها.

**الإملاء والخط**، مع **حفظ** أ كبر قدر ممكن من **الأدعية المأثورة** في السنة الثانية والثالثة. وأضيف للمنهج عام ١٣٣٠هـ بعض الفنون **كالمطالعة ومبادئ السيرة النبوية** وتمرين طلاب السنة الثالثة على **الخطابة**.

ـ **ثانياً: القسم الابتدائي**: ومدة الدراسة به ما بين سنتين إلى ثلاث سنوات ويدرس فيه المواد الآتية:

**الفقه:** الكتب المتوسطة في المذاهب الأربعة، وهي: حاشية نور الإيضاح، والقدوري، وشرح متن التحرير، ورسالة الفقه.

**التجويد:** في السنتين الأولى والثانية فقط.

**السيرة النبوية:** في السنتين الأولى والثانية حفظاً.

**التاريخ**: تاريخ الخلفاء الراشدين مفصلاً في السنوات الثالثة والرابعة.

**النحو:** الأجرومية والكافية وكتب النحو المتداولة.

**الصرف:** الأمثلة ومتن البناء.

ـ **أما القسم الثانوي** فكنت مدرة الدراسة به ثلاث سنوات يدرس فيه الطالب كتب المواد الآتية:

**التفسير:** كتاب الجلالين بأكمله.

**الحديث:** كتاب مشكاة المصابيح وسنن الترمذي بأكملهما.

**الفقه:** الكتب العالية كالوقاية والمنهاج.

**أصول الفقه:** كتبا عالية كالتمهيد ونور الأنوار والشاشي وشرح الورقات.

**مصطلح الحديث:** كتاب نخبة الفكر.

**الفرائض:** كتاب رسالة الأزهار حفظاً وشرح السراجية.

**علم الكلام:** كتاب **عمدة العقائد** النسفي.

**المنطق:** كتاب القطبي وسلم الوصول.

**الفلسفة الإسلامية:** كتاب الهدية السعيدية.

**النحو:** كتاب الكافية أو شذور الذهب مع حفظ الألفية.

**الصرف:** كتاب مراح الأرواح.

**البلاغة:** كتاب الجوهر المكنون وكتاب التلخيص.

**الأدب:** كتاب المقامات للحريري.

**المناظرة:** كتاب **الرشيدية**.

**التاريخ:** كتاب تلخيص ابن هشام، وتاريخ الخلفاء للسيوطي.

**الجبر والمقابلة:** كتاب الكمالات التوفيقية وكتاب الجبر للمرحلة المتوسطة[1].

ومن اتساع الوقت المخصص للدراسة في هذه المدرسة فإننا نستنتج الاهتمام القوي بالتعليم ، فإن مدة الساعات السبع كفيلة بإعداد طالب علم متميز، ونتوقع أن يكون اليوم الدراسي يبدأ ما بين السابعة والثامنة صباحاً إذ أذان العصر في مكة عادة يكون بين الثالثة والرابعة بعد الظهر، كما نتوقع أن يكون هناك أوقات للفسح والغذاء إضافة إلى وقت الصلاة وذلك كله ضروري حتى تؤدي المدرسة رسالتها.

وشهدت المدرسة تطوراً كبيراً في الفترة اللاحقة بعد عام (١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م) فقد أحدثت نظام الفصول الدراسية في المدرسة، وأصبحت تضم الأقسام التالية: القسم التحضيري ومدة الدراسة به أربع سنوات، القسم الابتدائي ومدة الدراسة به أربع سنوات، القسم الثانوي ومدة الدراسة به أربع سنوات، القسم العالي ومدة الدراسة به سنتان[2].

---

(1) صدى العلم من الحجاز، ص٥٠، وانظر تعريف مفصل عن هذه الكتب مبحث العلوم والمصنفات.

(2) عبد الرحمن صالح عبد ا : تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص١٢٩؛ لمعرفة المزيد عن المدرسة أنظر موقعها على النت : www .alsawlatiyah . com

وهي بهذه السنوات الأربع عشرة تخرج الطالب المؤهل للتدريس على غرار الكليات المتوسطة الآن ، ونلاحظ أن الدراسة اقتصرت في المرحلة الرشدية على خلاف المعمول به نظاماً في بقية المدارس كالفلاح مثلاً، والظاهر أن اختيار المراحل وعدد سني كل مرحلة كان يتم حسب رؤية مؤسس المدرسة ولم يكن له نظام موحد.

وانعكس هذا التطور في مراحلها على نوعية المدرسين الذين عملوا بها هذه الفترة فشملت مدرسين متخصصين في العلوم الدينية والعربية وغير ذلك

وفي عام (١٣٣١هـ/١٩١٢م) بلغت المواد المدرسة بالمدرسة خمساً وعشرين مادة هي: القرآن الكريم بالتجويد مع الحفظ، التفسير، الحديث، التوحيد، الفقه الحنفي، الفقه الشافعي، أصول الحديث، أصول الفقه، الفرائض والمواريث، الأخلاق، التاريخ الإسلامي، الصرف، النحو المعاني والبيان والبديع، الأدب، العروض والقوافي، ، الخط والإملاء المنطق، الحكمة، الهيئة، الميقات، الجبر والمقابلة، المساحة، الحساب، الهندسة، [1].

وأشارت إدارة المدرسة الصولتية عام (١٣٣١هـ/١٩١٢م) إلى حرصها على إدخال المواد الحديثة في منهجها، إضافة إلى إدخال بعض الإصلاحات في نظام تدريسها، ويبدو أن منهج المدرسة كان يتأثر بمناهج المدارس الإسلامية في الهند، فتذكر المصادر أن مدير المدرسة سافر إلى الهند من أجل الوقوف على ما أدخل في نظام التعليم من الإصلاحات في المدارس الهندية خصوصاً ما قررته جمعية ندوة العلماء[2].

وكان يجرى للطالب امتحانات شهرية في المواد التي تمكن من تحصيلها إضافة إلى امتحان تحريري نهاية العام الدراسي.

وقد وصف عبد الرحمن الدهان أحد مدرسي المدرسة طريقة امتحان من نجحوا عام (١٣٣٠هـ/١٩١١م) فقال: (وقد جرى في هذا العام صفة الامتحان على

---

(١) صدى العلم من الحجاز ، كتاب أصدرته المدرسة عام ١٣٣١هـ، ص٥٠.

(٢) المصدر السابق، ص١٧.

نمط الماضي من الأعوام من الامتحان التحريري على ما هو المعلوم عند علماء الهند الأفاضل الأعيان، وجعل في كل كتاب خمسة أسئلة تدفع للطالب عند حضور مجلس الامتحان، ويكتب عليها بما يفتح ا عليه بدون مراجعة الكتاب ولا الإخوان)[1] .

وكانت المدرسة تقوم بالتدريس بالمجان وإن عانت إدارتها من قلة الموارد المالية، ففي عام (١٣٣١هـ/١٩١٢) لم تكف الواردات التي كانت تصل إلى المدرسة من المتبرعين خاصة الهنود منهم نفقات المدرسة مما أدى إلى سفر مدير المدرسة إلى الهند لتحصيل ما لها من العادات عند الأمراء والسادات[2].

ومن سبل التشجيع التي انتهجتها المدرسة لترغيب الطلبة على التحصيل العلمي، إقامة حفلات سنوية مع نهاية العام الدراسي توزع فيها الجوائز القيمة على الطلاب الناجحين، مثل: صحيح البخاري وشرح مسلم وكتاب عمل اليوم والليلة ومقدمة ابن الصلاح وكتاب المحصل مع تلخيصه وغيرها من كتب[3].

وكان لخريجي المدرسة الأثر الواضح في الحياة العلمية بمكة، فقد اضطلع قسم كبير منهم بشرف مهنة التدريس بالمسجد الحرام فور تخرجهم فازدادت حلقات الدروس بهم ، إذ عقد المتخرجون حلقاتهم في كل حصوة ورواق[4].

ومن عاد من الطلاب الوافدين إلى بلاده بعد تخرجه باشر التدريس في المؤسسات التعليمية القائمة بموطنه ، أو أسس له مدرسة خاصة على غرار الصولتية[5].

وممن تولى التدريس بالصولتية في هذه المرحلة: عبد الرحمن بن أحمد الدهان، وحفظ القرآن الكريم وطلب العلم بالمدرسة الصولتية، فأخذه عن عدد من علمائها

---

(1) المصدر السابق، ص٥.

(2) نفسه، ص١٧؛ عبد الرحمن صالح عبد ا : تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص١٢٨.

(3) تقرير إدارة المدرسة الصولتية مؤرخ عام ١٣٨٢هـ ؛ صدى العلم من الحجاز ، ص٥٠ .

(4) تقرير من إدارة المدرسة الصولتية في ١٤٢٥/٤/١هـ. ولا تزال المدرسة الصولتية قائمة تؤدي رسالتها، وقد قامت الباحثة بزيارة المدرسة والالتقاء بمديرها أحد حفدة المؤسسين لها، وقد زودها مشكوراً بالعديد من المؤلفات والتقارير التي تتحدث عن المدرسة إضافة إلى مجموعة من مؤلفات الشيخ رحمت ا .

(5) محمد باسلامة : المدرسة الصولتية، جريدة البلاد ، ١٤٠٣/٨/٣هـ، العدد ٧٣٤٢، ص١١.

منهم مؤسسها رحمت ا  الهندي، وعندما تخرج الدهان من المدرسة عرض عليه مؤسسها أن يعمل بها مدرساً لما لمسه فيه من كفاءة علمية ومقدرة تربوية تؤهله لممارسة مهنة التدريس، فوافق الدهان، وباشر دروسه بالمدرسة فانتفع به الكثير من طلبة العلم الذين تخرجوا على يديه، وقد عرضت عليه الكثير من الوظائف من قبل الحكومة بمكة غير أنه رفضها جميعاً واكتفى بالتدريس بالصولتية حتى وافته المنية عام (١٣٣٧هـ/١٩١٨م)[١].

كما عين أحمد بن عبد ا  ناضرين (ت١٣٧٠هـ/١٩٥١م)،مدرساً بالصولتية عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م) ومكث بها حتى عام (١٣٣٢هـ/١٩١٣م)  ثم انتقل للتدريس بمدرسة الفلاح حتى عام (١٣٤٤هـ/١٩٢٥م)[٢].

والتحق مختار بن عثمان مخدوم البخاري، بالمدرسة الصولتية، فدرس بها العلوم الدينية والعربية، وكان ميله الأكبر نحو العلوم العربية من نحو وصرف فشمله مدرسوها بالاهتمام والرعاية، واستفاد منهما غاية الاستفادة، وبعد تخرجه منها، انتخب للتدريس بها، فكان يدرس الفقه والنحو والصرف[٣].

وهذا يعود قسم منه لجهود مدرسيه الذين بذلوا الجهد والطاقة في سبيل نبوغ تلميذهم وتفوقه حين لمسوا منه الجد والاجتهاد ، لا بد للمعلم أن يراعي مثل هذا وأن يكون فطناً ذكياً يعرف ميول تلاميذه فينميها، ويقوي عزيمتهم للوصول إلى أهدافهم ولا يكون خاملاً مجرد أداة لشرح الدرس، مما يفتقد في كثير من المدرسين.

**ـ المدرسة الفخرية العثمانية:**

مؤسسها هو الشيخ عبد الحق قاري، وهو هندي الأصل من مدرسي الصولتية رأي حاجة مكة تزداد شيئاً فشيئاً للمدارس، فأنشأ مدرسة  أسماها "التجويدية"، ظلت

---

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق١٧٠.

(٢) توظف بعدها في المحكمة الشرعية الكبرى، وفي عام (١٣٤٦هـ/١٩٢٧م) أذن له بالتدريس بالمسجدالحرام فدرس به، في عام (١٣٤٧هـ/١٩٢٨م) عاد للتدريس بمدرسة الفلاح، ومكث بها عاماً ،ثم غادرها ليعود إليها عام (١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م) ويبقى بها حتى عام (١٣٦١هـ/١٩٤٢م)، الحبشي: الدليل المشير ، ص٥٠ـ ٥١.

(٣) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٥٣٩.

بغير مبنى لها طيلة السنوات السبع الأول من إنشائها، بل كان الشيخ عبد الحق يعطي الطلاب الدروس في المسجد الحرام، ثم شيد لها مبنى خاصاً بها بالقرب من باب إبراهيم عام (١٢٩٦هـ/١٨٧٨م)، كان جل اهتمامها بالقرآن الكريم والتجويد والقراءات مع العلوم الأساسية كالحساب والإملاء والإنشاء[١].

وقد تكفل مؤسسها بالصرف والإنفاق عليها من ماله الخاص،إلا أن زيادة عدد الطلاب الملتحقين بها إضافة إلى حاجتها لتطوير مناهجها، جعلت المؤسس يتوجه صوب مصر والهند في محاولة منه لجذب اهتمام المسلمين إلى هذا المشروع التعليمي الخيري، وقد كلل ا مساعي الشيخ بالنجاح إذ سخر للمدرسة أحد حكام حيدر آباد وهو الملك عثمان علي خان فقام بشراء مبنى جديد للمدرسة،إضافة إلى تبرعه بمنحة مالية كبيرة لها، ونتيجة لهذا الدعم السخي من قبل الملك عثمان علي خان قام الشيخ عبد الحق بإعادة تسمية المدرسة على اسم ذلك المحسن، وأصبحت تعرف بـ"المدرسة الفخرية العثمانية"، كذلك حصلت المدرسة على منح مالية شهرية من مصر والهند ، عبارة عن [١٥] جنيه مصري، و [١٠٠] روبية من حيدر آباد إضافة إلى مساعدات مالية أخرى من المحسنين والأثرياء، وقد كانت لهذه المساعدات أثرها البالغ في توسع المدرسة، فصار لها فرعان في مكة في الفلق وآخر في أجياد، كما أنها استطاعت أن تطور وتحسن من المناهج والمواد المدرسة والتي تم توزيعها على ثلاث سنوات دراسية[٢]، وقد اتسم نظامها ومناهجها وأسلوب إدارتها بنظام المدرسة الصولتية، إضافة إلى نوعية الطلاب الذين كانون يرتادونها وهم أبناء المجاورين أو الوافدين الهنود[٣].

---

(١) الشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص٥٠.

(٢) Ibn Dohaish, op. cit , p 136.

(٣) محمد بن معجب الحامد وآخرون: التعليم في المملكة العربيةالسعودية "رؤية الحاضر واستشراف المستقبل" (ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص٢٩؛ بلغ عدد طلابها عام (١٣٤٠هـ/١٩٢١م) ما يقرب من ٨٥٠ طالباً موزعين على الفروع الثلاثة التحضيرية والابتدائية والرشدية، ومنذ عام (١٣٥٨هـ) بدأ الضعف يدب في المدرسة، حيث قل عدد المتبرعين فأغلقت فرعين من فروعها، وأصبحت الدراسة فيها مقصورة عام (١٣٦٥هـ) على ثلاث سنوات تحضيرية وسنة واحدة ابتدائية، ومنذ عام (١٣٧٨هـ) عادت المساعدات المالية = للمدرسة مرة أخرى،

وبهذا صارت المدرسة الصولتية مثلاً يحتذى يسير على نهجها من جاء بعدها، وما ذلك إلا للشعور بأثر الصولتية في إثراء الحركة العلمية بمكة وكثرة حلقات متخرجيها بالمسجد الحرام.

**ونتيجة للصعوبات المالية التي رافقت المدرسة منذ نشأتها فقد انتهى بها الأمر إلى الزوال [1].**

**ـ المدرسة الخيرية "مدرسة الخياط" :**

نسبة إلى مؤسسها محمد حسين الخياط (ت١٣٣٠هـ/١٩١٢م) ، من علماء مكة البارزين، وأحد المدرسين بالمسجد الحرام، أنشئ عام (١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م) مدرسة في دار له صغيرة بجوار باب الدريبة، بهدف نشر العلوم الدينية وتعليم الناشئة العقيدة الصحيحة، كي يكونوا قدوة لغيرهم، وإظهار مزايا الدين الحنيف عن طريق تربية النشء تربية صحيحة، تؤثر في المجتمعات الإسلامية وتنهض بها، وكان لهذه الأهداف النبيلة مردودها السريع بين أهالي مكة، فاكتظت بالطلاب وذاع صيتها، وضمت عدداً كبيراً من أبناء مكة الذين أصبحوا فيما بعد علماء يشار لهم بالبنان[2]، ونتيجة لما انفردت به المدرسة من مميزات وجدت الدعم من أولى الأمر بمكة مما أسهم في تطورها في فترة وجيزة[3]، فقد قام الشريف الحسين بن علي ببناء مبنى للمدرسة مقابل باب السلام بعد أن حصل على رخصة من قبل الحكومة العثمانية على بناء المدرسة وإنشائها، ثم قام بنقل الطلاب إليها وعرفت "بمدرسة

---

فعادت المدرسة لعملها، وإن ظلت الصعوبات تواجهها ما بين فترة وأخرى خاصة المالية منها، انظر: عبد الرحمن صالح عبد ا : تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص١٣٣، ١٣٤.

(1) ففي ١٤٠٣/١٢/٢٧هـ قررت وزارة المعارف إغلاق المدرسة لعجزها عن تأدية رسالتها، وتوزيع طلابها على المدارس الحكومية في مكة، وإنهاء عقود المدرسين والإداريين لعدم الحاجة إليهم، بعد خدمات تعليمية وتربوية قدمتها لأبناء مكة والوافدين إليها على مدار( ١٠٥) عاماً: مقادمي: التعليم الأهلي للبنين في مكة، ص١٣٥

(2) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٤٠؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٤٧.

(3) مقادمي: التعليم الأهلي للبنن في مكة، ص١٣٦؛ محمد الحامد: التعليم في المملكة العربية السعودية، ص٣٠.

المسعى" وذلك عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)، وقد اعتنى الشريف الحسين بهذه المدرسة وقدم لها كل عون من أجل بقائها وتطويرها[1].

وأشار البتنوني الذي زار المدرسة عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) بأنها تدرس مواد الصولتية ولكن بشيء من التوسع[2]، فكانت تدرس العقائد والفقه والتجويد والنحو والصرف والمعاني والبيان والجغرافيا والتاريخ والخط والإنشاء والرسم والتربية والأخلاق، واللغة والنحو التركي والإملاء التركي وحفظ الصحة، ومسك الدفاتر والهندسة والحساب والجبر والميقات والمساحة والمكتبات[3].

والظاهر أن إدخال اللغة التركية وتوابعها كان من أجل الحصول على الرخصة من الحكومة التركية وللمنافسة على الوظائف التي كانت تشترط ذلك ومن هنا يكمن السر في احتفاء الشريف الحسين بن علي بهذه المدرسة، وكأنه أراد أن تكون نواة لتأسيس إدارة من أبناء مكة لا تحتاج إلى موظفين أتراك يعينون من قبل الحكومة ، وهذا يتوافق مع تطلعاته الاستقلالية كما هو معروف.

وكمحاولة جادة من القائمين على المدرسة بخدمة العلم وطلابه ونشر العلم بين أبناء المجتمع المكي جعلت الدراسة بها بالمجان مما زاد عدد الطلبة الملتحقين بها حتى بلغ عام (١٣٢٨هـ/١٩١٠م) نحو ثلاثمائة طالب، ونتيجة لاستمرار التشجيع والمساعدات من قبل أولي الأمر بمكة من ولاة وأمراء إضافة إلى أهل الخير[4]، احتوت المدرسة عام (١٣٣٣هـ/١٩١٤م) على مرحلة نهائية - أشبه ما تكون بالمرحلة الجامعية - بلغ عدد الطلاب فيها سبعة طلاب، وقد تقدموا هؤلاء السبعة في نفس العام لامتحان عقدته لهم لجنة من العلماء والمدرسين بالمسجد

---

(1) Ibn Dohaish, op. cit , p 139.

(٢) البتنوني: الرحلةالحجازية، ص٥٩.

(٣) الفوزان: اقليم الحجاز، ص٢٨٢.

(٤) الشامخ : التعليم في مكة، ص٥١؛ مقادمي: التعليم الأهلي للبنين في مكة: ص١٣٧.

الحرام، لكي يصبحوا ضمن عداد العلماء المرخص لهم بالتدريس في المسجد الحرام[١] وهذا يظهر مستوى هذه المرحلة في العلوم الدينية والعربية.

وانفردت المدرسة بطريقة تدريس لم يسبق لها أحد، فقد كان معلمها الأول الخياط ذا ثقافة واسعة وذكاء تربوي فريد، قام بتجديد طريقة التدريس التي كانت سائدة في عصرة والمعتمدة على تلاوة المتون والشروح ثم التعليق عليها من قبل الأستاذ بنفس الشروح السابقة، فكسر روتين تلك الطريقة، واستطاع أن يلقن تلاميذه الدرس تلقيناً تصويرياً عن طريق الأمثلة والروايات وعرض المشكلات فلا ينتهي التلميذ من درسه حتى يكون قد ترسخ في ذهنه[٢].

ويعقد للتلاميذ عادة امتحان متطور ومنظم إذ يدخل الطالب غرفة الامتحانات ويجلس على كرسي وأمامه عدد من العلماء والمدرسين، ثم تلقى الأسئلة على الطالب في كافة العلوم التي درسها، ويحدد مستوى الطالب بمقدار ما يجيب عليه من أسئلة وعادة ما يعقد الامتحان النهائي مع نهاية كل سنة[٣].

وممن تولى التدريس بهذه المدرسة: حسين بن عبد ا باسلامة، فقد طلب مؤسس المدرسة الخياط من باسلامة عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) أن ينضم في صفوف مدرسي الخياط لكفاءته العلمية وقدرته الفائقة على التعليم، فوافق باسلامة على عرض الخياط، وتولى تدريس علم الجغرافيا والأخلاق الفاضلة ومبادئ التاريخ بالمدرسة[٤]؛ وقد بقي أكثر من عشر سنين مدرساً بها[٥].

---

(١) الشامخ: التعليم في مكة ، ص٥١ـ ٥٢. إلا أن الامتحان لم يعقد وأجل حتى عام (١٣٣٤هـ/١٩١٥م)، وهو العام الذي انتهى فيه الحكم العثماني على الحجاز بقيام الثورة العربية الكبرى، بكر شرف: ذكريات من مدرسة الخياط، (مجلة المنهل ، مج ٧، ع١١، ١٢، س١٧، ذو القعدة ـ ذو الحجة ١٣٦٦هـ/ اكتوبر ـ نوفمبر ١٩٤٧م)، ص٥٤٨ـ ٥٤٩

(٢) بكر شرف: ذكرياتي عن مدرسة الخياط، (مجلة المنهل ، مج ٧، ع١١، ١٢، س ١٧، ذو القعدة ـ ذو الحجة ١٣٦٦هـ/ اكتوبر ـ نوفمبر ١٩٤٧م )، ص٥٤٨.

(٣) الشامخ: التعليم في مكة، ص ٥١ـ ٥٢ ؛ بكر شرف: ذكرياتي عن مدرسة الخياط، (مجلة المنهل ، مج٧ ، ع١١، ١٢، س ١٧، ذو القعدة ـ ذو الحجة ١٣٦٦هـ/ اكتوبر ـ نوفمبر ١٩٤٧م )، ص٥٤٨ـ ٥٤٩.

(٤) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام ، ص ب.

(٥) مغربي: أعام الحجاز، ج٢، ص١٩.

## ـ مدرسة دار الفائزين:

كان عبد الخالق محمد حسين البنغالي من طلاب رحمت ا الهندي مؤسس الصولتية، وقد أشار عليه أستاذه بافتتاح مدرسة في حي المسفلة كي تساعد الصولتية في أداء رسالتها، فشيد عبد الخالق مبنى المدرسة في المسفلة عام (١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م)، وأوقف عليها عدة دور، ينفق من إيجارها على المدرسة، وسميت بـ"المدرسة الإسلامية"، نسبة إلى مسقط رأس مؤسسها بإسلام آباد، وكان الهدف من إنشائها تعليم القرآن الكريم ومبادئ الشريعة الإسلامية، وكان خريجوها ينتقلون للصولتية لمتابعة دراستهم، ثم غير اسم المدرسة لتصبح "دار الفائزين" وذلك في عهد إمارة الشريف الحسين ين علي[١] .

وإيماناً برسالة المدرسة فقد وجدت الدعم المادي من قبل أهل الخير وخاصة من مسلمي الهند، فعلى سبيل المثال تبرع دولابيينباري البنقالي عام (١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م) بدار كبيرة للمدرسة ليتم تأجيرها والإنفاق من ريعها على المدرسة[٢].

وقد كان لهذا الدعم السخي آثاره الملموسة على سير الدراسة بالمدرسة، فقد ضمت عدداً من المدرسين لا يقل عن ثلاثة، إضافة إلى عدد من الإداريين يتولى تعيينهم المؤسس الذي كان يتولى هو بنفسه رئاسة المدرسة وإدارتها والنظارة على أوقافها أما الطلبة فقد كانت أعدادهم في ازدياد باستمرار[٣].

ولم يختلف المنهج الدراسي المقرر للمدرسة عن بقية المدارس الابتدائية القائمة في مكة في تلك الفترة، فقد كان القرآن الكريم المادة الرئيسة في المقرر، ثم الهجاء والقراءة والحساب ومبادئ الفقه الإسلامي[٤].

---

(١) عبد الرحمن صالح عبد ا : تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص١٣٦.

(٢) المحكمة الشرعية الكبرى: صك رقم : ٣٨٦، بتاريخ ٢٤/ ٦/ ١٣٠٦هـ.

(٣) عبد اللطيف بن دهيش: المدرسة الإسلامية أو "دار الفائزين" بمكة المكرمة، (مجلة الدارة، ع ٢، س١٤، محرم، صفر، ربيع الأول ١٤٠٩هـ/ أغسطس ، سبتمبر ، أكتوبر ١٩٨٨م)، ص٧ .

(٤) Ibn Dohaish, op. cit , p 138.

وقد حققت المدرسة في حياة مؤسسها خطوات خجولة صوب النجاح والتقدم غير أنها أصيبت بانتكاسة كبيرة بعد وفاته حوالي عام (١٣٣٢هـ/١٩١٤م)، فقد اشترط أن تكون نظارة المدرسة وأوقافها بعد وفاته لابنه محمد، وفي حال انقراض ذريته تنتقل النظارة إلى بيت الميمني القاطنين في مكة[١]، ولكن بعد وفاته لم يهتم ابنه بالمدرسة وعاد إلى الهند[٢]، وتوفي بها عام (١٣٣٤هـ/١٩١٥م)، فآلت نظارتها إلى أحد التجار ويدعى عبد الستار أبو طالب الميمني الذي أولاها الرعاية والاهتمام وغير اسمها إلى مدرسة دار الفائزين[٣].

**- مدرسة الفلاح:**

مؤسس مدارس الفلاح هو الحاج محمد علي زينل[٤] وقد ظهرت فكرة إنشاء مدرسة بمكة بعد أن نجحت مدرسة الفلاح بجدة في أداء مهمتها التعليمية واستقطاب

---

(١) عبد الرحمن صالح عبد ا : تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص١٣٦.

(٢) صك النظارة لم يغفل تغيير النظارة في حالة عدم قيام الناظر بمهماته فيصرف الريع على مصالح الحرم أو مطلق الفقراء بنظر الحاكم الشرعي بمكة ؛ انظر الصك رقم: ١٣٦/٥٢٥ بتاريخ ١٣٣٠/٣/٢٦هـ ، والصادر من المحكمة الشرعية الكبرى بمكة. وانظر صورة الصك ، الملحق ٢/أ.

(٣) وبعد وفاة الناظر عبد الستار أبو طالب، تدنى المستوى الدراسي للمدرسة بسبب تنازع القائمين عليها على نظارتها، وفي عام ١٣٦٥هـ تم تعيين محمد سليم رحمت ا مدير الصولتية مشرفاعليها إلا أنها أغلقت عام ١٣٧٢هـ لتراكم مشاكلها المالية والإدارية، ومن عام ١٣٧٢هـ وحتى ١٤٠٦ كانت الدار تفتح أبوابها حيناً لتغلقه أحياناً أخرى تبعاً لنشاط وهمة الناظرين عليها، ثم سلمت نظارة المدرسة وأوقافها المتواضعة لناظر دار الحديث الخيرية بموجب صك شرعي صادر من المحكمة الكبرى بمكة، برقم ٥٨٤ وتاريخ١٤١٧/٧/٢٣هـ فقامت دار الحديث بمجهودات حثيثة للنهوض بدار الفائزين منها تنمية أوقافها مما كفل للمدرسة الموارد المالية للصرف عليها، والتي كانت هي العائق الدائم والسبب الوحيد لتعسر المدرسة فترة تاريخها، وهي الآن من المدارس الابتدائية الأهلية المرموقة بمكة التي تعني بتحفيظ كتاب ا الكريم إضافة إلى مناهج وزارة التربية والتعليم . **تقرير عن دار الفائزين الابتدائية بمكة** أمدتنا به مدرسة دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة.

(٤) ولد المؤسس بجدة واشتغل بالعمل التجاري وهو صغير، ثم ترك العمل وسافر إلى مصر ليلتحق بالأزهر، ولكن والده أقنعه بالعودة إلى جدة لمساعدته في عمله، وبعد رجوعه إلى مسقط رأسه أخذ يدرس ثلاث لغات أجنبية الأردية والفارسية والإنجليزية، وقد عني عناية فائقة بنشر التعليم فافتتح مدرسة في دبي ومدرستين في البحرين، كما أخذ يرسل البعثات العلمية للدراسة في الخارج على نفقته، وكان سخياً في الإنفاق على العلم.وصف بأنه : (بطلاً من أبطال الثورة ضد الجهالة والأمية السائدة في أيامه وصرحاً من صروح الإصلاح الاجتماعي وعلماً من أعلام التاريخ الإسلامي والعربي ..).

الأهالي إليها، فعرض الحاج زينل الفكرة على عبد ا حمدوه السناري، فأيدها وقام على تحقيقها بانتقاله هو وكتابه إلى المدرسة الجديدة، وكان موقعها بالقشاشية، بدار علي باشا أمام باب علي ثم انتقلت إلى حارة الباب بدار آل نصيف(١).

وحين قرر محمد علي زينل إنشاء مدرسة الفلاح عام (١٣٣٠هـ/١٩١١م) وقع اختياره على عبد ا حمدوه فعرض عليه فكرته فوافق الأخير ورحب بفكرة إنشاء المدرسة لحاجة مكة الملحة لمثل هذه المدارس المطورة والحديثة من حيث المنهج والأسلوب والإدارة، وانتقل بطلابه إليها وعين مدرساً بها، وفي عام (١٣٤٠هـ/١٩٢١م) عين مديراً لها مع تدريسه بها وبالمسجد الحرام القراءات والنحو والفقه توفي عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) ودفن بمكة(٢) .

وكان الهدف من إنشاء المدرسة رفع مستوى طلاب العلم في تعلم العلوم الدينية(٣)، ونشر اللغة العربية، ودراسة العلوم التي من شأنها أن تطور المجتمع وتنميه، وكانت تضم (قسم تحضيري وابتدائي وثانوي)، ومدة كل مرحلة ثلاث سنوات(٤).

وأما المواد والمقررات التي درست **بمدرسة الفلاح** في كل مرحلة فكانت كالتالي:

**المرحلة التحضيرية :**

ودرس بها **القرآن الكريم** مجوداً نظراً، حفظ ثلاثة أجزاء تبدأ بسورة المجادلة

**الفقه:** جميع أبوابه كل على مذهبه في متون أبي شجاع والأسقاطي والرسالة ودليل الطالب.

---

(١) انتقلت المدرسة بعد ذلك إلى حي الشبيكة ثم حي النزهة، وظلت به حتى أنشئ لها مبنى كبير في نفس الحي على أحدث الطرز المعمارية كي تستمر في أداء دورها التعليمي والتربوي الذي أنشئت من أجله.

(٢) غازي: نثر الدرر، ق ٤١؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٣٢٩ ـ ٣٣٠.

(٣) بغدادي: الانطلاقة التعليمية، ص٢٤٨.

(٤) قالوا عن محمد علي زينل، ص١٦٨. بكري شيخ أمين: الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ص١٤٩ ـ ١٥٠؛ عبد الرحمن صالح عبد ا : تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص١٤٢ ـ ١٤٣.

**الحديث:** الجزء الأول من كتاب الترغيب والترهيب "مختصر من كتاب المنذري" خاص بالعبادات والأخلاق.

**التجويد:** كتاب مفتاح التجويد جميعه.

**السيرة النبوية:** مختصر جامع فيها.

**النحو:** ثلاثة أجزاء من كتاب الدروس النحوية لنخبة من الأزهريين.

**الصرف:** كتاب الأمثلة المختلفة.

**الإملاء:** جميع القواعد الإملائية.

**الخط** : الرقعة والنسخ.

**الحساب:** الأعداد والقواعد الأربع والكسور بأنواعها من كتاب الدرر البهية ـ الجزء الأول.

وكتب الفقه المذكورة في المنهج تشمل المذاهب الأربعة، وكتاب **الإسقاط**[١]، وكتاب **دليل الطالب**[٢].

**ثانياً: المرحلة الابتدائية:**

تدرس فيها نفس مواد المرحلة التحضيرية ولكن بتوسع أكبر وبشكل تفصيلي.

**ثالثاً :المرحلة الرشدية:**

**التفسير** : عشرون جزء من تفسير الجلالين

**الحديث** : الجزء الثاني من كتاب الترغيب والترهيب، "مختصر من كتاب المنذري" خاص بالمعاملات، والأربعين النبوية.

**التوحيد.**

**الفقه:** كل على مذهبه في شروح المتون السابقة.

**السيرة النبوية** : كتاب نور اليقين للشيخ الخضري.

**النحو:** الجزء الرابع من كتاب **الدروس النحوية** لنخبة من الأزهريين والألفية.

---

(١)هو متن في الفقه الحنفي للشيخ مصطفى بن أحمد الإسقاطي وهو يشبه متن أبي شجاع في الفقه الشافعي انظر:حاجي خليفة: كشف الظنون.

(٢)هو في الفقه الحنبلي وضعه الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي البغدادي: هدية العارفين، ج٣، ص٣٠٣.

**الصرف**: متن البناء والعزى.

**البلاغة**: كتاب البلاغة لنخبة من الأزهريين وشرح الجوهر المكنون.

**الإنشاء والمحفوظات**: موضوعات مختلفة وحفظ طائفة من أشعار المتقدمين كالمعلقات وسواها.

**التاريخ**: التاريخ الإسلامي لمحي الدين الخياط، خمسة أجزاء.

**الحساب**: الدرر البهية لإدريس بك، الجزء الثاني.

**مسك الدفاتر**: جميع الدفاتر المتنوعة اللازمة لتبسيط الحسابات[١].

ولقد وجدت مدرسة الفلاح دعماً مادياً سخياً من قبل مؤسسها **محمد علي زينل،** إضافة إلى ما كان يقدمه الأعيان والوجهاء والتجار والعلماء من مساعدات سخية للمدرسة، فعلى سبيل المثال قام أحد أعيان جدة عام (١٣٣٠هـ/١٩١١م) ويدعى **على رضا الكبير** بالتبرع سنوياً لمدرسة الفلاح بمكة، بمبلغ قدره مائتان وأربعون جنيهاً عثمانياً ذهبياً[٢].

واعتنت الفلاح بطلابها وعملت على توفير كافة ما يحتاجونه، فبالإضافة إلى مجانية التعليم أمدتهم بالمكافآت المادية والتشجيعية[٣].

وفي مقابل مجانية التعليم وضعت مدارس الفلاح شروطاً لقبول التلاميذ منها أن ولي الأمر يوقع على إقرار بضرورة التزامه بأن يكمل ولده خمس سنوات دراسية متواصلة بها وإلا تعرض لدفع غرامة مالية قدرها خمسون جنيهاً عثمانياً وبالطبع كان لهذا المبلغ قيمة كبيرة جداً، ولكنها كانت إحدى وسائل محمد على زينل مؤسس الفلاح مع أولياء الأمور حتى لا ينقطع التلاميذ عن الدراسة إلا بعد إتمام السنوات الخمس كاملة[٤].

---

(١) قالوا عن محمد علي زينل، ص١٦٨؛ بكري شيخ أمين: الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ص١٤٩ ـ ١٥٠؛ عبد الرحمن صالح عبد ا : تاريخ التعليم في مكة، ص١٤٢ ـ ١٤٣..

(٢) مدارس الفلاح الحضارة والتراث،( إصدار مؤسسة عكاظ للطباعة والنشر)، ص٢٣٢.

(٣) عبد الرحمن صالح عبد ا : تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص١٣٨ ـ ١٣٩.

(٤) المرجع السابق، ص١٦٦.

وقد نبه محمد على زينل على مدارس الفلاح بعدم استخدام أسلوب الضرب في معاقبة التلاميذ، وإن كان لا بد فلا يتعدى مرة واحدة في اليوم بشرط أن لا يتعدى ثلاث ضربات، وأن تكون بالخيزران في كف الرجل لا على اليد ولا على عضوا آخر ولا الوجه، وإن استحق التلميذ تأديباً أكثر من الضرب، فإن المدرس يحول أمر الطالب إلى وكيل المدير ليتخذ الإجراءات اللازمة[1] .

وأما العطلات والإجازات الرسمية بمدرسة الفلاح فكانت يوم الجمعة ويوم في ربيع الأول، والنصف من شعبان والأعياد الرسمية[2].

ولقد كانت رواتب مدرسي الفلاح مرتفعة نسبياً مقابل المدارس الأخرى خاصة الحكومية، فقد بلغ راتب المعلم بمدارس الفلاح عام (١٣٣٣هـ/١٩١٤م) ثمان ليرات عثمانية شهرياً، على أن يدرس ست ساعات يومياً علوم الدين والعربية[3] .

ورغب الكثير من مدرسي المدارس الحكومية العثمانية الالتحاق بمدرسة الفلاح لما انفردت به من مميزات عن المدارس الحكومية والأهلية على حد سواء، فها هو إبراهيم ضياء الدين المدرس الأول بالمدرسة الرشدية بجدة يعرض على محمد على زينل في شهادة له مؤرخة عام (١٣٣٠هـ/١٩١١م) قدراته العلمية في تدريس الحساب والجغرافيا والقواعد التركية وغيرها ورغبته في الالتحاق بالعمل في مدارس الفلاح، ولقد قبل عرضة لأن مثل هذا المدرس يعتبر من الكفاءات النادرة وعينه وكيلاً لمدرسة الفلاح بجدة عام (١٣٣١هـ/١٩١٢م)[4] .

---

(١) نفسه، ص٢٣١.

(٢)Ibn Dohaish, op. cit , p 193.

(٣) مدارس الفلاح الحضارة والتراث، ص٢٢٥.

(٤) المرجع السابق، ص٢٣٠، ٢٣١.

ومن مدرسي الفلاح حسن محمد السعيد السناري الحافظ المقرئ الشهير كان أستاذاً لتعليم القرآن الكريم عن ظهر قلب بمدرسة الفلاح بمكة من بعد تأسيسها إلى نهاية سنة (١٣٣٥هـ/١٩١٦م)[١].

ومن طلابها أبو بكر بن أحمد بن حسين الحبشي، حفيد مفتي الشافعية بمكة حسين الحبشي، ألحقه والده بعد أن أتم تعليمه بالكتاب بمدرسة الفلاح عام (١٣٣٢هـ/١٩١٣م) فحفظ القرآن الكريم بقسم التحفيظ وجوده برواية حفص عن عاصم على حسن بن محمد سعيد وعلى القارئ أحمد بن حامد التيجي[٢].

**- مدرسة الطرابلسي:**

أنشأ عبد الكريم الطرابلسي الشامي، مدرسة أهلية بمكة عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) في دار تعرف بدار العنتبلي في الطريق المؤدي بين باب العمرة وباب الباسطية[٣]، وأطلق عليها المدرسة "الطرابلسية" وهي أول مدرسة في مكة اعتنت بتعليم التلاميذ على مقاعد للدراسة يجلس عليها الطلبة أمام السبورة[٤]، وتعتبر هذه الطريقة في ذلك الوقت من أحدث ما وصلت إليه وسائل التعليم، حيث وفرت هذه الطريقة الراحة للطلبة في الجلوس، ومتابعة الدرس بصورة أوضح من خلال شرح المدرس على السبورة، واستغنوا عن متابعة الدرس على اللوح ومشاكله والجلوس على الأرض ومتاعبه.

أما عن المنهج المدرس بالمدرسة فلم تكشف لنا المصادر التي بين أيدينا الكثير عنه، وإن كنا نعتقد بأنه لا يخرج عن تدريس العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية، ويعزز قولنا هذا أن الطرابلسي كان من بين مدرسي هذه المدرسة و من علماء الدين البارزين إضافة إلى إلمامه بعلوم اللغة العربية.

---

(١) سافر السناري إلى السودان فتولى تحفيظ الطلبة القرآن الكريم بالمعهد العلمي بأم درمان، وما زال يعمل على تعليم كتاب ا حتى توفي عام ١٣٦٩هـ، الحبشي: الدليل المشير ، ص٨٩.

(٢) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٦.

(٣) محمد عمر رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٢٠٣؛ محمد الحامد:التعليم في المملكة العربية، ص٣١

(٤) عبد الستار الدهلوي : فيض الملك المتعالى، ق٣٢.

ورغم أن المدرسة استخدمت وسيلة حديثة لتعلم الطلبة إلا أننا لا نستطيع أن ندرك مدى الأثر الذي حققته هذه المدرسة في العملية التعليمية بمكة إذا إنها لم تعمر طويلاً وانتهت مبكراً مع رحيل مؤسسها إلى بلاد الغرب[1]، فقد أغلقت أبوابها مع رحيل الطرابلسي عام (١٣٣٠هـ/١٩١١م) إلى بلاد المغرب بدعوة من سلطان المغرب أثناء وجوده بمكة لأداء فريضة الحج[2] .

**ونلحظ من دراستنا للمدارس بمكة فترة البحث أموراً منها:**

- وجود **المدارس** قريبة من محيط المسجد الحرام، حيث يتم تمويلها مادياً من قبل مؤسسيها إلى جانب المساعدات التي يقدمها المحسنون والتي تمثلت في الهبات أو التبرعات أو الأموال والأوقاف.

- كانت أسماء المدارس تعبر عادة عن أسماء مؤسسيها أو المتبرعين في إنشائها، وهذا أمر درج عليه الناس في كل زمان عرفاناً بجهود المؤسس أو المنفق، ولاسيما وكان غالباً يتولى المؤسس إدارتها والتدريس بها ليرى ثمرة جهوده وقد نضجت، وهو من عاجل البشرى في الدنيا.

- تميزت المدارس بوجود أوقاف عليها ساعدت على بقائها، وتوفر مكتبة ومسكن للمدرسين والطلاب، وبعضها صرف على التلاميذ، وهذا يشير إلى أن فكرة تأسيس المدرسة كان يتزامن معه التفكير في طريقة بقائها قروناً من الزمان لتأدية رسالتها دون أن تكون ثمة معوقات مالية تحول دون قيامها برسالتها التي أرادها منشؤها أن تقوم بها.

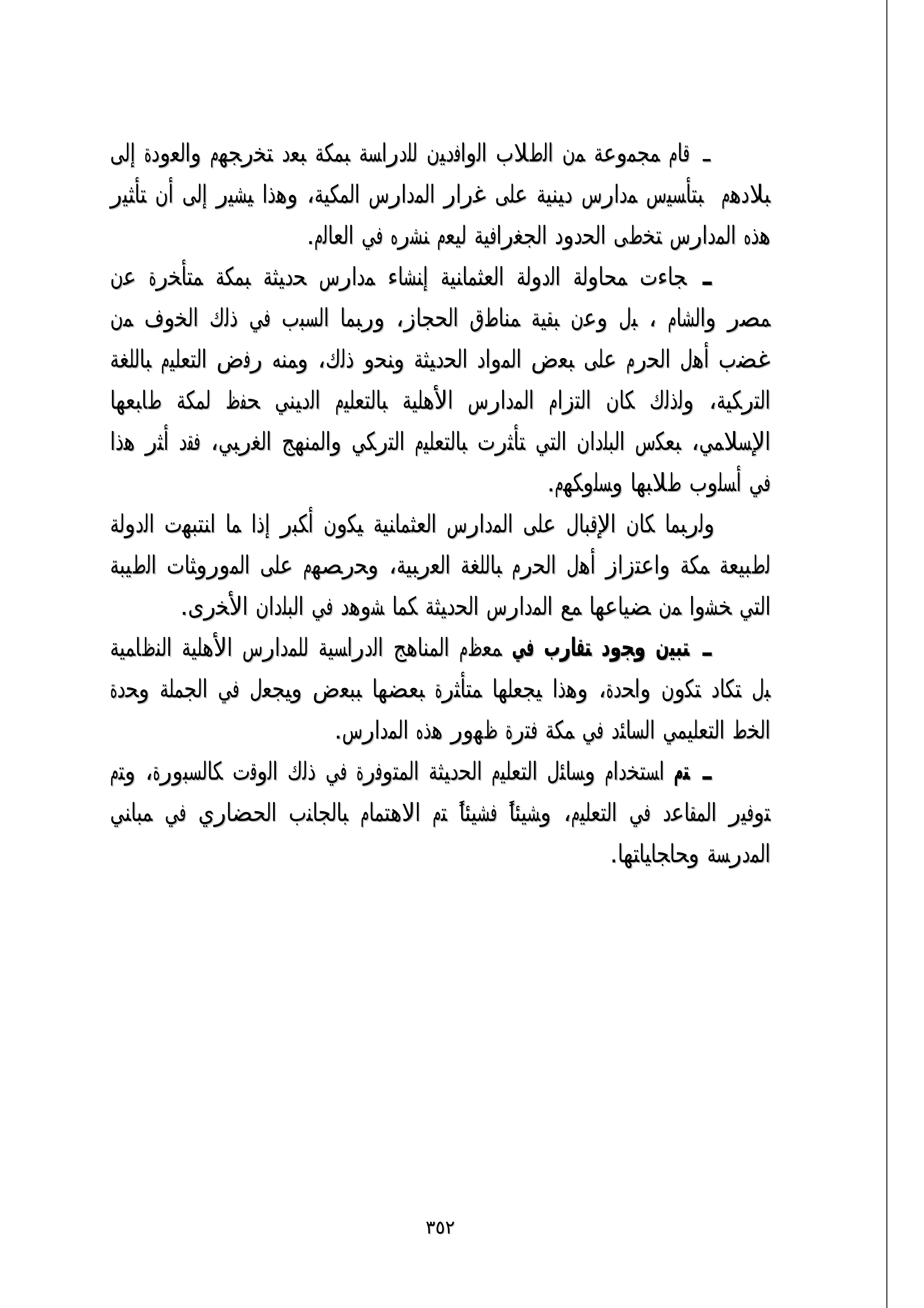
- زودت المدارس المسجد الحرام بالعلماء والمدرسين الذين عقدوا الحلق وجلسوا للإفتاء والقضاء.

- لم يقتصر التعليم في المدارس المكية على أبناء مكة بل فتحت أبوابها لجميع أبناء المسلمين، وهو ما أكد عالمية رسالة المدارس وأدى إلى انتشار علومها بعد رحيل الطلاب لبلادانهم شرقاً وغرباً.

---

(1) محمد عمر رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٣١١

(2) مقادمي: التعليم الأهلي للبنين في مكة: ، ص١٣٨.



ـ قام مجموعة من الطلاب الوافدين للدراسة بمكة بعد تخرجهم والعودة إلى بلادهم بتأسيس مدارس دينية على غرار المدارس المكية، وهذا يشير إلى أن تأثير هذه المدارس تخطى الحدود الجغرافية ليعم نشره في العالم.

ـ جاءت محاولة الدولة العثمانية إنشاء مدارس حديثة بمكة متأخرة عن مصر والشام ، بل وعن بقية مناطق الحجاز، وربما السبب في ذلك الخوف من غضب أهل الحرم على بعض المواد الحديثة ونحو ذلك، ومنه رفض التعليم باللغة التركية، ولذلك كان التزام المدارس الأهلية بالتعليم الديني حفظ لمكة طابعها الإسلامي، بعكس البلدان التي تأثرت بالتعليم التركي والمنهج الغربي، فقد أثر هذا في أسلوب طلابها وسلوكهم.

ولربما كان الإقبال على المدارس العثمانية يكون أكبر إذا ما انتبهت الدولة لطبيعة مكة واعتزاز أهل الحرم باللغة العربية، وحرصهم على الموروثات الطيبة التي خشوا من ضياعها مع المدارس الحديثة كما شوهد في البلدان الأخرى.

ـ **تبين وجود تقارب في** معظم المناهج الدراسية للمدارس الأهلية النظامية بل تكاد تكون واحدة، وهذا يجعلها متأثرة بعضها ببعض ويجعل في الجملة وحدة الخط التعليمي السائد في مكة فترة ظهور هذه المدارس.

ـ **تم** استخدام وسائل التعليم الحديثة المتوفرة في ذلك الوقت كالسبورة، وتم توفير المقاعد في التعليم، وشيئاً فشيئاً تم الاهتمام بالجانب الحضاري في مباني المدرسة وحاجاياتها.

# مجالس العلم في بيوت العلماء

إن نشر العلم لا يفتقر إلى مؤسسات ومعاهد علمية، فالعلم نور يقذف في قلب العبد، وهذا النور يبدد ظلمات الجهل أينما حل صاحبه ، ومتى نزل أو رحل.

والعالم الرباني لا يكتم علماً استودعه صدره، أنى ذلك وقد أخذ ا الميثاق على العلماء بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾[1]، وهي وإن كانت نازلة في أهل الكتاب إلا أن ابن كثير قال: (وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئاً)[2] .

وإن كانت المؤسسات العلمية منارات نشر العلم، وإن كانت المساجد هي حلق بث العلوم، إلا أن العالم الرباني لا يفتقر بثه للعلم على مكان دون آخر بل يظل يبثه حتى في بيته محل راحته وأنسه، كيف لا والعلم أفضل أنيس وبثه أعلى راحة.

إن اتخاذ البيوت والمنازل محلاً للتدريس والتعلم يرجع في تاريخه إلى أول منزل تشرف بتعليم الوحي المحمدي ألا وهو **"دار الأرقم بن أبي الأرقم"** حيث اتخذه النبي ﷺ مكان التقاء الصحابة الكرام يتلقون فيه العلم يتعلمون الكتاب والسنة، قراءة وتفسيراً، عملاً وسلوكاً، حتى أذن ا بالجهر بالرسالة الخاتمة، فخرج بها النبي الكريم ﷺ إلى العالم أجمع، وتتابع ((العلماء ورثة الأنبياء))[3] في بث العلوم الشرعية ، بكل وسيلة وأسلوب، ومن ذلك التدريس بالدور والمنازل، فلقد أسهمت منازل العلماء بنصيب وافر وكبير في ازدهار الحياة العلمية على مر التاريخ الإسلامي اقتداء بالنبي الكريم ﷺ.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٧.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج١، ص .

(٣) أبو داود: السنن، ج ٣، ص٣١٧، ح ٣٦٤١؛ الترمذي: السنن ، ج٥، ص٤٧، ح ٢٦٨٢.

وفي فترة البحث نجد أن دور العلماء بمكة أسهمت في تنشيط الحياة العلمية بها، لأنها كانت فسحة للغرباء أن يحصلوا العلوم دون حرج في المجالس العامة ولا سيما ممن لا يحسن اللغة العربية أو طريقة عرض السؤال، كما كانت هذه الدور من جهة أخرى تعطي للشيخ فرصة لبث علمه في غير المراكز النظامية للتعلم مما وسع دائرة العلم في البلاد الحرام.

وقد وقفت في ثنايا التأريخ على دور كثيرة نص المؤرخون على اجتماع الطلبة بها، والظاهر أن التنصيص على دار أو منزل كان بسبب ازدحام الطلبة فيه وإلا فنحن نتوقع أن تكون جميع منازل العلماء منارات هدى للناس بدء بأهل البيت ومروراً بالضيف وانتهاء بالطلاب.

وقد جمع البحث جملة من هذه الدور التي تميزت بكثرة طلابها، فهي أشبه بمدرسة صغيرة تجمع فئات متقاربة يجمعها رابط واحد من جنس أو لغة أو ميل نحو علم بعينه أو غير ذلك.

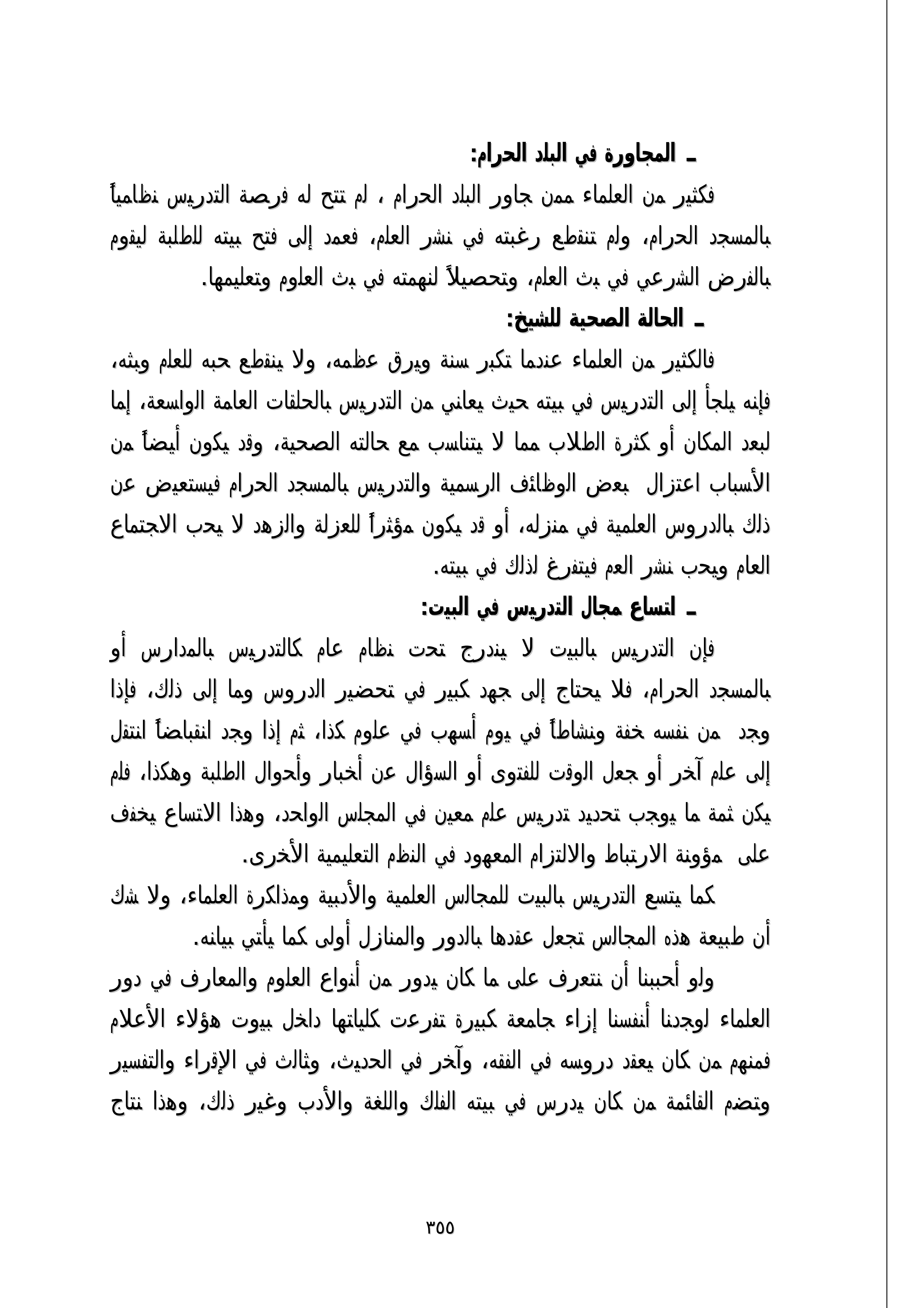
وبدراسة هذه الأخبار والمرويات عن تلكم المنازل والدور، يمكن أن نخلص إلى وجود عدة أسباب أسهمت في النشاط العلمي لدور العلماء بحيث صارت علامة مميزة من علامات طلب العلم في مكة فترة البحث ومن ذلك:

**ـ التركيبة السكانية والاجتماعية:**

فمكة وكما تقدم كانت تجمع فئات من المجتمع مختلفة ألسنتهم، متباينة طبائعهم، عديدة ميولهم، واجتماع أصحاب اللسان الواحد أمر طبيعي في المجتمعات الإنسانية، ولا سيما وقد اتحدت صفات أخرى فيهم من كونهم من المجاورين، وربما من الأقارب ونحو ذلك، ولذلك نجد هذه الدور امتلأت بالكثير من الطلبة ممن يجمعهم بمثل هذه الروابط، وكانت الدور التي تمثل الظاهرة الواقعة في ذلك هي دور القادمين من جنوب شرق آسيا كالجاوة [(١)] .

---

(١) تجمع هذه الطوائف مشهور في كل العصور، وقد يرجع سبب ذلك لرقة في مشاعرهم بحيث نراهم قد جبلوا على الحياة الاجتماعية دون الانعزال والتشتت.



**ـ المجاورة في البلد الحرام:**

فكثير من العلماء ممن جاور البلد الحرام ، لم تتح له فرصة التدريس نظامياً بالمسجد الحرام، ولم تنقطع رغبته في نشر العلم، فعمد إلى فتح بيته للطلبة ليقوم بالفرض الشرعي في بث العلم، وتحصيلاً لنهمته في بث العلوم وتعليمها.

**ـ الحالة الصحية للشيخ:**

فالكثير من العلماء عندما تكبر سنة ويرق عظمه، ولا ينقطع حبه للعلم وبثه، فإنه يلجأ إلى التدريس في بيته حيث يعاني من التدريس بالحلقات العامة الواسعة، إما لبعد المكان أو كثرة الطلاب مما لا يتناسب مع حالته الصحية، وقد يكون أيضاً من الأسباب اعتزال بعض الوظائف الرسمية والتدريس بالمسجد الحرام فيستعيض عن ذلك بالدروس العلمية في منزله، أو قد يكون مؤثراً للعزلة والزهد لا يحب الاجتماع العام ويحب نشر العم فيتفرغ لذلك في بيته.

**ـ اتساع مجال التدريس في البيت:**

فإن التدريس بالبيت لا يندرج تحت نظام عام كالتدريس بالمدارس أو بالمسجد الحرام، فلا يحتاج إلى جهد كبير في تحضير الدروس وما إلى ذلك، فإذا وجد من نفسه خفة ونشاطاً في يوم أسهب في علوم كذا، ثم إذا وجد انقباضاً انتقل إلى علم آخر أو جعل الوقت للفتوى أو السؤال عن أخبار وأحوال الطلبة وهكذا، فلم يكن ثمة ما يوجب تحديد تدريس علم معين في المجلس الواحد، وهذا الاتساع يخفف على مؤونة الارتباط والالتزام المعهود في النظم التعليمية الأخرى.

كما يتسع التدريس بالبيت للمجالس العلمية والأدبية ومذاكرة العلماء، ولا شك أن طبيعة هذه المجالس تجعل عقدها بالدور والمنازل أولى كما يأتي بيانه.

ولو أحببنا أن نتعرف على ما كان يدور من أنواع العلوم والمعارف في دور العلماء لوجدنا أنفسنا إزاء جامعة كبيرة تفرعت كلياتها داخل بيوت هؤلاء الأعلام فمنهم من كان يعقد دروسه في الفقه، وآخر في الحديث، وثالث في الإقراء والتفسير وتضم القائمة من كان يدرس في بيته الفلك واللغة والأدب وغير ذلك، وهذا نتاج

طبيعي لتعدد العلوم والمعارف لدى علماء البلد الحرام ، فيدلي كلٌ بما يحسنه وما ينبغ فيه.

**ـ طبيعة العلوم المدرسة:**

هناك بعض العلوم درج على تدريسها في المنازل، حيث إن طبيعة العلم تجعل من المستحسن أن يكون تدريسه وتلقينه في المنازل والدور الخاصة لا أن تكون في المجالس العامة، وأخص من ذلك موضوعين اثنين:

**الأول : إجازات المسلسلات الحديثية:**

والحديث المسلسل، هو الذي تتكرر في وصف روايته عبارات وأفعال متماثلة ينقلها كل راو عمن فوقه في السند حتى نهايته(١)، وطبيعة هذه المسلسلات توجب اقتراب بين المدرس والطالب الآخذ عنه حتى تتوثق السلسلة، ولذلك نجد أن أكثر ما تجاز بها هذه المسلسلات في بيوت العلماء، فمثلاً حديث المسلسل بالأولية(٢)، وهو الحديث الذي صرح كل راو فيه أنه أول حديث سمعه من شيخه ، قد وجد في إسناده أن الكثير ممن حدث به كان في بيته(٣) .

**الثاني: علوم الفلك** التي تحتاج إلى أجهزة ومعدات بحيث لا يمكن تدرسها في جانب التطبيق العملي في المساجد .

**فممن حبب إليه تدريس الفقه في منزله:**

**أحمد بن أسعد بن تاج الدين الدهان** (ت١٢٩٤هـ/١٨٧٧م) أخذ العلوم عن عدد من مشايخ وقته أمثال أحمد المرزوقي مفتي المالكية بمكة، تصدى لتدريس الفقه والحديث بمنزله (٤).

---

(١) صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه، (ط٥، بيروت، دار العلم للملايين: ١٩٨٤م)، ، ص٢٤٩.

(٢) وهو قوله ﷺ: ((الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)) أخرجه الترمذي: السنن، ج٣، ص٢١٧.

(٣) وقع لي هذا الحديث بحمد ا مسلسلاً بالسماع بشرطه ، حيث حدثني به الشيخ أبو عبد الرحمن خالد حمزة عن شيخه التويجري ببيته بالرياض، وهو أول حديث سمعته منه عن شيوخه بشرط الأولية وفيه (٢٢) واسطة ممن نص على أنه أول حديث سمعه عن شيخه.

(٤) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج١، ق٢٢.

وممن فتح داره لطلبة العلم وإلقاء دروس العلم خاصة الفقه **أحمد بن عبد ا مرداد** (ت١٣٣٥هـ) كانت داره مرجعاً للناس في أمور دينهم[١]، كما كان الطلبة يفدون على منزله لتلقي العلم وسؤاله عما استشكل عليهم من مسائل، بل لم يقتصر الأمر على الطلبة إذ تعدى ذلك إلى العلماء، فقد كان عبد ا بن عباس بن جعفر الصديقي (ت١٣٢٥هـ/١٩٠٧م) مفتي الحنفية بمكة يتردد على أحمد ليسأله عن مسائل فقهية كانت تعرض عليه، ولعل في كلام صاحب نشر النور والزهر ما يوضح ذلك إذ يقول عنه أنه كان : (يحب سيدي الوالد كثيراً ويمتثل إلى كلامه ويأتي إليه في الدار لأجل مراجعة الأسئلة التي تعرض عليه، ويستفيد منه مع عدم الاستنكاف)[٢].

وأما الحديث فقد كان له القدح المعلى فيما يؤخذ عن العلماء الأعلام في دورهم وذلك لطبيعة الرواية الحديثية والتي كانت تتناسب مع كل الأوقات، فيكون في المجلس الواحد دراسة لحديث أو أكثر، بخلاف العلوم الأخرى التي يؤثر الانقطاع في تسلسل تحصيل الطلبة لها .

وكانت دراسة الحديث أما دراسة حديثية بقراءة كتب الحديث، وإما إجازات حديثية لأثبات ومشيخات ومسلسلات

فممن فتح داره لطلبة العلم **محمد صالح بن سليمان الميمني** (ت١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م)، عالم فاضل قدم من الهند واستقر بمكة، قرأ على عدد من علمائها أمثال أحمد دهان، و رحمت ا وغيرهم ، كان لحبه للعلم وشغفه به أن جعل من داره بالشامية مورداً للطلبة منهم: أبو بكر خوقير، وعبد الستار الدهلوي، حيث إن الشيخ خوقير كان يتولى قراءة مسند الإمام أحمد بن حنبل على الشيخ الميمني[٣].

وممن تولى تدريس الحديث بداره **محمد بن عبد الرحمن الأنصاري السهارنفوري** المكي (ت١٣٠٩هـ/١٨٩١م)، حيث إن أبا بكر خوقير قرأ عليه أكثر

---

(١) غازي: نثر الدرر، ق٢٠.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٠٤.

(٣) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ق٣، ص٢٧١.

صحيح البخاري بمنزله[1]، كما سمع منه عبد الستار الدهلوي الموطأ وأوائل الكتب الحديثية وسنن أبي داود[2].

ونحن ندرك من هذه المعلومة مدى تقدم العالمين "الميمني والسهارنفوري" في الحديث حيث كانا يقومان بتدريس السفرين العظيمين مسند أحمد وصحيح البخاري عن طريق القراءة عليهم، ويقال لها "العرض" أو القراءة على الشيخ ولا تكون إلا إذا كان من الأثبات الثقات المتقنين بحيث يتمكن من تصويب القارئ من حفظه وضبط صدره، كما يدل هذا الخبر والذي قبله على حرص أبي بكر خوقير وعبد الستار الدهلوي على تعدد مشايخهن في الحديث.

كما سمع عبد الستار دهلوي من الشيخ **محمد صالح السناري** (ت١٣١٨هـ/١٩٠٠م) الحديث المسلسل بالأولية بداره وأجازه مشافهة به وبجميع ما يجوز له رواية ودراية عن مشايخه [3].

كذلك سمع الدهلوي من **عبد العزيز مرداد** الحديث المسلسل بالأولية في سنة (١٣٢٩هـ/١٩١١م) بداره بالقشاشية[4].

والحديث المسلسل بالأولية لم يزل العلماء يأخذونه مشافهة وهو من الأحاديث المعدودة التي لا تزال العلماء تحدث بها في عصرنا بالإسناد بالسماع إلى النبي الكريم ﷺ.

ومحلة القشاشية من القرب من الحرم بمكان، بحيث يتوجه الطلبة بعد الصلاة إلى بيت الشيخ لتلقي الحديث بمعزل عن الدروس المكتظة بالطلاب ليكون السماع أدق.

والظاهر أن الدهلوي كان حريصاً على جمع المسلسلات فلم يكتفِ بالمسلسل بالأولية، فقد قصد منزل مفتي مكة والمدرس بحرمها الشريف عبد الرحمن بن

---

(١) أبو بكر خوقير: ثبت الأثبات، ق٨.

(٢) عبد الستار الدهلوي: نثر المأثر، ق٣٣.

(٣) المصدر السابق، ق٣٤.

(٤) عبد الستار دهلوي : فيض الملك المتعالى، ج٢، ق١٢٢.

سراج الحنفي (ت ١٣١٤هـ/١٨٩٦م)، وأخذ منه حديث المسلسل بالحنفية، كما أجازه سراج بكتاب "حصر الشارد"[(١)].

وممن كان يدرس الحديث بداره أيضاً: **خاف الحنبلي** فقد قرأ عنده عبد الستار الدهلوي الحديث المسلسل بالحنابلة[(٢)]، وأجازه مشافهة به [(٣)].

كما قصد عبد الستار الدهلوي دار مفتي مكة الشيخ أحمد ميرغني الحنفي ـ كان حياً عام (١٢٩٨هـ/١٨٨١م) ، وقرأ عنده أوائل البخاري وأجازه به[(٤)].

وكان مفتي الشافعية بمكة الشيخ أحمد زيني دحلان يلتقي بالكثير من علماء البلدان الإسلامية بداره فيتباحث معهم في الكثير من القضايا العلمية، كما أنه كان يجيز مروياته في الحديث للكثيرين منهم ويكتب لهم إجازة بذلك ، كما فعل مع قاضي طرابلس الغرب محمد كامل بن مصطفى والذي قام برحلة إلى الديار المقدسة عام (١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م ) بقصد حج بيت ا الحرام، التقي بمكة بعدد من العلماء والشيوخ منهم: أحمد زيني دحلان اجتمع به أكثر من مرة بالحرم المكي أخذ عنه حديث الأولية وحديث المصافحة وحديث المشابكة، ولما قرب موعد رحيله من مكة المشرفة زاره ببيته لوداعه وطلب منه إجازة بمروياته، فكتب له دحلان في الحال وضمنها سنداته ومروياته ودعا له بالخير[(٥)].

وممن تولى التدريس بداره عبد ا زبير بن عبد الحي زبير المكي الحنفي (ت١٣٢٢هـ/١٩٠٤م)، من علماء الحديث بمكة، شرع يدرسه بالمسجد الحرام وبداره ، وممن كان يتردد على منزله ليأخذ عنه عبد الستار الدهلوي[(٦)].

---

(١) عبد الستار الدهلوي : نثر المآثر، ق١٢.

(٢) وهو حديث (إذا أراد ا بعبده خيراً استعمله قالوا كيف يستعمله، قال: يوفقه لعمل صالح قبل موته) ، وقد وقع لي مسلسلاً بشرطه عن زوجي الشيخ د.خالد بن فوزي عن شيخه حمود بن عبد ا الحنبلي عن مشايخه.

(٣) عبد الستار الدهلوي : نثر المآثر، ق١٧.

(٤) المصدر السابق، ق٢١.

(٥) الحضراوي: نزهة الفكر، ج١، ص١٨٦؛ عبد ا الأمين النعمي: القيم الدينية والتربوية من خلال رحلة محمد كامل بن مصطفى إلى الديار المقدسة "١٢٩٥هـ/١٨٧٨م"، (ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٣هـ)، ص٥٠٣.

(٦) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق٢٠٠.

كما فتح داره لطلبة العلم أحمد بن عيسى الحنبلي (ت١٣٢٩هـ/١٩١١م)، قال عنه أبو بكر خوقير: (وأما شيخنا القاضي أحمد بن عيسى فقد جاور بمكة المشرفة أعواماً طويلة، ثم رجع إلى نجد، فولي قضاء المجمعة، وتوفي بها وعمره نحو الثمانين وقرأت عليه في علم التوحيد والفقه الحنبلي)[١]، وكان ذلك في منزله بشعب عامر ، وممن استفاد من علم الشيخ الحنبلي، عبد الستار الدهلوي، فقد سمع منه المسلسل بالأولية والمسلسل بالحنابلة في داره، وكتب له إجازة عامة عن مشايخه كما انتفع بمقتنيات مكتبة الحنبلي وما تحويه من كتب الحافظ ابن تيمية وابن القيم[٢].

وممن تولى التدريس بداره حسين بن محمد بن حسين الحبشي الشافعي (ت١٣٣٠هـ/١٩١١م)، أحد كبار علماء مكة، تولى القضاء الشافعي بمكة بعد السيد أحمد دحلان، اشتهر بعلم الحديث فدرسه بالمسجد الحرام، ثم ترك التدريس به وصار يدرس بمنزله بحارة الباب[٣].

كان يتردد على مجلسه ويستفيد من علمه العديد من طلبة العلم منهم مؤرخ بيت ا الحرام حسين باسلامة فقد حضر الكثير من المباحث العلمية التي كانت تدار بين العلماء في مجالس الحبشي[٤] .

ومن الظواهر العلمية في هذه الفترة أيضاً اهتمام بعض العلماء بالحديث الشريف إضافة إلى ما حبب إليهم من التأريخ، ولعل أبرز هؤلاء الفقيه المؤرخ المحدث أحمد بن محمد الحضراوي (ت١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)، يقول محمد المعصومي عنه : ( ... كنت أقرأ لديه سنن الإمام أبي عيسى الترمذي وشمائله أيضاً، وفي

(١) أبو بكر خوقير: ثبت الأثبات، ق ٣ـ ٥.

(٢) عبد الستار الدهلوي : نثر المآثر، ق٣٣.

(٣) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص٣٢٠، عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٩٩.

(٤) باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص أ؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٦.

الآخر قرأت عليه كتاب أوائل إسماعيل العجلوني، وكان رحمه ا  تعالى ناصحاً منصفاً غير متعصب ولا متعنت ..)[1].

**ولم يقتصر دروس العلماء في بيوتهم على العلوم الشرعية ، بل كان الإقراء سمة بارزة أيضاً،** فكان من العلماء المقرئين من يفتح بابه لطلبة القرآن الكريم والتجويد ، يقرأون القرآن ويرتلونه في داره ومن هؤلاء :

ـ **إبراهيم فوده المقري المصري** من مجاوري البلد الحرام في القرن الثالث عشر الهجري : التاسع عشر الميلادي، كان من معلمي القرآن الكريم في منزله فقد كان نجباء الطلبة يقصدون داره بعد صلاة الجمعة لتجويد القرآن الكريم . ومن بينهم عمر باجنيد[2].

ـ **أحمد بن سالم بن عبد ا  بن سالم البصري،** حفظ القرآن الكريم وجوده على مشايخ مكة، وأتقنه حتى صار من المقرئين المشهورين، درس القرآن الكريم في عدة أماكن منها ديوان في محلة الباب، ثم انتقل إلى مسجد خالد بن الوليد في نفس الحارة، ومكث فيه مدة، ثم ترك التعليم بالمسجد ولزم داره يستقبل فيه طلابه إلى أن وافته المنية عام (١٣٦٠هـ/١٩٤١م)[3].

**كما درس بعض العلماء مادة الفلك بداره،** فقد كان **خليفة بن حمد النبهاني** المالكي المكي (ت١٣٦٢هـ/١٩٤٣م)، يلقي دروسه في علم الفلك والميقات بمنزله بالمسفلة بجانب دروسه بالحرم الشريف[4]. فربما في منزله يستطيع أن يطلع تلاميذه عملياً على أدوات علم الفلك والميقات والتي من الصعب أن يحملها معه إلى المسجد الحرام لعدة اعتبارات كقدسية المكان أو ثقل الآلات وتعددها.

---

(١) محمد المعصومي: ذكريات طريفة عن بعض كبار العلماء في مكة في الجيل الماضي، عرفت هؤلاء الرجال، (مجلة الحج، ج٤، س٦، شوال ١٣١٧هـ/ يولية ١٩٥٢م)، ص٢١٩.

(٢) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٤٢٤.

(٣) الحبشي: الدليل المشير، ق٣٦.

(٤) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص١٢٢؛ و سليمان: تشنيف الأسماع، ص١٩١ .

وقد يجبر **المرض أو كبر السن** ووهن العظم على عدم قدرة **الشيخ** على البقاء بالمسجد الحرام وإلقاء الدروس به على الطلبة، **فينقطع بداره** رحمة بصحته، إلا أن حب العلم وبث هذه الأمانة المقدسة يضطرانه لفتح داره لطلبة العلم.

وممن حفظ التاريخ لهم تدريسهم بدورهم ومنازلهم لما اعترضهم من مرض أو كبر سن أو حباً في العزلة:

- **إبراهيم بن محمد بن مبارك الفتة الحنفي المكي** ولد بمكة عام (١٢١٤هـ/)١٨٧٥م)، ونشأ بها على طلب العلم حتى أصبح من أعلامها العلماء، تولى تدريس النحو والأدب بالمسجد الحرام، وما زال ينفع به الطلبة إلى أن كبر سنه، فنقل درسه إلى منزله، فأخذ عنه جملة من طلاب العلم، استمر يدرس بداره إلى أن وافته المنية عام (١٢٩٠هـ/١٨٧٣م)[١].

ونلحظ من الترجمة مدى حب هذا للعلم، فهو تصدى للتدريس بالمسجد الحرام، ونعلم أنه منصب لا يستطيعه إلا فحول العلماء لأن الوارد على المسجد الحرام كثير وجملة منهم من العلماء وطلبة العلم، فإن لم يكن بارعاً فإنه يفتضح أمره، ثم لما كبرت سنه لم ينقطع عن التدريس فنقل الدرس لمنزله ليكون أرفق به ، واستمر كذلك حتى وافته المنية، ومن تاريخ الولادة والوفاة يمكن أن ندرك أن حياته العلمية وعطاءه استمر لما يناهز السبعين عاماً وهي سنوات قل أن نجد من ينفقها في التدريس والإفادة.

ومنهم **عبد ا بن حسن بن زينل بيلا المكي الشافعي**، تتلمذ على يد عدد كبير من علماء المسجد الحرام منهم محمد بن سليمان حسب ا ، وعبد الكريم الداغستاني أجازه مشايخه بالتدريس فدرس بالمسجد الحرام وفي آخر حياته انقطع للتدريس بمنزله بمحلة الفلق إلى أن توفي بها عام(١٣٥٦هـ/١٩٣٧م)[٢].

---

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج١، ق١٣؛ غازي: نظم الدرر، ق١١٠؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج١، ص٩٥؛ رجال من مكة، الندوة، العدد ١٠٥٦٦، ١٤١٤/٣/٢٥هـ، ص٥.

(٢) غازي: نثر الدرر، ق٤٩؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٣٣٤.

وربما ندرك سبباً جغرافياً منع الشيخ من التدريس بالمسجد الحرام، فإن محلة الفلق كما هو معروف إنما هي جبل من الجبال المحيطة بالكعبة المشرفة مما يفضي إلى الحجون ومن المتصور أن الناس الآن في صعودهم من المسجد الحرام إلى ذاك المكان يتجشمون المصاعب من الانحدار الشديد رغم وجود الشوارع الإسفلتية والأرصفة المبلطة، ولا شك أن البناء الحضاري فترة البحث كان دون هذه التسهيلات مما يعني أن تجشم الذهاب والإياب للمسجد الحرام كان أكثر صعوبة، ويحتاج إلى قوة ربما فقدها مع كبر السن، فانقطع للتدريس بمنزله.

وممن اعتزل التدريس بالمسجد الحرام واكتفى بنشره بداره الشيخ **علوي بن أحمد السقاف** (ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م) فهو من علماء مكة الأجلاء، له الكثير من المؤلفات، عقد حلقة درسه بالمسجد الحرام[١]، وظل في عطائه وعلمه حتى انتابه المرض فلم يستطع النزول إلى المسجد ومزاولة مهنته، حيث أصبح مقعداً في بيته سنين لا يستطيع الخروج بسبب ذلك المرض الذي أصابه، لكن ذلك لم يمنعه من إفادة طلبة العلم من خلال دروسه التي كان يقيمها في منزله، فكان مجلسه لا يخلو من الإفادة والعلم، فممن كان يتردد على منزله لتلقي العلم مرداد أبو الخير إذ يقول: (زرته واكتسبت منه فوائد إذ مذاكراته جلها علمية)[٢].

ونلحظ من كلمات مرداد مدى عمق العلم الذي كان يحويه صدر علوي، فإن العلماء دوماً كان دأبهم تحصيل الفوائد والفرائد، فإذا كان رجل أمثال مرداد يذكر اكتساب الفوائد من علوي ، فإننا نتوقع أنها فوائد في دقائق العلوم التي يبحث عنها العلماء ، لا أن تكون مجرد فوائد يعرفها طلبة العلم من الصغار والمتوسطين، كما لا نغفل ما مدحه به من قوله: (إذ مذاكرته جلها علمية) فهو يشير إلى أمرين الأول: المذاكرة والمقصود بها ما كان يذاكر به العلماء ويذاكرونه به على ما تقتضيه صيغة "مفاعلة" من المشاركة، وهذا يعني أنه كان بكامل قواه العقلية وعطائه حتى بعد كبر سنه، والأمر الثاني هو أ ن العلماء كانوا يرتادون منزله لأخذ الفوائد، وأن هذا يكون

---

(١)عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٢، ق١٧٢.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٤٤.

على طريق المذاكرة لا الدرس، وهو لون آخر من طرق التدريس ، يأتي ذكره ، وإنما المراد هنا أن داره كانت محلاً لبث العلم عن طريق مذاكرة العلماء إضافة لتعليم الطلبة.

وقد يضطر العالم للتدريس بمنزله **لانشغاله وكثرة مناصبه** وعدم تفرغه كما حدث للشيخ عابد بن حسين (ت١٣٤١هـ/١٩٢٢م) فقد تولى التدريس بالمسجد الحرام ، ثم تولى منصب الإفتاء المالكي بعد وفاة أبيه ،فشغله المنصب عن الاستمرار في التدريس بالمسجد الحرام لذلك عوض هذا الأمر بالتدريس ببيته فتخرج على يده علماء أعلام[1] .

ويظهر لنا أن **منصب الإفتاء** كان يتعارض مع التدريس بالمسجد الحرام، وإذا أردنا أن نستنبط سبباً لذلك فإننا لا نجد إلا التعارض الزمني، بحيث يطلب من المفتي أن يكون موجوداً في محل الفتوى في أوقات العلم والتي تكون عادة نهاراً ومساءاً وقت اجتماع الناس مما قد يتعارض مع التدريس، وبالتالي فإننا ندرك أن تدريسه بمنزله كان بالأوقات الأخرى كبعد العشاء مثلاً أو بعد الفجر، ولا يظهر أن التعارض بسبب عدم التفرغ لتحضير الدروس، لأن العالم علمه في صدره ولا سيما إذا بلغ شأوا في العلم بحيث يصير مفتياً كالشيخ عابد رحمه ا .

كما كان **لزهد العالم** في الدنيا **وحبه للعزلة** دور في انقطاعه عن التدريس بالمسجد الحرام والمدارس والاكتفاء بإلقاء دروسه بمنزله فتذكر لنا المصادر التاريخية أن عيدروس بن سالم البار من علماء القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، درس الفقه والنحو والصرف بالمسجد الحرام، ثم غلب عليه الزهد والورع فاختار العزلة في بيته، فكان الطلبة يذهبون إليه وينتفعون بعلومه[2] .

ولم يزل التأريخ الإسلامي يعج بأمثال العيدروس ممن غلب عليه الزهد، ورأى في مجتمع الدرس العام شهرة أراد أن يقمعها في نفسه، وفي قولهم في

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

(٢) غازي: نثر الدرر، ق٤٢؛ الفاداني: قرة العين، ج٢، ص٤٣٢؛ أبو سليمان: تشنيف الأ سماع، ص٤٣٣.

ترجمته (اختار العزلة) ما ينبه على أنه كان يعرض عليه التدريس بالمجالس العامة إلا أنه اختار الاعتزال لزهده وورعه رحمه ا .

كما حرص العديد من مدرسي المسجد الحرام على إلقاء **دروس إضافية في منازلهم** حرصاً على إفادة الطلبة، فمن هؤلاء **محمد سعيد بشارة بن أحمد الخليدي** الشهير ببشارة الحنفي المكي (ت١٢٨٢هـ/١٨٦٥م) درس بالحرم وبداره بجبل أبي قبيس التفسير والتوحيد، له العديد من المصنفات العلمية في مجال تخصصه[1].

والظاهر من ترجمة الشيخ أن تدريسه بجبل أبي قبيس كان متزامناً مع تدريسه بالمسجد الحرام أي لم يدرس بمنزله عند انقطاعه عن التدريس بالحرم ، بل كان يدرس فيهما، ومعلوم أن جبل أبي قبيس مرتفع بحيث لا يستطيع الطلبة النزول منه دوماً للمسجد الحرام فقعوده للتدريس في منزله كان فيه إرفاق لطلبة العلم.

ومنهم **أبو بكر خوقير** (ت١٣٤٩هـ/١٩٢٩م) كانت له دروس بالمسجد الحرام إضافة إلى دروس بمنزله بعضها في الصباح وبعضها في المساء، ولعل ذلك يعود إلى ظروف الطلبة وظروفه، لذا نراه إن كان مشغولاً إما يؤجلها أو يبادر بها في بيته حرصاً على مصلحة الطلبة، يقول محمد منير الدمشقي عن خوقير: (كان شديد الحرص على الإفادة والاستفادة لذلك كان يقرأ لطائفة من طلاب العلم دروساً في العلوم الدينية والتاريخية وغيرها في بيته ، بعضها بالنهار وبعضها بالليل)[2].

وإن كان لنا أن نتوقع ترتيباً زمنياً لهذه العلوم ، فيمكن أن نقول إن دروس التأريخ كانت تعقد ليلاً لطبيعة التأريخ القصصية المشوقة والتي تشد أذان الطلبة بعد عناء يوم كامل من الدرس والتحصيل، ولعدم وجود صعوبة في الفهم والمتابعة ويضاف إلى ذلك ترك المتسع الوقتي للتأمل وأخذ العظات، فهذا هو الهدف الأسمى لدراسة التاريخ، كما قال ا تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[3].

---

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٣، ق٧، وانظر مبحث المؤلفات .

(٢) محمد منير الدمشقي: نموذج من الأعمال الخيرية، (مكتبة المعارف)، ص١٠٠.

(٣) سورة يوسف: الآية ، ١١.

**كما كان لحركة الجوار بمكة نصيب في إثراء الحياة العلمية بالبيوت،** إذ لم تتح للكثير من المجاورين فرصة التدريس بالحرم الشريف أو المدارس المحيطة به ولا يمكن أن نتصور العالم خفياً بعلمه، إذ لا يحجب ضوء الشمس السحاب الرقيق لذا كان الطلاب سرعان ما يتسامعون بالعالم فيفدون إليه في منزله وشيئاً فشيئاً تصبح دور العلماء مدارس علمية، ومن هؤلاء: **محمد بن عمر نواوي الجاوي** (ت١٣١٦هـ/١٨٩٨م)، قدم بلاده وجاور بمكة، وأكب على تحصيل العلوم على عدة مشايخ منهم أحمد النحراوي وأحمد الدمياطي، وقرأ على حسب ا ، رحل إلى الشام ومصر وأخذ على علمائها ثم عكف على التدريس في منزله بشعب علي، فكان منزله غاصاً بطلاب العلم، إذ كان يصل عددهم إلى زهاء المائتين طالب جلهم من الطلبة الجاويين، توفي بمكة تاركاً مجموعة من المصنفات استفاد منها طلبة العلم[1].

- **إمداد ا بن محمد أمين العمر التهاوني** (ت١٣١٧هـ/١٨٩٩م)، من مجاوري بيت ا الحرام، درس بمنزله الفقه والتفسير والحديث وغير ذلك من معارف وعلوم إلى أن وافته المنية[2].

- **أحمد الخطيب الجاوي** (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م)، قدم بلاده مجاوراً كانت له عدد من الدروس في منزله يحضرها الطلبة الجاوى: (بعد صلاة الظهر يعود إلى بيته فيلقي درسين على الطلبة ثم يتناول الغذاء وينام قليلاً ثم يذهب إلى المسجد فيؤدي صلاة العصر مع الجماعة، ثم يرجع إلى داره، فيلقى درساً واحداً على طلابه، ثم يذاكر دروسه إلى أن يحين المغرب فينزل المسجد فيصلي مع الجماعة ثم يلقى درساً في الوعظ والإرشاد في المسجد الحرام حتى العشاء، وبعد الدرس يعود إلى بيته ليعكف على التأليف)[3].

- **إبراهيم بن موسى الخزامي السوداني المكي** المالكي، قدم مكة مجاوراً عام (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) طاب العلم بها فقرأ على عدد من علماء المسجد الحرام

---

(١) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٣٤٢.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٣٤.

(٣) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٤٢.

منهم مفتي المالكية عابد بن حسين مالكي، أذن له مشايخه بالتدريس فتصدر له بالمسجد الحرام، وبمنزله حيث تزاحم عليه الطلاب، حتى إن عبد ا خياط علق على تزاحم الطلبة على منزله للأخذ منه بقوله: (إن زائره ليعجب عندما يشاهد الكثير من طلبة العلم من أهل إندونيسيا يتقاطرون على داره رغبة في التزود من علمه)[1].

ولعل وجه عجب الخياط أنه لم يكن من اندونيسيا بل من السودان والعادة أن تقاطر الطلاب على باب له عدة دوافع منها أن يكون من أهل بلادهم ومن هنا يمكن أن ندرك سبباً لتقاطر الطلبة الجاوة على الخزامي هو سماحة هذا وحسن خلقه ولينه، وطريقته في التدريس السهلة التي وجد فيها طلاب آسيا ممن ربما لا يحسن العربية بقوة الفرصة السانحة للتعلم ومن ثم تحصيل مفاتيح العلوم على يديه للانطلاق في آفاق العلم الواسعة على أيدي غيره من الشيوخ.

- **أبو بكر بن شهاب الدين تمبوسي الجاوي** الشافعي، قدم مكة عام (١٣٠٠هـ/١٨٨٢م)، وتلقى العلوم عن علمائها وأخذ عنهم، درس بالمسجد الحرام وبداره بالشامية إلى أن توفي بمكة عام (١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م)[2].

- **محمد حبيب ا بن عبد ا الشنقيطي،** قدم من بلاده حاجاً عام (١٣٣١هـ/ ١٩١٢م)، فجاور بمكة والمدينة ودرس بالحرمين الشريفين، وكانت داره بمكة مفتوحة لطلبة العلم للتحصيل والدرس [3].

- **حسن مصطفى قاروت الجاوي** من علماء القرن الثالث عشر الهجري، قدم من بلاده بهدف طلب العلم والأخذ من شيوخ الجاوى في مكة ثم قام بالتدريس في منزله فكان منزله يعج بعد صلاة الفجر وبعد الظهيرة بعدد كبير من الجاويين الذي

---

(١) الفاداني: قرة العين في أسانيد شيوخي من أعلام الحرمين، ج١، ص١؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٣.

(٢) غازي: نثر الدرر، ق١٧.

(٣) حسن بن محمد المشاط: الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة، ص٩٣؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٣٠٧.

يفدون لسماع محاضراته، أما في الأوقات الأخرى فقد كان يستمع ويدرس على أيدي شيوخ آخرين[1] .

و دره لم يمنعه الحياء من أن يكون طالباً للعلم رغم كونه شيخاً، وهكذا يكون العالم، يأخذ عمن هو فوقه ودونه ومن في رتبته، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها.

- **محمد نور بن محمد فطاني** (من علماء القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي)، ولد بمكة ونشأ بها فحفظ القرآن وأخذ العلم عن والده وعبد الحق الحنفي وعابد المفتي ، رحل إلى مصر فأكمل دراسته بالمسجد الأزهر ثم عاد إلى مكة، وعقد حلقة درسه بالمسجد الحرام وبمنزله، وأصبح منزله منارة لطلبة العلم ، خاصة الطلبة الجاويين[2].

- **محمد شاذلي الجاوى ،** ولد بمكة عام (١٢٩٠هـ/١٩٧٣م)، فحفظ القرآن الكريم وبعض المتون، وشرع في الطلب وقرأ على مشايخ عصره منهم صالح بافضل حيث درس عليه الفقه وأصوله والحديث والتوحيد والمعاني والبيان والعروض والفرائض، ودرس الفلك على عبد الحق الجاوي ، برع في العلوم فدرس ببيته وبالمسجد الحرام، انتفع به الكثير من طلبة العلم خاصة أهل بلاده الأصلي توفي بمكة رحمه ا [3].

---

(١) سنوك: صفحات من تاريخ مكة ج٢، ٦٠٣.

(٢) غازي: نظم الدرر ، ق٢١٤؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٢٦٩.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٤٤.

**المجالس العلمية والأدبية:**

الترويح عن النفس مطلب شرعي معين على الحق، ولذلك جاء في الكتاب العزيز: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾[1]، فابتهاج النفس أمر فطري، ولما شكا حنظلة الأسدي رسول ا ﷺ تغير حالهم بعد خروجهم من عنده ومخالطتهم الأزواج والأولاد والضيعات لم يعنفه النبي ﷺ، بل قال: ((يا حنظلة ساعة وساعة))[2].

إلا أن ذوي الهمم العالية تكون مجالس سمرهم في الخير والعلم، ولذلك بوب البخاري رحمه ا بـ (السمر في الفقه والخير بعد العشاء) وأورد فيه حديثين يدلان على ذلك[3].

ولقد انتشرت المجالس العلمية في الدولة الإسلامية وكانت تعقد تارة في دور العلماء ومنازلهم، وتارة في الضواحي والمتنزهات، وتدار فيها الأحاديث العلمية والأدبية مع تقديم الضيافة من المشروبات والمأكولات ونحو ذلك.

ومن الواضح أن هذه المجالس لا تصلح أن تعقد بالمساجد أو المدارس لخروجها عن النمط التعليمي إلى شئ من السمر والترويح، ولذلك كانت تعقد في أيام العطلة في الجمعة والثلاثاء من كل أسبوع.

وحتى يأخذنا التاريخ إلى تصور كامل لهذه المجالس في مكة فترة البحث لا نجد أفضل من وصف صالح شطا لها، فقد أرخ لها ووصفها وذكر جملة من هذه المجالس التي اشتهرت في زمنه حيث يقول: (كان ذلك يوم أن كان المسجد الحرام يزخر بالعلم والعلماء وطلابهم، يدرسون فيه العلوم الدينية والأدبية واللغوية والتاريخية، فوق ما هو زاهر بحفظة القرآن المجيد، الذين انتشروا في جنباته من باب العمرة إلى باب الصفا، تسمع لهم دويا كدوي النحل لأنهم يعدون بالألوف في

---

(١) سورة النحل: الآية ٦٠.

(٢) مسلم: الجامع الصحيح ، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، ج٤، ص٢١٠٦، ح ٢٧٥٠.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، ج٢، ص٧٣ ـ ٧٤، ح ٦٠٠، ح ٦٠١.

الوقت الذي يطالعك فيه المسجد بعشرات الحلقات من الدروس وطلابها الذين يغدون كذلك بالألوف يزخر بهم المسجد، ويعج في جميع الأوقات، وهكذا أغاب من في مكة من أهلها والوافدين عليها يطلبون العلم.. وكانت ليالي الجمع والثلاثاء وأيامهما تعطل الدروس فيها، فيفرغ العلماء وطلابهم إلى اقتناص السمر وعقد المجالس والأندية العلمية والأدبية في دورهم، وكان من أبرز تلك الأندية وأحفلها بالسمر العلمي والأدبي دار السيد عبد ا دحلان ـ رحمه ا ـ ودارنا حيث كنا نجتمع فيها ونتطارح البحوث العلمية والنقل الأدبية، وكنا لا نقتصر على إقامة مجالسنا وأنديتنا في دورنا ، فكنا نذهب كثيراً إلى ضواحي مكة نحي تلك المجالس فيها بالعلم والأدب، وهذا دأبنا سمر، وعلم، وأدب، إلى أن حل علينا الدستور العثماني فتفرق شمل تلك المجالس إلى الاعتكاف على قراءة الجرائد، ومن مجالس العلم والأدب في ذلك الحين مجلس عالم المدينة عبد الجليل برادة، وكان ضليعاً في اللغة العربية والفارسية وآدابها، وكذلك مجلس صالح كمال مجلس علم وأدب يحضره كثير من العلماء والأدباء، ومجلس الوالد السيد أبي بكر شطا، حيث كان يحضره كثير من العلماء، فهو أستاذ أكثرهم بالمسجد الحرام، وكذلك مجلس العلامة السيد حسين الحبشي، ومجلس محمد سعيد بابصيل، إلا أن الأخير كان يغلب على مجلسه الفقه، وكذلك كان مجلس أخي السيد أحمد شطا بعد وفاة والده مجلس علم وأدب، وكان رحمه ا يتذوق الأدب وله شعر لطيف ، ومجلس محمد حسين الخياط مجلس علم ورياضيات ، حيث كان ذكياً يمتاز بالفحولة العلمية ولو وجد رحمه ا مجالاً واسعاً لشارك الإمام محمد عبده في مجده العلمي، وذيوع شهرته، وكذلك مجلس شعيب كان مجلس أدب ولغة، ويمتاز بحفظه للحديث وروايته، وكذلك مجلس عابد مفتي المالكية، مجلس علم وأدب وفكاهة، وكذلك مجلس أحمد الخطيب، ومجلس صالح بافضل، و حسب ا الذي كان يباري السيد أحمد دحلان في علمه وسعة اطلاعه...)[1].

---

(١) عباس بن صالح الطاشكندي: الطباعة في المملكة العربية السعودية "١٣٠٠هـ ـ ١٤١٩هـ" ، ( الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص٣١ ـ ٣٢.

ومن المجالس الأدبية التي انتشرت بمكة فترة البحث مجلس آل عبد الشكور، فقد بنى أحمد بن أمين بن عبد الشكور (ت١٣٢٣هـ/١٩٠٥م): مربعة بمحلة أجياد لأجل الاجتماع فيها والمقيل والترويح ، وكان يحضر بها غالب أعيان وأفاضل مكة في غالب الأحيان، وكان المترجم يباشرهم بنفسه ويحضر لهم ما يلزمهم من كتب في الأدب وأطعمة [(١)].

كما شهد بيت الكردي بالقرارة العديد من مجالس العلم والأدب، فقد كان الشيخ محمد صادق ماجد الكردي (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) محباً للعلم والعلماء، فتح بيته للعلماء وأعلام الأدب والدين من كافة شرائح المجتمع المكي والوافدين عليه من حجاج ومجاورين، فكانت داره منتدى علمياً وأدبياً خاصة في موسم الحج، حيث تقام فيها الندوات والمحاضرات، فبعد الاستماع إلى بعض آيات الذكر الحكيم وتفسيرها من قبل عالم بالتفسير، تدارالأبحاث الدينية والعلمية من قبل أصحاب الاختصاص من الحاضرين، إضافة إلى القصائد الشعرية التي كان يلقيها أصحابها من أدباء ومهتمين بالشعر وروافده، كما حرص الشيخ ماجد على توفير كافة ما يحتاجه ضيوفه من حسن ضيافة وجميل استقبال وترحيب[(٢)].

ومن هذه النصوص التي قُدر لنا أن نعثر عليها يمكن أن ندرك أن هذه المجالس تميزت بميزات منها أنها مجالس ذات طابع غير نظامي من جهة المادة العلمية التي تقدم بها، وأن معظمها مما يغلب عليه الأدب والطرائف والفكاهات شأن المجالس العلمية، وإن كان بعضها تخصص قليلاً كما في شأن مجلس بابصيل الذي غلب عليه الفقه كما تقدم.

كما أن هذه المجالس تميزت بجذب العلماء وطلبة العلم من الوافدين إلى مكة من الحجيج والزوار، مما أتاح فرص اللقاء والمعرفة بين أبناء الأمة الواحدة، ويمكن أن نتوقع الأثر الإيجابي لهذه المجالس في تنشيط حركة الجوار فإن القادم إلى مكة

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٠٣.

(٢) محمد علي مغربي: أعلام الحجاز، ج١، ص٣٤٦؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج٢، ص٧٩٨.

إذا أَنَس بهذه المجالس واستروحها، فإن ذلك لا بد أن يحرك فيه رغبة المقام للاستزاده ولا سيما والنفس متشوفة دوماً لمثل ذلك.

كما يمكن أن نتوقع أيضاً تأثير هذه المجالس الإيجابي في تنشيط المناظرات العلمية والبحث في المكتبات لإيجاد المعلومة المناسبة للطرح على مسامع الحاضرين في المجالس، وكذلك نتوقع أثراً لها في اختيار العلماء للمناصب الدينية وازدياد فرصة التعارف بين العلماء وطلبة العلم مع رفع الحرج الذي يفرضه وقار الدروس العامة بالمسجد الحرام، كما أننا ندرك أهمية هذه المجالس في تهيئة النفوس لأيام العمل التي تليها حتى يكون العطاء تاماً من قبل طالب العلم

كما أن الشيخ عبد القادر بن محمد صالح الشيبي (ت١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، وهو من علماء مكة، كان ذا دراية بالفقه ومشاركة في العلوم العربية، اشتغل بالتدريس فترة ، عقد مجالس علم بمنزله حضرها كبار العلماء والحجاج، واستفادوا مما يبث فيها من علوم ومعارف[١].

**دور النساء العالمات في نشر العلم من خلال دورهن:**

لقد حث الشرع الحنيف على تعليم المرأة [٢]، ولأن العلم ذخر واسع للنفس الإنسانية، لا تستطيع كتمه وتسعى في بذله رجلاً كانت أو امرأة، ولذلك فإن المرآة التي تشبعت بالعلم لا بد لها من أن تبثه بدء بأسرتها وأبنائها ومروراً ببنات جنسها وانتهاء للعالمات منهن ببثه حتى للرجال وطلبة العلم ، فلم يكن التعليم والتعلم حكراً على رجل دون امرأة، ولذلك فقد حفظ لنا التاريخ جملة من هذه الفضليات اللاتي تعلم العلماء منهن، وكان أكثر ما يحمل عنهن هو علم الحديث رواية، فكانت الكثيرات منهن تحمل الروايات الحديثية ولا سيما في "المسلسلات"[٣].

فمن هؤلاء **الفضليات:** العالمة الفاضلة أم الحسن ابنة مصطفى البغدادية من أهل القرن الثاني عشر الهجري تربت في بيت علم وفضل، تزوجها محمد سعيد

---

(١) الفاداني: قرة العين في أسانيد شيوخي من أعلام الحرمين ، ج٢، ص٣٢٠؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٣٢٢

(٢) راجع ما كتب حول ذك في مبحث الكتاتيب من هذا الفصل.

(٣)محمد علي مغربي: أعلام الحجاز، ج١، ص٤٥٧.

سنبل أحد علماء مكة الأعلام[1]، ذكرها طاهر سنبل في ثبته ووصفها بأنها : (علامة متقنة)[2]، وذكر أنه وعدد من المشايخ تلقوا عنها العلم[3].

وأما فاطمة بنت حمد الفضيلي الحنبلي الزبيري، فقد ولدت في الزبير ونشأت بها فقرأت على علماء عصرها، وأخذت منهم في علوم شتى كالتفسير والحديث والفقه وقرأت على الكثير منهم، وأجازها جمع منهم، حجت، واستقرت بمكة، وأقامت لها بيتاً ملاصقاً للمسجد الحرام عند باب الزيادة، ترى منه الكعبة، فتردد إليها معظم علماء مكة وسمعوا منها وأسمعواها وأجازتهم وأجازوها خصوصا عمر عبد رب الرسول، و محمد صالح ريس مفتي الشافعية بمكة، فقد كانا كثيري التردد إليها والسماع منها من وراء ستار، وأخذ عنها عدد كبير من علماء مكة، ومن الوافدين عليها أمثال محمد بن خضر البصري وغيره، كانت صالحة عابدة زاهدة توفيت بمكة سنة (١٢٤٧هـ/١٨٣١م)[4].

ونلحظ هنا أن **الحجاب الشرعي** لم يكن قط مانعاً من أن تقوم المرأة بتدريس الرجال، فكان هؤلاء العلماء المذكورون يسمعون من فاطمة من وراء الستر كذلك الحال النسبة للعالمة الفاضلة خديجة بنت إسحاق بن محمد شاه مولوي (ت١٣١٠هـ/١٨٩٢م)، ولدت بمكة واعتنى والدها بتربيتها وتعليمها وتفقيهها فقرأت على والدها التفسير والعقائد والحديث والأصول والأدب، برعت في علم الحديث فسمعت الكثير من "المسلسلات" من والدها ومن عمها المولوي يعقوب واستجازت من علماء الأفاق فأجازوها وكاتبها الأفاضل واشتهرت في عصرها وصار لها صيت بالغ وأسندت كثيرا من المسلسلات وأرشدت خلقا كثيرا من النساء فقد لازمنها ملازمة تامة وانتفعن بها انتفاعاً عظيماً، وأصلحت أحوال كثير منهن ، وأخذ عنها جمع غفير توفيت بمكة ، يقول الدهلوي عنها: ( لم نسمع في زماننا هذا

---

(١) انظر مبحث الأسر .

(٢) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢١٣.

(٣) مرداد أبو الخير: نشرالنور والزهر، ص١٣٦.

(٤) ابن حميد: السحب الوابلة، ج٣، ص١٢٢٧؛ مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٨٧.

بمثلها ولا من يدانيها في علمها وصلاحها وزهدها وورعها وجمعها للفضائل بحيث يصدق عليها قول الشاعر:

ولـو كان النساء كمن فقدنـا لفضلت النساء على الرجال

فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخـر للهـلال[1].

فهذه العالمة لم يقتصر علمها على ما أخذته من علماء بلدها ، بل كاتبت علماء البلاد الإسلامية فأجازوها، وهذا لا يكون إلا بعد أن علموا حالها وسألوا عنها علماء مكة، فليس العالم يجيز بالعلم إلا من كان له أهلاً، وبهذا تكون المرأة المكية قد أسهمت في نوع من الاتصال الثقافي بين مكة والبلدان المجاورة بصورة ما.

ومنهم: خديجة بنت عبد الوهاب بن علي الطبري الحسيني المكي (ت١٣١٠هـ/١٨٩٢م)، تلقت العلوم عن والدها وعدد من علماء عصرها من أبناء أسرتها الطبريين، روى عنها الشريف علي بن عبد البر الوناني و عمر بن عبد رب الرسول المكي حيث كانت تروي بالإجازة العامة عن الإمام المعمر عبد الواحد الحصاري[2].

ومنهم: آمنة بنت محمد بن حسين بن عبد ا الحبشي المكي (ت١٣٤٢هـ/١٩٢٣م) كانت عالمة فاضلة، أخذت العلم عن أبيها الإمام محمد الحبشي مفتي الشافعية بمكة وعن زوجها علوي بن أحمد السقاف شيخ السادة العلويين بمكة، اتخذت من دارها مجلساً للعلم وإفادة بنات جنسها، فكان الكثير من النساء يحرصن على حضور دروسها والاستفادة منها[3].

ومنهم: حبيبة بنت محمد رحمت ا الهندي، تلقت العلم عن والدها المجاهد الكبير، كانت عالمة فاضلة استفاد من علمها بنات جنسها ، كما أخذ عنها عدد كبير

---

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٣، ق٦ـ ٧.

(٢) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص٣٢٧، ج٢، ص٩٤٣؛ عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق٨٠.

(٣) الحبشي: الدليل المشير ، ص٦٦.

من المشايخ منهم محمد سعيد حفيد شقيق رحمت ا ، مدير المدرسة الصولتية بعد وفاة مؤسسها[1].

وفي إطلالة على ما سبق من دور العلماء، يمكن أن نخاص إلى ما يلي:

ـ نجد أن العلماء كانت لهم أسباب كثيرة للتدريس في البيوت من عدم إمكانية عقد الحلقات في الحرم، إلى كبر السن وضعف الحركة، وطبيعة المادة المدرسة وغير ذلك.

ـ كما كانت المجالس الأدبية هي سمر العلماء بمكة ليالي العطلات، فكان يدور فيها الكثير من العلوم والمسائل العلمية، مما أثرى التعليم وزاد في الروابط الاجتماعية بين العلماء بعضهم ببعض وبينهم وبين الطلاب.

ـ كان التدريس بالدور أنسب في الجملة للنساء المحدثات لأنه أستر وأدعى لبثها علومها مع الاحتشام والحجاب ببيتها.

(١) مقابلة مع الشيخ ماجد سعيد رحمت ا مدير الصولتية في ١٤٢٥/٤/١هـ؛ زهير محمد جميل كتبي: رجال من مكة المكرمة العاصمة المقدسة، ج٤، ص١٤٧.

# الفصل الثالث

# نظم التعليم ومسيرته والإنفاق عليه في مكة

- **طرق التدريس وحلقات الدرس.**
- **المدرسون والوظائف التعليمية.**
- **الطلاب.**
- **العلوم والمصنفات التي كانت تدرس بمكة.**
- *موارد الإنفاق وطرق الصرف على نظم التعليم.*

## طرق التدريس وحلقات الدرس

يتميز التعليم الإسلامي من بين حقول التعليم في العالم بكثرة ووفرة طرق وأساليب تلقينه، كيف والرسول الأمين هو معلم البشرية جمعاء، ولو أردنا أن نستقرئ السيرة النبوية لاستخلاص طرق التدريس لرأينا عجباً، فكان التدريس بالكلمة والتدريس بضرب المثل وبالفعل والإشارة والاستفادة من الحديث وطرح المسائل والاستفادة من الأدوات وغير ذلك.

وقد تختلف وتتباين طرق التدريس حسب المرحلة التعليمية التي تمارس فيها، فهناك طرق تعليمية تمارس وتستخدم في مرحلة التعليم الأولي ونقصد بها مرحلة الكتاتيب، وهناك أساليب وطرق تعليمية تمارس وتستخدم في مراحل التعليم المتقدم، مراعاة لتفكير وإدراك الطلبة[1]، وطرق التعليم في المساجد تختلف عنها في المدارس وطرق التدريس في المدارس تختلف عنها في المنازل وهكذا.

وتعتبر طريقة التدريس ناجحة إن أدت إلى شعور الطالب بالمسؤولية تجاه العلم وتبليغ حكم ا تعالى للناس وتنمية الفكر التأملي لدى الطالب والوصول لفهم المادة المقررة في أقل وقت وبأيسر جهد يبذله المعلم والمتعلم، إضافة إلى ظهور ذلك في نتائجه في اختبارات التحصيل.

**وقد انتهج علماء مكة أساليب وطرق متنوعة في التدريس.**

**ففي مرحلة التعليم الأولى وهي الكتاتيب اتبعت ثلاث طرق وهي:**

١ ـ **طريقة التلقين والتكرار**، وفيها يقوم الشيخ أو الفقيه بتلقين الأطفال بشكل متكرر بعض سور القرآن الكريم ولاسيما قصار السور، وذلك بالقراءة من بعده، وتقليده حتى يتم حفظهم، ثم تأتي مرحلة الكتابة التي يتعلمها الطلبة من خلال الكتابة في الألواح الخاصة بهم، فيكتبون قصار السور التي تعلموها وحفظوها، ثم تأتي مرحلة تعلم الحساب بعملياته الأربع، وشيء من التوحيد والفقه والحديث ومبادئ اللغة العربية[2].

---

(١) مصطفى محمد متولي: مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية، (ط١، الرياض، دار الخريجي:١٤١٢هـ)، ص٢٤٤.

(٢) محمد عطية الأبراشي: الترية الإسلامية وفلاسفتها، (ط٥، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية:١٩٨٦م)، ص١٩٦.

٢ـ **طريقة القراءة الجهرية**: وهي طريقة تقوم على ترديد الطلبة لما يلقيه عليهم المعلم، ولا سيما القرآن الكريم بشكل مضبوط وصحيح، حتى يتم حفظهم لذلك عن ظهر قلب[(١)].

٣ـ **طريقة الحفظ والاستظهار**: وهي طريقة تركز على الاستفادة من ذاكرة الطالب في حفظ العلوم المختلفة[(٢)]

وهذه الطرق تتناسب مع الصغار في المراحل الأولى، ولا أدل على صحة هذه الطريقة ومثاليتها من العدد الكبير الذي يتخرج بها متقناً للقرآن الكريم عالماً بمبادئ النحو والكتابة والحساب على مر السنين.

**أما أساليب وطرق التدريس في المراحل التعليمية المتقدمة** التي كانت تتم في المدارس أو المساجد فهي كالتالي:

**١ ـ طريقة المحاضرة:** وتعتمد على الإلقاء والتكرار من جانب الشيخ الذي يلقي محاضراته على تلاميذه، وتستلزم منه حال إعداده لها تدوينها نقطة نقطة، ثم يقوم بشرحها وإيضاحها بشكل مستفيض، مما يمكن تلاميذه من تدوين ما تم فهمه من هذه النقاط فضلاً عن بعض أراء للشيخ يطرحها حال شرحه[(٣)].

**ومن فوائد هذه الطريقة** أن الطلبة بإمكانهم مناقشة الشيخ والاستفسار منه عن بعض ما غمض من نقاط في درسه، إضافة إلى أن الشيخ يقوم بطرح بعض الأسئلة على تلاميذه لمعرفة مدى فهمهم، مع إجابته عن الأسئلة التي صعب على تلاميذه الإجابة عنها، وهذا يتطلب منه أن يكون ملماً بموضوع درسه وعنده زيادة معلومات يستفاد منها في إيضاح مسائله[(٤)].

---

(١) إبراهيم محمد عطا: تطور منهج تعليم القراءة في المرحلة الابتدائية منذ نشأتها حتى اليوم، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس ، القاهرة: ١٩٨٠م) ، ص١٢٢.

(٢) حسن عبد العال: التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص١٥٢.

(٣) مصطفى متولي: مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية ، ص٣٧٧.

(٤) أحمد شلبي: التربية الإسلامية، (ط٦، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية: ١٩٧٨م)، ص٢٧٧.

**وهذه الطريقة تخفي الضعف العام** في المدرس فالطالب يقرأ والمدرس يكتفي بشرح ما يدركه، وهي تؤدي إلى ربط الطالب بالمنهج وتتسلسل عنده المعلومات ويتم الربط بين المعلومات القديمة والحديثة.

**إلا أنه يعيب هذه الطريقة** نشوء الملل كثيراً عند الطلاب خاصة في حالة صعوبة المادة أو ضعف الصوت الواصل إليهم، كما أن الطالب إذا شرد ذهنه هنيهة قد لا يستطيع متابعة التسلسل في المعلومات، ولا تنمي هذه الطريقة مبدأ "**فاعلية التلاميذ**".

**ولذلك يحتاج المدرس للتغلب على** تلك العيوب أن **يستثير الطلاب** من آن لآخر، **ويرفع صوته،** ويتابع الوجوه، وينبه الوسنان، ويقطع رتابة الدرس **ببعض الطرف** ونحو ذلك.. ويمكن بالتالي أن تكون هذه الطريقة ناجعة في التدريس[1].

وممن التفت إلى **أهمية استثارة الطلاب ولفت أنظارهم للدرس** وشد انتباههم للشرح، **إبراهيم عرب** (ت١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م) فقد كان يكرر في الوعظ والإرشاد عبارة: (اسمع يا شيخ جعلني ا وإياك ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ...)[2].

وكذا كان **عمر باجنيد** (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) يقول ويردد عبارة: (إخواني) في شرحه لدرسه في صحيح البخاري[3].

وكان **عباس بن عبد العزيز المالكي** (ت١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م) يكرر كلمة :

(يا سيدي) أثناء إلقائه لدروسه بالمسجد الحرام لتنبيه الطلبة والغافلين[4].

وتميز كذلك بعض العلماء **بارتفاع الصوت** بحيث يسمع جنبات الحلقة منهم أحمد الخطيب (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) كان جهوري الصوت بحيث يسمع صوته من كان بعيداً[5]، ومنهم كذلك **بكر محمد سعيد بابصيل** (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م)، فقد كان

---

(١) خالد حمزة: طرق تدريس الطحاوية ، ص٢٧ـ ٢٨.

(٢) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٣٠.

(٣) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٣٧.

(٤) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ١٦٤.

(٥) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٤١.

جهوري الصوت، حريصاً على طلابه[1]، وكان للشيخ **عيسى رواس** (ت١٣٦٥هـ/١٩٤٥م ) صوت مسموع يدوي في الرواق أمام باب السليمانية[٢].

ومن علماء المسجد الحرام ومدرسيه من كان يورد **الطرائف والنوادر** في درسه ما بين الحين والحين يزيل بها رتابة الدرس ويلفت الأذهان الشاردة إلى الدرس، مع ورع تام وعفة في الحديث ، فعلى سبيل المثال صور لنا صاحب الشذرات انطباعاته عن درس شيخه **محمد بن سليمان حسب ا** (ت١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م) فقال: (كنت أحضر دروسه سامعاً لمقرئه ولتقريره في الحلقة كل صباح بين الإسفار والإشراق، وما زلت أحس صدى صوته حياً في أذني ، سواء كان تدريساً أم تذكيراً، أم تفكيراً **وتنديراً**..)[٣].

**٢ـ طريقة العرض أو القراءة على الشيخ:** وفي هذه الطريقة يقوم الطالب بالقراءة على الشيخ من حفظه أو من أحد الكتب المختارة من الطالب نفسه، أو المختارة من شيخه، ويقوم الشيخ بشرح المادة المقروءة والتعليق عليها، وتشمل الفائدة الجميع ، والظاهر في هذه الطريقة فردية على الأغلب، إذ إن الطالب يبعد أن يتم تعليمه بهذه الطريقة ابتداء، وإنما يلجأ إليها عندما يصبح قادراً على رواية الكتب التي درسها على شيخه[٤] .

وقد ذكر البخاري هذه الطريقة تبعاً لغيره من حديث ضمام بن ثعلبة أنه قال للنبي ﷺ: آ أمرك أن تصلي الصلوات؟ قال: نعم، قال البخاري فهذه قراءة على النبي صلى ا عليه وسلم أخبر ضمام قومه بذلك فأجازوه[5].

**وكان المحدثون خاصة يتبعون هذه الطريقة في التدريس** ومن هؤلاء إبراهيم بن أحمد الحنفي المكي (ت١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م)،عالم فاضل فقيه محدث

---

(١) المصدر السابق، ص٦٤.

(٢) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٢٤٥.

(٣) إبراهيم الغذاوي: شذرات الذهب، ( ط١، جدة دار المنهل: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٥٣٦.

(٤) حسن عبد العال: التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ص١٥٤.

(٥) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب من جاء في العلم القراءة والعرض على المحدث، ج١، ص١٧٩.

مدرس بالمسجد الحرام ، قرأ عبد الستار الدهلوي عليه صحيح البخاري بالمسجد الحرام، وسمع منه وأجازه[١].

كذلك قرأ عبد الستار الدهلوي على مفتي الأحناف بمكة عباس جعفر (ت١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) أوائل الكتب الستة وأواخرها[٢].

**٣ ـ طريقة الأسئلة والمحاورة**: وتقوم على أن يوجه الشيخ الأسئلة لتلاميذه، وفي المقابل يسأل التلاميذ الشيخ أسئلة تدور حول الدرس، محاولة منهم للتعرف على النقاط الخفية في الدرس، وقد بين علماء التربية أن المعلم إذا لم يتح للمتعلمين أن يسألوه ويسألهم ينقص علمه ويتوقف نموه، وينتهي بهم جميعاً إلى ركود في التفكير، ومن هنا دعوا إلى أن يهتم المعلم بصياغة السؤال وحسن طرحه وقرروا أن ذلك نصف العلم[٣]، واعتبرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب مفتاح العلم[٤]، وقد ورد في السنة النبوية أن النبي ﷺ سأل أصحابه عن الشجرة التي هي كالمؤمن تبقى مزدهرة في كل فصول السنة ثم أخبرهم أنها النخلة[٥] ، وذكر العلماء أن فيه من الفوائد امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفي مع بيانه لهم إن لم يفهموه[٦] .

فالمراد إذاً شحذ الأفهام والتعليم بطريقة السؤال، وتعتبر هذه الطريقة مثلى لا سيما مع الطلاب الأذكياء والمتميزين، لكنها في المقابل تحتاج إلى جهد من المدرس في العرض بصياغة جيدة مع الانتباه إلى أنه قد تؤدي الأسئلة الكثيرة إلى فقدان الطلاب القدرة على المتابعة أو الفتور عند شعورهم بالعجز ناهيك عن تبعثر المعلومات إذا ما اشترك أكثر من طالب في الإجابة، ولذلك فعلى المدرس أن يجمع شتات المعلومات بعد كل سؤال ويربطه بالدرس .

---

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج١، ق٤٦.

(٢) عبد الستار الدهلوي: نثر المآثر، ق ٤.

(٣) ماجد عرسان الكيلاني: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية( ط٢، المدينة المنورة، مكتبة دار التراث: ١٤٠٥هـ)، ص٨٠.

(٤) حسين بن غنام: تاريخ نجد، ( ط٢، بيروت، دار الشروق: ١٤٠٥هـ)، ج٢ ، ص٤٤٩.

(٥) البخاري: الجامع الصحيح، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم، ج١، ص١٧٨.

(٦) ابن حجر: فتح الباري، ج١، ص١٧٦.

وممن انتهج هذه الطريقة من علماء مكة **جمال المالكي** (ت١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م) فقد كان يستخدم طريقة إلقاء الأسئلة والإجابة عنها من قبل الطلبة أثناء شرحه للدرس فعلى سبيل المثال في درسه للنحو كان يرد على طلابه أسئلة تتعلق بالدرس كإعراب جمل معينة وكان يصحح أخطاءهم وتعبيرهم[١]، ولعل طبيعة العلم الذي يدرسه وهو علم النحو أوجبت عليه هذه الطريقة.

كما أن **أبا بكر شطا** (ت١٣١٠هـ/١٨٩٢م) كان يسمح لطلبته بمناقشته أثناء إلقائه الدرس فلا ينتقل من مسألة مشكلة إلا بعد أن يوضحها ويفهمها لطلبته ويسمع لأسئلتهم واستفساراتهم ويجيب عليها بصدر رحب قبل أن ينتقل إلى جزئية أخرى من الدرس، يقول عنه الخطيب حين كان طالباً في حلقته العلمية بالمسجد الحرام: (كان شيخنا هذا مهاباً كريماً .. ، وكنا نناقشه في المسائل أثناء الدرس فلا ينتقل عن مسألة مشكلة إلا بعد أن يوضحها ونفهمها)[٢]

**٣ ـ طريقة المذاكرة:** وهي طريقة تعتمد على التكرار في التذكر، ومن أشكالها جلوس الطلبة فيما بينهم للمذاكرة، وجلوس الشيخ ليحدث بهدف المذاكرة[٣].

وهي أشبه بالمراجعة العلمية لما تم تدريسه فهي ليست طريقة تدريس لنقاط جديدة، وإنما لا بد منها ولا سيما إذا كانت الدروس المستقبلية تبنى على ما تم عرضه سابقاً، **وربما اعتمد الشيخ على هذه الطريقة إذا كبر سنه** وانقطع عن الدرس لأن التأهب للدرس يصعب عليه، في حين أن المذاكرة تناسب حاله، كما كان حال **علوي بن أحمد السقاف** (ت١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م) لما مرض في آخر عمره كان يأتيه الطلاب يذاكرونه، قال عنه مرداد أبو الخير: (زرته واكتسبت منه فوائد إذ مذاكرته جلها علميه)[٤] .

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٧٢.

(٢) أحمد الخطيب: القول التحيف ، ق٩.

(٣) ماجد عرسان الكيلاني: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ص٨٠.

(٤) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٤٣.

٤ ـ **طريقة المناظرة وحل المشكلات:** وهي عبارة عن حوار ومناقشة أو مناظرة أو محاضرة يشترك فيها اثنان أو أكثر، بحيث يتبنى كل واحد رأياً مخالفاً يحاول أن يعرضه مع براهينه تأييداً لرأيه، ودحضاً لرأي الخصم، وصاحب البراهين الدامغة والحجج القوية هو الفائز في تلك المناظرة[١].

ولهذه الطريقة الأثر البالغ في شحذ الأذهان، وتقوية الحجة والتمرن على سرعة التعبير، والقدرة على الارتجال، وتؤكد الاعتزاز بالفكرة والثقة بالنفس، كما توجه الطلاب المتميزين لمزيد من البحث والاجتهاد في تحصيل المادة التي يناظر فيها، **وهي طريقة تتوافق مع مبدأ فاعلية الطلاب** ويظل المدرس فيها مصححاً لمسار المناقشة وهي تنمي احترام الرأي الآخر والقدرة على مواجهة الناس، إلا أنه إن لم ينتبه المدرس إلى الوقت فقد يضيع وقت كبير دون الانتهاء من المقرر كما أن بعض الطلاب الانطوائيين لا يشاركون في هذه الطريقة وربما تسبب هذه الطريقة في جرح مشاعر بعض الطلاب.

إلا أن هذه الطريقة ساعدت على ذيوع شهرة بعض المناظرين والعلماء فارتحل العديد من الطلاب من مناطق بعيدة ليأخذوا العلم على رجاله ومشايخه الذين اشتهروا بمناظراتهم[٢] .

ومن المناظرات العلمية لعلماء مكة مناظرة الشيخ أحمد بن عيسى الحنبلي (ت١٣٢٩هـ/١٩١١م) لعبد القادر التلمساني الأشعري[٣].

كذلك مناظرة علماء المسجد الحرام للشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر[٤] عام (١٢١١هـ/١٧٩٦م)، إذ أوفده الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود

---

(١) محمد التونجي: المعجم الفصل في الأدب، ( ط١، بيروت، دارالكتب العلمية: ١٤١٣هـ) ج٢، ص٨٢٨.

(٢) مصطفى متولي: مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية ، ص٢٥٢.

(٣) محمد بن مانع: ترجمة الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، بأول شرح النونية ص ١٧

(٤) ولد بالعيينة ونشأ بها ثم هاجر إلى الدرعية وأخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيره من العلماء، تولى قضاء الدرعية وتدريس طلبة العلم بها، له مجموعة من المؤلفات، توفي بمكة ودفن بها عام (١٢٢٥هـ/١٨١٠م)، انظر: عبد الرحمن آل الشيخ: مشاهير علماء نجد ، ص٢٠٢.

إلى أمير مكة الشريف غالب بن مساعد بناء على طلبه، وقد أذعن علماء مكة بحجج وبراهين ابن معمر وسلموا له[1].

**٥ ـ طريقة المراسلة أو الردود العلمية:** وهي تقوم على إرسال طالب العلم الأسئلة وما يتعلق بها من استفسارات إلى الشيخ، ليتلقى منه إجابات عن تلك الأسئلة والاستفسارات مكتوبة في شكل رسالة من الشيخ إليه، وكلما ذاعت شهرة الشيخ جاءت إليه رسائل كثيرة من طلبة العلم من شتى البلاد[2] .

ومن أمثلة ذلك **الرسائل العامة**، وهي الرسائل التي توجه إلى عموم الناس من دون تخصيص ولا يشترط أن تكون رداً على رسالة موجهة سابقاً .

أو أن تكون **الرسالة طويلة أشبه بالكتاب** ومن أبرز أمثلتها: الكتب والرسائل المؤلفة في الرد على السؤال، وقد كان في مكة الكثير من هذا النوع، فكان علماء الآفاق يراسلون علماء مكة فتأتيهم الأجوبة المكية على مراسلاتهم في صورة مؤلفات وكتب **وسيأتي في هذا البحث عرض لجملة كبيرة من مصنفات المكيين في الرد على استفسارات أبناء العالم الإسلامي** من علماء وطلبة علم وغيرهم.

**٦ ـ طريقة الإملاء:** وفيها يملي المدرس العلوم على طلبته ، وكان العلماء يستخدمونها كثيراً في مجالس إملاء الأحاديث قبل أن تضبط في الكتب المطبوعة ثم قلت مجالس الإملاء اعتماداً على المطبوعات، إلا أنه ربما أملى المدرس حصيلة العلم على الطلاب كما كان يفعل مفتي مكة عبد الرحمن سراج (ت١٣١٤هـ/١٨٩٦م)، قال عنه الدهلوي: (مصباح الحرم ونوره، بلبل أفراح الملتزم وسروره، سر المقام والحطيم فيه آيات بينات لمجاورته مقام إبراهيم ضياء المجالس، .. سراج القطر الحجازي ... برع في الفقه فحرر مشكلاته، والنحو والصرف والمنطق والبيان ... درس بالمسجد الحرام وأملى العلوم على الطلبة فأفاد

---

(١) محمد بن مانع: ترجمة الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، بأول شرح النونية ص ١٧

(٢) حسن عبد العال: التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص55.

وأجاد واجتهد مع عذوبة اللفظ وتأمل المعنى فهو علامة الزمان ونتيجة العصر بلا كلام)[1].

**٧ ـ طريقة الوعظ والخطابة:** وهي طريقة تقوم على وعظ الناس وإرشادهم من خلال مواعيد منتظمة كأيام الجمع والأعياد، ومن خلال مواعيد غير منتظمة كأيام الكسوف وليالي الخسوف وأيام الاستغاثة وغيرها على المنابر أو الوعظ العام في حلقات الدروس.

**وتعد الخطابة طريقة تعليمية وتربوية قديمة** استخدمها العرب في جاهليتهم وبعد إسلامهم، ولعل أكثر من يستفيد منها هم عوام الناس على الأغلب، إذ هي لا تحتاج منهم سوى الاستماع إليها فقط، ثم العمل بموجبها، وتتميز هذه الطريقة عن الطرق التعليمية الأخرى إلى بساطتها، في حين تحتاج أغلب الطرائق التعليمية الأخرى الكثير من الاستعداد كالحضور والملازمة للشيخ أو العالم واستخدام أدوات مختلفة مما لا يعد لازماً لعملية التعليم والتعلم وخلفية علمية سابقة وغيرها من أدوات التعلم[2].

**ولم تكن الخطابة بهذا المفهوم مقتصرة على الصعود على المنابر**، بل يدخل فيها الدروس الوعظية عامة، وهذه كانت منتشرة بالمسجد الحرام ولا سيما أيام المواسم حيث تنقطع الدروس النظامية ويحتاج الوافدون إلى الوعظ ثم فترة لإجابة عن الأسئلة والاستفسارات، وربما كان الوعظ مرتباً بغير اللغة العربية أو ممن يحسن لغة أخرى حتى يمكن لمن يجلس إليه أن يستفيد استفادة كبيرة، وممن مارس هذه الطريقة **خالد أفندي بن يوسف الديار بكرلي**(ت١١٩٣هـ/١٧٧٩م) كان يعظ الأتراك على كرسي بالمسجد الحرام[3].

---

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق٦٣ ـ ٦٤.

(٢) حشيم بن غازي بن عبد ا البركاتي: التعليم في عهد الدولة السعودية الأولى "١١٥٧ـ١٢٣٣هـ/ ١٧٤٤ـ١٨١٨م" (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، مكة: ١٤٢٤هـ) .

(٣) القطان: تنزيل الرحمات ، ق ٣٠٤؛ الجبرتي: عجائب الآثار، ج١،ص ٥٤٥.

وسواء كان وعظه بالتركية أو بالعربية، إلا أن تخصيصه وعظ الأتراك يشير إلى إمكانية استفادة الترك من الشيخ في الفهم وإيراد الأسئلة عليه بلغتهم دون تكلف تعلم لغة أخرى.

**حلقات الدرس بالمسجد الحرام:**

اشتهرت حلقات العلم في المسجد الحرام منذ عهود الإسلام الأولى، ومنذ أن حمى ا تعالى الإسلام وظهرت دعوته كانت الحصيلة العلمية عادة تتم في هذه الحلقات العلمية، والتي يتولى التدريس بها أحد العلماء أو المشايخ ممن سبق لهم تحصيل العلم أو أجيزوا به من قبل مشايخهم، واستمر الأمر حتى الآن على هذا النحو، وفي فترة البحث كانت الحلقات منتشرة في المسجد الحرام، وعادة ما يتراوح عدد الطلبة في الحلقة الواحدة ما بين العشرة إلى الخمسة عشر طالباً[١] وقد يزيد أو ينقص تبعاً لعوامل أورد منها: **مكانة الشيخ العلمية بين العلماء، والكثافة السكانية** لرواد المسجد الحرام والتي كانت تزيد في مواسم العمرة والحج إضافة إلى زيادة عدد المجاورين، ويمكن أن نضيف عاملاً ثالثاً ألا وهو **نوع وطبيعة الدرس** الذي يؤديه الشيخ، فحلقة الدروس الدينية في العادة ما تكون أكبر من حلقة العلوم العربية، وحلقة العلوم العربية أكبر من حلقة السير والتاريخ وحلقة السير والتاريخ أكيد أكبر من حلقة الفلك والتوقيت، وقد يدخل في ذلك عوامل أخرى منها **قرب مجلس الشيخ من أحد الأبواب الرئيسة** التي يدخل منها المصلون بكثافة، أو قربه من باب يلي منطقة مكتظة بالسكان كالشبيكة والقشاشية وما شابه ذلك، كما أن ثمة عوامل أخر تؤثر في ذلك **كأسلوب الإلقاء وارتفاع الصوت** وغيرها.

وقد ضمت كتب التأريخ **وصفاً لبعض هذه الحلقات من حيث عدد الطلاب،** فمنها الحلقات القليلة العدد جداً، كحلقة **محمد علي بالخيور** (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م) فكان صوته لا يتعدى حلقته الصغيرة التي لا يتجاوز عدد طلابها أصابع اليدين[٢] كما وصفت حلقة عبد الحميد فردوس(ت١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) بأنها صغيرة ولا

---

(١) مي العيسى: الحياة العلمية في نجد ، ص٢٩١، ٢٩٤.

(٢) المصدر السابق، ص٢٢٤.

يتجاوز عدد طلابها عشرة[1]، وكذلك حلقة **عيسى رواس** (ت١٣٦٥هـ/١٩٤٥م ) لا يتجاوز عدد طلابها أصابع اليد، في الرواق أمام باب السليمانية[2]،

ومن الحلقات ما ضم المئات من الطلاب كحلقة **مختار بن عطار البتاوي المكي** من مدرسي الحرم المكي الشريف نهاية فترة البحث، قد كانت حلقته تضم نحو الأربعمائة من المشايخ وكبار الطلبة وكانت بين العشاءين ثم بعد العشاء[3].

وكان التدريس بالمسجد الحرام يسير **بالطريقة التقليدية** والمتمثلة في حلقات التدريس التي كانت تعقد بعد كل صلاة ويدرس فيها الطلاب من جنسيات مختلفة على أحد العلماء المتخصصين في علم أو عدة علوم من علوم الشريعة الإسلامية واللغة العربية ونحوها[4]، وقد حفل التاريخ بأسماء كثيرة لمعت أنجمها في حلقات الدرس بالمسجد الحرام، تبعاً لمكانته العلمية، وطريقة إلقائه للدرس، والعلوم التي يدرسها وغير ذلك، فمثلاً وصف رئيس العلماء الشيخ عبد ا سراج بأنه كان عالماً متفنناً فصيحاً في الدرس[5] .

والظاهر أن مهمة التدريس بحلقات المسجد الحرام لم تكن مقصورة على المدرسين النظاميين، بل نحن نتوقع أن **أي عالم وافد على مكة** كان يمكنه أن يجلس للتدريس، وكما قيل: **من جلس للناس جلسوا له،** ثم تشتهر حلقته شيئاً فشيئاً ولم يكن ثمة نظام يمنع من هذا الأمر، إلا أنه في أواخر العهد العثماني طرأ تغيير على ذلك، فمع بداية عام (١٣٣٢هـ/١٩١٣م) صدر نظام جديد للتدريس بالمسجد الحرام حيث قامت لجنة تعليمية عليا من علماء المسجد الحرام بوضع نظام سمى بـ"**الطوالع السنية في نظام التدريس بمسجد مكة المحمية**" [6].

---

(١) نفسه، ص١٤٥.

(٢) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص ١٨٨.

(٣) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٥٤٣

(٤) عبد اللطيف بن دهيش: التعليم في الحرمين الشريفين ، ص٣١٣.

(٥) جعفر اللبني: الحديث شجون، ق٨٤.

(٦) الطوالع السنية، ص١.

أصبح كل من يرغب في التدريس بالمسجد الحرام أن يقدم طلباً لقاضي القضاة يطلب منحه الإذن للتدريس، ثم في أول العام الهجري يعقد قاضي القضاة مجلساً علمياً برئاسته و يحضره كل من مفتي الشافعية ومفتي المالكية ومفتي الحنابلة ويمتحن الطالب كل يوم في درس أو درسين، فإذا نجح أعطيت له شهادة التدريس بالمسجد الحرام، ثم يرفع اسمه للحاكم، وتبعاً لذلك فقد عين للمسجد مراقب يشرف على سير الدروس ويمنع من لا يحمل شهادة من التدريس بالمسجد الحرام[1].

وحدد النظام **مهمة التدريس بالمسجد الحرام** بواقع ثلاث محاضرات يومية في **علوم محددة** وهي: (التفسير، علم القراءات، الحديث، مصطلح الحديث، الفقه، أصول الفقه، التوحيد، النحو، الأدب العربي، البلاغة، المنطق، الخطابة ، التاريخ الإسلامي، الحساب)، وقد أكد النظام على **طريقة تدريس هذه العلوم** بأن يقوم المدرسون بتدريس هذه المواد **بعناية ودقة تامة**، وأن يراعوا التدرج في المنهج الدراسي من السهل إلى الصعب دون تحميل الطالب أكثر مما لا يطاق فكرياً مع مراعاة الفروق الفردية.

وقد حدد النظام كذلك **لغة التدريس بالمسجد الحرام** وهي اللغة العربية، مع إمكانية استخدام لغة أخرى كالأوردية والجاوية والسواحلية، وذلك في **الحالات الضرورية القصوى**، فإذا كان الطلبة عجماً فلا بأس أن يترجم لهم معاني الكتاب الذي يقرؤونه باللغة العربية بلغتهم لأجل تفهيمهم باللغة التي يفهمونها أو يستعين بشخص ملم باللغة المطلوبة مما يسهل في عملية التدريس وفهم الطلاب للشرح[2].

كما نصت اللائحة على أن يتم تعيين ما لا يقل عن "٢" **من المفتشين لمراقبة سير الدراسة بالمسجد الحرام**، وأن يقدم المفتشون تقريراً عن سير العملية التعليمية إلى اللجنة العليا المشرفة على التعليم بالمسجد الحرام، ويضمن المفتش في تقاريره ملحوظاته حول **أسلوب الدراسة، ونوعية الكتب** المقررة في التدريس ومدى إقبال

---

(١) عبد الرحمن صالح عبد ا : تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص٤٤.

(٢) الطوالع السنية، ص ٩.

الطلاب على الدرس ومدى استفادتهم من ذلك، ونسبة الحضور أو الغياب سواء بالنسبة للمدرسين أو الطلاب، مع بيان مدى انتظام الدرس النظامي في إعطاء الدروس المقررة، ومدى استفاد الطلاب منه، ومدى توافر الكتب التي يدرسونها بوجه خاص[1].

ولا شك أن هذا النظام **ضبط عملية التدريس** ورفع من مستوى العلم في مكة إلا أنه في المقابل لم يتح الفرصة لكثير من العلماء الوافدين بشرف التدريس بالمسجد الحرام في الجملة، فاعتزل بعضهم التدريس ولم يشأ أن يتم اختباره، واكتفى بمنح الإجازات العلمية والتدريس ببيته.

**طرق التدريس في حلقات المسجد الحرام:**

سبق الحديث عن طرق التدريس بالمساجد والمدارس عامة، وأقسامها، وليس من نافلة القول أن نؤكد أنها هي نفس الطرق المتبعة في المسجد الحرام في الجملة، إلا أن المسجد الحرام كان يحظى بنوعية بها قدر زائد من الاهتمام من قبل المدرسين والطلاب انعكس على أدائهم وطرق التدريس في الحلقات العلمية **نظراً لرحابة المسجد الحرام وإمكانية زيادة الحلقة أو نقصانها بالوافدين والحجاج** مما يضفي بظلاله على الطرق المتبعة لتأخذ شكلاً عاماً نسبياً حتى لو كانت الحلقة لتدريس دقيق العلوم مما ينبئ عن شخصية المدرس الحقيقية وطريقة تدريسه **بصورة أجلى منها في سائر دور التعليم الأخرى**، ومن هنا أحببت أن أفرد طرق التدريس بالمسجد الحرام بنوع من الاهتمام حيث جمعت شتات أفكار هذه الجزئية من خلال المتناثر من الأخبار التاريخية التي حوتها المصادر .

لقد كان الطلاب يجلسون على هيئة **نصف دائرة** حول الشيخ، الذي تكون سجادته في العادة خلف اسطوانة أو عامود من أعمدة المسجد، ويكون مواجهاً لجميع الطلاب وقد وضع أمامه أدوات الكتابة من محبرة وأقلام، وأما الطلاب فكانوا يضعون سجاجيدهم أمام الشيخ ليجلسوا عليها فيكونوا نصف دائرة محيطة بالشيخ،

---

(١) نفسه، ص ٩ ـ ١١.

وقد وضعوا أمامهم أدوات الكتابة والأوراق لكتابة ما يستجد أو ما يمليه عليهم المدرس، وعادة ما يختار كل طالب مكاناً ثابتاً له لا يتغير، ويجلس قرب الشيخ الطلاب المتميزون من الذين يحبهم ويقربهم منه لذكائهم وفطنتهم وحسن سلوكهم، أو من اختارهم ليكونوا معيدين أو مفيدين لدرسه حتى يتسنى لهم سماعه بشكل واضح ويفهموا كل ما يقوله ويردده، أو ليسمعه الشيخ حين يقرأ عليه الدرس[١].

وكان المعلم يجلس مقابلاً للكعبة ويستطيع كل طالب الجلوس مرتاحاً ويأخذ نفس مكانه حتى نهاية العام، إذ من اللوائح المهمة والمتبعة أثناء الدرس في المسجد أن دائرة الطلاب حول المعلم تكون في كل محاضرة بنفس ترتيب أشخاصها[٢].

وتبدأ الدراسة بعد صلاة الفجر، حيث تعقد حلقات تحفيظ الأطفال القرآن الكريم، والحلقات العلمية للكبار وتقام في حصوات المسجد الحرام، وغالباً في القراءات والحديث والتفسير والفقه وتظل الدروس قائمة حتى تشتد حرارة الشمس فيدخل الشيخ وطلبته إلى الأروقة لحماية أنفسهم من الحرارة ، وتستمر الحلقات حلقة تلو الأخرى حتى يأتي المساء فتضاء القناديل وتعقد الحلقات ما بين المغرب والعشاء[٣]، ويستغرق الدرس عادة بالمسجد الحرام ما بين الساعة أو ساعتين[٤].

أما عن نظام الدراسة وتنظيم حضور الطلاب الدرس أو انصرافهم منه، فكان بإمكان أي طالب أن يحضر أو ينصرف من الدرس متى شاء كما يمكن لأي شخص أن يحضر أي درس، وأن ينضم لأي حلقة ولو لمجرد حب الاستطلاع وعادةً من كان له الرغبة في الانصراف أو الجلوس لبعض الوقت أو حضوره من غير مواظبة مستمرة ونحوه؛ فكان يجلس في نهاية الحلقة تجنباً من إحداث ضجة أو لفت انتباه الطلبة له، أما في المعاهد العلمية ذات الأوقاف فلا بد للطالب أن يحضر الدرس

---

(١) المحبي : خلاصة الأثر، ج٢، ص٢٠٢؛ سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص٥٠٣.

(٢) Ibn Dohaish, op. cit , p186.

(٣) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص ٥٢٤.

(٤) بروكهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١٩٥.

بانتظام ولا يغيب عنه إلا بعذر مقبول، حتى لا يحسم ذلك من مكافأته أو راتبه المقرر من قبل الواقف.

وتبعاً لذلك لم يكن هناك سن محددة للالتحاق بالحلقات العلمية في المسجد الحرام فقد يجلس في الحلقة الغلام بجانب الشاب و بجانب الكهل.

**وإجمالاً** كانت **الطريقة المتبعة للتدريس** تقوم على **قراءة** أحد الكتب على الطلبة مع التعليقات أو الشروح التي وضعها العلماء السالفين، وإذا صادف الشيخ بعض **العبارات الغامضة** أو النصوص التي تحتاج إلى تفسير يقوم **بشرحها** بشكل عرضي ، ومنهم من يقرأ النص الموجود بالكتاب ثم يقوم بشرحه وإيراد أراء العلماء في النص وسرد وجهات النظر المختلفة، **وعادة ما يقرأ** الشيخ في مصادر مختلفة ليستخرج وجهات النظر التي يستعرضها على الطلبة، **وقد يكون المدرس هو القارئ** أو يوكل ذلك لأحد الطلاب النابهين، فيكون للمدرس مقرئ يقرأ الدرس والشيخ يشرح ويفسر لتلاميذه الدرس بطريقة تلائم عقولهم فيوضح ما غمض دون التوسع في الموضوع حرصاً على الزمن ونفع طلابه المتقدمين[(١)].

وربما يبدأ درسه **باستماع ما حفظه الطلبة** من المتون ويصححها لهم، ثم يبدأ درسه **ببعض المواعظ المفيدة** التي تحث على بذل الجهد ترغيباً في العلم ثم يشرع في إلقاء الدرس، وربما أخر استماع المتون من الطلبة بعد الدرس كما كانت طريق عمر شطا(ت١٣٣١هـ/١٩١٢م) فيما يدرسه من متون وكان معتنياً بها يقرأ شروحها على الدوام[(٢)] .

وقد يبدأ المدرس درسه **بافتتاحية معينة،** وجمل نثرية مسجوعة تبين أهمية الدرس، ثم يطلب من المعيد أو أحد التلاميذ بتكرارها ليسمعها الطلاب وبعضهم يبدأ درسه بالبسملة وقراءة الفاتحة وآية الكرسي وفواتح سور يس وتبارك والإخلاص

---

(١) عبد الوهاب أبو سليمان: الحرم الشريف الجامع والجامعة، ٨٩ـ ٩٠.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٧٨؛ عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق١٩٧.

والمعوذتين ثم الصلاة على النبي صلى ا عليه وسلم ثم يدخل بعد ذلك في درسه[1].

وكانوا يلتزمون البسملة والحمدلة والصلاة على النبي ﷺ والترحم على المصنف الذي يقرأ كتابه بداية الدرس مع تعليم الطلاب هذا والتأكيد عليه، كما ذكر مقرئ الشيخ سعيد اليماني (ت١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) أنه بدأ القراءة فبسمل وحمد ا وصلى على نبيه وقال: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[2]، ثم سكت، فبسمل الشيخ وحمد ا وصلى على رسوله وقال: **قال المصنف رحمه ا** في تفسير هذه الآية ....)[3].

وفي العادة **يختم المدرس درسه** بطريقة يتميز بها أيضاً، كأن يغلق الشيخ كتابه، ويقرأ بعض الأدعية ويمسح على وجهه معلنا انتهاء الدرس، بعدها يقف الطلبة فيلتفوا حول الشيخ، فمنهم من يجلس عن يمينه ومنهم من يجلس عن يساره ومنهم من يقبل جبينه وقد شرع جلهم في الدعاء له بعبارات تبجيلية مناسبة بعد أن دعا لهم الشيخ بالبركة والنفع[4].

إما إذا عرض له عارض يوجب له **الانتهاء من الدرس قبل الوقت** فإنه يعتذر لطلبته بطريقة مهذبة كأن يقول لهم : لنتوقف الآن عن الدرس لأني بحاجة إلى تجديد الوضوء ونحو ذلك[5].

وغالباً ما كان يعطي الشيخ **فترة من الوقت لطلابه للاستفسار عما فاتهم،** أو عسر عليهم فهمه.

وقد أرخ الرحالة الهندي **رفيع الدين الفاروقي المراد آبادي** (ت١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م) هذه الطريقة جملة حين كان بمكة لأداء فريضة الحج عام

---

(١) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص ٥٠٤، ٥١٧.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٢.

(٣)عمر عبد الجبار : سير وتراجم، ص١٣٧.

(٤) شهاب الدين أحمد الخفاجي: طراز المجالس، (القاهرة ، المطبعة الوهبية)، ص١٧ - ٢٣.

(٥) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، .

(١٢٠٢هـ/١٧٨٧م) إذ يقول: (أما طريقة التدريس في مكة فيقوم منها الطلاب بالجلوس حول شيخهم الذي يفتح كتابه الذي يمسكه بيده ، ويبدأ في القراءة والشرح، فإذا ما واجه أحد الطلاب أمراً صعباً أو شبهة ما استفسر من شيخه فيجيبه الشيخ ويشرح له ما أبهم عليه)[١].

وقد تفرض طبيعة الدرس نوعاً من الإلقاء والتسلسل، كدروس التفسير التي تقتضي **ربطاً بالدرس الماضي** قبل الاشتغال بالدرس، ومن الأمثلة على ذلك **عبد الرحمن سراج** (ت١٣١٤هـ/١٨٩٦م)، فقد كان يلقي درسه في التفسير بحلقته بالمسجد الحرام بأن يقرأ الآية ومن ثم يتكلم عن سبب نزولها وفي ارتباطها بما قبلها بأنواع المناسبات وفي إعرابها ومعناها وما اشتملت عليه من أنواع البلاغة وفيما يؤخذ منها من الأحكام[٢] .

ويصف أبو بكر خوقير (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) طريقة شيخه عبد الرحمن سراج في التدريس فيقول: (حظيت بمذاكرته ليالي كثيرة وحضرت دروسه في التفسير وله فيه طريقة عجيبة، يتكلم على الآية إملاء عن ظهر قلب، بتقرير خمسة وجوه الأول: في سبب نزولها، والثاني: في ارتباطها مع ما قبلها بأنواع المناسبات، والثالث: في إعرابها، والرابع: في معناها وما اشتمل عليه من أنواع البلاغة، والخامس: فيما يؤخذ منها من الأحكام والاعتبار)[٣].

أما **فتح المجال لأسئلة الطلاب أثناء إلقاء الدرس**، فكان محدوداً نوعاً ما، وإن سمح بعضهم للطلاب بإلقاء الأسئلة والاستفسار **أثناء شرحه للدرس** والرد عليها بصدر رحب ، فيذكر **حسن العجيمي** (ت ١١٣١هـ/١٧١٨م) أنه حين كان طالباً في حلقة **شعبان الأزهري** وكان الشيخ يقرر معنى قول ابن أجروم في تعريف الإعراب أنه هو تغيير أواخر الكلم، قال العجيمي: فقلت ياسيدي: إن الدال من زيد

---

(١) رفيع الدين المراد آبادي : الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية ، ترجمة :سمير عبد الحميد إبراهيم نوح، (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة : ٢٠٠٤م)، ص٩١.

(٢) عبد الستار دهلوي: فيض الملك المتعال، ج٣، ق٢٧٤؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢١.

(٣) أبو بكر خوقير: ثبت الأثبات الشهيرة، ق٩.

لا يتغير في حالة الرفع والنصب والجر، مع أنها آخره، **فهل المراد تغيير هيئة**؟ قال: نعم وبش في وجهي وهش ودعا لي بالبركة)[1] .

فهذا يوضح لنا حقيقة مفادها أن المدرس كان يسمح للطلبة بالاستفسار عن الأسئلة التي تدور **حول موضوع الدرس،** ويبين الجواب فهيا بسعة صدر وبشاشة، **أما ما كان بعيداً عن موضوع الدرس،** فلا يفضل أن يسأل عنه حتى ينتهي من درسه، مراعاة لمصلحة بقية الطلبة.

ويمكن في ضوء هذا أن نفهم ما ذكره سنوك بأن معظم المدرسين لا يحبون أن يقاطعهم الطلاب أثناء إلقاء الدرس بأسئلتهم واستفساراتهم ويسمحون لهم بذلك بعد نهاية الدرس[2]، ففي اعتقادنا أن هذا محمول على الأسئلة الأجنبية عن الدرس، فليس هذا مغمزاً إذ أن مفاجأة الشيخ بالسؤال الخارج عن موضوع الدرس قد تشتت ذهنه وذهن الطلاب على حد سواء، وينقطع بهم سبيل الدرس خاصة إذا كانت الاستفسارات خارج الموضوع الذي يلقيه الشيخ، وتكون قد فتحت باباً للسماح لبقية الطلبة بالسؤال خارج الدرس فيضيع الوقت، وربما استغل ذلك بعض الطلاب للتآمر على الدرس ترويحاً، أو طلباً لقلة ما يختبرون فيه، أو كيداً في مدرس أو طالب، أو ما أشبه ذلك، مما ينبغي أن تصان عنه حلقات العلم.

ولا شك أن المدرس كان مأموراً بالتزام المناهج المحددة والكتب المقررة، والوقت المتاح لإنهاء دراستها، ففتح باب السؤال بما هو خارج عن طبيعة الدرس لا يفي بهذا المطلب الذي تم توجيههم إليه.

وعلى كل فيمكن أن يكون **إعطاء المجال** الواسع لسؤال الطالب أو منعه منه، يرجع أيضاً إلى عاملين رئيسين هما: شخصية المدرس، وطبيعة المادة المدرسة.

**فأما شخصية المدرس،** فهي أمر فطري، يتمثل في رحابة الصدر، والقدرة على توجيه الحلقة بشكل منضبط، ومن أبرز الأمثلة في ذلك: **أحمد الخطيب** (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) فقد كان مشهوراً برحابة الصدر ومناقشة طلابه له، ولا

---

(١) العجيمي: خبايا الزوايا، ق٦٣.

(٢) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص٥١٤.

يرضيه مجرد إصغائهم لدرسه، بل كان يشجعهم على الإفصاح عن آرائهم ومجادلته في حرية وجرأة لتقرر الحقيقة ويقنعوا بها[(١)].

والظاهر أن الخطيب أخذ هذا عن شيخه، فقد نقل عن **أبي بكر شطا** (ت١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م) **أنه** كان يسمح لطلبته بمناقشته أثناء إلقائه الدرس، فلا ينتقل من مسألة مشكلة إلا بعد أن يوضحها ويفهمها لطلبته **ويسمع لأسئلتهم** واستفساراتهم ويجيب عليها بصدر رحب قبل أن ينتقل إلى جزئية أخرى من الدرس)[(٢)]. وكذا أخذه من شيخه الآخر؛ فقد كان أحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) يقول دائماً لتلميذه أحمد الخطيب : (يا أحمد إذا أشكلت عليك مسألة فاسأل بدون خجل)[(٣)]

وكان **بكر بن محمد سعيد بابصيل** (ت ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م) حريصاً على طلابه **يناقشهم** فيما يلقى عليهم ولا ينتقل من بحث إلى أخر إلا بعد أن يتأكد من فهمهم وهضمهم لما يتلقونه[(٤)].

وكذلك كان أحمد ناضرين الذي جلس للتدريس بالمسجد الحرام نهاية فترة البحث لا يضجر من كثرة الأسئلة التي توجه إليه أثناء إلقاءه الدرس بل كان يجيب كل سائل بما يفيده ويقنعه[(٥)]، بل إذا أشكلت عبارة على الطلبة طرح الكتاب من يده، وقال: (لا بد أن نفك كلمات العبارة واحدة واحدة)[(٦)]. وذلك مبالغة منه في إفهام الطلبة، بل ربما حث الطلبة على سؤال العلماء الآخرين، فكان من متين علمه أن ما أشكل عليه، لا يستحي أن يقول للطلاب: (هذه المسألة ما فهمتها اسألوا غيري فيها)[(٧)]، وهذا يدل إضافة إلى تواضع العالم على شخصية المدرس المحب لطلابه، وأن يتعلموا حسن السؤال وأن يقولوا (لا أعلم) فيما لا يعلمونه.

---

(١) غازي: نثر الدرر، ق٢٠؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٤١.

(٢) أحمد الخطيب: القول التحيف، ق٩.

(٣) المصدر السابق، ق١٠.

(٤) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٦٤؛ الفاداني: قرة العين، ج١، ص١٠، ١٤.

(٥) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٤٩.

(٦) عبد الوهاب أبو سليمان: الحرم الشريف الجامع والجامعة، ص ٩٢.

(٧) المرجع السابق، ص ٩٢.

ومن الشخصيات العلمية التي **حفلت بأسئلة الطلاب** عبد الرحمن دهان (ت١٣٣٧هـ/١٩١٨م)، تصدى للتدريس بالمسجد الحرام والمدرسة الصولتية، يحدث عنه تلميذه حسن بن محمد المشاط[1] أنه: (كان في الدرس محباً للنقاش مع حضرة الشيخ، ونرى الشيخ ساكتاً حتى يتم الطالب سؤاله، وعادة شيخنا في ذلك أنه يحرر أولاً السؤال للطالب إن كان غير محرر، لأن حسن السؤال نصف العلم، ثم لا يجيب في الحال حتى يعرض السؤال على الطلبة، فإن لم يجيبوا شرح الشيخ بتقريره العذب الجذاب الذي يبدد الإشكال والأوهام)[2]، والمراد **بتحرير السؤال** هو أن يكون السؤال صحيحاً غير مغلوط ملاقٍ لمحل الإشكال، حتى يتم الجواب عنه، وفي هذا ما يدل على فتح أبواب السؤال فيما يتعلق بالدرس، فشخصية المدرس من مثل هذا تمنح الطلاب مساحة أوسع للسؤال.

وأما ما يتعلق **بطبيعة العلم** المدرس، فهي تحدد أحياناً كثرة الأسئلة أثناء الدرس أو قلتها، فمثلاً كان **جمال المالكي** (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) يستخدم طريقة إلقاء الأسئلة والإجابة عليها من قبل الطلبة أثناء شرحه لدرس النحو فيورد على طلابه أسئلة تتعلق بالدرس كإعراب جمل معينة، وكان يصحح أخطاءهم وتعبيرهم[3]، ولا شك أن طبيعة هذا الدرس لا تحتمل الدراسة النظرية البحتة.

وقد يكون فتح المجال للأسئلة لطبيعة المدرس والعلم المدرس معاً، فوجد من العلماء من يعاتب الطلاب إذا لم يتجاوبوا معه في العملية التعليمية، كالشيخ مختار بن عثمان مخدوم البخاري المكي (كان حياً في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي) عرف عنه محبته لطلبة العلم ففي ترجمته أنه: (يحثهم على طلب

---

(١) هو حسن بن محمد بن عباس مشاط المالكي المكي (ت١٣٩٩هـ) ، تلقى علومه بالمسجد الحرام وبالمدرسة الصولتية التي التحق بها عام (١٣٢٩هـ) ، أذن لها مشايخه بالتدريس بالمسجد الحرام وبالمدرسة الصولتية، عين قاضياً في العهدالسعودي وعضواً بمجاس الشورى، له العديد من المؤلفات منها "الجواهر الثمينة في أدلة عالم المدينة" وغيرها، انظر: الفاداني: قرة العين، ج١، ص١١٨؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج٢، ص٨٨٥.

(٢) عبد الوهاب أبو سليمان: الحرم الشريف الجامع والجامعة، ص ٩٢.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٦٣؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٧٢.

العلم في دروسه، وخاصة في **الصرف** يوجه الأسئلة للطلاب فيفرح بالمجيب ويعنف المتخاف ويتعهدهم بالنصائح)[1].

وكانت (**مقرأة الأحاديث**) من الدروس التي **تقل فيها مشاركات الطلاب** فالمقصود في هذه النوعية من الدروس استماع الطالب للحديث، وضبط ألفاظه وطريقة الإلقاء، ومعرفة غريبه، والانتهاء من قراءة أمهات كتب الحديث، دون الغوص في الاجتهادات العلمية حول أحكامه، والتي كان يخصص لها دروس أخرى كفقه الحديث، وأحاديث الأحكام، والشروحات الحديثية، ونحو ذلك.

وقد اعتمد عبد الحميد فردوس (ت١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) هذه الطريقة في تدريسه للحديث الشريف في حلقة علمه بالمسجد الحرام، حيث اكتفى بسرد الأحاديث وشرح غامضها، وكانت حلقته صغيرة لا يتجاوز طلابها أصابع اليد[2].

وقد يضم إلى ما سبق من أسباب دروس مقرأة الأحاديث؛ **إحياء الليالي الفاضلة** بذكر أحاديث النبي ﷺ، كما كان من عادة أحمد زيني دحلان أن يبدأ القراءة في صحيح البخاري أول رمضان ويختم ليلة العيد، وعند الختم يتم حفل يحضره العلماء والطلاب[3] ، ولا شك أن مثل هذه الدروس لم يكن يسمح فيها بأسئلة الطلاب التي تحول دون الغاية منها.

ومن العلماء من كان يقوم **بالشرح والتطبيق** أثناء إلقائه المحاضرة على طلبته، بمعنى أنه يجمع بين **الطريقة النظرية والعملية في تدريسه**، فعلى سبيل المثال كان إبراهيم حسن عرب (ت١٣٣٤هـ/١٩١٦م) يشرح درسه في الصلاة بالطريقة النظرية، ثم يصلي أمام طلبته كما في السنة شارحاً ما ورد من أحاديث بهذا الشأن[4] .

---

(١) عبد الستار دهلوي : فيض الملك المتعالى، ج٢، ؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٥٤٠.

(٢) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٤٥.

(٣) الحضراوي: نزهة الفكر، ج١، ص١٨٦؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص١٤٠.

(٤) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٣٠ ـ ٣٢ ؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج٢، ص٦٧٢.

ونحن نتوقع أن يكون ذلك كثيراً في المراحل الأولى من التعليم، إلا أنه قد تفرض طبيعة المادة العلمية ذلك أيضاً، كعلم الفلك، فقد كان خليفة بن حمد النبهاني المكي (ت١٣٦٢هـ/١٩٤٣م) يلقي درسه النظري في المسجد الحرام وفي منزله بالمسفلة، ثم يصعد بتلاميذه إلى جبل أبي قبيس لتعليمهم الفلك والميقات عملياً[(١)].

كما أن **طريقة الإلقاء لها الأثر البالغ في فهم المادة العلمية**، ولذا مدحت المصادر طريقة عمر باجنيد المكي (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) والذي كان يدرس في الحرم المكي الفقه، فقد وصف بأنه: (برع في حسن الأسلوب وضبط المسائل واتجهت إليه رغبات طلبة العلوم في مختلف الفنون، وكان من عادته أن يقرأ كل مسألة على حدة في نفس واحد بعبارة مرتلة ثم يسكت سكتة لطيفة ثم يعيدها ثانيا فيحس الطالب أنه تناولها بيده)[(٢)].

كما ذكرت المصادر بعبارات المدح حافظ عبد الله ابن حسين الحنفي (ت١٣١٠هـ/١٨٩٢م) من علماء المسجد الحرام الذين تولوا التدريس به وبالمدرسة الصولتية التي تخرج منها، وصفه الدهلوي بأنه:(كان ذا **تقرير حسن** لين الجانب وله حافظة جيدة واستحضار تام وبالجملة فإنه كان عديم النظير في أخدانه وأقرانه)[(٣)].

وكان الكثير من المدرسين **لا يهمل الجوانب التربوية** أثناء إلقاء الدروس من الموعظة والسؤال عن الأحوال، ونحو ذلك، وقد تميز في هذا الجانب كثير من العلماء، لعل من أبرزهم صالح بن علوي بن عقيل (ت١٣٥٩هـ/١٩٤٠م) هادئ الطبع في شرحه للدرس ومع ذلك ورغم قلة طلابه فإنه كان يعمل جاهداً لتوجيههم وإثارة روح الجد والنشاط في نفوسهم بمناقشتهم[(٤)].

ويمكن من هذه الترجمة أن ندرك أن هذه **المتابعة للطلبة**، ترجع إلى طبيعة الشيخ وتكوينه، فهذا صالح بن علوي وصف بأنه **هادئ الطبع**، ولذا انعكست هذه

---

(١) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص١١٢؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص١٩١.

(٢) المرجع السابق، ص٤٢٤.

(٣) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق١٩٩.

(٤) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٢١.

الرقة على متابعته للطلاب، في حين نجد عالماً آخر لم يكن له مثل هذه المتابعة لأجل **طبيعة الحدة فيه،** فحسن طيب (ت١٣١٠هـ/١٨٩٢م) من علماء مكة، الذين طافوا أروقتها طلباً للعلم على عدد كبير من مشايخها الأفاضل و الذين أذنوا له بالتدريس بمسجدها الحرام حين لمسوا منه الكفاءة العلمية التي تؤهله على القيام بهذه المهمة خير قيام[1]، إلا أن **طريقته في التدريس شابها نوع من الانتقاد لحدته** إذ يقول أبو الخير مرداد عنه: (كان فصيحاً ذا تقرير حسن، إلا أنه كانت تعتريه حدة)[٢].

وربما لجأ صاحب الحدة إلى (**الضرب**) للتعليم، فقد ذكروا أن سالم بن أحمد العطاس (ت١٣١٦هـ/١٨٩٨م) من مدرسي المسجد الحرام)[٣] كان **حاد المزاج؛** يقول عنه مرداد أبو الخير الذي شاهده أثناء إلقائه دروسه بالمسجد الحرام أنه: (من شدة حدته أنه **كان يضرب بعض تلاميذه في حلقة الدرس،** إذا لم يفهم تقريره حرصاً على تعليمه بالذي يوجد لديه، فتارة يرمي الواحد منهم بالعصا، وتارة بالنعال، إذا لم تكن العصا حاضرة، وإذا لم يجد شيئاً أصلا يحذف بعمامته التي هو لابسها)[٤] .

**وكان من عادة علماء مكة المدرسين** بالمسجد الحرام ممن يدرس الحديث الشريف أنهم حين ينتهون من تدريس أحد الكتب الستة يجمعون رسالة في ختم الكتاب يستفيد منها طالب العلم ومن يرغب في مطالعتها بعد ذلك، ومن العلماء المكيين الذين كانوا يسيرون على هذا النهج تاج الدين القلعي(ت١١٤٩هـ/١٧٣٦م)، تولى التدريس بالمسجد الحرام ودرس كتب الأمهات الست)[5]، وإذا ختم كتاباً منها جمع رسالة في ختمه، وقد رأى مرداد أبو الخير رسالة فيه في ختمه لكتاب صحيح الإمام مسلم وقام بنقلها[٦].

---

(١) غازي: نظم الدرر، ق١٧٤.

(٢) أبو الخير مرداد: نشر النور والزهر، ص١٦٧.

(٣) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق١.

(٤) مرداد ابو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٠٤

(٥) الحضراوي: نزهة الفكر، ج١، ص٢٤٢.

(٦) مرداد ابو الخير: نشر النور والزهر ، ص ١٤٨.

## أسئلة الاختبارات:

لا شك أن طرق التدريس تعتمد على الاختبارات والأسئلة التي تقيس تحصيل الطلاب لمنح شهادة ما، فالاختبار ينظر إليه أيضاً كجزء من العملية التعليمية حيث يتعلم الطالب من الاختبار كما يتعلم خارج الاختبار، بل ربما كان تعلمه من الاختبار أشد لشدة انتباهه في الاختبار ومراجعته بعده، ونحو ذلك وعليه كلما كان ثمة اهتمام بالأسئلة، كانت طريقة التدريس مجدية مثمرة منتجة والعكس بالعكس.

وقد عرف المسلمون أهمية المسائل في التعليم منذ عهد النبي ﷺ، ففي الحديث أن النبي ﷺ سأل الصحابة فقال: ((إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم حدثوني ما هي؟، قال: فوقع الناس في شجر البوادي، قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ثم قالوا: حدثنا يا رسول ا ، قال: هي النخلة))[1]، فالحديث لتدريب الطلاب على الفهم وشحذ الهمم واستجلاب الفطنة ولفت الانتباه، فهو أصل في **الاختبارات التدريبية.**

ولم يزل المسلمون يعتمدون هذه الطرق، فلما أراد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يظهر فضل ابن عباس على غيره، اختبرهم في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[2]، ثم أحال على ابن عباس فقرر أن هذا نعي رسول الله تعالى إلى نفسه، فظهر علمه بذلك على غيره من أبناء الصحابة ممن في مثل سنه[3]، فهو **اختبار إظهار التفوق، والفروقات الفردية.**

ووضع المسائل في العلوم، هو من هذا الباب، والسلف كانوا يكثرون من ذلك للتفهيم والبيان، فالاختبارات والمقاييس طريقة سلفية معلومة، إلا أن وضعها في قوالب تعليمية جاء متطوراً شأن باقي العلوم.

---

(١) البخاري: الجامع الصحيح، ج١، ص ١٧٨.

(٢) سورة النصر، آية:١.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، ج٨، ص٧٣٤.

ولم تظهر الأسئلة على الصورة المعهودة الآن إلا في المدارس النظامية في نهاية فترة البحث، ويمكن من خلال النظر فيها فهم أكبر لطرق التدريس المتبعة وجدواها، وقد وقفت الباحثة على نماذج **أسئلة الاختبارات** للامتحان السنوي للمدرسة الصولتية[1] آخر فترة البحث (١٣٣١هـ/١٩١٢م)[2]، وبدراسة هذه الأسئلة يمكن أن نخلص إلى ما يلي:

**أولاً:** اتصفت جل الاختبارات بعدم الطول، فهي ما بين خمس إلى سبع أسئلة، ولم يحدد لها وقت الإجابة على ورقة الأسئلة، وكتبت بأسلوب علمي رصين، ومن عبارات الأسئلة التي تدل على علو مستواها من حيث الصياغة:

ففي إحدى أسئلة مادة الحديث لطلاب المدرسة الصولتية لعام (١٣٣١هـ/١٩١٢م) جاء فيها سؤال كما يلي: ( قال رسول ا ﷺ لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا ا وأني رسول ا إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني)[3] إلخ، فعلم من هذا الحديث **كلية** أن كل من قتل نفسا فالقاتل يقتل بعوضه والحال أن الوالد لم يقتل بولده لأنه جاء في الخبر لا يقاد بالولد الوالد **فبطل الحصر الكلي فعليك الجواب ليبقى الحصر المطلوب من الحديث)**[4]، وفي سؤال أخر جاء بعد وروده ما يلي : (بينوا .. بالتأمل الصادق والحفظ الصادق والذهن الراسخ لأن هذا المقام قد زل كثير من الأقدام فالمسؤول من ا تعالى أن يوفقكم لبيان هذا المقام مع التحقيق والتدقيق)[5] .

**ثانياً:** كانت الأسئلة تنحى **منحى الأسئلة المقالية** التي يطلب من الطالب الإجابة عليها بكتابة أسطر مقالية، ولم تظهر فيها **الأسئلة الموضوعية** كأسئلة (صح) ، و(خطأ)، أو الاختيار من متعدد، أو إكمال الفراغات، ونحو ذلك.

---

(١) انظر نموذج من أسئلة الامتحان السنوي للمدرسةالصولتية الملحق، ٢ / أ.

(٢)Ibn Dohaish, op. cit , p314, 327.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، ج١٢، ص ٢٠١؛ مسلم: الجامع الصحيح، ج٣، ص١٣٠٢.

. (٤) Ibn Dohaish, op. cit, p 315

. (٥) Ibid . , p 315

وهذا الأمر متوقع لأن وضع الأسئلة بالطرق الموضوعية لم يعرف إلا متأخراً في الاختبارات النهائية، وإن كان معروفاً لدى المعلمين دوماً في طرق التدريس، يستخدمه المعلم أثناء الدرس، فيورد العبارات على الطلاب ويطلب تصحيحها، ونحو ذلك.

وكانت اختبارات الحساب والجبر كذلك على **طريقة الأسئلة المقالية** أيضاً، فجاء في سؤال لمادة **الحساب**: (قال أمير المؤمنين علي اضرب أيام أسبوعك في سنتك، يعني فتحصل مخارج الكسور التسعة، فسروا هذا الكلام تفسيراً واضحاً رحمكم ا تعالى)[1]، وفي سؤال لمادة **الجبر** (بينوا معنى الجبر، والمعادلة المستعملة في هذا الفن بياناً شافياً فتح ا عليكم)[2]، وهذا يؤكد أن ذلك العصر لم يعرف طريقة الأسئلة الموضوعية في الاختبارات، وإلا لظهرت في الحساب والجبر، عن طريق المسائل الحسابية كما هو معروف الآن.

**ثالثاً:** تنوعت الأسئلة من حيث **مستويات التحصيل**[٣]، وإن كان جلها كان يدور حول مستويات (التذكر)، و(الفهم)، وكانت أسئلة مواد **المنطق**، **والفرائض**، **والمصطلح والبلاغة** لا تخرج عن هذين المستويين[٤]، إلا أن أسئلة **الحديث** خاصة كانت تتطلب الجمع بين النصوص التي ظاهرها التعارض[5]، وهذا يتطلب من الطالب (التحليل)، ومن ثم (التركيب) ، وهما من المستويات العليا في التحصيل، كما ظهر مستوى (التطبيق) في مادة **العروض والقوافي** بطلب تقطيع أبيات الشعر

---

. ([1]) Ibn Dohaish, op. cit, p 324

. ([2]) Ibid . , p 321

(٣) قسم **بلوم** مستويات التحصيل إلى **ستة** مستويات، وهي المعرفة والتذكر، ثم الفهم ، ثم التطبيق، ثم التحليل، ثم التركيب، وأخيراً التقويم، والاختبار الجيد لا بد أن يشتمل على نحو الثلث من المستويات العليا؛ خالد حمزة: الملحق التعليمي في طرق تدريس شرح العقيدة الطحاوية، ص ٦٤: ص٨٠.

([٤])Ibn Dohaish, op. cit , p 316, 325.

([5])Ibid . , p 314.

واستخراج العلل منها، وفي مادة **النحو** بطلب إعراب بعض الجمل والأبيات[1]، ولم تظهر أسئلة على مستوى (التقويم) في أي من الاختبارات.

**شهادات النجاح:**

الارتباط الوثيق بين طرق التدريس والشهادات التي يحصل عليها الطالب، من حيث كونها ترغيباً قوياً، وحافزاً على تعلم الطالب وانتباهه للدروس، ومراجعته لها، وسؤاله عما يشكل عليه منها، وقد كانت هذه الشهادات معروفة منذ العهود الأولى، ففي الحديث أن معاوية بن الحكم السلمي[٢] ذكر للنبي ﷺ أن له جارية وقد ذهب الذئب بشاة فلطمها، فطلب منه النبي ﷺ أن يأتيه بها، فجاء بها، فقال لها النبي ﷺ: أين ا ، قالت في السماء، قال ومن أنا، قالت رسول ا ، قال أعتقها فإنها مؤمنة[٣].

فهذا الحديث لمعرفة أهلية الجارية للعتق بكونها مؤمنة، فهو أصل في **اختبارات منح الشهادات ومعرفة الأهلية.**

ولم يزل العلماء **يمنحون الإجازات للطلاب** على مر العصور[٤]، حتى عصرنا الحاضر، وإن كانت الشهادات العلمية الحديثة قد حلت محل الإجازة في كثير من الأحيان، وقد ظهرت هذه الشهادات في الحرم المكي، وفي المدارس نهاية فترة البحث، وبعرض لشهادة نجاح في امتحان ملازمي المدرسين بالحرم الشريف المكي، بتاريخ (١٣٣٤/٥/١٣هـ- /١٩١٥م)[5]، نجد أنها اشتملت على مواد (التوحيد، والتفسير، وأصول الحديث، والحديث، والفقه وأصوله، والنحو والصرف، والمعاني والبيان والبديع، والسير والتاريخ، والمنطق، والحساب، والجغرافيا، والفلك)، وهذه

---

. (1) Ibid . , p 323, 326.

(٢) هو صاحبي جليل نزل المدينة، روى حديثة مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي. ابن حجر: تقريب التهذيب، ج٢، ص٢٥٨.

(٣) مسلم: الجامع الصحيح، ج١، ص٣٨١.

(٤) يأتي دراسة ما يتعلق بالإجازات في فترة البحث في مبحث (الطلاب) من هذا البحث باعتبار الإجازة أحد طرق الطلاب في الحصول على العلم.

(5)Ibn Dohaish, op. cit , p 259.

الشهادة قد صدرت بقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[١]، وبقوله ﷺ: ((العلماء ورثة الأنبياء)) [٢]، وقد طبعت في مطابع الإصلاح بجدة، وكتب على هامشها (تنبيه؛ كل كشط أو تغيير في هذه الشهادة يعد ملغياً لها﴾[٣]، وقد وقع عليها أربعة مختبرين، إضافة إلى مفتي الحنابلة، ومفتي المالكية، ومفتي الشافعية، ومفتي الأحناف رئيس العلماء.

وهذا الإخراج في شكل الشهادة والتواقيع عليها يعطي حافزاً للطلاب على تحصيل مثل هذه الشهادات، ولا سيما أنه يترتب عليها قيد الطالب في دفتر ملازمي الحرم الشريف كما قيد بها ذلك.

وقد ظهرت درجات الطالب على ثمان مواد فقط، والظاهر أنها كانت هي المطلوبة فقط لهذا الاختبار، حيث اختبر نفس الطالب في المواد الأخرى في اختبار المدرسين في العام الذي يليه[٤].

كما وجدت التقديرات بحسب الدرجات، وكانت تسمى (**الدرجة الأولى**)، أو (**الدرجة الثانية**)[٥]، الظاهر أن معدل **الدرجة الثانية** هو ما يقابل الآن تقدير (**مقبول**)، أي ما دون (ممتاز)، وا أعلم[٦].

(١) سورة المجادلة ، الأية: ١١.

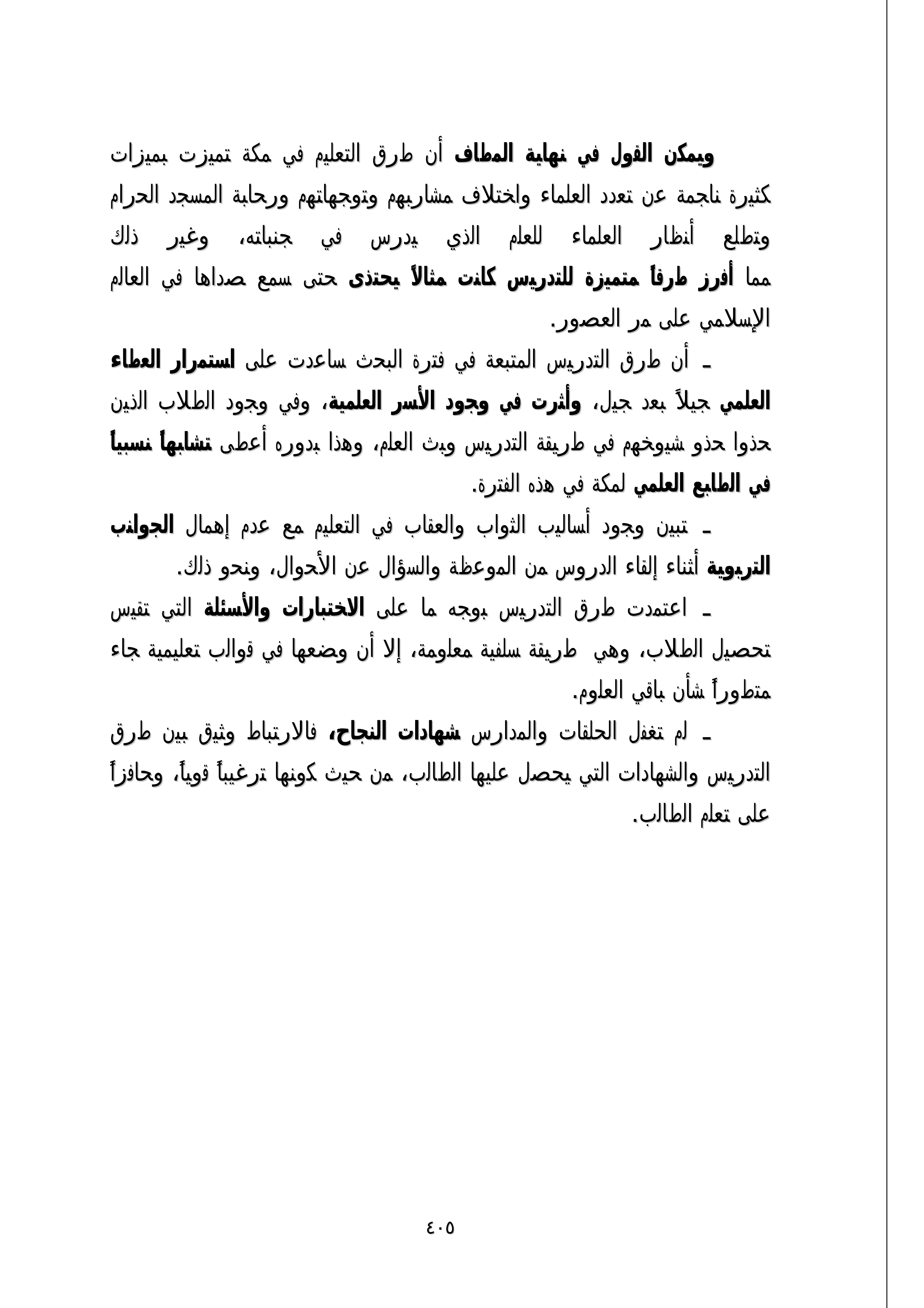
(٢) أبوداود: السنن، ج٣، ص٣١٧، وتقدم تخريجه في ص ١٤٧.

(٣) انظر صورة شهادة النجاح ، الملحق ، ٢/ب.

(٤) Ibn Dohaish, op. cit , p 296. وانظر الملحق، ٢/ج.

(٥) Ibid . , p 296.

(٦) نسبة (٦٢%) تقدر الآن **بمقبول**، وفي شهادة أخرى في عام ١٣٣٥هـ، أي قريب فترة انتهاء البحث، في اختبار الموظفين، كانت الشهادة من **الدرجة الثانية**، وكان مجموع درجات الطالب في ١٢ مادة هي ٩٩ درجة، أي معدل ٨٢%، وهو ما يقابل الآن تقدير **جيد جداً** في حين جاء في شهادة ترقية لتلامذة المدرسة الفخرية عام ١٣٤٠هـ أن الطالب حصل على ١٧٧,٥ درجة من أصل ١٩٠، أي بنسبة ٩٣%، وكتب فيها **الدرجة الأولى**، وهي تقابل الآن تقدير **ممتاز**، وهذه الشهادة تشمل ١٦ مادة الدرجة النهائية لكل منها (١٠)، إضافة إلى الأخلاق ودرجتها (٣٠)، انظر : Ibn Dohaish, op. cit,٢٩٦ ـ ٢٩٧



**ويمكن القول في نهاية المطاف** أن طرق التعليم في مكة تميزت بميزات كثيرة ناجمة عن تعدد العلماء واختلاف مشاربهم وتوجهاتهم ورحابة المسجد الحرام وتطلع أنظار العلماء للعلم الذي يدرس في جنباته، وغير ذلك مما **أفرز طرقاً متميزة للتدريس كانت مثالاً يحتذى** حتى سمع صداها في العالم الإسلامي على مر العصور.

- أن طرق التدريس المتبعة في فترة البحث ساعدت على **استمرار العطاء العلمي** جيلاً بعد جيل، **وأثرت في وجود الأسر العلمية**، وفي وجود الطلاب الذين حذوا حذو شيوخهم في طريقة التدريس وبث العلم، وهذا بدوره أعطى **تشابهاً نسبياً في الطابع العلمي** لمكة في هذه الفترة.

- تبين وجود أساليب الثواب والعقاب في التعليم مع عدم إهمال **الجوانب التربوية** أثناء إلقاء الدروس من الموعظة والسؤال عن الأحوال، ونحو ذلك.

- اعتمدت طرق التدريس بوجه ما على **الاختبارات والأسئلة** التي تقيس تحصيل الطلاب، وهي طريقة سلفية معلومة، إلا أن وضعها في قوالب تعليمية جاء متطوراً شأن باقي العلوم.

- لم تغفل الحلقات والمدارس **شهادات النجاح،** فالارتباط وثيق بين طرق التدريس والشهادات التي يحصل عليها الطالب، من حيث كونها ترغيباً قوياً، وحافزاً على تعلم الطالب.

<u>**المدرسون والوظائف التعليمية**</u>

إن التحلي باسم (المدرس) أمر محبب لكل عاقل، فلقد رفع الله من شأن العلماء وبين منزلتهم قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[1].

وفضل سبحانه أهل العلم على غيرهم بأن جعلهم شهداء معه سبحانه على أجلّ شهادة بأجل مشهود عليه، فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2].

لقد أكد الإسلام أهمية العلم والمعرفة، ودعا القرآن الكريم إلى استعمال البصر والعقل والفكر، وأول ما نزل على النبي ﷺ وهو المعلم الأول لهذه الأمة قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[3]، فكان النبي ﷺ قبل الهجرة يجلس حول الكعبة المشرفة ويلتف من حوله أصحابه والناس يسألونه في أمور الإسلام، فيشرح لهم أمور دينهم ودنياهم وما يتعلق بالعقيدة والعبادات المختلفة، وكان أصحابه ينقلون كل ما يقوله أو يفعله أو يقرره حتى يتعلم الناس وتعم الفائدة.

وإذا كان التدريس مهنة جليلة من حيث إن التعليم من أهم مهمات النبوة، فهناك **شروط علمية وخلقية** لا بد من توفرها في المدرس، إضافة إلى **المظهر العام للمدرس**، وهي لا تختلف على مر العصور في الجملة فمن الصفات **الخلقية:** أن يكون أميناً ورعاً تقياً يخشى الله ويراقبه في سائر تصرفاته مؤتمناً على الطلاب فيما وكل إليه من أمر تعليمهم، وأما الصفات **العلمية** فهي تختلف حسب نوع المواد التي يدرسها، **وقد اشترطوا** فيمن يدرس العلوم الشرعية والعربية **بالحرم المكي الشريف** أن يكون حافظاً لكتاب الله، حاصلاً على إجازة بالتدريس بعد أن استقصى الحقائق العلمية في مختلف التخصصات العلمية المتنوعة[4] .

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٣) سورة العلق، آية: ١.

(٤) دار الوثائق: حجة داود باشا، ٣٢٠، محفظة ٤٧، ص١٩ ـ ٢٠.

**أما المظهر العام للمدرس،** فلم يكن يشترط فيه إلا ما يدل على الوقار والهيبة توقيراً للعلم الذي يحمله في صدره، وهو ما يعبر عنه المحدثون بما يقال له: (**تام المروءة**)، ولذلك رد المحدثون أحاديث من لا يعتني بمظهره العام، من لبس ما ينتقد عليه، من لباس شهرة أو ملبس غير نظيف، أو غير ساتر، بل ردوا مرويات من يأكل في الأسواق، ويحدث في المجالس ونحو ذلك، ولو كان من الصادقين في النقل[(١)].

**وكان المدرس** في مكة في فترة البحث عموماً **يرتدي جبة وعمامة**[(٢)] أثناء ممارسته لمهنته أو أثناء خروجه من منزله، ومقابلة الناس، إذ هي **زي العلماء** آنذاك، وإن لم يكن يعرف اشتراط لون أو هيئة معينة لذلك.

فالشيخ إبراهيم عرب (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) كان يلبس جبة فضفاضة وعمامة، زادته هيبة ووقارا[(٣)] ، في حين كان الشيخ عبد ا بن محمد صالح الزواوي الشافعي (ت١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) يرتدي جبة بيضاء وعمامة "ألفية" وقد لف تحتها مما يلي عنقه منديلاً أبيض[(٤)].

وأما عيسى رواس (ت١٣٦٥هـ/١٩٤٥م) فكان يتزي **بزي بسيط** عبارة عن ثوب فوقه صدرية ولفة على رأسه وسجادة على كتفه وعصاً لا تفارق يده[(٥)] .

والشيخ الرواس هذا كان من محبي العلم رغم أنه كان جزاراً، إلا أنه مع اجتهاده وصل إلى أن أذن له بالتدريس، وظل محتفظاً ببساطته في الملبس.

وفي بعض فترات البحث كان مدرس القرآن الكريم بالمسجد الحرام يمتاز بزي خاص به، إذ إن **جبته** عادة ما تكون **سوداء وعمامته مميزة** عن بقية عمائم العلماء[(٦)] .

---

(١) السيوطي: تدريب الراوي، ج١ ص ٣٠٠.

(٢) محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص٣٥.

(٣) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٣٠.

(٤) المصدر السابق ، ص١٢٩.

(٥) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٢٤٥.

(٦) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٣١.

وكان المدرسون **يعرفون** أحياناً **بما يحملونه من كتب وكراريس،** فكانوا عادة يحملون **محفظة** بها الكتب التي يدرسونها مقسمة على كراريس فيحملون الكراس المراد تدريسه، كما كانت تحمل أوراقهم الخاصة والريشة والحبر والورق، ويجلسون على سجاجيد يجلبونها معهم[1].

إلا أن منهم من قد بلغ شأواً في العلم بحيث يكون علمه في الرأس لا في الكراس، فلا يحمل محفظة ولا دفتراً، كالشيخ محمد حسب ا (ت١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م) الذي عادة ما كان يذهب إلى حلقة درسه بالمسجد الحرام والتي تبدأ من بعد صلاة المغرب، دون أن يصحب معه محفظته، وكان لا يمسك كراسة بيده عند القراءة؛ بل يلقي التقرير على تلاميذه عن ظهر قلب مع التفهم، وكان الشيخ عبد الستار الدهلوي مقرئاً عنده في دروسه في التفسير والحديث والفقه والأصول[2].

**وكان الإذن للشيخ بالتدريس في الحرم المكي الشريف** ينحصر علمياً في أحد طريقين، إما **بالاختبار المباشر، أو بالتزكية.**

**أما الاختبار المباشر،** فقد كان الشيخ يقوم بطلب الإذن في التدريس، وعند قبول طلبه فإنه يتعرض لامتحان شديد يحضره كبار العلماء في الحرم الشريف، حيث يحدد شيخ العلماء موعد الامتحان[3]، وعادة ما يكون بعد صلاة الظهر أو بعد صلاة العصر، ويتولى **شيخ العلماء أو نائبه** مع عدد من الأساتذة امتحانه فيجلسونه على رأس حلقة دائرية يحضرها العلماء وفي الخلف يجلس عادة بعض الأقارب، إضافة إلى أربع أو خمس من المدرسين يراقبون الامتحان، وربما اقتصر الامتحان أحياناً على البسملة، وما فيها من أنواع العلوم من الإعراب والتفسير وأحكام القراءة بها في الصلاة وأحكامها في التجويد، وغير ذلك، وهي فنون لا يتسنى فهمها دون معرفة تامة بالقواعد وعلوم الفقه وبقية العلوم الإسلامية، وقد

---

(١) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص٥٠٣؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص ٤٦ ـ ٤٧، ٢١١

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص ٤١٩؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٠١.

(٣) انظر مبحث طرق التدريس.

يتخطى الاختبار ذاك، وعندها يكون الامتحان في غاية الصعوبة إذ تتنوع الأسئلة على المدرس المختبر، وبعد الانتهاء من مجاوزة الامتحان يدعو الحاضرون بالتوفيق للمدرس الجديد، والذي بدوره يدعوهم لتناول طعام العشاء في بيته، خاصة إذا كان من ميسوري الحال، أو بما يستطيعه تعبيراً عن فرحه وسعادته[(١)].

ومما سطره لنا التاريخ مثالاً على ذلك، ما كان في عام (١٣٣٣هـ/١٩١٤م) حيث قدم الشيخ **محمد المكي** مع رفقائه عرائض يطلبون فيها الاختبار من **مشيخة العلماء** ليعطوا الإجازة بالتعليم والتدريس في المسجد الحرام وتقييدهم في دفتر المعلمين والمتعلمين؛ فأجيب طلبهم واختبروا في عدة علوم وهي التوحيد والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع والمنطق؛ فنجحوا وأعطوا شهادة بذلك متوجة بإمضاء أمير مكة الشريف الحسين ورئيس القضاة عبد ا بن عبد الرحمن سراج وقاضي مكة وعلماء الحرم المكي[(٢)].

**وأما التزكية**، وهي الطريق الثاني لتعيين المدرس بالحرم المكي الشريف، فتتم **دون الحاجة إلى دخول امتحان المجازاة من قبل علماء المسجد الحرام** عن طريق التعيين المباشر بترشيح من أحد العلماء أو الأعيان أو الوجهاء لدى شريف مكة، ومن ثم يستصدر الأمر بتعيينه مدرساً كما كان الأمر بالنسبة للشيخ **أحمد بن عبد اللطيف الخطيب** (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) إذ كان صهره الشيخ محمد صالح كردي من جلساء **الشريف عون الرفيق،** الذي قال له يوماً: (بلغني أنك زوجت بنتك برجل جاوي لا يحسن اللغة العربية إلا بعد أن تعلمها بمكة، فأجابه فوراً ولكنه رجل صالح تقي، والرسول صلى ا عليه وسلم يقول: "**إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه**"[(٣)] وأرجو أن يتكرم سيدنا بتعيينه مدرساً وإماماً وخطيباً في المسجد

---

(١) سنوك: صفحات عن تاريخ مكة، ج٢، ص ٤٩٣.

(٢) الحبشي: الدليل المشير، ص٣٩٩.

(٣) الترمذي: السنن، ج٣، ص٣٩٤.

الحرام ، فاستجاب الشريف عون لرجاء جليسه وأصدر أمره بذلك، فشرع الخطيب يخطب ويصلي بالناس ويدرس بالمسجد الحرام )[1].

**خصائص ومميزات المدرس المكي:**

تحلى المدرس المكي بمجموعة من المميزات إضافة إلى حلية طالب العلم، وقد أثرت مجموعة من العوامل في ذلك، من قدسية المكان، واختلاف أجناس ومشارب الوافدين عليه، والشعور بالحاجة إلى بذل العلم أكثر من أي مكان علمي آخر، وغير ذلك.

وإذا أردنا أن نستخلص جملة من هذه الميزات نجدنا أمام كم من النصوص التي يمكن أن نستفيد من كل منها ميزة ربما ندر وجودها في أماكن متفرقة في العالم، **لكنها اجتمعت في المدرس المكي،** فقد عرف عن المدرس المكي بأنه :

ـ **موسوعة علمية،** فهو عالم في كثير من العلوم والمعارف الشرعية واللغوية والأدبية وعلوم الهيئة والرياضيات، وإن كان بعضهم أبرع في علم دون آخر، إلا أنه كما تقدم كان لا بد من أن يسهم المدرس بسهم في مختلف العلوم، ولا أدل على هذا من تنوع مؤلفاتهم وحلقات درسهم، فقد يدرس المدرس **أكثر من فن** كالفقه بجانب النحو، أو التفسير بجانب الفلك يدرس التفسير والحديث والفقه فعلى سبيل المثال كان جمال المالكي(ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) يعقد بالمسجد الحرام حلقة درسه في الفقه ثم يليها درس في النحو وبعده درس في الحديث[2].

واعتاد **مختار بن عطار البناوي** المكي (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) أن يدرس صباحاً النحو والصرف والبلاغة وبعد العصر إحياء علوم الدين، ويوم الثلاثاء يقتصر على تدريس علم الفلك والميقات في مصنفاته[3].

ـ كما تميز المدرس المكي **بمرونة فكرية** بسبب اجتماعه بعلماء من مختلف الجنسيات والبلدان مارسوا عمليه التعليم في مؤسسات تعليمية متنوعة فاستفاد من

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٣٩.

(٢) المصدر السابق، ص٧٢.

(٣) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٥٤٣

معرفته بهؤلاء العلماء المختلفة مذاهبهم بالموازنة الفكرية وعدم التعصب عند قول أو مذهب بعينه بل قد يكون للمدرس المكي مشاركة في أكثر من مذهب فعلى سبيل المثال : محمد بن حسين المالكي (ت١٣٠٩هـ/١٨٩١م) كانت له اليد الطولى في الفقه المالكي وشارك في الفقه الشافعي(١).

ومن الأمثلة اللطيفة الواردة في عدم التعصب ما جاء فيما ذكره زكريا بيلا عن شيخه عبد الستار الدهلوي (ت١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) حيث طلب منه تقريظ كتابه "إفادة الأنام بجواز القيام للقادم من أهل الفضل والاحترام" فدون الدهلوي آخر التقريظ اسمه كالتالي: (عبد الستار بن عبد الوهاب الكتبي الحنفي)، فقال الشيخ بيلا: (إن فضيلتكم من أهل الحديث ولكم فيه تأليف حافل فلماذا هذه النسبة؟ أي الحنفي، فرد على فوراً، بأنه حنفي المذهب غير أنه إذا صح الحديث عندي أعمل به)(٢) .

ـ كما أثر **المناخ الإيماني** على شخصية العلماء الذين يرون الحجيج وقد خلعوا ملابس الدنيا تجرداً للعبادة، فأكسبهم هذا الأمر **الورع والزهد**، وقد وصف الكثير منهم بذلك، ففي ترجمة محمد سعيد بابصيل (ت١٣٣٠هـ/١٩١١م) أنه كان: ( زاهداً قانعاً بالكفاف وقوت يومه، فلم يبن داراً، وإنما كان يسكن في دار مقابل باب الوداع بالأجرة)(٣) .

وكان جمال المالكي (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) هادئ الطبع لين الجانب لطيف المنادرة فيه رقة ورحمة وكرم وحسن مؤاتاه، **متواضعاً زاهداً**، وكان أغلب جلوسه ـ رحمه ا ـ متوركا معتمدا على يده اليسرى وكراسته في يده اليمنى كأنه يريد محاكاة طلابه الأفارقة في جلوسهم ليظهر لهم أنه مثلهم، لا فرق عنده بين غني وفقير، ولا بين عربي وعجمي ولا بين أبيض وأسود، ما دام طالب علم يتقي ا ويتمسك بدينه وأداء شعائره، بل كان يعود مرضاهم ويجيب دعوتهم في أكواخهم بالمسفلة أو جرول متوكئا على عكازه لا يمتعض أو يتكبر من جلوسه معهم فوق

---

(١) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٣٩٦.

(٢) أبو سليمان: الحرم الشريف الجامع والجامعة، ص ١١١.

(٣) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٢٤٤.

الحصر البالية ويتناول معهم طعامهم "الويكة و العصيدة" ويظهر لهم السرور بلذتها وإتقان طبخها وجودته فيزداد تقديرهم له ويتسابقون إلى درسه في الفقه المالكي ويتزاحمون على حلقته في رغبة وحرص على المواظبة، وكان مشهوراً بينهم بلقب "الإمام المالكي"، وكان معظمهم فقراء، فكان ـ رحمه ا ـ لا يستنكف عن احتكاكهم به وكثرة أسئلتهم، يجيبهم على قدر فهمهم، ويستشهد دائماً بما ورد في الحديث[1] ((رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على ا لأبره))[2] .

ومن أعلام الزهاد من مدرسي المسجد الحرام **محمد عبد ا بافيل،** عندما بلغ العشرين من عمره شد رحاله من بلده حضرموت وقدم مكة لطلب العلم فدخلها عام (١٣٠١هـ/١٨٨٣م) وسكن في رباط الشيخ تاج في سفح جبل قيقعان "جبل هندي" في الطريق المؤدي إلى باب العمرة، حيث كان يوجد به خلاوي لطلبة العلم فسكنه ولازم المسجد الحرام وعكف على طلب العلم على علماء عصره منهم محمد سعيد بابصيل وعمر باجنيد، ثم صار مدرساً بالحرم ، فكان ينزل من خلوته إلى المسجد الحرام في الثلث الأخير يطوف ويتهجد، إلى أن يؤدي صلاة الفجر جماعة ثم يظل يتلو القرآن إلى الإسفار فيعقد حلقته في حصوة باب العمرة، وكانت دروسه سهلة التناول قريبة من مدارك المبتدئين مثل المقدمة الحضرمية ومتن أبي شجاع، وله دروس بعد المغرب على نفس المنوال، وظل قانعاً بالكفاف، ولم يحتج إلى أحد، حتى إنه لما نزل به الموت وكان عليه بعض الديون تسلم من طلابه في المليبار حوالة مالية فحمد ا وأوصى بسداد ديونه منها وتجهيزه[3].

وهنا **عبرة** كيف أن ا سبحانه لم يحوجه لسؤال أحد يسدد ديونه، فجاءته هذه الأموال من غير طلب منه، ومن طلاب من غير بلده، دليل على مدى حب الطلبة له.

---

(١) الترمذي: السنن، ج٥، ص ٦٥٠.

(٢) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٧١.

(٣) المصدر السابق، ص٢٤٢.

ـ وتميز علماء ومدرسو مكة كذلك **بالتواضع** الجم وحسن الخلق **مع الجميع،** وقد لمس ذلك الحاج الرحالة رفيع الدين المراد آبادي الذي قدم مكة حاجاً عام (١٢٠٢هـ/١٧٨٧م)، إذ يقول: (جميع أهل مكة .. يتحلون بالأخلاق الفاضلة وبحسن المعاملة فكبار القوم هنا والعلماء **يعاملون المسافرين والغرباء** معاملة طيبة تتصف بالتواضع الجم وحسن الخلق، كأنهم لم يسمعوا عن الغرور والكبر مع أنهم **من العلماء الكبار** ومن أهل الفضل والشرف)[1].

**ـ ومن أروع ما سطر التاريخ من مواقف علماء مكة مع طلابهم ومحبة الخير لهم** ذلك الموقف النبيل **لعثمان شطا** (ت١٢٩٥هـ/١٨٧٨م)، مع تلميذه أحمد الخطيب، قدم الأخير إلى مكة عام (١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م) وبعد أن أتم تعليمه في الكتاب وعلى يد الشيخ عمر شطا انتقل إلى مرحلة أعلى في الطلب كانت على يد عثمان شطا وتوثقت العلاقة بين الشيخ وتلميذه، الذي ظل يدرس على يديه حتى عام (١٢٩٢هـ/١٨٧٥م) ثم سافر بعدها إلى بلاده جاوه بطلب من والدته التي اشتاقت إلي رؤيته ، فسافر الخطيب وكله آمل للعوده مرة أخرى إلي مكة، ولكن آماله تبددت مع تشديد والده ووالدته عليه وحرصهم على بقائه معهم، وفي ذات يوم قدم الشيخ عثمان شطا إلى بلد الخطيب في بعض أموره وسأل عن تلميذه النجيب ، ثم قابله فقص عليه الخطيب أمره، وأنه يريد من شيخه المساعدة في إقناع أهله بالعودة إلى مكة لمواصلة الطلب والمجاورة بجانب بيت ا الحرام، وبالفعل قابل الشيخ أهل الخطيب، وأقنعهم بعودته إلى مكة لمواصلة تعليمه[2].

كذا كان بيت أبي بكر شطا(ت١٣١٠هـ/١٨٩٢م): (مرود للطلبة وغيرهم، فلا يدخل أحد بيته إلا ويخرج ممنونا من المقابلة والإكرام، وكان يواسي الطلبة بماله ويقابلهم بالبشاشة ولا ينقطع الواردون عن بيته فينفق نفقة من لا يخشى الفقر)[3] .

---

(١) رفيع الدين المراد آبادي : الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية ، ترجمة : سمير عبد الحميد إبراهيم نوح، ( القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة: ٢٠٠٤م)، ص٩٣.

(٢) أحمد الخطيب: القول التحيف ، ق٣.

(٣) المصدر السابق، ق ٩.

ويذكر السيد حسن عشى **طباخ الملوك والأمراء** في عهد الشريف عون الرفيق أن: (الشيخ يوسف قطان[1] عمل وليمة دعا إليها أثرياء مكة ووجهاءها وعلماءها وكان **أحمد شطا** (ت١٣٣٢هـ/١٩١٣م) من جملة المدعوين، وبعد تناول الطعام همس السيد أحمد في أذني بأنه يريد إقامة وليمة مثل هذه ولكن على الأرض، فبذل جميع تكاليفها في سخاء ما عدا الخوان وتوابعه الحديثة، فاستغربت وسألته عن المدعوين فقال: **أغنياؤنا ووجهاؤنا،** وما أن مدت السفرة إلا وأقبل **فقراء الأربطة وطلبة العلم الفقراء** فقابلهم فضيلة السيد أحد ببشاشة مرحباً بهم فرحاً مسروراً بتلبيتهم دعوته)[2] .

والشاهد أن الشيخ شطا ذكر لهذا الطباخ أن المدعوين هم الأغنياء والوجهاء، ليهتم بالوليمة، وهو يقصد الطلاب والفقراء، فهم أغنياء با وترفع بهم البلايا، وتتنزل بدعائهم الرحمات، كما في الحديث ((أبغوني الضعفاء، فإنما ترزقون و تنصرون بضعفائكم))[3].

كما عرف عن الشيخ مختار بن عثمان مخدوم **البخاري** ( كان موجوداً في القرن الثالث عشر الهجري) محبته لطلبته : (يحثهم على طلب العلم، ... ويتعهدهم بالنصائح ، ومن تخلف سأل عنه)[4]، كما عرف عن مختار بن عطار **البتاوي المكي** (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) المدرس بالمسجد الحرام بحبه وتشجيعه لطلبة العلم

---

(١) هو الشيخ يوسف قطان من أكابر أعيان مكة وأثريائها، تولى مشيخة الجاوة بها عام ١٣٠٣هـ، ثم عين رئيساً لبلدية مكة عام ١٣٣١هـ، في العهد العثماني ، ثم عين وزيراً في حكومة الشريف الحسين ، وفي العهد السعودي عين عضواً بمجلس الشورى ثم نائباً لرئيس لجنة الحج عام ١٣٤٧هـ، توفي بمكة عام ١٣٥٠هـ، انظر: محمد حسين زيدان: قضايا وآراء، "رجال في مكة المكرمة، يوسف قطان"، صحيفة الندوة، العدد ٢٨٤٠، ٣٠/ ٧/ ١٤٠٦هـ، ص٣.

(٢) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٤.

(٣) أبو داود: السنن، ج٣، ص ٣٢، وفي رواية له (إنما ينصر ا هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم).

(٤) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٥٤٠.

فكان يساعد المحتاجين منهم من ماله الخاص، أو ما يجود به عليهم من طعام ومأوى، فقد بذل بيته ليكن مسكن لبعضهم[(١)].

أما **أحمد ناضرين** الذي درس بالمسجد الحرام منذ عام(١٣٣٢هـ/١٩١٣م) فقد بلغ من محبته لطلابه تعاهده لهم بالنصح، فكان ينصح طلابه ويقول لهم في كل مناسبة : (ليست الغاية من العلم أن تتعلم فحسب بل الغاية أن تعمل بما تعلمت من الخير وأن تكون قدوة لغيرك في الخير ولا تتعلم العلم لتكتمه أو تفخر به بل تعلمه وتنفع غيرك به)، وكان لا يضجر من كثرة الأسئلة التي توجه إليه أثناء التدريس بل كان يجيب كل سائل بما يفيده ويقنعه[(٢)] .

لقد كانت العلاقة بين الشيخ والطالب في كثير من الأحيان تتجاوز علاقة التعليم إلى علاقات اجتماعية أخرى ، تتسم بالود والعطف الأبوي، ومن ذلك : أن **الشيخ محمد حسب ا** (ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م) جاء إلى دار تلميذه زكريا بيلا بالشامية بعد الظهر وأخبره بأنه يريد أن يتناول الغداء عنده، ففرح الشيخ زكريا وغمره السرور والبشر بمقدم شيخه وأستاذه لتناول الغداء عنده ، ولكن بيلا لم يكن لديه المال الكافي لشراء طعام لأستاذه، ولم يكن بالدار ما هو مناسب ليقدم للضيف العزيز، فراح بيلا إلى صاحب مقهي واستقرض منه مبلغاً من المال ليشترى به غداء لضيفه الكبير الذي لام بدوره على بيلا تكلفه لما علم بالأمر[(٣)]

إن التواضع الحقيقي من شيخ كبير له قدره بين مدرسي وعلماء الحرم الشريف، كأن يطلب من التلميذ أن يضيفه، وهذا يدل على العلاقة الوثيقة التي بنيت بينهما، ومحاولة إدخال السرور على قلب تلميذه بهذه الزيارة المفاجئة، والتي عمد الشيخ إلى ذلك حتى لا يتكلف الطالب فوق طاقته، في حالة ما إذا أبلغه قبلها، وفي خروج بيلا بحثاً عن من يقرضه لتقديم غداء يليق بالشيخ دليل على محبة الطالب لشيخه فيقترض من أجله، ونحن في هذا العصر وفي كل عصر بحاجة لأن يتفاعل

---

(١) المرجع السابق، ص٥٤٣.

(٢) غازي: نثر الدرر، ق٢٤؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٥٠.

(٣) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٣٣٥ـ٣٣٦.

المدرس مع طلابه فلا يرضى لنفسه أن يبقى في برجه العاجي مستعلياً على طلابه لأنه هو المدرس وهم الطلبة، بل العلاقة التي تربطهم لا تكون مجرد الإلقاء من قبله والتلقي من قبلهم.

وقد تميز **صالح بن علوي بن عقيل**(ت١٣٥٩هـ/١٩٤٠م) والذي أجيز له بالتدريس بالمسجد الحرام عام (١٣٣٢هـ/١٩١٣م) باحتضانه العلمي والاجتماعي لطلابه فإنه كان يعمل جاهداً لتوجيههم وإثارة روح الجد والنشاط في نفوسهم بمناقشتهم والسؤال عن أسباب من يتغيب منهم، ويعود مريضهم ويواسيه ويجيب داعيهم فقيراً كان أو غنياً، ملجأ طلابه في حل مشاكلهم سواء الاجتماعية منها أو العلمية[(١)].

- **ومما تميز** به مدرسو البلد الحرام أيضاً **حب التعليم ونشر العلم**، بحيث كان الكثير من المدرسين **يتفانى في عمله دون كلل أو ملل** حباً للعلم وحرصاً على الطلبة، فعلى سبيل المثال يذكر أبو طاهر الكوراني(ت١١٤٥هـ/١٧٣٢م)[(٢)] عن أستاذه الشيخ **حسن العجيمي** (ت١١٣١هـ/١٧١٨م) أنه: (كان له قوة على طول المجالس، بحيث كنا نجلس للقراءة عقب شروق الشمس ويستمر إلى قبيل العصر لا يقوم إلا لصلاة الظهر)[(٣)].

وأما مفتي مكة **أحمد الدمياطي الشافعي** (ت١٢٧٠هـ/١٨٥٣م)، فقد وصف بأنه "**حمامة الحرم**" لكثرة دروسه التي كان يعقدها بالمسجد الحرام فكان مواظباً على دروس في اليوم، رغم انشغاله بالإفتاء والتأليف[(٤)].

**ومما اعتنى به علماء مكة التدريج في تعليم العلوم**، والعلم إذا أخذ شيئاً فشيئاً كان ذلك أدعى إلى رسوخه وبقائه، وكذلك أحرى بفهمه وحفظه، فكان

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٢١؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج١، ص١٤١.

(٢) هو أبو طاهر محمد بن إبراهيم الكوراني ، من علماء المدينة المنورة، تولى إفتاء الشافعية بها مدة. المرادي : سلك الدرر، ج٤، ص٢٧؛ القطان: تنزيل الرحمات، ق٢٦٠.

(٣) الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص٨١١.

(٤) الحضراوي: نزهة الفكر، ج١، ص١٥٠.

المدرسون **يوجهون طالب العلم إلى قراءة ما ينفعه** وييسرون عليه الطلب فهاهو أبو بكر خوقير(ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) يوصي طلبة العلم بقوله: (ويكفي طالب العلم والفقه **المبتدئ**، قراءة بلوغ المرام وعمدة الحديث، والطالب المنتهى: المشكاة والمنتقى والتلخيص لابن حجر فإنها جمعت ما في الكتب الصحاح مع بيان الصحيح من السقيم)[١].

**ومن العلماء من كانت دروسه مخصصة للمبتدئين، فعلى سبيل المثال ذكر** مرداد أبو الخير أن عمر شطا (ت١٣٣١هـ/١٩١٢م) كان يدرس **للمبتدئين** المتون العلمية واعتاد أن يقرأ كتباً معلومة على الدوام، كلما ختمها يعيدها مرة أخرى، وكانت حلقة درسه مملوءة بالطلبة المبتدئين ، وكان يهتم بهم فبعد الفراغ من الدرس يجلس يسمع لهم ما يحفظونه من المتون ويصححها لهم، ويلقي لهم المواعظ المفيدة ويرغبهم في طلب العلم [٢] .

**وأما من تخطى مبادئ العلوم**، فكانت **وصية** العلماء له بقراءة المطولات، فها هو أبو بكر خوقير(ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) يوصي الطلاب بقراءة كتب الحديث سيما الكتب الستة ويقول: (فإنها مخدومة بالشروح والحواشي، وأنفعها صحيح البخاري ، ولقد جربت بركة قراءته وروايته، وعرفت شرح الحديث بعضه ببعض من تراجمه وتكريره في أبوابه، كما استفدت من قراءة مسند الإمام أحمد بن حنبل رواية مع مراجعة الغريب، وضبط اللفظ في مثل النهاية، لابن الأثير، ومجمع النحاس، والقاموس، فقراءة تلك الكتب تورث الخشية التي هي العلم النافع المورث عنه صلى ا عليه وسلم، مما كان عليه هو وأصحابه فقد اشتملت على هديه ومغازيه وأخباره وبعوثه وتفسير القرآن بذكر أسباب نزوله وغيرها، وذكر الرقائق والجنة والنار، وأحوال القيامة)[٣].

---

(١) أبو بكر خوقير: ثبت الأثبات، ق١٣، عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٣، ق٢٧٦

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٧٨.

(٣) أبو بكر خوقير: ثبت الأثبات، ق١٣؛ عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٣، ق٢٧٦

**وقد تتعدد مواهب الشيخ، ووقته،** فيدرس العلوم **لمستويات مختلفة من الطلاب،** وكما قيل: لا يكون العالم ربانياً حتى يربي الطلاب بصغار العلم قبل كباره، فمكة بحكم قداستها وتوجه المسلمين إليها أصبحت مركزاً إسلامياً للفتيا بما تهيأ لها من رجال علم فقهاء تبوؤا مكانة علمية رفيعة بين المجتمع المكي خاصة والعالم الإسلامي عامة، فكثيراً ما كان يدرس المدرس أكثر من مادة أو لأكثر من مستوى وحينئذ يكون لكل مجموعة كتاب يتناسب ومستواهم العلمي في زمن مخصص بهم .

فممن درس أمهات الكتب أو ما كان يطلق عليها في ذلك العصر **"الكتب** المطولات" وحضر درسه العلماء والطلاب المتميزين عبد الرحمن الدهان (ت١٣٣٧هـ/١٩١٨م) كان يلقي دروس التفسير بالمسجد الحرام وكان معظم طلابه من العلماء [(١)]. والظاهر أن درسه لا يقتصر على المعاني الإجمالية بل كان يورد النكات التفسيرية الدقيقة، مما جذب العلماء لدرسه، والجلوس بين يديه.

وهكذا كان حال أسعد الدهان (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م)، فكان يلقى دروسه في المسجد الحرام صباحاً ومساءاً في رواق باب السليمانية، وكان **معظم طلابه من العلماء وطلبة العلم الممتازين**[(٢)] .

وكان جعفر اللبني (ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م) لا يحضر درسه في المسجد الحرام إلا **الراسخون في العلم** والمشتغلون بالقضاء والمحاماة[(٣)] .

والظاهر أن الشيخ اللبني لما كان قاضياً، كانت خبرته القضائية تنعكس على درسه فيستفيد منه الطلاب المعنون بالقضاء وبالمحاماة بما لا يستفيد غيرهم.

وأما محمد علي بن حسين المالكي قد اشتهر بلقب "سيبويه زمانه وسكاكي أوانه"[(٤)] لتضلعه في علوم اللغة العربية، وكان الكتب التي يدرسها بالمسجد الحرام،

---

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق١٧٠؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٥٣.

(٢) مرداد أبوالخير: نشر النور والزهر، ص١٢٩.

(٣) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ٩٧.

(٤) سيبويه إمام اللغة والنحو، صاحب (الكتاب)؛ والسكاكي إمام البلاغة صاحب (مفتاح العلوم).

في غاية الدقة في العبارات والعميق في المعاني، فكان **لا يحضرها سوى الراسخون في هذا العلم**[1] .

وممن درس **المطولات والمختصرات** في المسجد الحرم أحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤هـ/١٨٨٥م) فكان يدرس لطلبته كتاب "البخاري" في الحديث، و"إحياء علوم الدين" للغزالي في التصوف[2]. كما كان يدرس لصغار الطلبة شروحه لبعض المتون كالآجرومية، فكان يدرسها الطلبة في ابتداء أمرهم لسهولتها[3].

**وقد يدرس العالم المكي في أكثر من مدينة** فقد تولى **حسن العجيمي (١١٣١م/١٧١٨م)** التدريس بالمسجد الحرام والمسجد النبوي ومسجد ابن عباس بالطائف[4]. كما اعتاد محمد بن سليمان حسب ا (ت١٣٣٥هـ/١٩١٧م) والدرس بالمسجد الحرام، الرحيل للمدينة المنورة سنوياً والبقاء بها فترة من الزمن يدرس بمسجدها النبوي[5].

**الوظائف التعليمية:**

**كان التدريس في المسجد الحرام** يقوم على فرض العلم نفسه، فإن العالم المتمكن من علمه يسعى طلبته له إذا ما سمعوا به، ويلتفوا حوله وشيئاً فشيئاً تنشأ الحلقة ويستمر بقاء العالم بعطائها.

---

(١) ولد الشيخ بمكة عام ١٢٨٧هـ وتكفل أخوانه بتعليمة وتربيته، أجيز له بالتدريس بالمسجد الحرام، إضافة إلى الإفتاء، له عدد من الرحلات منها القاهرة وأندونيسيا، كان عضواً في رئاسة القضاء بالعهد السعودي ، تولى رئاسة هيئة التدريس بمدرسة دار العلوم الدينية التي أنشأها السيد عبد المحسن المساوي عام ١٣٥٣هـ، وظل مدرساً بها إلى أن توفي عام ١٣٦٨هـ ، وله عدد كبير من المؤلفات بلغت زهاء الثلاثين بعضها ألفها في ريعان شبابه وقد عرجنا على بعضها في ثنايا البحث والآخر منها كان في العهد الهاشمي والسعودي، وقد انتفع بمؤلفاته طلبة العلم ومحبيه، انظر: عمر عبد الجبار : سير وتراجم، ص٢٩٣ ـ ٢٩٦.

(٢) الحضراوي: نزهة الفكر، ج١، ص١٨٨.

(٣) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٣٤٥؛ فيض الملك المتعال، ج١، ق٣٠

(٤) حسن عجيمي: إسبال الستر الجميل ، ق٤.

(٥) عبد الستار الدهلوي: تحفة الأحباب في اتصال الأنساب، ق٣١٧.

**وعندما استحدث منصب شيخ العلماء عام (١٢٣٣هـ/١٨١٧م)** في عهد الشريف محمد بن عون (ت١٢٩٦هـ/١٨٧٨م)[١] ، إذ أقام الشيخ عبد ا سراج (ت١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م) **رئيساً لعلماء** مكة[٢] ، وهو منصب يناط به تنظيم عملية التدريس بالمسجد الحرام، من جهة الرأي في تعيينهم، أو توزيع الأعطيات على المدرسين والطلبة، ورئاسة لجنة امتحان المتقدمين لطلب التدريس بالحرم، إضافة إلى اضطلاعه بالتدريس [٣] .

كما كان شيخ العلماء محل استشارة الدولة وغالباً ما يقوم بالإفتاء وإصدار الفتاوى التي يوقع عليها بعده كبار العلماء[٤] .

**ثم صار "شيخ العلماء "أو "رئيس العلماء"** يعين من قبل الحكومة العثمانية، وغالباً ما يكون من رجال الإفتاء على **المذهب الشافعي،** وصار يشرف على كافة أمور المسجد الحرام وإصدار الفتاوى وحل النزاعات بين العلماء في بعض القضايا العلمية، ومتابعة الدراسة في الحرم[٥] ، وإن زادت الأعباء عليه فإن المفتون الثلاثة الحنفي والمالك والحنبلي يعملون على مساعدته[٦].

وممن ذكرته كتب التراجم ممن تولى **مشيخة العلماء** بالمسجد الحرام أحمد زيني دحلان (١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) وقد تولاها عام (١٢٨٤هـ /١٨٦٧م) [٧].

وتولاها محمد صالح كمال (ت١٣٣٢هـ/١٩١٣م)[٨] ، كما تولاها محمد كامل السندي (ت١٣٥٣هـ/١٩٤٣م)، كان **نقيب العلماء ومفتشاً على المدرسين والأئمة والمؤذنين والمطوفين وخدمة الحرم،** كان نشيطاً دأب على القيام بواجباته

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٩٨.

(٢) غازي: إفادة الأنام، ج٧، ق٦٥.

(٣) سنوك: صفحات من تاريخ مكة،ج٢، ص٤٩٤.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٤٩٣.

(٥) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص ١١.

(٦) الحضراوي: نزهة الفكر، ص ١٨٨.

(٧) Ibn Dohaish op. cit , p180.

(٨) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٠٦.

تارة يراقب المدرسين وتارة يلاحظ المؤذنين والأئمة ويقف على حافة المطاف يستمع أدعية المطوفين ويصحح أخطاءهم النحوية ، ولا يسمح لمطوف بمزاولة الطواف إلا إذ سمع منه وأجازه، ويبلغ المدرسين كلما تلقى أمراً يتعلق بلهم، وكان مع اشتغاله بذلك لا يترك المشاركة في التعليم فكان يدرس شرح الأجرومية ومراقي الفلاح على مذهب الإمام أبي حنيفة وغير ذلك[1] .

وتبعاً **لنظام المشيخة**، ازداد عدد المدرسين في المسجد الحرام، فبلغ عددهم عام (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م)[2] "١٠٧" مدرسين، وقد خصصت الدولة رواتب شهرية **لأربعة وسبعين** منهم، أما **الباقون** فكانوا ملازمين بدون راتب معين، ويرأس هؤلاء العلماء **أربعة** من المفتين هم: مفتي الأحناف الشيخ عبد الرحمن سراج، مفتي الشافعية الشيخ أحمد حلان، مفتي المالكية الشيخ محمد أفندي ، مفتي الحنابلة الشيخ خلف أفندي.

وحين زار **إبراهيم رفعت** مكة عام (١٣١٨هـ/١٩٠١م)، كان عدد المدرسين هو نفسه العدد الصادر من السالنامه عام (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م)، وهو "١٠٧" مدرسين[3]، ولا ندري هل اعتمد إبراهيم رفعت على ما ورد في السالنامه منذ صدورها عام (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م) أو أن عدد المدرسين بقي كما هو لم يتغير مدة خمسة عشر عاماً.

وفي أواخر العهد العثماني ونتيجة لإرهاصات الحرب العالمية الأولى وما أصاب العالم من تداعيات أثرت على الاقتصاد بالعالم ضاقت مصادر الرزق بالناس وانقطعت السبل بالحجيج فانصرف الناس عن طلب العلم بطلب الرزق، وقل عدد المدرسين جداً مما دفع علماء مكة لتدارك الموقف بأن اجتمعوا مع حكومتهم وأصدروا نظاماً يعيد النشاط للحياة العلمية بمكة مرة أخرى ويضمن للمدرسين بالحرم المكي الشريف رواتب شهرية تكفل استمراريتهم في منح علمهم لطلبة العلم

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٢١.

(٢) سانامه ولاية الحجاز، ع ٢، عام ١٣٠٣هـ، ص ٧١ـ ٧٤.

(٣) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص١٦٠ـ ١٦١.

فمع بداية عام (١٣٣٢هـ/١٩١٣م) صدر نظام جديد للتدريس بالمسجد الحرام حيث قامت لجنة تعليمية عليا من علماء المسجد الحرام بوضع نظام سمى بـ"**الطوالع السنية في نظام التدريس بمسجد مكة المحمية**" وقد نشرته على الفور مطبعة الترقي المجيدية في مكة[(١)].

جاء في مقدمته أن: (غالب العلماء بالمسجد الحرام لما اشتغلوا عن التدريس وتعليم الطلبة الكرام لضيق معيشتهم وكثرة عيالهم حتى خشي مع ذلك أن يقل التدريس والمدرسون بل خيف مع ذلك أن يضمحل العلم والمعلمون، ويتولى رؤوس جهال على المسلمين ويكثر الضلال وينتشر فساد المضلين، قيض ا .. أمير مكة.. لإحياء ما كاد أن يندرس من معالم الدين فاهتم لهذا الأمر العظيم المحمد وسعى له في تحصيل ماله بال من النقود وجمع لأجله أعيان العلماء وأخذ على **رئيس العلماء** بانتخاب خمسة عشر عالماً وكاتباً ومفتشين من العلماء ليحيا بهم العلم في المسجد الحرام على الولاء وليرتب لهم في الحال ذلك الذي عينه لهم من المال، معاشاً شهرياً يكون معيناً لهم على معيشتهم وباعثاً لهم على فراغهم للقيام بوظيفتهم).

وبموجب هذا النظام أصبح التعليم بالمسجد الحرام مرتبطاً بلجنة علمية كبرى تتولى الإشراف على التدريس بالمسجد الحرام، وقد كونت اللجنة من أصحاب الفتوى للمذاهب الإسلامية الأربعة وهم: **مفتي الحنفية**: وكان يتولى هذا المنصب آنذاك **شيخ العلماء** الشيخ عبد ا بن عبد الرحمن سراج، وهو الرئيس الأعلى لهذه اللجنة، **مفتي الشافعية**: وكان يتولى المنصب آنذاك فضيلة الشيخ عبد ا صالح الزواوي، **مفتي الحنابلة**: وهو الشيخ محمد بن علي بن حميد صاحب كتاب السحب الوابلة، وأما **مفتي المالكية** فكان آنذاك الشيخ محمد عابدين حسين، وقد وضعت هذه اللجنة أسساً بموجبها تم تحديد النظام الجديد للتعليم بالمسجد الحرام، من حيث اختيار المدرسين وتحديد عددهم وأوقات الدروس والكتب التي يجب تدريسها في كل تخص، إضافة إلى دراسة ومناقشة كل ما يرد من المدرسين والمراقبين من

---

(١) الطوالع السنية ، ص١.

ملاحظات، واتخاذ القرارات اللازمة بشأنها، كما كان من اختصاصات اللجنة تقرير الإجازات وتحديد مواعيد الدراسة والامتحانات.

ونص النظام على أن **المطلوب من كل مدرس ثلاثة دروس** في اليوم والليلة من العلوم المعينة ومن اقتدر على الزيادة عما قرر فله ذلك، وللملازمين التدريس حسب استطاعتهم[1]، إذ إنه ما زال يتلقى العلم على أيدي مشايخه وأساتذته ويستفيد منهم، فالمدرس الملازم لا بد أن يشتغل بطلب العلم ويتمه على أيدي أساتذته وإن لم يتمثل لهذا الأمر محي اسمه من دفتر الملازمين[2].

ومن ضمن **اختصاصات اللجنة** الإشراف على سير الدراسة بالمسجد الحرام وذلك من خلال هيئة علمية وإدارية مكونه من "١٥" مدرساً نظامياً، وهم: أسعد أحمد الدهان، محمد عبد الرحمن أبو حسين المرزوقي، محمد مراد الفازاني، عمر باجنيد، محمد اليماني ، عبد القادر مذرهيلة، عباس بن عبد العزيز مالكي ، محمد أمين مرداد، محمد جمال بن محمد الأمير ، محمد علي بن حسين المالكي، عبد الكريم الداغستاني، صالح بن محمد بافضل، محمد أحمد حامد، أبو بكر خوقير، أحمد بن عبد اللطيف خطيب[3].

وإن رغب أحد المدرسين النظاميين في الغياب وتأجيل المحاضرة لسبب ما عليه ترشيح أحد الأساتذة المختصين مكانه على أن يكون من غير المدرسين المعينين رسمياً ، وأن يأخذ موافقة شيخ العلماء على ذلك، أما إذا كان المدرس من غير المدرسين النظاميين فعلى شيخ العلماء تعيين من يحل محله وقت غيابه والحسم من مرتبه مدة الأيام التي غابها، وإذا لم يوجد من يقوم مقامه بالتدريس أجل الدرس حتى عودته.

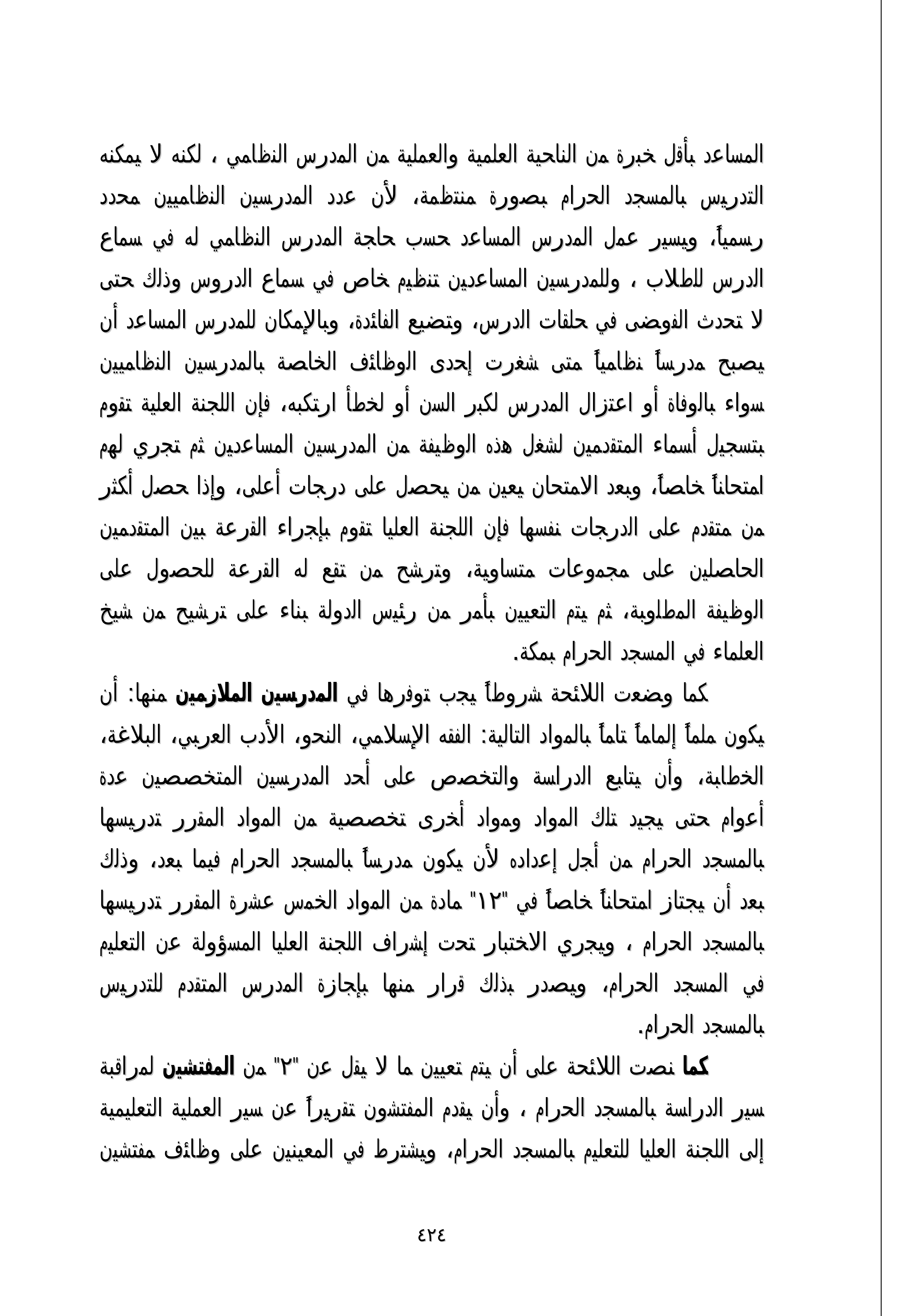
وبجانب هيئة التدريس النظامية تم تعيين عدد من المدرسين المساعدين والملازمين، يعملون تحت إشراف وتوجيه المدرسين الرسميين ، ولم يكن المدرس

---

(١)الطوالع السنية ، ص٧.

(٢) نفسه، ص ٩.

(٣) نفسه، ص ٩.



المساعد بأقل خبرة من الناحية العلمية والعملية من المدرس النظامي ، لكنه لا يمكنه التدريس بالمسجد الحرام بصورة منتظمة، لأن عدد المدرسين النظاميين محدد رسمياً، ويسير عمل المدرس المساعد حسب حاجة المدرس النظامي له في سماع الدرس للطلاب ، وللمدرسين المساعدين تنظيم خاص في سماع الدروس وذلك حتى لا تحدث الفوضى في حلقات الدرس، وتضيع الفائدة، وبالإمكان للمدرس المساعد أن يصبح مدرساً نظامياً متى شغرت إحدى الوظائف الخاصة بالمدرسين النظاميين سواء بالوفاة أو اعتزال المدرس لكبر السن أو لخطأ ارتكبه، فإن اللجنة العلية تقوم بتسجيل أسماء المتقدمين لشغل هذه الوظيفة من المدرسين المساعدين ثم تجري لهم امتحاناً خاصاً، وبعد الامتحان يعين من يحصل على درجات أعلى، وإذا حصل أكثر من متقدم على الدرجات نفسها فإن اللجنة العليا تقوم بإجراء القرعة بين المتقدمين الحاصلين على مجموعات متساوية، وترشح من تقع له القرعة للحصول على الوظيفة المطلوبة، ثم يتم التعيين بأمر من رئيس الدولة بناء على ترشيح من شيخ العلماء في المسجد الحرام بمكة.

كما وضعت اللائحة شروطاً يجب توفرها في **المدرسين الملازمين** منها: أن يكون ملماً إلماماً تاماً بالمواد التالية: الفقه الإسلامي، النحو، الأدب العربي، البلاغة، الخطابة، وأن يتابع الدراسة والتخصص على أحد المدرسين المتخصصين عدة أعوام حتى يجيد تلك المواد ومواد أخرى تخصصية من المواد المقرر تدريسها بالمسجد الحرام من أجل إعداده لأن يكون مدرساً بالمسجد الحرام فيما بعد، وذلك بعد أن يجتاز امتحاناً خاصاً في "١٢" مادة من المواد الخمس عشرة المقرر تدريسها بالمسجد الحرام ، ويجري الاختبار تحت إشراف اللجنة العليا المسؤولة عن التعليم في المسجد الحرام، ويصدر بذلك قرار منها بإجازة المدرس المتقدم للتدريس بالمسجد الحرام.

**كما** نصت اللائحة على أن يتم تعيين ما لا يقل عن "٢" من **المفتشين** لمراقبة سير الدراسة بالمسجد الحرام ، وأن يقدم المفتشون تقريراً عن سير العملية التعليمية إلى اللجنة العليا للتعليم بالمسجد الحرام، ويشترط في المعينين على وظائف مفتشين

أن يكونوا من المؤهلين تأهيلاً علمياً عالياً، وأن يكونوا قد قضوا وقتاً طويلاً في التدريس، وعلى المفتش أن يقدم تقاريره باستمرار إلى اللجنة العليا للتعليم بالمسجد الحرام، فقد تكون تقاريره يومية أو أسبوعية أو شهرية، متى ما احتاج الأمر دون الالتزام بموعد محدد.ويضمن تقاريره ملحوظاته حول أسلوب الدراسة، ونوعية الكتب المقررة في التدريس، ومدى إقبال الطلاب على الدرس ومدى استفادتهم من ذلك، ونسبة الحضور أو الغياب سواء بالنسبة للمدرسين أو الطلاب، وعليه التركيز بشدة على المدرسين المساعدين والملازمين ومدى اهتمامهم بالمهمة التي أوكلت إليهم، مع بيان مدى انتظام الدرس النظامي في إعطاء الدروس المقررة، ومدى استفاد الطلاب منه، ومدى توافر الكتب التي يدرسونها بوجه خاص.

كما قررت اللجنة كتباً بعينها وعلى المدرس والطالب الالتزام والتقيد بها وفي حالة مخالفة ذلك فإن الأمر يرفع إلى اللجنة عن طريق المفتش المختص لاتخاذ الإجراءات المناسبة[1].

كما عينت اللجنة **كاتب من** مهامه تسجيل كل ما يتعلق بإدارة شؤون المسجد الحرام في ثلاثة سجلات، يسجل في الأول أسماء هيئة التدريس النظاميين والملحوظات المتعلقة بهم، وإجازاتهم ورواتبهم وغير ذلك.

أما **السجل الثاني:** فيسجل فيه الواردات والمصروفات الخاصة بالمسجد الحرام بصورة مفصلة وأسماء أعضاء هيئة التدريس من النظاميين والإداريين وغيرهم، وعلى كل منهم أن يوقع أمام أسمه عند تسلمه الراتب الشهري، ومع نهاية العام الدراسي يعرض السجل على اللجنة لدراسته وإقرار ما جاء فيه والتأكد من أن جميع الرواتب قد صرفت لمستحقيها، **والسجل الثالث** هو سجل يومي يكتب فيه كل الاتصالات الواردة والصادرة بأرقامها وتواريخها، وهو بمثابة التقرير العام الذي يمكن أن يستخلص منه التقرير السنوي لحالة التعليم في المسجد الحرام[2].

---

(١) الطوالع السنية، ص ٩.

(٢) نفسه، ص٦، ٩ .

أما المدارس الحكومية ، فيتم تعيين المدرس من قبل الدولة، وقد تشكلت بولاية الحجاز عام (١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م)[١] مديرية للمعارف تتولى شؤون المدرسين، وتتصل بنظارة المعارف باسطانبول بكل ما يعرض عليها من أمور سواء المتعلقة بالمدرسين أو الطلبة أو العملية التعليمية، فالمدرسون يعينون من قبل نظارة المعارف وعلى مديرية المعارف تنفيذ الأوامر، وحتى إن حدث أن أحد المدرسين تريد المديرية تبديله بآخر فلا بد من مراجعة النظارة، فعلى سبيل المثال أرسلت مديرية المعارف بولاية الحجاز عام (١٣٢٧هـ /١٩٠٩م) طلباً إلى نظارة المعارف باسطانبول طلبت منها تبديل المعلم الأول أحمد أفندي والذي يشغر موقع مدرس أول بالمدرسة الرشدية "المتوسطة" في مكة المكرمة بغيره لعدم ضبطه للأمور وإهماله بعمله ، فاقترحت المديرية تنزيل مستوى المدرس بتعيينه مدرساً في متوسطة ينبع، وتعيين سراج الدين أفندي المدرس في مدرسة ينبع مدرساً أول في مدرسة بالطائف المتوسطة، وتعيين عارف أفندي المدرس بالطائف مدرساً أول في متوسطة مكة[٢] .

أما المدارس الأهلية فكان تعيين المدرس بها يتم عن طريق الواقف أو مؤسس المدرسة[٣].

### المدرسون والوظائف الأخرى:

جمع عدد من المدرسين بين التدريس ومهن أخرى مدفوعين بعوامل عدة منها تحسين مستوى المعيشة، والبحث عن مصدر رزق أخر سوى التدريس خاصة ممن مارس مهنته في أماكن علمية لم يكن لها ريع وقف، فيعمل بالتجارة أو الوظائف الحكومية أو تصحيح الكتب للمطبعة الأميرية، كما أن من المدرسين من اختير لمنصب ديني من خطابة أو إفتاء أو قضاء ونحو ذلك، كما أن منهم من

---

(١) عبد العزيز بن عبد ا السنبل وآخرون: التعليم في المملكة العربية السعودية، (كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص١٤٠، ١٨٤.

(٢) سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص١٨٤.

(٣) انظر مبحث المدارس، (الصولتية ـ الفلاح).

فرضت عليه الظروف الاجتماعية مهنة إلى جانب التدريس كالطوافة التي كانت مهنة تورث عبر الأجيال، أو كونه كان يحترف حرفة قبل أن يكون مدرساً فيظل يتعاناها، وغيرها من الأسباب الدافعة للجمع بين التدريس ومهن أخرى.

فعبد الرحمن بن عثمان بن جمال المكي الحنفي (ت١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) من مدرسي المسجد الحرام وإمامة وخطيبه، هو وأبوه وجده، تعاني **مهنة الطوافة** [(١)].

وكان عبد القادر مشاط (ت ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م) من مدرس المسجد الحرام إضافة إلى **توليه طائفة التجار** فكان قائماً بشؤونهم وإصلاح أحوالهم وكان "**شيخ التجار**" وذو ثروة عظيمة[(٢)].

كما مارس أحمد بن حسين قنق (ت١٣١٠هـ/١٨٩٢م) التدريس بالمسجد الحرام وكان والده **شيخ طائفة المطوفين**[(٣)]، ولا نستبعد أن الشيخ أحمد كان يعمل في ذلك مع والده، أو أن ما تركه له والده كان كافياً ليجعله يتفرغ للعمل بالتدريس بالمسجد الحرام رغم قلة الرواتب المقررة.

ومارس عمر عبد القادر شمس الحنفي المكي (ت١٣٢٦هـ/١٩٠٧م)، التدريس بالمسجد الحرام إضافة إلى تمسكه بمهنة التجارة، ويعتبر الشيخ شمس من أثرياء مكة إذ أن والده كما يقول عنه عبد الستار الدهلوي أنه : (ذو ثروة كبيرة **وأحد تجار مكة** المشرفة وأحد جلساء شريف مكة وكبيرها الشريف عبد ا  باشا بن عون ومن المقربين لديه)[(٤)].

وعمل أحمد بن عثمان الهندي (ت١٣٢٨هـ/١٩١٠م) **بتجارة الكتب** وفتح مكتبة عامرة من أجل هذه التجارة شملت الكثير من الكتب الدينية خاصة كتب الحديث والتي كان يجلبها من الهند إضافة إلى تصدره التدريس بالمسجد الحرام وقد

---

(١) عبد الستار دهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق٦٨.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٩٨.

(٣) عبد الستار دهلوي: فيض الملك المتعالى، ج١، ق٤٦

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص٢٠١.

كان من طلابه عدد كبير من مشايخ مكة منهم عبد الستار الدهلوي وعبد ا غازي وغيرهم[1] .

وورث أبو بكر بن عبد الرحمن صباغ (ت ١٣٣٦هـ/١٩١٧م)، عن والده **ثروة** فبذلها في شراء كتب دراسته وتكوين أسرته، قيل إنه فتح محلاً لبيع الأقمشة[2] ، وقيل بل فتح محلاً تجارياً لبيع البن تولى إدارته ابنه عبد ا ، واكتفى بما يدره عليه من ربح بسيط يسد حاجته لمعيشة هو وأسرته، مواظباً على عقد حلقة درسه بالمسجد الحرام في الفقه الشافعي والنحو والتفسير والحديث[3] .

وتولى عبد الرحمن الدهان (ت١٣٣٧هـ/١٩١٨م) التدريس بالمدرسة الصولتية والمسجد الحرام [4] .

أما عبد ا خضري الشافعي المكي(١٣٣٧هـ/١٩١٨م)، فقد تصدى للتدريس بالمسجد الحرام، بجانب ممارسته **حرفة بيع العطور**[5].

ومارس جعفر اللبني (ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م) التدريس بالمسجد الحرام مدة طويلة بجانب عدد من المناصب في الدولة منها **القضاء** بمكة والمدينة والليث[6] .

كما عين محمد حامد بن أحمد بن عوض (ت١٣٤٢هـ/١٩٢٣م) **مديراً لمدرسة الفلاح** عام (١٣٣٠هـ/١٩١١م) بجانب الدروس التي كان يلقيها في الفقه في المسجد الحرام[7] .

وكان عبد الحميد فردوس (ت١٣٥٢هـ/١٩٢٣م) من مدرسي المسجد الحرام إضافة إلى عمله **مصححاً بالمطبعة الأميرية** بمكة[8] .

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٧٧؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج٢، ص٦٨٣.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٤٦.

(٣) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٨١.

(٤) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٥٣.

(٥) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٩٣.

(٦) جعفر اللبني : الحديث شجون، ق ١، ٥.

(٧) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٢٦٧.

(٨) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٣٦

وجمع **خليفة بن حمد النبهاني المالكي** (ت١٣٦٢هـ/١٩٤٣م)، بين تدريس علم الفلك والميقات بالحرم الشريف والعمل **مهندساً لتعمير عين زبيدة ورئاسة التوقيت** بمكة وما حولها[١].

**وكان في المقابل تعرض وظائف** على كثير من مدرسي الحرم الشريف **فيرفضون توليها** خاصة ما يتعلق بالقضاء والإفتاء مما ورد الترهيب في توليهما لمن لا يحسنهما، فقد عرض الشريف عبد المطلب ومن بعده الشريف عون الإفتاء على الشيخ أحمد أبو الخير مرداد (ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م) ولكنه رفض وامتنع[٢].

وقد يترك المدرس مهنته لانشغاله بمهنة أخرى كما كان الحال بالنسبة لأحمد القاري (ت١٣٥٩هـ/١٩٤٠م) فرغم أنه قد تخرج من المدرسة الصولتية ومارس مهنة التدريس بالمسجد الحرام فور تخرجه وهو في ريعان شبابه وعنفوانه، واستفاد الطلبة من حلقة درسه إلا أنه ترك التدريس حين تولى منصب القضاء [٣].

**والعادة أن يتم اختيار أحد مدرسي الحرم للخطابة**، فالخطيب شروط لا بد من توافرها فيه قبل أن يعلو منبر المسجد الحرام وينتصب لإرشاد الناس ووعظهم، فاستقامته وعلو كعبه في الفقه والعلم وتقدمه في السن من الشروط الأساسية للتأهل لهذا المنصب الديني الكبير[٤]، كما أن كونه مدرساً يعني تمرسه على مواجهة الناس بالوعظ والتعليم، وهذا لا بد من توفره في الخطيب

---

(١) المصدر السابق، ص١٩١.

(٢) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج١، ق١٩؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٧٤

(٣) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٤٥؛ دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٤٨.

(٤) أبو سليمان: الحرم الشريف الجامع والجامعة، ص٣٣. كانت صلاة الجماعة في فترة البحث بحيث تقام صلاة الجماعة الأولى بإمام الشافعية تتلوها صلاة الجماعة الثانية بإمام الحنفية ثم الثالثة بإمام المالكية فالرابعة بإمام الحنابلة، وفي عهد الدولة السعودية ومن منطلق توحيد كلمة المسلمين ووحدة صفوفهم اجتمع العلماء عام (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) وقرروا أن تكون الجماعة التي تقام بالمسجد الحرام جماعة واحدة وانتخب من كل مذهب ثلاثة أئمة ومن الحنابلة إمامان يتناوبون في أوقات الصلوات الخمس، وقد وافق الملك عبد العزيز على هذا الترتيب وجرى العمل بمقتضاه، انظر ما كتبه الغازي حول ذلك في: إفادة الأنام، ج٥، ق٣٠٥.

يقول عبد الله مرداد عن منصب الخطابة: (كان منصب الخطابة محفوظاً عن أحداث الناس فلا يقلده إلا العظيم علماً ونسباً)[1] .

وكان أحمد أبو الخير مرداد (ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م) إماماً وخطيباً ومدرساً بالمسجد الحرام[2] .

**ويمكن أن نخلص مما سبق دراسته في مبحث المدرسين:**

ـ أنه لا بد من توفر جملة شروط علمية وخلقية فيمن أراد أن يتصدر للتدريس ، مع مراعاة المظهر العام .

ـ أظهرت الدراسة خصائص ومميزات للمدرس المكي، من كونه موسوعة علمية، وصاحب مرونة فكرية ، مع الزهد والتواضع والتفاني في نشر العلم، وكذا العناية بالتدرج في تعليم العلوم، وتوجيه طالب العلم إلى قراءة ما ينفعه وييسر عليه الطلب.

ـ أظهر البحث تميز الحلقات المكية الواضح في جنسيات طلاب بعض الحلقات، وهذا يعزى في الجملة إلى اختلاف المدرسين من وافدين أو من أهالي، أدى بدوره إلى أن أصبح لكل مدرس مدرسته الخاصة به والتي تميزه عن غيره.

ـ أظهر البحث وجود عدد من الوظائف التعليمية في مكة فترة البحث، أهمها منصب شيخ العلماء أو رئيسهم ونقيبهم، يليه المدرسين النظامين ثم المساعدين والملازمين.

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٧١

(٢) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٧٧.

## *الطلاب*

دعا الله عز وجل المسلمين إلى **طلب العلم،** وبعث الطلاب للعلم والتعلم، فقال وهو أصدق القائلين: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

والمسلمون منذ هذا الأمر الرباني **ملتزمون بتعليم الطلبة العلم الذي ينفع الأمة،** ومكة عبر تاريخها المجيد **محط رحال الطلاب** من كل حدب وصوب، كيف لا والحجيج يفدون إليها من كل أرجاء الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[2]، ومن المؤكد أن **يجاور** بعضهم طلباً للعلم، إضافة إلى **من يرسل ذويه** إلى مكة بعد ما اطلع عليه من حلقات العلم في الحرم المكي الشريف، أو من يسمع بأخبار ذلك من الحجيج الآفلين إلى بلادهم، ولا سيما وقد ظهرت أسماء علماء واشتهرت يشد الرحال لهم لطلب العلم في تلك الفترة، هذا كله **غير الحركة الطلابية** التي كانت من أبناء مكة، والتي كان يساعد على إذكائها قربهم من العلماء، ووجود المنح والأعطيات التي كانت تخصص لهم، مع ما يفتح الله به القلوب للعلم في جنبات مكة.

ولم يكن حرص الآباء على مواصلة أبنائهم لطلب العلم والتفقه في الدين، بأقل حماساً وحرصاً **من الأبناء أنفسهم،** فكان الكثير من الطلبة يحرصون على **مواصلة اليوم الدراسي لهم بالتحصيل والعلم،** فيصلون النهار بالليل فعلى سبيل المثال حين التحق حسن بن محمد المشاط المالكي **بالمدرسة الصولتية** عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م)، لم يكتفِ بما كان يتلقاه من علوم على مقاعد الدراسة بها بل كان **يحضر حلقات الدرس بالحرم المكي** وفي **منازل بعض مشايخه** كعبد الرحمن

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٢) سورة الحج، آية: ٢٧.

الدهان وعمر باجنيد وغيرهم، كذلك حرص على تلقي العلم من الوافدين على مكة أمثال محمد عبد الحي الكتاني وغيره[1].

إلا أن ذلك التحصيل في هذه الأوقات كلها لم يكن متاحاً لبعض الطلاب بسبب سعيهم على جلب قوتهم، إضافة للتعلم، فكثيراً ما كان الطالب يعمل لمساعدة أهله في المعيشة ولا يثنيه طلب الرزق عن مواصلة طلب العلم.

فحين قدم **عمر بن أبي بكر باجنيد**(ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) مع أسرته من حضرموت واستقروا بمكة في عام ألف ومائتين ونيف وثمانين من الهجرة، كان والده فقيراً كبير السن، فافتتح دكاناً في سوق الليل يبيع فيه السمن والفول المطبوخ، وأراد والده أن يفرغه لطلب العلم فأبى عليه ولده عمر، وبعد احتجاج الشفقة والحنان كان عمله إحضار الخبز من المخبز يومياً على رأسه بعد الفجر لحانوت والده، ثم بعد ذلك يذهب للدراسة بالحرم المكي الشريف[2].

وحين زار إبراهيم رفعت مكة عام (١٣١٨هـ/١٩٠٠م) ذكر أن الطلاب الذين يدرسون في الحلقات العلمية بالمسجد الحرام يشتغلون وقت الدرس بالدراسة ويعلمون عملاً يرتزقون منه بقية الوقت[3].

وقد يصل الطالب إلى مرحلة من التفوق العلمي والفطنة والذكاء **حتى إن أستاذه يعجب به فيدنيه منه ويزوجه بإحدى قريباته**، فعلى سبيل المثال تزوج أحمد بن حسن العطاس من ابنة أخي أحمد دحلان، ذلك أن الأخير قد أعجب بتلميذه وأحبه لجده واجتهاده في طلب العلم ولفطنته وذكائه فزوجه ابنة أخيه[4] .

---

(١) كما قام المشاط بالسفر إلى السودان والقاهرة والتقى بعلمائها وألقى في محافلها الندوات العلمية والمحاضرات ثم عاد إلى مكة ومعه مجموعة كبيرة من الكتب، عين في عدة مناصب في الحكومة السعودية كان أخرها عضواً بمجلس الشورى، توفي عام ١٣٧٥هـ بمكة ودفن بها، انظر: الفاداني: قرة العين في أسانيد مشايخي من أعلام الحرمين، ج١، ص١١٨؛ بغدادي: الإنطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية، ج١، ص٥٤٦.

(٢) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٤٣٣.

(٣) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص١٦٠ ـ ١٦١.

(٤) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٧.

كذلك زوج محمد صالح الكردي وهو من أثرياء مكة ووجهائها ابنته من أحمد الخطيب (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م)، حين لمس فيه اجتهاده في طلب العلم مع الزهد والورع، فأعجب به وزوجه ابنته ودفع له صداقها واشترى له مسكناً[١].

وكان طالب العلم يجد بغيته في المسجد الحرام أو في المدارس المنتشرة حوله سواء كانت أهلية أو حكومية، غير أن أكثر الحلقات نشاطاً بالطلاب هي المقامة بالمسجد الحرام نظراً لكونها مفتوحة، فإنه كان يمكن لأي طالب أن يحضر أو ينصرف من الدرس متى شاء كما يمكن لأي شخص أن يحضر أي درس، وأن ينضم لأي حلقة ولو لمجرد حب الاستطلاع، أما في المعاهد العلمية ذات الأوقاف فلا بد للطالب أن يحضر الدرس بانتظام ولا يغيب عنه إلا بعذر مقبول، حتى لا يحسم ذلك من مكافأته أو راتبه المقرر من قل الواقف.

**ويمكن أن نستنبط عدة ميزات من كون حلقات العلم في المسجد الحرام مفتوحة لجميع الطلبة منها:**

- حرية اختيار الطالب للشيخ الذي يرتاح نفسياً وعلمياً له، وهو لا شك يؤثر في الاستيعاب بطريقة إيجابية.

- المعلم هو سر نجاح الحلقة أو فشلها، فإن نجح المعلم في أداء مهمته زاد عدد طلابه واكتظت حلقته، وإن فشل، تقلصت حلقته وأصبح طلابه يعدون على الأصابع ، وربما امتد به الحال فتصبح حلقته أثراً بعد عين.

- اختيار الطالب للحلقة التي تتناسب مع وقته وظروفه ، فقد يكون الطالب ممن يعمل ليعول نفسه وأسرته، فتناسبه أوقات دون أخرى.

- قد يرغب الطالب بدراسة أكثر من مادة في أكثر من علم، فيختار الحلقات التي تتيح له تحقيق رغبته بدون تعارض.

- قد يكون وجود الطالب بمكة محدد بفترة زمنية معينة كأن يكون من الحجاج الذين قدموا إلى مكة قبل موسم الحج بفترة زمنية قد تصل إلى عدة أشهر،

---

(١) أحمد الخطيب: القول التحيف ، ق٦؛ الغازي: نثر الدرر ، ق١٩.

وبعد أن يتلقى العلم وينهي نسكه يرغب في العودة إلى بلاده مع ركب الحجيج، أو يكون من القادمين خصيصاً من بلادهم للدراسة، فيكثف من التحاقه بأكثر من حلقة وفي أكثر من علم حتى يتسنى له دراسة أكبر قدر ممكن من العلوم ومن ثم يعود إلى بلاده لنشر العلم وأداء الرسالة التي جاء من أجلها إلى مكة.

- في مثل هذه الحلقات تكون حرية الرأي للطالب أكثر وضوحاً، فبإمكانه أن يبدي رأيه في الشيخ أو الدرس أو أي شيء دون أن يخشى توجيه أو لوم من قبل المسؤولين ، فلن يخصم الواقف من راتبه ، ولن يتولى الناظر فصله، وأقصى ما يمكن أن يحدث له إذا تجاوز الحدود أن يطلب منه الشيخ عدم حضور حلقته.

وأما الدراسة **بالمدارس** فكانت لا تتمتع بهذه الميزات التي بحلقات المسجد الحرام، فقد اشترطت شروطاً في سن الطالب والحضور والغياب والمواد المقررة والاختبارات، وغير ذلك من اشتراطات[1].

ويستغرق اليوم الدراسي للطالب في المدارس الحكومية أو الأهلية ما بين سبع ساعات إلى ثماني، يبدأ من الصباح الباكر وحتى صلاة الظهر، يتخلله فترات لأداء الصلاة وتناول الطعام[2]، وتفرش الفصول بالأثاث المدرسي والمكون من سبورة ومكاتب خشبية تسع من أربعة إلى خمسة تلاميذ [3].

أما المسجد الحرام فتبدأ الدراسة به من بعد الفجر وحتى العشاء، وعادة ما **يصحب الطالب معه للدرس** سجادة ومحفظة جلدية تحتوي كراريس درسه إضافة إلى "**اللالة** " وهي أداة ضوء خفيف تضاء بالشمع الأبيض يضعها الطالب أمامه إن كان درسه يعقد بعد الغروب[4]، ويجلس الطلاب على هيئة **نصف دائرة** حول الشيخ، ويضعون سجاديدهم أمام الشيخ ليجلسوا عليها، وقد وضعوا أمامهم أدوات الكتابة

---

(١) سبق بحث ذلك في مبحث المدارس من الفصل الثاني من هذا البحث.

(٢) عبد الرحمن صالح عبد ا : تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص١٢٩؛ لمعرفة المزيد عن المدرسة أنظر موقعها على النت : www .alsawlatiyah . com

(٣)Ibn Dohaish, op. cit , p 89.

(٤) أبو سليمان: الحرم الشريف الجامع والجامعة، ص٦٧.

والأوراق لكتابة ما يستجد عليه أو ما يمليه عليه المدرس، وعادة ما يختار كل طالب مكاناً ثابتاً له لا يتغير، ويجلس قرب الشيخ الطلاب المتميزون من الذين يحبهم ويقربهم منه لذكائهم وفطنتهم وحسن سلوكهم، أو من اختارهم ليكونوا معيدين أو مفيدين لدرسه حتى يتسنى لهم سماعه بشكل واضح ويفهموا كل ما يقوله ويردده، أو ليسمعه الشيخ حين يقرأ عليه الدرس[(١)].

أما المعلم فكان يجلس مقابلاً للكعبة ويستطيع كل طالب الجلوس مرتاحاً ويأخذ نفس مكانه حتى نهاية العام، إذ من اللوائح المهمة والمتبعة أثناء الدرس في المسجد أن دائرة الطلاب حول المعلم تكون في كل محاضرة بنفس ترتيب أشخاصها[(٢)]. وقد يلتحق الطالب بالدراسة **في أكثر من حلقة لشيخه** فكان حسن الفوي (ت١١٤٦هـ/١٧٣٣م) يحضر دروس الشيخ أحمد الأشبولي[(٣)] في الحديث، وفي حلقته الأخرى في الفقه[(٤)].

وربما **احتفل الطالب بوليمة الحذاقة** وهي التي تكون لمن حذق علماً، فيقيم الطالب وليمة يحضرها جمع كبير من الوجهان والأعيان والعلماء وطلاب العلم وكان القرآن الكريم وحفظه بالقراءات على رأس قائمة ما تعقد الوليمة من أجله فممن وقفت عليهم في دراستي ممن أقام هذه الوليمة أحمد بن حسن العطاس(ت١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م)، فقد حفظ القرآن الكريم وجوده على الشيخ المقرئ على بن إبراهيم السمانودي وحفظ الشاطبية وغيرها وأتقن علوم القراءات السبع، **أقام حفلة عظيمة في المسجد الحرام** عند حصوة باب الصفا بعد صلاة الصبح حضرها جميع القراء الموجودين بمكة و جميع علمائها وأعيانها ووجهائها منهم شريف وامتلاء الحرم الشريف بالناس وقد ابتدأ الحفل بقراءة الفاتحة و﴿الٓمٓ﴾ إلى

---

(١) المحبي : خلاصة الأثر، ج٢، ص٢٠٢؛ سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص٥٠٣.

(٢)Ibn Dohaish, op. cit , p 186.

(٣) هو أحمد بن عبد الرحمن الأشبولي المصري ، استوطن مكة، ودرس بها، رحل إلى اليمن، ثم توفي بمكة عام (١١٧١هـ/١٧٥٧م)، المزجاجي: نزهة رياض الإجازة، ص٢٨٤.

(٤) الحضراوي: نزهة الفكر، ج١، ص١٧٣؛ المزجاجي: نزهة رياض الإجازة، ص٢٧١.

﴿المفلحون﴾ ثم آية الكرسي ثم ﴿لله ما في السموات﴾ إلى آخر سورة " آل عمران " وأتى بما لجميع القراءات من الوجوه فأطرب الحاضرين صوته الحسن وقراءته المجودة بالأداء ثم قسم على الحاضرين نحو ثلاثة قناطير حلوى تعظيماً لكتاب ا وللعلم[1] .

كما اعتادت المدارس كذلك على إقامة حفلات سنوية مع نهاية العام الدراسي توزع فيها الجوائز القيمة على الطلاب الناجحين[2].

**المكافآت والعقوبات للطلاب:**

الترغيب والترهيب وسيلة التعلم لدى البشر، فالجنة بشرى ا للمؤمنين والنار ما يخوف ا به عباده، ومدح ا الأنبياء بجمعهم بين الخوف والرجاء، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[3]، والتعليم الذي يجمع بين الأمرين موافق للفطرة، ومناسب لبني آدم كبيرهم وصغيرهم.

كان لبعض المشايخ بمكة لمسات حانية على طلابهم، تظهر مدى اهتمامهم بهم ورضاهم على أدائهم وتحصيلهم، وتسهم في دفعهم على مواصلة التعليم والمثابرة عليه، وقد تتمثل هذه اللمسات في مكافأة مادية، أو كتاب، أو كلمة تشجيعية قد يكون لها أثر إيجابي في نفس الطالب تغنيه عن كنوز الدنيا وما فيها.

وقد انتهجت الدولة والعلماء هذا النهج مع الطلاب، فأما هدايا الدولة فكانت في صورة ما كان يرسل من مصر سنوياً مع الحاج المصري من خلع خاصة للطلاب توزع عليهم من قبل إدارة المسجد الحرام وبموافقة المعلمين والمشايخ[4].

وقد يكون التشجيع من العالم للطالب، ويكون متمثلاً في **هدية علمية قيمة** للطالب ككتاب فعلى سبيل المثال، ذكر لنا الحموي أن الشيخ محمد علي الطبري[1]

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٦.

(٢) تقرير إدارة المدرسة الصولتية مؤرخ عام ١٣٨٢هـ ؛ صدى العلم من الحجاز ، ص٥٠ .

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٩٠ .

(٤) دار الوثائق: الروزنامة ، دفتر واردات ومصاريف خزينة عامرة، واجب سنة ١١١١هـ، ١٦٩٩م.

قرأ قطعة من شرح "التلخيص مختصر السعد"، على شيخه نور الدين العسيلي المصري، وكانت للشيخ نسخة منه في غاية الحسن والصحة، فامتحن الطبري بفهم عبارة أوردها عليه من الكتاب وقال له: إن فهمتها على الوجه المطلوب أعطيتك هذه النسخة، ففهمها الطبري وأخذ الكتاب مكافأة له(٢).

وكما يحصل الطلاب على مكافآت تشجيعية على أدائهم فإن العقوبات كانت تقع علي المهمل أو المقصر منهم، وقد تتدرج هذه العقوبات حسب سن وجرم الطالب والمؤسسة العلمية التابع لها.

فإن كان الطالب من الكتاتيب أو المدارس الابتدائية، فإن المعلم يقوم بتوجيهه أولاً فإن تكرر الخطأ تزاد العقوبة، فإن لم يفلح التأنيب فالعصا هي وسيلة التأديب، ويكون الضرب في الأماكن التي تؤدب ولا تضر، كالضرب على اليد والفخذ والقدمين، ويتجنب المعلم الضرب على الوجه لشرفه فقد نهي النبي ﷺ الضرب على الوجه(٣)، كذلك يتجنب المعلم الضرب على الرأس كي لا يصاب الطالب بإصابات مؤذية(٤)، قد تعوق تحصيله فيما بعد كأن يصاب بارتجاج في المخ أو بعاهة في الوجه، فالمقصود التأديب والتوجيه، لا الإهانة، والانتقام.

وقد تكون العقوبة شديدة بحيث يحرم الطالب بالحسم من راتبه أو بعض منه، أو قد يطرد من المؤسسة العلمية أو الحلقة الدراسية إذا فعل ما يخالف شروط المؤسسة أو تخطى ما له من صلاحيات(5).

وقد حدد النظام الصادر في آخر الدولة العثمانية العقوبات المقررة على الطلاب حسب مخالفاتهم، وهذا النظام وإن كان مبتدؤه في عام (١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م) إلا أنه لا بد أن يكون صدى للنظم التي كانت تطبق بصفة فردية من شيوخ

---

(١) هو محمد بن علي الطبري، إمام فقيه من أسرة الطبري المشهورة، توفي بمكة عام (١٠١٠هـ/١٦٠١م)، غازي: نظم الدرر، ق٥٤.

(٢) الحموي: فوائد الارتحال، ج١، ق٦٦، ١٠١.

(٣) مسلم: الجامع الصحيح، ج٣، ص١٦٧٣.

(٤) الهيثمي: تحرير المقال، ص٧٣، ٧٥.

(5) دار الوثائق: حجة وقف داود باشا، حجة ٣١٧، ورقة ٢٢.

الحرم، بحيث لا يخرج في الجملة عما كان مقرراً آنذاك، مما يعني أن نظام العقوبة في جملته كان معروفاً مطبقاً قبل صدور النظام الرسمي بسنين.

**عمل الطلاب بالتدريس:**

**كثير من الطلبة** خاصة المتفوقين منهم غالباً ما **يعودون إلى المعاهد العلمية** التي تخرجوا منها ليمارسوا فيها مهنة التدريس **فيعين الطالب في المكان الذي تخرج منه** وذلك بعد أن يجتاز امتحان القبول، فقد تولى الشيخ سالم بن عبد الحميد شفى تدريس الفقه الحنفي بالمدرسة الصولتية فور تخرجه منها ، بل مكنته المكانة العلمية التي وصل إليها بأن **يدرس بالحرم الشريف وبمدرسة الفلاح**[(١)]

وعمل الشيخ مختار البخاري **فور تخرجه** من مدرسة **الصولتية** مدرساً منتدباً بها فدرس الفقه الحنفي مع النحو والصرف للطلاب[(٢)].

**الرحلة في طلب العلم :**

الرحلة[(٣)] مطلب شرعي إذا كانت لمقصد صحيح، ومن أشرف أنواع الرحلات؛ الرحلة إلى طلب العلم، وقد ذكر القرآن الكريم رحلة نبي الله موسى عليه السلام إلى الخضر في طلب العلم، وأن موسى كليم الله قال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾[(٤)]، وفي السنة النبوية قوله ﷺ: ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة))[(٥)]، ولم يزل العلماء يرحلون لطلب العلم في الآفاق، ورحلاتهم في ذلك معلومة مشهورة، ومكة محط أنظار الطلبة في كل

---

(١) ولد الشيخ بمكة عام ١٣٠٦ هـ ، كان مثالاً للجد والاجتهاد والمثابرة على العلم وطلبه، عين رئيساً للمحكمة المستعجلة في عهد الشريف حسين وفي العهد السعودي عين قاضياً بالمحكمة الشرعية، ثم وكيلاً لرئيسها توفي عام ١٣٧٣هـ وعمرة ٦٧ عاماً. عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٠١.

(٢) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٥٣٩.

(٣) الرحلة بمعنى الارتحال، وهي الانتقال من مكان إلى مكان لغرض ما مقارنة للسفر. انظر، أحمد بن زكريا ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، (ط١، بيروت، دار الفكر: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص ٤٤٦.

(٤) سورة الكهف، آية: ٦٦.

(٥) مسلم: الجامع الصحيح، ج ٤، ص ٢٠٧٤.

العصور لما يرتبط بها من رحلة دينية هي فرض على كل مسلم، وهي رحلة الحج فكان الوافد إليها يحصل الفرض الديني بالحج، والفرض العلمي بطلب العلم.

وبالمقابل فإن بعض الطلاب بمكة لم يكتفوا بتحصيل العلم بها بل نراهم يشدوا الرحال صوب الكثير من العواصم العلمية للعالم العربي والإسلامي طلباً للاستزادة من العلوم والفنون والإجازات العلمية.

فارتحل الطلبة إلى **المدينة المنورة** باعتبارها المركز العلمي الثاني بالحجاز لوجود الحرم النبوي الشريف.

وممن ارتحل إليها عبد الملك الفتني (ت١٣٣٢هـ/)، التقى بعدد من علمائها وأخذ عنهم[(١)]، ورحل إليها أرشد بن أسعد البنتني المكي (ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤م) التقي بعدد من علمائها وأخذ عنهم وأجازوه[(٢)]، كما ارتحل إليها طلباً للعلم **عمر باجنيد** المكي (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) فأخذ عن محمد بن جعفر الكتاني **الفاسي** حين **مجاورته** بها[(٣)]، وارتحل إليها عبد الستار الدهلوي(١٣٥٥هـ-م١٩٣٦م) والتقى بعدد من علمائها[(٤)] وأخذ عنهم؛ منهم الشيخ مصطفى ين محمد بن صدقة الحسيني حيث قرأ عليه بالمسجد النبوي الشريف صحيح البخاري[(٥)] .

كما رحل الكثير من طلاب العلم المكيين **إلى مصر** وتتلمذوا على أيدي أساتذة الأزهر الشريف، وكان لهم "**رواق الحرمين الشريفين**" يتدارسون العلم فيه ويعيشون فيه ويلتحقون بالدروس العلمية في حلقات العلم بالأزهر الشريف، بل شارك الكثير من العلماء المكيين بعد تلقيهم القسط الوافر من التعليم في كثير من مناحي الحياة **بمصر**[(٦)].

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٧٣.

(٢) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٩١.

(٣) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٤٢٣.

(٤) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٥٦، ١٦٦.

(٥) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٣، ق ١٣٣.

(٦) الشناوي: الأزهر جامعاً وجامعة، ج١، ص٢٥٠.

فمن طلبة العلم الذين **وفدوا على مصر** من أجل الأخذ والتلقي على أيدي العلماء **محمد بن حسن الجزايرلي،** رحل إلى مصر لمواصلة التحصيل، فلازم شيوخها وأخذ عنهم وانتفع بعلمهم **وأذن له علماء الأزهر بالتدريس، فدرس** بأحد مدارسها الحديث الشريف، حيث كان يقرأ في كل جمعة جزءاً من البخاري، وقد كان لجلوسه في مصر للتعلم ثم لانشغاله بعد ذلك بالتدريس سبباً كافياً لأن يقرر البقاء بمصر فتزوج بإحدى سيداتها الموسرات صاحبة عقار، وبعد وفاة شيخه حل محله في التصدر للتدريس، فانتفع به الطلبة، حتى وافته المنية شاباً بمصر عام (١١٨٧هـ/١٧٧٣م)[١].

ومنهم **مفتي مكة** حسن بن علي الفوي المكي الشافعي ، رحل إلى **مصر** لطلب العلم، فحضر دروس مشايخ الأزهر ، برع في الأدب وله فيه ديوان بديع، توفي بمصر بعد أن أخذها مستقراً ومقاماً عام (١١٤٦هـ/١٧٣٣م)[٢].

ومن المكيين الذين **وفدوا إلى مصر** لتلقي العلم إبراهيم بن محمد الزمزمي (ت ١١٩٥هـ/١٧٨٠م)، حيث التقى بعدد من علماء الأزهر وأخذ عنهم[٣].

ومنهم أحمد زيني دحلان (١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) قدم مصر ودرس على عدد من علماء الجامع الأزهر[٤].

ورحل عبد الستار الدهلوي إلى **عدد من المدن** طلباً للعلم، فرحل من أجله إلى **بلاد الهند والأفغان** ، ودخل **مصر** في أوائل عام (١٣٣٢هـ/١٥١٣م) ومكث بها ثمان سنوات[5]، اجتمع فيها بكوكبة من علمائها، وعكف على مطالعة مخطوطات الجامع الأزهر ودار الكتب، ونسخ عشرات من الأثبات والمشيخات

---

(١) الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص٤٣٠.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص٣٢٧.

(٣) نفسه، ج١، ٦٥٠.

(٤) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج١، ق٣٠.

(٥) عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر، ق ٣٨٨.

والمعاجم والمسلسلات وكتب الطباق، نقلها معه إلى مكة وكانت من ضمن مقتنيات مكتبته التي ضمت إلى مكتبة الحرم المكي الشريف بعد وفاته[1].

وكان عبد الحميد قدس (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) من مدرسي المسجد الحرام، رحل **صوب مصر** وأخذ عن علماء الجامع الأزهر[2].

ورحل الشيخ أبو بكر خوقير **إلى الهند** طلباً للعلم عدة مرات منها عام (١٣٠٧هـ/١٨٨٩م) وعام (١٣١٢هـ/١٨٩٤م) وعام (١٣١٧هـ/١٨٩٩م) التقى خلال هذه الرحلات **بعلماء الهند** منهم شيخه العلامة حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي المحدث الشهير، سمع منه الحديث المسلسل بالأولية، كذلك التقى بالشيخ العالم الرحالة المحدث محمد نذير الدهلوي الحسيني وقرأ عليه أوائل الكتب الحديثية الستة، وكتب له إجازة عامة[3] ، كذلك رحل إلى **مصر عدة مرات** منها عام (١٣٢١هـ/١٩٠٣م) والتي التقى فيها ببعض علماء الأزهر وأخذ عنهم منهم الشيخ يوسف البرقاوي[4].

كما رحل أحمد بن عثمان الهندي **إلى الهند** طالباً لعلم الحديث بعد أن أتم طلب العلم بمكة على يد علمائها الجهابذة، فكانت رحلته للديار الهندية عام (١٢٩٦هـ/١٨٧٨م)، حيث التقى بعلماء الحديث وأخذ عنهم، وسمع منهم ونسخ ما سمع وقرأ عليهم كتب الحديث، وأخرج لشيوخه الذين أخذ عنهم بها **مشيخة** أطلق عليها: "النفح المسكي في شيوخ أحمد المكي"[5].

**الإجازات العلمية:**

تعتبر الإجازات العلمية إحدى طرق تحصيل الطالب للعلم، وتنوعت الإجازة لتشمل العلوم كافة، فهناك إجازة في الحديث، وفي القراءات، وفي الفقه، والتفسير

---

(١) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٣٠٥.

(٢) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق١٩٦.

(٣) أبو بكر خوقير: ثبت الأثبات ، ق٣ـ ٦.

(٤) أبو بكر خوقير: ثبت الأثبات، ق٦، ٨.يوسف البرقاوي عالم فاضل فقيه، (ت١٣٢٠هـ) محمد مطيع حافظ ونزار أباظة: الإضافات على النعت الأكمل، ( ط١، دار الفكر، ١٤٠٢هـ) ، ص٣٩٦.

(٥) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٧٧.

والنحو والطب، كما تعددت أغراضها إلى الإجازة بالفتيا والتدريس وعراضات الكتب وغيرها[1].

وقد حافظ علماء مكة على **نظام الإجازة في التعليم**، وكان يعرف قدر الشيخ بمن أخذ الإجازة عنه من مشايخ العلوم والفنون.

وشكلات الإجازات العلمية **أحد المظاهر العلمية** الواضحة في مكة فترة البحث، **وإن كثرة الإجازات** التي كان يحصل عليها طلاب العلم **دليل واضح على الحركة العلمية النشطة** بأم القرى والتي تظهر مدى حرص الطلبة على التزود بالعلم من جانب وكثرة العلماء والمشايخ من جانب أخر، فقد تنافس الطلاب للحصول على أكبر عدد من الإجازات العلمية من علماء مكة أو الوافدين عليها من مجاورين وحجاج ومعتمرين فعلى سبيل المثال حصل الشيخ عبد الستار الدهلوي على عدد كبير من الإجازات العلمية من أكبر علماء مكة ومن المجاورين فيها والزائرين لها، وممن التقى بهم خارج مكة بالمدينة المنورة أو مصر[2] .

ومما هو جدير بالذكر أن الكثير من هؤلاء الطلبة الذين أخذوا الإجازات العلمية أصبحوا فيما بعد من كبار العلماء بجهودهم وبما حصلوا عليه من علوم.

فمحدث الحجاز **حسن العجيمي** (ت١١٣١هـ/١٧١٨م) يصفه العياشي في رحلته بأنه: (جد في طلب علم الحديث كل جد، وبلغ الاعتناء به غاية الحد، ولازم شيخنا أبا مهدي الثعالبي فسمع منه الكثير، وروى عنه غالب مروياته، ولا يقدم أحد من علماء الآفاق على الحرمين الشريفين إلا جد في لقائه والأخذ عنه، ورزق في ذلك سعادة وإقبالاً من المشايخ فكثرت بذلك مروياته واتسعت مسموعاته)[3].

ومما هو جدير بالذكر أن العجيمي كان يتحرى أن يلتقي بالعياشي يومياً ليستفيد من علمه، كما أنه أعاره ما يحتاجه من الكتب ممن كان بها ضنياً، وبعد

---

(١) أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة)،ج١٤ ، ص ٣٦٤ ـ ٣٧٤.

(٢) عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص .

(٣) العياشي: الرحلة، ص ج٢، ص٢١٣.

مغادرة العياشي مكة ظل العجيمي يراسله وعندما ألف رسالة في الطرق الصوفية أرسل منها نسخة إلى العياشي في المغرب عرفاناً بفضل أستاذه عليه.

وقد تعددت **أنواع الإجازات** في العلوم من الإجازات العامة أو الخاصة، وشفوية أو مكتوبة.

**فالإجازة العامة:** هي أن يجيز الشيخ أهل عصره، أو من يشاء، أو الناس، وقد تكون لمجهول[1]، وممن تحصل عليها على سبيل المثال أسرة آل الحبشي، فقد أجاز محمد أبي النصر الدمشقي حين مجاورته بمكة **أسرة آل الحبشي والذين لم يولدوا منهم** بعد في رواية الحديث عنه، ثم منح إجازة عامة شفهية لكل **من حضر مجالس آل الحبشي من العلماء المحدثين** عام (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) قال فيها : (وإني أجزت أيضاً **من أدرك حياتي** والمسلمين على مذهب من يرى ذلك من أئمة الحديث من المتقدمين والمتأخرين وقد جرى العلم فيما بينهم)[2] .

كذلك حرص **أحمد النخلي** (ت١١٣٠هـ/١٧١٧م) على الحصول على إجازة عامة من الشيخ على الجمال[3].

كما حصل **عبد الرحمن العجيمي** على الإجازة **العامة** بكل علوم عبد ا سراج في التفسير والحديث والفقه والنحو وغيرها وذلك عام (١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م)[4] .

وقد يمنح الطالب **إجازات علمية من أكثر من عالم،** إذ حصل عبد الحميد قدس (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) على **إجازات علمية** من سائر علمائه بكل علومهم ومروياتهم[5] .

---

(١) محمد علي الفاروقي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م)، ج ١، ص ٢٩٥.

(٢) عبد الستار الدهلوي: ترجمة محمد أبي النصر، (مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم ٢٥٤٢/ تراجم) ق٧.

(٣) الجبرتي: عجائب الأثار ، ج ١، ص١٣٣ـ ١٣٤.

(٤) عبد ا سراج: إجازة علمية إلى الشيخ عبد الرحمن بن حسن العجيمي، (مخطوط بجامعة الملك سعود ، رقم ١٣٠٢)، ق١، انظر الملحق ٣/أ .

(٥) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص ٢٣٦.

وقد يحصل الطالب على إذن من شيخه بأن يروي عنه إجازته وأن يجيزها لمن يراه أهلاً لها، فعلى سبيل المثال منح **عبد ا كوجك** (ت١٢٩٧هـ/١٨٨٠م) إجازة علمية من محمد ارتضاء العمري الصفوي، ذكر فيها الشيخ أنه أجازه **بجميع مروياته** وله أن يروي عنه ويجيزها لمن يراه أهلاً لها[1] .

وكثير من الطلبة **جمع بين الإجازة العامة والخاصة** من أحد العلماء أو من عدة علماء، مثل عمر شطا(ت١٣٣١هـ/١٩١٢م) إذ حصل على **إجازة عامة وخاصة** من الشيخ عمر بن عيدروس الحبشي في سائر علومه ومروياته عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٩م)[2] .

كذلك تحصل أحد مدرسي المسجد الحرام وهو سليمان بن أحمد فقيه المكي (ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م) أثناء طلبه للعلم على **إجازة عامة وخاصة من علمائه**[3].

**والإجازة الشفهية**: هي التي يحصل عليها الطالب من شيخه مشافهة دون أن يدونها الشيخ على الورق، وغالباً ما يحصل عليها الطالب بعد ملازمة طويلة لشيخه، فعلى سبيل المثال كان **عبد الستار الدهلوي** ملازماً للشيخ الفقيه أحمد الميرغني[4] وقد استطاع أن يحصل منه على **إجازة شفهية** بجميع مروياته[5] .

وحصل عبد الستار الدهلوي من شيخه محمد حقي النازلي (ت١٣٠٢هـ) المدرس بالمسجد الحرام على **إجازة مشافهة** منه وناوله بعض الكتب[6].

---

(١) محمد ارتضاء العمري: مدارج الإسناد، (مخطوط بجامعة الملك سعود، رقم : ١٥٣٦)، ق ١٥.

(٢) عمر بن محمد شطا: إجازة علمية من الشيخ عمر بن محمد شطا للشيخ حسن عبد الرحمن العجيمي، وقد بدأت بصورة الإجازة التي حصل عليها الشيخ عمر من الشيخ عمر بن عيدروس الحبشي عام ١٣٠٦هـ.

(٣) عبد الستار دهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٢، ق١٢.

(٤) هو الشيخ أحمد بن عبد ا بن محمد ميرغني الحنفي ولد بمكة عام ١٢٤٠هـ/ ، حفظ القرآن الكريم وبعض المتون، طلب العلم فقرأه على بعض علماء الحرم الشريف، ولاه أمير مكة الشريف عبد المطلب منصب الفتوى عام ١٢٩٨هـ، فقام بها خير قيام حتى وفاته ، انظر: غازي: نظم الدرر، ق١٦٣.

(٥) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج١، ق١٥.

(٦) عبد الستار الدهلوي: نثر المآثر، ق ق١٤؛ **والإجازة بالمناولة** هي أعلى أنواع الإجازات، وقد عدها بعض المحدثين في رتبة السماع أعلى أنواع التحمل، انظر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية (القاهرة، دار الكتب الحديثة)، ص ٣٢٦

**كذلك سعى الطلبة** إلى الحصول على الإجازات العلمية **ممن يأتي من المشايخ للحج أو المجاورة**، فعندما قدم للمجاورة العالم الفقيه أحمد بن محمد **المصري** الشافعي[(١)]، حرص حسن العجيمي على حضور دروسه في المسجد الحرام والاستفادة من علمه، كما حرص على الحصول منه على **إجازة بجميع مروياته ومؤلفاته**[(٢)].

**وقد تكون الإجازة من الوافد للبيت الحرام** في كل ما علمه الشيخ وقال ودرس وحقق وحفظ، فقد حرص عبد ا بن سالم البصري **الحصول على إجازة** من محمد الشرنبلالي المصري على هذا النحو، حين كان الأخير بمكة عام (١١٢١هـ/١٧٠٩م)[(٣)].

وقد يحصل الطالب على الإجازة العامة من شيخه عن **طريق الكتابة والمراسلة**[(٤)] فيرسل الطالب إلى شيخه في موطنه ويطلب منه الإجازة ، فعلى سبيل المثال أرسل الشيخ عبد النور الأزهري من مصر إجازة لحسن العجيمي عن طريق أبي سالم العياشي[(٥)].

**وكما عرف عن الطالب المكي حبه للعلم والحرص على تحصيله عرف عنه أيضاً حبه لشيخه ووفائه به، ومن الأمثلة على وفاء الطلاب لحق شيوخهم:** ما فعله عبد الستار الدهلوي لشيخه أبي النصر ابن عبد القادر الخطيب الدمشقي الشافعي، فكثيراً ما كان الشيخ نصر يأتي إلى مكة لأداء فريضة الحج، فيستغل الطلبة قدومه ويلتفو من حوله **طلباً للعلم والإجازة**، وكان الشيخ عبد الستار من تلاميذه المحيطين به، وفي الحجة العاشرة لأبي النصرعام (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) **استجازه** بكثرة جماعة من أهل الحجاز والهند واليمن وغيرهم من علماء الأقطار،

---

(١) المحبي: خلاصة الأثر، ج٣، ص١٧٦.

(٢) العجيمي: ثبت العجيمي، (مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم :١٧٣)، ق٥٢٤؛ وخبايا الزوايا ، ق٩٠.

(٣) الجبرتي:عجائب الآثار، ج١، ص١٣٢.

(٤) نظر السيوطي: تدريب الراوي، ج ٢ ص ٥٥ .

(٥) العجيمي: خبايا الزوايا، ق٨٢.

فتعب الشيخ عبد الستار دهلوي من كثرة ما كتب من إجازات عن الشيخ ولطولها كذلك، إذا أنه كتب نحو الثمانين إجازة، ولم يظهر الملل أو الكلل، إرضاء لشيخه، حتى طلب بعض أقارب الشيخ اختصار ثبته "الجوهر الفريد في علوم الأسانيد" فاختصره في نحو النصف أو أقل، **ترجم فيه لنفسه** وعدد مشايخه ورحلاته إلى الأقطار، وساق نصوص إجازات بعض مشايخه وما يستندر الوقوف عليه من إجازات مشايخهم، ثم إسناد بعض المسلسلات والمصنفات الحديثية(1)، ولعل في هذا البيان لفحوى المختصر ما يؤكد مدى الجهد الذي كان يبذله الشيخ عبد الستار في كتابة الثبت والانتهاء منه قبل اختصاره وكم عدد الإجازات التي نسخها لهذا الثبت إرضاء لشيخه .

**كما ظهر في مكة تراجم للشيوخ بأيدي الطلاب،** يترجمون لشيوخهم **وفاء لهم،** فقد كتب الشيخ أبو بكر زرعة المكي الحنفي (ت١٢٦٢هـ/١٨٤٥م): "مناقب شيخه عمر بن عبد رب الرسول"(٢)، وقام عبد الستار الدهلوي **بكتابة نبذة عن حياة شيخه** محمد أبي النصر عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م) تناول فيها نشأته بدمشق وقدومه إلى مكة ومشايخ، ومن أجازوه ومن أجاز لهم، ومؤلفاته وفاته(٣).

**ومن خلال ما تقدم سرده عن الطلبة وأحوالهم يتضح التالي :**

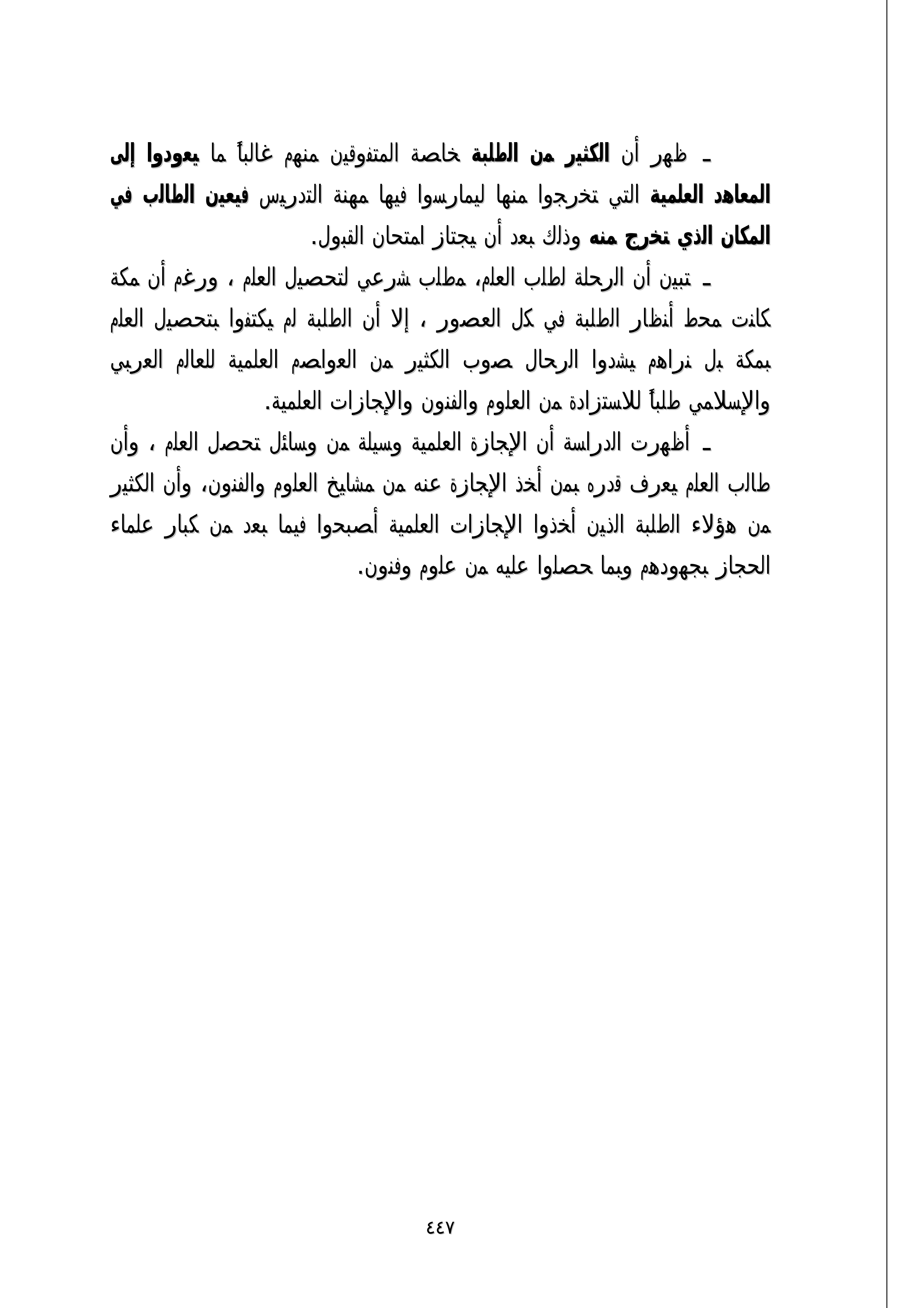
ـ أن الاهتمام بالطلاب مسألة حيوية في استمرار العلم ومسيرة التعليم.

ـ تبين أن الطالب في حلقات المسجد الحرام يتمتع بميزات فريدة منها قدرته على الالتحاق بأي حلقة دون الاعتبار لسن معين، وأن له الحرية في اختيار الشيخ الذي يرتاح نفسياً وعلمياً له، وله كذلك حرية اختيار الحلقة التي تتناسب ووقته. أما الطالب في المدارس الحكومية أو الأهلية فكان مقيد حضوره بسن معين إضافة إلى وقت الحضور والانصراف، والغياب، والمواد المقررة والاختبارات.

(١) الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص٥٨٥.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص ٦٣ ـ ٦٥.

(٣) عبد الستار دهلوي : ترجمة محمد أبي النصر،ق١٣.



ـ ظهر أن **الكثير من الطلبة** خاصة المتفوقين منهم غالباً ما **يعودوا إلى المعاهد العلمية** التي تخرجوا منها ليمارسوا فيها مهنة التدريس **فيعين الطالب في المكان الذي تخرج منه** وذلك بعد أن يجتاز امتحان القبول.

ـ تبين أن الرحلة لطلاب العلم، مطلب شرعي لتحصيل العلم ، ورغم أن مكة كانت محط أنظار الطلبة في كل العصور ، إلا أن الطلبة لم يكتفوا بتحصيل العلم بمكة بل نراهم يشدوا الرحال صوب الكثير من العواصم العلمية للعالم العربي والإسلامي طلباً للاستزادة من العلوم والفنون والإجازات العلمية.

ـ أظهرت الدراسة أن الإجازة العلمية وسيلة من وسائل تحصل العلم ، وأن طالب العلم يعرف قدره بمن أخذ الإجازة عنه من مشايخ العلوم والفنون، وأن الكثير من هؤلاء الطلبة الذين أخذوا الإجازات العلمية أصبحوا فيما بعد من كبار علماء الحجاز بجهودهم وبما حصلوا عليه من علوم وفنون.

العلوم والمصنفات التي كانت تدرس في مكة

إن دراسة العلوم والمصنفات التي كانت تدرس بمكة، هي من الأهمية بمكان لمعرفة طبيعة الأنشطة العلمية بها، كما إنها تعطي الصورة الصحيحة لأبعـاد تلـك العلوم وتطورها، والمستوى العلمي للعلماء والطلاب على حد سواء.

ومن **أهم مميزات قائمة** العلوم والمصنفات التي كانت تدرس بمكة فترة البحث؛ **تعدد المصنفات وشمولها** جل العلوم الشرعية والعربية والأدبية إضافة إلى التطبيقية والاجتماعية، وفيما يلي بيان ذلك:

*** علوم القرآن الكريم:**

القرآن الكريم هو كتاب ا المبين، ختم ا به الكتب السماوية، وأنزله على أشرف الرسل وخاتمهم ، وجعله نوراً وهدى للناس، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[1]، ولقد أمر ا سبحانه وتعالى بتلاوة القرآن وتدبره قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ﴾[2]، و حث النبي ﷺ على قراءة القرآن وتدبره قال عليه الصلاة والسلام: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))[3]، وقد اعتنى الصحابة رضوان ا عليهم ومن جاء بعدهم بالقرآن الكريم سواء بحفظه وتلاوته والعمل بما فيه، وبما يتصل به من علوم قائمة على خدمته مباشرة وهي **علوم القرآن** من قراءات وتفسير أو تلكم العلوم التي تدور في فلكه وتخدمه بطريقة غير مباشرة، وهي **علوم العقيدة والفقه والتاريخ واللغة والنحو** وغيرها من العلوم[4].

ومما كان يدرس في مكة من علوم القرآن الكريم علم **التجويد** وعلم **القراءات، والتفسير** إضافة إلى العديد من المصنفات التي ألفت في هذه العلوم.

---

(١) سورة المائدة، الآية : ١١٥.

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٢١.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح في كتاب فضائل القرآن ، ح ٥٠٢٧.

(٤) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة)، ج٢، ص٣٥٠؛ محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، (دار إحياء الكتب العربية)،ج١، ص٢٧.

**وعلم التجويد:** هو علم باحث عن تحسين تلاوة القرآن العظيم من جهة مخارج الحروف وصفاتها وإعطائها حقها ومستحقها من الوصل والوقف والإدغام والإظهار والإخفاء إلى غير ذلك[(١)].

ومما كان يدرس من كتب **تصحيح القراءة والأداء**: للمبتدئين "**تحفة الأطفال**"، وهي منظومة في التجويد مشهورة للشيخ سليمان الجمزوري من علماء القرن الثاني عشر وله شرح عليها أسماه "**فتح الأقفال في شرح تحفة الأطفال**"[(٢)].

وقد قرأ عبد ا مرداد على أبيه الشيخ أحمد (ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م) "**تحفة الأطفال**" في التجويد[(٣)]، كما قرأها مع شرحها الشيخ أحمد بن عبد ا المكي على **شيخ القراء** إبراهيم سعد (من علماء القرن الثالث عشر الهجري) وقد ختم عليه القرآن الكريم برواية حفص بسنده[(٤)].

وأما **المتقدمون** في تعلم علم التجويد، فكانوا يدرسون "**المقدمة الجزرية**" وهي منظومة في علم التجويد لمحمد الجزري الشافعي (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م)[(٥)]، كما كان يدرس كتاب "**القول المفيد في أصول التجويد**" للإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)[(٦)].

وقد قرأ أحمد بن عبد ا ناضرين على صلاح الدين قازاني (من علماء القرن الثالث عشر) "منظومة الجزرية"[(٧)]، كما قرأها أحمد بن عبد ا الشامي المكي على **شيخ القراء** الشيخ إبراهيم سعد مع "**القول المفيد**"[(٨)].

---

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون ، ج١، ص٣٠٥.
(٢) البغدادي: هدية العارفين، ج٣، ص١٥٤، و ج٥، ص٣٣٢.
(٣) غازي: نثر الدرر، ق٤٢.
(٤) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٤٤.
(٥) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص٦٤٤.
(٦) المصدر السابق، ج٢ ، ص٣٣٢ ؛ البغدادي: هدية العارفين، ج٥ ، ص ٢٢.
(٧) الحبشي: الدليل المشير، ص ٤٨ـ ٥٠.
(٨) المصدر السابق، ص ٤٤.

**وأما علم القراءات؛** فالمقصود به هو ذلك العلم الذي يبحث في صور كلام ا تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة، لصون كلام ا تعالى من التغيير والتحريف[1].

وهو **علم التلقي والمشافهة** من أفواه الشيوخ، إذ إن بعض طرق الأداء في هذا العلم لا يمكن التوصل إليها من خلال المكتوب ، بل لا بد من التلقي من الشفاه كالإشمام والروم[2]، كما أن دروس **"الإقراء"** كانت تعتمد على الأداء لأن الإجازات في هذا العلم لا تحصل إلا بعرض كامل للقرآن على الشيخ بالرواية المطلوب الإجازة بها[3] .

ويعتبر علم القراءات من **أوائل العلوم التي اهتم بها المسلمون**، حيث كان حفظ القرآن الكريم وقراءته هو أول ما اهتم به الصحابة رضوان ا عليهم أجمعين، غير أنهم رووه عن النبي ﷺ بطرق مختلفة في بعض ألفاظه، وكيفيات الحروف في أدائها، ونقل ذلك عنهم واشـ ـتهر، إلى أن استقرت منها سبع طرق واختصت بالانتساب إلى من اشتهر برواياتها[4]، ثم زيدت بعد ذلك إلى القراءات العشر[5]، ثم بلغت أربعة عشر قراءة في القرن الثاني عشر الهجري[6] .

---

(١) زكريا الأنصاري: اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم، تحقيق: عبد ا نذير أحمد ( سوريا، دار البشائر: ١٤١٩هـ)، ص٨٨.

(٢) **الإشمام**: هو ضم الشفتين بلا صوت عقب إسكان الحرف للوقف، إشارة إلى أن الحركة المحذوفة هي الضمة، ويكون في حركة الضم فقط، وهو يرى ولا يسمع ، أما **الروم**: فهو النطق بحركة الحرف الموقوف عليه بصوت خفي يسمعه القريب دون البعيد، ويكون في الضم والكسر، انظر : محمد عبد الرحيم جاد: المختصر المفيد في علم التجويد، ص٣٣٧.

(٣) الأنصاري: اللؤلؤ النظيم ، ص٨٨.

(٤) وهؤلاء القراء السبعة هم: عبد ا **بن عامر** اليحصبي (ت١١٨هـ)، وعبد ا **بن كثير** إمام قراء مكة (ت١٢٠هـ)، **وعاصم** بن أبي النجود الكوفي (ت١٢٧هـ)، **وأبو عمرو** بن العلاء البصري (ت١٥٥هـ)، **وحمزة** بن حبيب بن الزيات الكوفي (ت١٥٦هـ)، **ونافع** بن أبي نعيم إمام قراء المدينة (ت١٦٩هـ)، وعلي بن حمزة **الكسائي** (ت١٨٩هـ). انظر: أبو شامي المقدسي: إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للشاطبي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، (مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٨م)، ص٢٦ـ ٢٨.

(٥) محمد بن محمد ابن الجزري : النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة : محمد علي الصباغ، (ط١، المكتبة التجارية، القاهرة)، ص٥.

(٦) أحمد البنا الدمياطي: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، (القاهرة، مطبعة الحسيني).

وكان الطلاب في مكة فترة البحث يحفظون في القراءات "**منظومة الشاطبية**"[(١)]، والمسماة "**حرز الأماني ووجه التهاني للقراءات السبع للسبع المثاني**" وهي من الشهرة بمكان، للإمام أبي محمد القاسم بن فيرة الشاطبي (ت٥٩٠هـ/١١٩٣م)، وتعد نظماً لكتاب **التيسير** للإمام أبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ/١٠٥٢م)، وأبياتها "١١٧٣" بيتاً، تناولتها أيدي العلماء بالشرح والاختصارات، وقصدها الطلبة بالحفظ، كما لها مختصرات وتكملات وزيادات[(٢)] مما يؤكد أهميتها بين الكتب المصنفة في هذا العلم.

وممن **حفظ المنظومة الشاطبية** وأتقن القراءة بها أحمد بن حسن العطاس(ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م)، فقد حفظ القرآن الكريم وجوده على **المقرئ** على السمنودي (ت١٢٩٥هـ/١٩٧٥م)[(٣)]، وأتقن علوم القراءات السبع، وبعد أن تم له ذلك **أقام حفلة عظيمة في المسجد الحرام**[(٤)] ، كما درس أحمد بن عبد ا الشامي علم القراءات على **شيخ القراء إبراهيم سعد** ( كان حياً مع نهاية القرن الثالث عشر الهجري) حيث قرأ عليه القرآن الكريم برواية حفص بسنده وبعضاً من القراءات السبعة والعشرة وأجازه[(٥)].

**علم التفسير**: هو علم يبحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية والقواعد العربية من أجل بيان معاني كتاب ا تعالى[(٦)]، ومعرفة أسباب نزول

---

(١) غازي: نثر الدرر، ق١٩.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون ، ج ١، ص ٥٠٢.

(٣) هو علي بن إبراهيم السمنودي الشافعي المكي انتهت إليه الرئاسة في علم القراءات، فصار وحيد دهره وفريد عصره، انظر : عبد الستار الدهلوي : فيض الملك المتعالى، ج٢، ق١٣٩.

(٤) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٦.

(٥) الحبشي: الدليل المشير، ص ٤٤. وحيث إن القراءة بالقراءات السبع يحتاج ضبطها إلى منظومة، وحيث إن **الشاطبية** كانت أشهر المنظومات عند المتأخرين فنحن نتوقع أن قراء مكة كانوا يدرسونها بل ويحفظونها، وربما يضيفون لها **طيبة النشر** في القراءات العشر، وهي ألفية للشيخ محمد بن محمد الجزري، (ت٨٣٣هـ)، انظر في التعريف بها حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص١٣٣.

(٦) ابن خلدون:المقدمة، (القاهرة، مطبعة شقرون)، ص٣٨٥- ٣٨٦؛ أحمد بن مصطفى أبو الخير "طاش كبرى زادة": مفتاح السعادة ومصباح السيادة في العلوم، ( بيروت، دار الكتب العلمية)، ج٢، ص٥٤.

الآيات وشؤونها، وأقاصيصها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وأمثالها(١).

وكانت كتب التفسير تدرس بالمسجد الحرام إضافة إلى دروس التفسير العامة التي يلقيها العلماء، ومن أبرز ما كان يدرس من كتب التفسير: "**تفسير الجلالين**" وهو مختصر عمل عليه شيخان هما جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م) من أول القرآن وحتى آخر سورة الإسراء، ثم أتمه جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)(٢). وقد اعتنى المكيون بتدريسه في المسجد الحرام، فقد درسه **جمال بن عبد ا الحنفي** (ت١٢٨٤هـ/١٨٦٧م)(٣) واعتاد أبو بكر شطا (ت١٣١٠هـ/١٨٩٢م) تدريسه للطلبة المتقدمين(٤)، كما قام بتدريسه محمد بابصيل (ت١٣٣٠هـ/١٩١١م)(٥)، ومحمد حسب ا (ت١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م)(٦)، وعمر باجنيد (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)(٧).

ومما كان يدرس بمكة أيضاً: "**تفسير البيضاوي**" وهو من التفاسير التي تناولها العلماء تدريساً وتحشية وتعليقاً واختصاراً، واسم هذا التفسير "**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**" لناصر الدين أبو سعيد البيضاوي، (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م)(٨).

---

(١) السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، ص١٦٩؛ التهاوني: كشاف اصطلاحات الفنون، ج١، ص٢٤.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٣٦٥ .

(٣) الحضراوي: نزهة الفكر، ص٢٦٩

(٤) أحمد الخطيب: القول التحيف ق٩.

(٥) الحبشي: الدليل المشير، ص٤٨ـ ٥٠.

(٦) عبد الستار الدهلوي: نثر المآثر، ق٣٣.

(٧) الحبشي: الدليل المشير، ص٢٢.

(٨) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص١٩٧

وقد تصدى عدد من علماء مكة لتدريس "**تفسير البيضاوي**" منهم: حسن عجيمي(١١٣١هـ/١٧١٨م)[(١)]، وأحمد دحلان (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م)، وكذلك درسه عبد الكريم الداغستاني (ت ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م)[(٢)].

ومن كتب التفسير التي كانت تدرس أيضاً: "**تفسير الخطيب الشربيني**" لمحمد بن محمد الخطيب الشربيني (ت٩٩٧هـ/١٥٨٨م)، كان **محمد سعيد بابصيل** (ت١٣٣٠هـ/١٩١١م) يقرأه علي طلبته، كما قام بتدريسه **الحسين الحبشي** (ت١٣٣٠هـ / ١٩١١م)، وعمر باجنيد (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)[(٣)].

كذلك درس بعضهم "**مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، أو "تفسير النسفي**" لعبد ا بن أحمد النسفي (ت٧٠١هـ/١٣٠٣م)[(٤)]، ممن تولى تدريسه للطلبة بالمسجد الحرام جمال بن عبد ا الحنفي (ت١٢٨٤هـ/١٨٦٧م)[(٥)].

ومما كان يدرس أيضاً كتاب "**روح البيان في تفسير القـرآن**"، لإسـماعيل حقي الإسلامبولي الحنفي الجلوتي(ت١١٣٧/١٧٢٤م) وهو تفسير يمتاز باختـصار عباراته[(٦)]، وكان الحسين الحبشي(ت١٣٣٠هـ/١٩١١م ) يدرسه[(٧)].

كما كان يدرس كتاب "**الدر المنثور في التفسير بالمأثور**"، لعبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)[(٨)]. **اعتاد** أحمد العطار (ت١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م) أن يقرأه على طلبته بالمسجد الحرام[(٩)] ، وكان يدرس أيضاً "**تفسير ابن عباس**" ولعله

---

(١) مجهول: تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري ، تحقيق: محمد التونجي، (ط١، جدة، دار الشروق: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص ٣٠ ـ ٣١.

(٢)أحمد الخطيب: القول التحيف ، ق١٠؛ غازي: نثر الدرر، ق٤٦.

(٣) الحبشي: الدليل المشير ، ص٢٢، ٤٤.

(٤) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص٥٢٨.

(٥) الحضراوي: نزهة الفكر، ص٢٦٩

(٦) البغدادي: هدية العارفين، ج٣، ص٣٦٨؛ ج٦، ص ١٨٠.

(٧) الحبشي: الدليل المشير ، ص ص٤٤

(٨) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٥٦٣.

(٩) عبد الرزاق الشطي ابن البيطار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، تحقيق وتعليق: محمد بهجة البيطار، (ط٢، بيروت، دار صادر: ١٩٩٣م) ، ج١، ص٢٤٠.

المسمى "**تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**"، لأبي طاهر محمد الفيروزآبادي (ت١٤١٤/٨١٧م)[١]. وقد درسه بالمسجد الحرام جمال بن عبد ا الحنفي (ت١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م)[٢].

## * علوم الحديث:

الحديث هو الأصل الثاني بعد القرآن الكريم، وهو المبين له والشارح لمعانية والمفصل لجمله والموضح لمشكله، والمقيد لمطلقه، والمخصص لعامه والمبسط لما فيه من إيجاز، لذلك حرص المسلمون على ضبط ما نقل عن النبي ﷺ لأنه حجة على المسلمين[٣].

**وعلم الحديث :** هو علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن، من صحة وحسن وضعف وعلو ونزول وكيفية التحمل والأداء وصفات الرجال[٤]، وغايته معرفة الصحيح ومراتبه من غيره[5] وهو على قسمين علم الحديث رواية[٦]، وعلم الحديث دراية[٧]، فيدخل فيه أداء الحديث، وعلم المصطلح، والشروحات، وما يتعلق به من المسلسلات والعوالي والأجزاء، وغير ذلك.

---

(١) طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، ج٢، ص٣٤١؛ ؛ وقد رأى المفسرون أنه لا يصح نسبته لابن عباس لاتهام السند فيه، انظر محمد عبد ا الخضيري: تفسير التابعين، ج٢، ص .

(٢) الحضراوي: نزهة الفكر، ص٢٦٩

(٣) محمد الشحري: الحركة العلمية في واسط في العصر العباسي الأول "١٣٢ - ٢٣٢هـ" (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية،جامعة القاهرة: ١٩٩٧م)، ص ٩٩- ١٠٠.

(٤) حاجي خليفة : كشف الظنون، ج١، ص٦٣٥؛ محمد جمال الدين القاسمي : قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، (القاهرة، مطبعة بابي الحلبي)، ص٥- ٧ .

(5) أحمد عمر هاشم: قواعد أصول الحديث، (القاهرة: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص5.

(٦) **علم الحديث رواية**: علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول ﷺ من حيث أحوال روايتها ضبطاً وعدالة، وكيفية السند اتصالاً وانقطاعاً ، صبحي الصالح: علوم الحديث، ١٠٧.

(٧) **علم الحديث دراية**: علم يبحث في المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث، وعن المراد منها مبنياً على قواعد العربية وقواعد الشريعة، ومطابقاً لأحوال النبي ﷺ . صبحي الصالح: علوم الحديث، ص١٠٧

وقد كان للعلماء المكيين دور بارز في هذه العلوم، فجلسوا لتدريسها، وأكثر ما كان **يدرس من كتب الحديث الأمهات الستة، "البخاري و"مسلم" و"أبو داود" و"النسائي" و"الترمذي" و"ابن ماجه"**، إضافة إلى "**موطأ**"مالك. وهي مشهورة غنية عن التعريف، فمنهم من كان يدرسها كلها أو بعضاً منها فكان **حسن العجيمي**(ت١١٣١هـ/١٧١٨م) يدرسها على طلبته[١]، وكذلك **محمد بن عقيلة** (ت١١٥٠هـ/١٧٣٧م) كان يروي **الكتب الستة**[٢]، واعتاد **محمد بن خضر البصري المكي** (ت١٢٦٠هـ/١٨٤٤م) أن يقرئ "**صحيح" البخاري** كاملاً **و"مسلماً" و"الموطأ"** في حلقة درسه خلف المقام المالكي عند باب إبراهيم[٣]، وكذلك **حسين الحبشي (ت١٣٣٠هـ/١٩١١م)** كان يقرئ **"البخاري" و"مقدمة صحيح مسلم" و "جامع الترمذي" و"سنن ابن ماجة" و"النسائي" و"الموطأ" و"أبا داود" و"تيسير الوصول"**[٤]، كما كان الطلبة يقرأون على أسعد دهان (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م)"**النسائي**"[٥]، وعلى عبد الكريم الداغستاني (ت١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م) "سنن **النسائي والترمذي**"[٦] ، إلا أن أكثرها قراءة في مكة فترة البحث، هو "**صحيح البخاري**"، فممن كان يقرأ "**البخاري**" عمر عبد رب الرسول (ت١٢٤٧هـ/١٨٣١م) **صحيح البخاري**[٧]، وكان أحمد دحلان (ت١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م) يدرس البخاري للطلبة بالمسجد الحرام وفي شهر رمضان كان للبخاري مقرأة خاصة من قبل دحلان ، حيث يشرع في قراءته أول ليلة منه، ويختمه ليلة الفطر[٨]، كما جلس محمد مكي الكتبي الحنفي(ت

---

(١) مجهول: تراجم أعيان المدينة المنورة ، ص ٣٠ ـ ٣١؛ الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص ٨١١

(٢) الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص٣٣٧.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص٣٨٣.

(٤) الحبشي: الدليل المشير ص٢١؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص ١٤٠، ٥٤٣.

(٥) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٤٨ ـ ٥٠.

(٦) غازي: نثر الدرر، ق٤٦.

(٧) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٢١.

(٨) الحضراوي: نزهة الفكر، ج١، ص١٨٨؛ ج٢، ص٩٨؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص١٤٠.

١٣٠٩هـ/١٨٩١م) بالمسجد الحرام يقرئ "**صحيح البخاري**" [١]، ودرس أبو بكر شطا (ت١٣١٠هـ/١٨٩٢م) للطلبة المتقدمين"صحيح **البخاري**"[٢] كما قرأ عبد ا مرداد (ت ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) على أبيه أحمد مرداد (ت ١٣٣٥هـ/١٩١٦م) "صحيح **البخاري**"[٣] .

وكان علماء مكة يوصون بقراءة أمهات الكتب الحديثية القائمة على **الرواية**، وكذلك ما كان منها **دراية** من الشروح والغريب، والرجال والمصطلح.

فها هو أبو بكر خوقير (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) يوصي طلبة العلم بقراءة كتب الحديث ولاسيما **الكتب الستة** ويقول: (فإنها مخدومة بالشروح والحواشي، وأنفعها "**صحيح البخاري**"**،** ...، كما استفدت من قراءة "**مسند**" **الإمام أحمد بن حنبل** رواية مع مراجعة **الغريب**، وضبط اللفظ في مثل "**النهاية**" **لابن الأثير**، و"**مجمع**" النحاس، و"**القاموس**"، فقراءة تلك الكتب تورث الخشية التي هي العلم النافع المورث عنه ﷺ، مما كان عليه هو وأصحابه ،..)، إلى أن قال: (ويكفي طالب العلم والفقه المبتدئ، قراءة "**بلوغ المرام**" **و**"**عمدة الحديث**"، والطالب المنتهى: "**المشكاة**" **و**"**المنتقى**" **و**"**التلخيص**" لابن حجر فإنها جمعت ما في الكتب الصحاح مع بيان الصحيح من السقيم)[٤].

وكلام أبي بكر خوقير يوضح لنا أن المصنفات التي كان يوصى بتدريسها شملت مستويات مختلفة من الطلاب، "**فبلوغ المرام**"، هو مصنف في أحاديث الأحكام لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، جمع فيه أحاديث الأحكام وتكلم على كل حديث بمن أخرجه، ليستعين به المبتدئ، ولا يستغني عنه المنتهي، وعدة أحاديثه تربو على الألفي حديث[٥].

---

(١) عبد الستار الدهلوي: نثر المآثر، ق١٥.

(٢) أحمد الخطيب: القول التحيف ، ق٩.

(٣) غازي: نثر الدرر، ق٤٢.

(٤) أبو بكر خوقير: ثبت الأثبات، ق١٣؛ عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٣، ق٢٧٦.

(٥) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٢٤٣؛ الصنعاني: سبل السلام شرح بلوغ المرام، ج١، ص ١٠.

وعمدة الحديث هو كتاب "**عمدة الأحكام عن سيد الأنام**"، لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، (ت٦٠٠هـ/١٢٠٣م)، وهو كتاب يشتمل على أحاديث الأحكام حوى خمسمائة حديث مما اتفق عليه البخاري ومسلم[(١)].

وأما المشكاة، فهو كتاب "**مشكاة المصابيح**"، أصله "مصابيح السنة" للبغوي، جمع فيه نحو خمسة آلاف حديث، من الصحيح والحسن، ثم أكمله محمد بن عبد ا التبريزي، وسماه "**مشكاة المصابيح**"، فتناولته أيدي العلماء بالشرح والتعليق[(٢)].

والمنتقى هو "**منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار**"، لعبد السلام ابن تيمية الحراني (ت٦٢١هـ/١٢٢٤م)، وكتابه قد جمع الأحاديث التي تبنى عليها الأحكام، وهي ما تربو على خمسة آلاف حديث[(٣)].

والتلخيص، هو "**تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الشرح الكبير**"، لابن حجر (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، وهو كتاب في تخريج أحاديث الأحكام،من كتاب "الشرح الكبير" للرافعي (ت٦٢٣/١٢٢٦م)[(٤)].

وقد درس بعض الشيوخ من المكيين فترةَ البحث بعض هذه الكتب[(٥)]، فقد قرأ أحمد بن عبد ا ناضرين على **أسعد الدهان "المشكاة"** [(٦)]، كما درس صالح بن محمد الكلنتني المكي على **عيسى رواس "المشكاة"** [(٧)].

أيضاً أوصى بعض العلماء لطلابهم **بمختصر الزبيدي**، والمسمى "**التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح**"، لأحمد الزبيدي، (ت٨٩٣هـ/١٤٨٧م)[(٨)].

---

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص١٦٩.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٥٧٠.

(٣) نفسه، ج٢، ص٦٨٢؛ الشوكاني: مقدمة نيل الأوطار، ج١، ص٢-٤.

(٤) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص٧٩٤.

(٥) نتوقع أن يكون الطلاب قد التزموا بسائر هذه الكتب في دراستهم، وإن لم تنقل لنا المصادر ذلك صراحة.

(٦) الحبشي: الدليل المشير ، ص٤٨ ـ ٥٠.

(٧) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٤٨.

(٨) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٤٣٨.

ومن اللطائف في ذلك ما يذكره **أحمد الحضراوي** (ت١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) إذ يقول: (إني حين كنت صغيراً ابن سبع أو ثمان سنين كنت أختلف في بعض الأحيان إلى الشيخ **أحمد بن السيد القوي النشار** (ت١٢٧٣هـ/١٨٥٦م) وهو من مدرسي الحرم، بعد خروجي من الكتاب وأقبل يده واسأله الدعاء فكان دائماً يكرر علي مراراً قوله: يا ولدي يا أحمد طالع كتاب "**مختصر الزبيدي**" وهو مختصر الجامع الصحيح للبخاري، فأتعجب من ذلك ومرة يقول لي: انقله حتى ثبت في ذهني حب ذلك الكتاب، ..... ، ثم توجهت إلى مصر المحروسة سنة خمس وثمانين ومئتين وألف، وكنت جالساً في مجاس جملة من العلماء والتجار فكانوا يتشاورون في أي كتاب يطبعونه ليكون به النفع الدنيوي والأخروي فجرى على لساني قولي لهم: اطبعوا **مختصر الزبيدي**" فشرعوا فيه من غير إمهال ..)[1].

**الإسناد العالي**: هو ما قرب رجال سنده من رسول ا ﷺ بسبب قلة عددهم إذ قيسوا بسند آخر يرد في ذلك الحديث نفسه بعدد كثير وهذا النوع من العلو هو أجل الأسانيد شريطة أن يكون بإسناد صحيح[2].

ووجد بمكة اهتمام ما بقراءة بعض المصنفات في العوالي، فكان الشيخ شهاب الدين الشاري (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)[3]، يقرأ بمكة "**الجواهر الغوالي في بيان الأسانيد العوالي**" لمحمد البديري الدمياطي[4] وهو ثبت رواياته [5] .

**الأحاديث المسلسلة: المسلسل**: هو الحديث المسند المتصل الخالي من التدليس الذي تتكرر في وصف روايته عبارات أو أفعال متماثلة بنقلها كل راو عمن فوقه في السند حتى ينتهي إلى رسول ا ﷺ[6].

---

(١) الحضراوي: نزهة الفكر، ص١٦٥ـ ١٦٦.

(٢) صبحي الصالح: علوم الحديث، ص٢٣٦؛ انظر: أحاديث حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص١٥٠

(٣) هو شهاب الدين أحمد بن عبد ا الشاري ، ولد بالسودان عام (١٠٦٠هـ/١٦٥٠م) ثم رحل إلى مكة فجاور بها، توفي عام (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م). انظر : ابن البيطار : حلية البشر، ج١، ص١٩٨، ٢٠٠.

(٤) هو: محمد البديري الدمياطي (ت١١٤٠هـ/١٧٢٧م) من علماء الأزهر الشريف رحل إلى مكة فعلم ودرس أخذ عنه عدد كبير من علمائها، الجبرتي: عجائب الآثار، ج ١، ص١٤٠.

(٥) دار الكتب المصرية: مخطوط تحت رقم ٤٢، مصطلح حديث، تيمور، ق١، ٦، ٩.

(٦) صبحي الصالح: علوم الحديث، ص٢٤٩.

ومن هذه الأحاديث: **المسلسل بالأولية**: وأخذ الحديث اسمه من كون كل راوي في سلسلة الإسناد يصرح بأن هذا أول حديث سمعه من شيخه[(١)].

**وحديث الأولية**: هو حديث عبد ا بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: ((الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء))[(٢)]

وقد اشتهرت المسلسلات بمكة فترة البحث، ولا سيما حديث الأولية، فعلى سبيل المثال كان أحمد الضحاك (ت١٢١٠هـ/١٧٩٥م) يروي بالمسجد الحرام سلسلة **حديث الرحمة المسلسل بالأولية**[(٣)] ، كما أن حسين الحبشي (ت١٣٣٠هـ/ ١٩١١م) كان يقرأ عليه الطلبة **الأحاديث المسلسلة**[(٤)].

**الكتب والأجزاء الحديثية:** وهي تأليف في الأحاديث المروية عن رجل واحد من الصحابة أو من بعدهم، وقد يختارون موضوعاً من الموضوعات الحديثية يصنفون فيها جزأً مبسوطاً **بالأسانيد** كجزء البخاري في القراءة خلف الإمام[(٥)].

**ومحذوفات الأسانيد**: هي الكتب التي جمع فيها أصحابها أجزاء في موضوعات معينة مع حذف الأسانيد والاكتفاء إلى العزو للكتب التي أخرجتها.

وقد تنوعت هذه الكتب الحديثية خلال فترة البحث بمكة: فكان الطلبة يقرءون على أحمد دحلان (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) **"رياض الصالحين" و"الأذكار" للنووي**[(٦)]، وقرأ عبد الستار الدهلوي على محمد سعيد بابصيل (ت١٣٣٠هـ/ ١٩١١م) **رياض الصالحين**[(٧)]، وسمع عيدروس البار على حسين الحبشي (ت١٣٣٠هـ/ ١٩١١م)

---

(١) المرجع السابق، ص٢٥٠.

(٢) الترمذي: السنن، ج٣، ص٢١٧.

(٣) جعفر اللبني: الحديث شجون، ق٧٨.

(٤) الحبشي: الدليل المشير، ص٢١.

(٥) راجع في تعريف الأجزاء الحديثية : محمد جعفر الكتاني: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، (ط٢، بيروت، دار الفكر: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٦٤.

(٦) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص١٤٠.

(٧) عبد الستار الدهلوي: نثر المآثر، ق١٧.

عدة كتب حديثية منها "**عمل اليوم والليلة**" و "**مختصر ابن أبي جمرة**" و "**منتخب كنز العمال**" و"**الأذكار**" [١].

و"**عمل اليوم والليلة**"، هو جزء من السنن الكبرى للنسائي، وهو في الدعوات والأذكار الموظفة في اليوم والليلة[٢]. و"**كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**" لعلي بن حسام الدين الهندي[٣].

**علم الأوائل : هو** علم يتعرف منه على أوائل الوقائع والحوادث بحسب المواطن والنسب[٤]، وقد اهتم المحدثون بهذا العلم باعتبار أوائل الكتب المصنفة في الحديث المشهورة كالكتب الستة، فصار هذا العلم من علوم الحديث، يذكر الكتاني أنه في الزمن الأخير لما كسلت الهمم وعدمت مصنفات الحديث أو كادت، وثقل على الناس الرحلة بأسفار السنة الضخمة إلى البلاد ليسمعوها على المشايخ عدلوا إلى جمع أوائل المصنفات في كراسة أو أكثر، يحملها الطالب فيقرأها على مشايخه فيرجع من رحلته أو وجهته وهو يقول: أروي المصنف الفلاني عن شيخي سماعاً لأوله وإجازة لباقيه [٥].

واعتنى علماء مكة بهذا العلم ودرسوه في جنبات المسجد الحرام، فقد سمع علي بن السقاط المصري أثناء مجاورته بمكة من أحمد النخلي (ت١١٣٠هـ/١٧١٧م) **أوائل الكتب الستة** وأجازه[٦]، وقرأ أبو بكر الزرعة (ت ١٨٤٥/١٢٦٢م) على عمر عبد رب الرسول (ت١٨٣١/١٢٤٧م) **أوائل الكتب**

---

(١) الحبشي: الدليل المشير ، ص٢٢.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص١٧٥.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص ٤٦٨، ٤٦٩؛ ج٢، ص٤٣٦.

(٤) نفسه، ج١، ص ٢٠٦.

(٥) ابن الديبع عبد الرحمن بن علي الشيباني (ت٩٤٤هـ/١٥٣٧م) صاحب كتاب بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، انظر: محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من جاء بعد القرن السابع، (القاهرة، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م)، ج١، ص٣٣٥؛ الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ٩٤- ٩٥.

(٦) الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص٣٨٣.

**الحديثية**[1]، كما درس محمد سعيد بابصيل (ت١٣٣٠هـ/ ١٩١١م) **أوائل ابن ماجة وأبي داود والنسائي**[2]، وقرأ عبد ا مرداد (ت١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) على عباس جعفر الحنفي (ت١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) رسالة **إسماعيل العجلوني** في أوائل الحديث وأجازه بها[3]، كما كان حسين الحبشي (ت١٣٣٠هـ/١٩١١م) يقرأ عليه الطلبة **الأوائل العجلونية**[4]، ودرسها محمد صالح كمال (ت١٣٣٢هـ/١٩١٣م)[5] وعمر باجنيد (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م ) [6].

**الأربعينات في الحديث** وهي : كتب اشتمل كل منها على أربعين حديثاً فقد ورد من طرق كثيرة متنوعة أن رسول ا ﷺ قال: ((من حفظ على أمتي أربعين حديثاً في أمر دينها بعثه ا تعالى يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء))[7] .

وأشهرها عند المتأخرين: "**الأربعون النووية**"، وقد جمعها النووي بحيث يصدق على كل حديث منها أنه قاعدة عظيمة من قواعد الدين، ومعظمها من الصحيحين، وقد اعتنى العلماء بها[8]، ومنهم علماء مكة الذين قاموا بتدريسها للطلبة فممن كان يقرأها على الطلبة حسين الحبشي (ت١٣٣٠هـ/**١٩١١م) [9]،** وجعفر اللبني (ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م) [10].

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٢١.

(٢) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٥٤٣

(٣) غازي: نثر الدرر، ق٤٢.

(٤) الحبشي: الدليل المشير ، ص٢١.

(٥) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٠٧.

(٦) الحبشي: الدليل المشير ، ص٢٢.

(٧) قال النووي: واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه، النووي: الأربعين النووية بشرح ابن دقيق العيد، ص٥.

(٨) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص ١٠٨.

(٩) الحبشي: الدليل المشير ، ص٢٢.

(١٠) غازي: نثر الدرر، ق٢٦ـ ٢٧.

**مصطلح الحديث:** هو علم بأصول وقواعد يعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول والرد، لا يستغني عنه طالب الحديث[1]، فهو خادم له، لذا كان الطلاب يكتفون ببعض المصنفات فيه، فكان العلماء يدرسونهم "**نخبة الفكـر**" لابـن حجـر العسقلاني، تناوله العلماء بالشرح والتحشية والنظم، وحفظه الطلاب نثراً ونظماً[2]، وقد درسها عبد القادر بن محمد علي خوقير (من علماء القرن الثالث عشر الهجري)[3]، كما قام بتدريسها الحسين الحبشي (ت١٣٣٠هـ/١٩١١م)[4]، **و**أحمـد النجـار (ت١٣٤٦/١٩٢٧م)، وجمال المالكي (ت١٣٤٩هـ / ١٩٢٠م)[5] .

**علم الرجال أو(علم الجرح والتعديل):** فهو من فروع الحديث رواية، يعنى بأحوال الرواة وأسمائهم وأنسابهم، ووفياتهم، وصفات الرواة وعدالتهم وضبطهم، وما إلى ذلك[6]. وقد اعتنى علماء مكة بتدريس هذا الفرع من علوم الحديث ، فعلى سبيل المثال كان أحمد زيني دحلان (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) يدرس لطلبته كتاب "**تحفة أهل التحديث عن شيوخ الحديث**" لابن حجر[7].

---

(١)محمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث، ( ط٩، الرياض، مكتبة المعارف: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ص١٥.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص ٧٤٦.

(٣) خوقير: ثبت الأثبات، ق٩.

(٤) الحبشي: الدليل المشير، ص٢١.

(٥) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٤٨.

(٦) محمد أبو شهبة: المدخل في علم الحديث، (القاهرة، دار الفكر)، ص٧٧.

(٧) الحضراوي: نزهة الفكر، ص١٨٨.

* **الفقه وأصوله**:

**الفقه:** هو العلم بالأحكام الشرعية العلمية من أدلتها التفصيلية، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه على سائر العلوم[1]، قال رسول ا ﷺ: ((من يرد ا به خيراً يفقهه في الدين))[2]، وبين ابن دقيق العيد أهمية هذا العلم وشرفه إذ قال: (إن الفقه في الدين منزلته لا يخفى شرفها وعلاها ولا يحتجب عن القول طوالها وأضواها)[3].

وتعددت **مذاهب الفقه** فغدت **أربعة مذاهب إسلامية** وهي **الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي**، ويرى بعض الباحثين أنه وبعد ظهور هذه المذاهب مع نهاية القرن الثاني للهجرة أغلق باب الاجتهاد أو كاد، وأصبح الاعتماد عليها بشكل كلي، فظهر التقليد والمحاكاة[4]، وأصبح المسلمون في جميع أنحاء العالم الإسلامي يتبعون المذهب الذي يرتضيه كل قطر.

ويؤكد باحث أخر أن **العصر العثماني لم يكن** بمنأى عن العصور التي سبقته فقد **شاع التقليد** في هذا العصر، وأن غالب من تصدر للكتابة عن الفقه في هذا العصر متهم بالجمود والتقليد الذي أدى إلى التأخر العلمي وركود حركة الاجتهاد، حيث أصبح أقصى ما يصبو إليه العالم العكوف على مذاهب أولئك المجتهدين السابقين، و دراسة كتبهم المذهبية بشرحها أو اختصارها أو التعليق على بعضها ليفتي بها، أو يجمع شتات كتب المذاهب في كتاب خاص بها[5].

والحقيقة أننا نكاد نجزم أن هذه الآراء والأقوال فيها نوع من التحامل، فكون الأئمة الفقهاء المتأخرين كانوا منتسبين إلى أحد المذاهب الأربعة، فهذا لا يعني عدم وجود مجتهدين، فمن جور القول أن يتم التسوية في مراتب العلم بين كبار الفقهاء

---

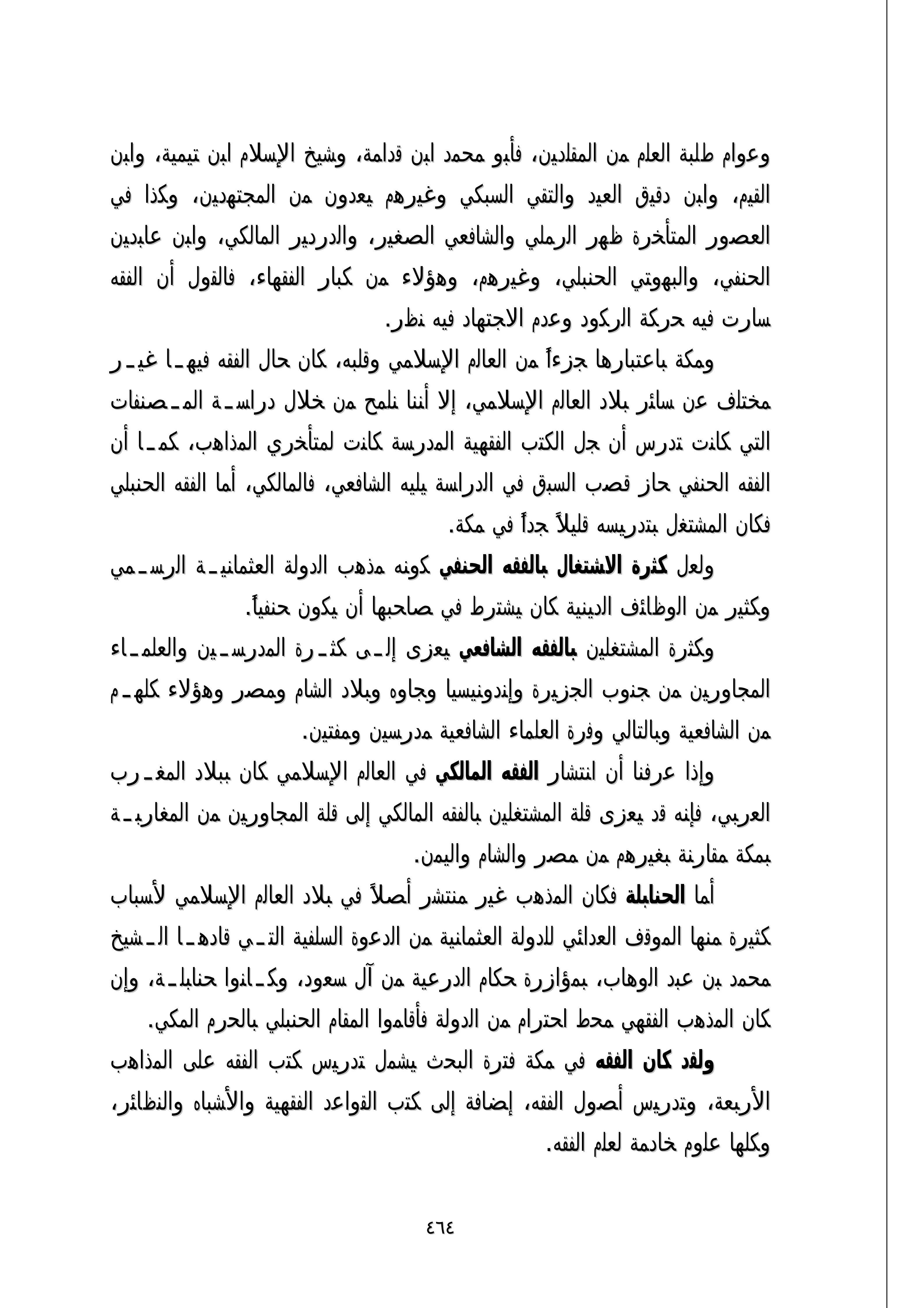
(١) ابن منظور: لسان العرب، ج٥، ص٣٤؛ أبو سليمان: الفكر الأصولي، ص١٦.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، ج١، ص١٩٧.

(٣) كمال الدين جعفر الإدفوي : الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق: سعد محمد حسن ، (القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة: ١٩٦٦م) ، ص٥٨٧.

(٤) أبو زيد شلبي: تاريخ الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية (ط٦، القاهرة، مكتبة وهبة: ١٩٨٨م)، ص٢١٧.

(٥) عبد الفتاح الشيخ: فقه العبادات، (القاهرة: ١٤١٦هـ)، ص١٢٩.



وعوام طلبة العلم من المقلدين، فأبو محمد ابن قدامة، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن دقيق العيد والتقي السبكي وغيرهم يعدون من المجتهدين، وكذا في العصور المتأخرة ظهر الرملي والشافعي الصغير، والدردير المالكي، وابن عابدين الحنفي، والبهوتي الحنبلي، وغيرهم، وهؤلاء من كبار الفقهاء، فالقول أن الفقه سارت فيه حركة الركود وعدم الاجتهاد فيه نظر.

ومكة باعتبارها جزءاً من العالم الإسلامي وقلبه، كان حال الفقه فيها غير مختلف عن سائر بلاد العالم الإسلامي، إلا أننا نلمح من خلال دراسة المصنفات التي كانت تدرس أن جل الكتب الفقهية المدرسة كانت لمتأخري المذاهب، كما أن الفقه الحنفي حاز قصب السبق في الدراسة يليه الشافعي، فالمالكي، أما الفقه الحنبلي فكان المشتغل بتدريسه قليلاً جداً في مكة.

ولعل **كثرة الاشتغال بالفقه الحنفي** كونه مذهب الدولة العثمانية الرسمي وكثير من الوظائف الدينية كان يشترط في صاحبها أن يكون حنفياً.

وكثرة المشتغلين **بالفقه الشافعي** يعزى إلى كثرة المدرسين والعلماء المجاورين من جنوب الجزيرة وإندونيسيا وجاوه وبلاد الشام ومصر وهؤلاء كلهم من الشافعية وبالتالي وفرة العلماء الشافعية مدرسين ومفتين.

وإذا عرفنا أن انتشار **الفقه المالكي** في العالم الإسلامي كان ببلاد المغرب العربي، فإنه قد يعزى قلة المشتغلين بالفقه المالكي إلى قلة المجاورين من المغاربة بمكة مقارنة بغيرهم من مصر والشام واليمن.

أما **الحنابلة** فكان المذهب غير منتشر أصلاً في بلاد العالم الإسلامي لأسباب كثيرة منها الموقف العدائي للدولة العثمانية من الدعوة السلفية التي قادها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بمؤازرة حكام الدرعية من آل سعود، وكانوا حنابلة، وإن كان المذهب الفقهي محط احترام من الدولة فأقاموا المقام الحنبلي بالحرم المكي.

**ولقد كان الفقه** في مكة فترة البحث يشمل تدريس كتب الفقه على المذاهب الأربعة، وتدريس أصول الفقه، إضافة إلى كتب القواعد الفقهية والأشباه والنظائر، وكلها علوم خادمة لعلم الفقه.

*** كتب المذاهب الأربعة الفقهية التي درست بمكة فترة البحث:**

كانت الدراسة الفقهية في مكة **دراسة مذهبية**، لا يتجاوز الطالب أحد المذاهب الأربعة المتبوعة، وكان لمدرسي كل مذهب من المذاهب الأربعة **متونهم الفقهية الأولية والمتوسطة والعالية**، يتدرجون بطلابهم في دراستها حسب إتقانهم وفهمهم للمرحلة التي قبلها، فلم تكن الكتب التي تدرس بمكة بمستوى تحصيل واحد.

وبإطلالة سريعة على مصنفات الفقه التي كانت تدرس في مكة نجد ما يلي:

**- الفقه الحنفي:**

المصنفات في الفقه الحنفي، تعد أكثر المصنفات في الفقه الإسلامي مطلقاً، وذلك لأن الفقهاء الحنفية عموا طباق الأرض شرقاً وغرباً، ووضعوا المتون والشروح والفتاوى ، وظهرت مصنفات رائعة في ذلك، إذا اطلعت على كل واحد بانفراد، وعلى اشتغال العلماء به، وثنائهم عليه خلت أنه المصنف الأوحد في بابه.

وقد اشتغل المكيون بجملة من هذه الكتب المصنفة، منها كتاب "**الجامع الصغير**"[١]، لمحمد بن الحسن الشيباني (ت١٨٧هـ/٨٠٢م) وهو من أقدم كتب الحنفية[٢]، وممن تولى تدريسه بمكة فترة البحث عمر عبد رب الرسول (ت١٢٤٧هـ/١٨٣١م)[٣].

كذلك درس المكيون كتاب "**مختصر القدوري**" لأبي الحسن أحمد القدوري البغدادي (ت ٤٢٨/١٠٣٥م)، وهو من **أعظم متون الفقه الحنفي**، اشتغل به العلماء شرحاً وتحشية ونظماً وتعليقاً[٤]، وممن درسه من علماء مكة على سبيل المثال محمد المرزوقي (ت١٢٦١هـ/١٨٤٥م)[٥].

ومما درسه المكييون من كتب الفقه الحنفي : **كتاب "الهداية"،** لبرهان الدين علي المرغيناني (ت٥٩٣هـ/١١٩١م) وقد اعتنى به الفقهاء شرحاً وتحشية [٦]،

---

(1) Ibn Dohaish, op. cit , p188.

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون، ج١، ص٤٤٣.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٦٣؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٢١.

(٤) حاجي خليفة : كشف الظنون، ج ٢، ص٥٢١.

(٥) الحبشي: الدليل المشير ، ص٣٩٩.

(٦) حاجي خليفة : كشف الظنون، ج ٢، ص٨١٦.

ومن علماء مكة الذين درسوا "**الهداية**" محمد صالح كمال (ت ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م) وكان يمدحه ويقول: (ما ألف كتاب مثله)[١]، ودرسه كذلك حسين حبشي (ت١٣٣٠هـ/١٩١١م)[٢]، وعلي بابصيل (ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)[٣].

كما درس كتاب "**المختار في فروع الحنفية**"، لمجد الدين عبد ا الموصلي الحنفي(ت٦٨٣هـ/١٢٨٤م)، وقد توالت شروحه وحواشيه[٤]، ومن أشهر حواشيه: "**رد المحتار على الدر المختار**" للسيد محمد أمين بن عابدين، المشهور بـ"**حاشية ابن عابدين**"[٥]، وقد اشتهرت بين الطلبة[٦]، وقد اعتنى علماء مكة بتدريس "**الدر المختار**" **وحواشيه** منهم عمر عبد رب الرسول (ت١٢٤٧هـ/١٨٣١م)[٧]، وأحمد مرداد (ت١٣٣٥هـ - /١٩١٦م)[٨] وجعفر اللبني (ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م)[٩]، وعبد الحميد فردوس (ت١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)[١٠].

ودرس علماء مكة أيضاً كتاب "**منية المصلي وغنية المبتدي**" لمحمد بن محمد سديد الدين الكاشغري (٧٠٥هـ/١٢٠٥م)[١١]. وممن تولى تدريسه عبد الرحمن العجيمي (ت١٣٠١هـ/١٨٨٣م)[١٢].

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٠٧.
(٢) حسين الحبشي: الدليل المشير، ص٢١.
(٣) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٤٨ - ٥٠.
(٤) حاجي خليفة : كشف الظنون، ج ٢، ص٥١٣، ٥١٤.
(٥) البغدادي: هدية العارفين، ج ٣، ص٣٥١.
(٦) حاشية ابن عابدين ،ج ٤ ص: ١١٨.
(٧) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٦٣؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٢١.
(٨) مرداد أبو الخير: ص ٢٣٦.
(٩) غازي: نثر الدرر، ق٢٦ - ٢٧.
(١٠) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٣٦.
(١١) حاجي خليفة : كشف الظنون، ج ٢، ص٧٠٨.
(١٢) غازي: نثر الدرر، ق٤٢.

كما درس كتاب "**التوضيح شرح تنقيح الأصول"،** لعبيد ا  البخاري الحنفي (ت٧٤٧هـ) ، وشرحه **التاويح في كشف حقائق التنقيح**[1]، لمسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩٢هـ) [2].

كما اشتهر من المتون الحنفية بمكة كتاب "**كنز الدقائق في فروع الحنفية**" لعبد ا  بن أحمد النسفي (ت٧١٠هـ/١٢١٠م) اعتنى به الفقهاء شرحاً واختصاراً فشرحه ابن نجيم وسماه "**البحر الرائق**"، وشرحه معين الدين الهروي المعروف **بملا مسكين**(ت٩٥٤هـ/١٥٤٧م)، وشرحه بدر الدين العيني(ت٨٥٥هـ/١٤٥١م) وسماه "**رمز الحقائق**"[3].

وقد انتشر تدريس "**كنز الدقائق" وشروحه** بين المكيين، فعلى سبيل المثال درس محمد علي بن سليمان مرداد (ت١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م) **شرح ملا مسكين** على "**الكنز**"[4]، كما درس محمد مكي الكتبي الحنفي(ت ١٣٠٩هـ/١٨٩١م) "**شرح الكنز**"[5]، ودرس أحمد مرداد (١٣٣٥هـ/١٩١٦م) "**شرح العيني مع الكنز" مع "حاشية ابن عابدين" عليها و"حاشية القلعي**"[6].

أيضاً درس جعفر اللبني (١٣٤٠هـ/١٩٢١م) شرح **ملا مسكين على "الكنز**"[7] ، كما قرأ عبد الحميد فردوس (ت١٣٥٢هـ) على بعض علماء مكة شرح **العيني على "الكنز**"[8] .

ومن **المتون المشهورة** التي اعتنى بها المكيون غير ما ذكر **كتاب "ملتقى الأبحر"** لإبراهيم بن محمد الحلبي(ت٩٥٦هـ/١٥٤٩م)، اعتنى به العلماء ووضعوا

---

(1) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٤٠٠.

(2) Ibn Dohaish, op. cit , p188.

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون، ج ٢، ص٤٣٤.

(٤) جعفر اللبني: الحديث شجون، ق٧٨.

(٥) عبد الستار الدهلوي: نثر المآثر، ق١٥.

(٦) مرداد أبو الخير : نشر النور والزهر، ص ٢٣٦.

(٧) غازي: نثر الدرر، ق٢٦ـ ٢٧.

(٨) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٣٦.

عليه شروحاً عديدة منها "**الدر المنتقى شرح الملتقى**" لعلاء الدين الحصفكي (ت١٠٨٨هـ/١٦٧٧م) وهو مما كان يقرؤه المكيون من **شروح ملتقى الأبحر**[(١)].

فعلى سبيل المثال كان محمد المرزوقي(١٢٦١هـ/١٨٤٥م) يدرس بالحرم المكي "**الدر المنتقى شرح الملتقى**" [(٢)].

كما عرف أيضاً في التدريس عندهم كتاب "**مراقي الفلاح بإمداد الفتاح في شرح نور الإيضاح ونجاة الأرواح**" لحسن بن الشرنبلالي (ت١٠٦٩/١٦٥٨م)[(٣)]، قام بتدريسها عدد من علماء مكة منهم: محمد علي بن سليمان مرداد (ت١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م)[(٤)] وعبد الرحمن العجيمي (ت١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م)[(٥)].

**ـ الفقه الشافعي:**

تطورت **المؤلفات في الفقه الشافعي** شأن بقية المذاهب، وقد تناولها العلماء بالشرح والبسط، ومن أعظم المؤلفات في ذلك كتاب إمام الحرمين عبد الملك بن عبد ا الجويني، (ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، "**نهاية المطلب في دراية المذهب**"، في أربعين مجلداً[(٦)]**،** ثم اختصره محمد **الغزالي** (ت ٥٠٥هـ/١١١١م) في "**البسيط**" ثم اختصره في "**الوسيط**" ثم اختصره في "**الوجيز**"[(٧)]، واشتغل العلماء بـ"**الوجيز**" حتى عد بعضهم له سبعين شرحاً[(٨)]، وشرحه أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي (ت٦٢٣هـ/١٢٢٦م) في **الشرح الكبير** المسمى "**بفتح العزيز**"، ثم اختصر **الشرح الكبير** وسماه "**المحرر**"**،** فقام يحيى بن شرف الدين النووي

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون، ج ٢، ص٦٥٥.

(٢) الحبشي: الدليل المشير ، ص٣٩٩.

(٣) ونور الإيضاح مقدمة للشرنبلالي شرحها في إمداد الفتاح ثم وضع عليه المراقي ، انظر: حاجي خليفة : كشف الظنون، ج ٢، ص٧٧٨؛ البغدادي: هدية العارفين، ج ٥، ص٢٤١؛ ج٦، ٣١٠.

(٤) جعفر اللبني: الحديث شجون، ق٧٨.

(٥) غازي: نثر الدرر، ق٤٢.

(٦) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص ٧٨٤.

(٧) المصدر السابق، ج١، ص ٣٩٦.

(٨) نفسه: ، ج٢، ص ٧٩٣.

(ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م) بوضع مختصر "للشرح الكبير"، وسماه "**روضة الطالبين**"، كما وضع مختصراً "**للمحرر**" وسماه "**منهاج الطالبين**" [(١)].

ومن كتب الفقه الشافعي التي درست بمكة كتابي إبراهيم بن محمد الشيرازي (ت٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م) "**المهذب**" و"**التنبيه**" [(٢)]، كما درس كتاب النووي (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م) "**التحرير**" وهو الكتاب الذي وضعه لبيان لغات **التنبيه** وضبط ألفاظه، وعلى **التحرير** وضع حمزة الحسيني (ت٨٦٣هـ/١٤٥٨م) شرحاً سماها "**الإيضاح**"[(٣)].

وممن درس "**التنبيه**" من علماء مكة عمر باجنيد (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)[(٤)] كما درس الحسين الحبشي (ت١٣٣٠هـ/١٩١١م) "**الإيضاح**"[(٥)]

كما كان يدرس كتاب "**الزبد**" لابن رسلان الرملي (ت ٨٤٤هـ/١٤٤٠م) اعتنى العلماء بحفظه وشرحه، ومن أشهر شروحه شرح **الفشني** أحمد بن حجازي (ت ٩٧٨هـ/١٥٧٠م)، وممن تولى تدريس "**شرح الفشني**" أحمد الخطيب (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) [(٦)].

كما درس كتاب "**متن أبي شجاع**" هو من أشهر متون الشافعية، وضعه أحمد بن الحسين الأصفهاني (ت٥٠٠هـ/١١٠٦م)، وشرحه أحمد بن محمد المنوفي (ت٩٣١هـ/١٥٢٤م) في شرح كبير سماه **الإقناع**[(٧)]، كما شرحه محمد الشربيني وسماه "**الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع**"[(٨)] وعليه **حاشية البجيرمي**.

---

(١) نفسه، ج٢، ص ٥٠٦.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص ٧٢٨، ٧٩٣.

(٣) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص ٣٩٦.

(٤) الحبشي: الدليل المشير ، ص٢٢.

(٥) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٢١، ٢٢، ٤٤.

(٦) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٤٨.

(٧) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص ٥١٦.

(٨) البغدادي: هدية العارفين، ج٤، ص٣٠٠.

**وممن درس "الإقناع" وحواشيه** أحمد الخطيب (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م)[١]**.**

**كما درس** عمر باجنيد **(ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) الإقناع بحاشية البجيرمي**[٢].

كما اهتم المكيون بتدريس "**المقدمة الحضرمية**" لعبد ا بن عبد الرحمن بافضل الشافعي (ت١٠٣٣هـ/١٦٢٣م)[٣]، فممن درسها للطلبة محمد أبو الخير (ت١٢٩٤هـ/١٨٧٧م)[٤] كما اعتاد عمر شطا (ت١٣٣١هـ/١٩١٤م) تدريسها وقراءتها على طلابه بالمسجد الحرام على الدوام وربما **كررها سنين وأعواماً دون تغييرها**، فقد ذكر مرداد أبو الخير عنه أنه: (درس بالمسجد الحرام وكان يقرأ كتباً معلومة على الدوام ، كلما ختمها يعيدها مرة أخرى، وفي ظني أنه قرأها نحواً من أربعين نوبة، بل أكثر من ذلك، وهي **متن بافضل** في الفقه الشهير **بالمقدمة الحضرمية**)[٥].

أما كتب **المنتهين** فكانت "**منهاج الطالبين" للنووي** بشروحه، وشروح "**المقدمة الحضرمية**"، وشرح "**متن أبي شجاع**"، "**البهجة**" وشرحها[٦].

"**ومنهاج الطالبين"،** وهو المشار إليه قبلاً، هو أعظم ما صنف في خلاصة المذهب، وقد اعتنى بهذا المختصر جملة من العلماء، وصنفوا فيه الكتب الشارحة والناظمة والمطولة والمختصرة، وقد اعتنى المكيون بهذا الكتاب وشروحه، فظهر فيما يدرس بالحرم المكي من شروحه:

- "**المحلي على المنهاج**" أسماه "**كنز الراغبين** شرح منهاج الطالبين" لمحمد بن أحمد المحلي (ت٨٦٤هـ/١٤٥٩م)[٧].

---

(١) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٤٨.

(٢) الحبشي: الدليل المشير ، ص٢٢.

(٣) البغدادي: هدية العارفين، ج٤، ص٣٦٢.

(٤) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٤٨.

(٥) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٧٨.

(٦) Ibn Dohaish, op. cit , p188.

(٧) حاجي خليفة : كشف الظنون، ج ٢، ص٦٩٩.

- "**منهج الطلاب**" لزكريا الأنصاري، (ت ٩٢٦هـ/١٥١٩م)، وهو مختصر المنهاج، ثم شرح مختصره في "**فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب**"[(١)].

- "**مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**" لمحمد بن أحمد الشربيني (ت٩٧٧هـ/١٥٦٩م)[(٢)].

- "**تحفة المحتاج في شرح المنهاج**" لأحمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي (ت١٥٦٦/٩٧٤م)[(٣)].

- "**نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**" لمحمد بن أحمد الرملي (ت١٠٠٤هـ/ ١٥٩٥م)[(٤)].

وممن درس من علماء مكة كتاب "**المنهاج**" **وشروحه** محمد بن سليمان مرداد (ت١٢٩٤هـ/١٨٧٧م ) كان يدرس "**التحفة شرح المنهاج**"، **و** "**المنهاج بشرح المحلى**"[(٥)]، كما درس أحمد دحلان(ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) "**المنهاج**"[(٦)] ودرس أبو بكر شطا (ت١٣١٠هـ/١٨٩٢م) **التحفة شرح المنهاج**[(٧)]، ودرس الحسين الحبشي(١٣٣٠هـ/١٩١١م) "**المنهاج**" **و**"**المحلي**" **على المنهاج**[(٨)] ودرس أحمد بن أبي بكر شطا (ت١٣٣٢هـ/١٩١٣م) "**فتح الجواد**"، **و**"**المنهاج**"[(٩)]. كذلك درس أحمد الخطيب (١٣٣٤هـ/١٩١٥م) "**مغني المحتاج على المنهاج**"[(١٠)] ، وقرأ عمر داغستاني على عبد الكريم الداغستاني (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م) **التحفة**[(١١)]

---

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص٧٠٠؛ هدية العارفين، ج٥، ص ٣٠٨.

(٢) البغدادي: هدية العارفين، ج٤، ص١٩٨.

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون، ج٢، ص٦٩٨؛ هدية العارفين ج٥، ص١٢١، ١٢٤.

(٤) البغدادي: هدية العارفين، ج٤، ص٣٩٣؛ ج٦، ص٢٠٦.

(٥) مرداد أبو الخير، نشر النور ، ص٤٩٠؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٥٤٣.

(٦) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص١٤٠.

(٧) أحمد الخطيب: القول التحيف ، ص٩.

(٨) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٢١، ٢٢، ٤٤.

(٩) غازي: نظم الدرر، ق١٦١؛ الحبشي: الدليل المشير ، ص ٤٨ ـ ٥٠.

(١٠) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٤٨.

(١١) غازي: نثر الدرر، ق٤٦.

ودرس عمر باجنيد (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) في الحرم الشريف "**المنهاج" وشروحه "فتح الوهاب" ، و"مغني المحتاج**" وقد جمع من كتاباته عليه حاشية في عدة مجلدات[١] ، كما اعتاد عمر الداغستاني (ت١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م) تدريس كتاب "**نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج" للرملي** بحلقة درسه بالمسجد الحرام وبغرفته الخاصة بمدرسة الداودية[٢].

ومن كتب الشافعية التي درست بمكة فترة البحث كتاب "**الحاوي الصغير**" لعبد الغفار بن عبد الكريم القزويني (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦مم) وقد نظمه عمر بن مظفر الوردي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) في "**البهجة الوردية**"[٣]، وممن درس "**البهجة**" للطلبة محمد الخياط (ت١٣٣٠هـ/١٩١١م)[٤].

كما درس كتاب "**فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين**"، لزين الدين عبد العزيز زين الدين، وهو الكتاب الذي شرحه **أبو بكر بن محمد شطا** في "**إعانة الطالبين**"[٥]، وممن تولى **تدريس "فتح المعين**" للطلبة على سبيل المثال: محمد أبو الخير (ت١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م)[٦]، وأبو بكر شطا(ت١٣١٠هـ/١٨٩٢م)[٧]، وعمر باجنيد (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)[٨].

**ـ الفقه المالكي:**

مما كان يدرس بمكة في الفقه المالكي للطلاب المبتدئين كتاب "**مختصر الأخضري" و"حاشية الصفتي على الجواهر الزكية**"[٩]، **و"الجواهر الزكية في حل**

(١) الحبشي: الدليل المشير ، ص٢٢؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٤٢٤.

(٢) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٢٤١.

(٣) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص ٤٨٩.

(٤) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٤٨ ـ ٥٠.

(٥) إعانة الطالبين، ج١، ص ٣.

(٦) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٤٨.

(٧) أحمد الخطيب: القول التحيف ، ص٩.

(٨) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٤٨.

(٩) Ibn Dohaish, op. cit , p188.

**ألفاظ العشماوية**" لأحمد بن تركي المالكي (ت ٩٩٩هـ/١٥٩٠م)[١]، و"**العشماوية**" لعبد الباري العشماوي[٢]، و"**أقرب المسالك**" لأحمد الدردير (ت١١٠١هـ/١٦٨٩م)[٣]، و"**المقدمة العزية**" لعلي بن ناصر الدين المنوفي [٤]، ورسالة "**ابن أبي زيد القيرواني**"، مع شرحها "**كفاية الطالب الرباني**" لرسالة ابن أبي زيد القيرواني" لأبي الحسن بن محمد المنوفي (ت ٩٣٩هـ/١٥٣٢م)[5].

وتتم دراسة مذهب الإمام مالك للطلاب المنتهين بدراسة شروح كتاب "**مختصر خليل**" لخليل بن إسحاق الجندي (ت٧٦٧هـ/١٣٦٥م) [٦].

ـ **وأما المذهب الحنبلي؛** فلم أعثر على مؤلفات كانت تدرس في المسجد الحرام، وإن جاء في ترجمة الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى الحنبلي (ت١٣٢٨هـ/١٩١٠م) أنه كان يدرس الفقه بالحرم، عند باب السلام[٧]، فلا بد أن يكون في الفقه الحنبلي، وقد ذكر بعضهم أن الحنابلة كانوا يدرسون كتاباً للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت١٠٣٣هـ/١٦٢٣م)[٨]، فلعله كتاب "**غاية المنتهي**" [٩].

**ـ علم الفرائض (المواريث):**

هو علم يبحث فيه عن أحوال قسمة التركة بين الورثة ، على فروض مقدرة في كتاب ا وسنة رسوله صلى ا عليه وسلم وإجماع أمته[١٠].

---

(١) البغدادي: هدية العارفين، ج ٣، ص ٢٣٧.

(٢) المصدر السابق، ج٤، ص ٣٦٣؛ ج٥، ص٤٠٣.

(٣) نفسه، ج٣، ص٧٢.

(٤) نفسه، ج٤، ص ٣٦٣.

(5) Ibn Dohaish op. cit , p188.

(٦) Ibid ., p. 188.

(٧) أبو بكر خوقير: ثبت الأثبات، ق5.

(٨) أبو سليمان: الحرم الشريف الجامع والجامعة، ص ٨٧.

(٩) البغدادي: هدية العارفين، ج٦، ص ٣٣٢.

(١٠) طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج٢، ص556؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص512.

واعتاد الطلاب أن يحفظوا منظومات في الفرائض تسهيلاً للحفظ، وأشهر هذه المنظومات: "**غنية الباحث**" وتسمى "**الرحبية**" ليوسف بن عبد اللطيف الرحبي **الشافعي ، و"السراجية"** لسراج الدين محمد بن محمود السجاوندي **الحنفي** [(١)].

فقد قرأ جامع بن عبد الرشيد البوقيسي على أحمد دحلان (١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) **الرحبية**[(٢)] كما اعتاد تدريس "**الرحبية**" وشرحها صالح بافضل (ت١٣٣٣هـ/١٩١٤م)[(٣)]، كما أن أحمد مرداد (١٣٣٥هـ/١٩١٦م) كان يقرأ عليه الطلبة "**السراجية**" [(٤)] .

**- أصول الفقه:**

**أصول الفقه:** هو علم يعرف به النظر في الأدلة الشرعية من حيث استنباط الأحكام والتكاليف وأصول الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس[(٥)].

وهو من العلوم المهمة التي لا يتضلع بها إلا كبار العلماء، فالحوادث لكثرتها وعدم انقطاعها ما دامت الدنيا غير داخلة تحت حصر الحاصرين فلا يعلم أحكامها جزئياً، لذا فالفقهاء يستنبطونها معتمدين على كيفية الاستدلال المنضبطة بعلم أصول الفقه[(٦)].

**أما كتب أصول الفقه:** فقد كان الاهتمام بها كبيراً في مكة من حيث إن أصول الفقه علم خادم للفقه، لا يستغني عنه الفقيه في معرفة أصول الاستدلال واستنباط الأحكام التفصيلية من أدلتها، فمن كتب أصول الحنفية التي كانت تدرس بمكة: "**الإخسكيتي**" هو: "**المنتخب في أصول المذهب**"**،** لمحمد بن محمد الإخسكيتي الحنفي (ت٦٤٤هـ/١٢٤٦م)[(٧)]، وممن درسه من علماء مكة محمد بن عقيلة (ت

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون، ج ٢، ص٢٠٥؛ ص٢٣٢؛ غازي: نثر الدرر، ق١٩.

(٢) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص١٤٠.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢١٣.

(٤) المصدر السابق، ص٢٣٦؛ غازي: نثر الدرر، ق٤٢.

(٥) ابن خلدون: المقدمة، ص٣٩٨، ٣٩٩.

(٦) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص١٤٤؛ عبد الوهاب خلاف: علم أصول الفقه، ص١٥.

(٧) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص٦٨٠.

١١٥٠هـ/١٧٣٧م) وكان يحث تلاميذه على قراءته ويقول لهم : (لا يستغنى عنه طالب)[١].

كما درس كتاب "**منار الأنوار**" لعبد ا بن أحمد حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ/١٣١٠م)،اعتنى به العلماء تحريراً وتهذيباً وشرحاً وتحشية واختصاراً ونظماً، ومن أشهر شروحه التي كانت تدرس بمكة: شرح الحصفكي والمسمى "**الدرر الغرر**" ، ومعه "**حاشية ابن عابدين**" **و"شرح ابن العيني**" وغيرها[٢]

فممن درس "**المنار" وشرحه** محمد أبو الخير(ت١٢٩٤هـ/١٨٧٧م)[٣] كما درس جعفر اللبني (ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م) "**شرح المنار**" للحصفكي[٤] وكان محمد المرزوقي (١٣٦٥هـ/١٩٤٥م) [5] يدرس بالحرم المكي "**الدرر الغرر شرح المنار**" للحصفكي ، **مع "حاشية ابن عابدين"،** وشرح "**ابن العيني على المنار**"[٦].

ومن كتب أصول الفقه التي كانت تدرس أيضاً كتاب كتاب "**التحرير" في أصول الفقه،** لمحمد بن عبد الواحد ابن الهمام الحنفي (ت٨٦١هـ/١٤٥٦م)[٧].

كما درس كتاب "**الورقات**" لعبد الملك الجويني (ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م)[٨]. ودرس أحمد الخطيب (١٣٣٤هـ/١٩١٥م) "**النفحات على شرح الورقات**"[٩] .

---

(١) الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص٣٣٧.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص٦٦٢؛ البغدادي: هدية العارفين، ج٤، ص ٣٧٠.

(٣) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٤٨ـ ٥٠.

(٤) غازي: نثر الدرر، ق٢٦ـ ٢٧.

(٥) هو محمد بن عبد لرحمن المرزوقي (ت١٣٦٥هـ) درس بالمسجد الحرام وتولى القضاء وعضوا بإدارة عين زبيدة في العهد العثماني، وفي العهد الهاشمي عين عضواً بهيئة المعارف، وفي العهد السعودي عين رئيساً للمحكمة الكبرى ورئيساً للمجلس الأهلي الاستشاري وعضواً بهيئة رئاسة القضاء، انظر : عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم بالمسجد الحرام، ص ٢١٣.

(٦) الحبشي: الدليل المشير ، ص٣٩٩.

(٧) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٣٠٨؛ أبو سليمان: الحرم الشريف الجامع والجامعة، ص ٨٧، ٨٨.

(٨) البغدادي: هدية العارفين، ج٤، ص ٤٧١؛ أبو سليمان: الحرم الشريف الجامع والجامعة، ص ٨٧، ٨٨.

(٩) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٤٨.

كما درس كتاب "**شرح الأصول**" لزكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ/١٥١٩م) هو "**شرح على منهاج الأصول إلى علم الأصول**"، لعبد ا بن عمر البيضاوي[(١)].

ودرس كتاب "**جمع الجوامع**" لعبد الوهاب السبكي (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م)[(٢)]، وممن درسه عبد الكريم الداغستاني (ت١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م)[(٣)].

ومما اعتنى به المكيون، "**الأشباه والنظائر**"، والمراد بها قواعد الفقه وضوابطه، والاستثناءات منها، وبها يرتقي الفقيه إلى درجة الاجتهاد[(٤)]، ومن أشهر ما كان يدرس في هذا الفن كتاب "**الأشباه والنظائر**" لزين الدين بن إبراهيم المعروف بابن نجيم المصري (ت٩٧٠هـ/١٥٦٢م)[(٥)].

وقد اعتنى علماء مكة بهذا الكتاب فقاموا بتدريسه للطلبة ، فممن تصدى لتدريسه أحمد مرداد (ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م)[(٦)]، وجعفر اللبني (ت١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م)[(٧)] **، كما** قرأه عبد الحميد فردوس (ت١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م) على بعض علماء مكة[(٨)].

---

(١) البغدادي: هدية العارفين، ج٥، ص ٣٠٨، أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٤٨

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٤٦٨.

(٣) غازي: نثر الدرر، ق٤٦.

(٤) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص١٣٤.

(٥) المصدر السابق، ج١، ص١٣٤، ١٣٥.

(٦) مرداد أبو الخير: ص ٢٣٦.

(٧) غازي: نثر الدرر، ق٢٦ـ ٢٧.

(٨) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٣٦.

*** التوحيد وأصول الدين:**

**علم التوحيد** هو: إفراد المعبود بالعبادة، وهو أول دعوة الرسل، وأول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا[1]، وقد كتب العلماء المصنفات والمؤلفات في بيان حقيقة التوحيد وأدلة أركان الإيمان، وما يتعلق بذلك[2].

ومما كان يدرس بمكة فترة البحث كتاب "**المواقف**" لعبد الرحمن الإيجي (ت٧٥٦هـ/١٣٥٥م)[3]، وقد درسه للطلبة عبد الكريم الداغستاني (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م)[4] .

ودرس كتاب "**السنوسية**" أو "**أم البراهين في العقائد**" لمحمد بن يوسف السنوسي(ت٨٩٥هـ/١٤٨٦م)[5]، وكتاب "**جوهرة التوحيد**" لإبراهيم اللقاني (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)[6]، كان الطالب بمكة فترة البحث يحفظ مع القرآن "**السنوسية**" و"**جوهرة التوحيد**"[7] ، واعتاد عمر شطا (ت١٣٣١هـ/١٩١٢م) أن يقرأ على طلبته شرح "**فتح الرحمن**" في العقائد لأحمد زيني دحلان[8]، ودرس صالح بن صديق كمال (ت١٣٣٢هـ/١٩١٣م) حاشية الباجوري على "**السنوسية**"[9]، كما درس صالح بافضل (ت١٣٣٣هـ/١٩١٤م) حاشية الباجوري على "**جوهرة التوحيد**" وشرح الهدى على متن "**السنوسية**"[10].

---

(١) ابن أبي العز: شرح الطحاوية، ص ٧٥.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٤٢٤.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٧١٢.

(٤) غازي: نثر الدرر، ق٤٦.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ١٨٦.

(٦) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٤٨٤.

(٧) غازي: نثر الدرر، ق١٩.

(٨) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٧٨.

(٩) الحبشي: الدليل المشير ، ص٣٩٩.

(١٠) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢١٣.

ودرس أحمد مرداد (ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م) "**السنوسية**" وحاشية الباجوري عليها و"**فتح الرحمن**"[١]، وقرأ أحمد بن ناضرين على أبي بكر بابصيل (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) شرح أحمد دحلان لـ"**الرسالة الجامعة**"، وعلى سعيد اليماني (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) حاشية الباجوري على "**جوهرة التوحيد**"[٢]، وكان أحمد بن عيسى الحنبلي (ت١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م) يدرس عند باب السلام التوحيد إضافة إلى شرحه على كتاب "**النونية**" لابن القيم، وكتابه "**تنبيه النبيه والغبي**"[٣]، ودرس حسين الحبشي **كتاب "الأسماء والصفات"**[٤].

**ومن العلوم العقلية** التي درسها علماء مكة علم **المنطق:** وهو علم يتعرف منه كيفية اكتساب المجهولات من معلوماتها، لإصلاح التصور في العلوم والحكم عليها في الصحة والسقم[5]، ومما كان يدرس بمكة في المنطق متن "**إيساغوجي**" وشرحه "المطلع شرح إيساغوجي" لزكريا الأنصاري (ت٩١٠هـ/١٥٠٤م)[٦].

وممن درس "**إيساغوجي**" وشرحه، أسعد دهان(ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م) كما درس في المنطق "**الميزان**" وشروحه، و"**تهذيب المنطق والكلام**"[٧] لمسعود بن عمر التفتازاني، ومن شروحه شرح عبيد ا **الخبيصي**[٨]، وقد درس جعفر اللبني (ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م) شرح **الخبيصي على التهذيب**[٩].

---

(١) غازي: نثر الدرر، ق٤٢.

(٢) أبو بكر الحبشي: الدليل المشير ، ص ٤٨ـ ٥٠.

(٣) أبو بكر خوقير: ثبت الأثبات، ق٥.

(٤) الحبشي: الدليل المشير ، ص٢٢.

(5) إيساغوجي لفظ يوناني معناه **الكليات الخمس،** أي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام، وهو من الأبواب التسعة للمنطق، طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، ج١، ص٢٧٢.

(٦) محي الدين عبد القادر العيدروس : النور السافر عن أخبار القرن العاشرة، (القاهرة)، ص١٩٦؛ الزركلي : الأعلام، ج٣، ص٤٦.

(٧) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٣٢١ـ ٣٢٣.

(٨) المصدر السابق، ج١، ص ٤١٤.

(٩) غازي: نثر الدرر، ق٢٦ـ ٢٧.

ودرس كذلك "**نظم السلم**"[1]، أو "**السلم المرونق في علم المنطق**"، وهي أرجوزة في نظم إيساغوجي لعبد الرحمن الصغير(ت بعد ٩٤١هـ/١٥٣٤م)[2] وممن تصدى لتدريسه صالح بافضل(ت١٣٣٣هـ/١٩١٤م)[3]، وأحمد مرداد (ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م)[4].

كما درس بمكة "**نظم الشمسية**"، وهي أرجوزة لعمر بن علي القزويني وقد تناول هذا المتن العلماء شرحاً وتعليقاً وتحشية ، ومن أشهر شروحها: **شرح قطب الدين** محمد التحتاني (ت ٧٦٦هـ/١٣٦٤م)، والمسمى بـ "**الرسالة القطبية**"[5]، وقد حفظ عبد الملك الفتني(ت١٣٣٢هـ/١٩١٣م) "**نظم الشمسية**" (١٢٦٠) بيتاً[6]، كما كان عبد الرحمن دهان (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م) يدرس شرح نظم الشمسية والمسمى بـ "**الرسالة القطبية**"[7].

---

(1) غازي: نثر الدرر، ق١٩؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٨٤.

(2) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص ٤١.

(3) مرداد بو الخير: نشر النور والزهر، ص٢١٣.

(4) غازي: نثر الدرر، ق٤٢.

(5) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص ٨٩.

(6) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٢، ص٩٨.

(7) الحبشي: الدليل المشير ، ص٣٩٩.

*** اللغة العربية :**

شرف ا تعالى العرب واللغة العربية فأنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين فأضحت لغة العرب جزءاً من الدين انتشرت بانتشاره.

وتعددت فروع اللغة العربية بعد تدوين العلوم، فشملت علم اللغة والنحو والصرف والأدب، ودرس علماء مكة اللغة العربية بفروعها خدمة للقرآن الكريم والسنة الشريفة والتشريع من أصول وفروع، فضلاً عن تقويم اللسان.

والكتب التي كانت تدرس في مكة فترة البحث في اللغة العربية وآدابها كثيرة، إلا أن أكثرها كان في **علم النحو** لتقدمه على علم اللغة العربية وكونه مصححاً للسان ولا تخلوا شواهده من علوم البلاغة والبيان والمعاني وغيرها مما يعطي الطالب حصيلة علمية في سائر فروع اللغة العربية الأخرى[١].

ورتبت المصنفات التي كانت تدرس في هذا العلم في مكة فترة البحث على قدر استيعاب الطلبة، من مبتدئين ومتوسطين ومنتهين.

أما **كتب المبتدئين** في النحو، فتربع على صدر القائمة **"المقدمة الأجرومية" لابن أجروم** محمد الصنهاجي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م)[٢]، وشرحها لخالد الأزهري (ت٩٠٥هـ/١٤٤٩م)[٣]، والكفراوي[٤] وأحمد دحلان[٥] .

فممن كان يدرس الأجرومية وشرح الشيخ خالد عليها عبد الرحمن العجيمي (ت١٣٠١هـ/١٨٨٣م)[٦]، ودرسها عبد ا زبير(ت١٣٢٢هـ/١٩٠٤م) مع شرح

---

(١) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة، ج٢، ص١٤٤.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص٦٤٢.

(٣) هو الشيخ خالد بن زين الدين الأزهري المصري رحل مع والده إلى القاهرة ، فحفظ القرآن وأخذ العلم في العقد الثالث من عمره لمعايرة رجل له بالجهل، له الكثير من المؤلفات ، (ت٩٠٥هـ): نجم الدين الغزي: الكواكب السائرة في أخبار المائة العاشرة، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج ١، ص١٨٨.

(٤) هو حسن الكفراوي المصري، من علماء الأزهر له العديد من المؤلفات (ت١٢٥٢هـ/١٧٨٧م) ، محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، (ط٤، القاهرة، مطبعة وادي الملوك: ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م)، ص٢٠٤.

(٥) غازي: نثر الدرر، ق١٩.

(٦) المصدر السابق، ق٤٢.

**الكفراوي**[1]، كما قام بتدريسها مع شرح الشيخ خالد عليها محمد الخياط (ت١٣٣٠هـ/١٩١١م)[2]، ودرس صالح بافضل (ت١٣٣٣هـ/١٩١٤م) بالحرم الشريف "**الأجرومية بشرح العشماوي عليها**[3]".

وكان بعض المدرسين بالمسجد الحرام يقرؤون **الأجرومية** على طلابهم على الدوام ، منهم عمر شطا (ت١٣٣١هـ/١٩١٢م) ذكر عنه أبو الخير أنه: (درس بالمسجد الحرام وكان يقرأ كتباً معلومة على الدوام ، كلما ختمها يعيدها مرة أخرى، وفي ظني أنه قرأها نحواً من أربعين نوبة، بل أكثر من ذلك، ومنها شرح الأجرومية المسمى بشرح الشيخ خالد وشرح السيد أحمد دحلان، وشرح الكفراوي عليها)[4] ، وقد اعتاد الشيخ قراءتها وتدريسها لطلابه المبتدئين ، وبعد أن ينتهى الطلبة من قراءتها يرتقون إلى ما هي أرقى منها[5] .

ودرس عبد الله زبير (١٣٢٢هـ/١٩٠٤م) **الأجرومية**، كما درسها أحمد بن أبي بكر شطا (ت١٣٣٢هـ/١٩١٣م) وجمال المالكي (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م)و عمر باجنيد (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)[6].

**وأما كتب المتوسطين** في النحو، والتي درسها الطلبة فترة البحث فهي كثيرة، منها "**قطر الندى وبل الصدى**"، و"**شذور الذهب**" ، و"**المقدمة الأزهرية في علم العربية**" وجميعها لعبد الله بن هشام النحوي (ت٧٦٢هـ/١٣٦٠م)[7].

---

(١) والشيخ عبد الله زبير من علماء مكة ولد بها عام (١٢٠٤هـ/١٨٢٤م) وتلقى تعليمه على أيدي علماء المسجد الحرام برع في علوم اللغة العربية وآدابها ، درس بالحرم الشريف النحو والعروض وغيرها، انظر: أبو الخير مرداد: نشر النور والزهر، ص٢٩٥.

(٢) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٤٨ـ ٥٠.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢١٣.

(٤) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٧٨.

(٥) أحمد الخطيب: القول التحيف ، ق٩.

(٦) الحبشي: الدليل المشير، ص ٤٨ـ ٥٠؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٧١ .

(٧) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص ٦٤، ٣١٣، ٦٤٣.

كما درس علماء مكة كتاب "**ملحة الإعراب**" منظومة في النحو لقاسم الحريري(ت٥١٦هـ/١١٢٢م)[١]، ولها شروح كثيرة واختصارات.

فممن درس **كتب المتوسطين** هذه من علماء المسجد الحرام : عثمان شطا (ت١٢٩٥هـ/١٨٧٨م) فقد درس "**الأزهرية" مع شرحها و"القطر"**[٢]، كما درس عبد الرحمن العجيمي (ت١٣٠١هـ/١٨٨٣م) **شرح الشيخ خالد على "الأزهرية" و"شذور الذهب" و"القطر" و "شرح الملحة"**[٣]، ودرس أحمد دحلان (١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م) "**القطر"و"شذور الذهب"**[٤]، ودرس أحمد بن أبي بكر شطا (ت١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م) "**الأزهرية"، وشرح الشيخ خالد عليها**[٥]، كذلك درس الشيخ صالح بافضل (ت١٣٣٣هـ/١٩١٤م) بالحرم الشريف شرح **العشماوي على ا"لأزهرية"**، و"**قطر الندى" بحاشية السجاعي** عليه، و"**شذور الذهب"**[٦]، كما قرأ الطلبة على أحمد الخطيب (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) "**القطر"**[٧]،وعلى أحمد مرداد (ت١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م) **شرح الشيخ خالد** على الأزهرية[٨]، ودرس عمر باجنيد (ت١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) "**القطر" و"شرح الملحة"**[٩].

**وأما الطلبة المنتهون** في هذا العلم، فكانوا يقرءون "**الألفية في النحو**" وتعرف بـ"**ألفية ابن مالك**" لمحمد ابن مالك النحوي (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م)، وقام العلماء بشرح الألفية، ومن أشهر شروحها التي درست بمكة: شرح عبد ا بن عبد الرحمن (ت٧٦٩هـ/١٢٧٠م) المشهور **بشرح ابن عقيل**، و وشرح عبد الرحمن بن علي **المكودي** الفاسي (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م)، وشرح نور الدين علي بن محمد **الأشموني**

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ص٦٥٧.

(٢) أحمد الخطيب: القول التحيف، ق٩.

(٣) غازي: نثر الدرر، ق٤٢؛ أبو بكر الحبشي: الدليل المشير ، ص٢٢.

(٤) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص١٤٠.

(٥) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٤٨ ـ ٥٠.

(٦) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢١٣.

(٧) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٤٨.

(٨) غازي: نثر الدرر، ق٤٢.

(٩) الحبشي: الدليل المشير ، ص٢٢.

(ت٩٠٠/١٤٩٤م)، وشرح جمال الدين ابن هشام النحوي والمسمى "**التوضيح**"، وشرح الشيخ خالد الأزهري والمسمى "**التصريح بمضمون التوضيح**"[١]، **وكان الطلبة بمكة يحفظون الألفية مع دراسة شروحها**[٢]، فممن درس **ألفية ابن مالك** من علماء مكة عمر شطا (ت١٣٣١هـ/١٩١٢م)، وجعفر اللبني (ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م)[٣]، وجمال المالكي (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م)[٤]، وسعيد اليماني (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، وعمر باجنيد (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)[٥].

كما درس علماء مكة الشروح على الألفية، فعلى سبيل المثال درس أحمد دحلان (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) **شرحه على "الألفية"**[٦] ، إضافة إلى "شرح **ابن عقيل**"، كما درس "**شرح ابن عقيل**" كل من: محمد الخياط (ت١٣٣٠هـ/١٩١١م) وعمر شطا(ت١٣٣١هـ/١٩١٢م)[٧]، وصالح بافضل (ت١٣٣٣هـ/١٩١٤م)[٨] وأحمد الخطيب(ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م)[٩]، ودرس عبد الرحمن العجيمي (ت١٣٠١هـ/١٨٨٣م) شرح الأشموني على الألفية[١٠] .

كما قام بعض علماء مكة بتدريس كتب مشهورة في النحو مثل كتاب "**شرح جمع الجوامع**"، لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)[١١]، وممن تولى تدريسه للطلبة أحمد زيني دحلان (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) [١٢]

---

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١ ص١٧٥.

(٢) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٨٤.

(٣) غازي: نثر الدرر، ق، ٢٦، ٢٧، ٤٢.

(٤) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٧١ .

(٥) الحبشي: الدليل المشير ، ص٢٢، ٤٨، ٥٠.

(٦) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص١٤٠.

(٧) غازي: نثر الدرر، ق٤٢.

(٨) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢١٣.

(٩) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٤٨.

(١٠) غازي: نثر الدرر، ق ٢٦ - ٢٧ ، ٤٢.

(١١) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١ ، ص٤٦٩.

(١٢) أحمد الخطيب: القول التحيف ، ق١٠.

كما درس كتاب "**تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**" لمحمد بن مالك الجياني (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م)[١]، وممن تصدى لتدريسه للطلبة بحلقات المسجد الحرام سعيد اليماني(ت١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م)[٢]، أيضاً درس كتاب "**مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**" لعبد ا بن يوسف النحوي(ت٧٦٢هـ) [٣]، وممن قام بتدريسه أسعد دهان (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م)، وعمر باجنيد (ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)[٤].

كما قام بعض العلماء بتدريس كتبهم ومؤلفاتهم، فقد اعتاد جمال المالكي (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) أن يدرس طلابه في مادة النحو **مؤلفه "الثمرات الجنية"**[٥] .

**واهتم المكيون بتعليم الصرف للطلاب على مختلف مستوياتهم،** فهو من علوم اللغة المهمة التي يحتاج لها العالم والخطيب والمدرس لتصحيح اللسان ومن ثم فهم بلاغة القرآن والسنة[٦]، ومما اشتغل به المكيون فترة البحث، **"العزي في التصريف"** لإبراهيم الزنجاني (ت٦٥٥هـ/١٢٥٧م)[٧]. **و"مراح الأرواح"**، لأحمد بن علي بن مسعود[٨]. **و"المقصود في التصريف"**[٩]، وممن درس هذه الكتب بمكة فترة البحث على سبيل المثال: عبد الحميد قدس (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م)[١٠]، وأحمد الخطيب (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م)[١١] وأسعد دهان (١٣٣٨هـ/١٩١٩م)[١٢].

---

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٣٣٨.

(٢) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٤٨- ٥٠.

(٣) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص٦٠٨.

(٤) الحبشي: الدليل المشير ، ص٢٢، ٣٢١- ٣٢٣.

(٥) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٧١ .

(٦) صديق بن حسن القنوجي: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ،تحقيق شعيب الأرناؤوط - محمد نعيم العرقسوسي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ)، ج٢، ص٣٤٥.

(٧) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص١٤٩

(٨) المصدر السابق، ج٢ ، ص٥٣٥.

(٩) نفسه، ج٢، ص٦٥٠.

(١٠) غازي: نثر الدرر، ق٢٦- ٢٧.

(١١) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٤٨.

(١٢) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٣٢١- ٣٢٣.

**كما عكف الطلبة على فن الأدب ودرسوا علومه ومصنفاته،** وقد عرفه أحد علماء مكة جعفر اللبني (ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م) بأنه: (الضالة المنشودة لكل ألمعي لبيب، والحلية التي يرغب في التحلي بها كل فطن نجيب، كيف وهو حبيب النفس المفدى، وبه تصدر من لتحصيله تصدى، به يحلو السمر في ليلي القمر، فيجلو الكدر، فتصفوا الفكر)[١].

ويحكم على الأدب من خلال علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، وقد اهتم العلماء في مكة بتدريس الكتب الأمهات في هذا الفن للطلبة المبتدئين فما فوقهم، ولاسيما والحاجة لها ماسة لخطب الجمع بالمسجد الحرام، والأعياد، والدروس، والمواعظ، والرسائل والكتب.

ومن أشهر كتب البلاغة التي درست بمكة فترة البحث كتاب "**تلخيص المفتاح في المعاني والبيان"،** لجلال الدين القزويني (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، لخصه من كتاب "**مفتاح العلوم" للسكاكي**[٢]، وللتلخيص شروح ومختصرات، فممن شرحه سعد الدين الهروي التفتازاني (ت٧٩٢هـ/١٣٨٩م)، وسماه "**المطول"،** ولخصه بـ "**المختصر**"[٣].

كما أن جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، نظم "**التلخيص**" شعراً وسماه "**عقود الجمان في المعاني والبيان**"، ثم شرحه في "**حل عقود الجمان**"[٤].

وممن درس "**مختصر السعد**" من علماء مكة علي الرهبيني المصري (ت١٢٩٣هـ/١٨٧٥م)[٥]، وأسعد دهان (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م)[٦]، وعبد الكريم

---

(١) جعفر اللبني : الحديث شجون، ق١.

(٢) عبد الوهاب بن علي السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناجي (ط١، مكتبة عيسى البابي الحلبي )، ج٥، ص٢٣٨.

(٣) البغدادي: هدية العارفين، ج٦ ص٣٣٤.

(٤) حاجي خليفة : كشف الظنون،ج ١، ص٣٨٨؛ ج٢، ص ١٦١، ١٦٢ .

(٥) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٨٤.

(٦) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٣٢١ـ ٣٢٣، ٣٩٩.

الداغستاني(ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م)[1] كما كان الطلبة بمكة يحفظون بعض المتون منها "**عقود الجمان**"[2] .

ومن الكتب التي كانت تدرس في مكة فترة البحث في المعاني والبيان والبديع كتاب "**منظومة ابن الشحنة**" وشرح جعفر اللبني عليها، **و"السمرقندية**" وشرح الباجوري عليها.

فممن درس **السمرقندية وشرحها للباجوري** صالح بافضل (ت١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م)[3]، وأبو بكر العجيمي (ت١٢٣٦هـ/١٨٢٠م)[4]، وأحمد مرداد (ت١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م)[5] ، كذلك درسها أسعد دهان (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م) مع حاشية أحمد دحلان عليها[6]، و قرأ حسن بن عبد الرحمن العجيمي على جعفر اللبني (ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م) **شرح الباجوري على السمرقندية،** وشرحه على **منظومة ابن الشحنة في المعاني والبيان والبديع** [7].

**كما اهتم المكيون بنظم الشعر وتدريس علم العروض،** فكان يدرس "**الكافي في علمي العروض والقوافي**" ليحيى بن علي التبريزي (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م)[8]، فممن درسه على سبيل المثال عبد ا  زبير(ت١٣٢٢هـ/١٩٠٤م)[9]، وأحمد الخطيب (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م)[10] .

---

(١) غازي: نثر الدرر، ق٤٦.

(٢) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٢، ص٩٨؛ غازي: نثر الدرر، ق١٩.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢١٣.

(٤) الحبشي: الدليل المشير، ص ٤٨ـ ٥٠.

(٥) غازي: نثر الدرر، ق٤٢.

(٦) الحبشي: الدليل المشير، ص ٣٢١ـ ٣٢٣.

(٧) غازي: نثر الدرر، ق٢٦ـ ٢٧.

(٨) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٢، ص٩٨؛ غازي: نثر الدرر، ق١٩.

(٩) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٩٥

(١٠) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٤٨.

*** التاريخ:**

**علم التاريخ هو:** معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائعهم وأشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم إلى غير ذلك، **وفائدته** العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن ليحترز عن أمثال ما نقل من المضار ويستجاب نظائرها من المنافع[١] .

**وقد احتلت السيرة النبوية** على **اهتمام** الدارسين، وتصدى علماء مكة لتدرس ما ألف فيها من مصنفات منها كتاب "**المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**"[٢] لأحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ/١٥١٧م)[٣]. قام بتدريسه عمر عبد رب الرسول (ت١٢٤٧هـ/١٨٣١م) كما درس الحسين الحبشي (ت١٣٣٠هـ/١٩١١م) عدداً من كتب السيرة منها "**نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول**" للترمذي (ت٢٢٥هـ/٨٤٩م)[٤]، و"**الخصائص الكبرى**" للسيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)[٥]

ودرس أحمد مرداد (ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م) كتاب "**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**" للقاضي عياض[٦] كما درس **كتاب "الشفا بشرح الملا علي القاري"** عبد القادر خوقير (من علماء القرن الثالث عشر الهجري ) [٧]، وسعيد اليماني (ت١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)[٨]، كما درس كتاب **تاريخ الخلفاء** للسيوطي[٩].

---

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص٤٥٢.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٦٣.

(٣) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص٧١٦.

(٤) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٥٤٣

(٥) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٥٤٢؛ الحبشي: الدليل المشير ، ص٢٢.

(٦) غازي: نثر الدرر، ق٤٢.

(٧) أبو بكر خوقير: ثبت الأثبات، ق٩.

(٨) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٤٨ - ٥٠.

(٩) صدى العلم من الحجاز، ص ٥٠.

* **العلوم الطبيعية:**

واعتنى العلماء بتدريس **العلوم الطبيعية** و منها: الفلك والعلوم التطبيقية.

- **علم الفلك**: هو علم ينظر في حركة الكواكب ويستدل في تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك[1]، وقد اهتم المسلمون بعلم الفلك اهتماما كبير وذلك لمعرفة سمت القبلة، ووقت الزوال، ومعرفة أوائل الشهور القمرية وأواخرها، لارتباط ذلك ببعض التكاليف الشرعية نحو الصلاة والصيام والحج[2] ولا غرو أن نجد بالبلدان الكبار والمساجد الكبار وظيفة معروفة يتولاها شخص مأمون يقال له (**المؤقت**) وتنحصر وظيفته في إمكان معرفته بالقبلة وبدايات الأشهر، ومواقيت الصلاة، وهذا الأمر يحتاج إلى دراسة الفلك، ومعرفة الطوالع والحساب الفلكي، وتعتمد عليه البلاد في دخول الوقت، صلاة وصياماً، ومن ثم كانت وظيفة المؤقت مهمة جداً للمساجد خاصة المسجد الحرام قبلة المسلمين.

ومن المصنفات الفلكية التي درست بمكة فترة البحث "**رسالة الماريديني**"[3] و "**رسالة الشلبي" في الفلك** [4]، وممن درسها من علماء مكة عبد الرحمن دهان (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م)، وكان خليفة بن حمد النبهاني يلقى درسه في **علم الفلك والميقات** بالمسجد الحرام ويدرس **مؤلفه "التقريرات النفيسة في بيان البسيطة والكبيسة**"[5]، وقرأ عليه الطلبة العديد من المؤلفات في الفلك، **كـ "الباكورة وشرحها و" ورسالة الماريديني**"[6].

كما درس علماء مكة "**الربع المجيب**" لأحمد بن محمد القسطلاني المصري (ت٩٢٣هـ/١٥١٧م)[7]، وممن درسه جعفر اللبني (ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م) [8].

---

(1) ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٧٢.

(2) امال رمضان: الحياة العلمية في الإسكندرية، ص ٥٥٠.

(3) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٢٤٨.

(4) الحبشي: الدليل المشير ، ص٢٢.

(5) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٨٩.

(6) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٤٨ـ ٥٠.

(7) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص ٦٥١.

(8) غازي: نثر الدرر، ق٢٦ـ ٢٧.

## ـ العلوم الرياضية:

**وتشمل الحساب والجبر والمقابلة والهندسة، أما علم الحساب،** فهو العلم بقواعد يعرف بها طرق استخراج المجهولات العددية من المعلومات العددية المخصوصة[1]، ويحتاج إليه في كل العلوم ولا يستغني عنه ملك ولا عالم ولا سوقه، وزاد شرفاً بقوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[2]، ولذلك ألف فيه الناس كثيراً قديماً وحديثاً، ولا شك أن الاشتغال بالحساب يحتاج إليه في الأسواق التجارية الرائجة، ومكة سوقاً تجارياً عظيماً طيلة العام، سيما في رمضان، والحج، فكان الاحتياج إلى الحساب ملحاً، أضف إلى ذلك الاحتياج إليه في الفلك لضبط المواقيت للصلاة بالمسجد الحرام.

**و الجبر والمقابلة**: هو علم يتعرف منه كيفية استخراج المجهولات العددية بمعادلتها لمعلومات تخصها[3]، **والهندسة** هي: علم يعرف به أحوال المقادير ولواحقها، وأوضاعها بعضها عن بعض ونسبتها، وخواص أشكالها[4].

وتدريس الجبر وتعلمه له أهميته في تقسيم التركات وتوزيع الأنصبة المقرة كما جاءت في القرآن الكريم، أما الهندسة فلا شك أن الحاجة تعود إليها في عمارة الحرمين وعيون الماء كعين زبيدة وغير ذلك من أعمال البناء والعمارة.

لذا كانت عناية العلماء المكيين بتدريس العلوم الرياضية للطلبة كبير فمن أشهر كتب المتقدمين في العلوم الرياضية والتي درست بمكة فترة البحث كتاب "**إقليدس في أصول الحساب والهندسة**"[5]. وقد قرأ أحمد ناضرين على محمد الخياط (ت١٣٣٠هـ/١٩١١م) "**تحرير أقليدس**" ، كما أن صالح بن صديق كمال

---

(١) انظر في **تعريف الحساب**: طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، ج١، ص ٣٦٨؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص ٥١١؛ عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب، (ط٣، بيروت، دار العلم للملايين: ١٩٨٠م)، ص ١٩.

(٢) سورة الأنبياء: آية، ٤٧.

(٣) طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، ج١، ص٣٦٨، ٣٦٩.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، ص٤٧٨، طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، ج١، ص٣٤٧.

(٥) إقليدس لفظ يوناني مركب من إقلي بمعنى المفتاح، ودس بمعنى المقدار والهندسة، أي **مفتاح الهندسة**، وهي مسائل هندسية تم نقلها للعربية، وعليه شروح وتعليقات ومختصرات، حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص ١٦٣.

(ت١٣٣٢هـ/١٩١٣م) كان يدرس كتاب "**خلاصة الحساب**"[1]، ودرس عبد الرحمن دهان (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م)"**خلاصة الحساب**" و"**شرح السخاوي**" في الحساب[2] ودرس جعفر اللبني (ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م) **شرح السخاوي** في الحساب[3].

**وبنهاية المطاف تبين أن أهم مميزات قائمة العلوم والمصنفات التي كانت تدرس بمكة فترة البحث:**

ـ **تعدد المصنفات وشمولها** جل علوم الشريعة من قرآن وتفسير وحديث وأصوله وتوحيد وفقه وأصوله، وعلوم العربية من نحو وأدب، إضافة إلى التاريخ، والعلوم التطبيقية من فلك وحساب وجبر، إضافة إلى المنطق وعلم الكلام.

ـ كانت الكتب تدرس على مراحل، فهناك كتب للمبتدئين، وأخرى للمتوسطين، وثالثة للمنتهين، فكتب المبتدئين تمتاز بالوضوح والاختصار وتهتم بالمعلومات الضرورية التي لا يسع المسلم جهلها، فإذا انقطع عن التعليم كان لديه من المعرفة والإلمام بأمور الدين ما يؤدي به شعائر دينه ويحفظ عليه دنيا، وتتميز كتب المتوسطين ببعض التحليلات والتفاصيل مع إضافة معلومات أوسع وذكر بعض الآراء، وكتب المنتهيين تمثل قمة التخصص ونهاية برنامج التحصيل تهيء المنتهي منها لأن يكون عالماً في العلم الذي تصدى له كالفقه على سبيل المثال فهنا يتخرج المنتهي ليكون عالماً مفتياً أو قاضياً أو مدرساً.

ـ تبين مدى مرونة علماء مكة واتساع مداركهم في اعتمادهم على مصنفات متنوعة في التدريس شملت مؤلفات من سبقهم من العلماء أو معاصرين لهم، إضافة إلى مؤلفاتهم.

ـ تبين من خلال الكتب والمصنفات التي كانت تدرس للطلبة بمكة على مكانتها العلمية بين أقطار المعمورة، تلك المكانة التي حفظت العلوم الشرعية عبر الأجيال.

---

(1) الحبشي: الدليل المشير، ص، ٤٨ ـ ٥٠، ٣٩٩.

(2) الحبشي: الدليل المشير، ص٢٢، ٣٩٩.

(3) غازي: نثر الدرر، ق٢٦ ـ ٢٧.

المال عصب الحياة، إلا أن العلم لا يفتقر إلى مال، بل هو موهبة يقذفها ا في قلوب المؤمنين، كما قال تعالى لنبيه ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[2]، وقد كره كثيراً من أهل العلم أخذ **الأجرة** على التعليم، إلا أن **التعليم النظامي** يحتاج إلى تفرغ مدرسين، وإدارة ومستلزمات دراسية وغير ذلك مما يجعل المال ضرورة لإقامة نظام التعليم.

وقد علم المسلمون من عهود الإسلام الأولى ضرورة اقتطاع مال للمعلمين للتفرغ لتعليم الطلاب، فكان عمر بن الخطاب رضي ا عنه قد أمر بأن يعطي لثلاثة من المعلمين الذين كانوا يعلمون الصبيان القراءة والكتابة بالمدينة المنورة خمسة عشر درهماً لكل واحد منهم شهرياً[3].

وقد تنوعت مصادر الإنفاق على التعليم في مكة فترة البحث ، فشملت **الأوقاف الحكومية والأهلية** إضافة إلى **الهبات والتبرعات** من قبل الحكام والولاة والأعيان، وفيما يلي بيان لذلك:

*** الأوقاف الحكومية والأهلية:**

يعتبر نظام الوقف الإسلامي من النظم التي كفلت استمرار التعليم في الدولة الإسلامية، وأسهمت مكانة مكة الدينية في إذكاء هذا الشعور، ولكي تضمن الدولة العثمانية استمرار الإنفاق على التعليم بمكة فإنها كفلت وجود مورد دائم للإنفاق عن طريق ولايتها المصرية فقد دأبت مصر على إرسال رواتب العلماء والفقهاء والمشايخ والمدرسين وغيرهم ممن يعمل تحت مظلة التعليم، إضافة لرواتب القضاة

---

(١) سورة النساء: آية رقم ١١٣.

(٢) سورة البقرة: آية رقم ٢٨٢.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص١١ ـ ١٥.

والمفتيين العلماء[1] من خلال الأوقاف أو الصرر التي كانت ترسل كالرومية والإرسالية وصرة الجوالي، وفيما يلي بيان لهذه الأوقاف:

**الأوقاف السلطانية:**

تنوعت أوقاف السلاطين العثمانيين وزوجاتهم وولاتهم، مما كان ينفق على الفقراء والمعوزين، وقسم منه على العلماء والخطباء والأئمة والمدرسين والمجاورين وطلبة العلم، ومن أشهر هذه الأوقاف:

**- وقف الخاصكية الكبرى:**

أوقفته **زوجة** السلطان **سليمان القانوني** (ت٩٧٤هـ/١٥٦٦م) وهو عبارة عن عدة قري بمصر، إضافة إلى مبانٍ في القاهرة والحجاز وبعض الأقاليم[2] .

وكان ريع الوقف المكون من غلال وسمن وبصل وغير ذلك من مواد غذائية، ينقل إلى الحجاز عن طريق مينائي جدة وينبع، ليصرف على تكيتين إحداهما بمكة والأخرى بالمدينة، كذلك كان الوقف يرسل أموالاً نقدية تصرف على أهالي مكة ، فقد بلغ ما وصل مكة في القرن **الثاني عشر** الهجري / الثامن عشر الميلادي من هذا الوقف [٦٠٠٠٠٠] بارة[3] .

**- وقف الدشيشة[4] المرادية:**

أوقفه السلطان **مراد الثالث** سنة (٩٩٧هـ/١٥٨٨م) ويتكون من عدد كبير من القرى في أقاليم مصر يصرف ريعها على مكتب لتحفيظ القرآن ومدرسة وتكية بمكة المكرمة وقراء لقراءة كتاب ا [5]، وقد وصل إلى الحجاز من هذا الوقف في القرن **الثاني عشر** الهجري / الثامن عشر الميلادي [٤٠٠٠٣٦] بارة، ووصل ما

---

(١) حسام عبد المعطي: العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر الهجري، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٩م)، ص١٥١.

(٢) السباعي: تاريخ مكة، ص٤٩٢.

(٣) دار الوثائق: سجلات الديوان العالي، س ١، م ٢٠٠، ص٩٥، س ١، م ٤٨٢، ص٢٣٢.

(٤) كان يطلق على أوقاف الحرمين الشريفين أوقاف الدشايش نسبة إلى نوع من أنواع الحبوب كان يصرف لأهالي الحرمين. الرشيدي: حسن الصفا والابتهاج، ص٢٢.

(٥) الإسحاقي: لطائف أخبار الأول، ص١٦٠.

أنفق من ريع الوقف على المنشآت التابعة له في مكة والمدينة سنة (١١١٦هـ/١٧٠٤م) [٤٢٠٤٣٦] بارة، وقد زاد حجم الوقف على الحجاز عام (١١٥٤هـ/١٧٤١م) ليصل إلى [٤٩٧٩٨٤] بارة(١).

وهذا يوضح أن ما كان يصرف على المنشأة العلمية ومرافقها قد كان في ازدياد مطرد، وتشير سجلات الديوان العالي أن هذا الوقف استمر حتى القرن **الثالث عشر** الهجري/ التاسع عشر الميلادي(٢) .

**- وقف الخاصكية الصغرى:**

أوقفته **والدة** السلطان **مراد الرابع** بن أحمد الأول بن محمد عام (١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م)، وقد عرف هذا الوقف بالخاصكية الصغرى لصغر حجمه، مما دفع إبراهيم باشا(٣) لزيادة مساحة الأراضي الموقوفة عليه، كما نقل تبعية وإنفاق تكية الخاصكية الكبرى في مكة إلى هذا الوقف، وقام بتوسعة التكية لتشمل بيمارستان وأطلق عليها تكية "دار الشفاء"، كذلك أوقف سفينة في البحر الأحمر لنقل غلال الوقف واحتياجات التكية في مكة ولقد بلغ ما وصل إلى أهالي مكة من هذا الوقف عام (١١١٦هـ/ ١٧٠٤م) إلى [٥١١٩٠٠] بارة، فأصبحت تكية دار الشفاء بمكة من أهم المورد المالية والاجتماعية لأهالي مكة من الفقراء والمجاورين والطلاب(٤) وتشير تقارير النظر أن التكية استمر عملها في خدمة المجتمع المكي حتى القرن الثالث عشر الهجري(٥).

---

(١) دار الوثائق: سجلات الديوان العالي، س ١، م ١٩٢، ص٩١، س ٢، م٥٠١، ص٢٣٠، س ٣، م٧٤، ص٣٥.

(٢) دار الوثائق: سجلات الديوان العالي: س ٣، م ٣٣، ص١٨.

(٣) إبراهيم باشا: قدم مصر سنة ١٠٨١هـ-١٦٧٠م، وقام بعمل عدة إصلاحات منها عمل حسابات نظار الأوقاف على الحرمين. ابن الوكيل: تحفة الأحباب، ص١٩٧- ٢٠٠.

(٤) حسام عبد المعطي: العلاقات المصرية الحجازية، ص٢٨٠- ٢٨١.

(٥) دار الوثائق: تقارير النظر، س ٦، م ٩٨، ص٢١.

- **وقف الدشيشة المحمدية:** يعود إنشاؤها إلى السلطان **محمد الثالث**[1]، إذ أوقف مجموعة كبيرة من القرى بمصر للإنفاق على الأهالي والفقراء في مكة، وعلى التكية المحمدية بالمدينة المنورة، فأما ما يخص مكة فكان يصل كل عام إلى الأهالي من الغلال (٢٦٢٤) إردباً، كذلك كان للوقف صرة نقدية كان يصل لأهالي مكة منها [٨٣٣٣٣٣] بارة[2]، وفي عام (١١٥٥هـ/١٧٤٢م) تسلم شريف مكة الأمير يحيى مبلغ وقدره [١٦١٣٤٩] بارة ليصرفها على أهالي مكة[3]، وكان كثيراً ما يوجد فائض في الوقف بعد صرفه على مستحقيه مثلما حدث في عام (١١٣٦هـ/ ١٧٢٣م) حيث حقق الوقف فائضاً قدره (١٠٠٠) إردب من القمح بعد أن صرف على مستحقيه[4] .

- **وقف الأحمدية:**

أوقفه السلطان **أحمد الأول**[5]، وخصص الوقف لأهالي الحجاز والشئون العلمية به، حيث خصص لأهالي مكة [١٤٥٠٨٠] بارة[6].

- **وقف المحمودية:**

أسهم السلطان محمود الأول[7] في الحياة بمكة من خلال الأوقاف التي أوقفها على الحرمين الشريفين لينفق ريعها على المدرسة والسبيل ومكتب تحفيظ القرآن الكريم والتي أنشئها بمكة، إضافة إلى المبالغ المالية التي كان ترسل من قبل ريع

---

(١) هو السلطان محمد الثالث بن مراد بن سليم الثاني بن سليمان ، تسلطن عام (١٠٠٣هـ/١٥٩٥م)، كان ملكاً مهيباً جليل القدر، صاحب خيرات عظام منها هذا الوقف على الحرمين بقي في الحكم ٨ سنوات وأحد عشر شهراً حتى وافته المنية عام (١٠١٢هـ/١٦٠٣م)، انظر: ابن الوكيل: تحفة الأحباب، ص١٢٦ ـ ١٢٧.

(٢) دار الوثائق: سجلات الديوان العالي، س١،م ٤٧٤، ص٣٢٠، س ٢، م٢٨٧، ص١٩٥، س٣، م٣٣، ص١٨.

(٣) دار الوثائق: سجلات الديوان العالي، س١، م ٤٧٤، ص٢٣٠.

(٤) دار الوثائق : سجلات الروزنامة، دفتر إيرادات ومصاريف خزينة عامرة ، م ع ٢١٢٢، حفظ نوعي ١٧، خارجي ٣/١١٢ ، مخزن تركي ١، عين ٢٩.

(٥) هو السلطان أحمد الأول بن السلطان محمد الثالث تولى الملك عام(١٠١٢هـ/١٦٠٣م) واستمر به حتى توفي عام (١٠٢٦هـ/١٦١٧م)،محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١١٩ ـ ١٢٢ .

(٦) دار الوثائق: سجلات الديوان العالي، س ١، م ١٩٣، ص٩٣؛ الرشيدي: حسن الصفا والابتهاج ، ص١٩.

(٧) هو **السلطان محمود الأول** ابن مصطفى، تولى الحكم من عام (١١٤٣هـ/١٧٣٠م) إلى عام (١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م)، شهدت الدولة في عهده محاولات شتى للقضاء على المفسدين وتوطيد الأمن في أقاليم السلطنة. أحمد شلبي بن عبد الغني: أوضح الإشارات، ص٥٧١

الوقف لتصرف على معاهد العلم بمكة، والتي وصلت إلى ٤٥ ألف بارة في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي(١)، وقد ظلت أوقاف المحمودية تؤدي دورها حتى القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي(٢).

- **وقف الدشيشة الكبرى(٣):**

من أكبر الأوقاف المصرية على أهالي الحجاز في فترة البحث(٤) ، وكان يصرف من ريع هذا الوقف على الشئون الاجتماعية والاقتصادية والعلمية وقد تنامي وتعاظم حجم وريع هذا الوقف نتيجة إضافة أوقاف السلاطين له(5) ، إذ ضم إلى أوقاف الدشيشة أوقافاً أخر منها وقف السلطان قايتباي والسلطان جقمق والسلطان سليمان والسلطان مراد الثالث وولده السلطان محمد خان، وبلغت القرى الموقوفة عليه ستون قرية من قرى مصر(٦).

وفي فترة البحث وصل **ريع الوقف** مع بداية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي (١١٧) ألف إردب من القمح، وبلغ ما يدره من أموال عام (١١٥٤هـ/١٧٤١م) [١،٢٢٠،٧٤٧] بارة، وبلغ ريعه من الغلال والحبوب

---

(١) دار الوثائق: سجلات الديوان العالي، س ١، م ٤٧٦، ص ٢٣٠، س ٢ ، م ٢٨٨، ص١٩٦.

(٢) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر صرة جوالي أهالي حرمين شريفين، رقم ٤٤، م ع ٩٣٩، م نوعي ٦٩٦، سنة ١٢١١هـ؛ و واجب ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م ، م٥٠١، م ع ٦٠٠٨، مخزن تركي ١.

(٣) **الدشيشة الكبرى**: أنشئ في عهد السلطان المملوكي جقمق، ثم أضاف إليه السلطان قايتباي وأصبح يعرف بالدشيشة الكبرى، تميزاً لها عن أوقاف السلطان محمد والتي أطلق عليها الدشيشة الصغرى، أما أوقاف السلطان مراد الثالث فقد أطلق عليها الدشيشة المرادية، انظر: الرشيدي: حسن الصفا والابتهاج، ص٢٢، ٢٥؛ عبد الحميد سليمان: مصر والحرمين الشريفين في العصر العثماني، ندوة التاريخ الإسلامي، (دار العلوم، جامعة القاهرة: ع ١٢، س ١٩٩٤م)، ص١٥٠ - ١٥١.

(٤)Shaw. J : The Finacial And A dministrative Organization and Development of O ttoman Egypt 1517 – 1798 . Princeton . New jersey 1964 .p 269.

(5) لقد شمل وقف الدشيشة أوقاف السلطان الغوري وطومان باي المملوكين، وفي العصر العثماني شمل أوقاف السلاطين سليم الأول وسليمان القانوني ومراد الثالث، عبد اللطيف إبراهيم: وثائق الوقف على الأماكن المقدسة، (من أبحاث مؤتمر مصادر الجزيرة ، جامعة الرياض: ١٩٧٩م)، ص٢٥٣.

(٦) الشاذلي: الرحلة الوهبية إلى الأقطار الحجازية، ص٥٥.

(١٥١٢) إردباً[١]، ومع نهاية القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي بلغ متحصل الوقف من الحبوب (٣٣،٣٣٣) إردباً ، و"٧٤" كيساً و [١٥،٩٨٨] بارة[٢] وفي عهد محمد علي بلغ ريع الوقف (٢٠٧٨٨) إردباً يرسل لمكة منها (١٣٠٠٠) إردب باسم جراية الصدقة وقد ظلت هذه الصدقات ترسل إلى مكة طيلة فترة البحث إضافة ما كان يرسل من القمح والأرز والسمن[٣].

**ـ وقف الحرمين الشريفين:**

أنشأه أحد سلاطين المماليك الجراكسة[٤] وظل يرسل ريعه إلى الحجاز طيلة العصر المملوكي والعثماني ، وهو مؤلف من أوقاف فردية كانت تضم تلقائياً له حسب شروط الواقفين، وهو من أهم الأوقاف التي أثرت إيجابياً في الحياة العلمية في مكة، فكان يتنامى بصورة كبيرة من خلال ما يضم إليه من أوقاف[٥]

وقد ظلت أوقاف الدشيشة الكبرى والصغرى إضافة إلى أوقاف الحرمين تؤدي دورها إلى عهد محمد علي والذي أصدر أمره بحلها على أن يعوض من مردوداتها بأموال من خزانة مصر[٦] .

**أوقاف الأمراء والأعيان:**

**ـ وقف سنان باشا:**

أوقف سنان باشا ضياعاً وأراضي بمصر تصرف على الكثير من أوجه الخير في مصر، وقد فرض من هذا الوقف مبلغ من المال قدره [٣٢٠] ديناراً يدفع

---

(١) دار الوثائق : دفتر إيرادات ومصاريف خزينة مصر ، سنة ١١٣٦هـ/١٧٢٣م، رقم ٢١٢٢، نوعي ٣/١١٢، حفظ نوعي ١٧، عين ٢٩، مخزن تركي ١؛ أستيف : النظام المالي والإداري في مصر العثمانية ، ترجمة زهر الشايب، (دار الشايب ،القاهرة، ١٩٧٩م)، ج٥، ص١١٢.

(٢) Show , p 270 –272 .

(٣) الشاذلي: الرحلة الوهبية إلى الأقطار الحجازية، ص٥٦

(٤) دار الوثائق : سجلات الديوان العالي، س ١، م ١٩٧، ص٩٤، س ٢، م ٢٨٥، ص١٩٥، م ٣٣٥، ص٢٢٤، م٤٣٤، ص٢٨٥، س٣، م٣٤، ص١٨ ـ ١٩؛ الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ، ج٢، ص٧٢.

(٥) حسام عبد المعطي : العلاقات المصرية الحجازية، ص٢٨٥.

(٦) Show , p 399- 400

لتعليم القرآن وتلاوته بمكة، وفي القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي تحولت الدنانير إلى بارة فصار يصرف على القراء بمكة [١٠٠٠٠] بارة وظل هذا المبلغ يصرف حتى القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي(١).

- **وقف الأمير عبد الرحمن كتخدا**(٢):

من الأمراء المصريين الذين عمت خيراتهم العديد من أوجه الخير ببلاد الحرمين من خلال إصلاح وتعمير المساجد وترتيب القراء بها، وتعمير الأسبلة وغير ذلك من مبرات، أوقف عليها أوقافاً كبيرة بمصر بلغ ما كان يرسل منها لقراء القرآن الكريم عام (١٢١٨هـ/١٨٠٣م) [٤٥٥٨٠] بارة (٣).

- **وقف الشيخ إبراهيم الحسيني الأزهري:**

من أثرياء مصر وعلمائها الأجلاء خصص مبلغاً كبيراً من المال ينفق سنوياً على قراء القرآن الكريم بمكة وطلبة العلم بها بلغ فيمته عام (١٢١٦هـ/١٨٠١م) ما قيمته [٧١٥٥٠] بارة، إضافة إلى أموال أخرى قررها لتنفق على فقراء مكة(٤) ، أسهمت بشكل كبير في إنعاش الحياة العلمية بها.

- كما أوقفت **الشريفة عائشة** من **بيت الحطاب** - وهو أحد بيوت مكة المعروفة في القرن الثاني عشر الهجري - ، أوقفت عقارها على أناس من أهل مكة، منهم بيت سنبل وغيرهم(٥) . وبيت سنبل من البيوت العلمية المعروفة فترة البحث.

---

(١) دار الوثائق : سجلات الديوان العالي، س ٢، م ٤٦٠، ص٢٩٦.

(٢) عبد الرحمن كتخدا: من أمراء مصر كانت له خيرات كثيرة على المساجد والحرمين الشريفين والأزهر الشريف، نفي إلى الحجاز اثني عشر سنة، ثم عاد إلى مصر عام (١١٩٠هـ/١٧٨٠م)، وظل في بيته أياماً وتوفي ودفن بها.انظر: الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص٤٩٠- ٤٩٦.

(٣) دار الوثائق: دفتر صرة جوالي، صرة حرمين شريفين ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م، م ٥٢٨، حفظ نوعي ٦٣٢،عمومي ٥٨٧٦؛ و عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م، م٦١، حفظ نوعي ٧٢٨، م ع ٥٩٧١، مخزن تركي ١.

(٤) دار الوثائق: الروزنامة، دفتر صرة جوالي حرمين شريفين، واجب سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م، م ٥٠١، نوعي ٧٦٥، م ع ٦٠٠٨، مخزن تركي١.

(٥) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٣٦٧.

كما استفاد العلماء وطلاب العلم بمكة من الصرر التي دأبت الدولة العثمانية على إرسالها من مصر وتشمل **رواتب مالية** بالإضافة إلى **مخصصات عينية** كالقمح والحبوب[1]، **فقد تتابع إرسال الأموال مع الصرة الرومية**[2] **وصرة الخزينة الإرسالية**[3]، كما استفاد العلماء والمدرسون أيضاً ولا سيما الفقراء منهم من **صرة الجوالي** الواردة من مصر، والتي أنشأها **السلطان سليمان القانوني** على الحرمين الشريفين، وخصصها للفقراء والأيتام والأرامل والعلماء والمجاورين، ومدرسي الحرم المكي الشريف[4].

ويتم تحديد المستحقين من أموال الصرة في وقت مبكر عن وصولها فكانت الدولة ترسل **شهادات خاصة** للأشراف وأخرى للسادات والعلماء والأهالي والمجاورين مع **أمين الصرة** فيقدمها لأصحابها ويدون أسماءهم وألقابهم في دفتر ويرسلها للباب العالي، وهذه الشهادات عبارة عن مبالغ مالية مخصصة لكل من دون اسمه والتي بموجبها يتم توزيع الصرة عليهم[5].

وكانت طريقة الصرف في مكة أن يصل أمين الصرة[6] ويحضر الأموال المخصصة إلى الحجاز من أموال رسمية أو خيرية يقوم القاضي في مكة بحضور

---

(١) Shaw , P . 399.400.

(٢) دار الوثائق: الروزنامة، دفتر صرة جوالي حرمين شريفين ، واجب سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م، رقم ٤٤٦، حفظ نوعي ٦٩٥، عمومي ٥٩٣٨، مخزن تركي ١؛ واجب ١١٦٨هـ/١٧٥٤م، م ٦٥، حفظ نوعي ٤١٥، حفظ عمومي ٥٦٥٧، مخزن ١.

(٣) دار الوثائق: سجلات الديوان العالي: س ١، م١٢، ص٦، س٢، م ٣٧٩، ص٢٥٠؛ وسجلات الروزنامة: الصرة الرومية، واجب سنة ١١٥٥هـ/١٧٤٢م، رقم ٤٥، حفظ نوعي٧٦١، عمومي ٦٠٠٤، مخزن تركي١.

(٤) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفاتر صرة الجوالي، واجب ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م، م ٥٢٨، حفظ نوعي ٦٣٣، م ع ٥٨٧٦، مخزن تركي ١؛ واجب ١٢١٦هـ/١٨٠١م، م ٥٢٦، حفظ نوعي ٧١٥، م ع ٥٩٥٨، مخزن تركي ١.

(٥) سهيل صابان: مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز، ص١٩٠.

(٦) أمين الصرة: مصطلح إداري يطلق على الموظف الذي يقوم بتوصيل الصرة إلى الحرمين الشريفين كل سنة بصحبة أمير الحاج ، وكان يعين لهذه المهمة إحدى الشخصيات العلمية أو المدنية أو العسكرية ذات التدين والاستقامة ، انظر: أوليا جلبي، حاشية ، ص٨١.

شيخ الحرم والمفتي بتوزيع هذه الحصص على أصحابها نهاراً أو ليلاً تحت أضواء المشاعل وطبقاً للدفاتر السلطانية ويتم ذلك وسط فرحة الأهالي وتهليلهم بالثناء والدعاء للسلطان[١].

ولم تكن المرتبات المفروضة للمدرسين تقتصر على فترة تدريسهم فحسب، بل تعدى ذلك أحياناً إلى ما يسمى الآن بنظام **المعاشات** فقد ظهرت في الوثائق العثمانية أن الدولة قد خصصت **راتباً تقاعدياً للمدرسين**[٢]، فعلى سبيل المثال كان الشيخ عبد ا بن سالم البصري (ت١١٢١هـ/١٧٠٩م) يحصل على راتب من الصرة المصرية ولذريته من بعده[٣]، وهذا النظام له تأثير إيجابي من النواحي العلمية والاجتماعية والاقتصادية للمدرسين، فليس من السهل أن يرى العالم وقد كبر سنه ثم ذهب يستجدي لمواجهة الحياة، أو يراه طلبته قد أصبح في صورة مزرية بسبب ما ألم به من قلة الموارد المالية.

وكان هذا النظام يشمل العلماء والمدرسين، فممن كان يصرف له معاش الشيخ أبو بكر أفندي أحد **المدرسين المجاورين** بمكة بدأ من عام (١٢٦١هـ/ ١٨٤٤م) من ميزانية الحرمين الشريفين[٤].

ولم يتوقف **نظام المعاشات** على حياة المستفيد فكثيراً ما كان **العالم** تصرف له رواتب باعتباره وريثاً لمستحق كما حدث للشيخ خير الدين ابن حجر الهيتمي والذي حصل على نصيبه ونصيب جده ابن حجر الهيتمي باعتباره الوريث الشرعي له، فكان يتسلم حصته من صرة الجوالي، ثم يتسلم نصيب جده الأعلى المتوفي ابن

(١) أوليا جلبي : الرحلة الحجازية، ص١٤٠ـ ١٤٣.

(٢) سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص١٢١.

(٣) دار الوثائق : دفتر صرة رومية، واجب ١١١٩هـ/١٧٠٦م، وواجب ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م.

(٤) دارة الملك عبد العزيز، صورة من وثيقة بالأرشيف العثماني : مجموعة الإرادة الداخلية رقم ٤٤٣١.

حجر الهيثمي من مكة تحت بند "**مرتب أولاد وعيال**"[(١)]، وكذلك لذرية الشيخ عبد ا البصري[(٢)].

ومن الملاحظ أن الأموال التي كانت تأمر الدولة العثمانية بإرسالها من مصر من أموالها العامة أو من الأوقاف للصرف على متطلبات الحرمين وشؤونه والأهالي القاطنين فيه ضخمة إلى حد أن تزايد نفقات الحرمين كان في نظر بعض الباحثين سبباً في **تدهور حالة مصر الاقتصادية** وتدني المستوى المعيشي فيها[(٣)].

**وبغض النظر عن وجاهة هذا القول** فإن ما يهمنا هو حجم الأموال التي كانت تصرف على الحرمين الشريفين، والتي كفلت للكثير من الأهالي بمكة ولا سيما المشتغلين بالعلم سبل العيش الكريم في كافة مجالاته.

*** الهبات والصدقات :**

لقد تنافس الحكام والأمراء والعلماء في تقديم الهبات والصدقات للصرف على أوجه التعليم المختلفة بمكة.

كما استفاد طلبة العلم المحتاجون أو العلماء المعوزون من زيارات حكام و أمراء بعض البلدان الإسلامية ولاسيما أمراء مصر والمغرب والهند الذين كانوا يفدون على مكة لأداء فريضة الحج ويصرفون بسخاء ومحبة على المحتاجين في بلد ا الحرام خاصة على من انقطع منهم للعبادة أو طلب العلم.

فحين وصل **محمد علي باشا مكة قادماً من مصر** عام (١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م) وزع الهدايا على العلماء والصدقات على الفقراء[(٤)].

ومن أصحاب الصدقات على أهالي الحرمين خاصة العلماء والطلاب منهم، الدعم السخي من قبل **الأمير الجزائري** عبد القادر محي الدين بن مصطفى المختار،

---

(١) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، صرة الجوالي، واجب ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م، م ٥٢٨، نوعي ٦٣٢، م ع ٥٨٧٦، مخزن تركي ١.

(٢) دار الوثائق : دفتر صرة رومية، واجب ١١١٩هـ/١٧٠٦م، وواجب ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م.

(٣) الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج٣، ص١٤٥٩.

Faroqhi , 89. 90.

(٤) جيرالدو دوغوري : حكام مكة، ترجمة: محمد شهاب، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ)، ص٢٤٢.

كان الأمير محباً للعلم والعلماء حج عام (١٢٨٠هـ/١٨٦٣م) وعام (١٢٨١هـ/١٨٦٤م) وجاور مدة بمكة، كان يلتقي أثناءها بعدد من العلماء يتحاور معهم في العديد من المسائل، مع الإحسان لهم والعطاء والبذل ، يذكر الحضراوي سخائه الذي شمله مع الجميع فيقول: (وهذا السيد عبد القادر له الإحسان على مؤلف هذا الكتاب وصدقاته تجري عليه وعلى غيره من بعض جيران البيت الحرام)(١) .

وعندما قدمت **ملكة بهبال** لأداء فريضة الحج عام (١٢٨٠هـ/١٨٦٣م) فرقت الكثير من الأموال والثياب وغيرها على خدام الحرم المكي الشريف وفقراء ومساكين البلد الأمين(٢)، كذا حذا حذوها **أحد أمراء الهند** ويدعى نواب رامفور علي خان حين حج عام (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م) إذ فرق على شريف مكة عبد ا   بن عون وبقية الأشراف والعلماء وخدمة الحرم الشريف مجموعة من الأموال فقد أعطى أمير مكة ألفين جنيه، وتصدق على فقرائها وأعطى المجاورين والفقراء [٥١٤٩] جنيهاً، و[٦٠٤١٢] روبية و [٤١٤] ريالاً(٣) .

وكان **لسلطان الهند** أورنك زيب عالمكير حسنات وخيرات ومرتبات لأهل الحرمين الشريفين يقول السنجاري عن هذه الصدقات أنها جارية حتى الآن أي إلى زمن المؤلف سنة (١١٢٥هـ/١٧١٣م)(٤) .

كذلك كان لابنه السلطان **شاه عالم**(5) صدقات لأهل الحرمين ، ففي عام (١١٢٢هـ/١٧١٠م) أرسل خمسة لكوك روبية(٦) كصدقات لأهالي الحرمين(٧).

---

(١) الحضراوي: نزهة الفكر، ج١، ٧٨.

(٢) غازي: إفادة الأنام، ج٣، ق ٤٠٥.

(٣) المصدر السابق، ج٣، ق  ٤١٠.

(٤) السنجاري: منائح الكرم، ج٥، ص٤٣٦، ص١٠.

(5) هو **شاه علم بهادر**، أكبر أبناء السلطان أورنك زيب استطاع أن يقضي على أخويه وينفرد بالعرش حتى وفاته؛ أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ج٢، ص٢٠٢- ٢٠٣.

(٦) **اللكوك**: رقم يستعمل في الهند ومقداره مائة ألف، احمد السباعي: تاريخ مكة، ج٢، ص٤١٣، **والروبية** العملة المستعملة في شبه القارة الهندية.

(٧) السنجاري: منائح الكرم، ج٥، ص٤٧١.

ويذكر الطبري في حوادث عام (١١٣١هـ/١٧١٨) أن صاحب الصدقة **عبد الحفيظ خان ابن عبد الرحمن مفتي الديار الهندية** وصل مكة ونزل بالمدرسة السليمانية وقدم له تاج الدين الدهان دفترين مسجل فيهما أسماء **الأئمة والخطباء والمدرسين** بالمسجد الحرام وفي اليوم التالي اجتمع المسجلين بالدفاتر عند صاحب الصدقة، فقسم المال بينهم وأعطى **المدرسين** على اثني عشرة وبعضهم عشرة وبعضهم ثمانية، والخطباء والأئمة كل واحد ستة أحمر، أما العامة فقد اجتمعوا ببيت الطواشي وكان له بابان يدخلون الناس من جهة ويخرجون من جهة تفادياً للازدحام، وقد وزع على كل شخص ما بين ثلاثة قروش وربع قرش[1].

وفي عام (١١٩٧هـ/١٧٨٢م): (أرسل **سلطان المغرب** صدقة للسادة الأشراف والعلماء وخدمة البيت الحرام وكذلك أهل المدينة النبوية، وكانت ذهباً مطبوعاً مقدار وزن كل واحد وزن الريال الفضة مكتوب عليها والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل ا فبشرهم بعذاب اليم)[2]..

وممن وصل عطائه علماء مكة وطلابها المحتاجين شيخ العلماء بها **عبد ا بن عبد الرحمن سراج**(ت١٢٦٤هـ/١٨٤٧م)، أخبر عبد الستار دهلوي عن كرمه وجوده بأن: (.. كرمه البحر إذ **يتفقد مساكين العلماء** بالصدقة وله الوجاهة التامة والرحمة العامة)[3].

ومن المحسنين أيضاً: الشيخ **علي الجداوي،** وهو من أثرياء التجار وأصحاب الخيرات والصدقات، ذكر الحضراوي أن صدقته كانت تعم الحرمين الشريفين من **علماء وخطباء وفقهاء وفقراء** وغير ذلك، (وكان في كل سنة إذا أتى مركبه من السفر لم يبع ما فيه **إلا في باطن أسواق مكة،** من أرز وغيره ويكون بيعه للفقراء بالكيلة والكيس، حتى إن جميع الرز ينزل لقدوم مركبه)[4].

---

(١) الطبري: إتحاف فضلاء الزمن، ص٤٢٤.

(٢) القطان: تنزيل الرحمات، ق٣٠٥.

(٣) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق٦٣.

(٤) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٢، ص٢٥٠.

ومن المشهورات بالبر على العلماء وطلبة العلم **الشريفة عزة بنت الشريف عبد المطلب بن غالب** (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) قال عنها الدهلوي: (المحسنة التقية الزاهدة المعمرة، .. ترسل العطايا والصلات إلى ..العلماء..)[١] .

*** مقادير مرتبات المدرسين بمكة فترة البحث :**

عادة ما يحدد الراتب المقرر للمدرس المعتمد بالمسجد الحرام حسب المكانة العلمية التي يتمتع بها إضافة إلى اعتبارات أخرى يقدرها شيخ الحرم، ويصرف الراتب من أرزاق العلماء التي ترسها الدولة العثمانية[٢]، أما المدرس الغير معتمد فكان رزقه أقل من المدرس المعتمد وكان يحصل عليه من أموال المجاورين والأهالي وليس من أرزاق العلماء[٣].

فقد بلغ مرتب المدرسين بمكة عام (١٢٢٠هـ/١٨٠٥م) ما بين [٤٠٠٠] بارة وحتى [١٣٠٠٠] بارة ، وبلغ عام (١٢٦١هـ/١٨٤٤م) حوالي مائة وخمسين آقجة في اليوم[٤].

وفي عام (١٣٠١هـ/١٨٨٥م) كان راتب المعلمين بالمسجد الحرام **يبتدأ بمائة قرش** للمدرس المبتدأ ثم **يزداد** بالتسلسل كلما ارتفعت مرتبة المعلم حتى خمسمائة قرش، فعلى سبيل المثال عين **الشيخ أحمد الخطيب** (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) بأمر من أمير مكة الشريف نتيجة ثناء صهره ووجاهته عند الأمير فوافق على تعيين وزوج ابنته الخطيب مدرس براتب قدره خمسمائة قرش وهو أعلى راتب يصل له المدرس بالمسجد الحرام نتيجة لانتقاله من مدرس براتب مائة إلى مدرس بخمسمائة، ولكن مدرسين وعلماء المسجد الحرام رفضوا هذا التعين الجائر، إذ كيف بمدرس يتولى التدريس بخمسمائة قرش **عند أول تعيينه** بالمسجد الحرام ويقارع بهذه الرتبة كبار علماء المسجد الحرام وجهابذته علماً ومكانة وراتباً،

---

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق١٦٧.

(٢) سنوك : صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص ٤٩٣.

(٣) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر صرة جوالي أهالي حرمين شريفين، واجب ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م.

(٤) سهيل صابان : نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص٢٨.

ومازالوا رافضين هذا التعيين حتى نزل **الشيخ أحمد** في التسلسل إلى الثلاثمائة قرش[1] .

ومع هذه **الرواتب المقررة المقدرة** إلا أن كثيراً من المدرسين **لم تكن لتكفيهم رواتبهم** التي تصرف لهم من المسجد الحرام[2]، لذا كانوا يعتمدون على ما يأتيهم من بلادهم إن كانوا **مجاورين** أو على تأجير مبانيهم ومساكنهم للمعتمرين وحجاج بيت الله الحرام، أو الامتهان في مهن أخرى لتسد حاجاتهم ومتطلباتهم، فعلى سبيل المثال كان راتب **الشيخ أحمد الخطيب** وهو الثلاثمائة قرش لا تكفي لسد حاجاته هو وأهله لذا كان له عقار يؤجره إضافة إلى ما كان يرد إليه سنوياً من أهل الخير من بلاده الأصلية جاوة[3].

وفي بعض فترات البحث تبين أن **المدرسة الحكومية الرشدية بمكة كانت تعطي مرتبات أعلى** من الأموال الممنوحة لمدرسي الحرم، فقد بلغت رواتب المدرسين والتي كانت تصرف سنوياً من ميزانية المعارف بولاية الحجاز على **المدرسة الرشدية والتي أسست بمكة عام (١٣٠١هـ/١٨٨٣م) ألف قرش** للمعلم **الأول**، وستمائة وأربعون قرشاً للمعلم **الثاني** ، أما المعلم **الثالث** فيعتقد أنه كان لا يزيد عن خمسمائة قرش ولا ينقص عن مائة وخمسون قرشاً حيث إن **البواب** كان يتقاضى راتباً قدره مائة وعشرين قرشاً[4]، وإذا أردنا أن نبحث عن هذه الأسباب، يمكن أن نصل إلى بعض الاستنتاجات بسبب معرفتنا عن المدرسة الرشدية، وطبيعة المعلمين بها، فقد أمدتنا الوثائق أن المعلم الأول بالمدرسة الرشدية كان يرسل من قبل نظارة المعارف باسطانبول، فيمكن أن يكون ما يأخذه خاضعاً للنظام في تركيا من جهة، ومضافاً له مصاريف تجهيز المنزل، أو ما يقال له الآن **بدلات سكن**

---

(١) سالنامه ولاية الحجاز، ع ٢، ١٣٠١هـ، ص ١٠٣ـ ١٠٤؛ أحمد الخطيب: القول التحيف، ق ١٠، وانظر في أسماء المدرسين ومخصصات كلٍ: الملحق، ٢/د.

(٢) البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٦٠.

(٣) أحمد الخطيب: القول التحيف، ق١٠.

(٤) الأرشيف العثماني: إرادة داخلية، وثيقة رقم / ٧٣٨٢٧ ، بتاريخ ١٣٠٢هـ، نقلاً عن : سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص ١٧٣.

**وانتقال وطبيعة عمل** وما أشبه ذلك، يؤكد ذلك أنه لما كان الشرط في **المعلم** أن يكون ملماً باللغة العربية عارفاً بها[1]، ولما رشح المدرس الذي كان يدرس بجدة لمعرفته باللغة العربية فقد طلب له زيادة على مرتبه بجدة بنحو ٥٠% بسبب مصاريف النقل[2] .

ومع نهاية فترة البحث وبالتحديد عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) **ضاقت الأحوال المادية** لعلماء الحرم المكي الشريف حتى اضطر أحد مدرسي المسجد الحرام بنشر رسالة في جريدة **شمس الحقيقة** يشكوا فيها سوء الأحوال المالية للمدرسين بالمسجد الحرام وضيق موارد رزقهم ، فمما قاله في الجريدة مخاطباً محرر الجريدة: (لا يخفى على جنابكم أن العلماء وطلبتكم في المسجد الحرام الذين هم من جملة القائمين بفرض الكفاية عن المسلمين وهو تدوين العلوم الشرعية والاشتغال بالتأليف والتدريس، منذ أعوام في بلد ا الحرام، لم يزالوا متشوقين إلى ما يسد رمقهم من صدقات المتصدقين، وإجازة أنفسهم في أداء فرض الحج عمن لم يبلغه ، وهم في عيشة ضيقة لم تلتفت إليهم الدولة بمرتبات شهرية من أوقاف الحرمين ، كما التفت لأهل البصرة وبغداد والشام، فرتبت لأقل عالم منهم راتباً شهرياً نحو الخمس ليرات، فأدى إلى بأس العلماء والطلبة الوطنيين النافعين للوطن لما بلغ علاء الأقوات وغيرها، إلى ما هو مشاهد اليوم في هذا البلد الأمين، كما قلّت الصدقات، بل اضمحلت فكاد أن يذهب العلم وطالبوه، ولتمام الدليل الذي أقمتموه في صحيفتكم الحرة أنها منحة لطلبة العلم، نرجو أن تنادي فيها بأعلى صوتك بحي على الفلاح، وتستلفتوا أنظار الدولة بالتوجه للعلم والعلماء وطلبتهم ، فيعينونهم بمرتب شهري يصرف نظرهم عن الصدقات ويبعثهم على التوجه التام للعلم، وطبع مؤلفاتهم

---

(١) كانت هذه المخصصات للمدرسة الرشدية بالمدينة عام ١٢٩٨هـ، سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص١٦٢.

(٢) كان المعلم الأول بجدة، يأخذ ٦٤٠ قرشاً، فزاد إلى ألف قرش، انظر سهيل صابان: نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، ص١٧٢ـ ١٧٣، وانظر ما يتعلق بالمدرسة الرشدية في الفصل الثاني مبحث المدارس، من هذا البحث.

المناسبة لهذا الزمان، وهل الأوقاف على الحرمين الشريفين كان وقفها على موضوع غير هذا الموضوع الذي هو أهم موضوع؟ فيتم المقصود بتأسيس المدارس ، وتعليم العلم والصنائع ، وتحيا البلاد وأهلها)[1] .

وقد أكد البتنوني الذي زار مكة عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) على **ضعف الموارد المالية** لعلماء الحرم المكي، وذكر أن عدد المدرسين بالمسجد الحرام في ذلك الوقت بلغ حوالي (٣٠) مدرساً وأن المرتبات السنوية التي تصرف لهم من **خزينة الدولة العثمانية** كانت تتراوح بين مائة قرش عثماني وخمسمائة قرش عثماني وهي مرتبات لا تكفي حاجتهم وأن عنايتهم بالتعليم ليست في المستوى المطلوب، وكان يأمل أن ينظر إليهم بعين الاعتبار والتقدير والتشجيع، كما أشار إلى أن عدد الطلاب الذين يدرسون في حلقات الدرس في المسجد الحرام يقدرون ببضع مئات، وأن منهم من يعمل في أوقات الفراغ عملاً يساعدهم في حياتهم[2].

**أما بالنسبة لمقدرات المخصصة للصرف على الكتاتيب** فقد تكفلت الدولة العثمانية بدفع رواتب العاملين في الكتاتيب التابعة لها، حيث كانت تخضع لنظام الأوقاف، مما يتيح للمعلمين بها الحصول على النفقات والرواتب من هذه الأوقاف الجارية عليه، ومن جهة أخرى كانت بعض رواتب تلك الكتاتيب مستمرة أيضاً من صرة أمير الحج المصري في كل عام[3]، أما الكتاتيب الموقوفة من قبل الأهالي فكان الأنفاق عليها يتم من خلال الواقف[4]، وإن كانت الكتاتيب الأهلية خاصة فكان أولياء أمور الطلبة هم المتكفلون بمصاريفها[5].

---

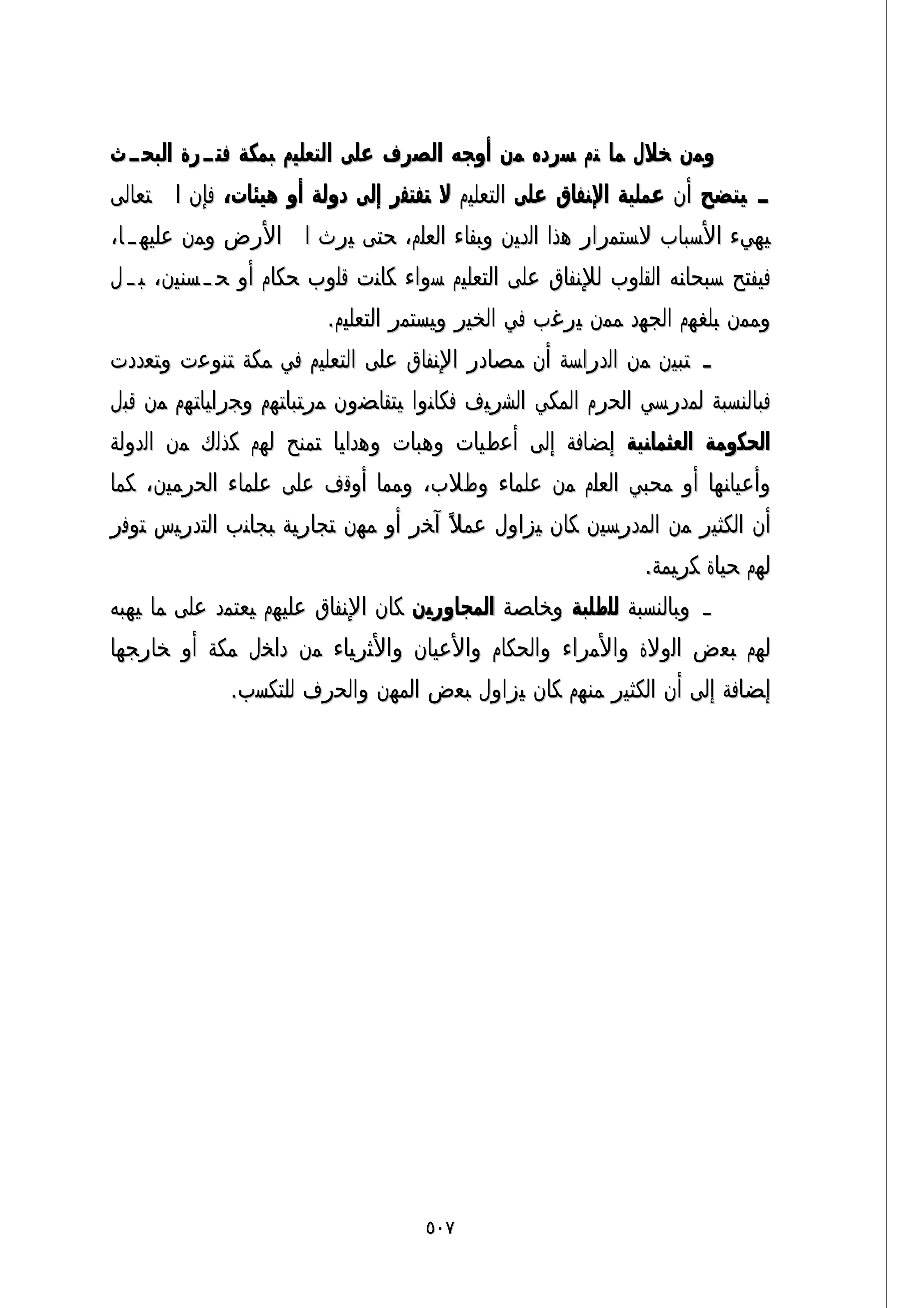
(١) الشامخ: التعليم في مكة والمدينة، ص٩٩ـ ١٠٤.

(٢) البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٦٠.

(٣) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر رومية أهالي حرمين ، واجب ١١٢٠هـ/١٧٠٨م، دفتر رقم ١١٢.

(٤) دار الوثائق: سجلات الروزنامة، دفتر رومية أهالي حرمين شريفين ، واجب سنة ١١٢١هـ/١٧٠٩م، رقم ٥٣٣٣، حفظ نوعي ٩٠، عين ٧٢، مخزن تركي ١؛ وواجب سنة ١١٣١هـ/١٧١٨م، رقم ٥٣٨٢، حفظ نوعي ١٣٩، عين ٧٢، مخزن تركي ١.

(٥) ابن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، ص٥٨ـ ٥٩.



**ومن خلال ما تم سرده من أوجه الصرف على التعليم بمكة فتـرة البحـث**

**ـ يتضح** أن **عملية الإنفاق على** التعليم **لا تفتقر إلى دولة أو هيئات،** فإن ا تعالى يهيء الأسباب لاستمرار هذا الدين وبقاء العلم، حتى يرث ا الأرض ومن عليهـا، فيفتح سبحانه القلوب للإنفاق على التعليم سواء كانت قلوب حكام أو محـسنين، بـل وممن بلغهم الجهد ممن يرغب في الخير ويستمر التعليم.

ـ تبين من الدراسة أن مصادر الإنفاق على التعليم في مكة تنوعت وتعددت فبالنسبة لمدرسي الحرم المكي الشريف فكانوا يتقاضون مرتباتهم وجراياتهم من قبل **الحكومة العثمانية** إضافة إلى أعطيات وهبات وهدايا تمنح لهم كذلك من الدولة وأعيانها أو محبي العلم من علماء وطلاب، ومما أوقف على علماء الحرمين، كما أن الكثير من المدرسين كان يزاول عملاً آخر أو مهن تجارية بجانب التدريس توفر لهم حياة كريمة.

ـ وبالنسبة **للطلبة** وخاصة **المجاورين** كان الإنفاق عليهم يعتمد على ما يهبه لهم بعض الولاة والأمراء والحكام والأعيان والأثرياء من داخل مكة أو خارجها إضافة إلى أن الكثير منهم كان يزاول بعض المهن والحرف للتكسب.

## الفصل الرابع

## النتاج العلمي لعلماء مكة

- المجاورون وأثرهم في النتاج العلمي.
- الوراقون وأثرهم في النتاج العلمي.
- المصنفات العلمية لعلماء مكة (العلوم الشرعية، العلوم اللغوية والأدبية، العلوم الاجتماعية، العلوم التطبيقية).
- الاهتمام بالمكتبات وخزائن الكتب.
- أثر علماء مكة في ازدهار الحركة العلمية في البلدان الإسلامية.

## المجاورون وأثرهم في النتاج العلمي

**لقد شع نور العلم من أرجاء مكة حين بدأ الوحي** آمراً بالعلم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1]، ومنذ ذلك الحين لم ينقطع العلم بمكة، فقد قيض الله لنبيه ﷺ أصحاباً حملوا عنه العلم ونشروه في أنحاء العالم، فتعلقت قلوب المسلمين بمهبط الوحي، وزاد ذلك بالحج الذي جذب الناس من كل فج عميق، **وعندما يهبط الحاج مكة** فإنه يحدث له ارتباط وجداني بهذا المكان الطاهر مما يدفعه دوماً للرجوع المرة بعد المرة، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً﴾[2].

**إن هذا الحب لمكة كان دافعاً قوياً لنزول العلماء البلد الحرام** وتوطنهم به واستقرارهم على أرضه، وصارت مكة بمقدم العلماء ومقامهم بها مشتملة على حركة دينية علمية أسهمت في التوجيه العلمي للعالم الإسلامي على مر العصور واصطلح على تسمية من أقام بجوار الكعبة "**مجاوراً**" ومن هنا نشأ اصطلاح "**المجاورة والمجاورون**"، كظاهرة مؤثرة في الحركة العلمية للعالم الإسلامي.

*** المجاورة تعريفها ونشأتها:**

**المجاورة لغة:** من "الجُِوار" بالكسر والضم والكسر أفصح، والمجاورة: الاعتكاف في المسجد، والجار: المجاور، تقول جاوره مجاورة وجواراً، وتقول: تجاوروا واجتوروا بمعنى واحد، وأجاره الله من العذاب: أنقذه[3].

**فالمجاورة تتضمن** معنى الإقامة في المكان، وقد جاء هذا المعني في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً﴾[4]، قال ابن كثير: ﴿ثم لا يجاورونك فيها﴾، أي: المدينة[5].

---

(١) سورة الأعلى، آية: ١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٢٥.

(٣) الرزاي: مختار الصحاح، ص١٠٣، وانظر كذلك الزبيدي: تاج العروس، مادة جور.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٦٠.

(٥) ابن كثير: تفسير القرآن، ج٣، ص٥١٩.

**وقد جاءت المجاورة في السُنة بمعنى الإقامة في المكان مدة أيضاً**، ففي بدء الوحي يحدثنا الصحابي الجليل جابر بن عبد ا [1] أن رسول ا ﷺ قال: ((**جاورت** بحراء شهراً فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء يعني جبريل عليه السلام...)الحديث[2] .

وكذلك بمعنى **الاعتكاف**، وهو بنفس المعنى أي الإقامة مدة في المكان طلباً للخير، روت أم المؤمنين عائشة قالت: (كان رسول ا ﷺ **يجاور** في العشر الأواخر من رمضان)[3]، ومن هذا الباب أيضاً ما جاء في سنن الترمذي أن الصحابي الجليل عبد ا بن سلام[4] قال: (إن الملائكة قد **جاورتكم** في بلدكم هذا الذي نزل فيه نبيكم)[5].

**ومن خلال ما تقدم من الاستعمال لهذه الكلمة** في القرآن والسنة وما جاء على ألسنة الصحابة الكرام يتضح أن المراد منها: **الإقامة في مكان مدة طلباً للخير**.

**فالمجاورة تعني البقاء بمكة أو المدينة بجوار الحرمين الشريفين**، يباشر فيها المجاور حياته العادية، وتنتهي المجاورة بخروجه من هاتين المدينتين أو وفاته، **وتختص مجاورة مكة بأنها يقصد بها النزول بجوار البيت والإقامة بجانبه، من أناس لا يقيمون إقامة اعتيادية بمكة**، وذلك لإقامة المناسك وشعائر الحج والعمرة، **إضافة إلى طلب العلم أو العمل أو غير ذلك**[6] .

---

(١) هو الصحابي الجليل جابر بن عبد ا بن عمرو الأنصاري السلمي، غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة، بعد السبعين، وهو ابن أربع وتسعين. ابن حجر: تقريب التهذيب، ج١، ص١٢٢.

(٢) مسلم : الجامع الصحيح، ج١، ص١٤٤، ح ١٦١.

(٣) المصدر السابق، ج٤، ص٢٥٩، ح ٢٠٢٠.

(٤) هو الصحابي الإمام الحبر عبد ا بن سلام ، المشهود له بالجنة، من خواص أصحاب النبي ﷺ، شهد فتح بيت المقدس توفي عام (٤٣هـ)، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٤١٣ .

(٥) الترمذي: الجامع ، ج٥، ص٣٥٥، ح ٣٢٥٦.

(٦) منى حسن آل مشاري: المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي من "٦٤٨هـ - ٩٢٢هـ/١٢٥٠م -١٥١٧م"، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، الرياض:١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٢٢.

*** دوافع المجاورة:**

تعددت دوافع وأسباب العلماء للمجاورة بمكة ولعل من أبرزها:

**الدوافع الدينية:** قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلّىً وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[1]، وقال رسول ا ﷺ: ((إنك لخير أرض ا وأحب أرض ا إلى ا ))[2].

وفي الحقيقة فإن هذا الدافع والمتمثل في العبادة يكاد يكون مشتركاً في جميع من جاور بمكة، وهذا لا ينافي وجود دوافع أخرى، لكن لا تتمحض تلك الدوافع دون الدافع الديني، لأن حب مكة ومكانتها الدينية مستقر في نفوس المسلمين، وقد يعاونه دافع آخر اجتماعي أو اقتصادي أو علمي..، لكن يبقى هذا أهم أغراض المجاورة فيما يظهر لي وا أعلم.

فمن يأتي مكة للتعبد يتعلق قلبه ووجدانه بالحرم والمشاعر والمسجد الحرام وما يدار فيه من حلقات العلم، فيتعرف على علوم جديدة، وعبادات كثيرة من طواف واعتكاف وغيرها، لم يكن ليحصلها في بلاده، فيتحرك قلبه للمقام بهذا البلد الطاهر.

**فمن الدوافع الدينية التي أثرت في بقاء العلماء الحجاج طلباً للجوار بمكة ما جاشت به نفس الواحد منهم من معاني إيمانية ذاقها في خلال الرحلة المباركة رحلة الحج** ، فأثر تمضية ما بقي له من عمر بجوار البيت العتيق، وكان له دور في إثراء الحياة العلمية بها **فمن هؤلاء :**

- **صنع ا الهندي الحنفي**(ت١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م)، **فقيه عالم،** قدم من الهند لأداء فريضة الحج، فجاور بمكة **على الطاعة والعبادة،** وتصدى التدريس بمسجدها الحرام سنين عديدة في علوم مختلفة[3].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٢٥.

(٢) الحاكم: المستدرك، ج٣، ص٤٨٩.

(٣) مراد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٢٤.

- **محمد بن محمد التهامي المالكي** (ت١٢٤٤هـ/١٨٢٨م)، من علماء المغرب **محدث مسند أديب لغوي،** جاء إلى مكة لأداء فريضة الحج عام (١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م) فجاور في رحاب البيت الحرام، وروى الحديث عن رسول ا وأخذه عنه كثير من طلبة العلم، توفي بمكة ودفن ببقاعها الطاهرة[(١)].

- **عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري** (ت١١٩٥هـ/١٧٨٠م)**،** مؤرخ المدينة وأديبها، ولد بها ونشأ في طلب العلم، وحفظ القرآن الكريم وصلى به التراويح في المسجد النبوي، ألف رسائل وخطب، ودرس بالمدينة فانتفع به الطلبة أقام بمكة سبعة عشر عاماً مجاوراً بها على العبادة والطاعة [(٢)].

ومن جملة **الدوافع الدينية** ما تكرر في كل زمان من تجمع آيات الشوق للجوار في رأس العالم إذا وهن منه العظم وانحنى منه الفقار، فيهفو قلبه **بأن يقضي آخر ما تبقى من عمره** وهو يتنسم الهواء **في رحاب البيت الحرام،** فمن هؤلاء:

- **عبد ا بن صقية الحنبلي**(ت١٢٥٦هـ/١٨٤٠م)، من علماء القصيم، رحل إلى بريدة وتولى قضائها والتدريس بها ، حتى أرهقته الشيخوخة فطلب الإعفاء من منصبه والرحيل إلى مكة للمجاورة بها **وقضاء ما تبقى له من عمره في رحابها،** فقدمها مجاوراً وعاش في حمى حرمها حتى وافته المنية [(٣)].

- كما جاور بها مفتي وقاضي عسير **عبد الخالق بن إبراهيم الحفظي** (ت١٢٨٣هـ/١٨٦٧م)**،** وذلك لما وهن به العظم واشتعل برأسه الشيب، قرر الرحيل إلى مكة ليكون بالقرب من البيت العتيق [(٤)].

- **إرادة حسين بن علي العظيم آبادي الحنفي** (ت١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م)، من علماء الهند سافر إلى مكة عام (١٢٧٦هـ/١٨٥٩م) لأداء فريضة الحج، ثم عاد

---

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٣، ق١٤٤.

(٢) عبد الرحمن الأنصاري: تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق: محمد العمروسي المطوي، (ط١، تونس، المكتبة العتيقة:١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)،ص٢٧-٢٨؛ مجهول: تراجم أعيان المدينة، ص٤٥.

(٣) القاضي: روضة الناظرين، ج١، ص٣٦٤؛ البسام : علماء نجد، ج٢، ص٥٥٩

(٤) هاشم بن سعيد النعمي: شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي عسير في الفترة ما بين"١٢١٥- ١٤١٥هـ"، (ط١، جدة، دار العلم: ١٩٩٥م)، ص٣٣٨- ٣٣٩.

إلى بلاده، وفي سنة (١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م) قرر العودة إلى مكة للمجاورة **وقضاء ما تبقى له من عمر** ، فجاور بها ثلاث عشرة سنة حتى وافته المنية[١].

- **منصور بن علي بن حسن الحنفي**(ت١٣٣٧هـ/١٩١٨م)، من علماء الهند كان من مدرسي المدرسة الطبية بحيدر آباد، درس بها مدة طويلة حتى أحيل إلى المعاش، فقدم مكة واستوطنها وتوفي بها عام[٢] .

وكونه كان مدرساً بالمدرسة الطبية فمن المتوقع أن يكون قد أسهم في تنشيط علوم الطب بمكة بوجه ما، فالأطباء على مر العصور قد جبلوا على منفعة الناس بما يحملونه من علوم طبية.

**الدوافع السياسية:** عم العالم الإسلامي في فترة البحث **هجمات شرسة من قبل الدول المعادية للإسلام** الطامعة في خيرات المسلمين، فاحتلت الكثير من بلدان الإسلام، وسامت المسلمين سوء العذاب، وقتلوا ودمروا ونهبوا، وقد فر الكثير من المسلمين المضطهدين في ديارهم صوب مكة، طلباً للأمن والأمان وجاوروا بها وصار لبعضهم شأن من خلال علومهم التي بثوها، وأكمل الكثير منهم جهاده العلمي بإنشاء المدارس، ووضع المصنفات والمؤلفات من داخل أروقة المسجد الحرام.

**كما أن بعض المجاورين كان ممن تعانى السياسة في بلده،** فكانت المجاورة مخرجاً له من عالم السياسة ذي الدهاليز المظلمة، والمسالك الوعرة، ولا سيما إذا وجد من أمير مكة والنظام السياسي بها ما يهيئ له المقام الهنيء.

**فممن جاور بمكة طالباً للأمن والأمان إمداد ا بن محمد الفاروقي الهندي الحنفي**(ت١٣١٧هـ/١٨٩٩م)، من علماء الهند الذين ثاروا في وجه الاحتلال الإنجليزي في بلاده وقاومه بضراوة هو وأصحابه، فدارت الدائرة على المسلمين وضيق على الشيخ، فهجر الهند وتوجه إلى مكة وجاور بها، ما بين عبادة وتطواف، وإلقاء دروس العلم بمنزله إلى أن توفي بها[٣].

---

(١)غازي: نظم الدرر، ق١٦٨.

(٢) المصدر السابق، ج٨، ص٤٨٢.

(٣) الحسيني: نزهة الخواطر، ج٨، ص١١٩٤.

- **عصمة ا   بن سيد الفرغاني الحنفي**، من علماء فرغانة البارزين، حج سنة (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م)، فالتقى بعلماء مكة وأخذ عنهم منهم الشيخ عبد الحق الإله أبادي الذي قرأ عليه وأجازه، ثم رجع إلى بلاده، ولكنه وجد الروس قد شنوا هجماتهم على بلاده فهاجر إلى مكة وراح يكمل ما كان بدأه بها حين جاء إليها حاجاً عام (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) فأخذ العلم عن مشايخ كثيرين منهم الشيخ عبد الرحمن سراج مفتى الأحناف والشيخ رحمت ا   الهندي، ودرس بالمدرسة الصولتية وعاون مدير مكتبتها وظل في عطائه حتى وافته المنية بمكة ودفن بها[1].

- **رحمت ا   ابن خليل العثماني الهندي الحنفي**(ت١٣٠٨هـ/١٨٩٠م)، من علماء الهند، كانت له مجهودات كبيرة في نصرة الإسلام والمسلمين، منها مناظرة القس "بفندر" رئيس البعثة النصرانية في الهند، وقد نصر ا   الشيخ المجاهد على مناظره، وقد أعلن الشيخ الجهاد ضد الاحتلال الإنجليزي عام (١٢٧٣هـ/١٨٥٧م) ولكنه خسر المعركة أمام جبروتهم الغاشم، وحكموا عليه بالقتل وباعوا أملاكه بثمن بخس، مما أجبر الشيخ على الخروج من الهند مهاجراً صوب مكة عام (١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م)، فاستقبل من قبل أشراف مكة وعلمائها وأعيانها بحفاوة وترحاب، وقد استدعاه السلطان العثماني إلى استانبول اكثر من مرة وأراده أن يبقى فيها ولكنه فضل البقاء بمكة، تصدر للتدريس بالمسجد الحرام فانتفع بعلمه العالم و المتعلم والقاصي والداني، استمر في عطائه سواء من خلال مؤلفاته أو إدارته للمدرسة الصولتية إلى أن وافته المنية بمكة[2].

**الدوافع الاقتصادية:** قال ا   تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾[3]، وقد **نزلت هذه الآية في الاتجار في مواسم الحج**[4]، ولم يزل الناس يتجرون في مواسم الحج، وقد يستطيب الحاج التجارة بالبلد الحرام فتتسع تجارته

---

(١) غازي : نثر الدرر، ق٤٥.

(٢) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج١، ق١٧٧، ١٧٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٨.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٢٣٩.

بمكة فيجاور بها لمراعاة تجارته، وفي المقابل قد تنقطع النفقة بأحدهم وهو ابن السبيل ولا يستطيع العودة إلى بلاده فيبقى مدة في مكة حتى يجمع نفقة له، ويهنأ عيشة بمكة ويجاور بها، **فمن ذلك :**

- **محمد المنشاوي الشافعي** (ت١٣١٤هـ/١٨٩٦م)، عالم مصري ، قدم مكة في حدود عام (١٢٦٠هـ/١٨٤٤م) ، وكان معدماً فقيراً، حضر دروس عدد من مشايخ المسجد الحرام، حتى أجازوه فدرس بالحرم وانتفع به كثير من طلاب العلم خاصا الطلبة الجاوة، الذين ساعدوه مادياً، فأصبح ذا ثروة ومال أعانته على الزواج والاستقرار بمكة[(١)].

**الدوافع الاجتماعية:** قد تكون ثمة دوافع اجتماعية تدفع العالم أو طالب العلم للمجاورة بمكة كأن يتخذ الرجل زوجة مكية فيطيب له البقاء بمكة والمجاورة بها، فمن ذلك:

- **محمد مراد بن أحمد الدمياطي الشافعي** (ت١٢٩٦هـ/١٨٧٨م)، قدم من مصر صوب مكة لأداء نسكه فجاور بها بعد أن تزوج من إحدى سيدات مكة ورزق منها الذرية، وكان للشيخ باع في الفقه والأدب، درس بالمسجد الحرام وانتفع به الطلاب والعلماء، انقطع في داره عن الخروج من سنة (١٢٩٠هـ/١٨٧٢م) لمرضه وضعف بصره، إلى أن وافته المنية[(٢)].

- **محمد بن محمد فردوس الأفغاني الحنفي** (ت١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م) قدم مكة من بلاده فقيراً، فجاور بها ولازم الشيخ جمال الحنفي المكي وقرأ عليه التفسير والحديث والفقه وغير ذلك، تزوج بمكة وبنى بها داراً، وتوفي بها[(٣)].

فمن الواضح من خلال ترجمة الشيخ أن الفقر دفعه للهروب من بلاده صوب مكة، ولعله كان السبب في منعه من العودة إليها، فجاور بمكة ووجد فيها الخير والبركة.

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٨٤.

(٢) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٣، ق٧٦؛ غازي: نثر الدرر، ق١١.

(٣) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٣، ق١٠٩.

**الدوافع العلمية:** ((إن العلماء ورثة الأنبياء))[1]، وآيات مدح العلم والعلماء في القرآن كثيرة ولا شك أن محبي العلم من القاصدين لمكة للحج أو العمرة، قد اطلعوا عليها ، فيأتي الحاج وهو إما مشتغلاً بالعلم قبل مجيئه وإما محباً للعلم والعلماء، وعلى كلٍ فإذا كان القادم إلى مكة من المحبين للعلم فإنه يجد الفرصة مهيأة لطلب العلم في جنبات المسجد الحرام ويعجب أيما إعجاب بحال العلماء والطلاب، مما يحرك الرغبة في نفسه للتعلم والتفرغ له فيزمع النية على المجاورة.

وأما إن كان القادم إلى مكة من العلماء فإنه يجد أيضاً الفرصة مواتية لينشر علمه بين الناس، ولا سيما ونشر العلم في مكة مدعاة لإبلاغه للآفاق لكثرة الوارد لمكة من شتى البلدان، فلولا وجود حركة علمية نشطة في مكة لما كانت المجاورة طلباً للعلم وتدريسه بهذا الكم الكبير الذي وجد فترة البحث، ومن الملاحظ أن الكثيرين ممن طلب العلم بمكة وجاور لذلك رحل بعدما تشبع من العلوم ليقوم بواجب نشرها في طباق الأرض، كما أن من المجاورين من رأي أن تدريسه بالحرم أولى فأقام بمكة مدرساً حتى توفي بها.

ويمكن تقسيم جملة ما وقفت عليه في البحث إلى أنواع متباينة في الدوافع العلمية والنتائج وإن كان جميعهم يربطهم رباط العلم.

فجملة من هؤلاء إنما كان جوارهم **لتحصيل** العلوم والفائدة **مدة محدودة** من الزمان انتقل على إثرها إلى بلاده ناشراً تلك العلوم التي جمعها، وهذا النوع وإن كان يظن لأول وهلة أنه مؤثر في النطاق الخارجي لمكة، إلا أننا يمكن أن نلمس أثراً له في النتاج العلمي في مكة فإن طالب العلم الذي يأتي من الجهات البعيدة يكون على دراية بالأحوال العامة بتلك الجهات، ويكون لديه التصور التام عن المشكلات التي يطلب حل لها لدى علماء مكة، ولا شك أنه إبان وجوده بمكة يورد الأسئلة تلو الأسئلة على شيوخه حتى يحصل على الإجابة التي يحملها معه إلى بلاده، فإذا علمنا أن العلم سؤال وجواب، وأن نصف العلم هي المسائل أدركنا كيف

---

(١) الترمذي: السنن، ج٥، ص ٤٧؛ ابن ماجة: السنن، ج١، ص ٨١.

تزيد الحصيلة العلمية للعلماء بمكة من خلال ما يورد عليهم من أسئلة مختلفة وفي مجالات متعددة.

فمن هؤلاء الطلبة الذين جاوروا بمكة طلباً للعلم:

- **إبراهيم بن محمد البخشي الحلبي** (ت١١٣٦هـ/١٧٢٣م)، من علماء الشام، قرر والده المجاورة بمكة فرحل معه، وجاور بها مدة وأخذ عن علمائها، وظل هذا حاله في مكة يأخذ من هذا ويقرأ على هذا إلى أن توفي والده ومعلمه فعاد إلى وطنه لنشر ما تحمله من علم فتصدر للتدريس بمدينة حلب وانتفع الطلبة بعلمه ومؤلفاته، منها "فتاوى في الفقه الحنفي" و"تحريرات في الفقه الشافعي"[(١)]، والتي تظهر مدى تضلعه ورسوخه في المذهبين الحنفي والشافعي.

- **علي بن محمد بن علي المصري الشافعي**(ت١١٨٣هـ/١٧٦٩م)**، قدم من مصر** حاجاً عام (١١١٤هـ/١٧٠٢م)، فطاب له المقام بمكة مجاوراً، جذبته إليها حلقات العلم التي كانت تدار في أروقة مسجدها الحرام، فراح يتنقل بينها، وأخذ عن عدد من علمائها، وفي المقابل أخذ عنه عدد من شيوخها، وحين راوده الحنين إلى مصر عاد إليها محملاً معه علماً نافعاً أفاد به الطلبة[(٢)].

- **محمد سعيد بن محمد سفر الحنفي** (ت١١٩٢هـ/١٧٧٨م)، من أهالي المدينة الذين طافوا البلاد طلباً للعلم، فقد رحل من أجله إلى عدد من المدن الإسلامية منها مكة والتي جاور بها مدة سمع بها الحديث من عدد من علمائها منهم تاج الدين القلعي وابن عقيلة، استقر بالمدينة المنورة، فكان أجل شيوخها في الرواية والإسناد واستفاد منه الطلبة[(٣)].

وهذا يفيد أن ما تلقاه هذا العالم بمكة، قد كان له صداه بالمدينة النبوية فكان ممن نشر العلوم المكية بالمدينة، وصارت أسانيد الحديث بالمدينة متصلة بالأسانيد المكية.

---

(١) المرادي: سلك الدرر، ج١، ص٢٤؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج١، ص١٠٦.

(٢) المرادي: سلك الدرر، ج٣، ص٢٢٩.

(٣) الجبرتي: عجائب الآثار، ج٣، ص١٩١.

ـ **محمد بن حسن زاده الحنفي،** من علماء دمشق في(القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي)، رحل إلى مكة طلباً لعلم الحديث فجاور بها، وأخذ عن عبد ا  بن سالم البصري، وتاج الدين القلعي وغيرهم ، ثم رحل إلى اسطانبول وصار أحد المدرسين بها واشتهر برواية الحديث(١).

وهنا أيضاً يظهر لنا الأثر المكي في اسطانبول فقد اتصلت الأسانيد هناك بمكة من خلال أمثال هؤلاء العلماء والمجاورين.

ـ **شرعت ا   البنغالي** (ت١٢٥٦هـ/١٨٤٠م)، توجه صوب مكة لأداء فريضة الحج وتلقي العلوم الشرعية عام (١٢١٤هـ/١٧٩٩م) وكان عمره آنذاك سبعة عشر عاماً، وقد عزم على العودة إلى وطنه متى انتهت مهمته في أقرب وقت ممكن، غير أن مكة التي تهوي إليها أفئدة القلوب أسرت قلب الشيخ **فجاور** بها أكثر من ثمانية عشر عاماً، تلقى خلالها العلوم الشرعية وبرع في علوم العربية، كما تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي انتشرت مبادئها  في مكة، عاد إلى مسقط رأسه عام (١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م)، وأخذ يدعوا في موطنه إلى الدعوة الإصلاحية والتي عرفت بـ"**الحركة الفرائضية**" حيث ركز فيها على أداء فرائض الدين، وقد استمر الشيخ في نشر دعوته وكثر أتباعه حتى وافته المنية**(٢)**.

ـ **على بن أحمد حسن البهلكي** (ت١٢٦١هـ/١٨٤٥م)، من أبناء عسير الذين كثر ترددهم على مكة لتلقى العلم عن علماء الحرم، فأخذ عن الكثير منهم وأجازوه بعدد من مروياتهم وعلومهم(٣)**.**

ـ **نيتو مير نثار علي الحنفي،** قدم إلى مكة من بلاده الهند عام (١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م) لأداء فريضة الحج، ودراسة العلوم الشرعية، فمكث أربع سنوات **تأثر خلالها بأفكار الدعوة السلفية** للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعندما عاد إلى بلاده عام (١٢٤٣هـ/١٨٢٧م) بدأ بحركته الإصلاحية بين مسلمي منطقته فدعاهم إلى

---

(١) المرادي: سلك الدرر، ج٣، ص٣٧؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٣٢٢.

(٢) سمير عبد الحميد: أثر مكة والحج في ثقافة وأدب شبه القارة الهندية، ص ٤٢٠ ـ ٤٢٢.

(٣) أبو داهش: الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية ، ص ٥٨ ـ ٦٠.

التمسك بالتوحيد الخالص، والبعد عن الشرك والبدعة، والبعد عن الظلم والتفرقة بين طبقات المجتمع[1] وغير ذلك من أمور إصلاحية دعا الشيخ إليها، وقد أثمرت دعوته بين أبناء مجتمعه وجنى ثمارها بأتباع يدينون بالعقيدة الإسلامية الصحيحة والتوحيد الخالص من شوائب الشرك والبدع والخرافات.

ـ **عبد ا بن حسين ابن طاهر** المالكي(ت١٢٧٢هـ/١٨٥٥م)، أخذ العلم عن عدد من علماء بلاده اليمن، ثم رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، فحببت له المجاورة بالحرمين فجاور لسنوات، استغلها في تلقي العلم من علمائها، فممن أخذ عنهم عمر بن عبد رب الرسول، وأحمد بن علوي جمل الليل، ثم عاد إلى بلاده فعكف على التدريس والوعظ والتأليف[٢].

ـ **علي الجبرتي الشافعي،** دخل طيبة قادماً من مصر، فطاب له المقام فيها نحو ثلاثة عشر سنة، يدرس بمسجدها النبوي، وفي موسم حج عام (١٣٠٨/ ١٨٩٠م) توجه صوب مكة لأداء فريضة الحج، فطاب له المقام بها **فجاور،** وقد فرغ نفسه للعبادة والتعلم، إذ يخبرنا مرداد أبو الخير عنه فيقول: (كنت أراه يحضر دروس الشيخ محمد سعيد بابصيل في المسجد الحرام في صحيح البخاري وفي النسائي،... اجتمعت به في خلوته الكائنة برباط الميمن بزقاق جبل أبي قبيس واستفدت منه)[٣].

وهنا يقف القارئ متعجباً من همة العلماء، ومن تواضع هذا العالم في طلب العلم، وكيف أنه بعد تصدره ثلاث عشرة سنة يدرس بحرم المدينة، ثم يكتفي بإفادة من يأتيه بزاويته، ويجلس لسماع الحديث من المشايخ، وهذا يؤكد على أن المجاورة للعبادة كانت من أهم أسباب المجاورة، وهو القاسم المشترك للمجاورين، وقد يقال أيضاً: إن طلبه سماع الحديث كان لتثبيت علم، لا أنها لمجرد التبرك به، فتكون مجاورته أيضاً علمية.

---

(١) سمير عبد الحميد: أثر مكة والحج في ثقافة وأدب شبه القارة الهندية، (ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٣هـ)، ص ٤١٩.

(٢) الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٢١٠؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٦، ص٤٦.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص352.

ـ **محمد بن علي السنوسي المالكي** (ت١٢٧٦هـ/١٨٥٩م)، رحل من بلاده المغرب إلى عدد من المدن الإسلامية طلباً للعلم، دخل مكة فجاور، وأخذ عن علمائها وأجازوه منهم عمر بن عبد رب الرسول، ومحمد صالح ريس، وعبد الحفيظ العجيمي، تصدر للتدريس بالمسجد الحرام فدرس، واستفاد منه محبو العلم منهم مفتي الحنفية بمكة جمال الحنفي المكي، ومفتي الحنابلة بها محمد بن عبد ا بن حميد، كما أن جو مكة العبق بالعلم والأيمان فرغه لتأليف العديد من المصنفات في الفقه والحديث والتفسير منها: "إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن"، "إزاحة الأكنة في العمل بالكتاب والسنة"، "بغية السول في الاجتهاد والعمل بأحاديث الرسول"، و"البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة"، و"نزهة الجنان في أوصاف مفسر القراءات"، وفي التراجم له "الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية". وقبل وفاته بثلاث سنوات عاد إلى بلاده فمات بها ودفن[١].

ـ **محمد بن سلطان بن محمد الحنبلي**(ت١٢٩٨هـ/١٨٨٠م)، من علماء نجد، رحل إلى مكة لأداء فريضة الحج فحبب له المقام بها فجاور، وقرأ على علماء مسجدها الحرام، ثم عاد إلى بلدته وعين قاضياً في إحدى مدنها[٢].

ـ **أحمد بن محمد الحلواني** (ت١٣٠٧هـ/١٨٨٩م) من أبناء دمشق قرر الرحيل إلى مكة والمجاورة بها طلباً للعبادة والعلم،فقدمها عام(١٢٥٣هـ/١٨٣٧م) وأخذ القراءات السبع عن شيخ القراء بها أحمد المرزوقي، كما أجازه بالقراءات العشر، وبعد أربع سنوات من العلم والتحصيل في كتاب ا العزيز العليم، عاد الحلواني إلى دمشق عام (١٢٥٧هـ /١٨٤١م) وقد انفرد بعلم القراءات فانتفع به الكثير من طلبة العلم، غير أن حنينه إلى مكة راوده فعاد إليها عام (١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م)، وأقام بها ثلاث عشرة سنة، مشتغلاً بالإفادة والتعليم والتأليف، في علم القراءات[٣]، ذلك العلم الذي برع فيه بعد أن نهل معينه العذب من أفواه علماء مكة

---

(١) المصدر السابق، ص٤٤٣، وفيه وفاته بمكة ، ص٤٤٣؛ الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص١٠٤٠.

(٢) القاضي: روضة الناظرين، ج٢، ص٢٣٦.

(٣) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٣٤٧ ـ ٣٤٨.

الأجلاء، فألف: "المنحة السنية منظومة" في القراءات، وقام بشرحها، وله: "اللطائف البهية" منظومة في رواية ورش في القراءات، وفي عام (١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م) عاد الشيخ إلى دمشق، ولعل السبب يعود إلى شعور راوده بأن طلبة العلم ببلادة بحاجة إليه فسافر إليهم ليلقنهم كتاب ا ويعلمهم طريقة تلاوة الذكر الحكيم، وقد استمر في أداء رسالته حتى توفي بها[1].

- **صالح بن عبد ا بن إبراهيم البسام** (ت١٣٠٧هـ/١٨٨٩م)، رحل من عنيزة **إلى مكة** فجاور بها ليكمل مسيرته التعليمية والاستفادة من علماء الحرم الشريف، فقرأ الفقه والحديث والعربية على الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى والشيخ محمد بن عبد ا بن حميد، عاد إلى وطنه ليفيد طلبة العلم[2].

- **عبد ا بن مسلم التميمي** (ت١٣٤١هـ/١٩٢٢م)، من بلاد حائل، حبب إليه العلم وطلبه والارتحال من أجله رغم كونه كفيف البصر، إلا إن بصيرته قد نورها ا بالعلم وزينها بالإيمان، فرحل إلى نجد واستفاد من علمائها، ثم حج وأقام بمكة مجاوراً فيها سنين لازم علماء المسجد الحرام، وأخذ عنهم علوم شتى في الحديث ومصطلحه، والفقه وأصوله، والنحو وغيره، ثم عاد إلى بلاده وأخذ بنشر ما تعلمه بين طلبة العلم مع ملازمة العلماء[3].

- **محمد هاشم الجومباني الشافعي،** طلب العلم في بلده جاوه، ثم قدم مكة عام (١٣٠٨هـ/١٨٩٠م) فجاور بها ست سنوات قضاها في طلب العلم والعبادة، قرأ خلالها على عدد من علمائها منهم: صالح بافضل ورحمت ا الهندي ومحمد عابد بن حسين المالكي ومحفوظ الترمسي وحسين الحبشي، وفي سنة (١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م) عاد إلى بلده، وقد تفرغ لنشر العلم الشرعي، فتوجه نحو التدريس في المعهد العلمي الذي أنشأه والده، وقام بتوسعته وبناء رباط به للطلاب، فكثر عدد المنتسبين للمعهد، مما دفعه لاستقدام عدد كبير من العلماء، وكان المعهد نواه أنشأ

---

(١) البيطار: حلية البشر، ج١، ص٢٥٣.

(٢) البسام: علماء نجد، ج٢، ص٣٥٨.

(٣) القاضي: روضة الناظرين، ج١، ص٤٠٧.

بعدها الشيخ عدداً من المعاهد والمدارس الإسلامية في شتى أنحاء البلاد، كما أسس رابطة باسم "جمعية نهضة العلماء" و تولى رئاستها، وتخرج عليه من المعهد كثير من العلماء كانوا عوناً له في نشر الدعوة والمبادئ الإسلامية الصحيحة[١].

ـ **عبد ا بن بركات باحكيم،** من أهالي جدة توجه نحو مكة عام (١٣١٦هـ/١٨٩٨م) طلباً للمجاورة والعلم وبقي فيها حتى وفاته[٢] .

ـ **صالح بن عثمان بن حمد القاضي،** كان محباً للعلم وعلى الأخص التاريخ والسير ، أخذ العلم عن عدد من علماء بلدته عنيزة، ثم رحل إلى القاهرة فالتحق بالأزهر الشرف ولازم علماءه فدرس على أيديهم التفسير والحديث والعربية، ثم عاد فدخل مكة وجاور بها ونزل في رباط بجوار المسجد الحرام، وأخذ فيها عن علماء مكة ست عشرة سنة، ثم عاد إلى بلدته عام (١٣٢٣هـ/١٩٠٦م) لنشر العلم بين الناس، وتفقيههم في أمور دينهم ودنياهم[٣].

ـ **أحمد بن أحمد البتاوي الشافعي**(ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، نصحه شيخه بمواصلة تعليمه بمكة وعلى نفقته الخاصة، أجاب البتاوي نصيحة شيخه، ووصل مكة عام (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م) لأداء فريضة الحج والمجاورة ببلد ا الحرام لطلب العلم ولقد قام بأداء مهمته على أحسن وجه، فلازم علماء المسجد الحرام وأخذ عنهم منهم عمر شطا، ومحمد حسب ا ، ومحمد بن حسين المالكي وغيرهم، ثم عاد إلى وطنه فاشتغل بالتدريس ونشر العلم والدعوة إلى ا [٤].

ـ **عبد العزيز بن عبد الوهاب اللكوعي الشافعي**(ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، قدم من أندونيسيا إلى مكة مجاوراً لطلب العلم، فأخذ عن علماء المسجد الحرام منهم مفتي المالكية عابد بن حسين بن إبراهيم، ومحفوظ الترمسي وسعيد بابصيل، وأجازه

---

(١) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٥٦٢.

(٢) علي بن سالم العميري: تراجم علماء جدة من الحضارمة، (مخطوط بجامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، ميكروفيلم رقم : ١٠٥٨)، ق ٥، ٦.

(٣) آل الشيخ: مشاهير علماء نجد ، ص٢٣١ ـ ٢٣٢؛ البسام: علماء نجد، ج٢، ص٣٦٧.

(٤) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٣٨.

جميع مشايخه، ثم رجع إلى بلده واشترى أرضاً زراعية سنة (١٣٢٨هـ/١٩١٠م) بنى عليها مسجداً ورباطاً للطلاب، وجلس للتدريس فيها ونشر العلم فدرس الفقه والنحو والصرف والبلاغة وغير ذلك، وتخرج به عدد كبير من طلاب العلم[١].

* **ومن جملة أنواع المجاورة لطلاب العلم،** مجاورة **يتم فيها التحصيل العلمي بمكة** لكن المجاور لا يغادرها إلى بلاده، بل **يستوطنها** ويكون لنبوغه وتفوقه الدافع الكافي لنشر العلم بمكة فيبقى مجاوراً بها مدرساً بالمسجد الحرام حتى وفاته، ولا سيما وأنه كان ينظر - ولا يزال - إلى أن الشيخ الذي يتولى مهام التدريس بين أروقة المسجد الحرام يكون قد بلغ الغاية فيما يطلب من حلق العلم فلا حلقة أشرف من حلقة تعقد بجوار البيت العتيق، ولا درس يلقى في مسجد أعلى قدراً من درس يبث في أول مسجد وضع للناس.

**فممن جاور بمكة طلباً للعلم ثم أهلته مكانته العلمية التي تحصلها من أساتذة البلد الحرام بأن يدرس بالمسجد الشريف:**

- **عبد ا بن جعفر مدهر الشافعي** (ت ١١٥٩هـ/١٧٤٦م)، رحل إلى بلاد الحرمين من بلده اليمن، فتلقى بها علومه، ثم سافر إلى الهند فمكث بها عشرين سنة عاد بعدها إلى مكة، التقى بعدد من علمائها ودرس على أيديهم، أذن له بالتدريس بالمسجد الحرام، فظل عاكفاً عليه وعلى التأليف حتى وافته المنية[٢].

- **يوسف بن محمد بن يحيى البطاح الأهدل** (ت١٢٤٦هـ/١٨٣٠م)، **من أهالي اليمن،** قدم مكة وجاور بها، وأخذ عن علمائها أمثال مفتي الشافعية صالح ريس، وعمر عبد رب الرسول، أجازه مشايخه بالتدريس، فتصدره بالمسجد الحرام واستفاد منه الطلبة ولا سيما في الفقه والحديث، توفي بمكة رحمه ا [٣].

- **عيسى بن محمد الزبيري** الحنبلي(ت ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م)**،** أخذ العلم عن مشايخ العراق ، توجه إلى مكة لأداء الفريضة، ثم قرر المجاورة بها، حيث شدته

---

(١) السابق، ص٣٠٨.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣١٩.

(٣) المصدر السابق، ص٥١٨؛ الكتاني : فهرس الفهارس، ج٢، ص١١٤٦.

حلقات العلم التي كانت تدور في أروقة المسجد الحرام، فتصدر إحدى هذه الحلقات وراح يدرس الفقه وعلومه في إحداها، فتزاحم الطلبة عليه وانتفعوا به، وبعد مدة رحل إلى الزبير وتوفي بها[(١)].

- **محمد بن عبد ا بن علي بن حميد الحنبلي**(ت١٢٩٥هـ/١٨٧٨م)، رحل من بلدته عنيزة إلى مكة مجاوراً طالباً للعلم والاستفادة، فلازم علماء المسجد الحرام وأخذ عن عدد من العلماء وأجازوه، ثم رحل إلى الشام فأخذ عن علمائها ثم قام برحلات عديدة إلى اليمن والعراق ومصر، عاد بعدها مرة أخرى إلى مكة فتصدر للتدريس بالمسجد الحرام، وعين إماماً للمقام الحنبلي واستمر في مناصبه حتى وافته المنية وهو بمدينة الطائف[(٢)].

- **إسحاق بن محمد أفضل العمري الدهلوي** (ت١٢٦٢هـ/١٨٤٥م)، رحل من الهند لأداء فريضة الحج عام (١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م)، فالتقى بمكة بعدد من علمائها وأخذ عنهم الحديث الشريف منهم عمر بن عبد الكريم بن عبد رب الرسول ثم رجع إلى الهند ودرس ببلاده ست عشرة سنة، وفي عام (١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م) قرر العودة إلى مكة والمجاورة بها، فتوجه إليها مع أفراد أسرته ومن بينهم ابنته العالمة السيدة خديجة، تصدى للتدريس بالمسجد الحرام فدرس وأخذ عنه عدد من العلماء، توفي بمكة[(٣)]، وقد حزن لموته العلماء وطلبة العلم، حتى أن عبد ا سراج المكي كان يقول بعد موته عند غسله: (وا إنه لو عاش وقرأت عليه الحديث طول عمري ما نلت ما ناله)[(٤)].

- **عبد الغني بيما الشافعي**(ت١٢٧٠هـ/١٨٥٣م)، قدم مكة من بلاد جاوه مجاوراً وطالباً للعلم، فأخذه عن عدد من علمائها منهم: محمد المرزوقي وأخوه أحمد

---

(١) البسام: علماء نجد، ص٧٤٩.

(٢) القاضي: روضة الناظرين ، ج٢، ص٢٣٢ .

(٣) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج١، ق٥.

(٤) الحسيني: نزهة الخواطر، ج٧، ص٩١١.

المرزوقي وعثمان الدمياطي وغيرهم، وقد أجازه علماؤها ، فدرس بالمسجد الحرام وانتفع بعلمه عدد كبير من الطلبة الجاوه الذين كانوا فيما بعد علماء في بلادهم(١).

ـ **علي بن عبد القادر قدس الشافعي** (ت ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م)، من بلاد جاوه، قدم مكة مجاوراً، فطلب العلم على مشايخها، منهم أحمد النحراوي ويوسف السنبلاويني وأحمد دحلان، فضل الإقامة بمكة والاستقرار بها عن العودة إلى بلاده، فباشر التدريس بالمسجد الحرام بعد أن أذن له مشايخه، وأخذ عنه جماعة من طلبة العلم منهم الجاويين(٢).

ـ **قطب الدين الدهلوي الهندي الحنفي**(ت١٢٨٩هـ/١٨٧٢م)، قدم من بلاده الهند فجاور، وأخذ عن المحدث إسحاق الدهلوي وروى عنه وأجازه، وكذلك أجازه بخطه عام(١٢٥٨هـ/١٨٤٢م) عمر بن عبد الكريم بن عبد رب الرسول وروى عنه، ودرس بالمسجد الحرام حتى توفاه ا (٣).

ـ **إبراهيم بن سعد المقري،** من علماء الأزهر الشريف قدم مكة عام (١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) وجاور بها بعد أن تزوج بإحدى نسائها، جلس بالمسجد الحرام لتدريس القرآن الكريم، فكان يعلم تلاميذه التجويد والقراءات، حتى كثر طلبته وعم بنفعه الكثير(٤)، ممن تعلم على يديه صاحب كتاب السناري عبد ا بن إبراهيم حمدوه السناري المكي، وكان عمره حين طلب علم القراءات على الشيخ المقري فوق العشرون عاماً(٥).

ـ **سليمان بن حسن زهدي الخالدي الحنفي، (ت١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م)** قدم بلاده جاوه واستوطن مكة، واشتغل في قراءة العلوم على مشايخها، حتى برع في

---

(١) غازي: نظم الدرر، ق١٣١.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٦٩.

(٣) غازي: نثر الدرر، ق٧.

(٤) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج١، ق٤٦.

(٥) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٥٨ـ ١٥٩.

علم الفلك والهندسة، فجلس لتدريسهما، وانفع به كثير من طلبة العلم، له العديد من المصنفات في علم الفلك والهندسة[1].

- **عبد الوهاب البصري الشافعي**(ت١٣٢٢هـ/١٩٠٤م)، رحل من بلاده البصرة إلى مكة وجاور بها، ولازم علمائها، فقرأ الحديث والفقه على عبد الحميد الداغستاني وأجازه بمروياته، وتصدر للتدريس بالمسجد الحرام، فدرس وانتفع به الطلبة، حتى وافته المنية بمكة[2].

- **أحمد بن إبراهيم بن عيسى الحنبلي** (ت١٣٢٩هـ/١٩١١م)، من بلاد نجد، درس على يد بعض علمائها، ثم رحل إلى مكة وسكنها عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م) وقرأ على علماء المسجد الحرام، كان يتعاطى التجارة مع اشتغاله بالعلم والتأليف والتدريس بالمسجد الحرام، فاستفاد من علمه العديد من الطلبة منهم: عبد الستار دهلوي، وأبو بكر خوقير وغيرهم[3].

- **عمر بن حسين الداغستاني**، من بلاد داغستان، قدم مكة عام (١٣١٣هـ/١٨٩٥م)، لأداء فريضة الحج وكان عمره آنذاك عشرين عاماً، وبعد أن أدى نسكه توجه إلى طيبة للزيارة فطابت له فأقام بها عشر سنوات تلقى العلم عن علمائها، وفي عام (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) عاد إلى مكة وهو عازم على مواصلة تعليمه، فقرأ على عبد الكريم الداغستاني في التفسير والحديث والفقه وأصوله والنحو والفلك وأجيز له بالتدريس في المسجد الحرام، فتصدى له واجتمع من حوله الطلبة[4].

- **مرزوقي الجاوه الشافعي** (ت١٣٣٢هـ/١٩١٣م)، قدم من بلاده صوب مكة مجاوراً، فمكث بها نحواً من خمسين سنة، لازم خلالها العلماء، وأجازوه وأذنوا

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٠٧؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج١، ص٤٨٥.

(٢) غازي: نظم الدرر، ق١٩٥.

(٣) البسام: علماء نجد، ج١، ص٢٤٩؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج١، ص١٤١.

(٤) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص ٢٤١.

له بالتدريس، فدرس بالمسجد الحرام، واكتظت حلقة درسه بالطلبة الجاويين، والذين انتفعوا بعلمه حتى دنا أجله[1].

- **محفوظ بن عبد ا  الترمسي الجاوي المكي الشافعي** (ت١٣٣٨هـ-١٩١٩/م) قدم مكة عام (١٢٩١هـ-/١٨٧٤م) واستوطنها مع أبيه درس العلوم الشرعية على عدد من علمائها، برع واشتهر في الفقه وأصوله والقراءات، ودرسها بالمسجد الحرام عند باب الصفا، روى عنه عدد من المشايخ وطلبة العلم[2].

- **محمد مختار بن عطارد البتاوي الشافعي**(ت١٣٤٩هـ-/١٩٣٠م)، من بلاده جاوه تلقى بها علومه ، حبب إلية الرحلة في طلب العلم، ولكن أعظم رحلة له كانت تلك التي لبى فيها نداء الرحمن للحج وأداء الفريضة، فرحل إلى الحجاز، وقام بأداء نسكه، غير أن المقام في مكة والمجاورة بحرمها اجتذبه فطاب له البقاء، وأما حبه لطلب العلم لم يتوقف فراح يأخذه من نبعه الصافي من علماء الحرمين الشريفين فدرس على يد عدد من علماء المسجد الحرام منهم أبو بكر شطا، ومحمد سعيد بابصيل، وحسين الحبشي، ومحمد حسب ا ، ولم يكتف بعلماء مكة بل نراه يطوف بين المشايخ الواردين عليها فيسمع من هذا ويأخذ من ذاك، أهلته مكانته العلمية بأن يكون من مدرسي الحرم الشريف، فأقبل عليه الطلبة، وتخرج من حلقته الكثير من العلماء واستمر الشيخ في عطائه حتى وفاته[3].

- **عمر بن أبي بكر بن عبد ا  باجنيد** (ت١٣٥٤هـ-/١٩٣٥م)، من بلاد حضرموت، سافر به والده إلى مكة بقصد المجاورة، فلازم علماءها وأخذ عنهم أذن له شيوخه بالتدريس، فتصدى له بالمسجد الحرام حتى مماته، وكانت حلقة درسه تضم مجموعة كبيرة من الطلبة الذين أصبحوا فيما بعد من مشايخ مكة وعلمائها

---

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٣، ق١١٠.

(٢) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٣٢٣؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج١، ص٣٢٠.

(٣) الفاداني: قرة العين ، ج٢، ص٤٧٦؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ٢٧٨.

أمثال أحمد بن عبد الله ناضرين، وحسن بن محمد المشاط[1]، وعيدروس البار[2]، وغيرهم[3].

ـ **خليفة بن حمد النبهاني** (ت١٣٦٢هـ/١٩٤٣م)، من أبناء البحرين أرسله والده إلى مكة عام (١٢٨٧هـ ) لطلب العلم، فالتحق بحلق العلم بالمسجد الحرام، وبرع في الفلك وتخصص فيه، أذن له مشايخه بالتدريس، فتصدر له بالمسجد الحرام، عين مهندساً لعين زبيدة، له العديد من المؤلفات والرسائل في علم الفلك[4].

ـ **أحمد بن عبد الله بن محمد المخللاتي** (ت١٣٦٢هـ/١٩٤٣م)، سافر من بلده دمشق إلى مكة عام (١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م) لأداء فريضة الحج، وبعد أداء نسكه عاد إلى الشام، ولكن ذكرى البقاع المقدسة لم تبرح من وجدانه فقرر العودة إلى مكة والمجاورة بها سعياً نحو طاعة الله تعالى وطلباً للعلم، فالتحق بالمدرسة الصولتية وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، واعتنى بتحصيل القراءات ووجوه الإعراب فبرع في ذلك، وفي سنة (١٣٠٧هـ/١٨٨٩م) تخرج من الصولتية وأجازه الشيخ رحمت الله بالقراءات، فاشتغل بتدريس القرآن الكريم وانتفع به العلماء والطلاب، وقد صنف عدداً من المؤلفات في علم القرآن، توفي بمكة ودفن بها[5].

* **ومن جملة أنواع المجاورين لأجل الدافع العلمي** أيضاً علماء **بدأوا تحصيلهم العلمي في بلادهم** وأتموا مرحلة الطلب بها، وعند قدومهم إلى مكة رأوا

---

(١) هو حسن بن محمد بن عباس المشاط المالكي، ولد بمكة ونشأ فحفظ القرآن الكريم وجوده، التحق بالمدرسة الصولتية عام (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) وتخرج منها أجيز له بالتدريس بالمسجد الحرام، قام بعدد من الرحلات العلمية بقصد التقاء العلماء والأخذ عنهم، اجتمعت لديه مكتبة عامرة حوت نوادر المخطوطات، عين في العهد السعودي عضوا بهيئة التمييز وعضواً في المحكمة الشرعية الكبرى بمكة، له عدد من المؤلفات القيمة، توفي بمكة عام (١٣٩٩هـ/١٩٨٠م)، انظر: المعلمي: أعلام المكيين، ج٢، ص٨٨٦.

(٢) هو عيدروس بن سالم البار ولد بمكة وتلقى العلم بها عن أبيه وعن عدد من العلماء والذين أجازوه بالتدريس ، فتصدى له بالمسجدالحرام وكان درسه في الفقه والنحو والصرف ، توفي بمكة عام (١٣٦٧هـ/١٩٤٨م)، انظر: أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٤٣٣.

(٣) السابق، ص٤٢٢.

(٤) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص١١٢.

(٥) نفسه، ص٥٥.

أنه من المناسب أن يتم واجباتهم العلمية ونشاطاتهم الدعوية من خلال **بذل العلم في المسجد الحرام** لأفضلية حلق العلم التي تدار في جنباته على غيرها في البلدان، فكان لدروسهم الأثر الواضح في تنشيط الحياة العلمية بمكة، ومن أبرز هؤلاء:

ـ **عبد الرحمن الهندي الحنفي** (ت ١١٢٢هـ/١٧١٠م)، من مجاوري بيت ا الحرام، قال عنه الدهلوي: (العالم العلامة رئيس المحدثين شيخ الإسلام ومفتي الأنام بالديار الهندية)[١]، قدم مكة ودرس بها وانتفع به طلبة العلم[٢].

ـ **محمد بن سلامة بن إبراهيم الإسكندري المالكي** (ت١١٤٩هـ/١٧٣٦م أخذ العلم من كبار علماء الأزهر الشريف، وصف بأنه إمام علامة نحرير فهامة بليغ ماهر، له العديد من المصنفات، رحل إلى مكة فاستوطنها، وتصدر لتدريس القراءات بالمسجد الحرام، فأخذ عنه عدد كبير من المشايخ والطلبة منهم: إسماعيل بن محمد العجلوني[٣]، وعبد ا بن سالم البصري[٤].

ـ **محمد بن محمد بن موسى** (ت١١٨١هـ/١٧٦٧٦م) فقيه نحوي من علماء مصر، تولى التدريس بجامع قوصون[٥]، ثم قرر الرحيل إلى مكة للمجاورة بها، فالتف حوله الطلبة للانتفاع بعلمه،حيث عقدت له حلقة بالمسجد الحرام ألقى فيها دروسه في الفقه والحديث، وقد كان الشيخ كثيراً ما يجتمع بعلماء مكة وتقوم بينهم محاورات علمية لطيفة وباهرة[٦] .

---

(١) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢٣٠ .

(٢) القطان: تنزيل الرحمات، ج٢، ق٢١٥.

(٣) هو إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني الشهير بالجراحي حفظ القرآن الكريم وبعض المتون، تولى منصب الإفتاء فترة بالحجاز ثم مصر فالشام، توفي بدمشق عام (١١٦٢هـ/١٧٤٩م)، انظر: المرادي : سلك الدرر، ج١، ص٢٥٤، ٢٦٦.

(٤) المرادي : سلك الدرر، ج٤، ص١٢٣؛ الجبرتي: عجائب الآثار، ج٢، ص٣٤؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٦٦٠ ؛ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج ٩، ص٤٨.

(٥) هو الجامع الذي بناه الأمير المملوكي قوصون بن عبد ا الناصري (ت٧٤٢هـ/١٣٤١م)، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٦، ص٢٦١.

(٦) الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص١٤٠، ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

**علي الشامي**، من علماء دمشق (ت١١٩١هـ/١٧٧٧م)، قدم مكة مجاوراً فجعلها مستقراً له ومقاماً، تصدى للتدريس بالمسجد الحرام، فانتفع به عدد من طلبة العلم والعلماء منهم: عبد الملك القلعي، وطاهر سنبل، وأخويه محمد وعباس(١).

- **بشرى بن هاشم الجبرتي** الشافعي (ت١٢٦٧هـ/١٨٥٠م)، من مشايخ مصر في علم الحديث، قدم مكة واستقر بها ودرس بمسجدها الحرام، كانت حلقة درسه مفتوحة لجميع الناس، فانتفع به العام والخاص، توفي بمكة ودفن بها(٢).

- **علي بن محمد المداح الشافعي** (ت ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م)، من علماء الجامع الأزهر الشريف ، قدم مكة وجاور بها وأصبح من مدرسي مسجدها الشريف التف حوله الطلبة وانتفعوا به(٣).

- **يعقوب بن محمد أفضل الدهلوي** (ت١٢٨٣هـ/١٨٦٦م)، من علماء الهند قدم مكة فجاور بها، ودرس بالمسجد الحرام، وانتفع بعلمه الطلبة حتى وافته(٤).

- **يوسف بن عبد الرحمن السنبلاويني** (ت١٢٨٥هـ/١٨٦٨م)، فقيه محدث مصري، قدم مكة فجاور بها، وتولى التدريس بمسجدها الحرام، ولمكانته العلمية كان أحمد دحلان يرجع إليه في بعض الأحيان لحل المشكلات في المسائل الفقهية حين ولي إفتاء مكة في ابتداء أمره، ولم يبخل الشيخ بعلمه على أحد حتى وافته المنية بمكة ودفن بها(٥).

- **محمد بن مسعود الفاسي** (ت ١٢٨٨هـ/١٨٧١م)، من علماء المغرب جاء مكة مجاوراً عام (١٢٦٤هـ/١٨٤٧م)، فاجتمع إليه الطلبة وانتهلوا من غزارة علمه، استمر في عطائه ولم يبخل بعلمه على طلابه رغم كبر سنه حتى وافته المنية بمكة(٦).

---

(١) غازي: نظم الدرر، ق٩٧.

(٢) الكتاني : فهرس الفهارس، ج١، ص٢٣١.

(٣) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٢، ق١٤٠.

(٤) مرداد أبوالخير: نشر النور الزهر، ص٥١٧.

(٥) غازي: نثر الدرر، ق١٥٤.

(٦) الفاداني: قرة العين، ج١، ص٢٣؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٣٦.

ـ **حسن العدوي الخمراوي** من علماء مصر لقب بـ"ناصر السنة" لعلو شأنه في علوم الحديث، قدم مكة للمجاورة عام (١٢٨٣هـ،١٨٦٦م)، فدرس بالمسجد الحرام، وضمت حلقته كثيراً من وجهاء مكة من أمراء وأكابر ، ومن حرصه على نشر العلم ، كان يوزع بعض الكتب العلمية على طلبته[١].

ـ **عبد ا بن محمد عبد ا كوجك** (ت١٢٩٧هـ/١٨٧٩م)، من علماء بخاره، قدم الحجاز عام (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م)، واستقر بالمدينة المنورة مدة، اشتغل فيها بالعلم على عدد من علماء المسجد النبوي، ثم ارتحل إلى مكة واستقر بها، واجتمع بعلمائها وأخذ عنهم، ثم تصدى للتدريس بالمسجد الحرام، فدرس وأفاد وتخرج على يده عدد من علماء مكة منهم أحمد أبو الخير مرداد وعبد الرحمن العجيمي وأحمد أمين بيت المال وغيرهم[٢].

ـ **أحمد الحكيم الهندي** (ت ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م)، عالم طبيب من بلاد الهند قدم مكة واستوطنها، وانتفع به أهلها، كان ماهراً في صنعته وعلمه مع المواظبة على العبادة والصلاح إلى أن دنا أجله بمكة[٣].

ـ **محمد الشربيني الشافعي** (ت١٣٢١هـ/١٩٠٣م)، من علماء مصر رحل إلى المدينة وأقام بها مدة، وفي عام (١٣٠٠هـ/١٨٨٢م) انتقل إلى مكة وجاور بها وتصدى للتدريس بالمسجد الحرام، فدرس الفقه والتفسير والنحو وعلم القراءات وكانت حلقات درسه تعج بطلبة العلم، توفي بمكة ودفن بها[٤].

* **ويضاف إلى الأنواع السابقة ممن جاور لأجل الدافع العلمي، وكان له نتاج علمي بمكة من خلال ممارسة العملية التعليمية بالدور والمنازل**، حيث فتح الكثيرون من العلماء المجاورين بيوتهم لطلبة العلم فكانت تقام فيها الدروس الخاصة والتي كانت ذات الأثر البالغ في نفوس الطلاب بوجه اجتماعي مميز، إذ الطالب

---

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج١، ق ١١٤.

(٢) غازي: نظم الدرر، ص١٣٥.

(٣) مرداد أبو الخير: نشرالنور والزهر، ص٨٦.

(٤) غازي: نظم الدرر، ص٢٠٧.

الذي يتلقى عن شيخه في منزله يحدث له ذلك انطباعاً في نفسه بأبوة هذا الشيخ له ويقربه منه مما لا يحدث إذا كان الطالب في حلقة في المسجد الحرام، فأدى ذلك إلى نوع من الترابط الاجتماعي العلمي بين الشيخ وطلبته، ولا سيما إن كان هؤلاء من جالية غير عربية لم تندمج كلياً في المجتمع المكي فعوضهم ا بهؤلاء العلماء الذين أتوا من تلك البلاد التي ينتمون إليها وبهذه الدروس التي يستزيدون منها، فممن مارس التدريس بمنزله[1]:

ـ **الشيخ الجنيد الجاوي** (من علماء القرن الثالث عشر الهجري)، **فقد حرص على تعليم و تدريس** القواعد العربية والفقه في بيته للطلاب القادمين من مناطق الجاوا، ولا سيما الذين يستعلمون لغة الملايو في التدريس، ولقد كان الجنيد حريصاً على تعليم طلابه قراءة الكتب العربية[2].

ـ **مشيئة ا بن عصمت ا البنغالي**(ت١٢٩٩هـ/١٨٨١م)، من علماء البنغال، تولى عدة مناصب دينية بها، غير أنه قرر المجاورة بمكة، فقدمها عام (١٢٨٤هـ/١٨٦٧م)، استقر بها، وعكف على التأليف في علوم الدين، إضافة إلى التدريس بداره ، فانتفع به طلبة العلم حتى وفاته[3].

**ولم يقتصر دور المجاورين على التدريس بالحرم الشريف أو المنازل والبيوت بل قاموا بالمساهمة في إنشاء دور العلم والتدريس بها ،** فمن المدارس التي أنشأها العلماء المجاورون مدرسة الصولتية ودار الفائزين[4] وغيرهما من الصروح العلمية، كما أسهموا بالعمل فيها عند نشأتها لتطويرها وتقويمها حتى يكتب لها البقاء والاستمرار، فعل سبيل المثال حين رحل **محمد عطا ا الفاروقي**، من

(١) انظر مبحث دور العلماء من هذه الرسالة .

(٢) سنوك: صفحات من تاريخ مكة ، ج٢، ص٥٩٦ـ ٥٩٧.

(٣) عبد الستار دهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٣، ق٣٤ـ ٣٥.

(٤) انظر مبحث المدارس، .

بلاده الهند إلى مكة مجاوراً، شهد فتح الشيخ محمد علي زينل مدرسة الفلاح بمكة، كان من المساعدين والمعاضدين له، واشتغل في إدارتها[1].

**كما عمل العلماء المجاورون على نشر العلم من خلال إنشاء المكتبات وتزويدها بنفائس الكتب، فمن العلماء المجاورين الذين اقتنوا مكتبات قيمة: محمد عبد الحق** بن محمد آبادي الهندي، تذكر المصادر التي ترجمت له أنه: كان مولعاً بعلم الحديث فتلقاه عن علماء بلاده، ثم رحل إلى مكة عام (١٢٨٣هـ/١٨٦٦م) وقرر المجاورة بها، مع ملازمة العلماء والأخذ عنهم[2]، تصدر للتدريس بالمسجد الحرام، كانت له مكتبة قيمة حوت كتباً بعضها من تأليفه وخط يده ضمت إلى مكتبة الحرم بعد وفاته[3].

- **شرف الدين بن مفتاح الدين القازاني** (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م)، من علماء قازان، قدم مكة مجاوراً فاستقر بها وطلب العلم فأخذه عن علمائها منهم: أحمد دحلان وعبد الرحمن سراج، وعمر البقاعي، وأحمد الحضراوي، وغيرهم، كان جماعاً للكتب له اطلاع واسع في كتب التراجم والرجال، امتلك مكتبة كبيرة بمكة احترقت قبل وفاته[4].

**كذلك أسهم المجاورون بنسخ الكتب[5] مما كان له دور في وفرتها ورخص أثمانها في السوق المكي وبالتالي زاد الإقبال عليها بشرائها واقتنائها فمنهم على سبيل المثال:**

- **محمد حسين الكتبي الحنفي**(ت١٢٨١هـ/١٨٦٤م)، من علماء مصر، قدم مكة مع أفراد أسرته عام (١٢٥٥هـ/١٨٣٩م) وجاور بها، فتصدى للتدريس

---

(١) أبو بكر الحبشي: الدليل المشير، ص٣٥٣.

(٢) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج١، ق ٥، ٦.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٢٣.

(٤) غازي: نثر الدرر، ق٣٨. وانظر مبحث المكتبات.

(٥) انظر مبحث الوراقة.

بمسجدها الحرام وتولى الإفتاء بها، ونسخ بها العديد من الكتب منها مصنفاته، توفي بها ودفن بمقابرها(١).

ـ **عبد الوهاب الكتبي** (ت١٣١٢هـ/١٨٩٤م) قدم مكة لأداء فريضة الحج عام (١٢٥٠هـ/١٨٤٦م)، قرر المجاورة والبقاء بمكة لوجود عدد من أبناء أسرته بها، قام بفتح مكتبة لبيع الكتب عند باب السلام، تولى الكتبي إدارتها بنفسه حتى وفاته(٢)، كان لها دور إيجابي في نشر العلم والثقافة بمكة.

ـ **أحمد بن محمد الحضراوي** (ت١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) من أهالي الإسكندرية قدم مكة مع والده للمجاورة، فنشأ بها على حب العلم، حيث حفظ القرآن الكريم وجوده على علماء عصره، وأخذ العلم عن جملة من العلماء، **وعمل ناسخاً للكتب عند باب السلام بالحرم المكي الشريف**، وكان: (متقللاً من الدنيا، قانعاً بأدنى معيشة، وكان يجلس داخل باب السلام من المسجد الحرام، وهو رحمه ا من العلماء العاملين الزاهدين المتورعين **فمن ورعه أنه كان يكتب للناس بالأجرة، ويتقوت منها** ولا يطمع في المناصب والوظائف)(٣) .

**كذلك كانت لمصنفات المجاورين والتي تميزت بتنوعها في كافة العلوم دور بارز في النتاج العلمي**، فصار المنتدى الثقافي بمكة مملوءاً بمصنفات مختلفة من كتب ورسائل وتحقيقات وحواشي. فممن تصدى للتأليف والتصنيف(٤):

ـ **ولي ا بن مصطفى الينشهري** القسطنطيني الحنفي(ت١١٥١هـ/ ١٧٣٨م)، قدم مكة فجاور بها مدة من الزمن تأثر فيها بالجو العلمي الذي كان يشع في أروقة مسجدها الحرام ومدارسها، فعكف على طلب العلم وجمع الكتب والتأليف،

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ٤٧٥؛ عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٣، ق٣٠.

(٢) عبد الستار الدهلوي: تحفة الأحباب في بيان اتصال الأنساب، (مخطوط بمكتبة الحرم المكي رقم : ١١٥/ دهلوي)، ق ٢٥٩ـ ٢٦٠.

(٣) محمد المعصومي: ذكريات طريفة عن بعض كبار العلماء في مكة في الجيل الماضي، عرفت هؤلاء الرجال، (مجلة الحج، ج٤، س ٦، شوال ١٣١٧هـ/ يولية ١٩٥٢م)، ص٢١٩.

(٤) انظر مبحث المصنفات ، لقد أسهمت مؤلفات المجاورين الذين استقروا بمكة وماتوا بها في إثراء الحياة العلمية بها، لذلك وضعنا مصنفاتهم ضمن النتاج العلمي لعلماء مكة، أما من رحل فقد ذكرنا مصنفاته في ثنايا ترجمته.

فصنف عدداً من المؤلفات كـ "فضائل الجهاد"، و"حاشية على تفسير البيضاوي" و "حاشية على شرح المقاصد" في الأصول، وعندما عاد إلى بلاده لم تنقطع ذكرياته بمكة، فقد ظل متأثراً بها علمياً ويتجلى ذلك في بنائه لمدرسة ومكتبة قرب مسجد الفاتح باستانبول، وقد نقلت مكتبته بعد وفاته إلى جامع السلطان بايزيد[1]، ولعل جل مقتنيات هذه المكتبة كان مما اقتناه من كتب أثناء تواجده بمكة مجاوراً .

- **أحمد بن عمار بن عبد الرحمن** (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) من علماء الجزائر، رحل إلى بلاد الحرمين فجاور بمكة مدة، وتصدر لرواية الحديث، كان لمجاورته بمكة ثمارها التي نتج عنها "رحلته الحجازية"، و "لواء النصر في علماء العصر" حيث ترجم فيه لأهل مائتي سنة تقريباً[2].

- **أحمد بن محمد المصري الشافعي**(ت بعد ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م) من علماء الجامع الأزهر الشريف، قدم مكة للمجاورة فاستقر بها، صنف عدداً من المؤلفات العلمية[3].

- **الفيض آبادي الهندي الحنفي**(ت١٣٠٦هـ/١٨٨٨م)، من علماء الهند، قدم مكة مجاوراً واستقر بها، كان للجو الروحاني بها دوراً في تفرغه للتأليف فصنف عدداً من المؤلفات في علوم شتى[4].

**كما ظهر لونٌ آخر من ألوان التصانيف ألا وهو الترجمة فممن اشتهر بذلك:**

- **محمد نور بن محمد فطاني من مجاوري البيت الحرام في القرن الثالث عشر الهجري،** قام بترجمة عدد من المؤلفات من العربية إلى اللغة الملايوية، منها ترجمة "الهدية السنية في العقيدة السلفية لسليمان بن سحمان"، "سلم المبتدئ" في الفقه الشافعي لجده[5].

---

(١) الزركلي: الأعلام، ج٩، ص١٣٧؛ كحالة:معجم المؤلفين، ج١٣، ص١٦٨.

(٢) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص١٢١؛ الزركلي: الأعلام، ج١، ص١٧٨.

(٣) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج١، ق ٢٨.

(٤) الحسيني: نزهة الخواطر، ج٨، ص٦٥.

(٥) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٧٤؛ عمر عبد الجبار : سير وتراجم، ص٣٠٢.

ـ **محمد بن عبد ا القازاني** (ت١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) ، من فقهاء الحنفية له اشتغال بالتاريخ ، قدم مكة وجاور بها أكثر من أربعين عاماً، ثم رحل إلى روسيا قبيل الحرب العالمية الأولى ومنها إلى الصين الشمالية فأقام بها إلى أن وافته المنية، له عدد من المؤلفات منها: "الدرر المكنونات" و"الرشحات"، مترجم عن الفارسية[١].

ـ **نور الحق ماجي بون**، قدم من بلاده الصين لأداء فريضة الحج، فحببت له مكة فجاور بها سنين ينتقل ما بين حلقة وأخرى متلقياً العلم الشرعي ودراسة اللغة العربية، عاد إلى بلاده فأخذ عنه كثير من الطلبة، ثم أتى مكة مرة أخرى للحج ومات بطريق عودته إلى بلاده عام (١٣٢١هـ/ ١٩١٢م)، له عدد من المؤلفات منها ترجمة كتاب "الخطب والفقراء" من الفارسية إلى العربية، وترجم إلى العربية من الصينية "خمسة فصول في علم الطبيعة" للعلامة الصيني المسلم صالح ليوجي"، "تبطيل التثليث" بالصينية والعربية، وله: "التيسير في علم الفلك"، "متسق النحو"، "متسق البيان"، وغير ذلك من مؤلفات [٢].

**وقد أسهم أمراء وأهالي مكة في توطئة المناخ المناسب للجوار حيث رحبوا بالمجاورين وأنزلوهم في المكانة اللائقة بهم في تولي الوظائف الدينية الملائمة كالإفتاء والخطابة والإمامة بالمسجد الحرام، والإغداق عليهم من قبل الأمراء إضافة إلى كفالة طلاب العلم** منهم مما ولد في نفوسهم البذل العلمي الذي أثر في الحياة العلمية بشكل واضح.

**فممن تولى المناصب الدينية بمكة من العلماء المجاورين:**

ـ **محمد بن رمضان المرزوقي المالكي**(ت١٢٦١هـ/١٨٤٥م)، من علماء الجامع الأزهر قدم مكة ثم جاور بها، تصدر التدريس بمسجدها الحرام، ونشر العلم بين أبنائها والوافدين عليها، وتولى إفتاء مكة على مذهب الإمام مالك، ومكث فيها حتى وفاته[٣].

---

(١) الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٣١٤؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج١٢، ص١١.

(٢) الزركلي: الأعلام، ج٩،ص٢٩؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج١٣، ص١٢٠.

(٣) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٣، ق١١.

- **أحمد الدمياطي الشافعي**(ت١٢٧٠هـ/١٨٥٣م)، من علماء الأزهر الشريف، قدم مكة حاجاً فجاور بها، أهلته مكانته العلمية التي كان يتمتع بها أن يتولى منصب الإفتاء، والتدريس بالمسجد الحرام، فدرس القراءات والفقه والتفسير والحديث إلا أنه كان من المبرزين في علم القراءات[١]، وكان يحضر دروسه العالم والطالب، رحل إلى المدينة المنورة عام (١٢٧٠هـ/١٨٥٣م) ففتح مكاناً للدرس والإفادة، حضر دروسه عدد من علماء المدينة ، وتوفي فيها من نفس العام[٢].

- **حسن بن إبراهيم بن حسين المالكي** (ت ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م)، من علماء الأزهر، قدم مكة وجاور بها حوالي عام (١٢٤٠هـ/١٨٢٤م)، قربه أمير مكة الشريف محمد بن عون من مجلسه، وأنعم عليه بوظيفتي الخطابة والإمامة بمقام المالكي، تصدى للتدريس بالمسجد الحرام فدرس وأفاد، وتولى الإفتاء بمكة فذاع صيته واشتهر عدله، توفي بمكة تاركاً مصنفات قيمة في عدداً من العلوم[٣].

- **شعيب بن عبد الرحمن الدكالي** (ت١٣٥٦هـ/١٩٣٧م)، من علماء المغرب، رحل إلى القاهرة فأخذ العلم من مشايخ الأزهر، ثم توجه صوب مكة فجاور بها ودرس بالمسجد الحرام حيث عقد حلقة درسه صباحاً في حصوة باب الصفا ومساءاً في رواق باب السليمانية، ولما ذاع صيته في الأوساط العلمية بمكة قربه الشريف عون، ولما توفي الشريف رحل الدكالي إلى بلاده فولاه سلطان المغرب قضاء مراكش ، ثم عين بها وزيراً للعدل عام (١٣٣٠هـ/١٩١١م)، وقد باشره بعفة ونزاهة حتى وافته المنية[٤].

**كذلك أسهم أهالي مكة في تشجيع طلبة العلم من المجاورين وتسهيل العوائق وتوطئة المناخ والبذل لهم، ومما يؤكد ذلك تلك الحادثة التي سطرها التاريخ للشيخ أبي بكر شطا** (ت١٣١٠هـ/١٨٩٢م)، حيث أنه تعهد بالرعاية

---

(١) الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص١٤١ ـ ١٤٣، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ، ج٨، ص٢٢٦.

(٢) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج١، ق٢١.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٨٠.

(٤) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٣، ق٢٦٨.

والعناية أحد طلاب العلم المجاورين وهو **عبد ا  بن أزهري بن عبد ا  الفلمباني الشافعي** (ت١٣٥٧هـ /١٩٣٨م)**،** قدم مكة من بلاده فلمبان، فأكمل تعليمه على يد مشايخها، غير أنه انقطع عن طلب العلم بعد وفاة والده بسبب فقره فاشتغل مضطراً عند أحد مشايخ الحجاج فصار كاتباً وقارئاً عنده، مع قضاء ما تبقى له من وقت في قراءة كتب العلم وشاءت إرادة ا  أن يتعرف على عمر شطا فأعجب بفطنته وذكائه وسرعة حفظه فأخذه بإذن شيخه وأرشده إلى الانتظام في الدروس، فلازم أحمد دحلان وقرأ عليه، ولازم أبا بكر شطا وأخذ عنه الحديث والفقه والنحو والصرف والمعاني والبيان، وقرأ بالسبع على المقرئ محمد المنشاوي الحجازي، كثر عدد مشايخه الذين أخذ عنهم أو درس على أيديهم حتى كانوا يزيدون عن مائه شيخ ذكرهم في معجمه، درس واستفاد الطلبة من علمه، ثم رحل إلى بلاده فلمبان، وجلس للتدريس بها، فدرس التفسير والحديث والفقه وأصوله والبلاغة، وتخرج عليه عدد كبير من الطلبة الذين انتفعوا بعلمه الذي لم يبخل به على طلبته حتى دنا أجله[(١)].

**وبإطلالة سريعة وعوداً على بدء،** ومن خلال ما درست من معاني المجاورة بمكة وأسبابها ودوافعها وآثارها، فقد توصلت إلى **بعض النتائج المهمة**:

ـ تبين لي أن المجاورة بمكة لم تكن قاصرة على القادمين من جهة دون أخرى بل **جاور بمكة** من أهل الجزيرة من نواحي مختلفة من الرياض وعنيزة وبريدة وغيرها. **وجاور بها من جميع أنحاء العالم الإسلامي،** من العراق والشام ومصر ومن الهند وأندونيسيا وغيرها، وهذا يؤكد ما قدمته من أن المجاورة كانت لدوافع عديدة إلا أن الدافع الديني هو قاسم مشترك بين المسلمين كان ظاهراً في كل من أراد الجوار وإن كان ثمة دوافع مختلفة أخرى .

---

(١) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٣٣١.

ـ كما ظهر لي في الجملة أن المجاورين من (**نجد**) خاصة من الحنابلة كان غرضهم من الجوار هو طلب علم الحديث الذي كانت مكة مشتهرة به آنذاك لنزول المحدثين بها ونشاط حركة (الإجازات الحديثية) التي يهفو له طلاب العلم.

ـ كما أن جل هؤلاء النجديين قد اضطلع بإمامة المقام الحنبلي وتدريس المذهب الحنبلي بالمسجد الحرام، مما أبقى لهذا المذهب الإسلامي وجوداً ظاهراً رغم قلة أعداد المنتمين له آنذاك.

ـ كما أن هذا الجوار أسهم بشكل أو بآخر **في نشر الدعوة السلفية** التي أطلقها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانتشرت من نجد إلى بلاد العالم الإسلامي.

ـ لم يكن الجوار العلمي مقتصراً على اكتساب أو بث علوم دون أخرى، فإنه وإن كان عدد من جاور لطلب الحديث والفقه أعظم ممن جاور طلباً لغير ذلك من العلوم، إلا أنه **وجد أيضاً من جاور من الأطباء والفلكيين**.

ـ لم تكن **مدة الجوار موحدة**، هناك من جاور عشرات السنين بالبلد الحرام، وفيهم من لم يتعد جواره الأشهر والسنة والسنتين، كما أن هناك من جاور ثم درس بمكة حتى وفاته، كما أن ثمة علماء مجاورين أخذوا مهمتهم من البلد الحرام ثم انتقلوا لتعليم الناس في شتى الأصقاع.

ـ تبين لي أن ثلة من العلماء **لم يقتصر جواره على مكة فحسب**، بل انتقل **للمجاورة بالمدينة** أيضاً، أو جاور ابتداء بالمدينة ثم انتقل للمجاورة بمكة طلباً للعلم.

ـ على الرغم من الحالة الاقتصادية والاجتماعية المرموقة لبعض المجاورين في بلادهم إلا أنهم حرصوا كذلك على الجوار بمكة، وهذا يؤكد على **قوة الدافع الديني** لهؤلاء بل ظهر من خلال البحث أن تجاراً وأعياناً ووزراء في بلادهم جاوروا بمكة مدة ومنهم من بقي حتى وفاته بها.

ـ كان **لأمراء مكة** أثرهم الواضح في بقاء بعض المجاورين باحتضانهم ووصلهم والعناية بهم، ولا سيما إن كانوا من كبار العلماء الذين يحتاج لهم في التدريس بالمسجد الحرام، وذيوع مثل هذه المعاملة الحسنة للمجاورين دفع الآخرين إلى طلب الجوار بالمسجد الحرام.

ـ أثرى المجاورون الحياة العلمية في مكة، فقد أسهموا في **نشر العلم** عن طريق **حلقات العلم** في المسجد الحرام والدور، بالإضافة إلى **مساهمتهم بإنشاء المدارس والمكتبات**، غير ما بذلوه من جهد في مجال **الوراقة والتأليف**.

ـ كان لبعض المجاورين الأثر الباقي من خلال **الأسر العلمية** التي بقيت ردحاً من الزمان تنشر العلم بالبلاد الحرام[1].

ـ إن مكة البلاد الأمين كان **ملاذاً للمستضعفين** من المسلمين في شتى المعمورة حتى من ابتلي باضطرابات سياسية أو اقتصادية، كان ينزل البلاد الحرام، فيمن الله تعالى عليه بالأمن، ويمن الله على بعضهم بالعلم فتتغير حياته إلى ما هو أفضل، ويصبح ممن يثري الحياة العلمية ولا سيما وقد ذاق العلم والأمن في البلاد الأمين.

---

(١) انظر مبحث الأسر العملية من هذا البحث.

## الوراقون وأثرهم في النتاج العلمي

العلم خير عظيم، ونشره فضل كبير، وكلما كان العلم أغزر، وصاحبه أعلى مكانة، كان نشره من أفضل القربات، لنيل الدرجات، ولذا تضافرت النصوص الشرعية على إبلاغ العلم النبوي ونشره، قال ﷺ ((بلغوا عني ولو آية))[١]، وقال ((فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع))[٢]، وقال: ((نضر ا امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه))[٣]، وقد نشأ علم الرواية مبنياً على هذه النصوص، ولما كثرت الأسانيد، وتشعبت المرويات، كان لا بد من تقييد هذه المرويات لئلا تضيع.

فإن كانت حلقات العلم بثاً للعلوم الشرعية، وإبلاغاً للدين، وإن كان طلبة العلم وحملته هم وسيلة الانتقال للعلوم عبر الأجيال، إلا أن الكتب والمصنفات أبقى على مر الزمن، فكانت المصنفات آنذاك وسيلة النقل الوحيدة لبث العلوم والإبلاغ في غير مكان من العالم، وبغير احتياج لسفر عالم أو طالب[٤].

وقد ذكر ا تعالى في كتابه القلم، فقال: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[٥]، والمراد به على أحد أوجه التفسير جنس القلم الذي يكتب به، وقوله ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: وما يكتبون[٦]، فيكون شأن الكتابة عظيماً على هذا الوجه من التفسير.

ومن هنا نشأ تصنيف الكتب وتزامن معه ظهور مهنة الوراقة[٧] لنشر العلم فإنه لا بد لكل كتاب أو رسالة من ناسخ سواء كان الناسخ هو المؤلف، أو أحداً ممن أملى المؤلف عليه كتابه، ثم تنتشر النسخ التي يستنسخها الطلبة عن مؤلف شيخهم.

---

(١) البخاري، الجامع الصحيح، ج٦، ص٤٩٦، ح ٣٤٦١.

(٢) المصدر السابق، ج٣، ص٥٧٣، ح ١٧٤١.

(٣) الترمذي: السنن، ج٥، ص٣٣ ، ح٢٦٥٦.

(٤) قبل اختراع الوسائل الحديثة من المسجلات والفيديو والتلفاز وشبكة الإنترنت.

(٥) سورة ن، آية :١.

(٦) وهو الذي رجحه ابن كثير في تفسيره، ج٤، ص ٤٠٣.

(٧) **الوراقة** هي: بيع الورق وأدوات الكتابة أو الكتب أو نسخها أو تجليدها أو تذهيبها عملاً باليد أو صنعا بالآلة، انظر: عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان: العلماء والأدباء الوراقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري، (ط١، الطائف، نادي الطائف الأدبي: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص١٩.

ولأن الخطوط متباينة، وسرعة النسخ متفاوتة، لذا كان يستعين أحدهم بآخر للنسخ، ثم صار من الناس من تخصص في النسخ بأجرة، وصارت لهم حوانيت يعرفون بها، وأطلق عليهم (الوراقون)[1]، يدفع المصنف كتابه للوراق ثم يأخذه بعد أيام وقد صار نسخاً، وربما احتفظ الوراق لنفسه بنسخة، لمن يطلب استنساخها، ولا سيما إن كان الكتاب أو صاحبه متميزاً، بل صاروا ينتسخون الكتب المتميزة مما يجدون له سوقاً رائجة أو طلباً عند الناس وإن لم يطلبهم أحد بذلك ابتداء.

وأصبح للوراقة والوراقين دور عظيم في حياة الفكر الإسلامي[2]، إذ أسهموا مساهمة كبيرة في نشر المعرفة من خلال ما قدموه من خدمات سواء تلك التي تتعلق بالكتاب ونشره، أو ما يتعلق بأدوات ومستلزمات الكتابة وتوفيرها للقراء.

**وقد نشأت الوراقة وأسواقها بمكة في العصور الإسلامية المبكرة،** فيذكر الفاكهي والأزرقي أن بشعب الليل **دار الوراقين** لبني جمح ويقال لها: دار مصر، وأنها سميت بذلك لأن صفوان بن أمية كانت تأتيه من مصر تجارات وأمتعة فنسبت الدار إلى ما كان يباع فيها من متاع مصر[3].

وكان وجود هؤلاء الوراقين مقترناً بوجود المؤلفين والمصنفين والأدباء والعلماء ومقترناً بوجود المكتبات ودور العلم، ولما كانت مكة في عصورها كلها تتمتع بوجود العلماء والطلاب، كانت سوق الوراقة بها رائجة، إضافة لرغبة الحجاج في التزود بنسخ معينة من الكتب تروق لهم، أو بنسخ الإجازات في العلوم كالحديث، وغير ذلك، وهذا يغذي رواج هذه الصناعة، مما أسهم بشكل أو بآخر على نشر العلوم من مكة لمختلف أنحاء العالم الإسلامي.

---

(١) **الوراق**: هو من يبيع الورق أو يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها، انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج٦، ص١٠١؛ عبد ا بن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية بان مالك، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد، (ط٥، القاهرة، دار الاتحاد العربي: ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م)، ج٤، ص١٦٧.

(٢) بدري محمد فهد: دور الوراقين في نشر المعرفة،(مجلة الزخائر، س ٣، ع ٩، لعام ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ص٩.

(٣) الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص٢٦٣.

أيضاً كان لمجموعة العلماء والأدباء الوراقين بمكة دور كبير في ترسيخ أصالة المجتمع العلمي المكي لأنه رغم احتراف نخبة من المكيين لمهنة الوراقة إلا أنه كان بينهم المحدثون والفقهاء والمدرسون والمؤرخون وغيرهم كثر، مما رفع شأن الوراقة ورفع نظرة المجتمع للوراق.

ولقد تجمعت **عدة أسباب ساعدت على رواج مهنة الوراقة بمكة** والتي منها:

- **كثرة مصنفات العلماء المكيين،** فمع كثرة التأليف كثر النساخون، وقد وقف البحث على مئات الكتب والمصنفات نتاجاً علمياً لعلماء مكة فترةَ البحث فكان هذا من أكبر الدوافع لتنشيط حركة الوراقة، ويضاف إلى ذلك أيضاً **حركة التعليم النشطة،** والتي تعزى أيضاً إلى كثرة نزول العلماء والطلاب بمكة **مجاورين وحجاجاً،** والعالم والطالب لا يستغنيان عن الكتب، ولاسيما وحلقات العلم المتوفرة بالمساجد والمدارس كانت تجذب هؤلاء للحصول على الكتب التي يحتاجون إليها مما يدرسونه ويكون ذلك إما بالاستنساخ أو بالشراء من المكتبات .

- وجود عدد من **الأسر العلمية** بمكة شجع الأبناء على المحافظة **على ميراث الأباء والأجداد،** فاجتهدوا على نسخ كل ما يتعلق بهم من مؤلفات، وربما قام الأبناء بنسخ ذلك بأنفسهم، أو عهدوا به إلى النساخ، ومن أمثلة ذلك ما قام أبناء الشيخ حسين بن إبراهيم بن حسين المالكي (ت١٢٩٢هـ/١٨٧٥م) بنسخ بعض **مؤلفات أبيهم،** فقد نسخ عبد ا بن الحسين **بخط التعليق** مستخدماً المدادين الأسود والأحمر رسالة أبيه المعروفة "**رسالة في مصطلح الحديث**"، كذلك قام ابنه الآخر محمد علي بإعادة نسخها مرة أخرى سنة (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م) بخط النسخ مستخدماً المدادين الأسود والأحمر(١).

- وقد يكون **الدافع للاشتغال بالوراقة حب العلم،** والرغبة أن يبقى العلم مدوناً بخطه عبر الأجيال ينتفع به، ولذا نجد في قائمة الوراقين من كان ميسور الحال، بل ومن العلماء كالشيخ **عبد ا بن محمد صالح بن سليمان مرداد**

---

(١) أبو سليمان: عبد الوهاب إبراهيم وآخرون: فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص٦١.

(ت١٢٧١هـ/١٨٥٤م) خطيب وإمام المسجد الحرام والمدرس به، (كتب بخطه الكتب)[1]، وكذلك أخوه شيخ الخطباء والأئمة بالمسجد الحرام، **عبد العزيز بن محمد صالح مرداد** (ت١٢٧٥هـ/١٨٥٨)، كتب بيده جملة من أمهات الكتب بخط حسن مع كمال الضبط[2].

وأسرة مرداد شهيرة بالعلم والوظائف الدينية بالمسجد الحرام وهي الخطابة والإمامة، لذا فنحن نعتقد أن ما نسخه هذا الشيخ أو أخوه وما كتباه من كتب كان خاصاً بهما ولمكتبتهما وليعينهما على أمور الخطابة والإمامة والتدريس وليس من باب الكتابة للغير لطلب الربح، لأنهما من أسرة ميسورة الحال والوظائف التي كانا يتمتعان بها تغني عن الكتابة للغير.

وكذلك عبد الرحمن العجيمي (ت١٣٠١هـ/١٨٨٣م) كان إماماً وخطيباً ومدرساً بالمسجد الحرام، **نسخ بخطه الجميل الكثير من الكتب والرسائل**، فقد وصف بأنه كان: (ذا خط حسن جيد، كتب به الكتب والرسائل النفيسة الكثيرة)[3]،

كما قام عبد الستار الدهلوي بنسخ كتاب"حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج" لأحمد بن عبد الرزاق بن محمد الرشيدي (ت١٠٩٦هـ/١٦٨٤م)، و"الجواهر العدة في فضائل جدة وتاريخها" لأحمد بن محمد الحضراوي، وكتب عليها أنه **نسخها لنفسه ولمن شاء ا من بعده**[4].

ـ كما أن ظهور **التطور التقني** في صناعة الورق وأدوات الوراقة وتوفرها في السوق المكي بالأسعار المتفاوتة كان من أكبر عوامل انتشار مكتبات الوراقة، واشتغال العديد من المكيين بها، وصارت الوراقة **حرفة مربحة نوعاً ما**، فهي لا تعتمد على جهد بدني كبير، ويمكن تعاطيها في أي مكان، ولا تفتقر إلى مكان دون آخر، بل يمكن للوراق أن يقوم بعمله في بيته، مع رخص أسعار الورق وأدوات

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ق١٤٥.

(٢) مرداد أبو الخير : نشر النور والزهر ، ص٨٥٥.

(٣) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق٧١.

(٤) محمد صالح، وأحمد جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ص٤٣، ٤٤.

الكتابة، فكان هذا مدعاة لاشتغال عدد من أصناف الناس بها ولا سيما من المجاورين، حيث كانت الوراقة مهنة تناسب أرض مكة التي لا تشتهر بصناعة، وهي فقيرة في الزراعة، ولا يحسن التجارة كل أحد.

ـ وكان **الربح المادي** المرجو من الوراقة متفاوتاً حسب أهمية أو ندرة المخطوط وجودة خط الناسخ ونوع الورق، ووقت النسخ وغير ذلك.

وقد أشار بوركهارت إلى ما تحققه مهنة الوراقة من ربح فقال: (قد أخبرني بعض المكيين أن تجار الكتب كانوا قد تعودوا فيما مضى أن يأتوا إلى هنا مع الحجاج قادمين من اليمن، وكانوا يبيعون كتباً قيمة جلبوها من صنعاء ولحية خاصة،...، وقد كان أمراً دعاني للدهشة أن أهل مكة الأذكياء لم يتاجروا في الكتب وإن كان الاتجار فيها لا يحقق ربحاً كبيراً، كالربح الذي يحصلونه من الاتجار في البن والبضائع الهندية)[1] .

ورغم ماذكره بوركهارت إلا أن الربح المادي الذي كان يجنيه النساخون والوراقون من نسخ الكتب النادرة أو بيعها بمكة كان في الجملة أعلى منه في غيرها ويؤكد على ذلك الرحال المغربي أحمد بن ناصر الدين الدرعي، فحين كان بمكة في رحلته الأولى عام (١١٩٦هـ/١٧٨١م) اشترى بعض أجزاء كتاب اليونيني[2] من الناسخ إبراهيم بن علي القيصري المكي بثمانين ديناراً ذهباً، وقد أخبرنا بهذه المعلومة القيمة الكتاني إذ يقول: (اشتهر في كتب المتأخرين أن الشيخ ـ الدرعي ـ أدخل النسخة اليونينية للمغرب، وكنا نفهم ونسمع من الناس أنه أدخل الأصل اليونيني بنفسه، ثم تحقق أنه أدخل بعض فروعه المقابلة على الأصل اليونيني، وقد وقفت على الفرع المذكور الذي جلبه الشيخ المترجم من المشرق، وهو في عشرة أسفار **بخط مشرقي واضح نقي،** كاتبه **إبراهيم بن علي القيصري المكي** الحنفي، فرغ منه سنة (١١١٧هـ/١٧٠٥م)، تجاه الكعبة المعظمة، وذكر أن ناسخ الأصل

---

(١) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١٩٥ ـ ١٩٦.

(٢) قام اليونيني بجمع روايات البخاري وأحسن في ذلك جداً، حتى صارت نسخته أصلاً للجامع الصحيح للبخاري، ومن ثم اشتغلت أيدي العلماء بهذه النسخة وتداولوها، واستنسخوها.

محمد ابن عبد المجيد اليونيني أتمه عام(٦٦٩هـ/١٢٧٠م)، وعلى الفرع المذكور بخط ـ الدرعي ـ: ملك  بيد أحمد بن محمد بن ناصر كان ا  له بمكة المشرفة بثمانين ديناراً ذهباً)[١].

ففي هذا النص عدة دلالات من أهمها بيان ما كان يجنيه النساخون بمكة من أرباح، حتى إن فرعاً من فروع كتاب الحافظ اليونيني بلغ عشرة أسفار بيع بـ"٨٠" ديناراً ذهباً[٢].

إلا أنه ليس كل من فتح محلاً لبيع الكتب وأدوات الوراقة، أو اصطف دكة لينسخ للناس كان يكسب المال الوفير بدليل أن أحمد الحضراوي كان يكتب للناس بالأجرة ويتقوت منها ولا يطمع في المناصب ولا الوظائف، وكان يسكن في المدعى في بيته صغير، يذكر تلميذه محمد المعصومي في رحلته عام (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) أنه كان يدعوه أحياناً إلى بيته لتناول طعام الغذاء، فيقول: (فكنت أذهب معه بعد الظهر إلى ببيته الصغير المملوء بالكتب، فيفرش المائدة، فيحضر في طبق أرزاً فكنا نأكله ونلتذ لذة، لأنه كان طعاماً حاصلاً من كد اليمين، وعرق الجبين)[٣] .

ـ ومن دوافع النسخ أيضاً **رغبة الحجاج في شراء الكتب النفيسة من مكة** وقد يكون ذلك لانعدامها في بلادنهم، أو تبركاً بشراء العلم الشرعي الذي هو أشرف العلوم من مكة التي هي أشرف البقاع، فيكون ذلك تذكاراً لهذه الرحلة المقدسة، يتذكرونها، ويحنون إليها كلما رأوها، وفي هذا الصدد يذكر بوركهارت أنه رأى بمكة كتباً يشتريها الحجاج بمبالغ كبيرة، قال: (... والكتاب الجيد الوحيد الذي رأيته في مكة هو نسخة جميلة من القاموس المحيط كان قد اشتراها أحد الملاويين بمبلغ

---

(١) الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص ٦٧٨.

(٢) يلاحظ في القيمة الشرائية أن عشرين ديناراً ذهباً هي نصاب الزكاة، وهي عبارة عن أربعة ألاف ريال، فيكون المبلغ الذي دفعه الدرعي بيومنا هذا في حدود ستة عشر ألف ريال تقريباً.

(٣) محمد المعصومي: ٠ذكريات طريفة عن بعض كبار العلماء في مكة في الجيل الماضي، عرفت هؤلاء الرجال، (مجلة الحج، ج٤، س ٦، شوال ١٣٧١هـ/يوليه١٩٥٢م)، ص٢١٩.

ستمائة وعشرين قرشاً، مع أن ثمنه في القاهرة يصل إلى نصف هذا المبلغ، **وكثير من الحجاج** يسألون عن الكتب "المخطوطات" ومستعدون لدفع مبالغ كبيرة فيها)[١].

وهذا يؤكد أن **سوق الكتب** كانت رائجة لوجود المشتري لها من كل أنحاء العالم، فهو أثر إيجابي للاهتمام بالنسخ والوراقة.

ويقول عبد العزيز دولتشين الذي كان بمكة عام (١٣٠٧هـ/١٨٨٩م) إن: (الكتب والرسوم التي يشتريها الحجاج يوزعونها في شتى أقطار المعمورة، وعندنا في آسيا الوسطى نجد منها الكثير، كما هو معلوم، وذلك في الجوامع وفي منازل السكان)[٢]، وهذا يشير إلى أثر الوراقة في انتشار العلوم المكية للعالم الإسلامي.

*** أصناف الوراقين**

الوراقون في مكة كانوا أنواعاً: نوع امتهن حرفة نسخ الكتب، وتجليدها، ونوع آخر امتهن حرفة بيع الكتب والأدوات المكتبية من أقلام وأوراق وغيرها، وإن كان النوع الأول شارك **النوع الثاني** في مهنته، ولكن النوع الثاني لم يشارك النوع الأول إذ ليس كل من يفتح مكتبة لبيع أدوات الوراقة والكتب يستطيع أن ينسخ كتاباً، فهي مهنة تحتاج بالإضافة إلى جودة الخط، نوعاً من الصبر وقسطاً من العلوم، إضافة إلى طرق التصحيح، والضبط، والمراجعة، ونوع ثالث من الوراقين وهم الذين يعملون في المطابع، وهذا النوع برز مع ظهور المطابع بمكة عام(١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م)، وشمل أنواعاً من المصححين والفنيين والمجلدين، وغيرهم.

ولقد وضع العلماء **شروطاً لمن يمتهن الوراقة** منها ما يتعلق **بالناسخ فشرطوا عليه** أن يخاف ا ويتقيه في صنعته، فيعلم قبل أن يشرع في نسخ كتاب ما محتوى الكتاب وما كتب فيه فلا ينسخ كلاماً يخالف شرع ا ، ككلام أهل البدع والأهواء، وأن يتحرى الدقة والأمانة فيما ينسخ، وأن يحذر من خلط الورق الخفيف بالجيد الذي لا يصلح للنسخ، لأن ذلك تدليس على المشتري، فلكتابة الرسائل ورق

---

(١) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١٩٥ ـ ١٩٦.

(٢) ريزفان: الحج قبل مائة سنة، ص٣٠٩.

خاص بها وكتابة الكتب ورق خاص بها، وأن يكتب بخط واضح مقروء، ويختار حبراً جيداً لا يضر بالورق فيخرقها أو يمحى من الورق سريعاً[1].

**أما المجلد** فعليه هو الأخر أن يخاف ا في عمله فيتحرى الدقة بحيث لا يخاط الأوراق عند التجليد وإن كانت مخلوطة فعليه ترتيبها ثم يقوم بتجليدها[2].

*** أماكن النساخين والوراقين بمكة:**

كان للوراقين بمكة سوق معلوم، صفوا فيه حوانيتهم التي **يكتبون فيها ويبيعون الكتب،** فيقصدهم من يحتاج كتاباً أو يكلفهم بالبحث عنه ونسخه فانتشرت حوانيتهم أمام وحول أبواب الحرم الشريف كباب السلام وباب العمرة وباب الزيادة وباب إبراهيم[3].

وتعتبر **منطقة المسعى** أو **باب السلام**[4] الموقع الرئيس للوراقين والنساخ والمكتبات التي اختصت ببيع الكتب والأقلام والأوراق والحبر وغير ذلك من مستلزمات العلم والكتابة.

فيذكر بوركهارت الذي زار مكة عام(١٢٣٠هـ/١٨١٤م): (أن بالقرب من بوابة المسجد الحرام المسماة **باب السلام** تتخذ يومياً قلة من الشيوخ العرب مقاعد لها وقد وضعوا أمامهم المحابر والأوراق ليكتبوا الرسائل والحسابات والعقود أو أية وثائق لمن يطلبها، ... ويطلب هؤلاء **الكتبة** مقابل ذلك مبالغ باهظة)[5].

والظاهر أن هؤلاء من النساخ الذين ينسخون الرسائل الصغيرة، والأوراق المحدودة، أما الكتب والمصنفات الكبيرة فلها وضع خاص.

---

(١) ابن الحاج محمد بن محمد العبدري: المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات، والتنبيه على كثير من البدع المحدثة والعوائد المنتحلة، (ط١، القاهرة ، مطبعة مصطفىالبابي الحلبي: ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م )، ج٤، ٨٥ ـ ٨٩.

(٢) المصدر السابق، ج٤، ص٩٧.

(٣) أبو سليمان: العلماء والأدباء الوراقون في الحجاز، ص٤٣.

(٤) انظر باب السلام الملحق ، ٤/ز.

(٥) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١٤٢.

وأخبرنا ليون روش في رحلته إلى الحجاز عام (١٢٥٧هـ/١٨٤١م) : (أن مما كان يباع في **المسعى** النسخ الجميلة من القرآن الكريم)[1] .

وفي كلامه دليل على أن هذه المنطقة تعتبر المركز الرئيس للوراقة وبيع الكتب.

كما ذكر عبد ا أفندي باشا من أهالي البصرة في سياحته عن مكة ما بين عام (١٢٧٠هـ - ١٢٩٠هـ/ ١٨٥٣م - ١٨٧٣م) والتي نشرها عام (١٣٠٨هـ/١٨٩٠م) تحت عنوان "**الفتوحات الكوازية في السياحة إلى الأراضي الحجازية**": (أن بمكة أسواقاً كثيرة **وبها سوق مستقل يباع فيه الكتب النفيسة** وأنه ظفر بنسخة من النصف الأول من تفسير القاضي البيضاوي، حيث وجدها خير نسخة كتبت بخط حسن، واشتراها من **أمين أفندي الحلواني بائع كتب الخط** في **باب السلام**، كما اشترى عدة كتب من **الحاج عبد الصمد الهندي** بائع الكتب في **باب الزيادة** منها سنن أبي داود وتاريخ المدينة المنورة وشرح التحرير للقاضي زكريا، وديوان شعر لمحمود أفندي الساعاتي)[2].

والظاهر أن منطقة المسعى كانت أكثر المناطق تجارة في الكتب، حيث إن أكثر الحجاج والمعتمرين كانوا يدخلون الحرم لطواف القدوم من باب السلام، فإذا انتهوا من مناسكهم وجدوا ما يحتاجونه من مصاحف وكتب.

ولم تقتصر منطقة المسعى أو باب السلام على الحوانيت المستأجرة لبيع الكتب، بل كانت أيضاً منطقة بيع عام يبيع فيها الحجاج الكتب أيضاً، كما يذكر بوركهارت أنه: (بعد العودة أثناء الحج من عرفات يعرض **بعض** العلماء الأكثر فقراً من غيرهم **بعض الكتب للبيع في المسجد الحرام بالقرب من باب السلام**، وكل ما رأيته منها كان في الفقه والقرآن وتفسيره، وبعض كتب النحو القليلة)[3].

وإضافة إلى منطقة المسعى وباب السلام انتشرت محلات الوراقة حول الأبواب الكبيرة للحرم المكي، وأبواب الدخول للحرم التي تقرب من محل سكنى

---

(١) بلقاسم سعد ا : رحلة ليون روش إلى الحجاز، ص١١.

(٢) نقلاً عن الطاشكندي: الطباعة في المملكة، ص٢٨ - ٢٩

(٣) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١٩٥ - ١٩٦.

الحجاج، بحيث يمرون عليها عند ذهابهم وإيابهم، كباب العمرة وباب إبراهيم وغيره.

ومن لم يجد من الناسخين مكاناً حول الحرم يسعه ليمارس مهنته فإن الحرم المكي يحتضنه فيباشر فيه عمله بهدوء وسكينة، فقد قام محمد صالح بن محمد الفارسي بنسخ "الدرة البيضاء" منظومة في الفرائض لعبد الرحمن الأخضري (ت٩٨٣هـ/١٥٧٥م) بخط النسخ عام (١٢٦٣هـ/١٨٤٦م) في المسجد الحرام[1].

كما أن بعض النساخ المكيين جذبتهم **مدينة الطائف بجمال مناظرها وعليل هوائها** فنسخوا بين بساتينها ما لديهم من مخطوطات مستفيدين فترة وجودهم بها فعلى سبيل المثال نسخ عبد الستار الدهلوي كتاب "طيف الطائف في فضل الطائف" لمحمد بن علي العلوي(ت١٠٧٥هـ/١٦٦٤م) بالطائف عام(١٣٣١هـ/ ١٩١٢م)[2].

ومنهم من كانت تهويه **طيبة بهدوئها وسكينتها** فينسخ ما يقع تحت يده من كتب، كما فعل محمد عبد الحق الهندي المكي(ت١٣٣٣هـ/١٩١٤م) إذ قام أثناء زيارته للمدينة عام (١٢٨٧هـ/١٨٧٠م) بنسخ "المن والسوال في مولد الرسول ﷺ " لمحمد بن عمر الجاوي البنتني المكي (ت ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م)[3].

*** أما أدوات الوراقة:**

فقد ذكر الغزاوي **أربعة عشرة أداة كانت تستخدم في الكتابة فترة البحث** كانت متوفرة عند الوراقين أو الكتبيه الذين يبيعون الكتب أو يزاولون مهنة النسخ، وهذه الأدوات هي ما جمعه الناظم بقوله:

ومهمات الدواة تعد سبعاً وسـبعاً عدهن بلا خفاء
مداد ثم محـبرة مقص ومرملة و مصمغة ألواء
ومكشـطة ومقلمة مقط ومصـقلة ومموهة لماء
ومحراك ومسطرة مسن وممسـحة لختم وانتهاء

(١) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص١٦٣.
(٢) محمد صالح، وأحمد جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ص١٧٦.
(٣) المرجع السابق، ص٧٥، ١٩٢.

وعليه؛ فالأدوات كانت تشمل:

**المداد**، وهو الحبر، ويوضع في **محبرة، ومقص، ومرملة**، والمرملة أو المتربة كانت تستخدم في الأوساط العليا والمكاتب الممتازة، إذ هي لوضع التبر اللماع على الخط وكان يكثر وجوده في بعض جبال مكة وفي سفوح خندمة وما حوله، وأيضاً **الزخرفة** بالرمل الملون بالأخضر أو الأحمر أو الأزرق، **والمصمغة** لوضع الصمغ عند تجليد الكتب، وكذا باقي الأدوات، مكشطة، مقلمة، مقط، مصقلة، مموه، محراك، مسطرة، مسن، ممسحة، أما القلم فكان من القصب يقلم ويقط ليستخدم في الكتابة[١] .

*** نوع الورق:**

عرفت الحجاز أول مصنع لصنع الورق في أواخر القرن الأول الهجري، حيث تعلم يوسف بن عمرو صنعة الورق ببلاد سمرقند ثم نقلها إلى الحجاز، وأنه أول من صنعه من القطن بدلاً من الحرير، ومن الحجاز انتقلت صنعة الورق إلى الأندلس فأوروبا[٢]، غير أنه في العصور اللاحقة وخاصة في فترة البحث أصبح الورق يأتي إلى الحجاز من الخارج، فلم نسمع بوجود مصنع للورق بمكة، وقد يكون مرد هذا إلى عدم اهتمام الدولة في إقامة مثل هذه المصانع بمكة، وعلى كل فإن كان للدولة العثمانية أسبابها التي جعلتها لم تول هذا القطاع اهتمامها، لانشغالها بحروبها مع أوروبا، أو لضعف الموازنة المالية والتأخر الذي أصابها، ولكن الطاقات المكية كانت بانتظار من يمد لها يد العون والتشجيع، والذي تأخر كثيراً حتى دخول المطابع.

وعلى كل حال فقد استخدم الوراقون **أوراقاً** مختلفة ومتنوعة في الكتابة والنسخ، منها المتين ومنها الرقيق ومنها الأبيض ومنها الملون، ومنها الجيد ومنها

---

(١) الغزاوي:الشذرات، ص٣٢٢، وهي الأدوات المستخدمة حتى الآن في الكتابة اليدوية، والمقط والمصقلة لتقليم القلم، والمموه لتزيين الخط، والمكشطة للمسح، كما هو ظاهر من الاستعمال.

(٢) عبد الوهاب أبو سليمان: العلماء والأدباء الوراقون في الحجاز، ص٤١، وهذا من المآثر التي تسطر لفضل العرب على نهضة أوروبا.

الرديء ، ومنها ما كان يجلب من الهند أو من أوروبا وإيطاليا[1].

وربما كان البعض يرغب في أن تكون أوراق المخطوط مزينة بالألوان والرسومات ومزخرفة ومذهبة، والبعض الآخر يفضل أن يتركها كما هي على حالتها الأصلية، إذ إنه بالتأكيد سيدفع ثمناً باهظاً إذا زينت وزخرفت.

كما أن نوع الورق كان يؤثر في سعر المخطوط، وحالة الناسخ المادية فيما بعد، فالورق الجيد غير الورق الرديء، والسميك غير الرقيق الناعم، والأصفر غير الأبيض، والأوروبي غير المشرقي، فلكل سعره حسب جودته.

فمما كتب على **ورق أوروبي كتاب** "إعداد اللطائف من أخبار الطائف" لحسن العجيمي(ت١١٣١هـ/١٧١٨)، نسخه العجيمي على **ورق أوروبي رديء** وغليظ بخط نسخ مستخدماً المدادين الأسود والأحمر[2].

وهذا يشير إلى أن انتشار الورق الأوروبي لم يكن في آخر العهد العثماني فحسب، بل كان معلوماً بمكة قبله.

كما نسخ على ورق إيطالي رديء كتاب "الاختيارات البديعة في معرفة بعض سراة حفاظ الشريعة"، بخط النسخ مستخدماً المداد الأسود والأحمر[3].

**وممن** استعمل **الورق الأبيض السميك:** عمر بن أبي بكر بسيونى مفتي المالكية بمكة نسخ عليه كتاب: "درة العقد الثمين في بعض مناقب تاج العارفين" لمؤلف مجهول، وقد فرغ من نسخها عام(١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م)[4].

---

(١) حاولنا جاهدين فيما توفر لنا من مصادر العثور على معلومة تبين كيفية استيراد الورق إلى الحجاز، غير أننا لم نوفق، وإن كان في اعتقادنا أن الورق المشرقي كان يأتي إلى مكة عن طريق قصبتها جدة من الهند لعلو شأنها في ذلك الوقت، إذ انتشرت بها المطابع وتصدير الكتب ، فمن باب أولى تصدير الورق، أما الورق الأوروبي فلعله كان يأتيها من دول أوروبا كإيطاليا عن طريق موانئ مصر، وا أعلم.

(٢) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص٩٨. وقد طبع الكتاب بالطائف تحقيق: يحيى محمود ساعاتي سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

(٣) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص٣٩، ٥٢، ٥٣.

(٤) محمد صالح، وأحمد جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ٤٤.

واستعمل كذلك النساخون الورق الخفيف بمختاف ألوانه، فممن **نسخ على ورق خفيف ملون:** محمد بن علي بن عبد ا  باسودان نسخ كتاب "المحرر" لعبد الكريم بن محمد القزويني (ت٦٢٣هـ/١٢١٧م) على ورق خفيف **ملون أحمر وأصفر وأخضر،** بخط معتاد عام (١٣٠٥هـ /١٨٨٧م)[1] .

كما قام عبد الحليم السليماني بنسخ "النبراس في بيان كيفيات مسح الرأس" لمحمد الهندي المكي الحنفي (ت١٣٣٣هـ/١٩١٤م) على **ورق أصفر بخط فارسي** عام (١٢٩٩هـ/١٨٨١م)[2].

و قد ينتقي الناسخ **الورق الأزرق الناعم** ليكتب عليه ويختار من الخطوط أجملها **كالفارسي** ليزين به الأوراق، فكتاب "وسائل الوسائل إلى معرفة الأوائل" لمحمد بن يوسف المقدسي (ت١٠٢٨هـ/١٦١٨م)، حيث تم نسخه بمكة عام (١٢٧٩هـ/١٨٦٢م) على ورق أزرق ناعم وبالخط الفارسي[3] .

**كما استخدمت ألوان عدة في النسخ منها الأسود والأحمر والأزرق والبنفسجي:**

وقد تفننوا في استخدام هذه الألوان، إذ أكثروا من الكتابة بالمداد الأسود، وكان هو عصب الكتابة من حيث كونه ملك الألوان، وأنه أوضح وأبقى مع الأيام، ولذلك فكان معظم ما وصلنا من مخطوطات هذه الفترة بالمداد الأسود، ومن ذلك:

"تبصرة السالكين في تجويد كتاب رب العالمين " للشيخ إسماعيل إمام الحرم النبوي، قام محمد بن عبد القادر الفتني المكي الحنفي بنسخها عام (١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م) **بالمداد الأسود**[4].

وأتي بعد الحبر الأسود في الاستخدام **الحبر الأحمر،** فقد دونت بعض المخطوطات بالحبر الأحمر مثل: "غاية البيان في شرح زبد ابن رسلان" في الفقه

---

(١) المرجع السابق، ٢٥٣.

(٢) نفسه، ص١٩٢.

(٣) نفسه، ص ١٠٢.

(٤) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص٢٦.

الشافعي لمحمد بن أحمد الأنصاري (ت١٠٠٤هـ/١٥٩٥) نسخها شاهين ابن الحاج حجازي الدفتري عام (١١٥٠هـ/١٧٣٧م) بخط النسخ **بالمداد الأحمر**[(١)].

ونسخ محمد بن يوسف بن عيسى الدمنهوري "منظومة في الفقه الشافعي" لأحمد بن محمد حسب ا  الشافعي عام (١٢٧٤هـ/١٨٥٧م) بالحبر **الأحمر**[(٢)].

غير أن أكثر استخدام له كان في كتابة العناوين أو بداية كل فقرة، لا في كل المخطوط، خاصة لو كان يتحدث عن التراجم فيكتب اسم المترجم بمداد مختلف عن مداد الترجمة وكان في العادة باللون الأحمر[(٣)]، أما الأسود فيكون لكتابة الترجمة، ولعل اللون الأحمر مع الوقت قد يبهت فيؤثر على قراءة المخطوط حتى أن مخطوط "نثر المآثر فيما أدركت من الأكابر" قد طمست أسماء تراجمه تماماً حيث كتبت باللون الأحمر فمع الوقت بهتت، وكدنا لا نعرف أصحاب التراجم حتى أنجدنا فهرس المخطوط الذي دون فيه عبد الستار الدهلوي تراجم مخطوطه بالمداد الأسود.

وربما كان لاستخدام اللون الأحمر طريقة أخرى، في الكتب التي تحوي متناً وشرحاً، فيكتب **المتن بالأحمر** والشرح بالأسود فعلى سبيل المثال حين نسخ خطيب المسجد الحرام عبد السلام بن حسن بن خالد الجعفري عام (١١٨٢هـ/١٧٦٨م) "الموارد الشهية في حل ألفاظ المقدمة العشماوية" لإبراهيم الشبرحيني المالكي (ت١١٠٦هـ/١٦٩٤م) استخدم في كتابة **المتن الحبر الأحمر**[(٤)].

كما وجد من الناسخين من يفضل اختيار لون آخر غير الأحمر **كالأزرق** فمن المخطوطات التي كتبت بالمدادين **الأسود والأزرق** رسالة في حكم السبحة" لمحمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م) كتبت عام (١٢٩٢هـ/١٨٧٥م) بخط التعليق بالمدادين الأسود والأزرق[(٥)].

---

(١) محمد صالح، وأحمد جمعة:" فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ص ٢٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٦٣.

(٣) وقد أجهدني ذلك كثيراً، إذ اللون الأحمر يكون ضعيفاً عند تصويره، فكان يقتضي الأمر مني الرجوع لبعض المخطوطات بعد تصويرها لعدم وضوح الخط المصور من خط أحمر.

(٤) وهي في الفقه المالكي، انظر: محمد صالح وأحمد جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ص٢٣٤.

(٥) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص١٧٠.

ولم يقتصر استخدامهم على الأسود والأحمر والأزرق بل استعلموا ألواناً أخرى **كالبنفسجي،** فقد راق لناسخ "أسنى المطالب في نجاة أبي طالب "لأحمد زيني دحلان (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) أن يستخدم اللون البنفسجي في كتابة رؤوس العناوين أما المتن فاختار اللون الأسود لكتابته، وكان ذلك عام (١٣٠٥هـ/١٨٨٧م)[١].

*** الخطوط المستخدمة:**

ولقد تنوعت الخطوط التي استخدمها النساخون في الكتابة ونعتقد أن لكل خط ثمنه، إذ كانت هناك خطوط جميلة **كالفارسي،** وخطوط عادية **كالنسخ،** ولا يخفى على أحد أن الخط الفارسي يأخذ من الناسخ وقتاً أكثر في كتابة المخطوط فيما لو أنه استخدم خط النسخ، وهذا يؤثر على وقته الذي يكفيه لخط مخطوطتين أو أكثر لو كتبها بالخط النسخ، فمن غير المعقول أن يباع المخطوط الذي بالخط الجميل الواضح بثمن المخطوط الذي بخط عادي، أو غير واضح، فالعين تحب الجميل والجميل بطبعه غالي، وسبق أن **الخطاطين كانوا** يعلمون فن كتابة الخط العربي بأنواعه كالخط العثماني والثلث الكبير والصغير والفارسي والنسخ والرقعة، إلا أنه وجد كذلك الخط المغربي، ووجد الخط المسمى بخط التعليق[٢].

فممن نسخ **بالخط الفارسي محمد بخاري** والذي أمره الشريف عبد المطلب ابن غالب بأن ينسخ له كتاب "ذكر حال السبطين الشهيدين الحسن والحسين" لمؤلف مجهول، فقام بنسخها بخط فارسي جميل[٣]، كما كتب بهذا الخط محمد صالح الاسلامبولي إذ نسخ بمكة ما بين عامي(١٢٧٧هـ/١٨٦٠م)، (١٢٧٨هـ/١٨٦١م):

---

(١) المرجع السابق، ص٨٠.

(٢) خط **الثلث**: من أرقى الخطوط وتكتب به أوائل السور واللوحات القرآنية، والخط **الفارسي:** سمته استخدام قلمين أحدهما ثلث حجم الآخر، **والنسخ**: مستمد من خط الثلث، وسمي بالنسخ لأنه كانت تنسخ به المصاحف، **وخط الرقعة**: أسهل وأبرع الخطوط في الكتابة مما ساعد على انتشاره، **وخط التعليق**: يتميز عن غيره بأن يكون دقيقاً والذي يستخدم عادة عند التعليق على هوامش المخطوط، ولا يكون على نسق واحد، فقد يجمع النسخ مع الرقعة لضيق المكان، ثم صار تكتب به بعض المسودات والكتب فأطلق عليه هذا الاسم، **والخط العثماني**: هو الرسم الذي ترسم به المصاحف حتى اليوم، نسبة إلى رسم مصحف عثمان بن عفانﷺ.من موقع(www.20at.com).

(٣) محمد صالح، وأحمد جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ص٤٦.

"الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز" لعبد الغني بن اسماعيل النابلسي (ت١١٤٣هـ/١٧٣٠م)[١].

واستخدم **خط الرقعة جعفر اللبني** (ت١٣٤٢هـ/١٩٢٣م) حين نسخ "قطع الجدال في أحكام الاستقبال " لحسن العجيمي عام (١٣٠٧هـ /١٨٨٩م)[٢].

**ونسخ بخط التعليق** جعفر بن قامس الداغستاني، "عمدة الأبرار في أحكام الحج والاعتمار" لعلي بن عبد البر الونائي الشافعي (ت١٢١٢هـ/١٧٩٧م) **نسخها** عام (١٢٨٢هـ/١٨٦٥م)[٣]، ونسخ محمد سعيد بن علي القدسي المكي عام (١٢٤٠هـ/١٨٢٤م) **بخط التعليق** "حاشية على شرح المنشليلي لأبيات المقري في أحكام الدماء" مناسك لعفيف الدين عبد الرؤوف بن يحيى الواعظ المكي الشافعي[٤].

**كما استخدم النساخون خط النسخ**، وهو أقل أنواع الخطوط جودة، استخدمها النساخون لنسخ كتب العلم للطلبة، ومن هو في مستوى مادي متواضع. وممن امتهن النسخ والكتابة بهذا الخط مصطفى بن يوسف بن عبد ا الحسيني، نسخ كتاب "إمداد الفتاح شرح نور الإيضاح ونجاة الأرواح" لحسن بن عمار الشرنبلالي (ت١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م) **نسخها عام** (١١٦٣هـ/١٧٤٩م)[٥].

وقام عبد الكريم بن محمد مشفع الجاوي عام (١٢٣٩هـ/١٨٢٣م) بنسخ كتاب "فتح الوهاب شرح منهج الطلاب" لزكريا بن محمد الأنصاري (ت٩٢٦هـ/ ١٥١٩م) **بخط نسخ معتاد** [٦].

**ونسخ** محمد بن عبد ا بن علي بن حميد الحنبلي عام (١٢٥٨هـ/١٨٤٢م) **بخط النسخ** "الجواهر السجية شرح الخزرجية" لعبد الرحمن مصطفى العيدروسي (ت ١١٩٢هـ /١٧٧٨م)[٧].

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٥.

(٢) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص٢١٩.

(٣) المرجع السابق، ص١٩٥.

(٤) نفسه، ص١٥٥.

(٥) محمد صالح، وأحمد جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ص٨.

(٦) المرجع السابق، ص٢٥٧.

(٧) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص٣٥٨

**أما الخط المغربي** فقد استخدمه النساخون بمكة، ولكن بقلة نوعاً ما واكتفى بالكتابة به الحجاج أو المجاورون المغاربة، وهو يفترق عن الخط المشرقي في بعض أشكال ونقاط الحروف، فالفاء نقطتها من أسفل، والقاف نقطتها واحدة من أعلى وقد نسخ هاشم بن محمد المغربي بمكة عام (١١٥٣هـ/١٧٤٠م) بالخط المغربي "شرح بديعية ابن حجة" لمؤلف مجهول[١] .

وقد يمتلك الناسخ **موهبة الكتابة بمختلف أنواع الخطوط،** كالتعليق والنسخ والرقعة، وممن امتلك هذه الموهبة جعفر بن أبي بكر لبني (ت١٣٤٢هـ/١٩٢٣م) نسخ لنفسه "إرشاد الخلائق لمستحسن الطرائق" في الفقه الحنفي بخط النسخ عام (١٣٠٧هـ/١٨٨٩م)، واستخدم **خط الرقعة** حين نسخ "قطع الجدال في أحكام الاستقبال" لحسن العجيمي[٢].

أما **الخط العثماني** فقد أتقنه مجموعة من النساخين، إذ إنه تكتب به المصاحف، وربما كتب بعض العلماء به الأجزاء من القرآن الكريم، منهم أحمد الخطيب الذي كتب أغاب جزء عم بالخط العثماني[٣] .

ويذكر بوركهارت أنه رأى في القاهرة **كثيراً من الكتب المنسوخة بخط حجازي** [٤].

ونلحظ من عبارته أن **الخط الحجازي كان متميزاً بحيث** اختلف عن سائر الخطوط المستعملة في الوراقة، ولم أهتدِ لما أراده من مميزات الخط الحجازي على كثرة مطالعة المخطوطات الحجازية، إلا أن يكون مراده بخط نساخ من الحجاز، فإن مكة لما جاور بها المسلمون من كل جنسيات العالم، ظهر بها أنواع من الخطوط مختلفة باختلاف الخطاطين وبلدانهم، والظاهر أن هذا الخليط من الأعراق والأجناس

---

(١) المرجع السابق، ص٤٣٨

(٢) نفسه، ص١١٩، ٢١٩.

(٣) أحمد الخطيب: القول التحيف، ق٦.

(٤)المصدر السابق،ص ١٩٦.

كما أثر على العادات الاجتماعية للمكيين، كذا أثر ذلك على خطوطهم، بحيث صار هناك ما يعرف **بالخط الحجازي** الذي هو خليط من الخطوط.

*** عمل الناسخ:**

لم يكن ما يقوم به النساخ هو نسخ الكتب كيفما كان، بل إن الناسخ مؤتمن على نقل الكتاب كما كتبه صاحبه، بغير تحريف، وهذا يقتضي تصحيح الكتاب، وهو ما يسمى **بالمقابلة والتصحيح**، وقد اهتم العلماء به، حتى قال عروة بن الزبير لابنه هشام: كتبت؟ قال نعم، قال: عرضت كتابك، أي قابلته بأصله مصححاً، قال: لا، قال لم تكتب ، السبب في ذلك أن **الخطأ يبقى** في الكتاب، فربما أحال المعنى، كما قال الأخفش: (إذا نسخ الكتاب ولم يعارض، ثم نسخ ولم يعارض خرج أعجمياً)[1].

وهذا يقتضي أن يتعرف الناسخ على **علامات العلماء في كيفية كتابة الكلمة الناقصة**، ويسمونها (اللّحق)، وهو أن يضع خطاً في موضع السقط بين الكلمتين، ويعطفه إلى اليمين أو اليسار، ثم يكتب الساقط في الحاشية ويكتب في انتهاء اللحق (صح)، أما **الحاشية** فتكتب العطفة وسط الكلمة التي يراد التحشية عليها، ولا يكتب بعد الحاشية كلمة (صح)[2]، **وممن تحرى التصحيح والمقابلة من النساخ:** أبو بكر علي بن عبد ا بن علي بن خالد الجعفري المكي قام بنسخ "تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام "منظومة في الفقه المالكي لابن عاصم محمد بن محمد الغرناطي (ت٨٢٩هـ/١٥١٩م) قام أبو بكر بنسخها عام (١١٤٣هـ/١٧٣٠م) وقد ذكر في هامش الورقة الأخيرة أنه **قابلها على نسختين**[3] .

**كما يقوم الناسخ بإصلاح المخطوط إذا ظهر بأوراقه خلل، ويكمل الناقص، وربما زاد على الكتاب ذيلاً**، ومن ذلك مخطوط "الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف لمحمد جار ا القرشي (ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م)، حيث قام

---

(١) السيوطي: تدريب الراوي، ج٢، ص ٧٧.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص ٧٩ ـ ٨٢، انظر الملحق ٣/ب.

(٣) محمد صالح، وأحمد جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ٢١٣.

**أحمد الصافي بنسخها بخط نسخ** عام (١١٤٤هـ/١٧٣١م)، ولما وصلت لعبد الستار الدهلوي (ت١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) كان للزمن أثاره عليها إذ **وجد بها خرم في وسطها،** فقام عبد الستار الدهلوي **بعلاجه ثم قابلها على نسخة صحيحة** وكان ذلك عام (١٣٢٢هـ/١٩٠٤م) **ثم ذيل عليها** فيما بعد بما يتعلق بأمراء مكة باختصار من عام (٩٦١هـ - ١٣٣٢هـ) / (١٥٥٣م - ١٩١٣م)[1].

كذلك في مخطوط "**مختصر حسن الصفا والابتهاج في ذكر من ولي إمارة الحاج**" لأحمد بن محمد الحضراوي (ت١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)، بدأه بذكر أمراء الحج من السنة (٨هـ/٦٢٩م) للهجرة إلى سنة (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م)، وفي هذه السنة كان أمير الحج المصري هو إبراهيم باشا رفعت، **وينتهي بأبيات منظومة لابن المؤلف** محمد سعيد يمدح فيها إبراهيم باشا المذكور، **وقد زاد فيه الناسخ عبد الستار الدهلوي** (ت١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) ناقلاً عن إبراهيم باشا من رحلته من سنة (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) إلى سنة (١٣٣٦هـ/١٩١٧م)[2].

وعمل بالوراقة طائفة من الحجاج والمجاورين، أسهموا بشكل مباشر في إنعاش حركة الوراقة، من جهة أنهم وفود من كافة أنحاء العالم الإسلامي، وكثير منهم وجد أن الوراقة أنسب الأعمال التي يمكن أن يمتهنها أحدهم، دون أن يعرض نفسه للامتهان إذا قام ببعض أعمال الحمل والرفع، أو يحتاج إلى أخذ إذن أو تصريح كما هو الحال بالنسبة للتدريس، أو يحتاج إلى رأس مال للتجارة، فكانت الوراقة أنسب ما يجده هؤلاء، ولا سيما أن ربحها مناسب للإعالة والبقاء بمكة بكريم العيش.

فممن عمل بمهنة النسخ من **المجاورين**: **مصطفى بن محمد** بن سليمان العفيفي، من علماء مصر، قدم مكة في حدود عام (١٢٦٠هـ/١٨٤٤م)، عازماً على إكمال مسيرته العلمية على مشايخ مكة والوافدين عليها، غير أن ضيق ذات اليد جعلته

---

(١) محمد صالح، وأحمد جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ص٤٠.

(٢) أحمد بن محمد الحضراوي: مختصر حسن الصفا والابتهاج في ذكر من ولي إمارة الحاج (مخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم: ٢/١٢ تاريخ دهلوي).

يعيش بالكتابة ليستعين بها على نفقات معيشته وإكمال تعليمه وتحصيله، **فامتهن الوراقة** وراح يكتب بخطه الحسن الجميل الكثير من الكتب، والتي تميزت بجمال خطها ودقة ضبطها وإتقانها(١).

كما امتهن نسخ الكتب **عبد ا بن فايز أبا الخيل (**من علماء القرن الثالث عشر الهجري: السابع عشر الميلادي) كان والده أميراً لإحدى مدن القصيم، فطلب عبد ا العلم فرحل إليه صوب مكة وأخذه عن عدد من علمائها، يترجم له عبد الستار الدهلوي فيقول: (.. انبعثت همته لطلب العلم بعد بلوغه ثلاثين سنة، فلم يجد ما يشفي ادامه **فجاور بمكة** سنين يتعيش من النساخة وقليل من بيع وشراء على غاية التحري وتصحيح العقود، وكان تعلم الخط في كبره ولا زال يخط ويحسن خطه إلى الأفاق وطرز الأوراق فكتب شيئاً كثيراً لنفسه وللناس)(٢).

كما امتهنها **جعفر بن قامس الداغستاني** (ت١٣١٢هـ/١٨٩٤م)، **قدم مكة** مع أبيه **وتوطنها ،** قرأ العلم على عدة مشايخ، اتخذ من الوراقة حرفة له، فكتب بها الكثير من الكتب(٣).

وممن امتهن الوراقة أيضاً من المجاورين **محمد بن سليمان حسب ا الشافعي** (ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م) قام بنسخ عدد من الكتب منها ما هو له ومنها ما هو لغيره، فقد نسخ مؤلفه "فيض المنان بشرح فتح الرحمن" بخط النسخ مستخدما المدادين الأسود والأحمر، وفي عام (١٢٦٧هـ/١٨٥٠م) نسخ "فتوحات الرشيد على خلاصة التوحيد للبخاري" لمحمد الدمنهوري (ت١٢٨٨هـ/١٨٧١م) كما نسخ "تقريرات على شرح الورقات" لأحمد بن محمد الدمياطي الشافعي،سنة (١٢٧٢هـ/١٨٥٥م) بخط التعليق في الفقه الشافعي(٤).

---

(١) مرداد أبو الخير : نشر النور والزهر، ص٤٩٩؛ عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة ، ص٤٨٠ .

(٢) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق١٢٧.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٠٦؛ عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص١٩٥.

(٤) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص١٠٦،١٤٠.

**وأما الحجاج** فكثير منهم من يجد وقتاً كافياً للنسخ فترة انتظاره للحج، فقد يصل الحاج إلى مكة قبل الحج بأشهر ويبقى في انتظار حلول الحج فيشغل وقته بنسخ العلوم والكتب لنفسه، أو لغيره، **كالحاج علي** الجوزنجي، والذي نسخ بخطه عام (١١٧٣هـ/١٧٥٩م) أدعية "ورد السحر" لمصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي (ت ١١٦٢هـ/١٧٤٨م)[1]، ونسخ **الحاج محمد رضا بن مصطفى بن** أحمد حين كان في مكة عام (١٢٣١هـ/١٨١٥م) عدداً من الكتب منها كتاب "وسيلة الطلاب لمعرفة أعمال الليل والنهار بطريق الحساب في الفلك" ليحيى بن محمد بن محمد الخطاب (ت٩٩٥هـ/١٥٨٦م)[2].

**كما امتهنت أسر حرفة الوراقة،** فلم تكن حرفة الوراقة تقتصر أحياناً على أفراد معدودين، بل قد تستمر لأجيال تتوارثها أسر في مكة، يتعلم الولد من أبيه، ويرث الحفيد من جده، فقد يكون عميد الأسرة مجاوراً، واشتغل وقت مجيئه مكة بنسخ الكتب، فيتعلم منه أبناؤه، ويستمرون على مهنة الوراقة، ومن هذه الأسر التي تتوارث الوراقة ونسخ الكتب:

**- أسرة حسين المالكي:**

**عميد هذه الأسرة هو حسين بن إبراهيم المالكي** (ت١٢٩٢هـ/١٨٧٥م) من مجاوري مكة ومدرسي المسجد الحرام[3]، امتهن الوراقة ونسخ الكتب لنفسه وللغير بأجر، فمن الكتب التي نسخها "الابتهاج، في الكلام على الإسراء والمعراج" لنجم الدين محمد بن أحمد الغيطي (ت٩٨٤هـ/١٥٧٦م)، قام بنسخها عام (١٢٦٨هـ/١٨٥١م)،على ورق أوروبي مستخدماً خط النسخ والمدادين الأسود والأحمر[4]، كما نسخ كتاب "الجامع الصحيح" لأبي عبد ا محمد بن إسماعيل

---

(١) المرجع السابق، ص٣١٣.

(٢) نفسه، ص٥٠٦.

(٣) راجع ما سبق في مبحث المجاورين .

(٤) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص٣٩.

البخاري (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) ما بين عامي (١٢٧٨هـ و١٢٨٤هـ)/(١٨٦١م و١٨٦٧م) تجاه الكعبة المشرفة **بخط النسخ،** نسخة كاملة في ثلاثين مجلداً [(١)].

وهذا يقتضي أنه نسخه في خلال سبع سنوات، ولذا حرص أن تكون خاتمة نسخه الكتاب داخل الحرم أمام الكعبة. ولقد امتهن أبناه عبد ا و محمد علي مهنة نسخ الكتب والوراقة من أبيهم فمن الكتب التي نسخها **عبد ا بن الحسين** "مسلك الثقات في نصوص الصفات" لأبي بكر بن محمد ملا الحنفي (ت١٢٧٠هـ/١٨٥٣م) مستخدماً خط النسخ والمدادين الأسود، والأحمر عام (١٢٦٩هـ/١٨٥٢م)، ونسخ **محمد علي بن الحسين** "رسالة في حكم السدل" في الفقه المالكي لمحمد المغربي، نسخها عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م) بخط النسخ، بالمداد الأسود وقد قابلها مع مؤلفها على نسخته[(٢)].

**- أسرة الكتبي:**

**عميدها محمد بن محمد حسين الكتبي الحنفي** (ت١٢٩٥هـ/١٨٧٨م) قدم من مصر حين عزم والده على المجاورة بمكة، كان يحضر دروس والده بالمسجد الحرام، ولما توفي جلس للتدريس محله، فحضر درسه العلماء وطلبة العلم، **امتهن حرفة الوراقة** بجانب مهنة التدريس بالحرم، **حيث تميز خطه بالجودة والحسن،** كتب به الكثير من الكتب والرسائل خصوصاً تأليف المكيين، وكان يتحرى الضبط والدقة في الكتابة بالإضافة إلى كونه عالماً مدرساً فقد **تجلى ذلك في تصحيحه لأخطاء الكتاب وتحليته بالهوامش المفيدة**[(٣)].

وقد خلفه في مهنة الوراقة من بعده ابنه **السيد محمد مكي** الذي اشتهر كأبيه **بالكتبي،** نشأ في حجر والده، فحفظ القرآن الكريم وجوده، وتفقه علي يديه، وعلى مجموعة من علماء عصره كالشيخ أحمد دحلان وغيره، تولى خطابة وإمامة المسجد الحرام والتدريس به، بعد أن أذن له مشايخه بذلك، انتفع به الطلبة، ولم يكن العلم

---

(١) مخطوط بمكتبة مكة ، رقم : ١٠٥/ حديث، ج٣٠، ق١٠٧.

(٢) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص١١٠، ١٧٠.

(٣) عبد الستار دهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٣، ق٣١؛ غازي: نظم الدرر، ق١٤٨.

هو الشيء الوحيد الذي ورثه عن أبيه ، **بل حسن الخط أيضاً، فكتب بخطه الكثير من الكتب والرسائل** خصوصاً مؤلفات المكيين، مع غاية الضبط [١].

**- أسرة الحضراوي:**

امتهن أحمد بن محمد الحضراوي(ت١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) الوراقة فنسخ الكتب وفتح دكاناً لبيعها **عند باب السلام**[٢]، كما امتهنها ابنه **محمد سعيد بن أحمد الحضراوي** المكي ونسخ العديد من الكتب منها: "فضائل سادتنا السادة البدرية" لأحمد زيني دحلان وقد نسخها على ورق أوروبي بخط النسخ مستخدماً المداد الأسود والأحمر[٣]، وامتهن الوراقة أيضاً الأخ الأصغر لأحمد الحضراوي ويدعى **محمد عبده بن محمد الحضراوي** قام بنسخ "ترجمة الملا علي القاري" عام (١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م) على ورق أوروبي بخط نسخ مستخدماً المداد الأسود والأحمر[٤]، كما قام عام (١٣١٢هـ/١٨٩٤م) بنسخ كتاب "تشييع الفقهاء، بالتشنيع على سفهاء الشافعية" في الفقه الحنفي لملا علي القاري المكي (ت١٠١٤هـ/١٦٠٥م) على **ورق أوروبي بخط نسخ** مستخدماً المدادين الأسود والأحمر[٥] .

**- أسرة السنبلاوي:**

**من الأسر المجاورة التي امتهنت الوراقة** فقد نسخ يوسف السنبلاويني (ت ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م)، بخطه الكثير من الكتب منها "إتحاف الكيس بنوادر مصطلح الحديث النفيس" لعبد المعطي بن سالم بن عمر الشلبي السملاوي (ت١١٢٧هـ/ ١٧١٥م) نسخه بخط النسخ الجيد مستخدم المدادين الأسود والأحمر عام

---

(١) أبو الخير مرداد: نشر النور والزهر، ص٤٧٨.

(٢) محمد المعصومي: ذكريات طريفة عن بعض كبار العلماء في مكة في الجيل الماضي، عرفت هؤلاء الرجال، (مجلة الحج، ج٤، س٦، شوال ١٣١٧هـ/ يولية ١٩٥٢م)، ص٢١٩.

(٣) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص٨٥، ص٤٧٣.

(٤) المرجع السابق، ص١٠٦.

(٥) كحالة: معجم المؤلفين، ج٧، ص١٠٠ - ١٠١؛ عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص١١١.

(١٢٥١هـ/١٨٣٥م)[1] كما امتهن الوراقة ابنه عبد الرحمن بن يوسف السنبلاويني فقد نسخ بخطه العديد من المخطوطات والكتب منها: "المختصر الشافي على متن الكافي" لمحمد الدمنهوري (ت ١٢٨٨هـ/١٨٧١م)، وقد نسخها بخط النسخ عام (١٢٧١هـ/١٨٥٤م)[2].

*** مكتبات الوراقة بمكة:**

اشتهرت عدة مكتبات بمكة لبيع الكتب نتيجة لانتعاش الوراقة والنسخ بها وصار الوراق الذي يبيع الكتب ينسب للكتب مباشرة، فيقال له: (كتبي)، بل صارت النسبة علماً على بعض الأسر التي اهتمت ببيع الكتب، ونشرها في مكة المكرمة، وكان كثير ممن فتحوا هذه المكتبات من النساخين، ومما وقف عليه البحث من ذلك:

**ـ مكتبة محمود شكري كتبخانه** (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٧م):

افتتحها الشيخ **بباب السلام، وهي عبارة عن دكانٍ** مكتظٍ **بالكتب الخطية النفيسة** والتي يتاجر بها ويبيعها[3].

**ـ مكتبة محمد بن عبد ا الباز** (ت بعد ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م):

من علماء مكة قرأ على مشايخ الحرم النحو والفقه وأصوله والتوحيد كان ميالاً للأدب ونظم الشعر وأتقنه، افتتح مكتبة لبيع الكتب بباب السلام [4].

**ـ مكتبة عبد الكريم بن أحمد الخطيب** (ت بعد ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م):

أنشأ مكتبة لبيع الكتب عند باب السلام ، وعادة ما كان يزودها بمطبوعات علماء مكيين طبعت عن طريقه ببعض البلدان العربية كمصر ولبنان قبل أن ينشئ خاله الشيخ محمد ماجد الكردي المطبعة الماجدية[5].

---

(١) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص٥١.

(٢) المرجع السابق، ص٤٠٠.

(٣) ريزفان: الحج قبل مئة سنة ، ص٣٠٩.

(٤) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٣، ق١٢٢ .

(٥) أحمد الخطيب: القول التحيف، ق٧، ٢١.

**ـ مكتبة فدا:**

**أسرة فدا:** من الأسر المكية التي اهتمت **بإنشاء المكتبات للاتجار بالكتب العلمية**، وكانت تستوردها من كبريات مكتبات مصر إضافة إلى الهند وتركيا، وقد افتتحت عدداً من المكتبات في منطقة باب السلام، وأول من أنشأ مكتبة لبيع الكتب من هذه الأسرة الشيخ **فدا محمد**، (كان حياً عام ١٣٠٧هـ/١٣٧٩م).

وقد توارث أبناؤه وأحفاده عنه هذه المهنة، منهم: **ابنه محمد فدا محمد الكشميري**، فقد كان له دكان لبيع الكتب عند باب السلام [(١)].

كذلك كان حفيده **عبد الفتاح بن عبد الجبار فدا**، كفله بعد موت والده، وحرص على تدريبه على بيع الكتب وشرائها وإدارة العمل بمكتبته، فأرسله إلى الهند ومصر وتركيا ليتعرف على كبريات المطابع في هذه المدن، وكان لمجهوداته مع حفيده ثمارها اليانعة، فقد أنشأ عبد الفتاح مكتبة خاصة له لبيع الكتب ومستلزماته من أوراق وأقلام وغيرها، بعد وفاة جده[(٢)].

**ـ مكتبة محمد بن علي بن أحمد الكناني (ت١٣٠٨هـ/١٨٩٠م) :**

وهو عالم مجاور، تلقى علومه بمصر ثم قدم مكة عام(١٢٦١هـ/١٨٤٥م) طالباً للعلم، فعكف عليه ليله ونهاره، حيث لازم عدداً من العلماء منهم أحمد الدمياطي ومحمد كتبي وعثمان الدمياطي وغيرهم، أجازه مشايخه بالرواية والتدريس، فدرس بالمسجد الحرام، ولم يقتصر حبه على العلم بأن درسه بل راح يجمعه من خلال الكتب التي كان يقتنيه، إذ إنه **ومنذ شبابه فتح دكاناً لبيع الكتب بباب السلام**، وقد ظل الشيخ يشرف على مكتبته بنفسه إلى أن كبر في السن فتخلى عن مهنة بيع الكتب واكتفي بالتدريس والإفادة حتى الوفاة [(٣)].

---

(١) المصدر السابق، ق١٦.

(٢) تميز **عبدالفتاح فدا** بحبه للخير والمسارعة في قضاء حوائج الناس عين عمدة لمحلة أجياد في العهد السعودي، توفي بمصر عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، انظر: المعلمي، ج٢، ص٧٢١؛ زهير محمد جميل كتبي : رجال من مكة المكرمة "العاصمة المقدسة"، (ط١، جدة، دار الفنون للطباعة والنشر: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ج٤، ص٢٣٠.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٠٦.

- **مكتبة أحمد الحضراوي** (ت١٣٢٧هـ/١٩٠٩م):

**وهي من المكتبات الشهيرة في فترة البحث ،**وقد ذكر عبد ا أفندي في رحلته (الفتوحات الكوازية في السياحة إلى الأراضي الحجازية)[1] أنه اجتمع بالشيخ أحمد الحضراوي في دكانه باب السلام واطلع على مؤلفاته وعدها في كتابه، واشترى عدد من الكتب منها ومن مكتبة الشيخ عبد ا النهاري وعبد ا الباز وقد التقى بهما وتحاور معهما ومن ضمن الكتب التي اشتراها من هاتين المكتبتين " شرح شواهد الكشاف"، " النطق المفهوم من أهل الصمت المعلوم، "الملل والنحل للشهرستاني" "طبقات الأولياء للشعراني" ، "الموطأ للإمام مالك"، "سعد الطالع" "القاموس المحيط والقاموس الوسيط للفيروز أبادي"[2].

- **مكتبة محمد حسن بن محمد المنصوري** (ت ١٣٢٨هـ/١٩١٠م):

وهو من مدرسي المسجد الحرام ، فتح مكتبة عامرة في باب السلام لبيع الكتب العلمية، وكان إذا أراد تدريس أي كتاب يحرص على خلوه من مكتبته خشية أن يتهم بالاستغلال[3] .

- **مكتبة أحمد بن أبي الخير عثمان المكي العطار** (ت١٣٢٨هـ/١٩١٠م)**:**

وصفت بأنها **مكتبة كبيرة يباع فيها الكتب الدينية** خاصة كتب الحديث الشريف، إذ كان صاحبها يتجر بكتب الحديث فيجلب منها غريبها إلى الحجاز ويحمل إلى الهند الغريب منها حوالي ١٥ عاماً[4].

وقال الكتاني عن صاحبها بأنه: (...أحمد بن أبي الخير عثمان بن على جمال العطار المكي الأحمدي الهندي .....اعتنى بالرواية والحديث والرحلة لأجلهما، وكتب ونسخ وسمع على الشيوخ وقرأ عليهم بنفسه، .... اتجر في الكتب الحديثية

---

(١) كانت الرحلة خلال السنوات (١٢٧٠هـ /١٨٥٣م) - (١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) ، ونشرت عام (١٣٠٨هـ/١٨٩٠م).

(٢) نقلاً عن عباس طاشكندي: الطباعة في المملكة ، ص٢٩.

(٣) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٣٢٧.

(٤) المصدر السابق ، ص٢٧٧.

المطبوعة فيجاب غريبها للحجاز وغريب ما في الحجاز للهند، وبقي يتردد بين الهند والحجاز واليمن نحو خمس عشرة سنة) [1].

- **مكتبة أبو بكر محمد خوقير** (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م):

تقع **عند باب السلام، افتتحها أبو بكر خوقير** بعد أن عزله الشريف عون عام (١٣١٤هـ/١٨٩٦م) من وظائف الحرم الشريف، وفي عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) حين تولى الشريف حسين إمارة مكة عين الشيخ أبا بكر خوقير مفتياً للحنابلة، وذلك عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)، ومدرساً بالمسجد الحرام، ثم عزله بعد يومين بوشاية بعض معاصريه[2].

وقد أعان هذا التفرغ الجبري الشيخ أبا بكر على الاشتغال **بتجارة الكتب وقيامه بنسخ بعضها**، يقول محمد رشيد رضا: (وكان رحمه ا قد اعتاد الاتجار بالكتب منذ عزله الشريف عون الرفيق من وظائف الحرم الشريف،..وكان **يدعو للشريف عون بالرحمة** لإلجائه إلى تجارة الكتب التي تعينه على العلم، فكان يسافر إلى الهند يحمل إليها من مطبوعات مصر ومكة، ويعود منها ببعض مطبوعاتها)[3]، وقد قصده الكثير من علماء مكة وطلابها منهم من يشتري كتباً ومنهم من يحادثه في مسالة من المسائل حتى أصبحت مكتبة بمثابة **منتدى علمي،** فيقول رشيد رضا: (وقد جلست إليه في مكتبته في باب السلام غير مرة، وكان مهذباً، رقيق الطبع، حسن المعاشرة، على شدته في دينه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، حتى إن مجلسه لا يخلو من دعابة ما في المفاكهة، ونكت أدبية وتاريخية..)[4].

فامتهانه الوراقة ونسخ الكتب مع فتحه للمكتبة، يجعلنا نرجح أنه كان ينسخ الكتب لنفسه وكذلك للغير، وقد نسخ بخطه "كتاب الصلاة" لأحمد بن محمد بن حنبل

---

(١) الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص ٦٩٢.

(٢) أبو بكر خوقير: التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق، (مخطوط بجامعة الملك سعود، رقم: ١٥٩٠)، ق٣١.

(٣) مجلة المنار، العدد ٣١، ص٢٣٠.

(٤) مجلة المنار، العدد ٣١، ص٢٤٠.

وكتب عليها اسمه أبو بكر بن محمد خوقير، مذيلاً بـ"المكي **الكتبي الحنبلي السلفي**" سنة (١٣١١هـ/١٨٩٣م) بخط النسخ[1].

ولم تكن مكتبات الوراقة مقتصرة على بيع الكتب، وأدوات الوراقة، فربما كان يباع فيها بعض المقتنيات الفنية، من صور عن مكة والحرم المكي الشريف ومجسمات للكعبة ونحو ذلك من المقتنيات، يصف لنا الرحالة كورتلمون الذي زار مكة عام (١٣١٢هـ/١٨٩٤م) **أحد دكاكين بيع أدوات الوراقة** فيقول: (يوجد **كتبي هندي** في مقابل نافذة مسكننا، يقضي معظم وقته جالساً القرفصاء بداخل دكانه الصغير، مستغرقاً في تلوين المجسمات الهندية التي تمثل المدينة المقدسة الكعبة المشرفة ومختلف مراحل الحج، مستخدماً إزميلاً صغيراً جداً، يلون به بعض المناطق بلون أصفر كرومي ثم أتي دور اللون الأخضر القاتم... أنه رجل بسيط وسعيد يجمع بين مهنة الفن وبيع أوراق الرسائل والأقلام المصنوعة من القصب، والأوراق الملونة التي تستخدم في تزيين المقاهي أو البيوت، ويبع الصور أيضاً، يظل ساكناً في دكانه من طلوع الشمس إلى غروبها باستثناء أوقات الصلاة التي يقضيها في الحرم الشريف)[2].

*** أثر الوراقة على الحياة العلمية بمكة والنتاج العلمي بها:**

لقد أثرت الوراقة على الحياة العلمية تأثيراً له أبعاده المختلفة، فإنه لم يكن الوراقون ينسخون الكتب التي يصنفها المكيون فحسب، بل كانوا ينقلون كذلك الكتب التي زخرت بها المكتبة الإسلامية في سالف عهودها، فكانت الوراقة **وسيلة حفظ التراث الإسلامي** والمكي بنسخ الكتب القديمة، فانتعشت العلوم من خلال حركة الوراقة هذه.

كما أن **من إيجابيات الوراقة والوراقين: إعادة التراث المكي إليه** مرة أخرى، فإنه ربما يمكننا أن نعزو ندرة الكتب القيمة في مكة إلى أن **الحجاج يشترونها باستمرار،** بالإضافة إلى سبب آخر أشار إليه بوركهارت وهو **عدم وجود**

---

(١) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص٢٢٢.

(٢) كورتلمون: رحلتي إلى مكة، ص٨٩.

**نساخ في مكة** ينسخون **نسخاً إضافية** من الكتب المباعة[1]. ولهذا يذكر بوركهارت أنه رأى في القاهرة **كثيراً من الكتب منسوخة بخط حجازي**، وقد اشترى بعضها[2].

وما ذكره بوركهارت من عدم وجود النساخ، لم يعن به فيما يظهر انعدام النساخ، بل أراد قلة من ينسخ النسخ الإضافية للبيع، والتي كان الحجاج يحرصون على شرائها، فمراده قلة عدد النساخ مقارنة بما يشتريه الحجاج لا أن المراد عدم وجود نساخ أو قلتهم مطلقاً، يؤكد ذلك أن البحث أورد عدداً من النساخ في فترة مجيئه مكة، ويبعد أنه لم يلتق بهم، وا أعلم.

وحيث تفرقت كتب المكيين هنا وهناك، فقد قيض ا من أعاد هذه الكتب، عن طريق النسخ، ومن ثم أوقفها على مكتبات مكة، فحين دخل عبد الستار الدهلوي مصر عام (١٣٣٢هـ/١٩١٣م) ومكث بها ثمان سنوات طالباً للعلم، عكف على مطالعة مخطوطات الجامع الأزهر ودار الكتب، فنسخ العديد من كتب التراث المكي لعل أهمها مخطوط "شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام" للفاسي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م) إذ وجدها بدار الكتب المصرية فقام بنسخها عام (١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م)، ولم تكن بمكة آنذاك[3]، كما نسخ "إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن وولاية قتادة"، للطبري **وضمها مكتبته**[4].

كذلك نسخ عشرات من المخطوطات النادرة والنفيسة، كالأثبات والمشيخات والمعاجم والمسلسلات وكتب الطباق، نقلها معه إلى مكة، **فمن هذه المخطوطات التي نسخها بمصر** "صلة الخاف للروداني"، "أسانيد الفقيه ابن حجر الهيتمي"، "ثبت الشهاب النحراوي"، "برنامج شيوخ السيد مرتضى الزبيدي"، "ثبت الأمير"، و"ثبت

---

(١) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب،ص ١٩٦.

(٢)المصدر السابق،ص ١٩٦.

(٣) محمد صالح، وأحمد جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، س٣٢.

(٤) السابق، ص٣.

الشنواني"، "ثبت الحفني"، "الأوائل السنبلية"، و"طبقات الشافعية للشرقاوي"، "العقد الفريد للأروادي"، "النفس اليماني والشموس الشارق"، وغير ذلك[١] .

وكانت هذه الكتب كلها **من ضمن مقتنيات مكتبته التي ضمت إلى مكتبة الحرم المكي الشريف بعد وفاته**[٢].

وقد يقوم وراق بنسخ المخطوط المكي، ثم ينسخه وراق آخر، فيكون نتاج ذلك إعادة للتراث، كما كان من شأن الناسخ عبد المجيد الصباغ الحنفي الشامي الطرابلسي فقد نسخ كتاب "تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة" لعبد ا بن عبد الشكور المكي عام (١٢٣٦هـ/١٨٢٠م)[٣]، وقد قام الناسخ عبد الغفور أندجاني بنسخ نسخة الصباغ ومقابلتها في (١٢٧١هـ/١٨٥٤م)، فعادت هذه النسخة إلى مكة فهي النسخة الموجودة بمكتبة الحرم، أما نسخة الصباغ فغير متوفرة.

- **كما أحدثت الوراقة مجالاً رحباً لتدريس علم الخط بمكة**، فلم يكن الذي يدرس هو مبادئ الخطوط فحسب، وإنما تم تدريس أنواع الخطوط أيضاً، فقد تجمع بمنطقة الحرم وعند باب السلام **عدد من الخطاطين** يعلمون فن كتابة الخط العربي بأنواعه كالخط العثماني والثلث الكبير والصغير والفارسي والرقعة والنسخ، فعلى سبيل المثال درس الشيخ أحمد الخطيب الخط بجميع أنواعه عند الشيخ **يحيى كابل** الخطاط الشهير عند باب السلام[٤]. وممن عمل أيضاً بتعليم الناس الخط الشيخ **فرج غزاوي**، وقد اشتهر ببراعته في فن الخط بأنواعه المختلفة[5] كما علم الخط **عثمان أفندي** كان ساكناً بأحد خلاوي رباط الداودية، وكان يعلم الناس الخط العثماني وقد تعلم منه الخطيب فن الخط وصار يعلمه لتلاميذه وطلبته حتى إنه كتب أغاب جزء عم بالخط العثماني[٦].

---

(١) أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٣٠٥.

(٢) عبد الستار الدهلوي: نزهة الأنظار والفكر فيما مضى من الحوادث والعبر ، ق ٣٨٨.

(٣) محمد صالح، وأحمد جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ص٢٥.

(٤) أحمد الخطيب: القول التحيف، ق ٦.

(٥) عبد الستار الدهلوي: نثر المآثر، ق٣٤.

(٦) أحمد الخطيب: القول التحيف، ق٦.

ـ كما أسهمت الوراقة في **نقل العديد من الكتب العلمية إلى الكثير من بقاع العالم** لم يكن ليعلم بوجودها أحد أو يحلم باقتنائها طالب علم لندرتها وصعوبة الحصول عليها وجهل الكثيرين بها، فكثير من المخطوطات التي نقلها الحجاج **كانت لها أثرها العلمي في الآفاق** بوجه ما، فمثلاً قام المستشرق الهولندي سنوك هورغرونيه والذي زار مكة سنة (١٣٠٢هـ/١٨٨٤م) وبقي فيها ستة أشهر حتى نهاية موسم الحج، باقتناء أنفس الكتب الخطية ونقلها معه إلى هولندا، **وكانت معيناً له في تأليف كتابه** "صفحات من تاريخ مكة" والذي وصف فيه جغرافية مكة وتاريخها منذ ظهور الإسلام وحتى عام (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م)، وفيه وصف شامل للحياة اليومية في مكة وعادات أهلها وسكانها ووصف للحياة العلمية بها[١].

ـ كما كانت الوراقة **وسيلة لتكوين المكتبات الخاصة**، والتي كانت عادة ما يتم وقفها على المكتبات العامة عند موت أصحابها، لعدم وجود من يحمل راية العلم من الورثة، أو رغبة أن تكون من باب الصدقة الجارية، أو العلم الذي ينتفع به فتكون وقفاً على العلم وطلبته طلباً للأجر والمثوبة من ا ، وقد يقوم صاحبها بوقفها في حياته، إذا خاف ضياعها بعد موته.

ومن ذلك مكتبة صالح الحريري الأفندي الحنفي (ت١٢٩٢هـ/١٨٧٥م) وهو من مجاوري بيت ا الحرام، كان ذا صلاح وتقوى، تولى التدريس به، فانتفع به الطلبة، وكان من الناسخين الذين تميزوا بجودة الخط وجمالة **مع الدقة المتناهية في الكتابة** والضبط التام يقول صاحب نشر النور: (كتب بخطه الحسن كثيراً من الكتب والرسائل مع الضبط التام)، وكانت لديه مكتبة عامرة بالكثير من الكتب أوقفها في حياته على مكتبة الحرم[٢]. والظاهر أن مكتبته هذه كانت نتاج نسخه للكتب ومن النساخة، للنص في ترجمته على أنه قام بنسخ الكثير من الكتب.

بل ربما لم يكتفِ بعض المكيين بشراء الكتب، بل جاوز ذلك، إلى طلب نسخ الكتب لمكتبته، كما كان شأن: صالح عطرجي، فقد كان مهتماً بطلب نسخ

---

(١) عبد اللطيف بن دهيش: التعليم في الحرمين عبر العصور، ص٣٢١.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢١٣.

المخطوطات وجمعها في مكتبته الخاصة، ومما طلب نسخه: "الذخائر الأشرفية في ألغاز السادة الحنفية" لعبد البر بن محمد ابن الشحنة (ت٩٢١هـ/١٥١٥م) في الفقه الحنفي[١].

ومن يطلع على فهرس مخطوطات الحرم والمتصفح لكتب العطرجي التي طلب نسخها يجدها أن معظمها في الخط الفارسي الجميل وعلى ورق جيد فهو كان يبتغي أجمل الكتب لمكتبته.

---

(١) محمد صالح، وأحمد جمعة: فهرس مخطوطات مكتبة الحرم، ص١٥، ص٥٩.

*** الطباعة في مكة[1]:**

بدأ النساخون يقل دورهم الفعلي على الساحة العلمية بمكة مع ظهور الطباعة في العالم الإسلامي، فغزت الكتب المطبوعة بالهند ومصر أسواق مكة، ثم دخلت المطابع مكة، وبدأت تطبع المؤلفات ليبقى اسم مكة على الكتب في المعمورة.

**وقد** رأى المكيون فوائد الطباعة عن قرب، فحرصوا على **طباعة الكتب**، يدفعهم في ذلك عدة أسباب منها:

ـ أن الطباعة في المطابع **أسرع** من طريقة النسخ اليدوي، **وأنفع وأكثر** مقارنة بأعداد النسخ وجمال الخط، **ودقته** بعد المقابلة والتصحيح، فإنه إذا طبعت الكتب بطريقة صحيحة فإنها تكاد تكون خالية من الأخطاء والتحريف، فتصل إلى شريحة كبيرة من الناس مما تعظم به المنفعة والفائدة، ناهيك أن الطباعة في الجملة **أقل تكلفة** من النسخ مما يسهل اقتناء الكتب ونشر العلم والمعرفة.

ـ إن الطباعة **تضاعف من الإنتاج الفكري** وتوسع من مقتنيات المكتبات، لسهولة القراءة والمطالعة والبحث فيها.

وقد أشار محمد ماجد الكردي إلى شيء من ذلك **عند إنشاء مطبعته** فيقول: (فشيدت بحمد ا دعائمها بهذا الحرم المكي المنيف على أساس خدمة العلم الشريف بتوسيع نطاقه وجمع شوارده والاعتناء بتنقيح أصوله وفروعه وتتبع ما خفي من كتبه حرصاً على **إبراز** وكشف دفائنه وإظهار خباياه وعلى الأخص عسى أن نوفق للوقوف على مؤلفات ساداتنا علماء الحرمين الشريفين فندخلها في **عالم المطبوعات** بتمام الاعتناء ونهاية المحافظة على الضبط والتنقيح والتهذيب والتصحيح **تعميماً للنفع بها**.. راجين من رب هذا البيت العتيق التوفيق والنجاح في هذا المشروع العلمي الجليل وأن يأخذ بأيدينا إلى ذرى السداد وأوج الكمال وإن لي وطيد الأمل في أبناء وطني الأعزاء المجدين أن يتقدموا إلى ميدان الصناعة خصوصاً مثل هذه

---

(١) ظهرت الطباعة في اسطانبول في عهد السلطان أحمد الثالث، بعد فتوى شيخ الإسلام عبد ا أفندي وعلماء العصر بالجواز، انظر في تفاصيل ذلك: أحمد جودت باشا: تاريخ جودت، تعريب عبد القادر أفندي، تحقيق عبد اللطيف بن محمد الحميد، (ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص١٥٢.

الصناعة التي تخدم بها العلم في هذه البلدة الطيبة التي هي نقطة دائرة العالم الإسلامي وينبوع أساطين العلم والمعارف)[1].

ولقد أدى انتشار الكتب بمكة عن طريق طباعتها **بالمطابع الحكومية أو المطابع الأهلية** إلى زيادة إقبال الحجاج والمعتمرين على شرائها كأحد السلع الرائجة مما أدى إلى وجود **حركة نشطة في المكتبات** الموجودة بالأسواق كسوق باب السلام التي أصبحت من أكبر الأسواق رواجاً في مكة .

ولكن في المقابل كان **لظهور الطباعة أثره على النساخين ومهنتهم،** فكلما انتشر الكتاب المطبوع، وسهل الحصول عليه، وكان مقابلاً مصححاً، فإن رخص ثمنه، وجودة خطه، جعلت الناس ينصرفون عن عملية النسخ المعتادة، حتى ندرت شيئاً فشيئاً.

**كما كان العلماء المكيون من السباقين للاستفادة** من الطباعة التي انتشرت خارج البلاد في بعض بلدان العالم العربي والإسلامي كمصر ولبنان والهند فراحوا يطبعون مؤلفاتهم في هذه المطابع، وذلك قبل دخول المطابع إلى مكة[2] .

**فممن طبعت مؤلفاتهم في القاهرة على سبيل المثال:** أحمد بن رمضان المرزوقي (ت١٢٦٢هـ/١٨٤٥م) ، فقد طبع له بعد وفاته "تحصيل نيل المرام لبيان منظومة العوام" و"عصمة الأنبياء" و"عقيدة العوام" وقد طبعت عام (١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م) في مطبعة شاهين، وفي عام (١٢٨٦هـ/١٨٦٩م) تم طبع كتاب "بلوغ المرام لبيان ألفاظ سيد الأنام" بطبعة بولاق، كما طبع لمحمد بن سالم بابصيل (ت١٢٨٠هـ/١٨٦٣م)، عدد من مؤلفاته بعد وفاته منها "إسعاد الرفيق وبغية الصديق بسجل سلم التوفيق إلى محبة ا  على التحقيق" بمطبعة بولاق عام (١٢٩٤هـ/١٨٧٧م)، وفي عام (١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م)، تم طبع "رسالة في البعث والنشور في أحوال الموتى والقبور" بمطبعة شرف[3].

---

(١) طاشكندي: الطباعة في المملكة ، ص٢٤.

(٢) أحمد الخطيب: القول التحيف ق٧، ٢١.

(٣) طاشكندي: الطباعة في المملكة ، ص١٨.

**ومنهم من عاش ليرى نتاج علمه كتاباً مطبوعاً بين يديه** كأحمد زيني دحلان (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) طبع "رسالة في معنى قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله" بمطبعة شرف عام (١٢٩٨هـ/١٨٨٠م)، كذلك طبع أبو بكر شطا (ت١٣١٠هـ/١٨٩٢م) كتابه "قصة المعراج" في أحد مطابع القاهرة عام (١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م)[1].

كما **أسهم العديد** من أعيان مكة وعلمائها في تمويل طباعة الكتب المكية والعمل على نشرها، منهم **السبعة** الذين أسهموا في تمويل نشر الطبعة الأولى من كتاب "**خزانة الأدب**" للبغدادي التي صدرت عن **المطبعة الأميرية في بولاق** وقد وردت الإشارة إلى أسمائهم في خاتمتها وهم: "عبد الرحمن سراج مفتي مكة، وعبد الرحمن الميمني، وأحمد مشاط، وعبد الرحمن الشيبي، وحسين بن عبد الله الميمني، وأبو طالب الميمني، وعبد الله بن محمد الباز الكتبي"، وقد ذكر المغربي أن عبد العزيز الرفاعي علق حول ذلك الأمر فقال: (وقد أكبرت وجود هذا الوعي والحرص على نشر كتاب الخزانة، وأن يكون متوفراً في العصر العثماني الذي كان يغلب على القوم فيه أدب الصنعة والترصيع، ولكن هانحن نجدهم يدفعون بدراهمهم القليلة في سبيل نشر كتاب كبير بالغ التكلفة ويتوزعون نفقته قراريط)[2].

كذلك كان لبعض أصحاب المكتبات بمكة إسهام كبير في التكفل بطباعة الكتب ونشرها، فممن أسهم في هذا المجال **محمد فدا** محمد الكشميري، طبع بعض الكتب لعلماء مكة، في مصر على نفقته الخاصة ابتغاء الأجر والثواب من الله ونشر العلم بين الطلبة وحصول الفائدة، فمن الكتب التي طبعها على نفقته كتاب: "روضة الحساب في أعمال الحساب" لأحمد الخطيب طبعه **بالمطبعة الميمنية** بمصر عام (١٣١٠هـ/١٨٩٢م)[3]

(١) المرجع السابق، ص١٩.

(٢) محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج٣، ص ٣٤١ ـ ٣٤٢.

(٣) أحمد الخطيب: القول التحيف، ق١٦.

ولم يكتفِ الشيخ **أبو بكر خوقير** بجاب الكتب من الهند ومصر وبيعها بمكة بل أسهم في النشر، فطبع على نفقته في القاهرة "خلاصة الكلام" لأحمد زيني دحلان عام (١٣٠٥هـ/١٨٨٧م)(١) .

وقد مارس تجارة الكتب والعمل على طباعتها **بعض المجاورين**، وإن لم يكن لأغراض علمية بقدر ما كان يبتغى منه الربح والتجارة، خاصة تلك الكتب المتعلقة بتراث مكة، فقد كانت تطبع خارج مكة وتأتي إليها لتباع فيها إلى كافة أقطار العالم الإسلامي ولقد أسهم المجاورون الهنود في هذه التجارة الرائجة والتي وجدت لها بمكة سوقاً رابحة، فيذكر كرتلمون الذي زار مكة عام (١٣١٢هـ/١٨٩٤م) أنه: (يشكل **الهنود منافسة حقيقية** على هذه الصناعة المحلية ـ طباعة الكتب ـ فهم يرسلون سنوياً من الهند عدداً كبيراً من المؤلفات في التفسير والتاريخ والطب ... لتنتشر من هنا لتصل إلى جميع أقطار العالم الإسلامي)(٢).

*** المطابع بمكة:**

ظل المكيون يحرصون على شراء الكتب المطبوعة في بعض بلدان العالم الإسلامي، حتى صار الحلم بوجود مطابع مكية أمراً حقيقياً، فقد شهد عام (١٣٠٠هـ/١٨٨٢م) دخول أول مطبعة حكومية في مكة بل في الحجاز عامة، حيث استحضرت الحكومة العثمانية مطبعة رسمية إلى مكة(٣)، وسميت بـ "**مطبعة الولاية**" ، وقد شيد لها مبني مكون من طابقين الأول عبارة عن صالة ضخمة تضم ألات المطبعة والدور الثاني مكون من غرف تستعمل للصف والتجليد والإدارة، ويقع المبنى أمام الدائرة الحكومية أو ما يعرف بالحميدية الواقعة مقابل باب الوداع للحرم الشريف (٤).

---

(١) الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٣٣.

(٢) كورتلمون: رحلتي إلى مكة، ص٨٧.

(٣) محمد عبد الرحمن الشامخ: نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية ، (ط١، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر: ١٩٨٢م)، ص١٢ـ ١٤.

(٤) محمد أمين المكي: الآثار المبرورة لسلاطين آل عثمان، ص٩. انظر مبنى المطبعة الأميرية ، الملحق ٤/و.

وذكر أحمد دحلان (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) في تقريظه للمطبعة أن: (من المآثر والخيرات الجليلة العامة الفائدة للخصوص والعموم أنهم وضعوا **مطبعة بمكة المشرفة** ليطبع فيها كتب العلوم لكثر انتشار العلم في موضع مهبط الوحي المكين فيحصل لهم بذلك ثواب نشر العلم وتأييد قواعد الدين، وكان وضع المطبعة .... في مدة سلطنة ...عبد الحميد خان الثاني .... في مدة إمارة مكة والمدينة وولايتهما... الشريف عون باشا .. وعثمان نوري باشا وفقهما ا .. فصار منهما استحسان أن أكتب مقالة تتضمن خيرات الدولة العلية ومآثرها وتعميراتها التي ظهرت في البلدتين كبناء الكعبة المعظمة والمسجدين الشريفين وغير ذلك من المآثر والخيرات .. لتطبع في سالنامه الولاية الجليلة فجمعت ما اطلعت عليه من ذلك في الحال راجيا من ا تعالى أن ينفع بذلك كافة السلمين وأن يطلعوا على فضائل الدولة العلية..)[1].

وقد أطلق على المطبعة حين نشأتها اسم "**حجاز ولايتي مطبعة سي**"، ومرت بعدة مراحل فبعد أن كانت مطبعة صغيرة مكونة من ثلاث مكائن تدار بالقدم، يديرها موظفان اثنان عام(١٣٠٠هـ/١٨٨٢م)، استحضرت الحكومة العثمانية عام (١٣٠٢هـ/١٨٨٤م) من فيينا آلة طباعة متوسطة ذات عجلة واحدة مزودة بكمية من الحروف المختلفة لكي يتسنى طباعة الكتب العربية والتركية والجاوية والملاوية والفارسية والهندية[2]، ثم استحضرت الحكومة بعد عدة سنوات من أوروبا آلة طباعة حجرية مقاسها ٥٠ في ٧٠ سم وأطلق عليها "**المطبعة الأميرية**" [3].

وكان **التشكيل الإداري والفني** لمطبعة الولاية عام (١٣٠١هـ/١٨٨٣م) مكوناً من: مدير إداري ومدير فني، وثلاث مساعدين وأربعة فنيين[4]، وفي عام (١٣٠٥هـ/١٨٨٧م) تطور التشكيل الإداري والفني للمطبعة إذ بلغ عدد موظفيها ٢٨ موظفاً، وهم كالتالي: مدير إداري ومدير فني، وثلاث مصححين للكتب العربية،

---

(١) رسالة للشيخ أحمد دحلان في شأن الدولة العثمانية ملحقة مع سالنامه الحجاز ١٣٠١هـ، ص١١٣.

(٢) محمد أمين المكي: الآثار المبرورة لسلاطين آل عثمان، ص٩.

(٣) طاشكندي: الطباعة في المملكة ، ص٣٧.

(٤) سالنامه ولاية الحجاز، ع١، عام ١٣٠١هـ، ص ٨٩.

واثنين للكتب الجاوية، وثمانية عشر فنياً للصف وللتجليد، وأربعة عمال للخدمات العامة[1]، وفي عام (١٨٩١/١٣٠٩م) بلغ عدد الموظفين بالمطبعة ٢٣ موظفاً موزعون على النحو التالي: إداري واحد وثلاثة مصححين للكتب العربية، واثنين للكتب الجاوة، وأربعة عشر فنياً للصف وللتجليد، وأربعة للخدمات العامة[2].

وكانت المطبعة في غاية التنظيم الإداري والفني فقد شملت: (الإدارة العامة، الإدارة الفنية، الصف والتوضيب، التصحيح والمراجعة والتجهيز، ترتيب الملازم والتجليد، كما أن جل العاملين في المطبعة من أبناء مكة ممن جرى تدريبهم وتأهيلهم على العمل الفني والتحريري فيها، إضافة إلى أعمال التصحيح بالعربية وغيرها، فمن أشهر المصححين الذي اشتغلوا فيها **عبد الحميد فردوس وأحمد فطاني** مصححي الكتب الجاوية[3] .

**أما أبرز أعمال مطبعة الولاية فيتمثل في :**

- طباعة سالنامه الحجاز أو "حجاز ولايتي سالنامه سي" وهي التقويم الرسمي لولاية الحجاز وهي أول مطبوع دوري صدر في منطقة الحجاز، وصدرت باللغة التركية ابتداءاً من عام (١٣٠١هـ/١٨٨٣م) واستمرت تصدر في فترات متباينة انتهت بصدور العدد الخامس عام (١٣٠٩هـ/١٨٩١م) ثم توقفت[4].

- طباعة المؤلفات الدينية والأدبية والتراثية، باللغات العربية والتركية والجاوية والأردية.

---

(١) سالنامه ولاية الحجاز، ع٢، عام ١٣٠٥هـ، ص ١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) سالنامه ولاية الحجاز، ع٥، عام ١٣٠٩هـ، ص١٥٧

(٣) طاشكندي: الطباعة في المملكة، ص٧٣، ولقد ظلت المطبعة الأميرية تؤدي دورها حتى العهد الهاشمي حسب ما توفر لها من إمكانيات ، ثم انتقلت إلى تلك النقلة التي كانت تحلم بها دوماً مع دخول الملك عبد العزيز مكة وإعلانه تغيير مسماها إلى "مطبعة أم القرى"، وتكليفها بإصدار جريدة "أم القرى" الحكومية الرسمية. الطشكندي: الطباعة في المملكة، ص٨٠.

(٤) سالنامه ولاية الحجاز، العدد ٢، ١٣٠٣هـ، ص١١١؛ وانظر صورة لغلاف السالنامه: الملحق، ٣/ج.

ـ طباعة الجريدة الأسبوعية "حجاز"، و"شمس حقيقت"[1] عند نشأتها، إذ إنها توقفت عن الصدور من المطبعة الأميرية بعد بضعة أشهر وذلك بعد صدور العدد (٢٢)، إذ تمكنت شمس الحقيقة من إنشاء مطبعة خاصة بها في إطار شركة تجارية خاصة ، وقد استمرت في الصدور حتى نهاية عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) ثم توقفت نتيجة لنزاع بين الشريف حسين وأعضاء جمعية الاتحاد والترقي الأمر الذي يوحي بأن المطبعة لها علاقة مع الجمعية [2]، فربما هي مروجة لأهدافها متبنية لأفكارها، إن لم تكن تعمل لحسابها[3].

ولقد استفادت مطبعة الولاية من المطابع التي سبقتها سواء التي أنشأت بمصر أو الهند، فعملت على تفادي السلبيات، والتحسين من الإيجابيات، فتميزت مطبوعاتها باختيار نوعية جيدة من أوراق الطباعة إضافة إلى الأحبار والأصباغ جيدة النوع، كما كان لدقة الفنيين والمصححين بها أن خرجت مطبوعاتهم في غاية الدقة والحسن[4].

غير أن أوضاع المطبعة أخذت في التدهور نتيجة لتلاف بعض أجهزتها وعدم العناية بها وتطويرها ودعمها، حتى إن محرر الجريدة الرسمية "حجاز" قام بكتابة تقرير عن حالة المطبعة نشر عام (١٣٢٨هـ/١٩١٠م) جاء فيه: (إن مطبعتنا التي هي أحد التذكارات المهمة المتروكة للولاية من طرف المرحوم عثمان باشا الوالي الأسبق من حين تاريخ تأسيسها وبنائها وانفكاك الوالي المشار إليه، من هنا لم تكن مظهراً للمعاونة بصورة ما، وكذلك من تطاول الأيادي والتدني والانحطاط المستحيل تعيين درجاته فيها، اليوم هي في طرز وموقع موجب لحزن أرباب الوجدان، من منذ كم زار أحد الذوات الذي كان في وقته قد طبع في هذه المطبعة بعض مؤلفاته، عند زيارته لها وجد قسماً من الماكينات جاءت إلى حالة ستكون ساقطة من

---

(١) طاشكندي: الطباعة في المملكة، ص٦٦.

(٢) الشامخ: نشأة الصحافة، ص١٩، ٢٠؛ طاشكندي: الطباعة في المملكة، ص٦٨، ٨٢.

(٣) الفوزان:اقليم الحجاز، ص٣٠٠ـ ٣٠١.

(٤) طاشكندي: الطباعة في المملكة، ص٧١ـ ٧٢.

الاستعمال، ووجد أكثر حروفها التي ما مر عليها التجديد من مدة مديدة في درجة قريبة لعدم الاستعمال، فلما رآها بهذه الحالة خرج منها متأسفاً محزوناً في حالة البكاء، وبذلك زاد حزناً عليها، إن هذه المطبعة المعروضة للخراب بأيدي الاستبداد لما رأت في هذه الأيام أن الأماكن والمؤسسات الأميرية وشعبات الولاية قد صارت مظهراً للإصلاحات المفيدة بنتائج التفحصات والتدقيقات الكبيرة قامت تسعى بتقبيل يد الإصلاح الممدودة إلى كل الأطراف بشوق وجداني)[1].

ولكن هذا النداء لم يجدِ نفعاً، مما دفع بالمسؤولين عن المطبعة إعادة النداء مرة تلو الأخرى؛ منها تلك الشكوى التي نشرها محرر صحيفة "الحجاز" عام (١٣٣٠هـ/١٩١١م) والتي جاء فيها: (كلمات زهيدة بحق مطبعتنا مطبعة ولاية الحجاز الجليلة ليس من الممكن إنكار حال وجودية مطبعة ولايتنا الجليلة لأن كونها في حالة توجب اضمحلالها، فتأسفنا من ذلك ونظن أن ذلك حصل بسبب مأموريها وعدم تنظيم معاملاتها أوجبت تأخير زيادة منافعها وتركتها إلى هذه الحالة، مع كون مطبعتنا هي مطبعة مهمة مكملة، والذي أخرها إلى هذه الحالة عدم الالتفات، وتناقص الحروف وسوء استعمال حساباتها ومعاملاتها، وبذلك حصل عكس شؤون الولاية بعدم انتشار الجريدة الحجازية وصرنا محرومين من انتشارها جملة أشهر، وبعد وصول والي ولايتنا الجليلة إلى مكة المشرفة أسبوعين نظر ودقق في مهام أمور الولاية حصل وقوفه عليها، ومن جملتها حالة مطبعتنا التي يرثى لها، وعندما نظر في حالتها المذبذبة الهالكة أصدر أمره السامي بإصلاحها وتنظيم حالتها ولذلك أرجعنا مديرها الحالي عباس أفندي إلى خدمته السابقة، وهي مرتب أول بمطبعتنا المذكورة، وقد عينا مديراً مؤقتاً لمديرية المطبعة المذكورة، على أنه إذا رأينا حسن جريان معاملته يصير تعيينه أصالة وهو من أرباب الاقتدار محمود عزيز شلهوب أفندي وقد شرع في مباشرة خدمته المذكورة ، وقد تعهد بأمور تحريرها جملة من

---

(١) الشامخ: نشأة الصحافة،ص ١٢، ١٦.

أرباب الأقلام، وإن شاء الرحمن بعد الآن يصير انتظام الجريدة بطرز لطيف يوجب ممنونية القراء الكرام)[1].

وقد أسهم عدد من محبي العلم في طباعة الكتب على حساب الخاص منهم على سبيل المثال **عبد ا   الباز الكتبي** ، فقد اشتهر بتمويل طباعة بعض الكتب في "**المطبعة الأميرية"،** إذ وردت إشارة إلى ذلك في نهاية كتاب المنح الفكرية للقاري هذا نصها: (فقد تم بعون ا   وحسن توفيقه طبع كتاب المنح الفكرية تأليف الملا علي بن سلطان محمد القاري، حيث جاء فيها أن الطباعة تمت "على ذمة ملتزمه من هو بالفضل ممتاز حضرة المكرم الشيخ عبد ا   الباز، وذلك بالمطبعة الأميرية الكائنة بمكة المحمية"، وقد وافق الفراغ من طبعه في اليوم الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ثلاثمائة وثلاثة بعد الألف من الهجرة النبوية)[2].

*** المطابع الأهلية:**

لم يكتفِ المكيون بالطباعة في المطابع الحكومية، وذلك لما وجدوه من فوائد الطباعة في المطابع، فاندفعت هممهم لتأسيس المطابع الأهلية لتغطية متطلبات طباعة مصنفات المكيين، وللإسهام في طباعة التراث العلمي.

وقد وضعت الدولة العثمانية قانون المطبوعات عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)، فكان على من يريد من المكيين إقامة مطبعة محلية أن يتبع عدة بنود من هذا القانون منها:

- أن يقدم طلباً للحكومة المحلية فيه اسم صحاب المطبعة المراد تأسيسها وشركاؤه إن وجد ومحل الإقامة وبأي لغة يطبع.

- إذا غير صاحب المطبعة مكانها فعليه أن يخبر الحكومة تحريرياً ،وإذا باعها لغيره فلابد من المشتري الجديد أن يقدم بيانات بذلك للحكومة قبل تسلمها وإن توفي صاحبها فعلى الورثة أو الوصي إخبار المسؤولين في مدة خمسة عشر يوماً من تاريخ الوفاة.

---

(١) طاشكندي: الطباعة في المملكة، ص٧٦ ـ ٧٧.

(٢) علي بن سلطان محمد القاري: المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية، (مكة، المطبعة الميرية: ١٣٠٣هـ)، ص١١٨.

- من يؤسس مطبعة ويطبع فيها الكتب والمجلات وغيرها دون الحصول على ترخيص تقفل مطبعته ويدفع غرامة مالية قدرها خمسون ليرةً ذهبا.

- لا بد من إرسال نسختين من المطبوع إن كان كتاباً أو مجلة إلى الحكومة المحلية وإدارة المعارف ،وإن كان المطبوع كتباً دينية فترسل نسختين أخرتيين إلى دار الفتوى، ومن يخالف ذلك فعليه غرامة مالية قدرت بليرتين ذهب إلى خمس ليرات.

- من يقع عليه تزوير في اسمه أو مكان المطبعة يغرم بعشر ليرات ذهب إلى خمس وعشرين ليرة.

- إن كان المطبوع مصحفاً شريفاً أو أحاديث نبوية فلا بد من الحصول على إذن طبع من قبل **هيئتين** هما مشيخة الإسلام باسطنبول ومجلس المعارف بالاشتراك مع قاضي ومفتي الولاية، ولا بد من الحصول على ختم التصديق من الهيئتين قبل التوزيع، وكل من خالف ذلك صودرت طبعاته ودفع غرامة مالية ما بين خمس وعشرين ليرة ذهباً إلى خمسين ليرة ذهباً.

- تسري هذه المخالفات وعقوباتها أيضاً على مؤلفي الكتب ومحرري المجلات.

وهذه البنود كانت كافية لوضع النظام موضع التنفيذ عند تأسيس المطابع الأهلية، وكان من أوائل من استفاد من هذا النظام المطبعة الماجدية.

**- المطبعة الماجدية:**

هي أول مطبعة أهلية بمكة أسسها ماجد كردي عام (١٣٢٧هـ-/١٩٠٩م)، إذ رأي أن نشر العلم يجب أن يستند إلى وسائل تتيح تعميمه وتيسيره للناس، وأن من ضمن هذه الوسائل توفر الكتب وسهولة اقتنائها، إذ إن وسيلة نسخ الكتب عملية بطيئة إذ ما قورنت بالطباعة، فقام بشراء مطبعة "شمس الحقيقة" والتي أسست بمكة عام (١٣٢٧هـ-/١٩٠٩م)[(١)]، ثم وجد أنها قديمة ولا تقوم بإنجاز ما كان يطمح إليه،

---

(١) الكردي: التاريخ القويم، ج٢، ص١٥٦.

فاستورد المطبعة الماجدية إلى مكة، وقد واجه صعوبات جمة في نقلها، إذ إن الأجهزة التي تتكون منها المطبعة ثقيلة للغاية إضافة إلى صعوبة وسائل النقل المتوفرة في ذاك الزمن، فنقلت على البغال على مراحل تحت عناء ومشقة شديدين، وكي يضمن الكردي استمرار المطبعة في عملها بعد أن قام بتركيبها، قام بتدريب أولاده على طريقة عملها، فكانوا يعملون بالمطبعة كعمال صف وطبع، بجانب عمال المطبعة رغم ثرائهم ومكانتهم الاجتماعية(١)، غير أن حب العلم ونشره لا يعرف غنياً وفقيراً، وقد وفرت المطبعة الكتب الدراسية لمدارس الحجاز في الفقه والحديث والتاريخ والتجويد والنحو وغير ذلك، ولم تقتصر المطبعة الماجدية على طبع الكتب المدرسية بل كانت تقوم كذلك بطبع المطبوعات التجارية والكتب الأخرى، وقد كتب على غلافها "طبع بالمطبعة الماجدية بمكة المكرمة"(٢)، ومن ضمن ما طبع بها أيضا ًخريطة لجزيرة العرب بالألوان، وإضافة لهذه المطبعة الحجرية الكبيرة، كان الكردي يمتلك مطبعتين حرفيتين أسهمتا في نشر العلم والمعرفة(٣).

وقد أصدر الكردي إعلاناً يبشر فيه بإنشاء المطبعة جاء نصه كالتالي:

(من مطبعة الترقي الماجدية بمكة المحمية. بتوفيق ا تعالى مدبر هذا الكون بشؤونه السبحانية التي تبديها يد القدرة ولا نبتديها، قد توفقنا لتأسيس مطبعتنا التجارية "مطبعة الترقي الماجدية بمكة المحمية" بحارة القرارة بالموضع المعروف بـ "الفلق" فتشيدت بحمد ا تعالى دعائمها بهذا الحرم الكي المنيف على أساس خدمة العلم الشريف بتوسيع نطاقه وجمع شوارده والاعتناء بتنقيح أصوله وفروعه وتتبع ما خفي من كتبه حرصاً على إبراز أسراره وكشف دفائنه وإظهار خباياه وعلى الأخص عسى أن نوفق للوقوف على مؤلفات ساداتنا من علماء الحرمين الشريفين، فندخلها في عالم المطبوعات بتمام الاعتناء بها والمحافظة على الضبط والتنقيح والتهذيب والتصحيح تعميما للنفع بها وقد صار الشروع بحمد ا تعالى في

---

(١) عبد الستار الدهلوي: مائدة الفضل والكرم، ق٢٩٣؛ محمد مغربي: أعلام الحجاز، ج٢، ص٣٠٨.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٥٠٤.

(٣) طاشكندي: الطباعة في المملكة، ص٨٦.

افتتاحها يوم الأحد المبارك الموافق ٢٩ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٢٧هجرية، ونحن نبسط أكف الضراعة راجين لها من رب هذا البيت العتيق التوفيق والنجاح في هذا المشروع العلمي الجليل وأن يأخذ بأيدينا إلى ذرى السداد وأوج الكمال، وأن لي وطيد الأمل في أبناء وطني الأعزاء المجدين أن يتقدموا إلى ميدان الصناعة خصوصا مثل هذه الصناعة التي تخدم بها العلم لاسيما في هذه البلدة الطيبة التي هي نقطة دائرة العالم الإسلامي وينبوع أساطين العلم والمعارف فلنعلن للعموم أن مطبعتنا مستعدة لطبع كل ما يطلب منا طبعه من الكتب العلمية بالوجه المشروع على اختلاف الألسنة العربية والتركية والفارسية والجاوية والهندية وافرنجية وطبع الدفاتر والأوراق التجارية على اختلاف أنواعها بحروف تسر الناظرين وقيمة زهيدة طفيفة مع نظافة الطبع وجودة الورق، وتمام الاعتناء بتصحيح المطبوع ومن شرف مطبعتنا يرى ما يسره وعلى ا استند ومنه استمد)[1].

ومن خلال الإعلان يتضح حرص الكردي على خدمة العلم بتوسيع نطاقه ونشره، والعمل على إعادة إحياء مؤلفات المكيين بطبعاتها ونشرها، والتخفيف على علماء مكة من الذهاب إلى الخارج لطبع مؤلفاتهم، فطباعتها محلياً يسهل عليهم مراجعتها وتصحيحها ، بحيث يخرج الكتاب في الصورة المثلى التي أرادها المؤلف لكتابه، وأن مجازفته بشراء هذه المطبعة الثقيلة الوزن الباهظة الثمن لدليل على رواج صنعة الطباعة برواج المؤلفات، كما أن في تعهده بجودة الطباعة واستعمال أصناف من الأوراق والأحبار الجيدة، مع تتبع عملية الطباعة لتفادي الأخطاء، والطباعة بمختلف اللغات العربية والتركية والفارسية والجاوية والهندية والإفرنجية، لدليلاً واضحاً على مدى حرصه على أن تكون مطبوعاته في غاية الجودة والحسن، وأن يستفيد منها أكبر عدد من المسلمين مع اختلاف ألسنتهم ولهجاتهم.

وقام الأديب المكي عثمان الراضي بتنظيم عدة أبيات تقريظاً لبناء المطبعة جاء فيها:

---

(١) طاشكندي: الطباعة في المملكة، ص٨٥.

مـطبعة تـروقـك نضرة | يسمو بمكة فضلها المتزايـد
---|---
وسمت بمطبعة الترقي وهو فأ | ل للبلاد على الحقيقة عائـد
فيها على نشر المعارف شاهد | وإلى الترقي في العـلوم فوائد
تعلو على هام السهى شرفاتها | والنجم دون علائهـا يتقاعـد
أنشى معـالمهـا الموفق ماجـد | الكردي من هو في الأماجد واحد
فالمجد يحمده فحـق له الثنا | وجمـيل ذكر للقيامة خـالـد
وبغاية المطلوب قلت مؤرخا | وأجاد مطبعـة الترقي ماجـد

ولاعتزاز الشيخ الكردي بهذه الأبيات كان يصدره في كثير من أغلفة مطبوعاته[1].

ومن يطلع على **مطبوعات الماجدية يجد أغلبها** لعلماء مكة ومدرسي المسجد الحرام وأغلبها في الكتب الدينية خاصة الفقه، ثم تأتي بقية العلوم من صرف ونحو وبلاغة وأدب وتاريخ وتراجم وغير ذلك من علوم متفرقة، وكانت هذه المطبوعات صغيرة الحجم نسبياً فهي لا تعدو أن تكون رسائل أو هوامش أو مختصرات أو أوراد وفتاوى قصيرة، باستثناء كتاب "تاريخ مكة" للأزرقي ومؤلف للسيوطي، إضافة إلى الكتب الدراسية للمدارس النظامية بمكة، فطبعت عدد من المناهج التي كانت تدرس كالفقه والتاريخ والنحو والتجويد وغير ذلك، وكان لهذا العمل أثره البالغ في توفر الكتاب المدرسي لكافة الطلبة مع بداية العام الدراسي[2] كما اعتنت **المطبعة الماجدية** بالإخراج الفني لمطبوعاتها، إذ إن بعض أغلفة الكتب كانت محلاة بزخارف وأطر زخرفية، مع عنايتها باحتواء الصفحة على كافة البيانات الخاصة بالعنوان والتأليف والنشر والطبع والمكان والتاريخ، كما حرصت على إخراج مطبوعاتها في غاية الدقة والضبط، فعلى سبيل المثال نرى المصحح عبد الحميد

---

(١) طاشكندي: الطباعة في المملكة، ص١٠٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٧، ١١٥، وقد ظلت المطبعة تؤدي دورها طيلة العهد العثماني ثم أصابها بعد ذلك الوهن لعدم تطورها فتوقفت عن العمل بعد نشاط حافل وتاريخ مجيد محققة أول تجربة ونجاح في مجال المطابع الأهلية بمكة.

فردوس يكتب في خاتمة كتاب "الجوهر الثمين في مهمات الدين المتين": (**يقول مصححه** الراجي من ربه نيل الأماني عبد الحميد الفردوسي المكي الأفغاني: أحمد ا رب العالمين حمدا يوافي اسمه ويكافي مزيده وصلى ا وسلم على سيدنا محمد ... ، فقد تم بحمد ا وحسن توفيقه طبع الكتاب المسمى بـ "الجوهر المتين في مهمات الدين المتين " وهو لعمري كتاب جامع مفيد في طبعه ونشره على السواء في مطبعة الترقي الماجدية الكائنة بمكة المحمية بحارة القرارة بالموضع المعروف بالفلق لصاحبها .. محمد ماجد المكي الكردي ..، وكان ختام طبعه وتمام وضعه في التاسع والعشرين والثلاثمائة والألف من هجرة من خلفه على أكمل وصف صلى ا عليه وعلى آله وصحبه وسلم)[1] .

وحباً في نشر العلم وإيصاله إلى أكبر شريحة ممكنة في المجتمع المكي أسهم **الكردي** في طباعة الكثير من المؤلفات العلمية على نفقة مطبعته منها "الجوهر الثمين في مهمات الدين لبعض علماء البلد الأمين"، طبع عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م)، و"الدرر البهية فيما يلزم المكلف من العلوم الشرعية " لأبي بكر محمد شطا، و طبع عام (١٣٣١هـ/١٩١٢م) وغير ذلك كثير[2].

*** الجرائد:**

قبل صدور الصحف بمكة كانت **الصحف التي تصل الحجاز من الخارج محدودة العدد وقليلة جداً**، فكانت تصل من اسطانبول جريدة "الجوائب"، ومن بيروت جريدة "بيروت"، وثمرات الفنون، ومن باريس كانت تصل في ظروف مختومة صحيفة "تركيا الفتاة"، ولما أعلن الدستور عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) دخلت الحجاز الصحف المصرية مثل "المؤيد" اليومي و"المؤيد" الأسبوعي، و"الأهرام" و"المقطم" وغيرها[3].

---

(١) طاشكندي: الطباعة في المملكة، ص١١٢.

(٢) الشامخ: نشأة الصحافة، ص٢٠ـ ٢٤؛ طاشكندي: الطباعة في المملكة، ص٩٨.

(٣) محمد نصيف: بعض ذكرياتي من قبل ربع قرن، (مجلة المنهل، مج١٠، ع٤، محرم ١٣٦٩هـ)، ص٢٧٥ـ٢٧٦.

وكانت تصل خفية إلى بعض علماء وأدباء مكة، يتابعون من خلالها أخبار حروب الدولة العثمانية وشئونها(١).

**ـ جريدة "الحجاز":**

**هي أول جريدة صدرت في الحجاز،** وأطلق عليها **"حجاز"** لتشمل كافة الأراضي الحجازية، وهي جريدة أسبوعية أصدرها الاتحاديون عام (١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م) بعد إعلان الدستور لتنطق بلسانهم باللغتين العربية والتركية في أربع صفحات، الأولى والرابعة باللغة العربية والثانية والثالثة بالتركية(٢).

وكان القسم التركي هو الأصل ويترجم إلى العربية ، باعتبار أن اللغة التركية هي اللغة الرسمية للدولة، وكان القسم الرسمي يتصدر الصفحة الأولى ويحتوي على الأوامر الصادرة من نظارة الداخلية والقرارات المتعلقة باللوائح القانونية التي تصدرها الدولة، والقرارات الصادرة من مجلس إدارة الولاية وغير ذلك من أمور تتعلق بشؤون الدولة، أما القسم الغير رسمي فيصدر في بقية الصفحات ويحتوي على أخبار داخلية، والقسم المنشور باللغة العربية كان ركيكاً تكثر فيها الأغلاط وعدم الربط بين أجزاء الكلمات،وكانت تطبع في أربع صفحات، وتولى الإشراف عليها رسميون من الولاية، واشترك في تحرير قسميها العربي والتركي كل من أحمد جمال أفندي منشئ ديوان الولاية،وأحمد حقي الكاتب في ديوان الولاية والشيخ محمود شلهوب(٣).

وثمن النسخة عشرون بارة، ويتضاعف الثمن ليصل إلى أربعين بارة إذا أراد الشخص الحصول على عدد ماضي، وثمن الإعلانات في كل سطر خمسة قروش

---

(١) محمد عبد الرحمن الشامخ: الصحافة في الحجاز "١٩٠٨ـ ١٩٤١م" دراسة ونصوص (بيروت، دار الأمانة: ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ص٨٢.

(٢) انظر صورة العدد الأول للجريدة باللغتين العربية والتركية في الملحق، ٣/د ، ٣/هـ.

(٣) عثمان حافظ: تطور الصحافة في المملكة العربيةالسعودية، (جدة، شركة المدينة للطباعة والنشر)، ص٣٣، ٣٧.

صاغ،وأما ثمن الاشتراك السنوي فكان خمسين قرشاً صاغ، وثمن بيعها في الممالك الأجنبية خمسة عشر فرانك[1].

وجاء في افتتاحية العدد الأول من جريدة "**الحجاز**" الصادر باللغة العربية والمؤرخ يوم الاثنين ٨/شوال/١٣٢٦هـ ـ الموافق٢٠/تشرين الأول/١٩٠٨م، السنة الأولى، **سياسة الجريدة** وأقسامها تحت عنوان "المقدمة" جاء فيها: (حمداً .. الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم .. وصلاة وسلاماً متلازمين على سيد الكائنات الذي بشر كل من خدم الملة الإسلامية وسعى في إعلاء شأنها بشفاعته العظمى وشكراً شكراً ومائة ألف شكر للأمة النجيبة العثمانية التي بفضل مساعيها المبررة أصبحنا اليوم ننطق بألسن كانت لا تبس وتبصر بعين البصيرة التي كانت عمياء أصبحنا اليوم في عداد الأحياء بعد أن كنا في حالة العدم ... أصبح كل منا قادراً على أن يظهر أفكاره ورغباته بكل حرية إلى أنظار العموم وهانحن قد أقدمنا على الدخول إلى عالم الصحافة مع عجزنا وقلة بضاعتنا مع أنه لم يكن لنا رأس مال نتكل عليه سوى ما نؤمله ونرجوه من إقبال أهل الحمية والغيرة من عموم القارئين.

ولا نرى لزاما لبسط الكلام في إبانة مسلك جريدتنا هذه، وماذا عسى أن يكون من جريدة هي جريدة الولاية الوحيدة سوى أن تسلك مسلك أخواتها في سائر الولايات من إقبال الأمور الضرورية وإظهار الحقائق من مصادرها الوثيقة.

وغاية ما نقول **أن جريدتنا تنقسم إلى ثلاثة أقسام**، قسم رسمي، وقسم غير رسمي، وقسم لدرج الإعلانات الرسمية وغير الرسمية، ونطلب أولاً من الباري سبحانه وتعالى التوفيق والتسديد في جميع أعمالنا ونؤمل ثانياً من قرائنا الكرام أن يتفضلوا علينا بتوجهاتهم ورغباتهم الخالصة، فمنا الخدمة ومنهم الإقدام والرغبة، مكتوبي الولاية أبو الثريا سامي)[2].

**ورغم ركاكة أسلوب الجريدة** ووجود الأخطاء اللغوية والنحوية بها، إلا أن ذلك لم يمنع الناس من الإقبال عليها وقراءتها، فمن خلالها يتعرفون على ما يدور

---

(١) جريدة "الحجاز"، س١، ع١، ٨/ شوال /١٣٢٦هـ (جامعة الملك سعود: قسم المخطوطات)، ص١.

(٢) المصدر السابق، ص١.

من حولهم من أحداث سياسية، وما يستجد من أخبار الحكومة العثمانية[1]، كما أنها حرصت على دعوة المجتمع للنهوض بالأمة والتزود بالعلم، إضافة إلى احتوائها على مقالات متنوعة في مجال الفكر والعلم والثقافة[٢]، فكانت تلبي بذلك جميع الميول والرغبات.

ولقد استمر صدور جريدة "**حجاز**" سبع سنوات إلى أن توقفت عن الصدور مع العدد (١٧٥)، السنة السابعة، المؤرخ في ٢١/ربيع الثاني/١٣٣٣هـ[٣]، إذ قضي على الوجود العثماني بمكة بإعلان الحسين الثورة العربية عام (١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م)[٤].

**- جريدة "شمس الحقيقة":**

صدرت بمكة عام (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) صحيفة "**شمس الحقيقة**" وهي جريدة أسبوعية غير رسمية،وكان صاحبها ومديرها محمد توفيق مكي، وقد أشارت عن أهدافها بأنها: (وطنية أسبوعية سياسية علمية تجارية انتقادية فكاهية)[5] .

**وكانت تصدر كل يوم ثلاثاء تحت شعار (حب الوطن من الإيمان)، وهي تخدم سياسة جمعية الاتحاد والترقي**[٦].

**وكانت** تطبع باللغتين العربية والتركية في نسخة واحدة، ومن العدد ٢٢ المؤرخ في ٢١/ شعبان/ ١٣٢٧هـ الموافق ٢٤/ أغسطس/ ١٩٠٩م أصبحت تطبع في نسختين مستقلتين الأولى عربية وعرفت بـ "شمس الحقيقة" ،والثانية بالتركية وتعرف بـ "شمس حقيقت" [٧] .

---

(١) البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٥٨.

(٢) سامي أبو الثريا: مطلع أنوار المعارف، (جريدة حجاز، ع٣، ١٣٢٦/١٠/٢٩هـ - الموافق ٢٤/ ١١/ ١٩٠٨)، ص١

(٣) عثمان حافظ: تطور الصحافة في المملكة، ص٤٠ـ ٤١.

(٤) الشامخ: نشأة الصحافة، ص٤٦ - ٥٠.

(٥) عثمان حافظ: تطور الصحافة في المملكة، ص ٣٣، ٤٣.

(٦) محمد سعيد العامودي: صحافتنا أمس واليوم، (مجلة المنهل، مج٧، ع١١، ١٢، س ٧، ذو القعدة والحجة، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م)، ص٥٠٧.

(٧) الشامخ: نشأة الصحافة، ص٥١ـ٥٢.

أما عن **أسلوب تحرير الجريدة** فكان رديئاً جداً، وتكثر فيه الأغلاط النحوية واستعمال العبارات الركيكة[1] .

وكانت الاشتراكات والإعلانات في الجريدة كالتالي، أربعون قرشاً داخل الولاية، خمسون قرشاً في بقية الممالك العثمانية، اثنا عشر فرنكاً في الممالك الأجنبية، خمسة قروش أجر الإعلانات في الجريدة عن كل سطر إن كان في الصفحة الأولى، وأربعة قروش في الصفحة الثانية والرابعة[2] .

**وقد شهدت "شمس الحقيقة"** عدة أزمات اضطرتها للتوقف تماماً بعد شهور من إصدارها، ويعود ذلك لغلاء أجور الطباعة وقلة جمهورها القارئ، وخسارتها المالية، إضافة إلى أجور محرريها التي لم تدفعها لهم[3].

**ـ جريدة "صفاء الحجاز"**

أشارت **جريدة** "حجاز" في عددها الصادر يوم الاثنين ٣٠/ ٧/ ١٣٢٧هـ ـ الموافق ٣ أغسطس / ١٩٠٩م أنه سوف يصدر يوم الخميس ٣/ ٨/ ١٣٢٧هـ ـ الموافق ٦/ أغسطس ١٩٠٩م، **جريدة "صفاء الحجاز"**، وهي جريدة يومية سياسية تجارية خطية صغيرة الحجم، صاحب امتيازها احمد رأفت اسكندراني ، ولم يصدر من الجريدة سوى عددين أسبوعيين باللغة العربية تاريخ أولهما ١٣٢٧/٨/١٢ الموافق ١٩٠٩/٦/٢٩م، والثاني بتاريخ ١٣٢٧/٨/٢٠ الموافق ١٩٠٩/٧/٧م ولم يطبع منه سوى الوجه الأول من الصفحة الأولى فقط، ولم توضح المصادر التي كتبت عن هذه الجريدة مصدرها، وإن وجدت بعض الإشارات تدل على أنها مكية منها: أن مصدرين مكيين كتبا عنها، وهما جريدة الـ **"حجاز"،** ومقال لماجد كردي

---

(١) عثمان حافظ: تطور الصحافة في المملكة ، ص٤٦.

(٢) المرجع السابق، ص٣٧.

(٣) محمد سعيد العامودي: صحافتنا أمس واليوم، (مجلة المنهل، مج٧، ع١١، ١٢، س ٧، ذو القعدة والحجة، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م)، ص٥٠٧.

نشر بجريدة أم القرى في عام (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م)، أوضح فيه أنه اطلع على جريدة "**صفاء الحجاز**"[1].

**والحاصل أن الوراقة انتشرت بمكة في فترة البحث بحيث كان لها الأثر الإيجابي على نشاط الحركة العلمية بها، ويمكن أن نلحظ في ذلك أموراً:**

ـ تعددت طرق نشر العلم وكانت الكتابة من أهمها، فلم يتقدم عليها إلا السماع، ولذا عرف المسلمون الوراقة في العصور المبكرة، وكذا انتشر الوراقون بمكة قديماً.

ـ تعددت الأسباب التي أدت إلى انتعاش الوراقة بمكة، من كثرة مصنفات العلماء المكيين، ووجود دور العلم وحلقاته بكثرة بالحرم، معه حب للعلم والمصنفات العلمية، وكذا بوجود الأسر العلمية المشتهرة بالكتابة والنسخ، فكان ميراثاً يتوارثه اللاحق عن السابق، وكذا أدى كون مكة محط رحال الحجاج مؤثراً في كونها سوقاً رائجة للكتب، مما ساعد على امتهان الكثير للوراقة، لكونها مهنة مربحة، أضف إلى ذلك ظهور الطباعة والتقنيات الحديثة التي ساعدت على سهولة الحصول على الكتاب المصحح، واشتغال جمع بمهنة التصحيح للمطابع.

ـ كانت منطقة المسعى، وما حول باب السلام المكان الرئيس للوراقة بمكة، كما كان ينسخ العلماء بالحرم وبيوتهم، وربما نسخوا بالطائف للجو العليل بعداً عن حرارة القيظ بصيف مكة.

ـ أدى كون مكة سوقاً تجارية طيلة العام، إلى أن ورد إليها أنواع من الأوراق وأدوات الكتابة، فظهر الورق الأوروبي، والورق السميك، والمحلى والمزخرف، وغير ذلك، كما كانت الخطوط بمكة مختلفة، من نسخ ورقعة وفارسي ومغربي، وغيرها، بل ظهر ما يقال له بالخط الحجازي الذي هو أشبه ما يكون خليطاً من الخطوط المختلفة بمكة.

---

(١) عثمان حافظ: تطور الصحافة في المملكة ، ص٥١، ٥٢.

ـ امتهن الوراقة فئات مختلفة من الناس، من علماء ومجاورين، وظهرت أسر تتوارث ذلك جيلاً عن جيل، ناهيك عمن فتح دكانه لأجل الوراقة وبيع الكتب، بل كان بعض الأغنياء ينسخ بنفسه حباً للعلم.

ـ أثرت الوراقة على الحركة العلمية بمكة تأثيراً واضحاً من انتشار العلوم والمعرفة، ومن فتح محلات الكتب، وتكوين المكتبات الخاصة والعامة، كما أثرت على تطوير علوم الخط العربي، وتدريسها في المدارس والحلقات العلمية.

ـ بعد معرفة الطباعة في البلاد الإسلامية؛ تطلعت همم المكيين لطباعة الكتب خارج مكة، بمصر والهند، لما رأوا من فوائدها في سرعة النسخ ودقته وجماله، وكانت سبباً لنشوء العديد من المكتبات وانتشار العلوم فترة دخولها مكة.

ـ دخلت المطبعة الحكومية مكة، ورأى المكيون فوائدها عن قرب فبدأت هممهم تتطلع لإنشاء المطابع الأهلية، والتي غطت جزءاً كبيراً من متطلبات المكيين في طباعة مصنفاتهم، وكذلك طباعة التراث الإسلامي والثقافة حتى بقي (طبع في مكة) على كثير من المؤلفات في أنحاء المعمورة.

ـ صدرت الصحف كذلك بمكة، وهي وإن كانت في الأصل تخدم أغراضاً سياسية، **ورغم ركاكة أسلوب الجريدة** ووجود الأخطاء اللغوية والنحوية بها، إلا أنه كان الإقبال كثيراً على قراءتها للتعرف على ما يدور من حولهم من أحداث سياسية، وما يستجد من أخبار الحكومة العثمانية، كما أنها حرصت على دعوة المجتمع للنهوض بالأمة والتزود بالعلم، إضافة إلى احتوائها على مقالات متنوعة في مجال الفكر والعلم والثقافة، فكانت تلبي بذلك جميع الميول والرغبات.

## المصنفات العلمية لعلماء مكة

**إن حياة العالم العلمية أطول من حياة غيره،** فقد تمتد لقرون طويلة، مصداقاً لقوله ﷺ: ((إذا مات ابن أدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، **أوعلم ينتفع به من بعده**))[1]، وحياة العالم من خلال تلاميذه، ومن يحمل عنه العلم، ومن خلال مؤلفاته ومصنفاته، فالمصنفات العلمية **تتميز بالبقاء والدوام،** والعمق في التأثير، وهي تعد رباطاً لأصحابها بهذه الدنيا، تمتد عبر السنين، ولذا فهي **أكثر انتشاراً وشيوعاً** بين الناس.

وقد قام العلماء المكيون بدراسة الكتب وأهم مؤلفات علماء العالم الإسلامي في عصور الازدهار العلمي السابقة فأضافوا إليها مؤلفات قيمة، كما أنهم شرحوا بعضها، وأضافوا التقارير والرسائل العلمية على البعض الأخر، وقاموا بالتأليف في شتى الموضوعات والعلوم، بل كانت لهم مؤلفات مبتكرة ليست مما تكلم فيها السابقون وإن استقت مادتها العلمية من المصادر الثقافية الأولى في كل علم من العلوم، وخاصة في الفتاوى الفقهية للنوازل المعاصرة، حيث إن مؤلفاتهم في **الفتاوى تتسم بسمات عصرهم،** فتحدثوا عن الدخان والقهوة والتنباك، مستخدمين ما استخدمه العلماء السابقون من أدلة الأحكام من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، إضافة إلى ما وهبهم ا  تعالى من فهم في الدين، واجتهاد في الاستنباط.

وقد وقفت على أسماء العديد من المصنفات العلمية لعلماء مكة فترة البحث، كان بعضها من الكتب المعتمدة في العلوم الشرعية والعربية، وأكثر ما وقفت عليه رسائل ومختصرات، وقد يعزى ذلك إلى **انشغال المكيين بتربية التلاميذ،** وتصديهم **لإفتاء الوافدين،** وغير ذلك من الأمور العظيمة التي شغلت قسماً منهم عن التصنيف والتأليف.

والعالم الرباني يقدم الأهم من المطالب على غيره، وقد سجل ذلك للعلماء المكيين الشيخ عبد الستار الدهلوي (ت١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) ، إذ يقول: (.. في زماننا

---

(١) مسلم: الجامع الصحيح، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ج٢، ص ١٢٥٥.

هذا محافل الدرس الحنفية خالية عن إسناد حنفي عن حنفي عن حنفي إلى آخره كما هو المشاهد ممن تعرض للتدريس إحياء لما درس، جمعته ومصنفات مشايخي، كذلك حسب ما بلغ فكري القاصر ولا أدعى ذاك؛ **ومشايخي مشغولون بما هو الأهم منها كالإفتاء والتدريس..)**[١].

*** أسباب التأليف وصوره:**

دوافع العلماء في التأليف كثيرة، وصور وأشكال التصنيف عديدة، وقد انتخبت جملة من هذه الأسباب في مكة فترة البحث [٢]، منها:

**ـ التصحيح والنقد:**

الدين النصيحة[٣]، عبارة موجزة تحمل في طياتها الكثير والكثير، قالها النبي ﷺ فكانت دستوراً لكل من جاء من المسلمين، وسأل الصحابة الكرام لمن يا رسول ا ، قال: ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فكان العموم منبئاً بأهمية النصح، وضرورته في دين الإسلام[٤].

وقد اهتم العلماء في كل عصر بالنصح والإرشاد والتقويم والنقد البناء المبني على الرفق والمبالغة في النصح، ولم يكن المكيون بمنأى عن هذا، فكانت رسائلهم تحمل هذا الوجه من النصح والنقد تصحيحاً لمعتقد، أو تصويباً لخطأ أو نحو ذاك.

ومن جملة هؤلاء كان أبو بكر خوقير (ت١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)، والذي ألف كتاباً دل اسمه على محتواه، وهو **"ما لا بد منه في أمور الدين"،** وهو في أصول الدين، ألفه الشيخ نصيحة في أمور العقيدة[٥]، وقد ذكر الشيخ في مقدمته **الدافع**

---

(١) عبد الستار الدهلوي: نثر المأثر فيمن أدركت من الأكابر، ق٤.

(٢) قمت بعرض سريع لبعض المصنفات، ولم أستقص ذلك لأمور **منها**: أن مصنفات المكيين كثيرة جداً، وعرض ما وقفت عليه من مخطوطات ومطبوعات يطول جداً وهو خارج عن حدود البحث، **والثاني**: أن بعض هذه المصنفات في تخصصات شرعية يتطلب عرضها نوعاً من النقد قد تقصر عنه قناتي، مما هو معروف لأهلها، **والثالث**: أن المراد توضيح الحالة العلمية، وهذا يكتفى فيه بالأمثلة، وا أعلم.

(٣) وهي نص حديث أخرجه مسلم من حديث تميم الداري رضي ا عنه، مسلم: الجامع الصحيح، ج١، ص٧٤.

(٤) وهو أحد أحاديث الأربعين النووية.

(٥) أبو بكر خوقير: ما لا بد منه، (القاهرة، مطبعة التمدن: ١٣٣٢هـ)، ص٨، ١٤، ٣٩.

**لتأليف** هذا الكتاب فقال: (فهذا ـ ما لابد منه ـ في أمور الدين كتبته لأبنائنا على وجه ينشرح به الصدر، ويمازج بشاشة القلب حين قل السائل والمسؤول في مذهبنا، وصعب جمع ما ينبغي اعتقاده، وتخليصه من الأبحاث والأقاويل وما فيها من التشنيع والتضليل..)[١].

**وأبان خوقير عن منهجه في الكتاب** بأنه وضعه على طريقة السؤال والجواب مع الاختصار واستعمال العبارات السهلة التي تتناسب وفهم الطلاب، ورتبه على حديث جبريل المشهور في السؤال عن الإسلام والإيمان والإحسان[٢].

وقد قرظ الكتاب مجموعة من العلماء بينوا أهميته منهم من علماء الأزهر الشيخ محمد بخيت المطيعي[٣]، قال فيه: (اطلعت على كتاب "ما لا بد منه في أمور الدين" لمؤلفه الفاضل الشيخ أبي بكر بن محمد عارف المدرس بالحرم المكي،.. فوجدته كتاباً يحتاج إليه المبتدئ ولا يستغني عنه المنتهى....)[٤].

**ـ بيان موقف الإسلام والرد على النصارى واليهود:**

ومن أوضح الأمثلة على هذا النوع من المصنفات: مصنفات الشيخ رحمت ا الهندي (ت١٣٠٨هـ/١٨٩٠م)، في **أصول الدين والعقيدة،** ومن جملتها: "البرق اللامعة في إثبات الرسالة المحمدية"، "البحث الشريف في إثبات النسخ والتحريف"، طبع عام (١٢٧٠هـ/١٨٥٣م)، "**إظهار الحق**" **وترجم** إلى **جميع اللغات** عام (١٢٨٠هـ/١٨٦٣م)، "اعوجاج الميزان في الرد على كتاب ميزان الحق للقسيس فندر"، "التنبيهات في إثبات الاحتياج إلى البعثة والحشر"[٥].

---

(١) المصدر السابق، ص٢.

(٢) نفسه، ص٢، ٣.

(٣) هو الشيخ محمد بخيت بن حسين المطيعي، مفتي الديارالمصرية ومن كبار فقهائها ولي قضاء مصر نيابة عن القاضي التركي ثم عين مفتياً للديار المصرية وبعد تقاعده عكف على التدريس والإفتاء وكانت له شهرة تجاوزت مصر إلى أنحاء العالم الإسلامي، توفي عام ١٣٥٤هـ، انظر: محمد عبد المنعم خفاجي: الأزهر في ألف عام، (ط٢، بيروت، عالم الكتب: ١٤٠٨هـ)، ج٢، ص٤٦ ـ ٤٨.

(٤) أبي بكر خوقير: ما لا بد منه، ص٨١.

(٥) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص ١٠٠.

**ـ التأريخ للحوادث:**

وهذا اللون من التصنيف تنشط له همم المصنف لما يجده من حوادث ووقائع أو عجائب الأمور في الأيام والدهور، فيجد نفسه مندفعاً لتوثيقها، من تواريخ عامة أو وصف للبلدان، أو التراجم مما سيأتي تفصيله عند ذكر مصنفاتهم في التاريخ.

ومن الكتب المشهورة في هذا الباب؛ كتاب **أحمد زيني دحلان "خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام"،** وهو موضوع للتأريخ لمكة ومن وليها من الولاة عبر التاريخ، وتكلم بإسهاب على الأشراف الذين عاصرهم، أو كانوا قريبين من عصره.

**ـ قلة المصنفات في بعض الموضوعات التاريخية:**

فمن هذا ما وضعه عبد الستار **الدهلوي، "مائدة الفضل والكرم الجامعة لتراجم أهل الحرم"** إذ بين سبب تأليفه بقوله: (ثم أعلم أن القصد في هذا التأليف ذكر البيوت المعروفة والعائلات المشهورة من سكان البلد الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام، وإني لم أجد تأليفاً في هذا الأمر خاصة غير ما ذكره العلامة المؤرخ أقضي القضاة التقي الفاسي في كتابه العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ذكر فيه تراجم علمائها وقضاتها ومن ورد مكة حاجاً، وقد انقرض غالب ذريتهم ولم يبق منهم إلا القليل نادراً، وقد استجدت بعد وفاته في سنة ٨٣٢ عائلات أخر لم أجد من ذكرهم وجمعهم في تأليف مستقل ..)[(١)] .

**ـ الردود العلمية:**

الرد على المخالفين طريقة سلفية، فالقرآن الكريم بين لنا الحق ورد على شبهات أهل الضلال، كما في قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾[(٢)]

ولم يزل العلماء يصنفون في الرد على المخالف، وكلما كانت الشبهة أقوى، كان الرد أوجب، وقد كان لعلماء مكة نصيب من ذلك، فظهرت مصنفات الردود في

---

(١) عبد الستار الدهلوي: ، مائدة الفضل والكرم ، ق٧٧.

(٢) سورة التغابن، آية: ٧.

كثير من العلوم، فمن أمثلة الرد العلمي كتاب "**فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال**" للشيخ أبو بكر خوقير قام بتأليفه عام (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م)، وقد طبع الكتاب من نفس العام الذي ألفه فيه الشيخ، قام بتأليفه للرد على بعض الشبهات في موضوع التوسل بالنبي ﷺ [(١)]، إذ يقول الشيخ في مقدمة كتابه: (فقد بلغني ورود رجل من أفاضل الهند إلى ثغر جدة المحروسة، فوصلت إلى محله بالسلام عليه حباً في العلم وأهله، فحصلت معه مذاكرة في التوسل وما تفرع عنه من توسع الناس فيه قولاً وفعلاً، فظهر من هذا الرجل تعصب جاهلي وقال: إن آدم توسل بالنبي ﷺ ... .... فكتبنا له عبارات الإمام ابن جرير والإمام ابن كثير في تفسير الآية فأرسل إلينا رسالة بإمضائه أفرغ فيها ما في جعبته وأعرب عن وقاحته وما عنده من فاسد التعصب، فوجب علينا الانتداب للرد على هذه الرسالة فكتبنا هذه العجالة..)[(٢)].

**ـ التأليف نتيجة للمسائل المستجدة والنوازل الحادثة:**

نتيجة لطبيعة مكة وما بها من الحرم والمشاعر المقدسة والحج والعمرة تعلقت بها مسائل نازلة مما لم يتحدث العلماء سابقاً بخصوصها، مما كان دافعاً لعلماء مكة أن يصنفوا في هذه المسائل، للتأكيد على تفاعلهم مع الواقع الذي يعيشونه، وقوة فقههم وخروجهم عن التقليد الذي وسم به كثير من فقهاء هذا العصر، والرسائل المذكورة في قائمة مؤلفاتهم في ذلك كثيرة، فمن هذه المسائل[(٣)]:

---

(١) التوسل المشروع هو **التوسل بأسماء ا  تعالى وصفاته** في الدعاء، كما في الحديث "اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما دامت الحياة خيراً لي"، **والتوسل بالأعمال الصالحة**، كما في حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار، **وأما التوسل بالذوات الفاضلة، والجاه، وما أشبه ذلك، فهو أمر مبتدع، وذريعة للشرك** كما قرره العلماء.

(٢) أبو بكر خوقير: فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال، (القاهرة، مطبعة المنار:١٣٢٤هـ)، ص٢ـ٤.

(٣) حاولت في عرض المسائل أن أبين سبب ورود المسألة ومنتزع الأقوال، وقد استعنت في فهم هذه المسائل بالمتخصصين في الفقه.

**قصر الصلاة في السفر من مكة إلى جدة**[1]**، وممن صنف في ذلك من المكيين:** عيد بن محمد الأنصاري المكي الحنفي، (ت١١٤٣هـ/١٧٣٠م)، له: "ضوء الجواهر المعدة لبيان **قصر الصلاة** في طريق جدة"[2].

ولتاج الدين بن أحمد الدهان (ت بعد ١١٦٠هـ/١٧٤٧م)، له: "**إجادة النجدة بمنع القصر في طريق جدة**"، ذكر في أوله أن: (.. هذه رسالة حررت ودلالة نضرت متضمنة وجوب إتمام الفرض الرباعي على القاصد من مكة إلى جدة...)[3]، ولأحمد بن عبد اللطيف الخطيب المنكباوي (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) رسالة: "العمدة في منع القصر في مسافة جدة"[4] .

كما كان لهم رأي في جهاز الراديو وحكم استعماله فممن صنف في هذا الموضوع **محمد علي بن حسين المالكي له**: "أنوار الشروق في أحكام الصندوق"[5].

كما صنفوا في مرمي جمرة العقبة[6]، فممن شارك في ذلك: **محمود شكري كتبخانة (**ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م)، له رسالة سماها: "قطع التوهم عن العوام والجهلة

---

(١) اختلاف العلماء في **تحديد المسافة التي يشرع قصر الصلاة فيها**، بناء على اختلاف الفهم في النصوص الواردة، لذا كان الاختلاف في هذه المسألة وارداً، ولا سيما أن المسافة البينية بينهما، هي في الحدود التي يصح معها القولان، فإنه إن كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قصر بين مكة وعسفان، وهي ما يقرب من (٨٠ كيلو)، فإن المسافة إلى جدة من مكة تكون قريبة من ذلك تقل مع أول جدة، وتزيد لمن يذهب إلى آخرها، لذا وقع الخلاف، فصنفت الرسائل للقولين، ولا يزال العلماء المعاصرون مختلفين في ذلك الآن تبعاً لاختلاف وجهات النظر في فهم النصوص الشرعية ذات الصلة، واختلاف مسافات الطرق القديمة والجديدة، وغير ذلك.

(٢) غازي: نظم الدرر، ق٩٩؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٣٩٢.

(٣) مخطوط بمكتبة مكة المكرمة رقم : ٣٨/فقه حنفي، ق١.

(٤) أحمد الخطيب: القول التحيف، ق١٦ ـ ٢٢.

(٥) عبد الوهاب أبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص١٢٦.

(٦) لما كانت **جمرة العقبة** تختلف عن باقي الجمرات من حيث أنه كان عندها في الزمن الأول شجرة، لذا كان المرمى ليس كاملاً، بل هي هيئة نصف حلقة، في حين كان المرمى لكل من الجمرتين الأوليتين محيطاً بالشاخص كاملاً، لذا يقع دوماً السؤال عن صحة رمى العقبة من خلفها، لذا صنفت فيها الرسائل من الطرفين، وكان هذا النزاع موجوداً إلى ما قبل حج ١٤٢٥هـ حيث تم فيه تعديل الشاخص والمرمى بحيث يستقبل الرمي من جهات واسعة وينزل الرمي في مكان المرمى القديم تحت الأرض.

في صحة الرمي على الميمنة والميسرة لشاخص جمرة العقبة، وله أيضاً: "الأنهار الأربعة في رد اعتراضات باصبرين في مرمى جمرة العقبة"[1]

**- أجوبة المسائل:**

وفي هذا النوع يأتي السؤال إلى العالم، فيجد أن الجواب يتسع معه حتى يكون مصنفاً، فيضع هذا المؤلف رداً على السائل.

ومن أمثلة هذا النوع رسالة "**الفتح الغيبي فيما يتعلق بمنصب آل شيبي**"[2] للشيخ حسن عجيمي، ذكر في أولها دافع التأليف بقوله: (.. سئلت بما صورته: ما قولكم رضي ا عنكم فيما إذا فرغ شيخ حجبة الكعبة المعظمة بمنصب السدانة لولده مع وجود من هو أكبر منه سناً...، فأجبت بقولي: ....)[3].

**كثرة من يرد على العالم من أسئلة جميعها تدور حول موضوع واحد** فيرى الشيخ أن يضع مؤلفاً يبين فيه المسألة حتى يعلم السائل، ويتعلم طالب العلم المسألة فيمكنه إفتاء الناس فينتشر العلم، وممن صنف في ذلك: الشيخ طاهر بن محمد سعيد سنبل (ت١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م)، له: "القول التام في حكم صلاة بعض الرجال خلف النساء في المسجد الحرام"، ذكر في مطلعها سبب تأليفه لهذه الرسالة فقال: (..تكرر السؤال عما يقع كثيراً في المسجد الحرام وصلاة بعض الرجال خلف النساء جهة باب الصفا هل تفسد صلاة جميع من خلفهن في تلك الجهة أو تفسد صلاة من حان بينهن وبين الإمام ...) إلخ هذه الرسالة المهمة[4] .

**- التأليف بناء على رغبة الأمراء والأعيان:**

وهذا اللون من التصنيف لم يزل معروفاً عند علماء المسلمين، فإن الأمراء قد يجدون حاجة للبلاد أو حاجة شخصية للتعلم فيطلبون من أحد العلماء وضع مصنف

---

(١) عبد الوهاب أبراهيم أبو سليمان وآخرون: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص٢١٩.

(٢) حسن عجيمي: الفتح الغيبي فيما يتعلق بمنصب آل شيبي، (مخطوط بجامعة الملك سعود ، رقم : ٥٥٩/ ٨)، ق١ـ ٢.

(٣) حسن عجيمي: الفتح الغيبي ، ق١.

(٤) مخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم : ٢٤٢٤، ق١.

في ذلك، وقد يكون الدافع سياسياً للرد على خصم سياسي، وقد يكون الدافع علمياً، أو غير ذلك.

ويمكن أن يكون من أمثلة هذا النوع في مصنفات المكيين: كتاب "**خلاصة الكلام**" السابق ذكره آنفاً، فإن الشيخ الدحلان ألفه بناء على طلب من ذكره أنه لا تسعه مخالفته، وقد طبع الكتاب بمصر في المطبعة الخيرية عام (١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م)، ورسم على الكتاب في صفحة العنوان، ما نصه "قد اشتمل هذا الكتاب على ما يقضي بالعجب العجاب من الأسلوب العجيب والاستطراد الغريب، فمن ذلك غزوات الشريف غالب مع الوهابية، والرد عليهم بما هو أمضى من السيوف الأشرفية"، وهذا يشير إلى دافع سياسي للتأليف وا أعلم.

**- التأليف شرحاً لكتاب يدرس:**

قد يقوم الشيخ بتدريس كتاب بالمسجد الحرم، فيجد في المنهج مواطناً تحتاج إلى مزيد شرح وبيان، ولا سيما مع طول زمن التدريس، فيملي على الطلاب الفوائد والفرائد، واربما نشط فوضعها في مصنف، ومن ذلك ما كتبه الشيخ أبو بكر شطا(ت١٣١٠هـ/١٨٩٢م) من شرح على فتح المعين، وقد أبان في مقدمة كتابه عن هذا الدافع وهو تدريسه لشرح "**فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين**" بمحفل من طلاب العلم العظام تجاه البيت الحرام، وأنه **كتب عليه هوامش تحل مبناه وتبين معناه**، قال: (ثم بعد تمام القراءة طلب مني جملة من الأصدقاء والخلان أصلح ا لي ولهم الحال والشان تجريد تلك الهوامش وجمعها فامتنعت من ذلك لعلمي بأني لست ممن يرقى تلك المسالك واعترافي بقلة بضاعتي وإقراري بعدم أهليتي فلما كرروا علي الطلب.. شرعت في التجريد والجمع مستعينا بالملك الوهاب وملتمسا منه التوفيق والصواب رجاء أن يكون تذكرة لي وللأحباب وأن ينفعني به والأصحاب فا هو المرجو لتحقيق رجاء الراجين وإنجاح حاجات المحتاجين)[1].

---

(١) شطا: إعانة الطالبين، ج١، ص ٣ بتصرف يسير.

**- سهولة النشر مع دخول المطابع الحديثة:**

فدخول الطباعة كان سبباً لنشر الكتب، ودافعاً للعلماء للتأليف ا يرونه من يسر نشر الكتب بدقة، دون أخطاء النساخ.

**وقد أخذت المؤلفات المكية أشكالاً وأنماطاً من ذلك:**

**- الشروح، والحواشي، وتوضيح الغامض:**

من أهم سمات التأليف في العصر العثماني إنشاء الشروح على المؤلفات والحواشي على الشروح، وكانت هذه الطريقة من سمات التأليف في فترة البحث، مما دفع العديد من الباحثين إلى اتهام هذه الفترة بالركود العلمي والقصور الثقافي والحضاري، فقالوا إن: (غالبية تلك الكتب شروح تعليمية بحتة تصور الإسهاب المجرد من الابتكار وتثقل كاهل الدارسين بجدل عقيم، وقد ابتعد علماء ذلك العصر عن أمهات الكتب القديمة التي فيها أصول الفكر الإسلامي وعناصر الابتكار)[1].

وهذا القول يحتاج إلى وقفة، فإن الشروح والحواشي لم تكن ظاهرة موجودة في العصر العثماني فقط بل وجدت في العصور السابقة، فابن حجر العسقلاني يضع شرحاً هائلاً على صحيح البخاري، والنووي يشرح صحيح الإمام مسلم، والرافعي يشرح الوجيز للغزالي في فقه الشافعية، وابن هشام يشرح كتباً في النحو، وفي المصطلح نجد أن السيوطي في تدريب الراوي يشرح تقريب النووي، والأمثلة في كل علم كثيرة جداً مما سبق الدولة العثمانية، ولذا فإن التأليف لتلك الشروح في فترة البحث لم يكن عشوائياً وإنما كانت له أسبابه التي دفعت العلماء له.

وأما التعلق بدعوى الابتكار، فليس يفيد كثيراً **إذ إنها دعوى غير واضحة المعالم،** لأن الشروح والحواشي هي أيضاً من الابتكار والإبداع، والكم الهائل من مصنفات السلف جمعت أصول العلوم، بحيث لم يتبق الكثير للمتأخرين في علوم كثيرة، وإنما ينسج اللاحق على منوال السابق، ويتبع الخلف آثار من سبق.

---

(١) مصطفى محمد رمضان: دور الأزهر في الحياة المصرية إبان الحملة الفرنسية ومطلع القرن التاسع عشر، (ط١، القاهرة، مطبعة الجبلاوي: ١٤٠٦هـ-/١٩٨٦م)، ص٥٠٠.

كما أن الشروح والحواشي حفظت لنا الكثير من مؤلفات التراث الإسلامي، خاصة وأنها كانت منصبة في غالبها على الكتب الأمهات في الحديث والفقه، مما دفع بعضهم بوصف شروح هذا العصر بالموسوعات[1] .

**ومن كتب الشروح والحواشي في مكة فترة البحث: "الحديث شجون شرح الرسالة الجدية لابن زيدون"،** وهي من أجمل الشروحات الأدبية، لجعفر اللبني(ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م)، والكتاب وإن كان في شرح مصنف أدبي إلا أنه استفاض فيه في ذكر معالم جغرافية للمواقيت حول الحرم والطريق منها للحرم[2]، ثم انتقل إلى علم التاريخ وجعله علماً من علوم الأدب الاثنى عشر، وترجم لكثير من البيوتات المكية المنقرضة، والبيوت الموجودة زمن التأليف[3]، وقد استغرق الأدب ما بقي من الكتاب مشتملاً على فوائد لغوية، وأبيات شعرية، وشروحات بلاغية.

وهذا الشرح على كونه في علوم العربية، إلا أن تطرقه لمباحث التاريخ والجغرافيا والفقه وغيرها من العلوم يؤكد ما سبق من أن الشروحات المكية أخذت الطابع الموسوعي في التأليف بحيث لا تقتصر على علم من العلوم، وا أعلم.

**- الاختصار والترتيب والجمع والتذييل:**

كذلك كانت من أهم سمات التأليف في العصر العثماني إنشاء المختصرات لكل كتاب مطول، والمختصرات مهمة في التدرج بطالب العلم في العلوم، وإن وفرة المدارس والحلقات العلمية بمكة كانت قاعدة متميزة لوضع المختصرات في العلوم والفنون للتيسير على طلبة العلم.

وقد أكثر المكيون من **اختصارات الكتب**، فمن ذلك:

كتاب: "**مختصر حسن الصفا والابتهاج في ذكر من ولي إمارة الحاج**" لأحمد بن محمد الحضراوي (ت١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)، استمد المؤلف في جمع كتابه من

---

(١) أبو وردة السعدني: المؤرخون في مصر في العصر العثماني، (رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر، القاهرة: ١٩٨٨م)، ص١٣، ٤٠٧.

(٢)جعفر اللبني: الحديث شجون، ق١ ، ق١١ - ٢٦.

(٣) المصدر السابق، ق ٦٩ - ٨٦.

كتاب حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج للرشيدي، ومن كتاب درر الفرائد المنظمة لعبد القادر الأنصاري وغيرهما، بدأه بذكر أمراء الحج من السنة (٨هـ/٦٢٩م) للهجرة إلى سنة (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م)، وقد زاد فيه **الناسخ عبد الستار الدهلوي** (ت١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) ناقلاً عن إبراهيم باشا من رحلته من سنة (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) إلى سنة (١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م)[١].

ومنها أيضاً ما وضعه الشيخ عبد ا بن محمد غازي (ت ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م) من مختصر في التاريخ أسماه "**نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر** في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر"، حيث قام بترتيب وتهذيب واختصار كتاب نشر النور لأبي الخير مرداد فقام بجمع التراجم ورتبها على حسب حروف المعجم وحذف الأشعار والمدائح[٢].

وله أيضاً **تذييل** على هذا الكتاب أسماه: "**نشر الغرر في تذييل نظم الدرر في تراجم علماء مكة من القرن الثالث عشر إلى القرن الرابع عشر**"، اشتمل على تراجم خمسة وتسعين علماً من أعلام مكة، ذكر في أوله أنه ألفه بعد أن فرغ من اختصار نشر النور، وجعله في بابين الأول في تراجم علماء القرن الثالث عشر، والثاني في تراجم علماء القرن الرابع عشر، وقد التزم الاختصار في تراجمه، وبعض التراجم استكتب فيها أصحابها، كما كان من شأن الشيخ يحيى بن أمان الكتبي والذي طلب منه الغازي ترجمة له، ثم أثبتها كما هي[٣]، كما أثبت في آخر المخطوط علماء مكة وخطباء المسجد الحرام عام (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م) نقلها من سالنامه الحجاز.

---

(١) أحمد بن محمد الحضراوي: مختصر حسن الصفا والابتهاج في ذكر من ولي إمارة الحاج (مخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم: ٢/١٢ تاريخ دهلوي)، ق١، ٤٥،٦٦.

(٢) غازي: نظم الدرر، ق٣.

(٣) المصدر السابق، ق ٧٧.

* **المصنفات التي عنيت بالقرآن الكريم وعلومه:**

وتشمل علوم القراءات والتجويد والتفسير، وكان لعلماء مكة جهود بارزة في التصنيف في هذه العلوم:

**ـ مصنفات القراءات والتجويد والأداء:**

صنف المكيون في فترة البحث في **علم القراءات**، واهتموا بموضوعات **التجويد**، والأداء ومعرفة القواعد والضوابط، وأحكام الحروف وإتقان النطق بكلماته، وبلوغ الغاية في تحسين اللفظ، وتحدثوا عن المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع، وأساب النزول وترتيب السور، وحكم البسملة في أول كل سورة وما يجب أن يكون عليه حامل القرآن وما يحذر منه والصفات الواجب توفرها فيه.

**فممن صنف في علوم القرآن: محمد بن عقيلة** (ت١١٥٠هـ/١٧٣٧م)[١] له : "**الزيادة والإحسان في علوم القرآن**"[٢]، اختصر فيه الإتقان للحافظ السيوطي واستدرك عليه نحواً من ستين نوعاً[٣].

**ومن العلماء الذين صنفوا في القراءات: أحمد البنا الدمياطي المكي** (ت١١١٦هـ/ ١٧٠٤م)، له: "إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر"، و"منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات"، و"نخبة الرسائل في القراءات"[٤]**،** كما أن **لحسين بن إبراهيم المالكي المكي الأزهري**(ت١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م): "رسالة في قراءة الإمام حفص"[5]، ولمحفوظ **الترمسي** (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م)، "تنوير

(١) هو محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي ابن عقيلة، نشأ بمكة على طلب العلم فأخذه من أحمد النخلي وحسن العجيمي وغيرهما رحل إلى الشام والعراق، ودرس بأحدى مدارس دمشق، كان عالماً محدثاً فقيهاً، توفي بمكة تاركاً عدداً من المؤلفات القيمة، انظر: مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٦٢.

(٢) المرادي: سلك الدرر، ج٤، ص٣٠؛ الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص٩٢١البغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص٣٢٣؛ ويوجد منه نسخة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي رقم: ٩٢٢.

(٣) الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص٦٠٧ ـ ٦٠٨.

(٤) الجبرتي: عجائب الأثار، ج١، ص١٤١ ـ ١٤٣، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ، ج٨، ص٢٢٦.

(٥) عبد الوهاب أبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة ، ص٣٦.

الصدر بقراءة الإمام أبي عمرو"[١]. و"غنية الطلبة بشرح الطيبة في القراءات العشرة"، و "البدر المنير في قراءة الإمام ابن كثير"، و"تعميم المنافع في قراءة الإمام نافع"، و"انشراح الفوائد في قراءة الإمام حمزة"[٢] .

**وممن صنف في التجويد وآداب التلاوة:**

**محمد المرزوقي** (ت١٢٦١هـ/١٨٤٥م) له "رسالة في علم التجويد"[٣]، **ولأحمد بن أسعد الدهان** (ت١٢٩٤هـ/١٨٧٧م) "المواهب المكية بفيض العطية"[٤].

**مصنفات التفسير:**

أولى علماء مكة **القرآن الكريم** عناية فائقة فراحوا **يفسرون** آياته وفق **منهج تحليلي** يتناول الآيات القرآنية من جميع جوانبها، ومن كافة معانيها، وقد وجد التفسير بالنظم، في سور وآيات، بل في كامل القرآن في المصنفات المكية.

ومن علماء مكة الذين برزوا في هذا العلم وألفوا فيه :

**عبد القادر بن أبي بكر الصديقي الحنفي** (ت١١٣٨هـ/١٧٢٥م) له: "منهل الواردين على قوله تعالى ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ "[٥]، **ولمحمد بن سلامة الإسكندري المكي** (ت١١٤٩هـ/١٧٣٦م)، "نظم على تفسير القرآن الكريم" منظوم في عشر مجلدات[٦]، **ولمحمد بن عقيلة** (١١٥٠هـ/١٧٣٨م) كتاب في التفسير سماه: **"الجوهر** المنظوم في التفسير بالمرفوع والمحكوم"[٧]، **ولإسحاق بن محمد أفضل الدهلوي** (ت١٢٦٢هـ/ ١٨٤٥م) "جامع التفاسير"[٨]، **ولمحمد عثمان**

---

(١) المرجع السابق، ص٢٦.

(٢) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٦٧

(٣) عبد الوهاب أبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص٣٦.

(٤) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج١، ق٢٢؛ مرداد: نشر النور والزهر، ص٨٩.

(٥) المصدر السابق، ص٢٦٦، والآيتان من سورة الواقعة، آية ١٣، ١٤.

(٦) المرادي: سلك الدرر، ج٤، ص١٢٣؛ حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٦٦٠؛ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج ٩، ص٤٨.

(٧) مخطوط بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، رقم : ١٠٢٣، ق١.

(٨) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٢٨.

**ميرغني** (ت١٢٦٨هـ/١٨٥١م)، "تاج التفاسير لكلام الملك الكبير"(١)، كما ألف **أحمد بن محمد الداغستاني** المكي (ت١٢٩٥هـ/١٨٧٨م) "تفسير القرآن الكريم"(٢)، **ولأبي بكر شطا** (ت١٣١٠هـ/١٨٩٢م) "**تفسير** القرآن الكريم"، وصل فيه إلى سورة [المؤمنون](٣)، **ولأحمد الخطيب** (ت١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م): "فتح الجند في بسملة التفسير"(٤)، **ولعبد الحميد قدس** (ت١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م) "التحفة المرضية في تفسير القرآن العظيم بالعجمية"(٥).

**وبعرض مؤلفات المكيين في علوم القرآن نخاص إلى عدة أمور:**

- كان الاهتمام في القراءات بالقراءات المشهورة السبعة والعشرة والأربعة عشر، كما كان التصنيف قائماً لقراءة واحدة من القراءات.

- قد ظهر في هذه الفترة ما يعرف **بالتفسير الأدبي** وهو ما كان من نظم لتفسير القرآن أو بعضه.

- ونلاحظ أن الكثير من المفسرين المكيين في هذه الفترة كانت مؤلفاتهم جزئية، فمنهم من يتجه إلى تفسير عدة أجزاء من القرآن الكريم ، وأما **التفسير في بعض آيات السور الكبار** أو التفسير في السور القصار فيعود إلى حاجة العامة والطلبة المبتدئين لفهم مبسط من آيات ا الذكر الحكيم.

- ومن الآيات التي نالت الحظ والاهتمام **آية البسملة،** فاتجهوا إلى دراستها والبحث في أسرارها ومحاولة فهم ما تحتوي عليه من مقاصد القرآن من توحيد وعبادة وتفكر واعتبار، وربما يعود ذلك الاهتمام - لكونها أول آية في كتاب ا العزيز، ولكونها هي العمدة التي تدار عليها الأسئلة التي كانت تعقد للمدرسين الذين يريدون أن يلتحقوا بالتدريس بالمسجد الحرام.

---

(١) غازي: نثر الدرر، ق١٢؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج١٠، ص٢٨٦؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٤١٦.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ٨٧؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٢، ص١٠١.

(٣) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٨٠؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص٤٨.

(٤)أحمد الخطيب: القول التحيف، ق١٦ - ٢٢غازي: نثر الدرر، ق ٢٠.

(٥) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٣٧.

* **المصنفات المكية في أصول الدين:**

التصنيف في أصول الدين من أهم المهمات، إلا أن المطلع على قائمة التصنيف في مكة فترة البحث يجد أن المؤلفات في هذا العلم كانت قليلة نسبياً ولعل ذلك يعزى إلى أسباب، منها انتشار علوم التفسير والحديث بمكة، فلم تكن ثمة حاجة ماسة إلى التصنيف المجرد اكتفاء بما يكون في تفسير نصوص الاعتقاد، من القرآن والسنة، كما أنه لم يكن يعج المجتمع المكي بالانحرافات العقدية الخطيرة التي كانت تنتشر في بلاد الإسلام آنذاك، ومع ذلك فقد اتسمت المؤلفات المكية في هذا الفن بتنوع الاتجاه من تقرير أو ردود محدودة، أو توضيح بعض المسائل، ونحو ذلك، فممن تصدى للتأليف في هذا العلم:

**حسن عجيمي** (ت١١٣١هـ/١٧١٨م) له رسائل عديدة منها: رسالة في الكلام على قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾[(١)]"، و"رسالة تتعلق بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾"[(٢)]، أما **عبد ا الميرغني** (ت١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م) فله: "السهم الداحض في نحر الروافض"، **ولعقيل بن عمر السقاف** (ت١٢٤٧هـ/ ١٨١٣م)، "رسالة في تعريف التوحيد"، و"رسالة في تعريف المسلم"[(٣)]، **ولمشيئة ا بن عصمت ا البنغالي (ت**١٢٩٩هـ/ ٨٨١م): "دلايل اليقين في شرح شواهد الدين"[(٤)]، **ولأحمد بن زيني دحلان** (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) "**رسالة** في إثبات رؤية ا يوم القيامة"[(٥)]، كما ألف **محمد بن عمر نواوي الشافعي** (ت١٣١٦هـ/١٨٩٨م) عدداً من المؤلفات في أصول الدين منها: "قامع الطغيان على منظومة شعب الإيمان"، و"النهجة الجيدة لحل نقاوة العقيدة"[(٦)]، أما **عبد الملك بن عبد الوهاب**

---

(١) سورة الرعد: آية ٣٩.

(٢) سورة الحج: آية ٧٥، وانظر: مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٧٢ ـ ١٧٣، .

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٣٩.

(٤) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٣، ق٣٤ ـ ٣٥.

(٥) عبد الوهاب أبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبةمكة، ص٩٤.

(٦) البغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص٣٩٤؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج١١، ص٨٧.

**الفتني** (ت١٣٣٢هـ/١٩١٣م) فله: "فيض الرحمن على المطالب الحسان في أمور الدين وشعب الإيمان"[1]، كما وضع **أحمد الخطيب** (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) **"السيوف** الخناجر على رقاب من يدعو للكافر"، **و"الصارم** المغري لوساوس كل كاذب ومفتري"، كما له عدد من المؤلفات في أصول الدين باللغة الجاوية منها: "ضوء السراج في كيفية المعراج"[2]، **ولعبد الحميد قدس** (ت١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م) **"إرشاد** المهتدي شرح كفاية المبتدي"[3]، **ولمحمد حسب ا** (ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م) "الرياضة البديعة في أصول الدين وبعض فروع الشريعة"[4]، **ولجعفر اللبني (**ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م) **"بغية المبتدئين في علوم الدين"**[5].

**وبإطلالة على قائمة التصنيف في أصول الدين نجد ما يلي:**

ـ كثير من المؤلفات المستقلة كانت متوناً صغيرة لحاجة الطلاب في الحلقات والمدارس.

ـ من قائمة التصنيف ظهرت بعض المسائل التي كانت تشغل الساحة العلمية آنذاك، كما ظهرت بعض الرسائل تبين قضايا عقدية، والظاهر أنها مما وقع فيه النزاع، أو السؤال، فاحتاج المكيون للتصنيف فيها، ولم يكن ثمة دافع للتصنيف في موسوعات وحواشٍ طويلة.

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٢٧؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٣٠٧.

(٢) الخطيب: القول التحيف،ق ١٦ ـ ٢٢؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ٣٩.

(٣) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ١٥٧؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٥، ص١٠٥.

(٤) عبد الوهاب أبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة ، ص١٧٦.

(٥) غازي: نثر الدرر ، ق ٣٧؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص ٢٢.

*** مصنفات المكيين في علوم الحديث:**

اختلفت مصنفات المكيين في الحديث وعلومه، فصنفوا في شتى علومه رواية ودراية، وبمختلف أشكال التصنيف من شروح ومختصرات، وبفنون متعددة من مسلسلات وأوائل وغير ذلك، ولا غرو فلقد كانت الصناعة الحديثية بمكة رائجة، وظهر العلماء الأجلاء المحدثون في مكة على مر عقود فترة البحث.

**ـ فمن هذه المصنفات: الشروحات والحواشي:**

والشروح الحديثية قد تنشأ من ممارسة العالم لتدريس هذا الكتاب أو ذلك المصنف، فيحتاج إلى قراءة العديد من الشروحات، فاربما علق تعليقة مفيدة، وجمع جمعاً متوسعاً، فيكون الكتاب فكرة ثم يترعرع شرحاً يافعاً، ويؤكد ذلك وجود مصنفات الشروحات والحواشي في قائمة مصنفات العلماء الذين أسندت لهم مهمة تدريس الكتب التي قاموا بشرحها، وقد يكون العالم محباً لأحد المصنفات الحديثية، فيحب أن يضطلع بشرف شرح حديث رسول ا تعالى، في بلد ا الحرام، فيضع هذا الشرح، أو تلك الحاشية.

**وممن** شارك في التأليف والتصنيف في هذا العلم **عبد ا بن محمد بن سالم البصري** (ت١١٣٤هـ/١٧٢١م) له: "الضياء الساري على صحيح البخاري"[(١)]، **ولمحمد بن مصطفى الكرماني** (ت١١٧٤هـ/١٧٦٠م) "حاشية على الجامع الصحيح للبخاري"[(٢)]، وأما طاهر بن محمد سعيد سنبل (ت١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م) فله: "شرح على الإفصاح"[(٣)]، **ولمحمد بن محمد البناني** المكي (ت١٢٤٥هـ/١٨٢٩م)، "شرح على صحيح البخاري"،[(٤)]، **وليوسف البطاح** (ت١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م)، "إفهام الأفهام بشرح بلوغ **المرام**"[(٥)]، وقام **إسحاق بن محمد أفضل الدهلوي (**ت١٢٦٢هـ/

---

(١) الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص٢٠٩؛ غازي: نظم الدرر، ق٩٠.

(٢) البغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص٣٣٢؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج١٢، ص٢٧؛ ج٩، ص٢٧٤.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٥٥؛ بغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص٣٥٤.

(٤) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤١٢؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٢٩٩.

(٥) الزركلي: الأعلام، ج٩، ص٣٣٤؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ٤١٠.

١٨٤٥م) بوضع "**شرح** على المشكاة"[١]، كما وضع **يوسف السنبلاويني** (ت١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) "**تكملة** شرح مسند الإمام الشافعي" للشيخ عابد السندي[٢]، **ولأحمد الداغستاني** (ت١٢٩٥هـ/١٨٧٨م): "شرح على البخاري"[٣]، ووضع **محمد بن محمد ميرغني**(ت١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) "حاشية على بلوغ المرام" لابن حجر[٤]، وقام **عبد الحميد قدس** (ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م) بتصنيف كتاب سماه: "شرح البسملة فيما يتعلق بها من حديث المصطفى"[٥]، ولمحفوظ الترمسي (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م) "المنحة الخيرية في أربعين حديثاً من أحاديث خير البرية"[٦].

**ـ أما المختصرات الحديثية فقد صنف فيها العديد من علماء مكة منهم:**

**عبد ا ميرغني** (ت١٢٠٧هـ/١٧٩٢م) له: "المعجم الوجيز في أحاديث الرسول العزيز"[٧]، **ولمحمد ماجد الكردي**(ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) "معجم كنز العمال"[٨].

**ـ التصنيف في كتب الأذكار والترغيب والترهيب:**

كتب الأذكار هي الكتب التي تعنى بجمع الأذكار النبوية الموظفة على الأوقات، وكتب الترغيب والترهيب هي التي رتبت على أساس جمع الأحاديث الواردة في الترغيب بأمر من الأمور المطلوبة، أو الترهيب من أمر من الأمور المنهي عنها، كالترغيب ببر الوالدين، وثواب ذلك، والترهيب من عقوقهما، والتصنيف في هذا النوع إما بالأسانيد، أو مجرداً عنها[٩].

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٢٨.

(٢) غازي: نثر الدرر، ق١٥٤؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص١٥٤.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٨٧.

(٤) غازي: نثر الدرر، ق١٢؛ الكتاني : فهرس الفهارس، ج٢، ص٥٥٦.

(٥) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص٦٤.

(٦) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص ٥٠٤.

(٧) البيطار: حلية البشر، ج٢، ص١٠١١، وفيه وفاته سنة ١٢٠٧هـ، البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٤٨٦.

(٨) الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٢٣١.

(٩) محمود الطحان: أصول التخريج ودراسة الأسانيد، ص ١٣٨ .

وشارك في التصنيف في هذا العلم عدد من علماء مكة منهم: **محمد بن سلامة السكندري المكي** (ت١١٤٩هـ/١٧٣٦م) له "بشرى العمال في ثواب الأعمال"[١]، **ولأحمد الصباحي**(ت بعد١٢٧٠هـ/١٨٥٣م)[٢] "شرح عمل اليوم والليلة"[٣]، كما أن **لعبد ا غازي** (ت١٣٦٥هـ/١٩٤٥م) "مجموع الأذكار من أحاديث النبي المختار"[٤].

**- علم مصطلح الحديث:**

ممن صنف في هذا العلم **محمد عثمان ميرغني** (ت١٢٦٨هـ/١٨٥١م) له: "شرح البيقونية في مصطلح الحديث"[٥]، وألف **حسين بن إبراهيم المالكي** (ت١٢٩٢هـ/١٨٧٥م) "رسالة في مصطلح الحديث"[٦]، **ولمحمد بن عمر نواوي الجاوي** (ت١٣١٦هـ/١٨٩٨م) "تيجان الدراري على رسالة الباجوري"[٧]، **ولمحمد محفوظ الترمسي المكي** (ت١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م) "منهج ذوي النظر في شرح ألفية علم الأثر"[٨]، **ولعبد الستار الدهلوي**(ت١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) "الإمداد بمعرفة علوم الإسناد"[٩].

**- كتب الأربعينيات الحديثية:**

ومن مصنفات الأربعينيات التي ظهرت في فترة البحث مصنف **لمحفوظ الترمسي المكي** (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م) سماه: "المنحة الخيرية في أربعين حديثاً من

---

(١) المصدر السابق، ج٣، ص١١٩.

(٢) هو أحمد الصباحي ، عالم مصري ، قدم مكة وجاور بها ودرس بمسجدها الحرام ، توفي بمكة، تاركاً العديد من المؤلفات، انظر: عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج١، ق٢٨.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٩٧.

(٤)الفاداني: قرة العين في أسانيد شيوخي من أعلام الحرمين، ج١، ص٢٣٣؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٣٥٥.

(٥) غازي: نثر الدرر، ق١٢؛ كحالة: معجم المؤلفين،ج١٠، ص٢٨٦؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٤١٦، وسبق تعريف مصطلح الحديث في الفصل الثالث من هذا البحث.

(٦) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٤، ق٢٨٢.

(٧) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٥٠٤؛ البغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص٣٩٤.

(٨) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص ٥٠٤.

(٩) الفادانى: قرة العين في أسانيد شيوخي من أعلام الحرمين، ج٢، ص٣١٣.

أحاديث خير البرية وشرحها"[1]، **ولمحمد مختار البناوي** (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) "إتحاف السادة المحدثين بمسلسلات الأربعين"[2].

**ـ الأحاديث المسلسلة[3]:**

وممن صنف فيها: **محمد بن أحمد بن عقيلة** (١١٥٠هـ/١٧٣٧م) له: "الفوائد الجليلة في مسلسلات ابن عقيلة"[4]، و"عقد الجواهر في **سلاسل** الأكابر"[5]، **ولمحمد مختار البناوي** (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م "إتحاف السادة المحدثين بمسلسلات الأربعين"[6]، أما **عبد الستار الدهلوي** (ت١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) فله: "رفع الأستار المسدلة في ذكر بعض الأحاديث المسلسلة"[7].

**ـ عوالي الأحاديث:**

صنف في هذا الفن **محمد بن علي السنوسي المكي** (ت١٢٧٦هـ/١٨٥٩م) كتاباً بعنوان: "البدور السافرة في **عوالي** الأسانيد الفاخرة"[8].

**ـ أطراف الأحاديث:**

المراد **بالأطراف؛** المصنفات الحديثية التي اقتصر فيها مؤلفوها على ذكر طرف الحديث الذي يدل على بقيته، ثم ذكر أسانيده التي ورد من طريقها ذلك المتن، إما على سبيل الاستيعاب، أو بالنسبة لكتب مخصوصة، ثم إن بعض المصنفين ذكر أسانيد ذلك المتن بتمامها، وربما يقتصر على شيخ المؤلف فقط[9].

---

(١) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص ٥٠٤؛ وسبق تعريف الأربعينيات في الفصل الثالث.

(٢) غازي: نثر الدرر ، ق ٥٧؛ الفاداني: قرة العين في أسانيد شيوخي من أعلام الحرمين، ج٢، ص٤٧٦.

(٣) سبق تعريف هذا النوع من فنون الحديث في الفصل الثالث من هذا البحث.

(٤) كحالة: معجم المؤلفين ج٨، ص٢٦٤؛ ويوجد المخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم: ٤١٩.

(٥) المرادي: سلك الدرر، ج٤، ص٣٠؛ الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص٩٢١.

(٦) غازي: نثر الدرر ، ق ٥٧؛ الفاداني: قرة العين في أسانيد شيوخي من أعلام الحرمين، ج٢، ص٤٧٦.

(٧) الفاداني: قرة العين ، ج٢، ص٣١٣؛ ويوجد المخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم: ٤٢٧٢.

(٨) الزركلي: الأعلام، ج٧، ص١٩٢؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج١١، ص١٤؛ سبق التعريف بالعوالي في الفصل الثالث من هذا البحث.

(٩) محمود الطحان: أصول التخريج ودراسة المسانيد، ص ٤٧.

وقد ظهرت هذه المصنفات الحديثية في مكة فترة البحث، فمن ذلك: ما صنفه المحدث المسند الشيخ **محمد هاشم السندي** (ت١١٧٤هـ/١٧٦٠م)[١] إذ إن له كتاباً في هذا العلم سماه: "حياة القاري في **أطراف** البخاري"[٢].

**ـ الأوائل والخواتم:**

**الأوائل:** هي أوائل المصنفات الحديثية، تجمع لتكون مدعاة لأخذ الإجازة بقراءة أوائل الكتب، مع إجازة الباقي[٣].

وقد انتشرت مصنفات المكيين لهذه الأوائل بمكة، ويرجع ذلك إلى نزول عدد من المحدثين بها، وكثرة الوافدين إليها من المشرق والمغرب حجاجاً ومجاورين، وربما لا يسمح وقت بعضهم بقراءة كامل المصنف الحديثي، فتكون هذه الأوائل عوناً له على تحصيل الإجازات في وقت قصير، فصنف محدثو مكة هذه الأوائل وانتشرت تبعاً في العالم الإسلامي.

**ومما اشتهر من مصنفات المكيين في الأوائل:** "الأوائل البصرية" لمسند الحجاز **عبد ا بن سالم البصري المكي** (ت١١٣٤هـ/١٧٢١م)[٤]، **ولتاج الدين محمد القلعي**(ت١١٤٩هـ/١٧٣٦م)، "الأوائل القلعية"، وقد انتشرت في عدد من بلدان العالم الإسلامي[٥]، **ولمحمد سعيد بن محمد سنبل** (ت١١٧٥هـ/١٧٦١م) "الأوائل السنبلية" ذكر في أولها أنه رأى أوائل لبعض الأعلام طول فيها، فأراد أن يلخص مما ذكر فيها أول حديث من أول كل كتاب، رغبة في الاختصار[٦]، وقد انتشر استعمالها في الحجاز وبلاد الهند،[٧]، **ولمحمد بن علي السنوسي المكي**

---

(١) هو العالم المحدث المسند المجاور محمد هاشم بن عبد الغفور السندي ، روى عن عدد من علماء مكة، له العديد من المؤلفات، توفي بمكة. الكتاني : فهرس الفهارس، ج٢، ص١٠٩٨؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج٢، ص٥٣٩.

(٢) الكتاني: فهر س الفهارس، ج٢، ص١٠٩٨.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص ٩٤ـ ٩٥.

(٤) مخطوط بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة ، رقم : ٢٣١، ق ١.

(٥)الكتاني: فهر س الفهارس، ج١، ص٩٧.

(٦) محمد طاهر سنبل: الأوائل السنبلية ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم: ٧٤٣، ق١ـ ٢.

(٧) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص١٠١.

(ت١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م) "**الأوائل السنوسية"، و** "التحفة الشريفة في **أوائل** مشاهير الأمهات الحديثية"[١].

**وأما الخواتم،** فهي: أواخر المصنفات الحديثية، ليتمكن طالب الحديث من قراءتها على الشيخ، وأخذ الأسانيد بها[٢]، وممن صنف في هذا الفن عبد ا بن سالم البصري(ت١١٣٤هـ/١٧٢١م) رسائل في ختم البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وموطأ الأمام مالك[٣]، و"رسالة في الأحاديث النبوية"[٤].

**ـ علم الرجال[٥]:** ممن صنف في هذا العلم أبو الخير أحمد بن عثمان المكي الأحمدي (ت١٣٢٨هـ/١٩١٠م) له: "در السحابة في صحة سماع الحسن البصري من الصحابة"، و"حصول المنى في أصول الألقاب والكنى"، و"النفح المكي في شيوخ أحمد المكي"[٦]، **ولعباس بن عبد العزيز المالكي** (ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤) "تهذيب البيان على متن تقريب الأخوان"[٧].

**ـ تخريج الأحاديث:**

**التخريج**: هو الدلالة على مواضع الحديث في مصادرة الأصلية التي أخرجته بسنده، ثم بيان مرتبتها عند الحاجة[٨].

شارك في التأليف في هذا العلم **أحمد بن محمد الحضراوي** (ت١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) له: "سراج الأئمة في تخريج أحاديث كشف الغمة للشعراني" [٩]، **ولعبد**

---

(١) المصدرالسابق، ج ٢، ص ١٠٤٠؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص١٩٢.

(٢) الكتاني: فهر س الفهارس، ج٢، ص١٠٩٨.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٩٢.

(٤) الجبرتي: عجائب الأثار، ج١، ص٢٠٩؛ غازي: نظم الدرر، ق٩٠؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة،ص٣٨٨.

(٥) سبق تعريف هذا النوع من فنون الحديث في الفصل الثالث من هذا البحث.

(٦) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص٥٠؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٧٧.

(٧) غازي: نظم الدرر، ق١٨٦؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٥، ص٦١؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص١٤٤، وفيه ولادته سنة ١٢٧٠هـ.

(٨) محمود الطحان: أصول التخريج ودراسة المسانيد، ص ١٢ .

(٩) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص٦٣.

**الستار الدهلوي** (ت١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) "السلسال الرحيب الأصفى في **تخريج** أحاديث النبي المصطفى"[١].

**ـ المعاجم والمشيخات والأثبات:**

**المعجم** هو الكتاب الذي يترجم فيه الشيخ لشيوخه مرتبين على حروف المعجم، ويذكر ما رواه عن كل واحد في ترجمته، وقد يطلق عليه الفهرس[٢]، **والمشيخة**[٣] **والثبت**[٤].

**وهذه المشيخات تحوي على الثراء العلمي** الذي كانت تتمتع به مكة في فترة البحث وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات العلمية ما بين مكة والبلدان الإسلامية من خلال ما ذكرت من حقائق عليمة لا تقبل مجالاً للشك في الأخذ والتلقي.

وممن وقفت لهم على مصنفات في هذا العلم **أحمد بن محمد النخلي** (ت١١٣٠هـ/١٧١٧م) له: "بغية الطالبين لبيان الأشياخ المحققين المدققين" وهو ثبت جمع فيه تراجم شيوخه ومروياته[5]،ذكره الكتاني فقال عنه أنه: (فهرس نافع جامع، عليه وعلى "إمداد البصري" المدار في الإسناد في القرن الثاني عشر وما بعده، فإن البصري والنخلي انتهت إليهما الرياسة في زمانهما في الدنيا في هذا الشأن لما حصلا عليه من العلو والعمر المديد والسمت الحديثي)[٦]، **ولسالم بن عبد ا بن سالم البصري المكي** (ت١١٦٠هـ/١٧٤٧م)، ثبت سماه "الإمداد بمعرفة علوم الإسناد"[٧]، وهو الذي أشار إليه الكتاني بأن عليه وعلى ثبت النخلي مدار

---

(١) غازي: نثر الدرر، ق٤٠؛ كما أنه مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم : ١٠٤٠.

(٢) الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص٦١٠.

(٣) ظهرت المشيخات تقريباً في القرن الثالث الهجري، وللمشيخات فوائد جليلة فهي وثائق مهمة في توثيق أسماء الكتب ونسبتها إلى مؤلفيها، كذلك مصادر لتراجم الشيوخ والتعرف على سيرتهم ومسموعاتهم، كذلك تبرز علماء كل عصر وأعيانه، وصورة حية للمجتمع في الحقبة التي كتبت فيها، وتأريخ صادق لوقائعها، انظر مقدمة المجمع المؤسس، ج١، ص ١٠.

(٤) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص٣٨؛ وانظر الرسالة المستطرفة، ص١٦٦.

(٥) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق١٥١؛ الزركلي: الأعلام، ج١، ص٢٣٠.

(٦) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص ٢٥٢ .

(٧) غازي: نظم الدرر، ق ٩٠؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٢١٩؛ ويوجد مخطوط بمكتبة الحرم رقم : ٣٩٠٣.

الإسناد في القرن الثاني عشر وما بعده[١]، ولمحمد بن عقيلة (ت١١٥٠هـ/١٧٣٧م) ثبت "المواهب الجزيلة في مرويات الفقير إلى ا محمد بن أحمد بن عقيلة" قال في سبب جمعه: (أحببت أن أثبت في هذا الثبت ما تيسر من الأسانيد وقد ظفرت بروايات عن مشايخ كبار أخيار، فاخترت أن أصدر ما أورده بتراجم مشايخي بالاختصار، ... ، ليسهل على الناظر معرفة ما وصل إلى من طريقه)[٢]، كما أن لمحمد بن محمد التهامي (ت١٢٤٤هـ/١٨٢٨م) "**فهرست** في تراجم شيوخه"[٣]، ولمحمد البناني المكي (ت١٢٤٥هـ/١٨٢٩م) "**ثبت**"[٤]، كما أن لتاج الدين بن أحمد الدهان، (ت١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م) "كفاية المتطلع لما ظهر وخفي من مرويات الشيخ حسن بن علي العجيمي"، هو عبارة عن **فهرسة** خرجها تاج الدين الدهان لشيخه وصاحبه حسن العجيمي[٥]، ولعباس بن جعفر بن صديق (ت١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) **ثبت** سماه "النبراس"[٦]، ولمحفوظ الترمسي المكي (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م) ثبت سماه: "كفاية المستفيد لما علا للترمسي من الأسانيد"[٧]، كما وضع **أحمد بن أبي الخير المكي العطار** (ت١٣٢٨هـ/١٩١٠م) معجم سماه: "النفح المسكي في شيوخ أحمد المكي"[٨] وصفه الكتاني بأنه: (من أنفس ما ألفه المتأخرون على الإطلاق وأوعبه عند أهل الأذواق، ترجم فيه لسبعين من مشايخه ممن أجازه عامة ... أوقفني عليه **بخطه الدقيق الجيد**، يخرج بخط غيره في مجلدة ضخمة، ولشدة إعجابي به اختصرته)[٩]، وله أيضاً "مشجر الأسانيد"[١٠] **ولأبي بكر خوقير**

---

(١) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص ٢٥٢ .

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٦٠٧ـ ٦٠٨.

(٣) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص٢٧٩ ؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج١١، ص٢٠٢.

(٤) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤١٢؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج١١، ص٢٨٥.

(٥) الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص ٣٩٨.

(٦) غازي: نظم الدرر، ق١٨٥؛ الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص٦٨٦؛ عمر عبد الجبار : سير وتراجم، ص١٧٣.

(٧) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص٥٠٣ـ ٥٠٤.

(٨) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٠٥؛ الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص٥٨٥.

(٩) الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص ٦٩٢.

(١٠) المصدر السابق، ج٢، ص٥٨٩.

**(ت١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م) "ثبت الأثبات الشهيرة"، أو"سند الأثبات"**[١]، **ولعبد الستار الدهلوي (ت١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)** "أعذب الموارد في برنامج كتب الأسانيد"[٢]، كما أن **لعبد ا غازي** (ت١٣٦٥هـ/١٩٤٥م) "تنشيط الفؤاد من **تذكار الإسناد"**[٣].

ولم يقتصر **تأليف المشيخات على الرجال**، فقد ظهرت **محدثات** في مكة فترة البحث، ومنهن من أخرجت مشيخة لها، **كمشيخة ست الأهل** بنت الطبري[٤].

**ولنا وقفة مع المصنفات الحديثية المكية:**

ـ شملت مصنفات المكيين أنواع علوم الحديث من التصنيف في الرواية والدراية، وإن لم تظهر مصنفات كبيرة متميزة خلال فترة البحث نسبياً.

ـ ظهر في هذه المصنفات بعض المؤلفات في دقيق العلوم الحديثية ككتب الأطراف، كما ظهرت مسلسلات الأربعين التي جمع فيها مؤلفها بين الأحاديث المسلسلة وكونها أربعينية أيضاً، كما ظهرت كتب التخاريج أيضاً.

ـ امتازت مصنفات المشيخات والأثبات بكونها عمدة في هذا العصر لكثير من العلماء المحدثين الذين تأخرت عصورهم عن فترة البحث، فاعتمدوا عليها لاحقاً، كما يظهر من كلام الكتاني على أثبات المكيين فيما تقدم.

---

(١) الفاداني: قرة العين في أسانيد شيوخي من أعلام الحرمين، ج١، ص١٩.

(٢) غازي: نظم الدرر، ق٤٠. وهو مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم : ٤٢٠٣.

(٣) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٢٠٢؛ الفاداني: قرة العين في أسانيد شيوخي من أعلام الحرمين، ج١، ص٢٣٣؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص٣٥٥.

(٤) الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص ٤٠٤.

*** المصنفات في الفقه الإسلامي:**

تكمن أهمية التأليف في الفقه أنه يتصل في كثير من مسائله بحياة الناس التي تعتريها الحوادث والنوازل التي يحتاج معها إلى معرفة حكم ا تعالى فيها، وتصحيح العبادة والمعاملة على أساس الشرع الحكيم.

وإن التركة التي خلفها العلماء المكيون من نتاج غزير في علم الفقه، والجهد العلمي الذي بذل ينم عن النضج الفقهي الذي وصل له علماء مكة في هذا العلم، رغم أن التقليد كان من سمات كثير من المصنفات الفقهية[1].

ولإنصاف الحق نرى أن غالبية علماء مكة لم يكونوا بعيدين عن الاجتهاد الذي من شأنه أن يثري الحياة الفقهية بمكة خاصة وبالعالم الإسلامي عامة.

وبناء على ذلك ظهر ما يمكن أن نطلق عليه **الفقه العملي** في الإسلام وهو الفتاوى، حيث إن كثيراً من علماء الفقه جمعوا ما كان يرد عليهم من أسئلة وما كان يرد عليها من أجوبة وقاموا بوضع المصنفات المبنية عليها، وقد شملت مصنفاتهم قضايا الحج والعمرة وفضل الحرمين على غيرهما، وصلاة التراويح وما يتعلق بشهر رمضان، والمعاملات والأقضية والشهادات، والصيد والذبائح، والقتل في الحرم، وما يصح وما لا يصح في الحرمين الشريفين، وإبطال أوقاف الحرمين، وحكم إصلاح الكعبة، وغير ذلك.

**وفيما يلي عرض لما وقفت عليه من مصنفات في الفقه على المذاهب:**

**ـ الفقه الحنفي:** ممن صنف فيه **حسن عجيمي** (ت١١٣١هـ/ ١٧١٨م) له: "النفح المسكي في عمرة المكي"[2]، **ولعبد القادر الصديقي** (ت١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م) "فتح الخلاق في جميع فرق الفسخ والطلاق"، و"العج والثج في شرائط الحج"، و"الفتاوى الفقهية"[3] **ولعيد الأنصاري** (ت١١٤٣هـ/١٧٣٠م) "حاشية على

---

(1) انظر مبحث المصنفات التي كانت تدرس بمكة في الباب الثالث من هذا البحث.

(2) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٧٢ ـ ١٧٣.

(3) المصدر السابق، ص٢٦٦.

الدر المختار"، ، و"شرح على كنز الدقائق"[1]، و "رسالة في عمرة المكي في أشهر الحج"[2]، أما **تاج الدين بن أحمد الدهان** (توفي بعد ١١٦٠هـ/١٧٤٧م) فله: "رسالة في القنوت في الفجر وغيره من باقي الأوقات عند حدوث النازلات"[3] كما وضع **أمين بن حسن ميرغني** (ت١١٦١/ ١٧٤٨م)، "حاشية على الدر المختار"، ورسالة بعنوان: "إزالة الوهم في جواز الصوم عند العجز عن الدم" ورسالة في "القول الأحرى في وقوع الطلاق المعلق على نفقة العدة بالإبراء"[4] **ولعبد المنعم القلعي (**ت١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م)، "حاشية على شرح العيني على متن كنز الدقائق"[5]، **وليحيى بن محمد الحباب،** (ت بعد ١١٧٨هـ/١٧٦٤م) "حاشية على شرح منسك اللباب لملا علي القاري"[6]، **ولطاهر بن محمد سعيد سنبل** (ت١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م) "ضياء الأبصار حاشية مناسك الدر المختار"، و"الفتاوى السنبلية"، و"رسالة في شرح اصطلاحات المنهاج"[7] و"نزهة المشتاق في حد عمرة المكي والملحق به من الأفاق"[8] أما **عبد الملك القلعي** (ت١٢٢٨هـ/١٨١٣م) فله: "الكواكب الدرية من فتاوى القلعية" ثلاثة مجلدات، و شرح مختصر على متن كنز الدقائق سماه: "حل الرمز على شرح الكنز"[9]، **ولعبد الحفيظ عجيمي** (ت١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م) "**فتاوى**" في مجلد ضخم، و "رسالة في جواز التوسد على اللحاف الحرير"[10] **ولمحمد ياسين بن عبد ا ميرغني** (ت١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م) شرح على "منسك الملتقى"، سماه: "المنتقى على منسك الملتقى"، و "شرح على الجوهر المكنون في

---

(١) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢٣٧.

(٢) غازي: نظم الدرر، ق٩٩؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٣٩٢.

(٣) مرداد أبو الخير نشر النور والزهر، ص١٤٧.

(٤) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢١٢؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٩، ص٧٢.

(٥) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٣١؛ البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٦٣٠.

(٦) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٥٠٧.

(٧) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ق١، ٥٢.

(٨) مخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم : ٢٤٢٤، ق١.

(٩) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢٣٣؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٦، ص١٨٥.

(١٠) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٣٢.

الثلاثة فنون"[1]، كما أن **لعبد ا بن عبد الشكور** (ت١٢٥٧هـ/١٨٤١م) "تحفة الصبيان على مذهب أبي حنيفة النعمان"، وشرحها المسمى "عطية الرحمن"[٢]، ولأبي بكر الزرعة (ت١٢٦٢هـ/١٨٤٥م)، رسالة تتعلق بالأوقاف السلطانية أسماها "بساط الكرم في القول على أوقاف الحرم"[٣] **ولجمال بن عبد ا بن شيخ عمر** المكي (ت١٢٨٤هـ/١٨٦٧م) فتاوي كان عليها العمل بين المفتيين بمكة، تسمى بـ "الفتاوي الجمالية"[٤]، **ولمحمد صالح الكتبي** (ت١٢٩٥هـ/١٨٧٨م) "حاشية على شرح ابن الشحنة"[5] أما**عبد الغني بن أحمد الرافعي** (ت١٣٠٩هـ/١٨٩١م)، فله: "تعليقات على حاشية ابن عابدين"[٦].

**- وممن صنف في الفقه المالكي: حسين إبراهيم مالكي** (ت١٢٩٢هـ/١٨٧٥م)، له: "موضح المناسك في مذهب مالك"، و تقييدات على كتاب "توضيح المناسك"[٧]، **ولمحمد عابد بن حسين الأزهري** (كان حياً سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) "هداية المناسك إلى توضيح المناسك"[٨]، كما أن **لعباس بن عبد العزيز المالكي** (ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، "رسالة في المناسك"[٩].

**- وممن صنف في الفقه الشافعي: حسن العجيمي** (ت١١٣١هـ/١٧١٨م) له: "حاشية على الأشباه والنظائر"[١٠]، كما وضع **علي بن أحمد القباني** (ت١٢٢١هـ/١٨٠٦م)، "تقرير على الرملي"[١١]، **ولصالح بن إبراهيم ريس** (ت١٢٤٠هـ/١٨٢٤م)،

---

(١) غازي: نثر الدرر، ق١٢؛ الكتاني فهرس الفهارس، ج٢، ص٥٥٦.

(٢) الحضرواي: نزهة الفكر،ج٤، ق ٣٧٨؛ عبد الستار دهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق١٤٤.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٦٣ - ٦٤، والمخطوط بمكتبة الحرم المكي ، تحت رقم: ١٧٦٩.

(٤) المصدر السابق، ص١٦٢.

(5) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٧٦؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٢٤٠.

(٦) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ٢٦٢؛ الزركلي : الأعلام، ج٤، ص١٥٨. وفيه وفاته سنة ١٣٠٨هـ.

(٧) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٤، ق٢٨٢؛ عبد الوهاب أبو سليمان: فهرس مخطوطات مكتبة مكة ، ص١٤٠.

(٨) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٨١؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٤٣.

(٩) غازي: نظم الدرر، ق١٨٦؛ عمرعبد الجبار: سير وتراجم، ص١٤٤، وفيه ولادته سنة ١٢٧٠هـ.

(١٠) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٧٢ - ١٧٣.

(١١) المصدر السابق، ص٣٦٩؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٧، ص١٢.

"فتح المجيب ببلد الحبيب في جمع ما يتعلق بالرضيع"، و"فيض الملك العلام لما اشتمل عليه النسك من الأحكام" و"حاشية على المنهج"[1]، **وليوسف بن محمد البطاح** (ت١٢٤٦هـ/١٨٣٠م)، "تشنيف السمع بأخبار القصر والجمع"[2]، و"إرشاد الأنام إلى فيض الملك العلام لما اشتمل عليه النسك من الأحكام"[3]، و"فيض المنان بشرح زبد ابن رسلان"[4]، أما **عقيل بن عمر السقاف** (ت١٢٤٧هـ/١٨٣١م) فله: "بلوغ المرام فيما يتعلق بخروج المرأة من الأحكام"[5]، **ولمحمد بن زين العابدين** الشيبي (ت١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م) "رسالة في مناسك الحج على مذهب الإمام الشافعي"[6]، ووضع **يحيى بن محمد مؤذن** (ت١٢٦٠هـ/١٨٤٤م)، "حاشية على شرح المنسك الصغير لملا علي القاري"،[7]، **وليوسف السنبلاويني** (ت١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م)، "حاشية على شرح الرملي"[8]، **ولأحمد دحلان** (ت١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م) "حاشية على صفوة الزبد"[9]، و"النصر في أحكام صلاة العصر"[10]، كما وضع **محمود شكري** (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) "رسالة في مبحث القدرة والإرادة وآدابها"[11]، **ولأبي بكر شطا (ت١٣١٠هـ/١٨٩١م) "إعانة** الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين"[12]،

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢١٤؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج١٠، ص٨٠؛ المعلمي: أعلام المكيين، ج١، ص٢٩٨.

(٢) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص١٣٩.

(٣) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢٧٣.

(٤) الزركلي: الأعلام، ج٩، ص٣٣٤؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ٤١٠.

(٥) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٣٩.

(٦) باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة، ص٣٠٤؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٣٦٨.

(٧) غازي: نظم الدرر، ق١٥٣؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٤١٤.

(٨) غازي: نثر الدرر، ق١٥٤؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص١٥٤.

(٩) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص155. وصفوة الزبد منظومة في الفقه الشافعي لأحمد بن رسلان (ت١٠٤٤هـ/١٦٣٤م)، انظر: الزركلي: الأعلام، ج١، ص١٢٩.

(١٠) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص٣٩٠؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج١، ص٢٢٩.

(١١) غازي: نظم الدرر، ق٢٠٤.

(١٢) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٣٤٠.

ولأهمية هذا المصنف كان يدرس بالمسجد الحرام والمسجد النبوي وعدد من المدن الإسلامية[١].

وقد ذكر شطا في مقدمة كتابه الأسباب التي دفعته لتأليفه فيقول: (... إنه لما وفقني ا تعالى لقراءة شرح .. الشيخ زين الدين ..ابن عبد العزيز ابن زين الدين مؤلف ... "**بفتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين**" بمحفل من طلاب العلم العظام تجاه البيت الحرام **كتبت عليه هوامش تحل مبناه وتبين معناه،** ثم بعد تمام القراءة طلب مني جملة من الأصدقاء..... تجريد تلك الهوامش وجمعها فامتنعت .... فلما كرروا علي الطلب ..... شرعت في التجريد والجمع مستعينا بالملك الوهاب ... رجاء أن يكون تذكرة لي وللأحباب وأن ينفعني به والأصحاب، ... **وسميته إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين،** واعلم ...، أنه ليس لي فيه إلا النقل من كلام الجمهور، والإتيان في ذلك بالشيء المقدور، ... وأن عمدتي في ذلك التحفة وفتح الجواد شرح الإرشاد والنهاية وشرح الروض ..... وغير ذلك من كتب المتأخرين)[٢].

ومن هذا النقل نستخلص أن الكتاب هو نتاج تدريس الشيخ بالحرم كتاب "فتح المعين"، كما أن قائمة المصادر التي ذكر اعتماده عليها تدل على أنه تضلع بعمدة كتب الشافعية التي عليها مدار الفتوى عند المتأخرين، رحمه ا تعالى.

كما أن **لمحمد بن عمر نواوي**(ت١٣١٦هـ/١٨٩٨م) "عقود اللجين في بيان حقوق الزوجين"[٣]، **ولعبد الحميد قدس** (ت١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م) "إرشاد المبتدي في شرح كفاية المبتدي"[٤]، كما صنف **أحمد الخطيب** (ت١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م) عدة مؤلفات في الفقه الشافعي منها ما هو بالعربية كـ"الدرة البهية في كيفية زكاة الذرة

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٨٠.

(٢) شطا: إعانة الطالبين، ج١، ص ٣.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٥٠٤؛ البغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص٣٩٤.

(٤) عمرعبد الجبار: سير وتراجم، ١٥٧؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٥، ص١٠٥.

الحبشية"، و"حاشية فتح الجواد"، و"فتاوى الخطيب"[١]، أما ما ألفه باللغة الجاوية فمنها: "نور الشمعة في أحكام الجمعة"، و"الأقوال الواضحات في حكم من عليه قضاء الصلوات"[٢]، كما صنف **محمد بن سليمان حسب ا** (ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م)، "حاشية على المنسك الكبير"[٣].

**- وممن صنف في الفقه الحنبلي: حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر** (ت١٢٢٥هـ/١٨١٠م) له مجموعة "فتاوي" و"رسائل"[٤]، كما أن **لمحمد بن عبد ا بن حميد الحنبلي** (ت١٢٩٥هـ/١٨٧٨م) "حاشية على شرح المنتهى"[٥].

**أما المصنفات في أصول الفقه:** فقد انبرى لها مفتي مكة **عبد القادر الصديقي الحنفي** (ت١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م) له:"مراجعة بعض الأعلام فيما كتب لترجيح قول النظام"[٦]، **ولحمد بن ناصر بن عثمان بن معمر الحنبلي** (ت١٢٢٥هـ/١٨١٠م) "الفواكه العذاب"[٧]. ولمفتي مكة **محمد البناني المالكي** (ت١٢٤٥هـ/١٨٢٩م) "حاشية على جمع الجوامع"[٨]، كما أن **لمحمد بن علي السنوسي المالكي** (ت١٢٧٦هـ/١٨٥٩م) "المنهل الرائق في الأصول والطرائق"[٩]، **ولأحمد الخطيب (**ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) "النفحات حاشية الورقات"[١٠] ، **ولعبد الحميد قدس الشافعي** (ت١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م)، "لطائف الإرشادات على تسهيل الطرقات لنظم الورقات"[١١].

---

(١) غازي: نثر الدرر بتذييل نظم الدرر، ق ٢٠، عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ٣٩.

(٢) أحمد الخطيب: القول التحيف، ق١٦- ٢٢.

(٣) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة ، ص١٥٧؛ والمنسك الكبير للخطيب الشربيني انظر: الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١٥٢.

(٤) البسام: علماء نجد خلال ستة قرون، ج١، ص٢٣٩؛ الزركلي: الأعلام، ج١، ص٢٤٩.

(٥) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص٥١٩- ٥٢٠؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٤٢١.

(٦) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٦٦.

(٧) البسام: علماء نجد خلال ستة قرون، ج١، ص٢٣٩؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٢، ص١٩٢.

(٨) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤١٢؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٤٠٩.

(٩) البسام: علماء نجد خلال ستة قرون، ج٣، ص٧٨٢ حاشية؛ الكتاني: فهر س الفهارس، ج٢، ص ١٠٤٠.

(١٠) أحمد الخطيب: القول التحيف، ق١٦- ٢٢؛ غازي: نثر الدرر بتذييل نظم الدرر، ق ٢٠.

(١١) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ١٥٧.

**وأما الفرائض فقد صنف فيها عدد من علماء مكة منهم طاهر بن محمد سعيد سنبل الحنفي (ت١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م)**[١]، له "حاشية على شرح الشنشوري"، و**لصالح بن علي بن حسن الحنفي** المكي، (ت١٣٣١هـ/١٩١٢م)، "حاشية على كنز الدقائق لملا مسكين"[٢]، كما أن **لجعفر اللبني الحنفي (**ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م) "شرح نظم الكنز لابن فصيح"[٣]، و"حاشية على المنهل الرائق بشرح كنز الدقائق"[٤]، **ولأحمد الخطيب (**ت١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م) "الداعي المسموع في الرد على من يورث الإخوة وأولاد الأخوان مع وجود الأصل والفروع"، و"المنهج المشروع في المواريث"[٥]، **ولعبد ا غازي** الحنفي (ت١٣٦٥هـ/١٩٤٥م) "بيان الفرائض شرح بديع الفرائض"[٦].

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٥٥؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص١٣٥؛ بغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص٣٥٤؛ كحالة: معجم المؤلفين، ص١٣٥.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢١٨؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص١٣١.

(٣) عبد الستار الدهلوي: تحفة الأحباب في بيان اتصال الأنساب، ق٨٨.

(٤) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص١١٩، ١٥٨.

(٥) غازي: نثر الدرر بتذييل نظم الدرر، ق ٢٠؛ أحمد الخطيب: القول التحيف ، ق١٦ ـ ٢٢.

(٦) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٢٠٢؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٣٧٨.

*** مصنفات اللغة العربية:**

تنوع الإنتاج العلمي لعلماء مكة في اللغة العربية، وذلك لتنوع المشارب والموارد، فمن مصنف في النحو، وأديب يبرع في الشعر، وعالم ينظم العلوم، وخطيب يدون المواعظ، كما شملت مصنفاتهم أنواعاً من الأغراض الأدبية، وأنواعاً من القوالب الشعرية التي صبوا فيها علومهم، وأعملوا في ابتكارها عقولهم.

وحيث إن الأدب والشعر عاطفة إنسان، والعلم موهبة إيمانية، لذا فقد نجد من هؤلاء من اجتمع فيه العلوم مع المشاعر، فصار أثره عميقاً، وما تركه من تراث رائقاً، اجتمعت فيه رقة المشاعر مع دقة العلوم.

وفي عجالة سريعة، نجد المصنفات المكية شملت جل علوم اللغة، من علم النحو والصرف، إلى علوم البلاغة المكسبة لرقيق التذوق، وفهم لعميق المعاني مروراً بعلوم العروض والقوافي، المعينة على النظم الرائق، والشعر الجيد ووصولاً إلى مواجهة الناس بالخطابة، وتواصلهم بالرسائل، وفيما يلي عرض لذلك كله.

**أولاً: علوم النحو واللغة:**

- **ممن صنف في النحو واللغة: حسن العجيمي** (ت١١٣١هـ/١٧١٨م) له "التعليقة الآنيقة على الأجرومية"[(١)]، **ولعبد الملك لقلعي** (ت١٢٢٨هـ/١٨١٣م) "شرح على متن الأجرومية"[(٢)]، وألف **أبو بكر العجيمي** (ت١٢٣٦هـ/١٨٢٠م) رسالة في النحو سميت بـ"رسالة العجيمي" كان عليها العمل بمكة فترة البحث [(٣)]، **وليحيى بن محمد مؤذن** (ت١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م) "شرح على الآجرومية"[(٤)]، **ولأحمد المرزوقي** (ت١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م) شرح على الأجرومية سماه: "فوائد المرزوقية" و له شرح في النحو : "تسهيل الأذهان على متن تقويم اللسان"[(5)]، **ولمحمد عثمان**

---

(١) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص٣٥٤.

(٢) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢٣٣؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص١٧٠.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٦٧.

(٤) غازي: نظم الدرر، ق١٥٣؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٤١٤.

(٥) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٣٣٢

**ميرغني**(ت١٢٦٨هـ/١٨٥١م) "شرح ألفية ابن مالك"[١]، **وليوسف السنبلاوي**(ت١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) "حاشية العروس المجلية على متممة الأجرومية"[٢]، **ولإبراهيم الفتة** (ت١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م) "كشف الحجاب في شرح ملحة الأعراب"[٣]، وألف **أحمد بن عبد الشكور** (ت١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)، "شرحاً على بدء الأمالي"[٤].

- **وممن صنف في الصرف: أحمد المرزوقي** (ت١٢٦٢هـ/١٨٤٦م) له: "منظومة في قواعد الصرف والنحو"[٥]، **ولعبد الحق الجاوي المكي** (ت١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م) "شرح على متن الغزي" في الصرف[٦].

**ثانياً: الأدب وعلومه:**

اتهم العصر العثماني بأنه لم ينتج شيئاً له قيمة، ولم يظهر فيه علم من الأعلام في الشعر أو الأدب أو غيرهما، والحقيقة أن هذه الاتهامات أتت من فراغ[٧]، إذ إن الكثير من تراث هذا العصر في الأدب ما زال مفقوداً أو مخطوط وما طبع منها قليل، وبالتالي فالحكم دون دراسة غير مقبول.

إلا أنه يمكن القول أنه في الجملة كان الأدب تجارته كاسدة أمام العلوم الشرعية، ويدل عليه أن **هاشم بن أحمد الأزرادي** المكي (ت١١١٦هـ/١٧٠٤م) صرف عمره في نظم القوافي، وأكثر من القصائد والأشعار، ثم أقلع عنه آخر عمره لكساد الأدب فلازم المسجد الحرام[٨].

---

(١) غازي: نثر الدرر، ق١٢؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٤١٦.

(٢) غازي: نثر الدرر، ق١٥٤؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص١٥٤.

(٣) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج١، ق١٣؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج١، ص٩٥.

(٤) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٠٣.

(٥) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٣٣٢

(٦) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر،ص ٢٣٣.

(٧) عبد ا محمد الغزالي: الأداب العربية في العصر العثماني، ( القاهرة) ، ص٢٦٩.

(٨) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٥٠٥.

وكذلك كان النتاج الشعري محدوداً لأن الكثير من العلماء والفقهاء كانوا يحيدون عنه، على ما قاله **جعفر اللبني** (ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م):

ولولا الشعر بالعلماء يزري   لكنت اليوم أشعر من لبيد[١]

وبرغم ذلك وجد من الشعراء الذين كانت لهم مؤلفاتهم في هذا الفن، **ومن المصنفين المكيين في الأدب وعلومه:**

**عبد القادر بن أبي بكر الصديقي الحنفي** (ت١١٣٨هـ/١٧٢٥م) له: "التذكرة الأدبية"[٢]، **ولمحمد عثمان ميرغني (**ت١٢٦٨هـ/١٨٥١م) "شرح ألفية ابن مالك" و"شرح ألفية السيوطي في علم البيان"[٣]، **ولأحمد بن أسعد الدهان** (ت١٢٩٤هـ/١٨٧٧م) "مبسوط الكافي في العروض والقوافي"[٤]، و**لأحمد ابن زيني دحلان** (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) "رسالة الاستعارات"، و"رسالة في علم البيان"[٥]، كما شارك في التأليف في هذا الفن **عبد الحميد قدس** (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م)، له: "فتح الجليل الكافي في متممة متن الكافي في العروض والقوافي"[٦]، **ولجعفر اللبني** (ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م) "العقود المتلألئة شرح منظومة ابن الشحنة"، و"الحديث شجون شرح رسالة ابن زيدون" في الأدب[٧]، كما كان **لمحمد ماجد الكردي** (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) "المنتخبات الماجدية"[٨].

---

(١) جعفر اللبني : الحديث شجون، ق٢.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٦٦.

(٣)غازي: نثر الدرر، ق١٢؛ ص٢٨٦؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٤١٦.

(٤) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٨٩؛ عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج١، ق٢٢.

(٥) البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٩١٩؛ ، عبد الوهاب سليمان: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص٣٧٦.

(٦) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٣٧.

(٧) عبد الستار الدهلوي: تحفة الأحباب، ق٨٨.

(٨) الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٢٣١.

*** النتاج الشعري لأدباء مكة:**

يختلف النتاج الشعري للشاعر بتنوع أفكاره واتجاهاته الثقافية، وأعرض فيما يلي النتاج الشعري للمكيين، ممن صنف المؤلفات المستقلة في الشعر، ثم أقتطع شيئاً من هذه الأشعار وعرضاً لباقات الشعر المكي حول الأغراض المختلفة للشعر.

**فممن صنف دواوين الشعر من المكيين: علي بن تاج الدين القلعي** (ت١١٧٢هـ/١٧٥٨م) له: "الفرج في مدح عالي الدرج"[١]، **ولمحمد بن علي الطبري** (ت١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م) "إمتاع البصر والقلب والسمع في شرح المعلقات السبع"[٢]، **ولجعفر البيتي** (ت١١٨٢هـ/ ١٧٥٩م) "مواسم الأدب وآثار العجم والعرب"[٣]، **ولعبد ا ميرغني** (ت١٢٠٧هـ/١٧٩٢م) "العقد المنظم على حروف المعجم"[٤]، **ولعثمان الراضي** (ت١٣٣١هـ/ ١٩١٢م) "ديوان شعر" في مجلدين[٥].

*** أغراض الشعر وبنيته عند المكيين:**

تنوعت الأغراض التي نظم المكيون فيها الشعر، من مديح وهجاء، وغزل ووصف ورثاء، وبرع منهم شعراء في المعارضات والتورية بالشعر، وفيما يلي عرض لشيء من ذلك:

**- المديح :**

يعد شعر المدح من أغزر الأغراض الشعرية التي حفظتها المصادر المختلفة على مر تاريخ الشعر العربي، ويرجع ذلك لعدة أسباب لعل أهمها كون الممدوح من ذوي الشخصيات البارزة في مجتمعهم، والذي يهتم المؤرخين بتدوين تاريخ حياتهم

---

(١) الجبرتي: عجائب الآثار، ج٢، ص١٢٦؛ غازي: نظم الدرر، ق٩٦؛ كحالة : معجم المؤلفين، ج٧، ص٢١٢.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٥٨؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٤٠٢.

(٣)المرادي: سلك الدرر، ج٢، ص٩؛ الحامد: الشعر في الجزيرة العربية ، ص٣٨٧. وقد طبع الديوان في مجلدين على نفقة الخانجي عام (ت١٣٣٦هـ/١٩٠١م ) بالقاهرة.

(٤) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص٤٤١.

(٥) عبد القدوس الأنصاري: عثمان الراضي، (مجلة المنهل، ج١٧، ص٥٩٨). وقد ذكر عبد القدوس الأنصاري أن ديوان شعره لم يبق منه إلا جزء يضم قافية الراء، وهي قطعة أبقتها يد الحدثان في يد ابنه محمد الذي أعطاها عبد القدوس الأنصاري. انظر: الحامد: الشعر في الجزيرة العربية، ص٣٩١.

أو لكون المادح محباً للممدوح محسناً إليه، أو مكافئاً له على إحسانه، أو غير ذلك من الدوافع التي يصعب حصرها.

**المدائح النبوية:**

لقد أكثر أهل مكة من المديح النبوي، فنظموا القصائد في مولده وسيرته، وأخلاقه وشيمه ﷺ، بل نظموها تارة على شكل ما يسمى البديعيات[1]، كما أنهم نظموا في مدح آل البيت، وذكر فضائلهم.

فممن صنف في ذلك: **علي بن تاج الدين القلعي** (ت١١٧٢هـ/١٧٥٨) له **بديعية** أسماها: "واسع الاطلاع في بديع الأوضاع"[2]، وكذا له بديعية: "الأنواع العجيبة الاختراع"[3]، **ولإبراهيم بن محمد سعيد المنوفي** (ت١١٩٥هـ/١٧٨٠م)، ديوان سماه "السبع السنابل في **مدح سيد** الأواخر والأوائل"[4]، **ولعلي بن أحمد القباني** (١٢٢١هـ/١٨٠٦م) بديعية أسماها: "مراقي الفرج"[5]، كما نظم في المدائح النبوية **محمد عثمان ميرغني** (ت١٢٦٨هـ/١٨٥١م) له: "البراق في مدح النبي المصداق"،و"النفحات المدنية في المدايح المصطفوية"[6]، ولولده **جعفر ميرغني** (ت١٢٧٧هـ/١٨٦٠م) قصائد **يمدح بها النبي** ﷺ منها: "رياض المديح وجلاء كل ود صحيح وشفاء كل قلب جريح في ذكر النبي المليح"، منظومة نظمها سنة (١٢٧٢هـ/١٨٥٥م)، أولها: (الحمد الذي حلى أفواه الناطقين بمدح خير الأنبياء والمرسلين..)[7]. ومن قوله يمدح النبي ﷺ:

---

(١) **البديعية**: قصيدة طويلة في مدح النبي ﷺ على بحر (البسيط) من بحور الشعر، **ويشترط** أن يكون (رويها) **ميماً مكسورة، و**أن يتضمن كل بيت نوعاً من أنواع (علم البديع) يكون هذا البيت شاهداً عليه، **والروي**: هو الحرف تبنى عليه القصيدة ، فتنسب إليه، فيقال : قصيدة لامية أو نونية، إن كان حرفها الأخير لاما أو نوناً. انظر:السيد أحمد الهاشمي: ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، (مكة، مكتبة الباز: ١٣٩٩هـ)، ص١١٢، ١١٤.

(٢) البغدادي: هدية العارفين، ج٤، ص٤٧٢.

(٣) غازي: نظم الدرر، ق٩٦؛ الجبرتي: عجائب الآثار، ج٢، ص١٢٦؛ محالة : معجم المؤلفين، ج٧، ص٢١٢.

(٤) الجبرتي: عجائب الأثار ، ج٣، ص٥١ ؛ البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٣٨.

(٥) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٦٩؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٧، ص١٢.

(٦) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان وآخرون : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص ٤٢٠، ٤٥١.

(٧) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٣، ص٣٨٠ .

نسيم القرب هب على النديم فأذكـــره لميثـــاقٍ قديمِ

وأيم خـــلت في أرض طه بخصب العيش في روض وسيم

سـقاه ا من روض شريف به يرتاح قلب المســـتعيم[1].

ولعثمان الراضي (ت١٣٣١هـ/١٩١٢م)[2] "الأنوار المحمدية"[3].

وممن اهتم أيضاً بهذا اللون من الأدب عبد الحميد قدس(١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م) له: **بديعية** وشرحها سماها: "طالع السعد الرفيع في شرح نور البديع"[4] وله: "رجاء نيل الإسعاد والقبول في مدح سيدتنا الزهراء البتول"، و"بلغ السعد والأمنية في مدح أم المؤمنين المبرأة الصديقية"[5].

**مدح الحكام والأمراء والعلماء:**

المدح من أغراض الشعر القديمة التي لم يزل الشعراء يطرقونها رغبة في نيل الخير من الممدوح، سواء كان الممدوح من الحكام والعلماء أو غيرهم.

إلا أن مدح السلاطين العثمانيين كان قليل نسبياً إذا قورن بمدح أمراء مكة، وربما يعود ذلك لعدم معرفة بعض سلاطين آل عثمان باللسان العربي، وإن عرفوه فإنهم لم يكونوا من متذوقي الشعر العربي، كما أن بعد المسافة بين عاصمة الخلافة ومكة، كانت سبباً يحول دون تردد الشعراء المكيين على البلاط السلطاني، ناثرين مدائحهم لينالوا بذلك عطاءات السلطان وهباته، في حين كان مدح الحكام الأشراف أيسر تناولاً على الشعراء وأرجى نوالاً، إذ إن حكام مكة عرب يتذوقون الشعر لهم من السليقة العربية ما يدفعهم لتمييز الحسن من الرديء في الشعر، وعندهم من الشيم ما كان كافياً لجزيل العطاء في المادحين، ولا سيما وأن الشعر وسيلة إعلامية تتفق وتطلعاتهم السياسية.

---

(١) أحمد الحضراوي: نزهة الفكر، ج١، ٠ ص ٢٥٦.

(٢) الزركلي: الأعلام، ج٢، ص٣٧٨.

(٣) الغزاوي: شذرات الذهب، ص٣٩٤.

(٤) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ١٥٧؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٥، ص١٠٥.

(٥) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٣٧؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ١٥٧.

ولكننا نجد أن الشعراء المكيين كانوا يطلقون العنان لقصائدهم في مدح السلاطين إذا قاموا بعمل متميز لمكة وأهلها.

ومن هذا اللون الشعري ما كان من مدح السلطان عبد الحميد الأول في عام (١٢٠٠هـ/١٧٨٥م) على ما أمر به من ترميم لأبنية المسجد الحرام، تحت إشراف أمير مكة الشريف سرور بن مساعد، وقد كتب **محمد طاهر سنبل** على بئر زمزم ثلاث أبيات تخليداً لهذا العمل قال فيها:

سرور لسلطان البرية والورى عبد الحـميد البر بحر المكارمِ

ونصـر له أيضاً وفتح ورفعة بتجـديد هذا المـأثرا المتقادمِ

حفيرة إسماعيل أعنى ابن هاجر وركضة جبريل على عهد آدمِ[1] .

**وممن مدح أمراء مكة عبد ا سراج** ( ت١٢٦٤هـ/١٨٤٧م)، له قصيدة يمدح فيها أمير مكة الشريف يحيى ومهنئا له بوصول نجليه الشريف شرف والشريف منصور من طيبة:

طالع السعد من بروج السـرور قد تجـلت شـموسه بالحبور

أينع الـروض والبلابل غـنت من شـجاها سويجعات الطيور

قد زهى الروض والمعارف ماست وربا المجد باسـمات الثغور[2].

وأما الشيخ **حسن وفا المكي،** كان حياً عام (١٢٩٧هـ/١٨٧٩م)، فقد كان (أحد النجباء الأفاضل والنبغاء البلابل، نخبة الأدباء الأماثل)[3]، قال مادحاً أمير مكة الشريف عبد ا لتوليه الإمارة في قصيدة مطولة جاء فيها:

العبدلي ابن النبي من ارتقى أوج العلا وبه الزمان تجمـلا

ملك كسـاه ا ثوب مهابة وعليه بالملك الأثيل تفضـلا

وحباه من رتب الكمال برتبة أضحى بها بين الملوك مجملا [4].

(١) رسالة للشيخ أحمد دحلان في شأن الدولة العثمانية ١٣٠١هـ، ص١٢٤.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٠٠.

(٣) الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج٢، ق٩٩.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص١٩.

كما كان أغلب شعر **عثمان الراضي** (ت١٣٣١هـ/١٩١٢م)، في مدح أمراء الحجاز، فمن ذلك قصيدة بلغت (٣٣) بيتاً يمدح بها الشريف عون الرفيق قال فيها:

بشائر النصر مقرون بها الظـفر فليهـنك الملك لا خوف ولا حذر

سست الأمـور بآراء مسـددة من دونها الماضيان البيض والسمر[١].

ومن أمثلة **قصائد مدح الشعراء للعلماء**: ما مدح به جعفر البيتي (ت١١٨٢هـ/ ١٧٥٩م) الشيخ زين العابدين بن سعيد المنوفي، من أبياتها:

ما لنا عند الليـالي عـتب قد أقلنـاها ذنوبا وعنارا

إن زين العابدين المـنتمي للعلا أصبح عنهن اعتـذارا

فهو ذاك المرء دنيـا وتقى طيب النبت أصلاً ونجـارا

واحد الدنيا نسـيج وحده فبأي من عـلاه تتمـارا

يا عناة الجود ها نار القِرى فامكثوا إني قد أنسـت نارا

عند شـهم كلما جاد ندى فجر الأرض عيونا وبحارا

كعـبة للجود من مبلغكم أنني أدركت حجا واعتمارا[٢].

**ـ الهجاء:**

لم يكن الهجاء مشهوراً عند المكيين ولعل قدسية المكان كانت تمنع من هذا المسلك، وإن كان بعضهم قد يذكر هجاء مطلقاً لا يعنى به أحداً بعينه، ولشاعر مكة عبد الواحد **الأشرم** (ت١٣١١هـ/١٨٩٣م) [٣] أبيات طريفة يقول فيها:

---

(١) محمد سعيد العامودي: من شعرائنا في الجيل الماضي، عثمان الراضي، (مجلة المنهل ، مج ٤، ع ٢، ذي الحجة،١٣٧٦هـ) ص٦٠٠؛ (مجلة المنهل ، مج ٩، ع ٥، جمادى الأولى ١٣٦٨هـ، ع ٣، ربيع الأول ١٣٦٨هـ)، ص١١٦ .

(٢) محمد راضي الحسيني: الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر الهجري، ( مطبوعات نادي المدينة المنورة، رسالة ماجستير منشورة)، ص ٢٣٢.

(٣) هو أبو الحسن عبد الواحد الجوهري الأشرم، من شعراء مكة له العديد من القصائد في أغراض الشعر المختلفة لعل أهمها قصيدته الهجائية التي هجا بها معاصره شاعر مكة السيد حسين سحرة، انظر: محمد سعيد العامودي: من شعرائنا في الجيل الماضي عبد الواحد الجوهري الأشرم "١٢٧٨ـ ١٣١١هـ" ، (مجلة المنهل، مج ٩، ع ٣، ربيع الأول ١٣٦٨هـ)، ص ١١٦ ـ ١١٨.

بليت بقوم كالـبهائم لم يعلو  أراذل قوم في صفات أكابر
ولو شاء ربي خصهم بثلاث قرون وأذيال وشق حوافر[1]

**ـ الغزل:**

عرف شعراء الحجاز منذ القديم بالغزل، وقد أولع شعراء مكة بالغزل امتداداً لمن سبقهم من الشعراء، فلا يكاد يخلو منه أكثر القصائد ، ولعل ذلك يعود إلى احتفاء كل من المبدع والمتلقي بشعر الغزل مما ساعد على رواجه وحفظه وتدوينه، ولقد نظم شعراء فترتنا غزلياتهم سائرين على التقاليد المتوارثة للشعر العربي، فنجد هذه الغزليات على نوعين:القصائد الغزلية التي نظمت كقصائد مستقلة، والمطالع الغزلية لقصائد نظمت لغرض أخر.

**وممن أثر له نتاج في الغزل من أدباء مكة:**

**علي بن تاج الدين القلعي** (ت١١٧٢هـ/١٧٥٨م) من شعره:

بوجهك الحسن زاه  وأنت بالحسـن زاهر
ومن سـنائك واف  وأنت يا بـدر وافر
وإن طـرفي سـاه  وجفـنه منك سـاهر
ومن صدودك شاك  ومن وصالك شاكر[2].

**ولعبد القادر أسعد الصديقي (**ت١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) أبيات غزلية، منها:

صاح الداعي فكن أنت صاحـي  واغنم الأنس لا تطع قول لاحي
واطرح القيد واركب البيد واجـهد  في زوال الهمـوم الانشراح
وتمتـع بكل هيفـاء تـزري  بتثني القـوام لين الرماح
غـادة قد غدت تثـنيه دلالاً  بين أترابـها بخير البطاح
إن تبدت أبدت لنا الشـمس صحواً  وأبانت لنا ضـياء الصـباح [3].

---

(١) محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر، ص٣٣١؛ محمد سعيد العامودي: من تاريخنا، (ط٣، الرياض، مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام: ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٢١١ـ ٢١٨.

(٢) الجبرتي: عجائب الآثار، ج٢، ص١٢٦؛ غازي: نظم الدرر، ق٩٦؛ كحالة : معجم المؤلفين، ج٧، ص٢١٢.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٧٦.

ولدرويش ريس المكي (ت١٢٦٢هـ/١٨٤٥م) والذي وصفه الدهلوي بأنه: (أمير أهل الأدب ، لطيف في الشمائل واللطائف، من غير عجب له القول الفائق الفهم الرائق)[١]: من الشعر الرائق في الغزل قوله:

أكذا تعذب من يحب ويكـتم ما كان ظني فيك انك تظلم

أذنبت ذنبا اسـ ـ ـتحق جناية لا والذي لبى إليه المحرم[٢].

وللفقيه الأديب **عبد ا بن عبد الرحمن سراج** (ت١٢٦٤هـ/١٨٤٧م)، قصائد في المدح والغزل[٣] ومن جميل غزله قوله **متغزلا** فيمن زاره بلا وعد:

زار الحبيب فيـ ـا له من زائر رشأ أرق من النسيم السـ ـائر

قد زارني من غير وعد مذ رأى أني عليل بالقطـ ـيعة صـابر

من مـ ـاك له قلب حـ ـ ـمى خضي الحرام على حماه العامر

فأتاه يطرق خـ ـ ـائفاً في هجعة فضح الصباح بضوئه المتزاهر[٤].

**ولعبد الواحد الجوهري الأشرم** (ت١٣١١هـ/١٨٩٣م) رائية غزلية مشهورة جاء في مطلعها قوله:

على جيد هذا الظبي فلينظم الدرر وإلا فما للدر قدر ولا فخر[٥].

ومن شعره الغزلي أيضاً قوله:

لثمت البدر من شـ ـغفي فقالا وحسـ ـ ـن جبينه ضوء تلالا

عهدتك صـ ـائماً والآن عندي نقضت ختام صومك قلت لا لا

رأيت هلال وجهك مسـ ـتهلاً وقد صـ ـمناه بالرؤيا امتـ ـثالا

وصـ ـوم العيد منهي لشـ ـكٍ وكيف يصوم من نظـ ـر الهلالا[٦].

---

(١) عبد الستار دهلوي: فيض الملك المتعالى، ج١، ق١٦٨.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٩٤.

(٣) غازي: نظم الدرر، ق١٣٢؛ الكتاني : فهرس الفهارس، ج٢، ص٧٥٢.

(٤) مرداد أبو الخير : نشر النور والزهر، ص٣٠٠.

(٥) الحامد: الشعر في الجزيرة العربية ، ص٣٥٧.

(٦) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٣٢.

ـ **الوصف :**

تنوع الشعر الوصفي بمكة بتنوع موضوعات الحياة بها، كأن يصف الشاعر شوقه لمكة وحنينه إليها أو يصف مكاناً بها ، أو يصف ما يدار فيها من مناسبات سعيدة أو أليمة، ونحو ذلك.

ولا شك أن طبيعة مكة باحتضان جبالها حرم ا الآمن ووجود الأماكن المقدسة في بطحائها جعلت قلوب شعراء مكة يرنون إليها بالشوق والحنين، فقد نظم **محمد بن عبد الرحمن ريس** (ت١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)، أبياتاً ينشد فيها حبه لمكة وشوقه إليها، يقول فيها :

لا تنكروا شوقي إلى أم القرى وتهتكي بين الورى من ذكرها

أبدا بقلبي لا يزال ربوعـ ـها وبناظـ ـري مصـ ـيفها وبيعها

أيد لها ما عشت لست أضيعها فأنا ابنها من أهلها ورضـ ـيعها

من ثديها وربيبها في حجرها[1] .

ومما نظمه الشاعر **عثمان الرضي** في وصف **بستان بمكة أبياتاً جاء فيها**:

لم تلق أبهى بهجة منـ ـه في نضرته العين ولا الخاطر

قد طرزت أيدي المعالي به جداولاً قد خطـ ـها ماهر

وكللت أغصـ ـانه من ندى راحة يمن وكفها ماطـ ـر

وقد حوى نـ ـواره ما حوى من كل لون نشره عاطر[2].

وللشاعر **أحمد نظيف** (ت١٣٢٥هـ/١٩٠٧م)[3] أبيات أرخ بها المسجد الذي بناه رحمت ا الهندي (١٣٠٢هـ/١٨٨٤م)، وهي كالتالي:

على أيمن الداني بالسـ ـفح من كدا مقام كـ ـريم للمصـ ـلى تجددا

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٩٤.

(٢) عبد القدوس الأنصاري: الشاعر عثمان الرضي، (مجلة المنهل ، جمادي الثانية، سنة ١٣٧٣هـ)، ص .

(٣) كان أنيقاً في ملبسه ومطعمه ومشربه، امتهن المحاماة أمام المحاكم، غضب عليه الشريف عون الرفيق، فنفاه إلى جدة فظل بها بضع سنوات ثم لما مات الشريف عون في أواسط عام (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) رجع إلى مكة، انظر: عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص١١١.

دعائمه شيدت على البر والتـقـى وأرجـاؤه للدين والعلم والهدى
أحاطت به الأنوار من كل جانـب وطاب لأهل العلم والرشد موردا
بناه الهمام الحبر ذو الفضل والندى ولا غرو قد أضحى إمام مجددا
فلله ما أبداه ذا البحـر في الورى من النفع في نشـر العلوم وشيدا
له الفوز ما قال النظـيف مؤرخا بما قد أنشا رحمة ا مسـجدا[1].

كما شارك الشعراء أفراح أشراف مكة وانتصاراتهم، فعندما دعي **عثمان الراضي**(ت١٣٣١هـ/١٩١٢م) لعرس شريف مكة الأمير بركات،عام(١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م) ، بارك الحفل بقصيدة طويلة، جاء فيها:

أزهت رياض الأنس بالزهر أم ذا ضياء الأنجم الزهر؟
خطرت تروق العين نظرتها في الحسن بين الغنج والخفر
وتبسمت تفتـــر عن برد كاللؤلؤ المنظـــوم والدر [2].

كما تغنى الشعراء بمجالس أنسهم وما يدار فيها من شراب، فعندما دخل **الشاي** مكة بوصفه مشروباً جديداً في المجتمع[3]، أنست به المجالس، وتزينت به الموائد، فتغنى بوصفه الشعراء، ومن لطيف ما قيل فيه ما نظمه الشاعر **عبد الواحد الجوهري الأشرم** (ت١٣١١هـ/١٨٩٣م) من أبيات طريفة يدعو صديقاً له ليشاركه في **مجالس شرب الشاهي** وهي:

شَرفَ بحقك مجلسي يا مفرداً عدم النظير
أن المساور لم يزل يبدي التحرق والزفير
والشاي راق شربه وكؤسه مليئت سرور
لكنها لغيابكم حبست على أيدي المـدير[4]

(١) محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر، ص٣٣٤.
(٢) الغزاوي: شذرات الذهب، ص٣٩٤ ؛ عبد القدوس الأنصاري: عثمان الراضي ، (مجلة المنهل ، ذي الحجة، سنة ١٣٧٦هـ)، ص٦٠٠.
(٣) انظر الأوضاع الاجتماعية بمكة في التمهيد من هذه الرسالة.
(٤) العامودي: من تاريخنا، ص٢١١ـ ٢١٨.

كما نظم في الشاي وشربه **أحمد أمين بيت المال** (ت١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) إذ له أرجوزة في الشاي[1]، ذكر فيها بعد المقدمة أسطورة العثور عليه وكيفية استعماله وتعاطيه وغير ذلك يتعلق به، تزيد عن مائة وعشرين بيتاً.

جاء فيها:

وإن أردت طبخه يا صـاح     في الليل إن شئت أو الصباحِ

فخذ من المـاء القراح الجيد     وصبه في المسـاور وأوقِدِ

واغـله غليا جيداً على الدلا     كما أتى في قول بعض الفضلا

لا تغتر بصـــوته إذا غلا     حتى ترى البخار في الجو علا

ونظف البـراد إن فيه درن     وضـع من الشاي فيه واغسلا

واسكب عليه الماء إن غـلا     ولا تضـع: لا سكراً ولا حلا

وغطه وضع عليه منشـفه     واصبر عليه ساعة واستغرفـه

وإن اخضـر فأخرج زبده     وضـع عليه عنبراً واعتمده

فهو عجيب حسـن بالعنبر     مع الحـليب يا أخي فاعتبر[2].

ورغم كثرت المناسبات السعيدة التي احتفى بها الشعراء المكيون ونظموا لها القصائد إلا أن ذلك لم ينسيهم تدوين ما كان يعتري مجتمعهم من مناسبات أليمة كالأوبئة والمجاعات .

فقد أسهم الشاعر الأديب **زين العابدين بن أحمد الشماع المكي،** في وصف ما حدث بمكة عام (١١١٧هـ/١٧٠٥م) من **مجاعة ترتبت عليها حروب وقتلى وفقر وغلاء للأسعار،** بنظم جاء فيه:

الحمد مبيد الدهـور     عالم ما تخفي بطني الصـدور

مسير الأفلاك في أفقهـا     ومجـري الفلك لماء البحـور

فقد جرى في مكة مـحنة     قد عمـت الدنيا وفي كـل دور

جرا غلاء ما سـمعنا به     ولا مضى في سالفات العصور

---

(١) محمد رفيع: مكة في القرن الرابع عشر، ص٣٣١ ـ ٣٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص٧٨ ـ ٨٤.

قد أذهب الأرواح حتى لقد ضاقت على الموتى فسيح القبور
وقد غدا في عظم أهـواله كـل فتى منا عديم الشـعـور
أقام في أم القرى ماكـثا ثلاث أعوام وأدنى شـهور
وبعد ما حل بنا وانقضـى وارتحل إليهم ووافا السـرور
قامـت حروب نارها تلتظي ينفر منها الطـبع كل النفور
وقـتلة ما قد جرى مثلها في سوح بيت ا باد الظـهور
من رمم القـتلى وأشبهها قد شبع الوحش وبعض الطيور
وها هي الآن كـما قد بدت رواه خير الرسـل وافي النذور
ونسـأل الرحمن سبحانه يفرج الكرب ويمح الشـرور[1].

كما سجل الشيخ الأديب العالم **حسن وفا المكي،** (كان حياً عام ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م)، قصيدة في وباء انتشر بمكة عام (١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م) ونتج عنه الكثير من الوفيات و كسدت بسببه حركة البيع والشراء، جاء فيها:

يقولون في الأحياء موت بكثرة بدأ وبـائي بمـكة قد سـرى
فقلت لهم ما فيه موت بحيها وما مات في الأحيا سوى البيع والشرا[2].

**ـ الرثاء:**

وهو شعر مفعم بالعاطفة يصدر من الشاعر يرضي حزنه وينفس عن كربه بذكر من فارقه والإشادة بمحاسنه ومأثره، لعل ذلك يعزي النفس ويصبرها[3].

وممن كان له نتاج في ذلك: الشاعر الأديب **تاج الدين المنوفي الشافعي المكي**(ت١١٥٧هـ/١٧٤٤م)، كان عالماً فاضلاً، له شعر رقيق ونثر شيق، ومشاركة في النحو والأدب[4]، ومن شعره قصيدة رثى بها الشريف محسن بن عبد ا آل عون سنة (١١٤٧هـ/١٧٣٤م):

---

(١) الطبري: اتحاف فضلاء الزمن، ص ٢٨٦.

(٢) الحضراوي: تاج تواريخ البشر، ج٢، ق١٦.

(٣) الحسيني: الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر الهجري، ص ٢١٨.

(٤) غازي: نظم الدرر، ق٧٨.

رحمة ا لم تزل تتوالـ ـى وبلها دائما بأوفى الـ زيادة

فوق رمس به لقد حل مولى أشرف كان عقد جيد السيادة

محسن الاسم وهو في الوصف بر حسن سير المكارم عاده[1].

*** شعر المعارضات:**

من موضوعات الشعر الشائعة بين الشعراء على مر العصور، وهي أن ينظم الشاعر قصيدة، فيجيبه عليها الآخر بقصيدة من نفس الوزن والقافية، وغالباً ما تكون بين الأصدقاء، إما في مجالسهم أو مطارحات في رسائلهم[2].

**ولجعفر البيتي** (ت١١٨٢هـ/١٧٥٩م) أبياتاً في وصف قرص البق، معارضاً فيها قصيدة لأحد الشعراء جاء فيها:

رأى البق من كل الجهات فراعه فلا تنكروا إعراضه وامتناعه

ولا تسـ ـألوني كيف بت فإنني لقيت عذابا لا أطيق دفـ ـاعه

نزلنا بمرسى ينبع البحر مـ ـرة على غير رأي ما علمنا طباعه

تفارع من جند البعوض كتائبـ ـا وفرسان ناموس عدمنا قراعه[3].

ومن **المعارضات الودية وهي المطارحات بين الإخوان**، ما أمتدح به الشاعر **المكي** خضر بن يحيى صحرة (كان حياً نهاية فترة البحث)[4] شاعر المدينة عمر الدغستاني[5] بقصيدة استهل مقدمتها **بأبيات غزلية ثم** انتقل إلى المدح فقال:

الأماثل والأفاضل من سما عالي الشـ ـمائل والفضـ ـائل

سـ ـ ـادة شم الأنوف أجلة رفعوا لهم فوق الثرية منبرا

---

(١) دحلان: خلاصة الكلام، ص١٩٣.

(٢) محمد زغلول سلام: الأدب في العصر المملوكي، (الإسكندرية، منشأة المعارف: ١٩٩٦م)، ج٣، ص٧١.

(٣) سلك الدرر، ج٢، ص٩؛ مرداد: نشر النور والزهر، ص١٥٦.

(٤) من مشاهير أدباء مكة ولد بها ونشأ ، قرأ فيها النحو الصرف على غير واحد من علمائها منهم أحمد دحلان وإبراهيم الفتة، برع في الأدب ونظم الشعر ، انظر" مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٦٥.

(٥) هو شاعر المدينة عمر الداغستاني توفي بعد (١٢٠٢هـ)، درس بالمسجد النبوي وله العديد من المصفات ، الأنصاري: تحفة المحبين، ص٢٣٠.

ربوع نجارهم سما على كيوان  وامتطوا السـ ـماك الأنورا

**فرد** عليه **خضر بن يحيى** صحرة بأبيات مدحه فيها قال :

بكم اقتديت وخلفكم في ذا الورى   صليت مؤتما وقمت مكبرا

والي علاكم نفت غير معـجرف   متأذبا متهـ ـيبا متقهقرا

لكم التقدم في الأنـ ـ ـام فحق لي  أني أكون دليلكم المتأخرا[١].

*** قوالب الشعر المكية:**

اهتم المكيون بالشعر الموزون على بحور الشعر[٢]، كما ظهرت لهم نتاجات شعرية على القوالب التجديدية من التخميس والتشطير والتوشيح وغير ذلك، وفيما يلي عرض لبعض ما خلفوه لنا في هذه القوالب الشعرية:

**ـ التشطير والتخميس:**

**التشطير:** هو أن يعمد الشاعر إلى أبيات لغيره، فيضم إلى كل شطر منها شطراً يزيده عليه عجزاً لصدر، وصدراً لعجز[٣].

**والتخميس:** هو أن يقدم الشاعر على البيت من شعر غيره ثلاثة أشطر على قافية الشطر الأول، فتصير خمسة أشطار، ولذلك سمي تخميساً[٤]، فهو على وزن الشعر التقليدي مكون من خمس شطرات، وقافيته أربع قوافي متشابهة على روي واحد والخامسة مطلقة وتتشابه الخامسة في مكرر الخماسية[٥].

فاجتمع في التشطير والتخميس أن الشاعر يأخذ شعراً لغيره فيضيف أشطاراً عليه، **وممن كتب بهذا اللون الشعري في مكة:**

**عبد ا   عبد الشكور المكي**(ت١٢٥٧هـ/١٨٤١م) له في الغزل **مصدراً ومعجزاً**:

---

(١) الحسيني: الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر الهجري ، ص ٢٠٢ـ ٢٠٥.

(٢) **بحور الشعر:** هو الطويل والبسيط والوافر والكامل والهزج والرمل والسريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث والمتقارب والمتدارك، انظر: الهاشمي: ميزان الذهب، ص٩٢، ٩٥.

(٣) **الشطر**: نصف البيت، ويسمى النصف الأول (**صدراً**) والثاني (**عجزاً**)، انظر: الهاشمي: ميزان الذهب، ص١٩.

(٤) المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٥) محمد زغول سلام: الأدب في العصر المملوكي، ج٣، ص٩٥.

يا ملوك الجمال رفقا علينا    ارحموا موقف الغرام عميدا

نحن عشاقكم خلقنا ضعافا    ما خلـقنا من الأنام حديدا

قدر ا  أن تكونوا الموالي    فاملكونا ولا تعدوا الجنودا

قد ملكتم رقابنا و رضـينا    وقضى ا  أن نكون عبيدا[1].

**ولعلي بن عبد ا  بن عبد الشكور** (ت١٢٦٠هـ/١٨٤٤م) **تشطير هذه الأبيات**:

نظـرت بني الدنيا فلم أر منهم    أخا صـادقا في وده وخطابه

وجربت أبناء الزمـان فلم أجد    سوى ظالم والظلم ملء إهابه

فجردت من كنز القناعة صارماً    يبيد وما أبديتـــه من قرابه

وقد ذكر عبد الستار الدهلوي أنه: (لو جمع ما نظمه هو ووالده وإخوانه وأهل بيتهم لكانت مجلدات )[1].

كما أن الأديب الشاعر **محمد بن عبد ا  باز** (من علماء القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي)، نظم الشعر الحسن ، فمن قوله **مصدراً ومعجزاً** :

مالت تودعني والدمـع يغلبها    هيفاء مني رماها البين بالمحن

مالت بقامتها تبغي معـانقتي    كما يميل نسيم الصبح بالغصن

ثم استمرت وقالت وهي باكية    ودعـتك ا  فارع الود وأتمن

واسترجعتْ جزع البين قائلةً    يا ليت معرفتي إياك لم تكن[1].

ولحسن صحرة المكي، قوله **مخمسا بيتين:**

وغـادة من سلاف التيه قد سكرت    صدت بلا سبب عمدا ولي هجرت

لمثـلها أعـيني وا  ما نظـرت    وردية الخد بالوردي قد خطـرت

تميس تيها وتثني القد إعـجاباً

من حسن طلعتها شمس الضحى أفلت    تزري بغصن النقا يوما إذا انفلتت

وكـم بأسـمر قدٍ عـاشقا قتلت    لم يـكف قـامتها الهيفاء ما فعلت

---

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق١٤١.

حتى من دم العشـ ـاق أثواباً[1].

**ـ الموشحات:**

أصل الموشحات أغان وأول من قالها أولاد النجار الحجازي وهم متجهون إلى المدينة يستقبلون النبي ﷺ [1]، ومن أنواع الموشح: **الزجل؛** وهو نوع من أنواع الأدب الشعبي العامي[2]، وممن صنف في الموشحات من المكيين: **الشريف شبير بن مبارك بن فضل بن مسعود بن الشريف حسن**(ت١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م) له: "**موشحات**"، وصفت بأنها رقيقة[3].

وللشاعر **عبد الرحمن المكي** (ت بعد ١٢١٢هـ/١٧٩٧م)، قصيدة في ديوانه، من **التوشيح** يقول فيها:

يومَ اللقـا ءِك عِنْدنَا يا رشَـا عيد    فَزر عبيدك يا حبيبي وصافيه

طال انتظاري جددِ الوصلَ تجديد    وانظر فديتك ذا الصب ما فيه[4].

*** النثر الأدبي عند المكيين:**

**النثر** هو : الأسلوب المتبع في التعبير، ويكون النثر لغة مكتوبة أو منطوقة، منطوياً على معنى وخاضعاً لأصول اللغة، دون أن يستعين بالبناء القائم على التفعيلة أو الروي الموحد، مما هو معروف في فن الشعر[5]، ويدور حول الرسائل الرسمية والشخصية، والخطب الدينية إضافة إلى الإجازات من العلماء لطلابهم، كما ظهر منه فن المقامة، كما كان لبعضهم نتاجاً في النقد الأدبي، وهو في الجملة من الاتجاهات المعاصرة في الأدب، شأنه شأن فن المقالة الذي ظهر بعد دخول الطباعة لمكة آخر فترة البحث.

---

(١) الهاشمي: ميزان الذهب، ص١٤٤؛ محمد زكريا عناني: مدخل لدراسة الموشحات والأزجال،(الإسكندرية، دار المعارف: ١٩٨٢م)، ص١٠٥، ١١٤.

(٢) الهاشمي: ميزان الشعر، ص١٤٧.

(٣) الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٢٣٠.

(٤) الحامد: الشعر في الجزيرة العربية، ص٣٩٠.

(٥) الموسوعة العربية الميسرة، (بيروت، دار إحياء التراث الإسلامي: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج٢، ص١٨٢٣.

- **الرسائل والتقاريظ والإجازات:**

لم يكن الاهتمام بالرسائل واضحاً في عموم مراسلات الدولة العثمانية، ولا سيما تلك الرسائل الرسمية التي تصدر عن الولاة والأمراء والكتاب، فقد كانت الأوامر السلطانية (الرسائل) التي تصل لشريف مكة تترجم من اللغة التركية العثمانية إلى اللغة العربية بواسطة مترجمين في الديوان العثماني، وعندما يرسل الشريف تقارير مكة إلى الباب العالي فإنها كذلك تترجم إلى اللغة التركية بواسطة ذلك الديوان(١)، والمتصفح لرسائل هذه الفترة يرى أنها تسودها العبارات الروتينية ولم تكن تكتب على درجة من البلاغة مقارنة بما كان الأمر في العهود السابقة، ولا سيما في العهد المملوكي، السابق للعهد العثماني(٢)، وأما الرسائل الرسمية التي وقفت عليها فترة البحث، فقد كانت مباشرة المقصد، كما كثرت فيها كلمات التفخيم العثمانية (صاحب الدولة، صاحب العطوفة، جناب، صاحب السعادة، حضرة من له اللطف والإحسان)(٣)، كما ظهر الكثير من المصطلحات العثمانية، نحو (المابين الهيمايوني، والفرمان)(٤)، كذلك ظهرت ألفاظ بعض الوظائف التركية، نحو (الصدر الأعظم، قائم مقام)(٥).

وإذا أحببنا أن نتعرف عن أسباب عدم الاهتمام بصياغة الرسائل الرسمية نجد جملة من الأسباب التي يمكن أن تكون دافعاً لذلك، لكن ليس منها عجمة السلاطين، إذ هذه العجمة كانت في سلاطين المماليك، ومع ذلك راجت صناعة الإنشاء في

---

(١) نجاة عبد القادر الجاسم: العثمانيون والحجاز في القرن ١٩م، بحث من كتاب الذكرى والتاريخ ، إشراف : شاكر مصطفى، (الكويت، مطابع اليقظة، ١٩٧٨)، ص٤٣٥، ٤٣٦.

(٢) انظر في ذلك: آمال رمضان: الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي، ص٥٢٧.

(٣) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج بمكة ، وثيقة رقم: ١٠٦/٢/ وح ج؛ و ١٠٦/٤/ وح ج ؛ سهيل صابان، نصوص عثمانية، ص ١٩، ١٠٠، ١١٤، ١٤٨ .

(٤) المابين الهيمايوني: هو القسم الواقع بين قسم الحريم والدوائر الخارجية في القصر السلطاني، والفرمان: الأمر السلطاني، انظر: سهيل صابان: نصوص عثمانية، ص ١٧٤، ١٧٩.

(٥) سنان أغلو: نجد والحجاز في الوثائق العثمانية، ص٦٦،١٧٧.

عهدهم، فالأشبه هو التعصب للغة التركية بحيث كانت الرسائل باللغة العثمانية في أنحاء الدولة العثمانية.

أما الرسائل التي أرسلت للدولة من قبل علماء مكة، فكانت تشتمل على أنواع البلاغة من جزالة الأسلوب وقوة العبارة وبراعة الاستهلال، ففي رسالة أرسلها علماء ومشايخ مكة إلى السلطان العثماني عام (١٢٧٢هـ/١٨٥٥م) حول التطورات التي أعقبت بيع الرقيق في مكة والتطورات العسكرية والمصادمات بين الشريف عبد المطلب وشريف مكة محمد بن عون جاء فيها:

(الحمد سبحانه عز شأنه، اللهم يا سامع دعاء من فوض أمره إليه، ويا رافع بلاء من توكل عليه، نتوسل إليك ... ونبتهل إليك بالأدعية المرفوعة في ساحات الإجابة المسموعة ... أن تديم دوام دولة مولانا سلطان الإسلام، واسطة عقد آل عثمان وناشر لواء العدل والأمان،....، الخليفة الذي أشرقت به شمس الخلافة ... خلد ا دولته التي ابتسمت بها ثغور الأيام وأيد سلطنته ما توالت الشهور والأعوام، آمين اللهم آمين ..

أما بعد..

فإن الواضعين خطوطهم بهذا المخصر الكريم الواصل إلى سوح ذلك الجناب العظيم من الأئمة والخطباء والمفتين والمدرسين والعلماء والأتقياء والصلحاء المقدسين، ينهون إلى سعادة سلطان الإسلام ويعرضون لدى سوح سيادته الذي هو محط رحال آمال الأنام، أنه حين وصل الأمر الكريم السلطاني والرأي العظيم الخاقاني ...)[١].

**ـ التقاريظ:**

**التقريظ في اللغة هو**: مدح الإنسان وهو حي بحق أو باطل[٢]، فحين ينشد الشاعر قصيدة أو يؤلف الأديب أو العالم كتاباً يدفع به إلى أحد العلماء أو الأدباء،

---

(١) سنان أغلو: نجد والحجاز في الوثائق العثمانية، ٦٢ ـ ٦٨.

(٢) الزبيدي: تاج العروس، ج٥.

ليقرظ له هذا الكتاب أو تلكم القصيدة، وقد يكون التقريظ منثوراً، وأحياناً يكون منظوماً[(١)].

ولقد قام الأديب المكي عثمان الراضي (١٣٣١هـ/١٩١٢م) بتنظيم عدة أبيات **تقريظاً لبناء المطبعة**، جاء فيها:

مطـــبعة تروقك نضـــرة يســـمو بمكة فضلها المتزايد

وسمت بمطبعة الترقي وهو فأ ل للبلاد على الحـــقيقة عائد

فيها على نشر المعارف شاهد وإلى الترقي في العلوم فوائد

تعلو على هام السهى شرفاتها والنجـــم دون عـــلائها يتقاعد

أنشى معالمها الموفق ماجد الكـــردي من هو في الأماجد واحد[(٢)].

ومن التقاريظ ما قام به الأديب **محمد باز المكي** من تقريظ كتاب "مسامرة الضيف بمفاخرة الشتاء والصيف" للشيخ أبي بكر خوقير فقال: (... فلما سرحت الطرف في محاسن روض هذه المقامة ، وارتويت بريق رائق معانيها، ألفيتها لكل نديم مدامة، لا بل هي السحر إلا أنه الحلال، والماء إلا أنه الزلال تشهد لمحررها الفخر أبي بكر خوقير بالفخر، وتذعن بأن ما أتى به فيها هو دمية القصر ويتيمة العصر، ما بين مواصيل رائقة، ومقاطيع فائقة، وأمثال تضرب للناس للاستئناس، وروايات تطرب الأسماع لرقتها بلا التباس، فاخر فيها بواسع درايته بين الشتاء والصيف..)[(٣)].

**ـ الإجازات:**

الإجازة في الأصل شهادة علمية من الشيخ يجيز بها الطالب، إلا أن الإجازات في الجملة اشتملت على أساليب بلاغية راقية، من حيث إن المجيز يتفنن في اختيار الكلمات والمعاني لصوغ هذه الإجازة، ومن هنا كان الاهتمام الأدبي بها،

---

(١) محل التقاريظ الشعرية في أغراض الشعر لأنه من باب المديح أو الوصف، أو هما معاً، وإنما بحثته في المنثور لغلبة النثر على التقاريظ عموماً.

(٢) عباس طاشكندي: الطباعة في المملكة، ص١٠٩.

(٣) أبي بكر خوقير: مسامرة الضيف بمفاخرة الشتاء والصيف، (بيروت، ١٣٢٠هـ)، ص٨٨، ٨٩.

فإن المجيز عادة ما يختار الأسلوب التعبيري الذي يرضيه ويرضي من يقرأها فهو يعلم أنها سوف تنسب إليه، فهذا يدفعه إلى تجويدها وعرض ما لديه من أفكار بلاغية وأدبية لتظهر في صورة مستحسنة.

ومن أمثلة ذلك: إجازة الشيخ **عبد الرحمن سراج** إلى عبد الرحمن بن حسن العجيمي بخط المجيز سنة (١٢٩٥هـ/١٨٧٨م) هذا نصها: (حمدا لمن هدانا بسيدنا محمد بن عبد ا ، وشكرا على ما أولانا من مزيد كرم لا حد لمنتهاه، وصلاة وسلاما على سيدنا محمد رسول ا ﷺ وعلى آله سفن النجاة، وأصحابه الهداة وعلى ذريته الذين شيد بهم الدين وكل عبد آواه، أما بعد:

فقد التمس مني العالم الكامل والهمام الفاضل، ابن الأفاضل أخي العلامة الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن العجيمي سلمه ا الإجازة العامة مع ذكر السند، فامتثلت أمره العالي وإن كنت لست أهلاً لذاك كما قال القائل:

وما كنت أهلا أن أجاز فكيف بي أجيز ولكن الحقائق قد تخفى

فاستخرت ا وأجزت الأخ المذكور إجازة عامة مطلقة بالشرط المعتبر عند أهل الأثر بجميع ما لي فيه رواية وإجازة، من قراءة وتفسير وحديث، وفقه ونحو وغيرهما بحق إجازتي بذلك من شيخنا العلامة الفهامة طوالع الأنوار، والدر المختار جمال الدين، وعمدة الفقهاء والمحدثين الشيخ جمال بن عبد ا شيخ عمر، سلف الخير في إفتاء مكة المشرفة ونواحيها من شيخه العلامة سراج الحرمين وثالث القمرين، والدي المرحوم الشيخ عبد ا بن عبد الرحمن سراج عن شيخه العلامة الحافظ العمري الشيخ محمد بن هاشم الفلاني العمري عن شيخه خاتمة المحدثين الفهامة الأثري الشيخ محمد صالح المشوقي الفلاني العمر نزيل طيبة الطيبة، بجميع ما له فيه من رواية وأخذ وعطاء مما هو مفصل في ثبت العلامة شيخ شيخ والدنا الشيخ محمد صالح المذكور المسمى ذلك "الثبت بقطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات والأثر"، وعن شيخنا المرحوم العلامة الشيخ جمل المذكور عن شيخه خاتمة الحفاظ المرحوم العلامة الشيخ محمد عابد بن أحمد بن علي السندي ثم الزبيدي ثم المدني إقامة ووفاة بما هو مفصل في ثبته المشهور بـ "حصر الشارد

في أسانيد الشيخ محمد عابد" هذا وأوصي الأخ المذكور بتقوى ا في السر والعلن ومراقبته فيما ظهر وبطن وأن لا ينساني من دعواته في خلواته وجلواته، والحمد رب العالمين وصلى ا وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد رب العالمين، قاله بفمه ورقمه بقلمه الفقير إلى عفو مولاه، مغني المحتاج عبد الرحمن بن عبد ا سراج الحنفي المفتي بمكة المكرمة، تاب ا عليه وغفر له ولوالديه والمؤمنين، آمين)[١].

ومنهم من يكتب الإجازة مختصرة، فلا تظهر فيها العبارات البلاغية، والكلمات المسجوعة كالإجازة التي كتبها محمد بن بديع الدين الفاروقي لعبد الستار دهلوي والتي بدأها بـ: (بسم ا الرحمن الرحيم، الحمد وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد: فيقول الفقير المسكين محمد شريف الدين ابن المرحوم محمد بديع الدين الفاروقي الحنفي الغالمي الدكن، طلب مني الشاب النجيب الصالح الحافظ محمد المدعو بعبد الستار بن المكرم عبد الوهاب الصديقي الحنفي المكي أصلح ا حاله أن أجيزه بقرائه القرآن العظيم برواية حفص عن عاصم الكوفي فأجزته وأن كنت لست أهلا لذلك جبراً لخاطره وتحقيقاً لناظره ، كما أجازني شيخي وأستاذي مولانا محمد أنوار ا عن المرحوم محمد شجاع الدين بن محمد سراج الدين عن مولانا شاه محمد رضيع الدين بن محمد شمس الدين الفاروقي الحنفي القندهاري الدكن بقراته برواية حفص عن عاصم الكوفي بسنده المذكور في المدينة المنورة في رياض الجنة، حرر في مكة المعظمة في الحرم المكي في مقام إبراهيم عليه السلام في أوائل محرم الحرام من شهور سنة ألف وثلاثة مائه وسبع من الهجرة والحمد رب العالمين)[٢].

---

(١) مخطوط بجامعة الملك سعود ، رقم ١٣٠٢، ق ١ـ٢.

(٢) مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم ١١٨٩، ق١ـ ٢.

- **الخطب :**

الخطب إما تكون عادة دينية كخطب الجمع والأعياد، أو تكون الخطب سياسية، وهي التي تلقى أمام الوفود وأيام الحفلات كالزواج أو افتتاح مدرسة أو تولي أمير أو في حفل سياسي أو نحو ذلك.

وقد جمع **عبد الستار دهلوي** (ت١٣٥٥هـ/١٩٤٦م): "عشرون خطبة لسنة كاملة مع خطبة العيدين وخطبة ثانية"[(١)].

- **فن المقامة:**

**المقامة** هي : قصة قصيرة بطلها نموذج إنساني من المتسولين ولها راو وبطل وتقوم على حدث طريف مغزاه مفارقة أدبية أو مسألة دينية أو مغامرة مضحكة، وتحمل المقامة عادة في داخلها لوناً من ألوان النقد والسخرية وضعت في إطار من الصنعة اللفظية والبلاغية، يتلاعب فيها الكاتب مقدرته التعبيرية ويرصعها بضروب من البديع[(٢)] .

وممن أسهم في هذا الفن **علوي بن أحمد السقاف (**ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م) له مصنف احتوى على جملة مقامات أدبية[(٣)].

- **فن المقالة:**

تعتبر المقالة من أحدث الفنون النثرية، وهي الأساس لفن الرسائل، وتعالج المقالة مواضيع عديدة منها السياسية والدينية والأدبية والثقافية والاجتماعية، وقد ظهرت المقالة في مكة مع ظهور التقرير الدوري المعروف بسالنامة ولاية الحجاز، الذي صدر أول عدد منه عام (١٣٠١هـ/١٨٨٣م)، وطبعت في مطبعة الولاية**، كما تظهر المقالة جلية في** الجرائد التي صدرت بمكة فترة البحث فانبرت الأقلام تسطر في صحائف "الحجاز" و"شمس الحقيقة"، وتوالت المقالات، وكان الكتاب أول الأمر

---

(١) مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم : ١٨٦٧.

(٢) يوسف نورعوض: فن المقامات بين المشرق والمغرب، (ط١، بيروت، دار العلم: ١٩٧٩م)، ص٦.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٤٤ ـ ٣٤٥.

من العلماء الكبار، ثم شيئاً فشيئاً ظهر كتاب آخرون، فتنوعت أساليب المقالات من أسلوب نثري رفيع، حتى الأسلوب المعتمد على بذل الكلام للعامة[1].

فمن ذلك مقالة كتبها محرر جريدة "الحجاز" عن حالة مطبعة الولاية عام (١٣٢٨هـ/١٩١٠م) جاء فيه: (إن مطبعتنا التي هي أحد التذكارات المهمة المتروكة للولاية من طرف المرحوم عثمان باشا الوالي الأسبق من حين تاريخ تأسيسها وبنائها وانفكاك الوالي المشار إليه من هنا لم تكن مظهراً للمعاونة بصورة ما، وكذلك من تطاول الأيادي والتدني والانحطاط المستحيل تعيين درجاته فيها، اليوم هي في طرز وموقع موجب لحزن أرباب الوجدان، .. .. إن هذه المطبعة المعروضة للخراب بأيدي الاستبداد لما رأت في هذه الأيام أن الأماكن والمؤسسات الأميرية وشعبات الولاية قد صارت مظهراً للإصلاحات المفيدة بنتائج التفحصات والتدقيقات الكبيرة قامت تسعى بتقبيل يد الإصلاح الممدودة إلى كل الأطراف بشوق وجداني)[2] .

*** النقد الأدبي:**

**النقد الأدبي** هو: نقد النصوص السابقة لكتاب ما ، يشرحها أحد الأدباء وينتهزها لعرض مقدرته البلاغية وواسع معرفته بالعلوم المتعددة[3]، وممن اشتهر بذلك من المكيين عثمان الراضي (ت١٣٣١هـ/١٩١٢م) له:"نقد الرحلة الحجازية للبتوني"[4].

وأخيراً، لو أنني تركت القلم على سجيته لطال المبحث واتسع ، ولا أدري ما منتهاه، ولكنني اكتفيت بهذا القدر الذي استوفى الصورة الكافية التي نستطيع أن نرد بها عل كل من يظن أن مكة كانت خاوية على عروشها من فن الأدب والشعر.

---

(١) إبراهيم بن فوزان: الأدب الحجازي الحديث، ج٢، ص٦٣٢.

(٢) طاشكندي: الطباعة في المملكة، ص٣٨،

(٣) محمد زغلول سلام: الأدب في العصر المملوكي، ج٢، ص٢٧٥.

(٤) الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٣٧٨؛ عبد القدوس الأنصاري: عثمان الراضي ، (مجلة المنهل، ج١٧، ص٥٩٨).

**ومن خلال دراسة المصنفات المكية في اللغة العربية نلمح ما يلي:**

ـ بالنسبة لعلوم النحو نلحظ أن المصنفات كانت إما شروحات أو حواش، أي مصنفات مرتبطة بكتب أخرى، ولم يكن هناك مصنف مبتكر، أو مؤلف بديع في بابه، وإن كان لا ينكر أهمية هذه الحواشي والشروحات، بل بعضها صار عمدة في بابه كحاشية الصبان على شرح ألفية النحو.

ـ نجد من بين مصنفات المكيين في العربية فنوناً قل من اشتغل بالتصنيف فيها، وهذه ميزة تميز بها أدباء المكيين، كالتصنيف في (المثلثات)، و(المعارضات)، و(التورية بالقصائد)، و(النقد الأدبي)، وغير ذلك، وهذا يشير إلى تمكن المكيين من علوم العربية وأساليبها.

ـ نشط التصنيف في علم العروض والقوافي، فكان النتاج الشعري الذي يعد أثراً من آثاره قوياً أيضاً، فكانت قصائد والمقاطع الشعرية المكية كثيرة ذات جمال في البناء والمعاني، كما نشط كذلك نظم مختلف العلوم كما مر معنا النظم في اللغة والفقه، بل في التفسير كذلك.

ـ أكثر الأدباء من المديح الديني، وبرعوا في البديعيات، مما يدل على تمكن تام في علوم البلاغة، كما وجدوا المجال الرحب في وصف ما تميز به عصرهم من المخترعات الحديثة، وأساليب الحياة الجديد، فمدحوا المطبعة، وأطالوا في وصف الشاي وطرق تناوله، بأبيات رقيقة.

*** مصنفات المكيين في التاريخ:**

التاريخ سجل لحياة البشر يسجل أحوالهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية وغير ذلك، لا يستغني عنه باحث، ولا يمكن لأمة أن تنهض بغير معرفة تاريخها، وإن أضعف الأمم فهماً وعقلاً تلكم الأمم التي لا تكتب تاريخها، بل تترك غيرها يكتب لها التاريخ الخاص بها، ولم تكن أمتنا قط من هذا النوع من الأمم، بل كانت رائدة في هذا الجانب دوماً، كيف لا وكتاب ربها ينطق صباح مساء بقصص السابقين، وعبرة الماضين ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1].

ولم يكن مؤرخو مكة الذين عايشوا فترة البحث بمنأى عن أهمية هذا الفن، وذلكم العلم، فكثرت مصنفاتهم في التاريخ وما يتعلق به، وكانت كتبهم بمثابة **سجل التراث العلمي** لمدينة مكة المكرمة خاصة والحجاز عامة، حيث أسهموا في تزويد المكتبة العربية بكتب كثيرة ذات موضوعات متعددة في شتى المجالات، كالتاريخ المكي العام والسيرة النبوية والتراجم والطبقات والفضائل والمناقب ووصف المدن والمناطق المحيطة بمكة، فكانت مؤلفاتهم مرجعاً لمن عاصرهم ومصدراً لمن أتى بعدهم

**ـ التصنيف في تاريخ مكة وفضلها:**

وضع عدد من العلماء والمؤرخين المكيون المؤلفات في تاريخ مكة وفضلها، وفضل ما بها وحولها، وما كان من مجريات الأحداث بها، ومن تولى أمرها، واعتنوا بتاريخها عناية كبيرة، ولا سيما وهم يضعون تاريخاً يشعرون أنهم امتداد له عبر الأيام، فيكتبون عن الشعاب ومن كان فيها، وهم يسكنونها، ويذكرون البقاع وما وقع بها، وهي طرق مسيرهم ونزولهم، وما أجمل أن يكتب الإنسان وهو جزء من البيئة والزمان، فإذا انضم إلى ذلك تاريخ أول مسجد وضع للناس، وتاريخ أشرف مشاعر، وأطهر بقاع، فإن الكتابة تأخذ لوناً آخر، والتدوين يأخذ طابعاً إيمانياً، ولذا نجد عبارات الحب والود لتلك البقاع في تأريخهم ما لا نجده لغيرهم.

---

(١) سورة يوسف آية : ١١١.



وباستعراض بعض المصنفات التاريخية فترة البحث؛ نجد المكيين اعتمدوا في تأريخهم على مصادر تاريخية سبقتهم كالأزرقي والفاكهي والفاسي وابن فهد، وابن ظهيرة والطبري والنهروالي، إضافة إلى كتب عاصروا أصحابها أو كانوا قريبي العهد بهم كالسنجاري والطبري وغيرهم، إلا أن الذي تميز به تأريخهم هو الروايات الشفوية أو المشاهدات الشخصية، مع الحس التأريخي المرهف المكتسب من عمق النظر، وتحليل للأحداث، وفهم لمجريات الأمور، وظهر هذا بقوة في وضعهم التاريخ **السياسي لمكة،** والمتمثل في ذكر إمارة الأشراف وسياستهم الداخلية والخارجية وعلاقاتهم مع بعضهم البعض وعلاقاتهم بالدول المجاورة.

وأما عند حديثهم عن **الجوانب الاجتماعية** فكان حديثاً واقعياً كمن يروي تجربة حياته، فأرخوا لما يصاحبها من احتفالات وأعياد وأوبئة ومجاعات وكوارث وأزمات وسائر العادات المكية من تقاليد وأعراف، وظهر لهم تعليقات مفيدة على بعض مظاهر هذه الحياة، وبعض الانتقادات لها، كما أرخوا **للأوضاع الاقتصادية** والعوامل المؤثرة في الانتعاش الاقتصادي كالحج، أو المسببة للغلاء والركود كالأوبئة والسيول والحروب وغير ذلك من موضوعات، كما أطالوا في ذكر ما يصل من إسهامات اقتصادية واجتماعية إلى الحجاز من قبل الدولة العثمانية عموماً ومن مصر خاصة حيث إنها كانت مسؤولة في أغلب الأوقات مسؤولية مباشرة عن الصرف على الحرمين في كافة مناحي الحياة بهما.

أما بالنسبة **للنواحي الحضارية** فتحدث المكيون عن المساجد والأربطة، إلا أن أكبر اهتمامهم كان منصباً على المسجد الحرام وما يتم فيه من إصلاحات وتجديدات على مر العصور، ، كما شملت وصفاً مفصلاً عن الكعبة المشرفة وما تم فيه من إصلاح وترميم، ووصف الحجر الأسود والمقام ، كما تناولوا الحديث عن القائمين على أمور الحرم من مشايخ وعلماء وغيرهم، فلم يترك المكيون حدثاً في مكة إلا وسجلوه بدقة متناهية وبتفصيل شديد.

أما **النواحي الدينية**، فقد جاءت مفصلة في ثنايا الحديث عن الحج والعمرة، وأحوال الحجاج والمعتمرين، وأهم الأماكن التي تستجاب بها الأدعية في المسجد الحرام وقد دعمت هذه الأمور بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

كما أولوا **الجانب العلمي** لمكة اهتماماً واسعاً، كيف لا وجل هؤلاء المؤرخين كان ممن تعانى تدريس العلوم والفنون بالمسجد الحرام، وقد غلب الحديث عن الحرم على ذكرما سواه من المدارس والكتاتيب، حيث يضني الباحث الجهد في استخراج المعلومات من بين السطور ليرسم صورة متكاملة للحياة العلمية آنذاك.

**وممن صنف في ذلك: علي بن تاج الدين السنجاري**(ت١١٢٥هـ/١٧١٣م)، له: "منائح الكرم في أخبار البيت وولاة الحرم"[١]، وهو كتاب مهم في تاريخ مكة سار فيه مؤلفه على منهج الحوليات وبلغ فيه إلى أخبار سنة (١١٢٤هـ/١٧١٢م) أي قبل وفاته بسنة واحدة، مما يعد مصدراً موثقاً لشاهد عيان على هذا العهد.

ولخطيب وإمام المسجد الحرام **عيد بن محمد الأنصاري** المكي (ت١١٤٣هـ/١٧٣٠م) "جميل فتح ا التام ببناء بيت ا الحرام"[٢]، كما لإمام وخطيب المسجد الحرام **أحمد بن أحمد شمس المكي** (ت١١٦٥هـ/١٧٥١م) "**رسالة في فضل زمزم**"[٣]، ووضع **محمد بن علي الطبري** (ت١١٧٣هـ/١٧٥٩م)، تاريخاً لمكة وأمرائها سماه: "**إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن وولاية قتادة**"، في تاريخ مكة رتبة المؤلف على نظام الحوليات وضمنه الكثير من الحوادث والأخبار والتراجم بدأه بذكر ولاة مكة من زمن النبي ﷺ إلى عهد المؤلف عام (١١٤٠هـ/١٧٢٧م)، ويعتبر هذا الكتاب هام لتاريخ مكة ، خاصة ما يتعلق بتلك الفترة التي عاصرها المؤلف أو كان قريب العهد منها، إذ اعتمد في جمع مادته على على مشاهداته ومسموعاته وتحريه الدقة فيما يكتب، كما أنه لم يكن هناك مؤرخ آخر يعاصر تلك الفترة ويعيش أحداثها خاصة بعد وفاة مؤرخ مكة السنجاري عام

---

(١) السنجاري: منائح الكرم، ص.

(٢) غازي: نظم الدرر، ق٩٩؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٣٩٢.

(٣) غازي: نظم الدرر، ص٧٦؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٤٠١.

(١١٢٥هـ/١٧١٣م)[1]، وقد بين الطبري سبب تأليفه لهذا الكتاب بأنه أراد أن يضع كتاباً لولاة مكة يتناول الحديث عن أوضاعهم والحوادث التي تمت في عهدهم[٢].

وشارك في كتابة تاريخ مكة **عبد الرحمن بن أبي بكر جستنية** الحنفي، (ت١٢١٠هـ/١٧٩٥م)،[٣] له كتاب في التاريخ سماه "**تاريخ جستنية**"[٤]، في أمراء **مكة** المشرفة وحوادثها[5]، وصفه الدهلوي بأنه: (كان نزهة لكل ناظر وتحفة جليلة لكل مقيم وعابراً، اشتهر ذكره وبلغ برقع معانية ودقة مبانيه الحوادث الغريبة والنكات المفيدة)[٦].

**ولعبد ا   بن عبد الشكور هندية** (ت١٢٥٧هـ/١٨٤١م) "**تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة**"[7]، ابتدأ فيه بترجمة الشريف مسعود بن سعيد بن زيد، وما جرت بينه وبين ابن أخيه محمد بن عبد ا   من المعارك وينتهي بأخبار العهد السعودي الأول في القرن الثالث عشر الهجري[٨].

والكتاب موضوع على أسلوب السجع، من أوله إلى آخره[٩]، يبتدئ الترجمة بعبارات المديح والثناء على الشريف المترجم له، ثم يسرد الترجمة على الحوليات، ولم يذكر مصادره، وإن كان الظاهر أنها فيما عاصره مبنية على المشاهدة

---

(١) قام بتحقيق كتاب: "اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن" محسن محمد حسن سليم من بداية المخطوط وحتى عام ١١٢٥هـ، كما قام بتحقيقه ناصر بن سلطان البركاتي وابتداء تحقيقه من حوادث عام ٩٢١هـ وانتهى بأحداث عام ١١٤٠هـ .

(٢) الطبري: اتحاف فضلاء الزمن، تحقيق : محسن محمد سليم، (القاهرة، دار الكتاب الجامعي: ١٩٩٦م)، ص٥٠.

(٣) ولد بمكة، وتلقى بها علومه فلازم العلماء المشايخ أمثال عبد الرحمن الفتني ويحيى الحباب وغيرهما، عكف على التصنيف والتأليف، فكانت كتبه في غاية الدقة والتهذيب انظر: الحضرواي: نزهة الفكر، ج٤، ق٤٠١.

(٤) هدية العارفين، ج١، ص٢٥٧؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص١٣٤.

(٥) غازي: نظم الدرر، ق١١٨.

(٦) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق ٦٦.

(٧) الحضرواي: نزهة الفكر، ج٤، ق ٣٧٨؛ غازي: نظم الدرر، ق١٣٤؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٤١٣.

(٨) مكتبة الحرم المكي ، مخطوط رقم: ١٤٣٠.

(٩) انظر صورة من المخطوط الملحق، ٣/و.

الشخصية، والمجالسة للعلماء، والكتاب وإن كان سياسي النزعة، إلا أنه ضم الكثير من التراجم العلمية التي أسهب الحديث عن بعضها واختصر البعض الأخر[1].

**ولمحمد بن أحمد بن سالم بن محمد الصباغ المكي** (ت١٣٢١هـ/١٩٠٣م) كتاب: "تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام"، تناول فيه أخبار البيت الحرام والمشاعر والأحكام فجمع فيه شتات ما تفرق من الأخبار والأحكام في كتب التاريخ والسير وما جاء في كتب الحديث والفقه وغيرها، انتهى من تأليفه عام (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م)، ويحتوي الكتاب على مقدمة وستة أبواب وخاتمة، وقد نهج الصباغ منهج النقل من بطون كتب التاريخ الإسلامي التي تناولت تاريخ مكة، منها شفاء الغرام والعقد الثمين للفاسي ومنائح الكرم للسنجاري[2] .

وممن وضع تاريخاً لمكة أيضاً **أحمد بن أمين بن محمد سعيد بن عبد الشكور** (ت١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) وسماه: "الحوادث المكية"، وهو أشبه بيوميات يسرد فيها صاحبها الأحداث المكية التي دارت في عهده سواء كانت سياسية أو اقتصادية وما حدث بمكة من أفراح وأتراح[3]، **ولأحمد الحضراوي** (ت١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) "**العقد** الثمين في فضائل البلد الأمين"، تم تأليفه حسبما جاء في آخره بقلم المؤلف يوم الأربعاء الرابع عشر من شوال ١٢٧٧هـ[4]، كما أسهم في كتابة تاريخ الحرم **محمد صالح بن أحمد بن زين العابدين الشيبي** (ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م) فكان له كتاب: "**إعلام الأنام بتاريخ بيت ا الحرام**"، يتضمن بابين عن فضل البيت الحرام وتاريخ تعميره، وتاريخ الكعبة المشرفة وكسوتها وسدنة البيت الحرام، وقد بين المؤلف في مقدمته الدافع الذي جعله يؤلف كتابه فقال: (... أنه قد ألف كثيراً من الكتب في تاريخ بلد ا الحرام قديماً وحديثاً مطولاً ومختصراً ولم أر أحد ألف للبيت المعظم

---

(١) المصدر السابق، ق١٤٥، ١٥٢.

(٢) الصباغ: تحصيل المرام ، ج١، ص١٢ـ ٤٢.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٠٣؛ الزركلي: الأعلام، ج١، ص٩٦.

(٤) وقد طبع الكتاب بالقاهرة أكثر من مرة فترة البحث منها عام ١٢٧٨هـ وفي عام ١٢٨٩هـ وعام ١٣٠٣هـ، وفي عام ١٣١٤هـ تم طبعة بمكة في المطبعة الأميرية.

تاريخاً مختصاً به وإنما رأيت شيئاً مجملاً .. بعضه صحيح وبعضه غير صحيح وحيث أن أمر البيت المعظم يعنينا نحن خصوصاً والمسلمين عموماً استخرت ا في أن أدون تاريخاً مفرداً خاصاً بكعبة المعظمة انتقي فيه جميع الروايات من كتب التفاسير والحديث والفقه والتاريخ فدونت هذا التاريخ وسميته أعلام الأنام...)[١].

وكتب **عبد ا بن محمد صالح الزواوي** (ت١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) رسالة في (عين زبيدة)، أسماها "**بغية** الراغبين وقرة عين أهل البلد الأمين فيما يتعلق بعين الجوهرة السيدة زبيدة أم الأمين"، بدأها ببيان أهمية الماء ،و سبب التأليف أنه بإشارة من الشريف الحسين بن علي، ثم ذكر تاريخ الاعتناء بأمر المياه بمكة، وذكر اللجان التي قامت لرعاية العين، الأوقاف التي وأوقفت عليها، ونص في نهاية الرسالة على أنه جمعها من مصادر كثيرة غير التي كانت مفقودة بالنسبة إليها كتاريخ الذهبي، والنوري وغيرها[٢].

**ولأحمد بن علي النجار**(ت١٣٤٧هـ/١٩٢٨م) رسالة في: "تاريخ ترميم الكعبة زمن السلطان عبد الحميد"[٣]،**ولحسين بن عبد ا باسلامة (ت١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م)**:"تاريخ عمارة المسجد الحرام"، **و**"تاريخ الكعبة المعظمة"[٤].

ووضع **عبد ا بن محمد غازي** (ت١٣٦٥هـ/١٩٤٥م) تاريخاً كبيراً لمكة سماه: "إفادة الأنام بذكر أخبار بيت ا الحرام"، وهو كتاب جامع لأخبار مكة وحوادثها، مشتمل على أربعة أجزاء الجزء الأول في فضل مكة وتنظيم الحرم، ومن سكنها، ومبدأ أمر الكعبة وعدد بنائها، وفضل الحرم وماء زمزم، أما الجزء الثاني فكان عن مقابرها ومدارسه وأربطتها والمياه والسيول بها، أما الثالث فعن الخلفاء والملوك وصدقاتهم ومبراتهم إلى مكة، وذكر أمراء مكة بعد الفتح إلى

---

(١) الشيبي : اعلام الأنام بتاريخ بيت ا الحرام، ص٦.

(٢) عبد ا محمد صالح الزواوي: بغية الراغبين وقرة عين أهل البلد الأمين فيما يتعلق بعين الجوهرة السيدة زبيدة أم الأمين،( ط١، القاهرة، المطبعةالخيرية: ١٣٣٠هـ)، ص ٣ ـ ٤٥.

(٣) الحبشي: الدليل المشير ، ص ٥١ ـ ٥٢.

(٤) مغربي: أعلام الحجاز، ج٢، ص١٩؛ الزركلي: الأعلام، ج٢،ص٢٦٣، والكتابان مطبوعان.

الشريف عبد ا بن محمد بن عون، والشريف حسين بن علي، و ملك الحجاز ونجد وملحقاتها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، أما الجزء الرابع وهو خاتمة الكتاب فيشتمل على ذكر بلاد العرب وتقسيمها وأنواع العرب ودياناتهم، وأسواقهم ، وقوافل الحج ، وسكان مكة، وأخبار جدة والطائف[1].

وقد اعتمد المؤلف في تدوين الحوادث السابقة لعهده على عدة كتب لمؤلفين سابقين له منهم: الأزرقي والفاسي والفاكهي وابن ظهيرة والسنجاري والطبري والصباغ، كما اعتمد على كتب معاصريه إضافة إلى الروايات الشفوية في كتابة الوقائع المتعلقة بزمنه أو قريبة العهد به، إضافة إلى مشاهداته الشخصية، ومعايشته لكثير من الأحداث.

**ـ التصنيف في السيرة النبوية:**

إن كان التاريخ هو تسجيل لحوادث الأيام والدهور، وإن كانت مجريات الزمان تدور حول حبيب، فلا شك أن الكتابة حوله تكثر وتزيد، بحب ومودة وشوق، فليس أحد أحب إلينا من النبي ﷺ، ولا أقرب إلى قلوبنا من سيرة المصطفى ﷺ، لذا كان التصنيف في السيرة محط أنظار العلماء، وكان لأهل مكة القدح المعلى في ذلك، كيف لا والسيرة النبوية كانت في ربوع مكة وبين شعابها واقعاً حياً، تشهد عليه الجبال والوديان، وتذكر به مقامات المشاعر والأعلام.

تناول المؤرخين المكينين سيرة المصطفى ﷺ في مولده ونشأته وحياته ومعجزاته وهجرته وأصحابه والأحداث الكبرى وأعماله ومغازيه، كما اتجه المؤرخون المكيون للكتابة عن أمهات المؤمنين وفضلهن وتاريخ كل واحدة منهن ، وتاريخ الصحابة رضوان ا عليهم.

**فممن صنف في السيرة النبوية: محمد بن عقيلة** (ت١١٥٠هـ/١٧٣٧م) له: "عنوان السعادة فيما خص به نبينا قبل الولادة"[2]، **ولعبد ا الميرغني**

---

(١) غازي : إفادة الأنام، ج١، ق١ ـ ٥.

(٢)المرادي: سلك الدرر، ج٣، ص٣٠؛ عبد الستار دهلوي: أزهار البستان، ق٢٣٦.

(ت١٢٠٧/١٧٩٢م) "مشكاة الأنوار في أوصاف المختار"[(١)]، أما **أحمد المرزوقي (**ت١٢٦٢هـ/ ١٨٤٥م) فله:"بلوغ المرام شرح مولد شرف الأنام"[(٢)]، كما وضع **يوسف السنبلاوي** (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) "حاشية على مولد الرسول" لابن حجر، و "حاشية على قصة المعراج" للمدابغي[(٣)]، **ولمحمد بن عمر نواوي (**ت١٣١٦هـ/١٨٩٨م) **"المنى** والسول في مولد الرسول"[(٤)]، **ولأحمد الحضراوي** (ت١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) "ألفية في السيرة النبوية"[(٥)]، **ولعبد الحميد قدس** (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) "نفحات القبول والابتهاج في قصة الإسراء والمعراج"[(٦)]، أما **علوي السقاف**(ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م)، فله: **"رسالة** في الأنساب المصطفوية"، و**"السيرة** النبوية في الأنساب الفاطمية"[(٧)]،**ولعبد ا دحلان** (ت ١٣٦٣هـ/١٩٤٣م)، **"زبدة** السيرة النبوية"**[(٨)].**

**ـ وأما التصنيف في مناقب آل البيت والصحابة:**

فهو موصول التاريخ بالسيرة العطرة، فإن أقوال النبي ﷺ كانت واقعاً ملموساً في حياة الرعيل الأول الصحابة الكرام، فكثر التصنيف في مناقبهم، واهتم العلماء بتدوين فضائلهم، حتى أصبح ذلك مثالاً يحتذى تتناقله الأجيال، ويبقى ذكرهم على مر الأزمان.

**فممن صنف في مناقب وفضائل آل البيت والصحابة الكرام: عبد ا بن إبراهيم الميرغني** (ت١٢٠٧/**١٧٩٢م)** له: "الدرة اليتيمة في بعض فضائل السيدة العظيمة فاطمة الزهراء"**،** و"الجوهرة الشفافية في بعض مناقب السيدة الصديقية"،

---

(١) الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص ٤٠٨.

(٢) مكتبة الحرم المكي ، مخطوط رقم: ٥٢ سيرة دهلوي، ق١ـ ٣، والكتاب طبع عام ١٢٨٦هـ ببولاق.

(٣) غازي: نثر الدرر، ق١٥٤؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص١٥٤.

(٤) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٥٠٤ ، يوجد نسخة من المخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم: ٢٧٢٣.

(٥) غازي: نثر الدرر، ق55؛ الزركلي: الأعلام، ج١، ص٢٣٦؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٢، ص٦٤.

(٦) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ١٥٧؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج5، ص١٠٥.

(٧) مرداد ابو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٤٤؛ عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص١٢٦.

(٨) مرداد أبو الخير: نشر النور، ص٢٩٤؛ غازي: نثر الدرر، ق٤٨؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٢٠٨.

وهو في مناقب أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي ا عنهما، وله أيضاً: "سواد العينين في شرف النسبين"، و "المقاصد الفخرية في بعض مناقب السيدة خديجة الكبرى"، و"إتحاف السعداء بمناقب سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب"، و"إتحاف الحلفاء في مناقب أول الخلفاء"، و "مناقب عثمان بن عفان"، و"الأنفاس القدسية في بعض المناقب الحضرة العباسية"، وهي في مناقب عبد ا بن عباس[1]، **وليحيى بن محمد مؤذن (ت١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م)** "مناقب السيدة آمنة" و"مناقب السيدة خديجة الكبرى رضي ا عنها"، و"مناقب عمر بن الخطاب رضي ا عنه"[2]، كما صنف في مناقب الصحابة **جمال بن عبد ا بن شيخ عمر** (ت١٢٨٤هـ/١٨٦٧م) له: "مناقب السادة البدريين"، و"مناقب سيدنا عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق"، و"مناقب سيدنا خالد بن الوليد"[3]، **ولأحمد بن زيني دحلان (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) "الفتح** المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين"[4]، و"فضائل السادة البدرية" في مناقب أهل بدر، رتبه على ثلاثة أبواب وخاتمة الباب الأول في ذكر شيء من فضل الصحابة عموما، وأهل بدر خصوصاً، والباب الثاني في ذكر غزوة بدر ، والباب الثالث في ذكر شهدائها، والخاتمة في ذكر أدعية يدعى بها عند الختام[5]، **ولأحمد الحضراوي** (ت١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) "مناقب السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق"[6].

**- كتب التراجم:**

اعتنى المؤرخون المكيون بكتب **التراجم والطبقات** وأولوها جانباً كبيراً من اهتمامهم، واجتهدوا في هذا الفرع من فروع التاريخ اجتهاداً طيباً في الترجمة والتعريف لأهل الحجاز السابقين والمعاصرين لفترة البحث، فقد ترجموا للخلفاء

---

(١) الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٤٠٦، ٤٠٨

(٢) غازي: نظم الدرر، ق١٥٣؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٤١٤.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ١٦٢.

(٤)غازي: نظم الدرر، ق١٥٩؛ البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص١٩١؛ الزركلي: الأعلام، ج١، ص١٧٣.

(٥) مكتبة الحرم المكي ، مخطوط رقم: ٩٥/ تراجم دهلوي، ق١ - ق٢٦.

(٦) عبد الستر الدهلوي: نثر المآثر، ق١٦.

الراشدين، وترجموا للأئمة وأصحاب المذاهب الفقهية الكبرى، أو للأعلام، كما قاموا باختصار كتب السابقين، أو ترجموا لأنفسهم أو معاصريهم، كما تنوعت مؤلفاتهم بالنسبة لهذه الكتب، فمنها ما هو مخصص لتراجم طبقات مذهبية أو أسر معينة، أو كتب في ترجمة الشخصية الذاتية للمؤلف نفسه، أو تراجم شيوخ المؤلف.

وكان عرضهم لمؤلفاتهم في التراجم يختلف باختلاف منهجية المؤلف فبعضهم رتبها على حسب ترتيب الحروف الهجائية، وبعضهم رتبها على نظام الحوليات بداية بأقدم تاريخ الوفاة، كما شملت تراجمهم؛ ذكر بعض الأخبار السياسية والاجتماعية والاقتصادية المصاحبة للمترجم له مما كان تراثاً ثرياً لفهم طبيعة الحياة العامة للعصر المصاحب للمترجم له.

كما تمتاز التراجم التي أوردها بعض مؤرخي مكة في فترة البحث بالشمولية حيث يعرضون جميع المعلومات المتعلقة بالمترجم له، فيذكرون اسمه وكنيته ولقبه ونسبه ومذهبه، وولادته ونشأته ودراسته ورحلاته وإجازاته وشيوخه وتلاميذه والوظائف التي تولاها، ومؤلفاته وغير ذلك .

**وممن صنف في مناقبه أو مناقب أحد الشخصيات من فضلاء العصر من علماء وشعراء وولاة وغيرهم: حسن العجيمي**(ت١١٣١هـ/١٧١٨م) له: "إسبال الستر الجميل على ترجمة العبد الذليل حسن عجيمي"[(١)]، **ولمحمد القلعي** (ت١١٤٩هـ/١٧٣٦م)،"مناقب الإمام مسلم"[(٢)]، **ولأبي بكر زرعة** (ت١٢٦٢هـ/١٨٤٥م) "**مناقب** شيخه عمر بن عبد رب الرسول"[(٣)]، **ولحسين شمة** رسالة تتعلق "**بتاريخ** الشريف عبد المطلب" **ألفها** عام (١٢٧٢هـ/١٨٥٥م)[(٤)] **، ولجمال بن شيخ**

---

(١) حسن عجيمي: إسبال الستر الجميل ، ق ٢ـ ٦. وانظر: بندر بن محمد رشيد الهمزاني: المنهج التاريخي لمؤرخي مكة المكرمة في القرن الحادي عشر الهجري، (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص٤١٧، ٤١٨.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٤٨، وتوجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة الحرم المكي، رقم : ٣٨٠٨.

(٣) مرداد أبو الخير:نشر النور والزهر، ص٦٣ـ ٦٥؛ الهيلة:التاريخ والمؤرخون بمكة، ص ٤٢٣

(٤) حسين بن أحمد شمة: رسالة تعلق بتاريخ الشريف عبد المطلب ، ق١.

**عمر** (ت١٢٨٤هـ/١٨٦٧م) "المنهج الأعدل في بعض مناقب السيد علي الأهدل"[١] **ولأبي بكر شطا** (ت١٣١٠هـ/١٨٩٢م) "نفحة الرحمن في بعض مناقب السيد أحمد بن زيني دحلان"[٢]، **ولأحمد الخطيب** (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) **"القول** التحيف في ترجمة تاريخ حياة أحمد الخطيب بن عبد اللطيف"[٣]، **ولعبد الحميد قدس** (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) **"مواهب** المعيد المنشي في مآثر السيد حسين الحبشي"[٤]، وله أيضاً: "حاشية كنز العطا في ترجمة العلامة السيد بكري شطا"[٥]، **ولعبد الستار الدهلوي** (ت١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)، **"بهجة** النفوس في مناقب السيد عبد ا عيدروس بافقيه"[٦]، وترجمة لشيخه "محمد أبي النصر" وضعها عام (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)[٧].

**وأما التراجم العامة،** وهي التي تحوي عشرات أو مئات التراجم، فكانت متناثرة في تراجم فئات خاصة كالعلماء أو الولاة أو الشعراء.

**وممن تصدى من المكيين في التصنيف في التراجم العامة:** حسن عجيمي (ت١١٣١هـ/١٧١٨م) **له "خبايا الزوايا"** وهو مصنف في التراجم والطبقات مرتب على حروف المعجم لعلماء ومشايخ عاشوا في الزوايا الموجودة بمكة ودرس على أيديهم وأخذ عنهم، ويذكر عن الزوايا موقعها وحالتها في عهده وسبب تسميتها وتراجم مؤسسيها ومن نزل بها قبل عهده[٨].

ولخطيب وإمام المسجد الحرام **عبد الوهاب الهادي بن محمد صالح الطاهر الشافعي المكي** (ت١١٣٨هـ/١٧٢٤م): **"الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر"**

---

(١) الحضرواي: نزهة الفكر، ج٤، ق٤٠١.

(٢) عبد الوهاب أبو سلميان : فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة،ص٤٨١.

(٣) الخطيب: القول التحيف، ق١، ٢٤.

(٤) مخطوط بمكتبة مكة المكرمة، رقم : ٨٤/ تاريخ، ق١ـ ١١.

(٥) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٣٧، وقد وقفت على رسالة بمكتبة الحرم المكي باسم : (رسالة في تراجم علماء مكة) لعبد الحميد قدس، تحت رقم ٧٢ تاريخ، وتقع في ٣٦ صفحة، وبعد تصويرها تبين لي أنها ليست لعبد الحميد قدس ، وأنها في تراجم دمشقيين وليس لعلماء مكة.

(٦) مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم: ٢٥٦٣. ق١ـ ١١.

(٧) مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم: ٨٨/٢٥٤٢ـ تراجم، ق١.

(٨) حسن عجيمي: خبايا الزوايا، ق ١٦، ٢٠، ٢٢، ٥٩ـ ٩١.

ذكر المؤلف في مقدمته سبب تأليفه فقال: (سنح لي أن أجمع تاريخا ليكون تذكرة لأولي الأبصار وعبرة لأولي الاعتبار فابتداؤه على طريق الإجمال ممن تولى من الخلفاء والملوك والسلاطين ناقلاً مستمداً من تاريخ مولانا الإمام محمد بن علي بن فضل الطبري الحسيني إمام المقام الإبراهيمي ومن غيره من التواريخ .. وأما ما كان مفصلاً فمن دولة مولانا الشريف زيد ومن بعد فبالمشاهدة .. وسميته الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر)[1].

كما ساهم **بدر الدين بن عطاء ا خوج الحنفي المكي** (ت١١٧٥هـ/ ١٧٦٢م)، في التصنيف لتاريخ فضلاء مكة، فكان له: "زهر الخمائل في ذكر من في الحرمين من أهل الفضائل"[2] .

**ولأحمد القطان** (من علماء القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي) كتاب: "**تنزيل** الرحمات على من مات"، مكون من جزأين، يبدأ الجزء الأول بذكر آدم عليه السلام ثم خلافة ابنه شيث من بعده، إلى أخر ذلك حتى خلافة سيد البشر محمد ﷺ ونسبه الشريف وغزواته إلى وفاته، ثم ذكر الخلفاء الراشدين ومن بعدهم ثم ذكر وفيات الأشخاص على السنوات، وقد أضيفت أكثر التراجم بتكملة لها، بعض هذه الإضافات منقولة من وفيات الأعيان لابن خلكان وبعضها من تاريخ ابن فهد وبعضها غير منسوبة لأحد، وينتهي بذكر من توفي في آخر القرن السادس الهجري، أما الجزء الثاني فيبدأ من وفيات أول القرن السابع، وينتهي بذكر من توفي في سنة (١١٧٩هـ/١٧٦٥م) وطرف من أخبارهم[3]، وقد ذكر ناسخ الكتاب عبد الستار دهلوي أن القطان توقف عن ذكر تراجم وفياته حتى هذا العام، وأن بعض الأفاضل قام بالتذييل على الكتاب حتى نهاية عام (١٢٠٠هـ/١٧٨٥م)

---

(١) مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم:٣١ ، تاريخ دهلوي، ق١.

(٢) ولد بمكة ونشا بها، وحفظ مجموعة من المتون، لازم جماعة من علماء عصره وأخذ عنهم أمثال الشيخ عبد ا البصري والشيخ محمد النخلي والشيخ تاج الدين القلعي وغيرهم، وأجازوه بمروياتهم، فشرع يدرس ويفيد الطلبة حتى توفي بمكة عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢١٠؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص١٤.

(٣) القطان: تنزيل الرحمات ج٢، ق٢٩١.

ونهج نهج القطان في ذكر الوفيات وطرفاً من أخبارهم، وقد دون الدهلوي في أخر المخطوط ذلك وقال: (هذا آخر القرن الثاني عشر من الهجرة النبوية وبه تم ما وجدته بخط بعض أفاضل العلم ذيل به على كتاب الأصل المسمى **تنزيل الرحمات على من مات** للعلامة المرحوم الشيخ أحمد القطان من رجال أفاضل القرن الثالث عشر من الهجرة النبوية على هاجرها ألف ألف صلاة وتم ذلك يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى الآخرة من العام الواحد والأربعين والثلاثمائة وألف هـ والحمد رب العالمين)[١].

**ولمحمد بن حميد الحنبلي المكي** (ت١٢٩٥هـ/١٨٧٨م) "السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة"[٢]، وله "النعت الأكمل بتراجم أصحاب أحمد بن حنبل" و"مختصر بغية الوعاة للسيوطي"[٣]، **ولأحمد زيني دحلان (**ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) كتاب "طبقات العلماء"[٤]، وله أيضاً "ذكر شيء من نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي"[5]، **ولأحمد الحضراوي** (ت١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م)، "نزهة الفكر في تراجم أفاضل رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر"، وهو عبارة عن تراجم علماء وأمراء كان لهم ذكر في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين وهم من شيوخ المؤلف وأصدقائه ومن عاصرهم من فضلاء وعلماء، من شتى بقاع العالم الإسلامي، وهو مرتب على حروف المعجم، وقد تنوعت مصادر المؤلف منها كتاب تاريخ الجبرتي عجائب الآثار، وخلاصة الأثر للمحبي، وغير ذلك من كتب إضافة إلى مقابلاته الخاصة ولقاءاته وزياراته وسفرياته والتي التقى من خلالها بعدد ممن ترجم لهم، والرسائل المتبادلة بينه وبينهم.

---

(١) المصدر السابق، ج٢، ق٣١١؛ والتتمة تبدأ من ق ٢٩١ من نفس الجزء.

(٢) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٤٢٥.

(٣) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص٥١٩ـ ٥٢٠ ؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٤٢١.

(٤) غازي : نظم الدرر ، ق١٥٩ ؛ الزركلي: الأعلام، ج١، ص١٧٣

(٥) عبد الوهاب أبو سليمان: فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص٤٦٤. ونزهة الحادي مصنَف لمحمد بن عبد ا المراكشي الإفراني. انظر: الزركلي: الأعلام، ج١، ص١٢٩.

**وبين الحضراوي سبب تأليفه لهذا الكتاب وهو** هو إحياء لذكرى هؤلاء الأعلام ونيل الأجر من ا ، ولأنه لم يسبقه أحد من العلماء في الكتابة عن تراجم لرجال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري[١].

كما **للحضراوي** كتب أخرى في التراجم منها: "جواهر الانتخاب وفرائد الاكتساب في مختصر كتاب الاستيعاب لابن عبد البر"[٢]. و"مختصر حسن الصفا والابتهاج فيمن تولى إمارة الحج للرشيدي"، وله أيضاً "الاختيارات البديعة في معرفة بعض سراة حفاظ الشريعة[٣].

**ولجعفر اللبني** (ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م) "تاريخ عوائل مكة"[٤]. ولعله هو نفسه كتاب: "**الحديث** شجون شرح الرسالة الجدية لابن زيدون"، والذي بدأه بنبذه عن تعريف الأدب، والطرق المؤدية من مكة إلى الطائف، وأهمية علم التاريخ، ومنصب نقيب السادة، ثم تناول الحديث عن تاريخ بيوت مكة القديمة كبيت بني ظهيرة والطبري والمرشدي ، ثم عرج على سرد البيوت الموجودة في زمنه كبيت الشيبي والعجيمي ونبذة عن ولاة مكة، وقد تخال الحديث عن هذه الأسر معلومات قيمة عن مكة. وقد اعتمد في تراجمه للبيوت القديمة على من سبقه من المؤرخين كالطبري وابن ظهيرة، أما تراجمه للأسر التي عاصرها؛ فبناها على مشاهداته ومعرفته لها، ثم قام بعد ذلك بشرح رسالة ابن زيدون، وكتب متنها بآخر المخطوط[5].

**ولعبد ا مرداد أبو الخير** (ت١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) كتاب: "نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة"[٦]، من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر

---

(١) أحمد الحضراوي: نزهة الفكر، ج١، ص٢٨.

(٢) عبد الوهاب أبو سليمان : فهرس مخطوطات مكتبة مكة، ص٤٦٢.

(٣) المرجع السابق، ص٤55.

(٤) عبد الستار دهلوي: تحفة الأحباب في بيان اتصال الأنساب، ق٨٨.

(5) جعفراللبني: الحديث شجون، ق٢٢١.

(٦) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١؛ ولقد عني بتبويبه وتحقيقه واختصاره كلاً من محمد سعيد العامودي وأحمد علي، والمتداول هو المختصر أما الأصل فلا يزال مخطوطاً بمكتبة الشيخ عبد الوهاب دهلوي، انظر: أبو بكر أحمد باقادر: علماء الحرم الشريف: نشر النور والزهر نموذجاً، (بحث ضمن بحوث كتاب مكة عاصمة الثقافة: وزارة الحج بالمملكة: الندوى الكبرى لعام ١٤٢٣هـ)، ص ٣٩١.

الهجري، ترجم فيه لـ(٦٠٥) علم من أعلام مكة من بينهم (٣٠) امرأة، وقد استقى مادة مصنفه العلمية من المصادر التي سبقته أو القريبة العهد به كخلاصة الأثر والسلافة للمحبي، وسلك الدرر للمرادي، وتاريخ الجبرتي، وتنزيل الرحمات للقطان، وإتحاف الفضلاء للطبري، وغير ذلك كثير، مما أشار إليها، أما تراجم أعلام مكة الذين عاصرهم أو كان قريب العهد منهم فبالإضافة إلى المصادر المكتوبة والتي دونت عن العلم لقرب العهد به، اعتمد أبو الخير على ما سمعه من مشايخه ومن أقارب المترجم لهم، ومن مشاهداته الشخصية خاصة أولئك الذين تتلمذ على أيديهم، فكانت معلوماته في هذا الصدد أكثر وثوقاً وإسهاباً، ويعتبر الكتاب موسوعة تاريخية إذ إنه احتوى معلومات علمية واجتماعية قيمة عن مكة.

**ولعبد الستار الدهلوي (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)** مجموعة من كتب التراجم وإن اختلفت مسمياتها وألقابها وتعدادها وتفرعاتها إلا أنها اعتمدت نوعاً ما على بعضها البعض في النقول والتكرار، ومن كتبه في التراجم:

ـ "النجمة الزاهرة في أفاضل المائة العاشرة"[1].

ـ "نثر المآثر في من أدركت من الأكابر"، ترجم فيها لما يزيد على أربعين ترجمة من العلماء الذين أخذ عنهم، وكان منهجه في ترتيب التراجم: أن بدأ بمشايخه من أهل مكة، ثم مشايخه من المدينة المنورة، ثم مشايخه من أهل الطائف، ثم مشايخه الذين قرأ عليهم بمكة وليسوا من أهلها، وقد تناول في كل ترجمة العلم ومؤلفاته ما حصله عنه من علوم وإجازات[2].

ـ "**أزهار** البستان في طبقات الأعيان" أو "الأزهار الطيبة النشر في ذكر الأعيان من كل عصر" ترجم فيه لعدد كبير من علماء العالم الإسلامي، وهو في جزأين، مفقود الأول أما الثاني فهو موجود في مجلد واحد يشتمل على تراجم أعيان العصور مرتب على طبقات، وكل طبقة مائة سنة، بدأه من الطبقة السابعة فيمن توفي بين الستمائة إلى السبعمائة بترجمة محب الدين أحمد بن عبد ا الطبري

---

(١) غازي: نثر الدرر، ص٤٠؛ الفاداني: قرة العين في أسانيد شيوخي من أعلام الحرمين، ج٢، ص٣١٣.

(٢) الدهلوي: نثر المآثر في من أدركت من الأكابرب، (مخطوط بمكتبة الحرم، رقم : ٨١٠).

(ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م)، وينتهي بالطبقة الرابعة عشر إلى عهد المؤلف، وفي نهاية بعض الطبقات ملاحق بتراجم أشخاص آخرين كما توجد في نهاية المجلد ملاحق آخرين للطبقة الثانية عشر وغيرها، اعتمد في جمع مادته على عدد من كتب التراجم ففي كل طبقة اعتمد النقل من كتب التراجم التي كتبت هذه الطبقة، فنقل من السخاوي الضوء اللامع وابن ظهيرة وابن فهد، على تراجم القرن التاسع والعاشر، وفي القرن الحادي عشر والثاني عشر اعتمد عل خلاصة الأثر، وذيل الريحانة للمحبي، وزهر الخمائل للخوج، وفوائد الارتحال للحموي، وإنباء البرية للطبري، وخبايا الزوايا، وسلك الدرر، وعنوان المجد، والسحب الوابلة، وتنزيل الرحمات للقطان، وذلك للتراجم التي سبقت عصره، أما من مات في عهده وترجم لهم خاصة (كتراجم الطبقة الثالثة عشر والرابعة عشر)، فهو يضرب الصفح عن ذكر مصادره إلا ما ندر[١]. ولأن الكتاب اسمه أزهار البستان، لذا جاءت تراجمه مختصرة نوعاً ما كانتقاء الأزهار من البساتين، فكانت بين ثلاثة أسطر إلى ستة في الأغلب الأعم، يبدأها باسم العلم ومذهبه، ومولده ونشأته وشيوخه ومؤلفاته وفاته، وقد تطول هذه الترجمة أو تقصر حسب أهمية المترجم عند المصنف[٢].

- "السلسلة الذهبية في الشجرة الشيبية الحجبية"، ضمنه تاريخ الشيبيين سدنة الكعبة المشرفة، سلسل أنسابهم في مشجر من قبل الإسلام إلى عهد المؤلف، ونبذة في فضل الكعبة، ومسائل فقهية وفوائد تتعلق بمكة والحرم[٣].

- "**سرد** النقول في تراجم الفحول"، والمسمى :"بهجة أهل الإسلام في تراجم المشايخ الأعلام"، والملقب بـ : "الفيض المديد في تراجم أهل التوحيد" [٤].

---

(١) عبد الستار دهلوي: أزهار البستان، (مخطوط بمكتبة الحرم ، رقم: ٢٤٢٦)، ج٢، ق٨٠، ٨٢، ٢٥٦، ٣٤٧ .

(٢) المصدر السابق، ج٢، ق٣٣٤، ٣٣٩..

(٣) مكتبة الحرم المكي ، مخطوط رقم: ١٧/ تاريخ دهلوي.

(٤) عبد الستار دهلوي: سرد النقول في تراجم الفحول، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف، رقم: ٨٥/ تراجم دهلوي ، ق١؛ والظاهر أنه سماه بهذه الأسماء كلها، فكلها مكتوبة على الغلاف.

قال المؤلف عن سبب تأليفه: (أما بعد فهذه فوائد تاريخية وغيرها، جمعها ... أبو الفيض عبد الستار بن عبد الوهاب الصديقي الحنفي ..رجاء النفع به لإخواني المسلمين من كتب عديدة .... لكي يدعوا إلي بصالح الدعاء لي ولمشايخي، ولمن كان سبباً في جمعه، ولمن أعانني في ذلك، .... ولم أزل حين ترعرعت من الصبا إلى الشباب، متشوقا إلى إدراك أخبار العلماء الأنجاب ، وكم طالعت فيه من كتب الطبقات وأسفار حوادث السنين الماضية إلى أن حصل عندي من ذلك الحظ الأوفر فأردت أن أجمع ذلك..، وسميته سرد النقول في تراجم الفحول .. )[1].

والنسخة عبارة عن مسودات كتبها المؤلف على أوراق مختلفة بعضها ممزقة، وهي جزأين في مجلدين الجزء الأول انتهى منه بمكة في سنة (١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م)، أما الجزء الثاني فقد جعله مختصراً في طبقات علماء الحنفية، وسماه "**شذرة من ذهب في علماء المذهب**" وقد رتبه على حروف الهجاء مبتدأ بترجمة: إبراهيم بن أحمد بن عقبة القاضي الحنفي، وينتهي بترجمة يونس بن القاسم، ويتلوه ترجمة من عرف بالكينة والأنساب والألقاب، ومن عرف بابن فلان وأسماء النساء، وينتهي المجلد بترجمة زينب بنت عثمان بن محمد الدمشقية ثم زينب المرية، وقد قام بتحريره في مدينة الطائف عام (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م).

واعتمد المؤلف على عدد من كتب طبقات الحنفية في جمع مادة كتابه ذكرها في آخر المخطوط منها: طبقات الإمام اللغوي مجد الدين الفيروزآبادي صاحب القاموس المسمى بالمرقاة الوفية في طبقات الحنفية، ومختصر طبقات الشيخ عبد القادر التميمي المسمى بالدرر السنية في طبقات الحنفية، وطبقات العلامة قاسم بن قطلوبغا الحنفي وغيرها[2].

---

(١) المصدر السابق، ج١، ق١.

(٢) نفسه، ج٢، ق ٧٥، ١٨٧، ٢٠٧ .

ـ "فيض الملك المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي"، جمع فيه المؤلف تراجم العلماء والأمراء وغيرهم من الرجال والنساء من أوائل القرن الثالث عشر الهجري حتى عهده[١].

والظاهر أن الكتاب مسودة، حيث زاد إلى بعض التراجم إضافات، وحذف من بعضها، مرتبة على حروف الهجاء، ترتيب غير منظم، فهو يجمع تراجم حرف الألف دون ترتيب بينها بالنسبة للحرف التالي، وجعل الكتاب في ثلاثة أجزاء ، فرغ منه في سنة (١٣١٩هـ/١٩٠١م)[٢].

والدهلوي يكتب بأسلوب سلس إلا أن الكتاب من حيث كونه مسودة، قد شابهه الكثير من العبارات غير المحكمة، وهو خال نسبياً من عبارات التسجيع والتكلف، ويميزه أنه أكثر من عبارات التفخيم والثناء للمترجم لهم، ولا سيما مشايخه، وممن أخذ عنهم. كما يوجد بالكتاب بياضاً بين التراجم، حيث بيض الدهلوي لبعض التراجم، التي لم يتح له كتابتها وقت تأليفه، وربما ترجم باسم العلم الذي يود ترجمته فقط ولا يزيد، والظاهر أنه كان ينوي أن يعود إليه ليملأه[٣]، ويؤكد ذلك أن مقدمة الكتاب سود لها ما يقل عن نصف صفحة وترك سائرها بياضاً[٤].

والمخطوط مكتوب بأحجام مختلفة من الخط من كبير أو صغير، وعليه كثير من الحواشي والتعليقات له، وكذلك اللّحق الكثير، ويستفيض في تراجم شيوخه وما حمله عنهم من العلم والإجازات.

ولعبد ا بن محمد غازي (**١٣٦٥هـ**/١٩٤٦م) "نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر"، حيث قام بترتيب وتهذيب واختصار كتاب نشر النور لأبي الخير مرداد، ومن ثم قام

---

(١) عبد الستار دهلوي: **فيض الملك المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي**،ج١،ق١.

(٢) المصدر السابق، ج٣، ق١٤١.

(٣) نفسه، ج١، ٣٨، ١٧٩.

(٤) انظر الملحق ، ٣/ح.

بجمع التراجم ورتبها على حسب حروف المعجم وحذف الأشعار والمدائح [1]، وله أيضاً: "نثر الدرر بتذييل نظم الدرر"[2]، وقد ذكر في مقدمة كتابه الأسباب التي دفعته لكتابته حيث قال: (إني لما فرغت من اختصار كتاب نشر النور أردت أن أجمع ما تيسر لي من تراجم علماء القرن الثالث عشر والرابع عشر الذين لم يذكرهم مؤلف النشر، فيكون ذلك تذييلاً وتكميلاً للكتاب المذكور، وسميته نثر الدرر في تذييل نظم الدرر، وا  الموفق، وجعلت ذلك في بابين الباب الأول في تراجم علماء القرن الثالث عشر والباب الثاني في تراجم علماء القرن الرابع عشر)[3].

**ـ التاريخ العام:**

اهتم المؤرخون المكيون بالتأليف في موضوعات **التاريخ العام** ابتداء من بدأ الخليقة إلى عصر الرسول عليه الصلاة السلام والخلفاء الراشدين وما تلاه من العصور الأخرى.

**وممن صنف فيه من المكيين: محمد بن عقيلة** (ت١١٥٠هـ/١٧٣٧م) له: "لسان الزمان في أخبار سيد العربان وأخبار أمته من الإنس والجان"، وهو تاريخ مرتب على السنين وصل فيه إلى عام (١١٢٣هـ/١٧١١م)[4]، وله أيضاً: "**نسخة الوجود** في الأخبار عن حال الموجود"، وهو تاريخ حولي رتبه على حوادث السنين من ابتداء العالم إلى سنة (١١٢٣هـ/١٧١١م)[5]، استعرض فيه تاريخ الرسل والأنبياء والملوك والخلفاء والسلاطين والعلماء، يقول في مقدمته: (هذا كتاب أسلوبه

---

(١) غازي: نظم الدرر، ق٣.

(٢) عبد الجبار: سير وتراجم، ص٢٠٢؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٣٧٨.

(٣) الغازي: نثر الدرر ، ق٢.

(٤) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢٣٦؛ الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص٦٠٧ ـ ٦٠٨.

(٥) مخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم: ٨٢/ تاريخ، وفي اعتقادنا أن كتاب "نسخة الوجود" هو نفسه كتاب "لسان الزمان"، إذ أن كلاهما يتناول نفس الموضوع التاريخي، كما أن الحوادث فيهما مرتبة على السنين وتنتهي بعام (١١٢٣هـ)، وإن كان الحبيب الهيلة اعتبرهما كتابين مختلفين، انظر: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٣٩٥.

عجيب وشكله غريب يخبر عن أمر العالم من المبدأ إلى المعاد، وينبئ عن الموجودات من حين الإيجاد سميته نسخة الوجود في الأخبار عن حال الموجود)[1].

كما وضع **محمد بن علي الطبري** (ت١١٧٣هـ/١٧٥٩م)، تاريخاً أسماه **"البدور** المتمة في خلفاء الأمة"، وهي رسالة صغيرة عرض فيها بإيجاز شديد أخبار صدر الإسلام وخلافة الراشدين وخلافة الحسن وخلفاء الدول الأموية والعباسية والفاطمية وسلاطين العثمانيين، وأشار في آخره إلى مؤلفه الإتحاف إذ يقول: (من أراد التشفي من هذا المبحث فعلية بمؤلفنا إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاة بني الحسن)[2].

**ولأحمد بن زيني دحلان (**ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) "الفتوحات الإسلامية"، و"الجداول المرضية في تاريخ الدولة الإسلامية"، و"فتح الأندلس الخصيب الملخّص من نفح الطيب"[3].

**ولعبد الوهاب عبد الجبار دهلوي المكي،** كان حياً عام (١٣١٧هـ/١٨٩٩م) "زبدة التواريخ"[4]، وقد أوقفه على مكتبة الشيخ عبد الستار، يقول في مقدمته: (ولما كانت الكتب مطولة فالتقطت منه مهمات لطيفة ووقائع منيفة مبوبة مفصلة مختصرة مجملة وأضفت إليها ما حصلت من غير ذلك الكتاب وا الموفق للصواب ..)[5].

ومن الواضح أنه استفاد من مكتبته، خاصة فيما يتعلق بالتاريخ، ثم وجد في نفسه أنه من الممكن أن يختصر الكتب المطولة ويأتي بالزبدة المختصرة لذا راح يترك العنان لقلمه ليسطر هذه الزبدة في ثلاث وثلاثين ورقة وسماها "**زبدة التواريخ**".

---

(١) مخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم / ٨٢ تاريخ، ق١.

(٢) الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص ٤٠٣.

(٣) عبد الوهاب أبو سلميان: فهرس مخطوطات مكتبة مكة ، ص٤٧٢.

(٤) المعلمي: أعلام المكيين، ج١، ص٤٤١.

(٥) عبد الوهاب عبد الجبار دهلوي: زبدة التواريخ، (مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف، رقم : ٢٣٩٨)، ق١.

**ولأحمد الحضراوي** (ت١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) في التاريخ "**نزهة** الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر من أوائل الموجودات إلى أواخر القرن الثالث عشر"، أو "تاج تواريخ البشر من ابتداء الدنيا إلى أواخر القرن الثالث عشر"، في خمس أجزاء الثلاثة الأولى في التاريخ، والرابع والخامس في التراجم[(١)]، وقد فقد من الكتاب جزأن الأول في التاريخ، والخامس في التراجم. وقد حقق الجزء الرابع في التراجم، بينما الجزء الثاني والثالث في التاريخ مازالا مخطوطتين، وينتهج الحضراوي في كتابه منهج الحوليات في عرض الأحداث على السنين.

**كما كان للمؤرخين المكيين اهتمام بالأنساب والتصنيف فيها، فمن ذلك:** **إسحاق بن عقيل بن عمر السقاف** (ت١٢٧١هـ/١٨٥٤م) له: "تعطير الكون في التعريف بذوي عون"[(٢)]، **ولعلوي بن أحمد السقاف** (ت١٣٣٥هـ/ ١٩١٦) "**أنساب** أهل البيت"[(٣)]، **ولعبد الستار الدهلوي (**ت١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) "**مقدمة** في النسب"[(٤)] و"**تحفة** الأحباب في بيان اتصال الأنساب"[(٥)]، ضمنه أنساب بعض العرب قديما واتصالاتهم بالعرب حديثا، ورتبها على مقدمة وبابين وخاتمة، فالمقدمة في حدود جزيرة العرب، والباب الأول في ذكر أصول العرب وطبقاتهم ، والباب الثاني في ذكر مذاهب العرب في الجاهلية وأديانهم ، والخاتمة في معرفة قبائل حرب، وجعل للخاتمة **تتمة** في ذكر البيوت المعروفة والعائلات المشهورة من سكان البلد الحرام، ومكة ، وسمى المؤلف هذه التتمة بـ"**مائدة** الفضل والكرم الجامعة لتراجم أهل الحرم"[(٦)].

---

(١) مخطوط بمكتبة مكة المكرمة، تحت رقم ١٢٢، ١٢٣، وانظر صورة الغلاف في الملحق ، ٣/ز.

(٢) السباعي: تاريخ مكة، ص٥٣٢؛ ؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٤١٨.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٤٣؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٦، ص٢٩٥.

(٤) غازي: نثر الدرر، ق٤٠، وتوجد المخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم :٢٨٧٦.

(٥) عمر عبد الجبار:سير وتراجم،ص١٩٦؛ الفاداني:قرة العين في أسانيد شيوخي من أعلام الحرمين،ج٢،ص٣١٣، والمخطوط يوجد بمكتبة الحرم المكي، تحت رقم: ١١٥/دهلوي.

(٦) مكتبة الحرم المكي، مخطوط رقم: ١١٥/ دهلوي؛ والمخطوط ٢١٤ ورقة إلا أنه مسودة للمؤلف لم يتمها يوجد بين أوراقها فراغ كبير.

*** الجغرافيا والرحلات:**

لقد اختلطت كتب التواريخ بالجغرافيا[1]، ولا سيما ما يتعلق بالبلاد الحرام، فجملة الكتب التي أرخت لمكة ذكرت تفاصيلها الجغرافيا، من جبالها وسهولها، وهضابها ومياهها، بل وذكرت الكثير عن جغرافيتها البشرية، وأجناس سكانها، وما إلى ذلك، كما اهتم المكيون بتاريخ المدن الإسلامية المقدسة ولا سيما المدينة والقدس، كذلك اعتنوا بتاريخ المدن التابعة للمدينتين المقدستين، كجدة والطائف.

**وممن كتب في تاريخ هذه المدن : حسن عجيمي له:** "تاريخ مكة والمدينة والطائف" ومع تصفح الكتاب لم نجد شيئاً يذكر عن الطائف وإنما كان الحديث عن بيت المقدس، ولعل الخطأ في العنوان من قبل الناسخ، ويتكون الكتاب من مقدمة وبابين وخاتمة، تناول حدود الحجاز وسبب تسميته وأهم المدن التابعة له، والباب الأول تحدث فيه عن فضل مكة والمسجد الحرام، وقد ألحق بهذا الباب خريطة توضح موقع مكة وحدودها وأبوابها، والباب الثاني تحدث فيه عن المدينة المنورة، وفي خاتمة كتابه تحدث عن **القدس الشريف** وما يتعلق به[2].

وله أيضاً: **"إهداء اللطائف من أخبار الطائف"،** وهو تاريخ لمدينة الطائف من الجوانب الحضارية والدينية، فلم يتطرق العجيمي للجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية [3]، **ولأحمد الحضراوي** (ت١٣٢٧هـ/١٩٠٩م): "الخطط المكية" قام بجمعه عام (١٣١٩هـ / ١٩٠١م) فصل فيه جغرافية مكة في مجلدين كبيرين[4]، وله في تاريخ جدة: "الجواهر المعدة في فضائل جدة وتاريخها" رتبها على مقدمة

---

(١) **الجغرافيا:** لفظة يونانية تعني صورة الأرض، وهو علم يتعرف منه أحوال الأقاليم وأطوالها ومدنها وجبالها وبحارها وأنهارها وما يختلف من حال السكان وأنشطتهم ، طاشكبرى زادة: مفتاح السعادة، ج١، ص٣٦١.

(٢) حسن عجيمي : تاريخ مكة والمدينة والطائف، (مخطوط بجامعة الملك سعود، رقم: ١/٤٣)، ق١ـ ٣٢؛ بندر الهمزاني: المنهج التاريخي لمؤرخي مكة، ص١٠٥ـ ١٠٩

(٣) حسن عجيمي: إهداء اللطائف من أخبار الطائف، تحقيق: يحيى محمود بن جنيد الساعاتي، (ط٢، بيروت، دار ثقيف للنشر: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٥٩ـ ٩٤.

(٤) وقد ذكرعبد الوعاب الدهلوي أن الكتاب كان موجوداً لدى أسرةالعجيمي ثم أن الورثة فرطوا فيه وباعوه. انظر: (مجلة المنهل ، رمضان عام ١٣٦٦هـ )، ص٤٠١.

وفصلين وخاتمة، شملت المقدمة أسباب إنشاء جدة وضبط أسمائها ، والفصل الأول: في فضائلها والمرابطة والمجاورة بها، وأما الفصل الثاني فتناول مآثرها وما فيها من السكان، وشملت الخاتمة بعض الحكايات التي وقعت بها، جمع في آخرها أقوال في ذكر جدة من عدة مصادر منها رحلة ابن جبير وشرح القاموس، ومعجم البلدان[(١)] كما أن له تاريخ في الطائف سماه: "اللطائف في تاريخ الطائف"، كما صنف في فضائل مدينة الرسول كتاب: "نفحات الرضا والقبول في فضائل المدينة وزيارة الرسول"[(٢)].

**ـ كتب الرحلات:**

وهي كتب يضع مصنفوها تأريخاً لرحلاتهم في البلاد، يضمنونها مشاهداتهم، وأخبار البلاد التي نزلوها، وهي مرجع مفيد في الجغرافيا والتاريخ على حد سواء، **وممن صنف من المكيين فيها: محمد بن عقيلة** (ت١١٥٠هـ/١٧٣٧م) له: "رحله" إلى الشام والروم والعراق[(٣)]، **ولعبد ا الهندي المكي** (ت١٢٦٠هـ/١٨٤٤م) المدرس بالحرم الشريف، رحلة كتبها في بلاد الهند حين سافر إليها سنة (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م) وأقام فيها مدة، سماها "الصارم البتار في رحلة سالار"، ذكر فيها ما شاهده من الغرائب في سياحته، ومن اجتمع بهم من الأفاضل[(٤)]. **ولأحمد الحضراوي**(ت١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) "رحلة" في سياحته الشام والقدس واسطانبول وساحل السودان[(٥)].

**وبعرض مؤلفات المكيين في التاريخ والجغرافيا نجد ما يلي:**

ـ على الرغم من كثرة مصنفات المكيين في التاريخ، إلا أن هذه المصنفات بقيت حاوية على فجوات وثغرات مجهولة خاصة ما يتعلق بتاريخ مكة العلمي

---

(١) مكتبة الحرم المكي ، مخطوط رقم: ٢٧/ تاريخ دهلوي، ق٣٦.

(٢) غازي: نثر الدرر، ق٥٥؛ وقد طبع الكتاب عدة مرات أولها عام ١٢٧٨هـ وكانت على هامش العقد الثمين للمؤلف، ثم طبع بالمطبعة العثمانية بالقاهرة عام ١٣٠٣هـ، وفي عام ١٣١٤هـ طبع بالمطبعة الأميرية بمكة.

(٣) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٢٣٦؛ المرادي: سلك الدرر، ج٣، ص٣٠.

(٤) غازي: نظم الدرر، ق١٣٥؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٢٨٨.

(٥) عبد الستار الدهلوي: نثر المأثر، ق١٦.

والحضاري، ولم يكن هذا النقص حديثاً، فقد كان معروفاً قبل فترة البحث بقرون، مما حدا بمؤرخ مكة الفاسي أن يشكو من هذا الإهمال بقوله: (وإني لأعجب من إهمال فضلاء مكة في جمع تاريخ لها على المنوال الذي جمعته، خصوصاً من الشيخ قطب الدين القسطلاني لأنه جمع شيئاً يتعلق بتاريخ اليمن ولعمري لو جمع ذلك لبلاده كان أحسن، فإن الحاجة إليه داعية وفي ذلك فوائد غير خافية)[1]، كما أن الفاسي استباح لنفسه العذر فيما كتبه من تاريخ مكة بسبب أنه لم ير مؤلفاً في تاريخ مكة يستضئ به.

ويعيد التاريخ نفسه، فنجد المؤلفات المكية فترة البحث أغفلت الكثير من هذه الجوانب، وجل اعتمادها على مصنفات السابقين، مع أن التاريخ لا يقف عند عصر، بل هو دائم التجدد والعطاء، يحتاج إلى من يسبر غوره، فيخرج الفوائد والفرائد منه.

وقد سجل بوركهارت أنه لم يجد كتباً في **تاريخ مكة فيما يباع عند باب السلام**، إذ قال: (وكان مدعاة لألمي ألا يقع بصري على أي كتاب لتاريخ مكة، رغم أن أسماء مؤلفي تواريخ مكة معروفة لدي المكيين ... ، وقد أسفت كثيراً لحاجتي الشديدة للكتب، خاصة كتب مؤرخي مكة ..)[2].

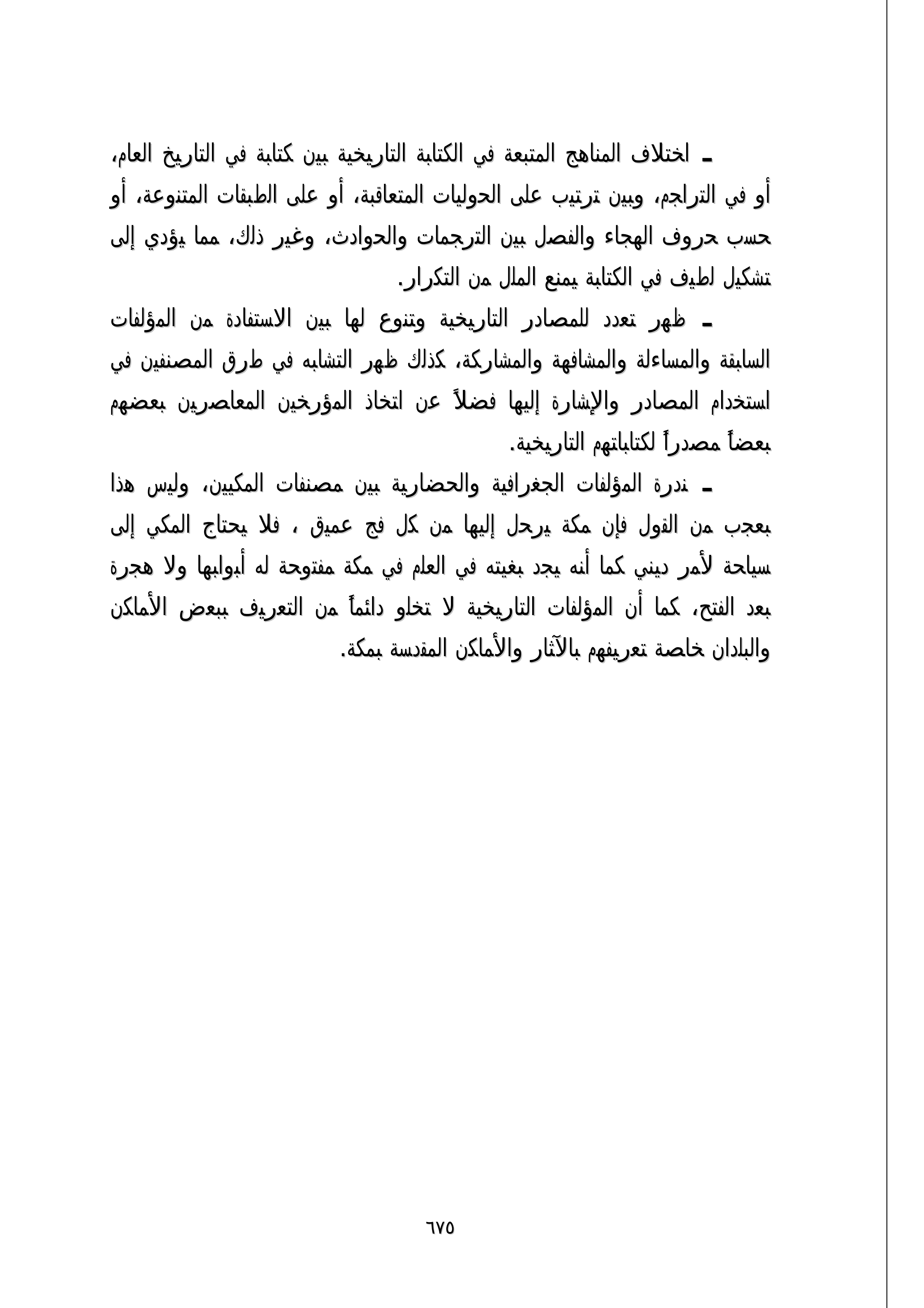
ـ معظم المؤرخين أصحاب جمع تأليفي، بمعنى أنهم لم يقصروا كتاباتهم على التاريخ فقط بل كان للكثير منهم مشاركات في كثير من العلوم فكانوا أصحاب تأليف في الحديث والفقه واللغة العربية والأدب والشعر، وغيرها.

ـ أماط البحث اللثام عن الاشتراك في ظاهرة التكرار في المؤلفات المكية في التاريخ، سواء خلال المادة الداخلية في نطاق المؤلف الواحد، أو نطاق الموضوع الواحد، أو في المؤلفات الملخصة من مؤلفات سابقة، وهذا التكرار وإن كان يضفي أحياناً بجوانب سلبية، إلا أنه حفظ في الجملة تراثاً من الضياع، ولا سيما وأن كثير من المؤلفات مفقود بعضها أو أجزاء منها، ويمكن للباحث أن يدرك هذا التكرار عند بحث الشخصية العلمية في أكثر من كتاب من كتب التراجم مثلاً.

---

(١) الفاسي: العقد الثمين، (مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج١، ص١٠ ـ ١١.

(٢) بوركهارت: رحلات في شبه جزيرة العرب، ص١٩٥ ـ ١٩٦.



ـ اختلاف المناهج المتبعة في الكتابة التاريخية بين كتابة في التاريخ العام، أو في التراجم، وبين ترتيب على الحوليات المتعاقبة، أو على الطبقات المتنوعة، أو حسب حروف الهجاء والفصل بين الترجمات والحوادث، وغير ذلك، مما يؤدي إلى تشكيل لطيف في الكتابة يمنع الملل من التكرار.

ـ ظهر تعدد للمصادر التاريخية وتنوع لها بين الاستفادة من المؤلفات السابقة والمساءلة والمشافهة والمشاركة، كذلك ظهر التشابه في طرق المصنفين في استخدام المصادر والإشارة إليها فضلاً عن اتخاذ المؤرخين المعاصرين بعضهم بعضاً مصدراً لكتاباتهم التاريخية.

ـ ندرة المؤلفات الجغرافية والحضارية بين مصنفات المكيين، وليس هذا بعجب من القول فإن مكة يرحل إليها من كل فج عميق ، فلا يحتاج المكي إلى سياحة لأمر ديني كما أنه يجد بغيته في العلم في مكة مفتوحة له أبوابها ولا هجرة بعد الفتح، كما أن المؤلفات التاريخية لا تخلو دائماً من التعريف ببعض الأماكن والبلدان خاصة تعريفهم بالآثار والأماكن المقدسة بمكة.

*** العلوم الطبيعية والرياضية:**

لم تحظ العلوم الطبيعية والرياضية والمتمثلة في الطب والكيمياء والفلك والرياضيات والهندسة والحساب باهتمام كبير من علماء مكة ، ويمكن مناقشة ذلك من خلال ما يلي:

ـ اهتمام علماء مكة بالعلوم الشرعية، وغض الطرف عن العلوم الطبيعية والرياضية، وربما يعود ذلك إلى عدم وجود تشجيع مادي ومعنوي من قبل الحكام العثمانيين؛ إذ نظرت الدولة للحرمين من حيث كونهما مدينتين مقدستين شابهها نظرة مماثلة بأن يكون العلماء معنيين بعلوم الشريعة لا غير، خلاف النظرة التي كانت ترنو بها الدولة لتركيا ومصر والشام، إذ أنشأت فيها المؤسسات التعليمية المهتمة بمثل هذه العلوم وشجعت العلماء على الخوض فيها، ولو أن الدولة فعلت ذلك مع المكيين لربما وجدت العقول المتفتحة والأذهان الوقادة والنتائج الباهرة.

ـ ونتيجة لهذا العزوف عن تلك العلوم ، صار المعروف منها بمكة يمارس كحرفة وصنعة تتوارثها الأبناء عن الآباء، أو يتعلمها محبوها من هنا وهناك، وقد لمس سنوك هذا بنفسه، فيذكر أن بمكة: (.. الطب .. حرفة وليس علماً، وقد يعمد بعض الهواة لكتاب طبي قديم إذا تطلب الموقف ذلك، أما الفلك فالريس "رئيس المؤذنين" وأيضاً فالكي المسجد، وبعض راغبي المعرفة عم الذين يعرفون التقويم وتفسير بعض الظواهر السماوية، والكيمياء القديمة هي مادة الدراسة العقيمة لمختلف فئات أهل مكة)[1].

ـ إن المصادر كانت تشير بين الفينة والأخرى إلى وجود شيء من المؤلفات في هذه العلوم، ووجود نوع من التعليم لها، ونستطيع أن نؤكد على وجود هذه الدراسات على نطاق ضيق لجملة أسباب منها: وجود علماء مارسوا هذه العلوم وألفوا فيها وإن كانوا قلة مقارنة بعلماء الشريعة ، وكثير منهم ورثوا علومهم لأبنائهم من بعدهم، ويضاف إلى ذلك حاجات الحرم المكي الشريف إلى علماء

(١) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص٤٧٨.

عارفين بالميقات لمعرفة أوقات الصلاة، أدى إلى نوع من الاشتغال بالفلك والتصنيف فيه، كما أن وجود مستشفى بمكة يحتاج إلى أطباء وصيادلة وممرضين ولا بد لهؤلاء من أن يكونوا على مستوى طبي عالي، ولا يمكن أن يخلو منهم طبيب أو ممرض مكي، كما أن هناك إشارات إلى بعض أسماء مكيين اشتهروا بأعمال البناء والهندسة أسهموا في ترميم أو إعادة بناء بعض المآثر المقدسة ، أو بناء المنازل، وتعمير العيون والآبار، والتي لم يكن ليقوم بالعمل بها إلا من كان محترفاً ماهراً حاذقاً في علوم الهندسة والرياضيات.

**ـ ومما وقف البحث عليه من علماء صنفوا في علم الطب:**

**إبراهيم بن محمد سعيد المنوفي** (ت١١٩٥هـ/١٧٨٠م)، شارك في هذا المجال بـ: "**رسالة** في علم الطب"[(١)]، كما قام **عبد ا بن عبد الشكور** (ت١٢٥٧هـ/١٨٤٠م)، بتعريب وتنقيح كتاب في الطب[(٢)]، **ولأحمد بن محمد الصباحي** (ت بعد ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م) "كتاب الفوائد العلمية لنفع البرية" ، و"حياة الحيوان في منافع الإنسان"[(٣)]، كما ألف **أبو بكر الزرعة المكي** (من أهل القرن الثالث عشر الهجري/التاسع الميلادي) رسالة فيما قيل إن **المعدة بيت الداء**[(٤)]، وعرف عن **حمد بن علي النجار** (ت١٣٤٧هـ/١٩٢٨م)، حبه لعلم الطب وكثرة مطالعته له، فقرأ الكثير من كتبه القديمة والحديثة ، ودرس الطب اليوناني **بالطائف** عن الشيخ إسماعيل نواب، ثم افتتح دكاناً لمعالجة الأهالي، له من التأليف في هذا العلم : "**الأسباب** والعلامات في الطب"، **و**"مجموعة طبية"[(5)]، **ولعبد ا بن صدقة دحلان** (ت١٣٦٣هـ/١٩٤٣م) "**خلاصة** الترياق من سموم الشقاق"[(٦)].

---

(١) الجبرتي: عجائب الأثار، ج٣، ص٥١ ؛ غازي: نظم الدرر، ق٧٤؛ البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٣٨ .

(٢) الحضرواي: نزهة الفكر، ج٤، ق ٣٧٨؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٤١٣.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٩٧.

(٤) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٣٢٩.

(5) الزركلي: الأعلام، ج١، ص١٧٧؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٢، ص٥.

(٦)غازي: نثر الدرر بتذييل نظم الدرر، ق٤٨؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٢٠٨.

**- ومن العلماء المكيين المهتمين بالفلك:**

**حسن عجيمي** (ت١١٣١هـ/١٧١٨م): له: "ثلاث رسائل في علم الفلك"[١]، **ولعبد اللطيف بن أحمد الكتبي** (ت١١٦٢هـ/١٧٤٨م) "**المنهج** الأقرب لتصحيح موضع العقرب في الحساب والهيئة"، و"منظومة في الأعداد وشرحها"[٢]، **ولعبد ا بن علي الريس،** (من أهالي القرن الثالث عشر الهجري)، "**حاشية** على رسالة المارديني في الربع المجيب"[٣] **ولمحمد ياسين ميرغني** (ت١٢٥٥هـ/١٨٣٩م) "**نزهة** الفكرة في معرفة الوقت والقبلة"[٤]، **ولأحمد المرزوقي (ت١٢٦٢هـ/ ١٨٤٥م) متن** في "**علم الفلك**"[٥]، ونظم **طاهر بن محمد سنبل** (ت١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م) ضابطا يعرف به الزوال في جميع فصول السنة بمكة والطائف[٦].

**وأما سليمان بن حسن زهدي** (ت١٣٠٨هـ/١٨٩٠م) فقد كانت: (له اليد الطولى في علم الميقات، وصنع لوح ربع المجيب ورسمها)[٧]، وله مصنفات في علم الفلك منها:"رسالة في الفلك"، و"رسالة في الربع المجيب"، و"تقويم دوري"[٨]، **وصنف أحمد الخطيب (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م)** في علم الفلك: "القول المفيد شرح مطلع السعيد في علم الزيج"، ثم قام بوضعه بالجاوية وسماه : "النتيجة المرضية في تحقيق السنة الشمسية والقمرية"[٩]، وللعالم الفلكي **خليفة بن موسى النبهاني** والذي عمل مهندساً لتعمير عين زبيدة بمكة منذ عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) كتاب: "الوسيلة المرعية لمعرفة الأوقات الشرعية"، "مجموعة رسائل في علم الفلك، "جدول الدائرة

---

(١) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص١٧٢ـ ١٧٣.

(٢) البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٦١٨؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٦، ص٨..

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٢٩٤.

(٤) غازي: نظم الدرر، ق١٥٤؛ والمخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم : ٣٦٤٤.

(٥) عبد الستار دهلوي: أزهار البستان، ق٣٣١ـ ٣٣٢ ؛ الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٤١٩.

(٦) عمر عبد الجبار: تراجم الأعلام: الشيخ طاهر بن محمد سنبل، (مجلة المنهل، مج: ٢١، ج٣، ربيع الأول ١٣٨٠هـ/أغسطس ١٩٦٠م)، ص ١٧٤.

(٧) عبد الستار الدهلوي: نثر المآثر، ق٣٣

(٨) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالي، ج٢، ق٢١.

(٩) غازي: نثر الدرر،ق ٢٠؛ عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ٣٩.

المغناطيسية لمعرفة القبلة الإسلامية"، "رسالة رسم البسائط"، "التقريرات النفيسة في بيان البيسطة والكبيسة"، "منظوم في منازل القمر"[1]. "ثمرات الوسيلة لمن أراد الفضيلة في العمل بالربع المجيب"[2]،**ولعلوي بن عبدالرحمن السقاف** (ت١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م) "نظم في معرفة الوقت والقبلة"، و"رسائل في الفلك والحساب والميقات"[3]، كما صنف **محمد بن حامد السقاف (ت١٣٣٨هـ/١٩١٩م)** "نصب الشبك في اقتناص ما يحتاج إليه من علم الفلك"[4]، **ولمحمد مختار بن عطارد البتاوي المكي الشافعي،** (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) "تقريب المقصد في العمل بالربع المجيب"[5] .

- **أما الحساب والجبر والمقابلة:** فقد اهتم المكيون **به** لأهميته في تقسيم التركات وتوزيع الأنصبة المقررة كما جاءت في القرآن الكريم ومن هنا تنوعت مؤلفاتهم فيه من نظم ونثر وغير ذلك.

**فلأحمد الخطيب** (ت١٣٣٤هـ/١٩١٥م) "روضة الحساب في أعمال الحساب"[6] حوى على رسوم وأشكال هندسية، اطلع عليه الشيخ أبو بكر شطا وأعجب منه، وطبعه الشيخ محمد فدا على نفقته، وعندما اطلع عليه العلماء الجاوه طلبوا من مؤلفه ترجمته للغتهم للاستفادة منه، فترجمه وسماه "**علم** الحساب في عِلم الحساب"[7]، **ولعلوي بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف** (ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م) "**رسالة** في الحساب والجبر والمقابلة"[8].

---

(١) غازي: نثر الدرر، ق٣٠، وفيه وفاته ١٣٥٢هـ ؛ أبو سليمان: تشنيف الأسماع، ص١٩٠.

(٢) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٨٨.

(٣) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٤٣؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٦، ص٢٩٥.

(٤) الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٣٠٦؛ كحالة: معجم المؤلفين، ج٩، ص١٩٢.

(٥) عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ص٢٤٥.

(٦) عبد الوهاب أبو سلميان: فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، ص٤٩٦.

(٧) أحمد الخطيب: القول التحيف ق ١٦ ـ ٢٢.

(٨) مرداد أبو الخير: نشر النور والزهر، ص٣٤٤ ـ ٣٤٥.

## أثر علماء مكة في ازدهار الحركة العلمية في البلدان الإسلامية

مكة قلب العالم الإسلامي، ولا يزال المسلمون ترنو أنظارهم لمكة طلباً للخير والعلم والإيمان، كيف لا؟ وقد شعت الرسالة الخالدة من بين ربوعها، فكان لزاماً أن يكون تأثيرها في كل العصور واضحاً في ربوع الأرض.

وقد حرص طلبة العلم من كافة أرجاء المعمورة على الأخذ من علماء مكة ومدرسيها والقدوم إليهم والدراسة على أيديهم، إذ هم من حملوا الرسالة المحمدية ورفعوا راية العلم الشرعي، وحيث مكة يؤتى إليها، فمن المتوقع أن يكون التأثير المكي واضحاً فيمن ورد عليها، ولاسيما من الحجاج والمجاورين.

**فممن كان تأثيره واضحاً في حلقات علمه فامتد إلى بلدان العالم الإسلامي:**

الشيخ أحمد الخطيب (ت ١٣٣٤هـ/١٩١٥م)[١]، عقد حلقة درسه في رحبة باب الزيادة، وكان يقصدها مئات من طلاب العلم من اندونيسيا **ثم يعودون إلى بلادهم** بعد أن يعاهدوه على القيام بالدعوة إلى ا والتفرغ لنشر العلم في تلك الأصقاع، وكان من ثمرة تعليمه قيام **تلاميذه بدعوة الإصلاح** ومقاومة البدع والخرافات أمثال الشيخ عبد الكريم أمر ا زعيم حركة الإصلاح بسومطرا، والحاج أحمد دحلان مؤسس الجمعية المحمدية في جاوا[٢].

وللخطيب عدد من المؤلفات **باللغة الجاوية** منها" صلح المجتمعين في جواز تعدد الجمعتين"، "فتاوى الخطيب" على ما ورد عليه من أسئلة[٣]. معلم الحساب في علم الحساب" طبع عام (١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م)، "المنهج المشروع في المواريث"، "ضوء السراج في كيفية المعراج "، "نور الشمعة في أحكام الجمعة"، "الجواهر الفريدة في الأجوبة المفيدة إذا عم الحرام في قطر من الأقطار"، "الأقوال الواضحات في حكم من عليه قضاء الصلوات"، "حسن الدفاع في النهي عن الابتداع"، "الصارم المفرى لوساوس كل كاذب ومفتري"، "مسالك الراغبين في طريقة سيد المرسلين"،

---

(١) عبد الستار الدهلوي: أزهار البستان، ق٣٣٠.

(٢) غازي: نثر الدرر، ق٢٠.

(٣) المصدر السابق، ق ٢٠، عمر عبد الجبار: سير وتراجم، ٣٩.

"إظهار زغل الكاذبين"، "الآيات البينات في رفع الخرافات"، "الجاوي في النحو"، "سلم النحو"، "الخطط المرضية في حكم التلفظ بالنية"، "الشموس اللامعة في الرد على أهل المراتب السبعة الذين يعتقدون ظاهر معاني ألفاظها"، "سل الحسام لقطع طرف تنبيه الأنام في الرد على أرباب الطرق"، "البهجة السنية في الأعمال الجيبية"، "إرشاد الحيارى في إزالة شبه النصارى"[(١)].

**كما كان للخطيب ذكر خالد في إندونيسيا** وسيرة عطرة بين طلبته هناك، إذ انتشرت كتبه في مكتباتها واستفاد منها الكثير من العلماء وطلبة العلم[(٢)]، إضافة إلى إطلاعه على ما يحدث في بلاد جاوه واتصاله بعلمائها، فعندما أقيم في إقليم الملايو **جمعية إسلامية** تسمى بـ"**شركة الإسلام**"، اجتمع أصحابها والمنتمون إليها والذين بلغوا المليونين على العمل بكتاب ا من اجتناب النواهي وفعل المأمورات وتحالفوا على ذلك ومن ينقض العهد يقاطع ، فقام أحد علماء الإقليم بمراسلة الشيخ الخطيب يستفتيه في أمر هذه الجمعية ويبين رأيه فيها، وفي اعتقاده أن الشيخ سوف يوافقه على رأيه، فرد علية الشيخ برسالة سماها "تنبيه الأنام في الرد على رسالة كف العوام عن الخوض في شركة الإسلام"، وبعد فترة جاء للشيخ الرد من العالم الجاوي برجوعه عن قوله وتوبته عما صدر منه[(٣)].

**كما كان لعلماء مكة أثر كبير في البلدان الإسلامية التي حلوا بها:**

فعلى سبيل المثال حين توجه محمد بن أحمد بن عقيلة (ت١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م) إلى بغداد عام (١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م)، حرص العلماء وطلبة العلم على الالتقاء به والأخذ عنه، فأجاز الكثيرين منهم محمد سعيد السويدي البغدادي ، إذ أجازه ابن عقيلة بثبته والمسمى "المواهب الجزيلة"، وكان السويدي يحدث به ويجيزه لطلبه العلم[(٤)].

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٤٤ ـ ٤٥.

(٢) المصدر السابق، ص٤٢.

(٣) أحمد الخطيب: القول التحيف ، ق٢٢.

(٤) الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢،ص ٦٠٨.

وحين رحل إلى الشام الأديب العالم على بن تاج الدين القلعي المكي عام (١١٤٢هـ/١٧٢٩م) اجتمع بالشيخ عبد الغني النابلسي وبعدد من علماء الشام، وفي عام (١١٦٠هـ/١٧٤٧م) دخل مصر وأخذ من علمائها ثم رحل عنها ليعود إليها مرة أخرى بعد عشر سنوات وقد اكتمل ما كان قد بدأه من شرح بديعيته في ثلاث مجلدات، وشرح بديعيتين لشيخه عبد الغني النابلسي وقد قرظ علماء مصر على مؤلفاته، مكث بمصر وكانت له دار عظيمة يجتمع فيه الأعيان والأدباء والشعراء، وكان القلعي كثير العطاء على مادحيه، له مؤلفات أدبية استفاد منها الأدباء والشعراء منها ديوان شعر سماه "الفرج في مدح عالي الدرج"، توفي بالإسكندرية عام (١١٧٢هـ/١٧٥٨م)[١].

كما كان للأديب الشاعر على النجاري والمعروف بالقباني المكي الشافعي أثراً بالغاً في الساحة الأدبية بمصر، فقد قدم مصر مع أبيه وأخيه عام (١١٧١هـ/١٧٥٧م) إذ كان أبوه من كبار التجار الذين ينقلون التجارة ما بين البلدين، فضل علي البقاء بمصر وطلب العلم بين أروقة الأزهر، فاستفاد من علومهم شغف بشراء الكتب فجمع مكتبة كبيرة حوت نفائس الكتب وأندرها، وما لم يستطع شراءه قام بنسخه وكتابته مع مزاولة التجارة، حيث كان يشتري البضائع المختلفة من مصر ويرسلها إلى أبناء أخيه ليتجروا بها في مكة ومن ثم يرسلون له بضائع من مكة وجدة ليبيعها بمصر وقد أثري من هذه التجارة واستطاع أن يبني له منزلاً جميلاً بالقاهرة عام (١٢٠٩هـ/١٧٩٤م)، كان يتردد عليه الكثير من العلماء والأدباء، فقد برع القباني في الأدب والشعر، ولما هرم ترك أمور التجارة لابنه سلامة، بينما استأثر بابنه الآخر ويدعى أحمد لملازمته وإسماعه فيما يريد مطالعته من كتب، وقد ظل الشيخ في استقبال ضيوفه من العلماء ومحبي العلم مع المباحثة والمطالعة حتى توفي ودفن بالقاهرة [٢].

---

(١) الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص٣٠٠ـ ٣٠١.

(٢) المصدر السابق، ج٣، ص١٤٥ـ ١٤٦.

كما استهوى **المغرب** الشيخ أبو عبد ا  محمد بن محمد علام الجداوي المكي فنزل **مدراس ببلاد المغرب،** لأسباب نجهلها، إلا أن مكانته العلمية خاصة في  علم الحديث الشريف كانت تدل عليه أينما حل وذهب من بلاد المغرب خاصة مدينة مدراس التي توفي بها عام (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م)، وممن درس علم الحديث على يديه الشيخ المحدث المفسر الفقيه صبغة ا  الملقب بسلطان مدراس، وأجازه بجميع مسموعاته ومروياته [(١)].

ومن علماء مكة الذين كان لهم أثر في الحياة العلمية في الهند وأفادوا علماءها وطلبتها **عبد ا  الهندي الحنفي المكي** (ت١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م) كان من **مدرسي المسجد الحرام** المبرزين، وصفه الدهلوي بالشاعر الأديب المحب للسفر والتجوال، رحل إلى الهند عام (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م)، وبقي بها مدة، ألف خلالها كتاباً دون على أسطره رحلته وضمنه كثيراً من الفوائد والنوادر وطبعها في الهند[(٢)].

لقد كان الهندي من مدرسي المسجد الحرام فلا نستبعد أن يفيد بعلمه من يتصل به من طلاب العلم بالهند، فالعالم لا بد أن ينشر علمه أينما حل.

أما الشاعر أحمد بن عبد ا  المكي ـ كان حياً عام (١٣١٣هـ/١٨٩٥م) ، فقد رحل إلى مصر، ومكث بالقاهرة فترة ما بين متلقي للعلم أو ناشر له، ثم ارتحل إلى تونس ولا ندري السبب في ذلك، وعرف في الأوساط الأدبية التونسية بالأديب الحجازي وانتشرت هناك كتبه وقصائده، لم يكن نتاجه العلمي قاصراً على التأليف في الأدب ونظم القصائد والأشعار بل تولى تدريس القرآن الكريم في أحد مدارس مدينة سوسه، إضافة إلى وظيفته ككاتب بإدارة عملها، ولعل  زواجه من إحدى سيدات مدينة سوسة كان عامل جذب له ليستقر بتونس حتى وافته المنية بها[(٣)].

---

(١) عبد الستار الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج٢، ق٤٣.

(٢) الدهلوي: فيض الملك المتعالى، ج ٢، ق٦٥؛ مرداد أبو الخير: نشر النور، ج٢، ص٢٧٧.

(٣) أبو القاسم محمد كرو: أحمد أديب المكي، الفيصل، ع ٣٠١، رجب ١٤٢٢هـ/ سبتمبر ٢٠٠١م، ص١٠٦ ـ ١١١.

كما استقر بمصر أيضاً الأديب الشاعر عبد الملك بن عبد الوهاب الفتني المكي وافتتح بها مكتبة لبيع الكتب[1]، أسهمت في نشر العلم والمعرفة حتى وافته المنية عام (١٣٣٢هـ/١٩١٣م)[2].

يقول عنه أحد علماء مصر حسن السندوبي المصري: (عرفت فيمن عرفت من الناس في ماضي الأيام رجلاً كان يبيع الكتب في خان الخليلي يسمى "الشيخ عبد الملك الفتني"، وكان على علم ومعرفة وسعة اطلاع، فلما عثرت عليها في تاجر كتب آخر، وكان عالي السن، متقادم الميلاد، فكان يدلني بصدق وإخلاص على ما يلزمني من الكتب القيمة، والأسفار النافعة ، فلما أحكمت عرى الصداقة بيننا سألته يوماً عن شأنه وحقيقة أمره؟ .. قال: .. إنه بعد أن تلقى علومه ومعارفه أقام في الأستانة زمناً، كان ضمن محرري جريدة الجوائب لصاحبها أحمد فارس الشدياق، ثم عين قاضياً في مكة، فلما ضعفت قواه عن تحمل حرارة الحجاز وسمومه وفد على مصر واتخذ الاتجار بالكتب صناعة له.. ومن الحق أنه كان رضي الطريقة عارفاً بشؤون الحياة، قد بلا حلوها ومرها، وتردد بين صفوها وكدرها، هذا الرجل له علي فضل كبير، فقد كان يذاكرني في كثير من المسائل العلمية والأدبية، ويشير علي بما يجب أن أقرأه من الكتب، ويوقفني على الكيفية التي توصلني إلى الانتفاع بها انتفاعاً ناجحاً مثمراً)[3].

إضافة إلى ذلك عمل الفتني بصحيفة الجوائب المصرية وانتشر صيته بين الناس وكان أسمه يتردد دائماً في الأوساط المكية [4].

كما كان لعبد الملك الفتني مؤلفات طبع الكثير منها بمصر منها: "التحفة السنية في الكلمات المبنية" في النحو، "شرح خلاصة الفرائض نظم متن السراجية"

---

(١) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٢، ص٩٧.

(٢) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٨٤.

(٣) أبو حيان التوحيدي: مقدمة المقايسات، تحقيق: حسن السندوبي (ط١، القاهرة، المطبعة الرحمانية: ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م)، ص٣.

(٤) الغزاوي: شذرات الذهب، ص٢٥٩.

"فيض الرحمن على المطالب الحسان" في العقائد طبعته جميعها في المطبعة الخيرية عام (١٣٠٥هـ/١٨٨٧م)، "عقد اللآلي مع شرحه" في علم الوضع طبع بمصر عام (١٣٠٦هـ/١٨٨٨م)[١].

كما رحل إلى إندونيسيا **عبد ا بن عثمان الحنفي المكي** (ت١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) بدعوة من أهلها، فقد كان الشيخ يدرس في الحرم المكي فاجتمع عليه طلبة العلم الجاويون وطلبوا منه الحضور لوطنهم، لتعليم الناس هناك أمور دينهم ، فاستجاب الشيخ لدعوتهم، ورحل إلى ديارهم وأخذ يدرس أبناءهم فاستفادوا من علمه وفقه الكثير[٢].

كذلك أسهم الكثير من علماء مكة بافتتاح المدارس والمعاهد العلمية في البلدان الإسلامية ابتغاء مرضاة ا ، ونشر العلم والمعرفة، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الدين الإسلامي، وتنقية الدعوة الإسلامية من الشوائب والبدع التي حلت بها، فعلى سبيل المثال كان **لأحمد بن يوسف قستي المكي الأيادي البيضاء في افتتاح عدد من المدارس** في إندونيسيا حيث رحل إليها عام (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م)، ومكث بها مدة افتتح فيها مدرسة السقاف عام(١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)، ومدرسة العطاس عام (١٣٣١هـ/١٩١٢م)، وكان يديرهما بنفسه بنشاط وكفاءةٍ، وفي عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م) ولى القضاء في إحدى مدن أندونيسيا، وقام بترجمة عدد من الكتب الدينية من اللغة العربية إلى اللغة الملايوية منها كتاب "طوالع الهدى والفصل بتحذير المسلمين عن الإعلام بوقت الصلاة بضرب الناقوس أو الطبل" تأليف الشيخ محمد علي بن حسين مالكي[٣].

وهذا دليل واضح على المكانة العلمية التي وصل لها هذا الشيخ والتي جعلت أولي الأمر في إندونيسيا يثقون بعلمه ونزاهته ويولونه قضاء بلادهم.

---

(١) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٢٨٤.

(٢) مرداد أبو الخير : نشر النور والزهور، .

(٣) عمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم وحاضره، ص٥٣.

كما تردد عبد الله صدقة دحلان على إندونيسيا عدة مرات منها عام (١٣١٨هـ/١٩٠١م)، وعام(١٣٣٠هـ/١٩١٣م)، وأسس بها **جمعية خيرية ومدرسة**[1].

ومما لا شك فيه أن المدرسة التي يقوم على تأسيسها عالم مكي، لا بد أن تحوي المناهج المشابهة لما كان يدرس بمكة، مما يزيد في التواصل بين البلدان ومكة في العلوم الشرعية، إذ استفسارات المدرسين، وحاجات الطلاب تتقارب، ونحو ذلك.

أما الجمعية الخيرية، فهي من أعمال البر المنفصلة عن التعليم، إلا أنه قد يكون لها اتصال من حيث ترغيب الطلبة في دخول المدارس التي يؤسسها أهل الإحسان للناس، لما يشعرون معه من توافق العلم مع العمل.

كذلك كان لأبي **الكلام آزاد محي الدين أحمد المكي** دور بارز في الحياة العلمية والثقافية في الهند، فأمه هي ابنة أخت الشيخ محمد بن طاهر مفتي المدينة المنورة، أما أبوه فكان عالماً فقيهاً، أسهم في تعمير عين زبيدة، حين أصابها الخراب وتعطلت عام (١٢٨٩هـ/١٨٧٢م).

كان أبو الكلام آزاد يجيد اللغة العربية وينظم الشعر منذ حداثة سنه، وقد ظهرت **موهبته الأدبية وحماسه الديني** جلياً حين قرر والده السفر إلى الهند لتلقي العلاج بها، وكان عازماً على **الرجوع إلى مكة** بعد الانتهاء من رحلة العلاج، لكن طلبة العلم بها ألحوا عليه بالبقاء، ولم يدعوه يرجع إلى مكة[2].

واستطاع أبو الكلام أن يصدر في الهند عام (١٣٢١هـ/١٩٠٣م) مجلة شهرية بعنوان "**لسان الصدق**"، وفي عام (١٣٢٢هـ/١٩٠٤م) ألقى خطاباً في **جمعية حماية الإسلام** بلاهور لاقى استحسان الجميع، فقد شكلت نشأته في مكة شخصيته العظيمة، وأصدر بعد ذلك **مجلة الهلال** الأسبوعية، عام (١٣٣١هـ/ ١٩١٢م) فصارت مجلة فريدة في عموم الهند، أحدثت فارقاً كبيراً في دنيا الصحافة

---

(١) المصدر السابق، ص١٧٩ ـ ١٨٣.

(٢) سمير نوح : الأدب الأردي الإسلامي، ص ٥٨٥ ـ ٥٩٦.

قلباً وقالباً شكلاً ومضموناً، إذ اختلفت صحافته عن صحافة معاصريه بإصداره هذه الصحيفة الأسبوعية والمسماة الهلال، إضافة إلى الأسلوب الرصين الذي تحلت به، كما أنه جعلها صحيفة متميزة، إذ طبعها على أوراق جميلة محلاة بالصور الرائعة، وجعل صفحة الغلاف بالألوان الزاهية والتي كتب عليها اسم المحرر "أحمد **المكنى** بأبي الكلام الدهلوي"، فصار القراء يبحثون في معاجم اللغة وقواميسها عن النطق الصحيح لكلمة "المكنى" وعن معناها أيضاً[1].

إن الكلمة أمانة، وفي هذا العصر ظهرت آثار للكلمة ربما أشد من وقع السيوف سابقاً، فالاشتغال بالصحافة لابد أن يكون ممن متن علمه، وصدقت كلمته، واستوثق بأمانته، وحينئذ يقبل الناس على مكتوبه، ويكون ذلك له ذخراً في الآخرة، وقد كان الشيخ أبو الكلام ممن جمع بين علوم الشريعة والعربية، وبين المعرفة بالواقع والحكمة في توصيفه، ولذلك أقبل الناس على صحيفته ومجلته، ولاشك أنه كان يكتب بالأسلوب الذي تعلمه في مكة ودرس عليه ونشأ ودرج، وهو الذي فتح القلوب له، فتعدى تأثير مكة إلى هناك عن طريق أحد من تربى بها.

**وكان الكثير من العلماء يتعانى تجارة الكتب، ومنهم من يرحل إلى البلدان الإسلامية للاتجار بها فينزل البلدان ويبيع ويشتري، ويحل ويرتحل، ومن هؤلاء:**

أحمد بن عثمان العطار المكي (ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م)، كان **يتجر بكتب الحديث** فيجلب منها غريبها إلى الحجاز ويحمل إلى الهند الغريب منها حوالي خمسة عشر عاماً[2].

كانت حافزاً لتدعيم وسائل الثقافة والمعرفة وتوفيرها لطلبة العلم مما أضفى بظلاله على تنشيط الحركة العلمية في مكة.

ومن هؤلاء أيضاً : **أبو بكر خوقير** (ت١٣٤٩هـ/١٩٣٠م)، دفعه حبه للعلم والثقافة الإسلامية في أن يكون سفيراً لنقل المعرفة عن طريق جلبه لكتب السلف

(١) المرجع السابق، ص ٥٩٣ ـ ٦٠٣.

(٢) عبد الجبار: سير وتراجم، ص٧٠.

الصالح من الهند ونشرها في مكة وحمل غيرها من مكة ومصر إلى الهند كلما ذهب إليها [1].

ولم يكن من يتاجر في بيع الكتب تاجراً خالياً عن المشاركة العلمية، **فأحمد العطار** كان مشاركاً في العلوم حيث تحصل له منها قسط ولاسيما ما يتعلق بالأسانيد جعلته محط أنظار المحدثين أينما حل.

وكان الكتاني يروي ثبت الأمير صديق خان أمير بوهبال في الهند والمسمى "سلسلة العسجد في ذكر مشايخ السند" عن العطار ، إذ يقول: (أروي الثبت المذكور، وكل ما يصح لصديق حسن من مروي ومؤلف، عن صاحبنا الشيخ أحمد العطار المكي عنه، قال لي: اجتمعت به في بوهبال سنة (١٢٩٦/١٨٧٨م)، وكان أميراً بها فسمعت منه حديث الأولية، وهو أول حديث سمعته منه، وكان بيده ثبته المسمى "سلسلة العسجد" فلما وصل إلى شيخ شيخه الحازمي فوصفه بالحسيني فقلت: بل الحسني بالتكبير، ثم لما وصل إلى إسماعيل بن أبي صالح المؤذن، جعله ابن صالح، فقلت: له ابن أبي صالح، فرجع، وكان ذلك بمحضر شيخنا القاضي حسين، وبواسطته دخلت عليه، ثم أجازني كل ما يصح له من مؤلف ومروي، ولازمته بعد ذلك أعواماً وفوض إلى مكتبته، وبعد عزله عن الإمارة جلس يؤلف رسائل باللغة الهندية إلى أن مات .. عام ١٣٠٧هـ)[2] .

فالعطار صوب للأمير بعض الأسماء ولاغرو فقد كان محدثاً مشهوراً، ولمعرفة الأمير به تقبل التصحيح منه، ولم يحتج للمراجعة، علماً أن هذا الأمير كان ممن شارك في العلوم بحظ، وكثرت مؤلفاته، كما ظهر من ترجمته.

ولما حج **الكتاني** عام (١٣٣٣هـ/١٩١٤م) التقى بالشيخ أحمد بن عثمان العطار المكي(ت١٣٣٥هـ/١٩١٦م) ووصفه بأنه: (بحراً متلاطم الأمواج في علم

---

(١) مؤلف مجهول: أبو بكر خوقير وفاته وملخص ترجمته، (مجلة المنار ، مج٣١، ج٣، ربيع الآخر ١٣٤٩هـ/ سبتمبر ١٩٣٠م)، ص٢٤٠؛ عمر عبد الجبار : دورس من ماضي التعليم وحاضره ، (ط١، ، القاهرة، دار ممفيس للطباعة: ١٣٧٩هـ)، ص ٢٧٧.

(٢) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص١٧٠.

الرجال واسع الدراية عزيز النظير، لم أر له نظيراً فيمن رأيت، أو سمعت به في عصرنا مشرقاً ومغرباً،.. )[1].

**كذلك كانت تدار بين علماء مكة والعلماء من خارج الحجاز مراسلات** ومكاتبات فيما بينهم، كان بعضها في طلب الإجازة ، فعلى سبيل المثال يقول الكتاني عن الشيخ أحمد العطار المكي: (أجازني المذكور بكل ما له ، كما أجزت له أيضاً جميع ما اتصل بي ولم تنقطع بيننا المكاتبة من الهند والحجاز إفادة واستفادة)[2].

**ومن تلك المراسلات العلمية بين علماء مكة والعالم الإسلامي** المراسلة التي تمت بين الشيخ العالم علوي السقاف المكي (ت١٣٣٥هـ/١٩١٧م) وبين المؤرخ محمد بيرم الخامس التونسي، عام (١٣٠٠هـ/ ١٩١٢م) وكان مضمون الرسالة شكر وتقدير من قبل العالم المكي على تأليف محمد بيرم لكتابه :"صفوة الاعتبار" الذي ألفه عن رحلته للحجاز ومكة[3]، هذا دليل على اهتمام علماء مكة بالمؤلفات التي تصدر حديثاً في العالم العربي والإسلامي ، ووصول هذه المؤلفات إليهم وإطلاعهم عليها وأسهم الشيخ عبد الوهاب الكتبي في نقل العلوم والمعارف من مكة إلى الهند والعكس، عن طريق شراء الكتب والاتجار بها، ففي عام (١٢٦٣هـ/١٨٤٧م) سافر للهند ثم سافر إليها مرة أخرى عام (١٢٨٣هـ/١٨٦٦م) كان من أبرز أعماله نتيجة هذه السفريات طبع المصحف المعروف باسمه مصححاً مجوداً على الرسم العثماني[4].

**كما كان كثير من علماء وطلاب العلم الجاوه يبعثون بالرسائل** لعلماء مكة ومفتيها لسؤالهم عن بعض الأمور الدينية، وكان لتلك الرسائل مترجمون باللغة العربية في مكة من الجاوه ثم ترسل للوطن الأم عن طريق نوابهم هناك[5].

---

(١) الكتاني: فهرس الفهارس، ج١، ص٥٠.

(٢) الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص٦٩٥.

(٣) بيرم التونسي: صفوة الاعتبار، ج٥، ص١٠١.

(٤) عبد الستار الدهلوي: تحفة الأحباب، ق ٢٥٩ـ ٢٦٠.

(٥) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص .

**بل ربما كان علماء مكة سبباً في عكوف علماء البلدان الأخرى على التأليف،** فقد ألف عبد الحي الكتاني ثبت "النجوم السوابق الأهلة فيمن لقيته أو كتب لي من الأجلة" وهو ثبت كبير في عشر كراريس يقول صاحبه: (ألفته إجازة لصاحب التآليف ..العالم مسند مكة في عصرنا هذا للشيخ عبد الستار الهندي ثم المكي الحنفي بسبب استدعاء ورد علي منه من مكة المكرمة عام (١٣٢١هـ/ ١٩٠٤م)، ترجمت فيه لمائة ممن أخذت عنه من المشايخ أو لقيته، رتبتهم على حروف المعجم، وختمته بإسناد نحو المائة والخمسين من الأثبات ..)[١].

**ولعل من أعظم تأثير مكة وعلمائها على العالم الإسلامي حركات التجديد التي قامت إثر اجتماع الحجاج والمجاورين بعلماء الدعوة السلفية** التي كانت بالجزيرة أو اطلاعهم على حقيقتها، وذلك أن **الدعوة السلفية** التي حملها السعوديون إلى البلد الحرام كانت دعوة صافية خلصت الناس من الكثير من الشركيات والمنكرات والبدع التي كانت قد انتشرت في هذا العهد، فامتد تأثيرها من مكة إلى خارجها، فعلى سبيل المثال أعجب الزعيم **السيد أحمد الهندي** بالدعوة السلفية عندما حج عام (١٢٨٨هـ/ ١٨٢٢م) أي بعد نحو عشرة سنوات من خروج السعوديين من الحجاز، فعندما عاد إلى البنجاب أقام بها شبه دولة حارب من خلالها البدع والخرافات بشدة، ولقي الإنجليز نتيجة لهذه الدعوة كثيراً من المتاعب[٢].

وممن تأثر بعلماء مكة والدعوة الإصلاحية **شرعت ا البنغالي** (ت١٢٥٦هـ/١٨٤٠م)، قدم مكة لأداء فريضة الحج عام (١٢١٤هـ/١٧٩٩م)، فمكث بها عشرين عاماً، تلقى خلالها العلوم الشرعية من القرآن الكريم والحديث والفقه والعلوم الإسلامية الأخرى التي كانت تدرس في الحرمين الشريفين وبرع في

---

(١) الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص ٦٨٥.

(٢) نصر الدين عبد الحميد نصر: مصر وحركة الجامعة الإسلامية من عام ١٨٨٢م إلى عام ١٩١٤م، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٨٤م)، ص١٠٦، وقد ذكر ثلة من المفكرين والمصلحين المتأثرين بهذه الدعوة كالشوكاني في اليمن، والأيوبي في بغداد والقاسمي في سوريا والتونسي بتونس وصديق بن حسن خان في بهوبال بالهند ، والأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا.

العربية وعلومها، ولازم الشيخ طاهر سنبل وحضر دروسه كما تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي انتشرت مبادئها في مكة، قرر العودة إلى البنغال عام (١٢٣٤هـ/١٨١٨م)، لبث مبادئ الدعوة الإصلاحية وتنقية العقيدة من الشوائب التي علقت بها ، أخذ يدعوا إلى الدعوة الإصلاحية والتي عرفت بـ"**الحركة الفرائضية**" حيث ركز فهيا على أداء فرائض الدين، وقد استمر الشيخ في نشر دعوته وكثر أتباعه حتى وافته المنية[(١)].

**ولقد أدت وفرة الكتب بمكة** إلى انتشارها في كثير من أنحاء العالم، فكثير من المخطوطات التي نقلها الحجاج أو المجاورون أو تجار الكتب **كان لها أثرها العلمي في الآفاق** بوجه ما.

يقول عبد العزيز دولتشين الذي كان بمكة عام (١٣٠٧هـ/١٨٨٩م) إن: (الكتب والرسوم التي يشتريها الحجاج يوزعونها في شتى أقطار المعمورة، وعندنا في آسيا الوسطى نجد منها الكثير، كما هو معلوم، وذلك في الجوامع وفي منازل السكان)[(٢)]، وهذا يشير أيضاً إلى أثر الوراقة في انتشار العلوم المكية للعالم الإسلامي.

كما أن المستشرق الهولندي سنوك هورغرونيه الذي زار مكة عام (١٣٠٢هـ/١٨٨٤م) وبقي فيها ستة أشهر حتى نهاية موسم الحج، قام باقتناء أنفس الكتب الخطية ونقلها معه إلى هولندا، **وكانت معيناً له في تأليف كتابه** "صفحات من تاريخ مكة" الذي وصف فيه جغرافية مكة وتاريخها منذ ظهور الإسلام حتى عام (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م)، ووصف شامل للحياة اليومية في مكة وعادات أهلها وسكانها ووصف للحياة العلمية بها[(٣)].

---

(١) سمير عبد الحميد: أثر مكة والحج في ثقافة وأدب شبه القارة الهندية، (ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٣هـ)، ص ٤٢٠ ـ ٤٢٢.

(٢) ريزفان: الحج قبل مائة سنة، ص٣٠٩.

(٣) عبد اللطيف بن دهيش: التعليم في الحرمين عبر العصور، ص٣٢١.

**ومن أعظم آثار المكيين على العالم الإسلامي كذلك تأثيرهم في الحفاظ على الهوية الإسلامية لمسلمي شمال آسيا،** فنتيجة لاحتلال الروس قازان وتضييقها على العلماء والطلبة والمدارس الدينية والكتاتيب، وفرض اللغة الروسية والتعليم الروسي على المسلمين هناك، أرسل علماء قازان **عريضة لعلماء مكة** يشكون فيها ما لقوه من طرف الحكومة الروسية ويطلبون منهم إرسال مضبطة إلى باب المشيخة ليبلغ أحوالهم وأهوالهم إلى السلطان العثماني، ليخابر الحكومة الروسية وترفع عن كاهلهم ما ألم بهم من ظلم، وكان ذلك في حدود ١٨٩٩م.

وجاء في تلك العريضة:

(..إلى جناب حضرات كعبة الآمال، ...، عرى الشريعة النبوية، أنصار الملة المصطفوية، سادتنا شيخ الإسلام، مفتى بلد ا الحرام، الشيخ صالح كمال إلى كافة الأنام، وفاتح بيت ا الحرام، الشيخ عبد الرحمن الشيبي رحمه ا ..ومولانا السيد عبد ا بن محمد صالح الزواوي، وكافة العلماء العظام، والمشايخ الكرام، .... ، ولا زلتم ظهور الضعفاء ومعينهم من صرصر البليات، وسائر النكبات،.... إنه لا يخفى على حضراتكم العلية، إن الحكومة الروسية قصدت إبطال الشريعة النبوية، وإزالتها بالكلية، من هذه الديار التي رميت بسهام البلية....) إلى آخر ما ذكروه في عريضتهم، وفي ختامها كتبوا أشعاراً منها:

قد استجرنا بك من كل حادثة إن لم تجيروا فقد ضاقت بنا الحيل

فما كان من الشيخ عبد ا الزواوي إلا أن جمع إمضاء تسعة وأربعين عالماً من علماء مكة، على مضبطة أرسلها إلى استانبول جاء فيها:

**(بسم ا الرحمن الرحيم**

اللهم يا مجيب السائلين، وسامع دعاء الداعين، ومفرج كرب المكروبين، وملجأ اللاجئين، ..، .. وبعد فننهي إلى سدة مقام المشيخة الإسلامية مع الأمل الأكيد في تحقيق إجابة الأمنية إن إخواننا أهل الإيمان من سكان بلاد قازان التابعة للدولة الروسية الآن، قد بعثوا إلينا، عريضة طويلة ..يشكون فيها ما هم عليه من المضايقة في الأمور الدينية، والتكاليف المغايرة للشريعة الإسلامية وللطريقة المحمدية، من قبل

الدولة الروسية، أقلها يصم الآذان، ويجاب لكل مسلم الأحزان..) [1]، فما أن تسلم السلطان العثماني هذه العريضة أرسل إلى الدولة الروسية، التي خففت بعض القيود على المسلمين في قازان[2].

وهذه العريضة تشير إلى منزلة علماء مكة حتى إن هؤلاء المبتلين ليطلبون منهم ما لا يكون إلا ممن له السلطة، ولكن الجميع يعلم تأثير العلماء على العامة والخاصة، وهذا الذي تم والحمد .

**ومن خلال دراستنا نتبين أموراً:**

ـ كان العالم المكي مباركاً حينما حل، فإن كان في حلقة علمه بالحرم، فإن علمه كان تطوافاً بالأرض أينما حل طالب له بمكان على الأرض، فلم يحتج أكثر العلماء إلى الرحيل إلى العالم الإسلامي فقد كان علمهم سابق لهم.

ـ خرج عدد من علماء مكة طلباً للعلم شرقاً وغرباً، فمنهم من رجع إلى مكة ومنهم من استوطن تلك البلاد وظل بثه للعلوم معروفاً في تلكم النواحي.

ـ نظراً لاشتغال بعض المكيين بالمناصب الدينية في بلدان من العالم الإسلامي لذا فقد كانت علومهم محل انتشار حيثما رحلوا.

ـ كانت مكة قلباً نابضاً تعنى بأحوال المسلمين في العالم، فمن مشاعر الحرم فتح ا قلوب العديد لنشر الدعوة السلفية التي حملها من الحرم وخرج بها إلى العالم لينتشر النور في تلكم الأصقاع.

ـ كما كان علماء مكة محط أنظار المسلمين في الأرض يستعينون بهم على مشكلاتهم ولاسيما المشاكل السياسية.

---

(١) م.م. رمزي: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، ج٢، ص ٢٤٢ – ٢٤٤.

(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٥

# الخاتمة

نسأل ا حسنها

الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات... نحمده على عونه وتوفيقه، ومنّه وتيسيره، حمداً يليق بجلاله وعظمته، والصلاة والسلام على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه ، أما بعد.

لقد شرفت بالبحث عن الحياة العلمية لأطهر بلاد ا وأحبها إليه، وانتابتني الرهبة حيناً، وغمرني الحب أخرى وأنا أتنقل بين أوراق تاريخ هذه المدينة المباركة أرسم صورة من صور العلم والإيمان تشع من مهبط الوحي..

وقد تشكلت في نهاية هذه الصورة عدة نتائج، أورد في هذه الأسطر أهمها:

ففي **التمهيد** تناولت الحديث عن **مكة** أحب بلاد ا إلى ا ، وكذلك لرسوله ﷺ، .. أمنّها ا تعالى، وهي مأرز الإيمان ودار إسلام أبداً، جعل ا تعالى بها البيت الحرام الذي هو قيام للناس وأمان لهم، وبها الكعبة التي شرفها ا تعالى بحجر من أحجار الجنة، وبها بمقام إبراهيم الذي نادى من عليه بالحج، وقد سقى ا أهل مكة ماء زمزم، خير ماء وجد على ظهر الأرض، كما أبقى ا بمكة المشاعر العظيمة من عرفات والمشعر الحرام ومنى، التي هي مشاعر الحج وتمام النسك، ولم تزل مكة مشرفة معظمة ولا تزال، إنها مكانة لا تدانيها مكانة في بلدان العالم.

ونظراً **لمكانة مكة الدينية**، ومنزلتها في قلوب المسلمين في العالم حرص حكام الدول المختلفة على مدار التاريخ على **السياسة** المتميزة في حكم البلد الحرام، وتأمينها، وتأمين طرق الوصول إليها، فكان استقرار الأحوال السياسية في البلد الحرام، وتمتعها بالأمن الدائم مطلباً لكل حاكم سياسي يرنو إلى كسب محبة المسلمين في شتى أقطار الأرض.

وتبين للبحث أن السلاطين العثمانيين حاولوا جاهدين تطوير الجهاز الإداري للحجاز على مدار فترة حكمهم له ليضمن لهم تبعية هذا الإقليم، مع سماحهم بترك تصريف شؤونه الداخلية إلى حكومة الأشراف.

**أما الأحوال الأمنية** في مكة، فقد انتهى البحث إلى تحديد المشكلة الأمنية في تأمين طرق الحجيج في إقليم الحجاز من هجمات الأعراب، الذين دفعتهم عدة أسباب إلى نهب وسلب الحجاج حتى جعلوا ذلك مصدر رزقهم، فاختل نظام الأمن.

وأظهرت الدراسة عدداً من الإجراءات الأمنية التي قامت بها السلطات العثمانية لصد هجمات العربان، كالاتفاقات والهدن مع رؤساء العربان، وبذل الأموال لهم، وتجهيز القوافل بالأسلحة والحاميات القوية.

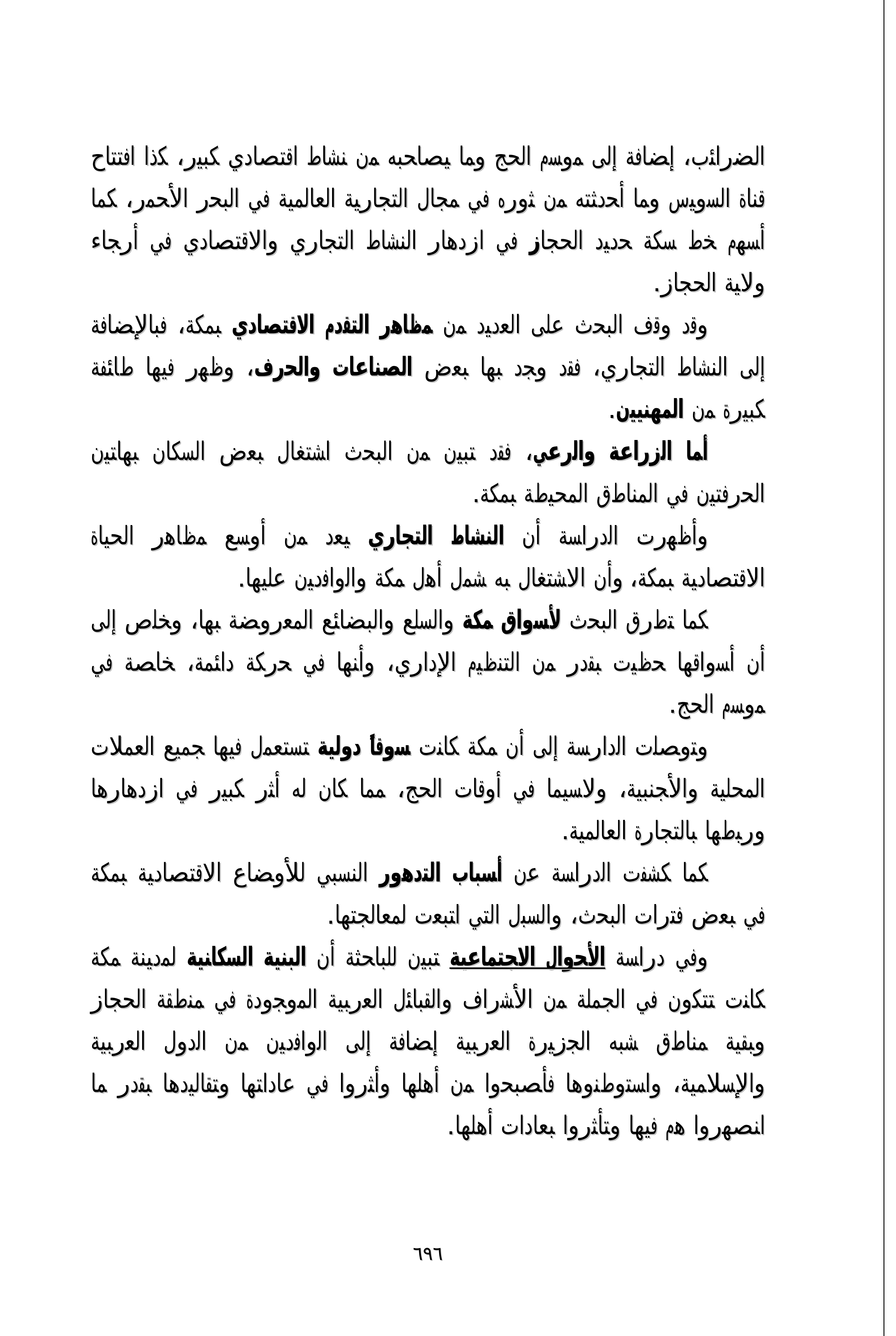
وخلص البحث إلى أن هذه الإجراءات لم تحد من هجمات الأعراب ويعود ذلك إلى جملة أسباب من أهمها: التنازع على السلطة بين الأشراف، وضعف التجهيزات العسكرية للحاميات في كثير من الأحيان.

**أما الأمن داخل مكة،** فقد استمرت مكة بحمد ا آمنة بأمن ا مطمئنة، إلا أن ثمة أمور كان تعكر هذا الأمن أحياناً، وقد حددها البحث في نقاط منها: النزاع أحياناً على السلطة بين أمراء الأشراف وشريف مكة، وكذا الفتن بين أمراء الحج، ومحاولة بعضهم التدخل في سياسة إمارة مكة، ثم الفتن بين أهل مكة وبعض من يتخلف عن العودة لبلاده بعد الحج، أو الفتن بين الحاميات العسكرية القاطنة بها.

كما أظهرت الدراسة أن علماء مكة كان لهم الدور البارز في الأحوال السياسية والأمنية بها، فقد تمتعوا بمكانة مرموقة في مجتمعهم، وكانوا موضع الثقة عند اشتداد الأزمات، كذلك كان لهم مواقفهم من الأحداث السياسية التي تحيط بالعالم الإسلامي سواء كان بالرفض والاعتراض أو القبول والتأييد، فهم يعلمون أن العالم الإسلامي يتطلع إليهم وأن آراءهم محل اعتبار وتقدير.

أما الحديث عن **الأحوال الدينية،** فقد تم دراسة المناصب الدينية، كالقضاء، والإفتاء، ومنصب سدانة البيت الحرام، وأثر الدعوة السلفية على الحياة العلمية بمكة.

ومن خلال دراسة البحث **للأحوال الاقتصادية**، تبين تمتع مكة بدعوة الخليل عليه السلام بأمن أهل الحرم، وبرزق أهله من الثمرات، وشهدت مكة فترة البحث فترات من الرخاء الاقتصادي، أوضح البحث أسبابا له ومنها: اهتمام السلاطين العثمانيين بإرسال الصرة والهدايا وتوزيع الأموال على سكان مكة، وإعفاء أهله من



الضرائب، إضافة إلى موسم الحج وما يصاحبه من نشاط اقتصادي كبير، كذا افتتاح قناة السويس وما أحدثته من ثوره في مجال التجارية العالمية في البحر الأحمر، كما أسهم خط سكة حديد **الحجاز** في ازدهار النشاط التجاري والاقتصادي في أرجاء ولاية الحجاز.

وقد وقف البحث على العديد من **مظاهر التقدم الاقتصادي** بمكة، فبالإضافة إلى النشاط التجاري، فقد وجد بها بعض **الصناعات والحرف**، وظهر فيها طائفة كبيرة من **المهنيين**.

**أما الزراعة والرعي**، فقد تبين من البحث اشتغال بعض السكان بهاتين الحرفتين في المناطق المحيطة بمكة.

وأظهرت الدراسة أن **النشاط التجاري** يعد من أوسع مظاهر الحياة الاقتصادية بمكة، وأن الاشتغال به شمل أهل مكة والوافدين عليها.

كما تطرق البحث **لأسواق مكة** والسلع والبضائع المعروضة بها، وخلص إلى أن أسواقها حظيت بقدر من التنظيم الإداري، وأنها في حركة دائمة، خاصة في موسم الحج.

وتوصلت الدارسة إلى أن مكة كانت **سوقاً دولية** تستعمل فيها جميع العملات المحلية والأجنبية، ولاسيما في أوقات الحج، مما كان له أثر كبير في ازدهارها وربطها بالتجارة العالمية.

كما كشفت الدراسة عن **أسباب التدهور** النسبي للأوضاع الاقتصادية بمكة في بعض فترات البحث، والسبل التي اتبعت لمعالجتها.

وفي دراسة **الأحوال الاجتماعية** تبين للباحثة أن **البنية السكانية** لمدينة مكة كانت تتكون في الجملة من الأشراف والقبائل العربية الموجودة في منطقة الحجاز وبقية مناطق شبه الجزيرة العربية إضافة إلى الوافدين من الدول العربية والإسلامية، واستوطنوها فأصبحوا من أهلها وأثروا في عاداتها وتقاليدها بقدر ما انصهروا هم فيها وتأثروا بعادات أهلها.

وأما ما يتعلق **بالمطاعم والمشارب والملابس،** فظهر للباحثة أن الأطعمة والأشربة كانت هي الأخرى خليطاً تبعاً لخليط الأعراق المكي، كذا تنوعت ملابسهم حسب طبقاتهم الاجتماعية.

وأظهرت الدراسة تميز **منازل المكيين** خاصة القريبة من الحرم بتصميم فريد يسمح بتقسيم المنزل إلى وحدات متعددة ينفصل بعضها عن البعض الآخر تلبية لحاجة المستأجرين من الحجاج والمعتمرين.

كما توصل البحث إلى أن **تخطيط الشوارع** بمكة غاب عليه طابع العشوائية وعدم الاستقامة، نتيجة للجبال المحيطة بمنطقة الحرم والمساحة الضيقة حوله والتي حرص الجميع في استغلالها والبناء عليها.

كما تطرق البحث إلى احتفالات المكيين في **مناسباتهم السعيدة** كالزواج أو العيدين ونحو ذلك.

كذلك تعرض البحث **للكوارث الطبيعية كالسيول والأوبئة والأمراض والقحط والغلاء،** وبين الأضرار الناجمة عن هذه الكوارث وأثرها على علماء مكة والنشاط العلمي بها.

**وأما <u>الفصل الأول : فقد بحثت فيه عوامل ازدهار الحياة العلمية في مكة</u>،** والمتمثلة في اهتمام الدولة العثمانية وولاتها، والأهالي بالتعليم، والتعرف على الأسر العلمية، ودراسة لرحلات الحج والعمرة وبيان أثرها في تشجيع العلاقات العلمية بين مكة والبلدان الإسلامية.

**فبين البحث أن <u>الاهتمام بالتعليم</u>** كان مطلباً لكل محب للخير فتسارع إليه السلاطين والولاة والأهالي، فاحتضنوا العلماء وشجعوا على طلاب العلم، وأسهموا في بناء المدارس وتزويدها بالمكتبات وألحقوا بها الأربطة والخلاوي ووفروا لها الأوقاف والأموال لضمان عملها واستمرارها.

**كما أوضحت الدارسة أن <u>الأسر العلمية</u>** المكية امتد ظهورها وعطاؤها طيلة فترة البحث، **و**كان بروز هذه الأسر قوياً في علوم الشريعة، وإن كانت بعض الأسر اختصت بأحد الفنون دون باقيها، فأسرة برزت في الفقه الحنفي، وأخرى كان إليها

المرجع في الفتوى في الفقه الشافعي، وأسرة كان أبناؤها محدثين، وأخرى كان القضاء والإفتاء **بمنصبيهما** أظهر فيها، وثالثة تولت مشيخة الخطابة والإمامة بالمسجد الحرام ردحاً من الزمان وهكذا.

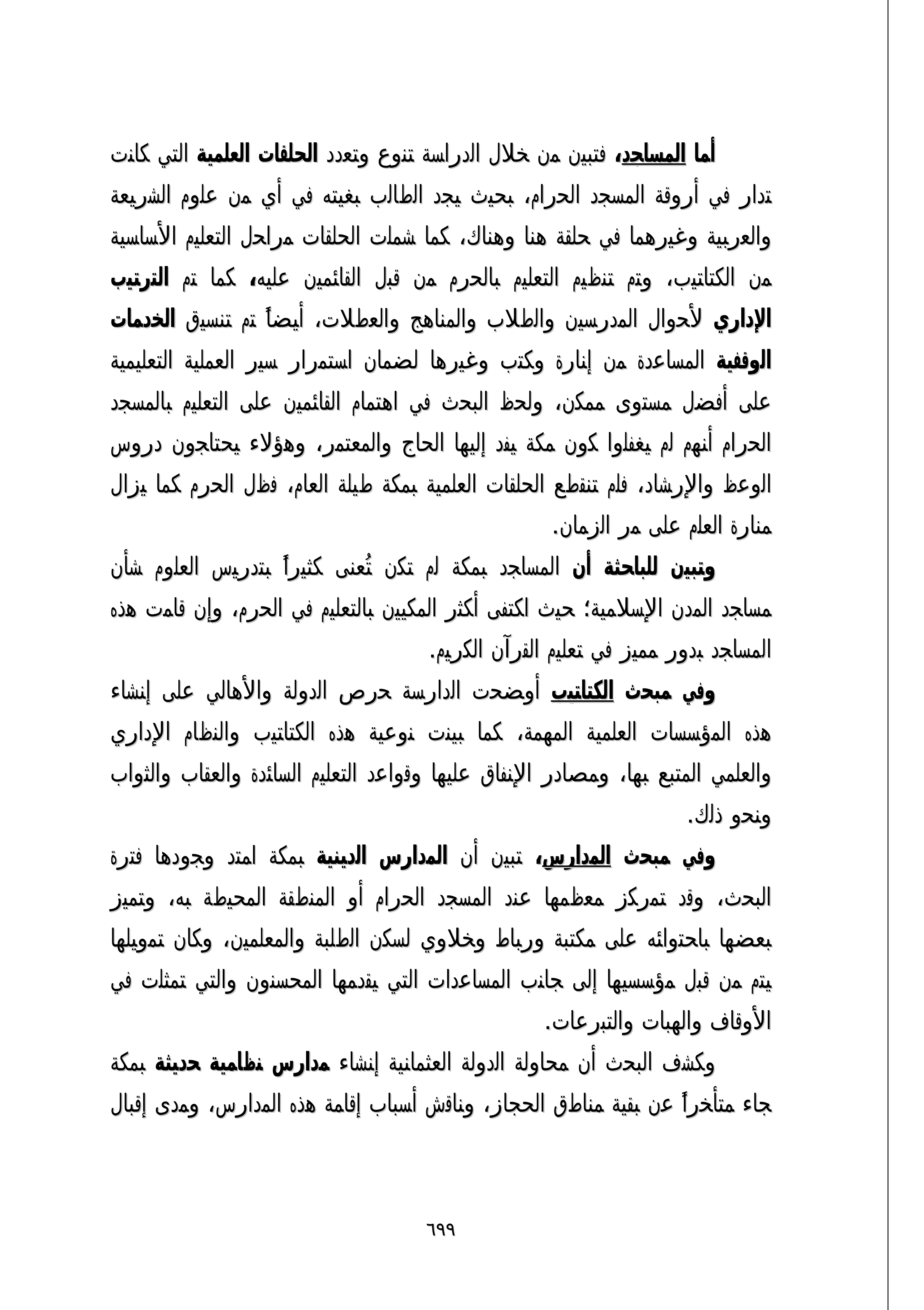
وحدد البحث أن النتاج العلمي الأغلب لعلماء هذه الأسر انحصر في **التدريس والإفتاء والإمامة والخطابة**، وبعضها في **القضاء**.

كما توصلت الدراسة أن **الإجازات العلمية** كان لها دورها في نقل المرجعية العلمية للأسر، فكانت الإجازة يظهر فيها (أخذ عن أبيه، وجده) ونحو ذلك، وقد يكون ذلك من الأسباب الإيجابية في استمرار عطاء الأسرة العلمي وتمسكاً بموروثها العلمي الفذ.

ولمح البحث أن **الاتجاه العلمي للأسرة** يتحدد مع مقدم أو بروز عميدها في البلد الحرام، وغالباً ما يستمر هذا الاتجاه في الأسرة طيلة بقائها.

**أما دراسة تأثير رحلات الحج على الحياة العلمية في مكة**، فأظهرت الدراسة أن مجيء الكثير من الحجاج إلى مكة لأداء الشعائر الدينية كان مقترناً بطلبهم العلوم الشرعية، فمعلوم أن أداء النسك يفتقر إلى معرفة وسؤال وتعلم وبحث، لأنه ما منهم أحد إلا وهو يحب أن يتقبل ا  منه حجه، فكان ذلك مدعاة للنشاط العلمي في مكة مما لا يمكن حصره في حلقة أو مدرسة أو غير ذلك وظهر التفاعل العلمي مع مسيرة التعليم بمكة من خلال العلماء الوافدين للحج، فمنهم من بدأ **بإلقاء الدروس** بالحرم، ومنهم من بدأ **بالتصنيف**، كما أن منهم من وجد الفرصة السانحة لتقييد المؤلفات عن **الرحلة الحجازية**، فأثرى ذلك المكتبة الإسلامية بما يستفاد منه حتى الآن، كما حرص البعض منهم على **اقتناء الكتب** من مكة ونشرها في بلادهم، أضف إلى ذلك تأثر الكثير منهم **بالدعوة الإصلاحية** السلفية وقيامهم بنشرها في بلادهم إثر عودتهم إليها.

وقد بحثت في **الفصل الثاني: أماكن التعليم في مكة، من** مساجد، وكتاتيب، ومدارس، ودور للعلماء.



**أما المساجد،** فتبين من خلال الدراسة تنوع وتعدد **الحلقات العلمية** التي كانت تدار في أروقة المسجد الحرام، بحيث يجد الطالب بغيته في أي من علوم الشريعة والعربية وغيرهما في حلقة هنا وهناك، كما شملت الحلقات مراحل التعليم الأساسية من الكتاتيب، وتم تنظيم التعليم بالحرم من قبل القائمين عليه، كما تم **الترتيب الإداري** لأحوال المدرسين والطلاب والمناهج والعطلات، أيضاً تم تنسيق **الخدمات الوقفية** المساعدة من إنارة وكتب وغيرها لضمان استمرار سير العملية التعليمية على أفضل مستوى ممكن، ولحظ البحث في اهتمام القائمين على التعليم بالمسجد الحرام أنهم لم يغفلوا كون مكة يفد إليها الحاج والمعتمر، وهؤلاء يحتاجون دروس الوعظ والإرشاد، فلم تنقطع الحلقات العلمية بمكة طيلة العام، فظل الحرم كما يزال منارة العلم على مر الزمان.

**وتبين للباحثة أن** المساجد بمكة لم تكن تُعنى كثيراً بتدريس العلوم شأن مساجد المدن الإسلامية؛ حيث اكتفى أكثر المكيين بالتعليم في الحرم، وإن قامت هذه المساجد بدور مميز في تعليم القرآن الكريم.

**وفي مبحث الكتاتيب** أوضحت الدارسة حرص الدولة والأهالي على إنشاء هذه المؤسسات العلمية المهمة، كما بينت نوعية هذه الكتاتيب والنظام الإداري والعلمي المتبع بها، ومصادر الإنفاق عليها وقواعد التعليم السائدة والعقاب والثواب ونحو ذلك.

**وفي مبحث المدارس،** تبين أن **المدارس الدينية** بمكة امتد وجودها فترة البحث، وقد تمركز معظمها عند المسجد الحرام أو المنطقة المحيطة به، وتميز بعضها باحتوائه على مكتبة ورباط وخلاوي لسكن الطلبة والمعلمين، وكان تمويلها يتم من قبل مؤسسيها إلى جانب المساعدات التي يقدمها المحسنون والتي تمثلت في الأوقاف والهبات والتبرعات.

وكشف البحث أن محاولة الدولة العثمانية إنشاء **مدارس نظامية حديثة** بمكة جاء متأخراً عن بقية مناطق الحجاز، وناقش أسباب إقامة هذه المدارس، ومدى إقبال

المكيين عليها، كما بين البحث المناهج التعليمية والمواد الدراسية المتعلقة بهذه المدارس.

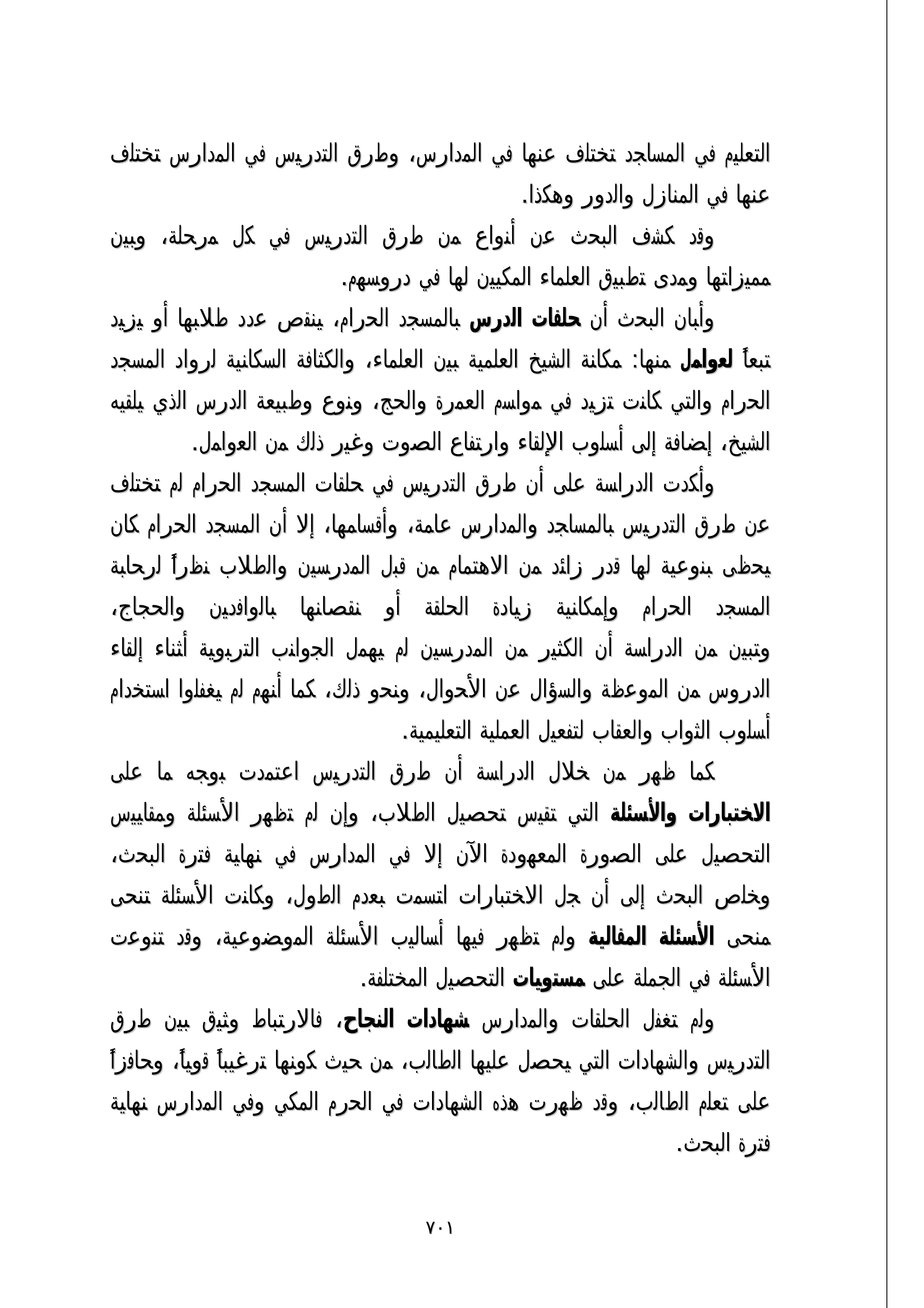
كذلك ناقشت الدراسة دوافع الأهالي بإنشاء **مدارس أهلية نظامية حديثة،** ومدى استفادتهم من تطور سبل التعليم، سواء المتعلقة بالمناهج العلمية أو الوسائل التعليمية، وتبين من الدراسة وجود تقارب في معظم المناهج الدراسية لهذه المدارس بل تكاد تكون واحدة، وهذا يجعلها متأثرة ببعضها، ويبرز في الجملة وحدة الخط التعليمي السائد في مكة فترة ظهور هذه المدارس.

وأظهر البحث أن التعليم بهذه المدارس كان **مجاناً**، وأن مؤسسيها هم الذين تولوا الإنفاق عليها إضافة إلى ما كان يوقف عليها من أوقاف أو تبرعات و هدايا وهبات.

**وفي مبحث دور العلماء:** تبين للباحثة أن العديد من العلماء كانت لهم دوافع كثيرة للتدريس في البيوت والدور كتقدم الشيخ في السن وضعف حركته، وطبيعة المادة المدرسة وغير ذلك، كما كان بهذه الدور؛ **المجالس الأدبية** التي هي سمر العلماء بمكة ليالي العطلات، فكان يدور فيها الكثير من العلوم والمسائل العلمية، مما أثرى التعليم وزاد في الروابط الاجتماعية بين العلماء بعضهم ببعض، وكذا بينهم وبين الطلاب.

**وفي الفصل الثالث: نظم التعليم ومسيرته والإنفاق عليه في مكة،** كان الحديث عن طرق التدريس وحلقات الدرس، والمدرسين والوظائف التعليمية والطلاب، والعلوم والمصنفات التي كانت تدرس في مكة، وموارد الإنفاق وطرق الصرف على نظم التعليم.

ففي مبحث **طرق التدريس وحلقات الدرس،** تبين من الدراسة تباين طرق التدريس حسب المرحلة التعليمية التي تمارس فيها، فهناك أساليب وطرق تعليمية تمارس وتستخدم في مرحلة التعليم الأولي (الكتاتيب)، وهناك أساليب وطرق تعليمية تمارس وتستخدم في مراحل التعليم المتقدم، مراعاة لتفكير وإدراك الطلبة، وطرق



التعليم في المساجد تختلف عنها في المدارس، وطرق التدريس في المدارس تختلف عنها في المنازل والدور وهكذا.

وقد كشف البحث عن أنواع من طرق التدريس في كل مرحلة، وبين مميزاتها ومدى تطبيق العلماء المكيين لها في دروسهم.

وأبان البحث أن **حلقات الدرس** بالمسجد الحرام، ينقص عدد طلابها أو يزيد تبعاً **لعوامل** منها: مكانة الشيخ العلمية بين العلماء، والكثافة السكانية لرواد المسجد الحرام والتي كانت تزيد في مواسم العمرة والحج، ونوع وطبيعة الدرس الذي يلقيه الشيخ، إضافة إلى أسلوب الإلقاء وارتفاع الصوت وغير ذلك من العوامل.

وأكدت الدراسة على أن طرق التدريس في حلقات المسجد الحرام لم تختلف عن طرق التدريس بالمساجد والمدارس عامة، وأقسامها، إلا أن المسجد الحرام كان يحظى بنوعية لها قدر زائد من الاهتمام من قبل المدرسين والطلاب نظراً لرحابة المسجد الحرام وإمكانية زيادة الحلقة أو نقصانها بالوافدين والحجاج، وتبين من الدراسة أن الكثير من المدرسين لم يهمل الجوانب التربوية أثناء إلقاء الدروس من الموعظة والسؤال عن الأحوال، ونحو ذلك، كما أنهم لم يغفلوا استخدام أسلوب الثواب والعقاب لتفعيل العملية التعليمية.

كما ظهر من خلال الدراسة أن طرق التدريس اعتمدت بوجه ما على **الاختبارات والأسئلة** التي تقيس تحصيل الطلاب، وإن لم تظهر الأسئلة ومقاييس التحصيل على الصورة المعهودة الآن إلا في المدارس في نهاية فترة البحث، وخلص البحث إلى أن جل الاختبارات اتسمت بعدم الطول، وكانت الأسئلة تنحى منحى **الأسئلة المقالية** ولم تظهر فيها أساليب الأسئلة الموضوعية، وقد تنوعت الأسئلة في الجملة على **مستويات** التحصيل المختلفة.

ولم تغفل الحلقات والمدارس **شهادات النجاح**، فالارتباط وثيق بين طرق التدريس والشهادات التي يحصل عليها الطالب، من حيث كونها ترغيباً قوياً، وحافزاً على تعلم الطالب، وقد ظهرت هذه الشهادات في الحرم المكي وفي المدارس نهاية فترة البحث.

وفي مبحث **المدرسين والوظائف التعليمية**، أوضحت الدراسة أن هناك جملة شروط علمية وخلقية اشترط توفرها في المدرس، وهي لا تختلف على مر العصور في الجملة.

كما أظهرت الدراسة الخصائص والمميزات التي تمتع بها المدرس المكي والتي كانت مثالاً يحتذى به.

وأظهر البحث تميز الحلقات المكية الواضح في **جنسيات** طلاب بعض الحلقات، وهذا يعزى في الجملة إلى اختلاف المدرسين من وافدين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي أو من أهالي مكة الأصليين، والذي أدى بدوره إلى أن أصبح لكل مدرس مدرسته الخاصة به والتي تميزه عن غيره.

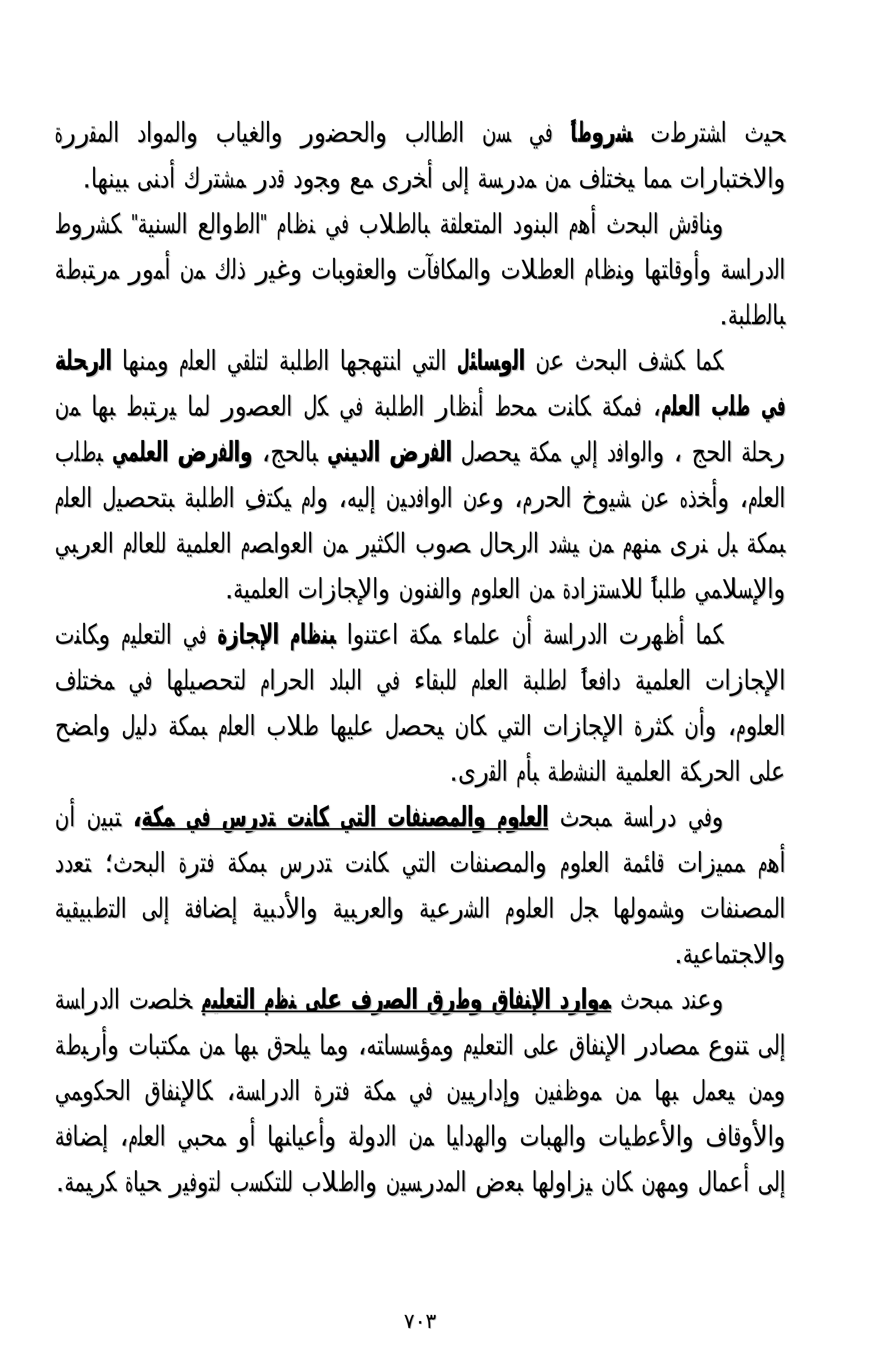
كما تبين للبحث أن **منصب شيخ العلماء** أو رئيسهم ونقيبهم، استحدث فترة البحث ويعد من أهم الوظائف الدينية والعلمية والإدارية التي يناط بها تنظيم عملية التدريس بالمسجد الحرام.

كذلك ناقشت الدراسة أهم البنود التي تتعلق بالمدرس في نظام التعليم الجديد المسمى "**الطوالع السنية**".

وانتهى البحث إلى أن مدرسي الحرم المكي أضحوا منارة للعلم وتاجاً على رؤوس الطلاب، يفتخر الطالب بأنه درس على مدرس بالحرم المكي، أو بمدرسة كانت بمكة، بل كثير ممن نهضوا بالعلم والتعليم في كثير من أنحاء المعمورة كانت حصيلتهم ما استفادوه من مدرسي مكة والحرم.

وفي مبحث **الطلاب**، تبين من الدراسة أن ثمة دوافع للطلاب أهمها حمل العلم والنور. وأن المسجد الحرام كان قبلة هؤلاء الطلاب، فلم يكن هناك سن محددة للالتحاق بحلقاته العلمية.

وأبرزت الدراسة أن كون **حلقات العلم مفتوحة** للطلبة، أسهم بصورة إيجابية في العملية التعليمية، فتَرك حرية اختيار الطالبِ الشيخَ الذي يحب أن يدرس معه، وكذا اختيار الحلقة التي تتناسب ومستوى تحصيله ووقته وظروفه، في حين أن الدراسة بالمدارس كانت لا تتمتع بهذه الميزات التي بحلقات المسجد الحرام، من



حيث اشترطت **شروطاً** في سن الطالب والحضور والغياب والمواد المقررة والاختبارات مما يختلف من مدرسة إلى أخرى مع وجود قدر مشترك أدنى بينها.

وناقش البحث أهم البنود المتعلقة بالطلاب في نظام "الطوالع السنية" كشروط الدراسة وأوقاتها ونظام العطلات والمكافآت والعقوبات وغير ذلك من أمور مرتبطة بالطلبة.

كما كشف البحث عن **الوسائل** التي انتهجها الطلبة لتلقي العلم ومنها **الرحلة في طلب العلم**، فمكة كانت محط أنظار الطلبة في كل العصور لما يرتبط بها من رحلة الحج ، والوافد إلي مكة يحصل **الفرض الديني** بالحج، **والفرض العلمي** بطلب العلم، وأخذه عن شيوخ الحرم، وعن الوافدين إليه، ولم يكتف الطلبة بتحصيل العلم بمكة بل نرى منهم من يشد الرحال صوب الكثير من العواصم العلمية للعالم العربي والإسلامي طلباً للاستزادة من العلوم والفنون والإجازات العلمية.

كما أظهرت الدراسة أن علماء مكة اعتنوا **بنظام الإجازة** في التعليم وكانت الإجازات العلمية دافعاً لطلبة العلم للبقاء في البلد الحرام لتحصيلها في مختلف العلوم، وأن كثرة الإجازات التي كان يحصل عليها طلاب العلم بمكة دليل واضح على الحركة العلمية النشطة بأم القرى.

وفي دراسة مبحث **العلوم والمصنفات التي كانت تدرس في مكة**، تبين أن أهم مميزات قائمة العلوم والمصنفات التي كانت تدرس بمكة فترة البحث؛ تعدد المصنفات وشمولها جل العلوم الشرعية والعربية والأدبية إضافة إلى التطبيقية والاجتماعية.

وعند مبحث **موارد الإنفاق وطرق الصرف على نظام التعليم** خلصت الدراسة إلى تنوع مصادر الإنفاق على التعليم ومؤسساته، وما يلحق بها من مكتبات وأربطة ومن يعمل بها من موظفين وإداريين في مكة فترة الدراسة، كالإنفاق الحكومي والأوقاف والأعطيات والهبات والهدايا من الدولة وأعيانها أو محبي العلم، إضافة إلى أعمال ومهن كان يزاولها بعض المدرسين والطلاب للتكسب لتوفير حياة كريمة.

**وفي الفصل الرابع كان الحديث عن : النتاج العلمي لعلماء مكة**، والذي شمل الحديث عن **المجاورين** وأثرهم في النتاج العلمي، وعن **الوراقين** وأثرهم في النتاج العلمي، ثم دراسة **المصنفات العلمية** لعلماء مكة وكذلك الاهتمام **بالمكتبات وخزائن الكتب**، وأخيراً كان الحديث عن **أثر علماء مكة** في ازدهار الحركة العلمية في البلدان الإسلامية.

**فعند الحديث عن المجاورين**، تبين لي أن المجاورة بمكة لم تكن قاصرة على القادمين من جهة دون أخرى وأن المجاورة كانت لدوافع عديدة إلا أن **الدافع الديني** هو القاسم المشترك بين كل قادم للحرم من المسلمين، كما ظهر لي في الجملة أن المجاورين من (نجد) خاصة من الحنابلة كان غرضهم الرئيس من الجوار هو طلب **علم الحديث** الذي كانت مكة مشتهرة به آنذاك لنزول المحدثين بها ونشاط حركة (**الإجازات الحديثية**) بها، والتي يهفو لها طلاب العلم، كما أن جل هؤلاء النجديين قد اضطلع بإمامة المقام الحنبلي وتدريس المذهب الحنبلي بالمسجد الحرام، وهذا الجوار أسهم بشكل أو بآخر في نشر الدعوة السلفية إلى بلاد العالم الإسلامي.

كما تبين من الدراسة أن مدة الجوار لم تكن واحدة، فقد تقصر وقد تطول وتبين لي أيضاً أن ثلة من العلماء لم يقتصر جواره على مكة فحسب، بل انتقل للمجاورة بالمدينة أيضاً، أو جاور ابتداء بالمدينة ثم انتقل للمجاورة بمكة طلباً للعلم والخير من كل من الحرمين.

كما كان لأمراء مكة أثرهم الواضح في بقاء بعض المجاورين بمكة مدة أطول، وذلك باحتضانهم ووصلهم والعناية بهم، ولاسيما كبار العلماء المجاورين الذين يحتاج لهم في التدريس بالمسجد الحرام، وذيوع مثل هذه المعاملة الحسنة للمجاورين دفع آخرين إلى طلب الجوار بالمسجد الحرام.

وكشفت الدارسة أن المجاورين أثروا الحياة العلمية في مكة، فقد أسهموا في نشر العلم عن طريق حلقات العلم في المسجد الحرام والدور، بالإضافة إلى إسهامتهم في إنشاء المدارس والمكتبات، غير ما بذلوه من جهد في مجال الوراقة

والتأليف، وكذلك كان لبعض المجاورين أثر بقي مدة طويلة من خلال الأسر العلمية التي بقيت ردحاً من الزمان تنشر العلم بالبلد الحرام.

**وفي مبحث الوراقين،** أظهرت الدراسة تعدد الأسباب التي أدت إلى انتعاش الوراقة بمكة، كما تناولت الدراسة أماكن الوراقين، وكشفت أنها كانت تتمركز في منطقة المسعى وما حول باب السلام، إضافة إلى ممارسة بعضهم النسخ بداخل الحرم أو في منازلهم، وربما نسخوا بالطائف للجو العليل بعداً عن حرارة القيظ بصيف مكة، كما بين البحث **الأدوات المستخدمة** في النسخ من أوراق وأدوات الكتابة، والخطوط التي استخدمها النساخون في عملهم.

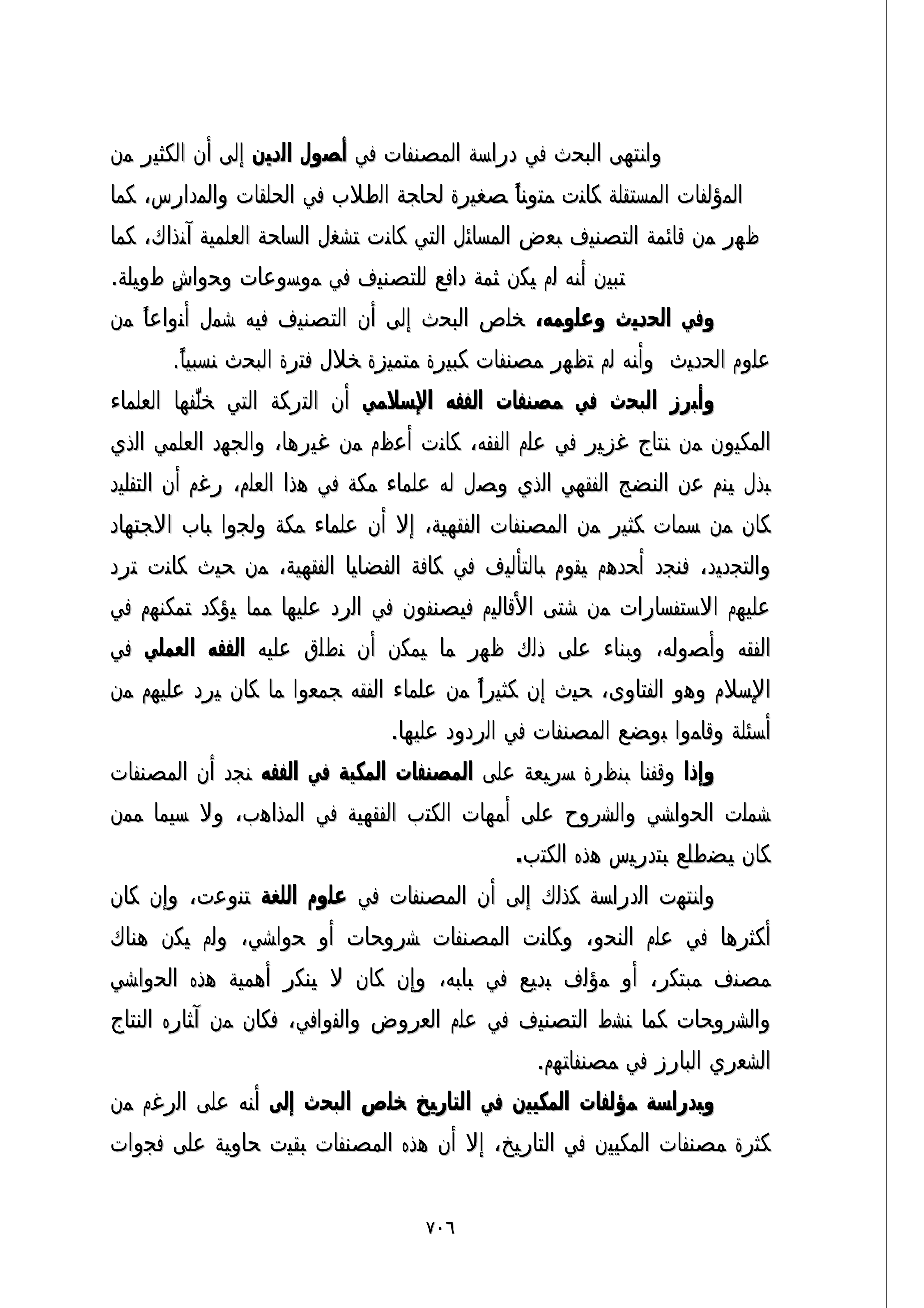
وتبين من خلال البحث أن الوراقة أثرت على الحركة العلمية بمكة تأثيراً واضحاً من انتشار العلوم والمعرفة، ومن فتح محلات الكتب، وتكوين المكتبات الخاصة والعامة، كما أثرت على تطوير علوم الخط العربي، وتدريسها في المدارس والحلقات العلمية.

وكشفت الدراسة أن همم المكيين تطلعت **لطباعة الكتب** خارج مكة، حين انتشرت الطباعة في بلدان العالم الإسلامي، وعندما أنشأت الدولة المطبعة بمكة ورأى المكيون فوائدها عن قرب قاموا بإنشاء المطابع الأهلية، التي غطت جزءاً كبيراً من متطلبات المكيين في طباعة مصنفاتهم، وكذلك طباعة التراث الإسلامي حتى بقيت عبارة: (**طبع في مكة**) علماً على كثير من المؤلفات في أنحاء المعمورة.

وتطرقت الدراسة كذلك **للصحف** التي كانت تصدر بمكة، وأظهرت مدى إقبال المكيين عليها.

وفي مبحث **المؤلفات المكية،** كشفت الدراسة دوافع العلماء في التأليف والتصنيف، وخلص البحث إلى أن التأليف اتخذ أشكالاً متعددة تبعاً لأسباب متنوعة.

كما بينت الدراسة أن مؤلفات المكيين في علوم القرآن كانت جزئية، إذ صنفوا في سور أو أجزاء من كتاب ا ، ولعل ذلك يعود إلى حاجة العامة والطلبة المبتدئين لفهم مبسط لبعض آيات الذكر الحكيم.



وانتهى البحث في دراسة المصنفات في **أصول الدين** إلى أن الكثير من المؤلفات المستقلة كانت متوناً صغيرة لحاجة الطلاب في الحلقات والمدارس، كما ظهر من قائمة التصنيف بعض المسائل التي كانت تشغل الساحة العلمية آنذاك، كما تبين أنه لم يكن ثمة دافع للتصنيف في موسوعات وحواشٍ طويلة.

**وفي الحديث وعلومه،** خلص البحث إلى أن التصنيف فيه شمل أنواعاً من علوم الحديث وأنه لم تظهر مصنفات كبيرة متميزة خلال فترة البحث نسبياً.

**وأبرز البحث في مصنفات الفقه الإسلامي** أن التركة التي خلّفها العلماء المكيون من نتاج غزير في علم الفقه، كانت أعظم من غيرها، والجهد العلمي الذي بذل ينم عن النضج الفقهي الذي وصل له علماء مكة في هذا العلم، رغم أن التقليد كان من سمات كثير من المصنفات الفقهية، إلا أن علماء مكة ولجوا باب الاجتهاد والتجديد، فنجد أحدهم يقوم بالتأليف في كافة القضايا الفقهية، من حيث كانت ترد عليهم الاستفسارات من شتى الأقاليم فيصنفون في الرد عليها مما يؤكد تمكنهم في الفقه وأصوله، وبناء على ذلك ظهر ما يمكن أن نطلق عليه **الفقه العملي** في الإسلام وهو الفتاوى، حيث إن كثيراً من علماء الفقه جمعوا ما كان يرد عليهم من أسئلة وقاموا بوضع المصنفات في الردود عليها.

**وإذا** وقفنا بنظرة سريعة على **المصنفات المكية في الفقه** نجد أن المصنفات شملت الحواشي والشروح على أمهات الكتب الفقهية في المذاهب، ولا سيما ممن كان يضطلع بتدريس هذه الكتب.

وانتهت الدراسة كذلك إلى أن المصنفات في **علوم اللغة** تنوعت، وإن كان أكثرها في علم النحو، وكانت المصنفات شروحات أو حواشي، ولم يكن هناك مصنف مبتكر، أو مؤلف بديع في بابه، وإن كان لا ينكر أهمية هذه الحواشي والشروحات كما نشط التصنيف في علم العروض والقوافي، فكان من آثاره النتاج الشعري البارز في مصنفاتهم.

**وبدراسة مؤلفات المكيين في التاريخ خلص البحث إلى** أنه على الرغم من كثرة مصنفات المكيين في التاريخ، إلا أن هذه المصنفات بقيت حاوية على فجوات



وثغرات مجهولة خاصة ما يتعلق بتاريخ مكة العلمي والحضاري، ولم يكن هذا النقص حديثاً، فقد كان معروفاً قبل فترة البحث بقرون، فنجد المؤلفات المكية فترة البحث جل اعتمادها على مصنفات السابقين، مع أن التاريخ لا يقف عند عصر، بل هو دائم التجدد والعطاء، يحتاج إلى من يسبر غوره، فيخرج الفوائد والفرائد منه.

فرغم طول الفترة التي غطاها البحث، إلا أنني لم أعثر على مصنف عن تاريخ مكة ككتاب تقي الدين الفاسي والنجم ابن فهد وابن ظهيرة والنهروالي.

ويدا لي أن معظم المؤرخين أصحاب جمع تأليفي، فكانوا أصحاب تأليف في الحديث والفقه واللغة العربية والأدب والشعر وغيرها، كما أماط البحث اللثام عن **ظاهرة التكرار** في المؤلفات المكية في التاريخ، سواء خلال المادة الداخلية في نطاق المؤلف الواحد، أو في نطاق الموضوع الواحد، أو في المؤلفات الملخصة من مؤلفات سابقة، وهذا التكرار وإن كان يضفي أحياناً بجوانب سلبية، إلا أنه حفظ في الجملة تراثاً من الضياع، ولاسيما وكثير من المؤلفات فقد بعضها أو أجزاء منها، ويمكن للباحث أن يدرك هذا التكرار عند بحث الشخصية العلمية من أكثر من كتاب من كتب التراجم مثلاً.

كما ظهر في المصنفات التاريخية **تعدد المصادر** وتنوعها ما بين الاستفادة من المؤلفات السابقة والمساءلة والمشافهة والمشاركة، كذلك ظهر **التشابه** في طرق المصنفين في استخدام المصادر والانتساب إليها فضلاً عن اتخاذ المؤرخين المعاصرين بعضهم بعضاً مصدراً لكتاباتهم التاريخية.

ومع كثرة مؤلفات التاريخ نجد **ندرة** المؤلفات **الجغرافية والحضارية** بين مصنفات المكيين، ويعود ذلك إلى أن مكة يرحل إليها من كل فج عميق، فلا يحتاج المكي إلى سياحة لأمر ديني كما أنه يجد بغيته في العلم في مكة مفتوحة له أبوابها، كما أن المؤلفات التاريخية لا تخلو دائماً من التعريف ببعض الأماكن والبلدان خاصة تعريفهم بالآثار والأماكن المقدسة بمكة.

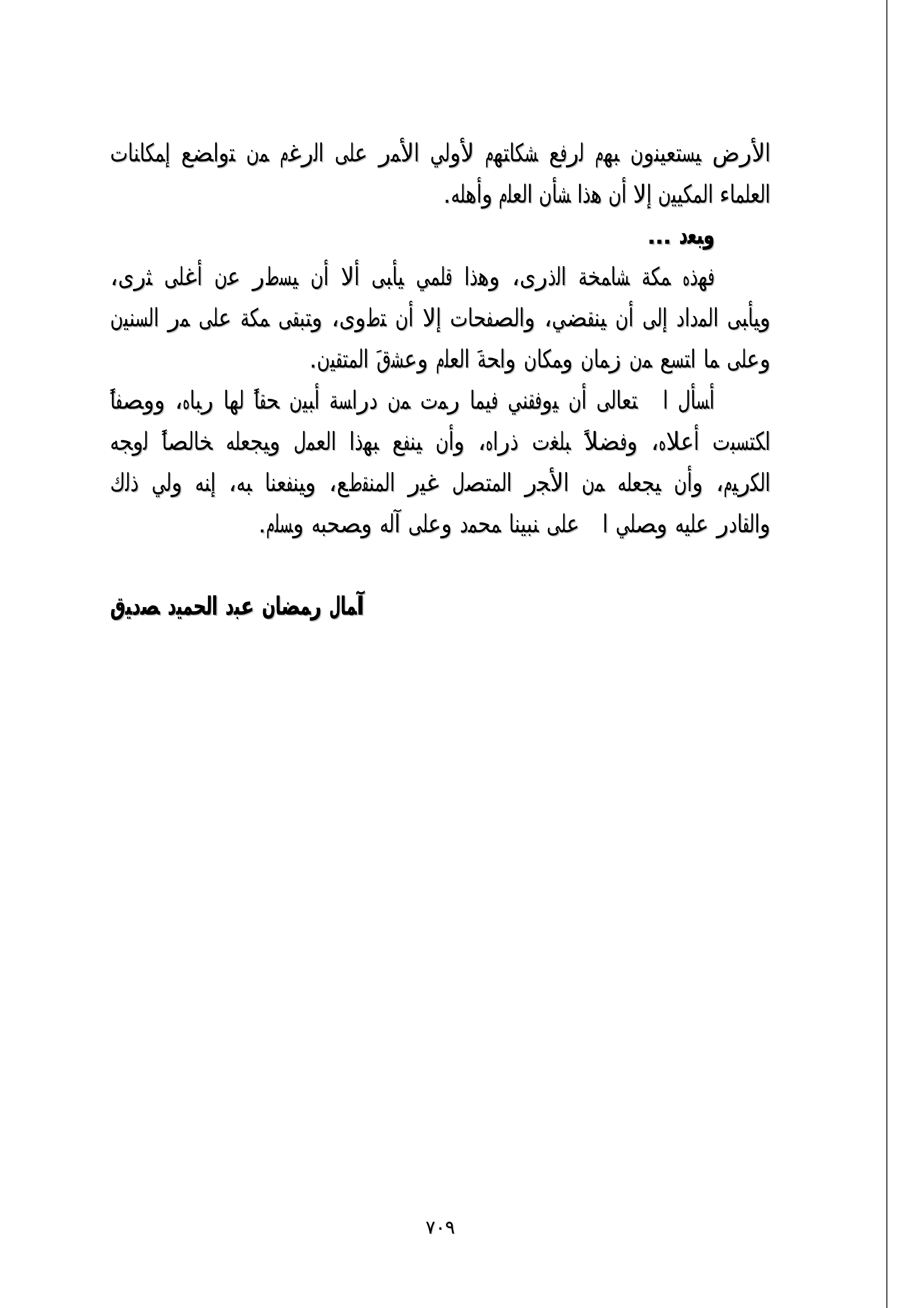
وأما المصنفات في **العلوم الطبيعية والرياضية**، فقد خلص البحث إلى كونها متواضعة بسبب اهتمام علماء مكة بالعلوم الشرعية أكثر من غيرها، لوضع مكة

الديني ولعدم وجود التشجيع المادي والمعنوي من قبل الحكام العثمانيين في دراسة مثل هذه العلوم، إذ الدولة عندما تولي هذه العلوم قدراً من الاهتمام ينجذب الناس لدراستها غالباً.

**وأما مبحث المكتبات،** فقد خاص البحث إلى أن معظم مكتبات مكة كانت تحوي مخطوطات وكتب دينية وهذه النوعية كانت أكثر نوعيات الكتب، ثم يأتي عقب ذلك الكتب الأدبية فالتاريخية فالعلوم الأخرى، كما ظهر فيها ما كتب بالعربية أو الفارسية أو التركية أو الأردية أو الجاوية أو لغات أخرى، وكان **للوقف والإهداء** دور كبير في تكوين ونشوء المكتبات وتزويدها بنوادر الكتب والمخطوطات، كما وجدنا أن مكتبة الحرم أهديت إليها أكثر الكتب من المكتبات الخاصة دون سواها من المكتبات لأن الناس كانت ترى في ذلك تبركاً وتقرباً إلى ا ، وأوضح البحث أسباب ضياع وتلاف الكثير من المكتبات، كما أبرز أن شراء الكتب من قبل الحجاج وغيرهم كان سبباً في انتقال التراث المكي إلى مكتبات العالم وحفظه، وربما لو بقي لأثرى المكتبة المكية ولكشف اللثام عن الكثير من نواح الحياة في مكة، إلا أنه في المقابل أثر بالانتقال في البلاد التي حل بها.

وفي آخر مباحث الرسالة، وهو **أثر علماء مكة في ازدهار الحركة العلمية في البلدان الإسلامية،** تبين أن العالم المكي كان مباركاً حينما حل، فإن كان في حلقة علمه بالحرم، فإن علمه كان يطوف الأرض أينما حل طالب له بمكان هنا أو هناك، فلم يحتج أكثر العلماء إلى الرحيل إلى العالم الإسلامي لنشر علومهم، فقد كان علمهم سابقاً لهم، كما وجد من علماء مكة من طاف عدداً من بلدان العالم الإسلامي طلباً للعلم أو نشره أو تولي منصب ديني كالقضاء والإفتاء، فظل أثرهم العلمي أيضاً في تلكم النواحي ، فكانت علومهم محل انتشار حيثما رحلوا.

ومن جميل ما أبان عنه البحث: أن مكة كانت قلباً نابضاً تعنى بأحوال المسلمين في العالم أجمع ، فمن مشاعر الحرم فتح ا قلوب العديد لنشر الدعوة السلفية إلى العالم لينتشر النور في تلكم الأصقاع، كما كان علماء مكة محط أنظار المسلمين في



الأرض يستعينون بهم لرفع شكاتهم لأولي الأمر على الرغم من تواضع إمكانات العلماء المكيين إلا أن هذا شأن العلم وأهله.

**وبعد ...**

فهذه مكة شامخة الذرى، وهذا قلمي يأبى ألا أن يسطر عن أغلى ثرى، ويأبى المداد إلى أن ينقضي، والصفحات إلا أن تطوى، وتبقى مكة على مر السنين وعلى ما اتسع من زمان ومكان واحةَ العلم وعشقَ المتقين.

أسأل ا  تعالى أن يوفقني فيما رمت من دراسة أبين حقاً لها رباه، ووصفاً اكتسبت أعلاه، وفضلاً بلغت ذراه، وأن ينفع بهذا العمل ويجعله خالصاً لوجه الكريم، وأن يجعله من الأجر المتصل غير المنقطع، وينفعنا به، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلي ا  على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**آمال رمضان عبد الحميد صديق**

# الملاحق

ملحق رقم (١) : السلاطين والأشراف والولاة.

ملحق رقم (٢) : من عناصر العملية التعليمية.

ملحق رقم (٣) : المخطوطات.

ملحق رقم (٤) : الخرائط و الصور.

# ملـــحـــق رقم (أ)

## أسماء السلاطين والأشراف والولاة فترة البحث

أ ـ أسماء **السلاطين** العثمانيين الذين تولوا الحكم فترة البحث

ب ـ أسماء **الأشراف** الذين تولوا الحكم فترة البحث

ج ـ أسماء **الولاة** الذين تولوا حكم الحجاز

**( أ ) ـ أسماء السلاطين العثمانيين الذين تولوا الحكم فترة البحث**[1]

| اسم السلطان | فترة حكمه |
|---|---|
| أحمد خان الثالث بن محمد الرابع | ١١١٥ ـ ١١٤٣هـ |
| محمود أول بن مصطفى الثاني | ١١٤٣ ـ ١١٦٨هـ |
| عثمان الثالث ابن مصطفى خان | ١١٦٨ ـ ١١٧١هـ |
| مصطفى خان الثالث ابن أحمد الثاني | ١١٧١ ـ ١١٨٧هـ |
| عبد الحميد الأول ابن أحمد الثاني | ١١٨٧ ـ ١٢٠٣هـ |
| سليم الثالث بن مصطفى الثالث | ١٢٠٣ ـ ١٢٢٢هـ |
| مصطفى الربع بن عبد الحميد الأول | ١٢٢٢ـ ١٢٢٣هـ |
| محمود الثاني ابن عبد الحميد الأول | ١٢٢٣ـ ١٢٥٥هـ |
| عبد المجيد بن محمود الثاني | ١٢٥٥ ـ ١٢٧٧هـ |
| عبد العزيز بن محمود الثاني | ١٢٧٧ ـ ١٢٩٣هـ |
| مراد بن عبد المجيد | ١٢٩٣ ـ ١٢٩٣هـ |
| عبد الحميد الثاني بن عبد المجيد | ١٢٩٣ ـ ١٣٢٨هـ |
| محمد الخامس رشاد | ١٣٢٨ـ ١٣٣٧هـ |
| محمد السادس وحيد الدين | ١٣٣٧ ـ ١٣٤٠هـ |
| عبد المجيد الثاني | ١٣٤٠ ـ ١٣٤٢هـ |

(١) سالنامه ولاية الحجاز ع ٥، عام ١٣٠٩هـ، محمد فريد بك: الدولة العلية.

## ( ب ) ـ أسماء الأشراف الذين تولوا الحكم فترة البحث[1].

| اسم أمير مكة | فترة حكمه |
|---|---|
| سعد بن زيد | ١١١٦هـ |
| سعيد بن سعد بن زيد | ١١١٦ـ١١١٧هـ |
| عبد الكريم بن محمد بن يعلي | ١١١٧ ـ ١١٢٣هـ |
| سعيد بن سعد بن زيد | ١١٢٣ ـ ١١٢٩هـ |
| عبد ا بن سعيد | ١١٢٩ ـ ١١٣٠هـ |
| يحيى بن بركات | ١١٣٠ ـ ١١٣٢هـ |
| مبارك بن أحمد | ١١٣٢ـ ١١٣٤هـ |
| يحيى بن بركات | ١١٣٤ ـ ١١٣٥هـ |
| مبارك بن أحمد | ١١٣٦ ـ ١١٣٦هـ |
| عبد ا بن سعيد | ١١٣٦ـ ١١٤٣هـ |
| محمد بن عبد ا بن سعد | ١١٤٣ ـ ١١٤٥هـ |
| مسعود بن سعيد | ١١٤٥ـ ١١٤٥هـ |
| محمد بن عبد ا بن سعد | ١١٤٥ـ ١١٤٦هـ |
| مسعود بن سعيد | ١١٤٦ـ ١١٦٥هـ |
| مساعد بن سعيد | ١١٦٥ ـ ١١٧٢هـ |
| جعفر بن سعيد | ١١٧٢ـ ١١٧٣هـ |
| مساعد بن سعيد | ١١٧٣ـ ١١٨٤هـ |
| عبد ا بن سعيد | ١١٨٤ـ ١١٨٤هـ |

(١) سالنامه الحجاز ع ٤، عام ١٣٠٦هـ؛ الكردي: التاريخ القويم، ج٢، ص٥٠٢.

| | |
|---|---|
| أحمد بن سعيد | ١١٨٤ـ ١١٨٤هـ |
| عبد ا   بن حسين بركاتي | ١١٨٤ـ ١١٨٤هـ |
| أحمد بن سعيد | ١١٨٤ـ ١١٨٦هـ |
| سرور بن مساعد بن سعيد | ١١٨٦ـ ١٢٠٢هـ |
| عبد المعين بن مساعد | ١٢٠٢ ـ ١٢٠٢هـ |
| غالب بن مساعد بن سعد(١) | ١٢٠٢ ـ ١٢٢٨هـ |
| يحيى بن سرور بن مساعد | ١٢٢٨ـ ١٢٤٢هـ |
| محمد بن عبد المعين بن عون | ١٢٤٢ ـ ١٢٦٧هـ |
| عبد المطلب بن غالب | ١٢٦٧ ـ ١٢٧٢هـ |
| محمد بن عبد المعين بن عون | ١٢٧٢ ـ ١٢٧٤هـ |
| عبد ا   بن محمد بن عبد المعين بن عون | ١٢٧٤ ـ ١٢٩٤هـ |
| الحسين بن محمد بن عبد المعين بن عون | ١٢٩٤ ـ ١٢٩٧هـ |
| عبد المطلب بن غالب بن مساعد | ١٢٩٧ ـ ١٢٩٩هـ |
| عون الرفيق بن محمد بن عبد المعين | ١٢٩٩ ـ ١٣٢٣ |
| علي بن عبد ا   بن محمد بن عبد المعين | ١٣٢٣ـ ١٣٢٦ |
| عبد الإله بن محمد بن عون | ١٣٢٧هـ |
| حسين بن علي بن محمد بن عون | ١٣٢٧هـ |

(١) استمرت فترة إمارة الشريف غالب بن مساعد على مكة باسم العثمان  من سنة **١٢٠٢هـ** وح  **١٢٨١هـ** حيث انتقل ا كم مكة  ذلك العام إ  أل سعود، وأصبح ا جاز جزء من الدولة السعودية ح  أواخر عهد الإمام عبد العزيز بن سعود عام **١٢٢٩هـ**.

## ( ج ) ـ أسماء الولاة الذين تولوا حكم الحجاز[1]

| اسم الوالي | فترة حكمه | اسم الوالي | فترة حكمه |
|---|---|---|---|
| حسن باشا | ١١١٩هـ | محمد عزب باشا | ١٢٠٣هـ |
| محمد محسن باشا | ١١٢٠ هـ | قوجه يوسف | ١٣٠٧هـ |
| خزينة دار إسماعيل | ١١٢٢ هـ | زاده إبراهيم باشا | ١٢١٥هـ |
| إبراهيم باشا | ١١٢٢ هـ | محمد طوسون باشا | ١٢١٦هـ |
| كتخدا خليل باشا | ١١٢٦ هـ | محمد شريف باشا | ١٢١٧هـ |
| حسن باشا | ١١٢٦ هـ | أبو مراق محمد باشا | ١٢١٨هـ |
| وزير علي باشا | ١١٣٤ هـ | جلبي أحمد باشا | ١٢٢١هـ |
| جاوش باشى بكر | ١١٣٤ هـ | مصرلي طوسون باشا | ١٢٢٧هـ |
| إسماعيل باشا | ١١٣٦ هـ | مصرلي إبراهيم | ١٢٣٢هـ |
| إيكنجي دفعه بكر | ١١٣٧ هـ | تاتار عثمان باشا | ١٢٥٧هـ |
| صدر أسبق محمد باشا | ١١٤٠ هـ | شريف باشا | ١٢٦١هـ |
| وزير أبو بكر باشا | ١١٥٨ هـ | حسيب باشا | ١٢٦٥هـ |
| يكن مصطفى باشا | ١١٥٩ هـ | اكاه باشا | ١٢٦٧هـ |
| وزير عثمان باشا | ١١٥٩ هـ | دلتو عزب باشا | ١٢٦٩هـ |
| صدر اسبق محمد باشا | ١١٦٣ هـ | كامل باشا | ١٢٧٠هـ |
| إيكنجي دفعة عثمان | ١١٦٣ هـ | محمود باشا | ١٢٧٣هـ |
| كتخدا مصطفى أغا | ١١٦٣ هـ | دلتو نامق باشا | ١٢٧٤هـ |
| أو بكر باشا | ١١٦٥ هـ | كوتاهيلي علي باشا | ١٢٧٥هـ |
| سيد محمد باشا | ١١٦٥ هـ | حقي باشا زاده باشا | ١٢٧٨هـ |
| عبد ا نائلي | ١١٧١ هـ | وجيهي باشا | ١٢٨١هـ |
| وزير سعد الدين باشا | ١١٧٢ هـ | معمر باشا | ١٢٨٤هـ |
| مصطفى باشا | ١١٧٣ هـ | خورشيد باشا | ١٢٨٧هـ |
| صالح باشا | ١١٧٥ هـ | فريق هاشم باشا | ١٢٨٨هـ |
| سيد أحمد باشا | ١١٧٩ هـ | محمد رشيد باشا | ١٢٨٩هـ |

---

(١) الكردي: ج ٦، ص ٥٠٢ ـ ٥٠٤.



| | |
|---|---|
| محمد راقم باشا | ١١٨١ هـ |
| حمزة باشا | ١١٨٣ هـ |
| خليل باشا | ١١٨٨ هـ |
| دفتر دار عثمان باشا | ١١٨٩ هـ |
| بابلسي أحمد باشا | ١١٩١ هـ |
| مصطفى باشا | ١١٩٩ هـ |
| أغريبوزي محمد باشا | ١٢٠٠ هـ |
| أبو ليلى أحمد باشا | ١٢٠٠ هـ |
| شرواني رشيد باشا | ١٢٩١هـ |
| تقي الدين باشا | ١٢٩١هـ |
| جالت باشا | ١٢٩٤هـ |
| ناشد باشا | ١٢٩٧هـ |
| صفوت باشا | ١٢٩٧هـ |
| عزت باشا | ١٢٩٨هـ |
| عثمان باشا | ١٢٩٩هـ |
| جميل باشا | ١٣٠٤هـ |
| دولتلو صرت باشا | ١٣٠٤هـ |

# ملحـــق رقم (٢)

## من عناصر العملية التعليمية

أ ـ صك نظارة مدرسة دار الفائزين تحت إشراف بيت الميمني.

ب ـ نموذج من **أسئلة الامتحان السنوي** بالمدرسة الصولتية لعام ١٣٣١هـ.

ج ـ شهادة نجاح، في امتحان **ملازمي المدرسين** بالحرم المكي الشريف.

د ـ شهادة نجاح، في امتحان **المدرسين** بالحرم المكي الشريف.

هـ ـ أسماء **المدرسين** بالمسجد الحرام عام (١٣٠١هـ)، والمرتبات المخصصة لهم سنوياً.

**(أ) صك نظارة مدرسة دار الفائزين تحت إشراف بيت الميمني[1].**

(١) صادر من المحكمة الشرعية رقم : ١٣٦/٥٢٥، والمؤرخ عام ١٣٣٠/٣/٢٦هـ، أمدت به المدرسة الحالية.

( ب ) نموذج من **أسئلة الامتحان** السنوي بالمدرسة الصولتية لعام ١٣٣١هـ[1].

(١)Ibn Dohaish, op. cit , p 314.

( ج ) ـ **شهادة نجاح** في امتحان ملازمي المدرسين بالحرم المكي الشريف[1].

[1]Ibn Dohaish, op. cit , p 295.

**( د ) شهادة النجاح** في امتحان المدرسين بالحرم المكي الشريف[1].

---

(1)Ibn Dohaish, op. cit , p 296.

**( هـ ) أسماء المدرسين بالمسجد الحرام عام (١٣٠١هـ)**

**والمرتبات المخصصة لهم سنوياً[1].**

| أسماء المشايخ المدرسين بالمسجد الحرام | المرتبات |
|---|---|
| إبراهيم مرغني ـ محمد صالح زواوي ـ عبد ا اخسنحوي ـ محمود أفندي ـ محمد سعدي ـ صديق جان ـ أحمد مرغني ـ سليمان نقشبندي ـ أبو بكر بسيوني ـ محمد طاغستاني ـ زيني جمال الليل ـ عقيل مرغني. | (٥٠٠) قرش سنوياً |
| محمد حسب ا ـ أحمد أبو الخير مرداد ـ ياسين بسيوني عمر سقاف ـ عباس مرداد ـ أحمد أمين بيت المال. | (٤٠٠ ) قرش سنوي |
| أبو بكر مرغني ـ عباس بن صديق ـ أحمد أمين ـ حسين فتياني ـ سالم عطاس ـ محمد منصوري ـ عمر شامي حسن طيب ـ حسن عرب ـ محمد أبو الريش ـ جعفر طاغستاني ـ محمد منشاوي ـ عبد ا خضري ـ حسن القونيوي ـ أحمد زاوي ـ محمد سعيد بابصيل ـ محضار سقاف ـ رحمت ا الهندي ـ محمد بن محمد مرغني ـ عبد القادر خوقير ـ مصطفى عفيفي ـ عمر شطا ـ عبد ا زواوي ـ سليمان فقيه ـ محمد سعيد أديب ـ موسى نقشبندي ـ أبو بكر شطا ـ على مرغني. | (٣٠٠) قرش سنوي |
| عبد السلام قاضي ـ أبو بكر مفتي ـ علوي بين صالح عقيل ـ عبد القادر عبد الغني. | (٢٠٠ ) قرش سنوي |
| صالح بن صديق كمال ـ محمد مكي الكتبي ـ عقيل بن قاسم ـ إبراهيم بن موسى. | (١٠٠) قرش سنوي |

(١) سالنامه ولاية الحجاز ، لعام ١٣٠١هـ ، (مطبعة ولاية الحجاز، مكة)، العدد الأول، ص ١٠٣ـ ١٠٤ .

# ملحـــق رقم (٣)

## المخطوطات والوثائق

أ ـ صورة من **الإجازة** التي أجازها وكتبها بخطه الشيخ عبد الله سراج إلى عبد الرحمن بن حسن العجيمي

ب ـ صورة من **مخطوط "فيض الملك المتعالى** بأنباء أوايل القرن الثالث عشر والتوالي"، ج٣، ق ٨ ـ ٩ .

ج ـ غلاف سالنامة ولاية الحجاز العدد الثالث للسنة ١٣٠٥هـ .

د ـ العدد الأول من **جريدة الحجاز** باللغة العربية.

د ـ العدد الأول من **جريدة حجاز** باللغة التركية.

هـ ـ عدد من جريدة **شمس الحقيقة**.

و ـ صورة **مخطوط "تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة"**.

ز ـ صورة غلاف الجزء الثاني من **مخطوط تاج تواريخ البشر** وتتمة جميع السير.

ح ـ صورة **مقدمة مخطوط "فيض الملك المتعالى** بأنباء أوايل القرن الثالث عشر والتوالي".

ط ـ **وثيقة** من الصدر الأعظم إلى الباب العالي بشأن **نقل المكتبة** الموجودة بالمسجد الحرام إلى إحدى المدارس السليمانية

ي ـ صورة من بداية **كتاب سفر نامة حجاز ومصر** لأحمد حسين خان.

**( أ ) صورة من الإجازة**

التي أجازها وكتبها بخطه الشيخ عبد ا   سراج

إلى عبد الرحمن بن حسن العجيمي [1].

(١) جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، رقم ١٣٠٢.

( ب ) صورة من مخطوط

**"فيض الملك المتعالى بأنباء أوايل القرن الثالث عشر والتوالي"**

لعبد الستار الدهلوي ، ج٣، ق ٨ ـ ٩ [1].

ويظهر فيها رداءة الخط، مع اللَّحق الكثير

---

(١) مكتبة الحرم المكي ، مخطوط رقم : ١٠٩٩.

( ج ) غلاف **سالنامة ولاية الحجاز** العدد الثالث للسنة ١٣٠٥هـ.

**( د ) العدد الأول من جريدة الحجاز باللغة العربية[1].**

(١) مصورة من كتاب **تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية** لعثمان حافظ.

**( د ) العدد الأول من جريدة حجاز باللغة التركية[1].**

(١) مصورة من كتاب **تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية** لعثمان حافظ.

**( هـ ) عدد من جريدة شمس الحقيقة [1].**

(١) مصورة من كتاب **تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية** لعثمان حافظ.

( و ) صورة مخطوط "**تاريخ أشراف وأمراء مكة المكرمة**"

لعبد ا بن عبد الشكور بن محمد بن عبد الشكور هندية المكي،

ورقة رقم (٩٤)[١].

يتميز المخطوط بجمال الخط ووضوحه، وأسلوب الكاتب يمتاز بالتطويل والسجع والبديع، وتُظهر ورقة (٩٤) بعضاً من ترجمة الشريف مساعد بن سعيد ، لو اختصرت لملأت ربع الورقة.

(١) مخطوط بمكتبة الحرم المكي رقم : ١٤٣٠ .

**( ز ) صورة غلاف الجزء الثاني**

**من مخطوط تاج تواريخ البشر وتتمة جميع السير[1].**

لأحمد بن محمد الحضراوي.

---

(1) مخطوط بمكتبة مكة المكرمة، رقم ١٢٢، ١٢٣.

## ( ح ) صورة مقدمة مخطوط

## "فيض الملك المتعالى بأنباء أوايل القرن الثالث عشر والتوالي"

**للشيخ** عبد الستار دهلوي[١].

ويظهر في مقدمة الجزء الأول من المخطوط أن الشيخ لم يكمل مقدمته وترك لها فراغ يقارب النصف صفحة عله يعود لإكمالها متى فرغ من كتابه.

(١) مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف، رقم: ١١٠١ .

**( ط ) وثيقة** من الصدر الأعظم إلى الباب العالي بشأن **نقل المكتبة** الموجودة بالمسجد الحرام إلى إحدى **المدارس السليمانية** [١].

(١) معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، وثيقة رقم : ٢٠/ ٧ /١٠٧/ و ح ج.

( ي ) صورة من بداية كتاب **سفر نامة حجاز ومصر** لأحمد حسين خان.

# ملحق رقم (ك)

## الخرائط والصور

أ - خريطة لمكة عام ١٣٠٢هـ.

ب - صورة **تكية السلطان** عبد الحميد الثاني والتي تم افتتاحها عام ١٣١٨هـ.

ج - صورة **منظر للمسجد الحرام** يوضح الكعبة المشرفة والمقامات من حولها، وحصوات المسجد الحرام.

د - رسم مسطح للحرم المكي يوضح فيه أبواب الحرم وبعض أماكن المدارس.

هـ - صورة واجهة **البناية الأولى للمدرسة الصولتية** عام ١٢٩٠هـ - بحارة الباب.

و - صورة **باب السلام** أحد أبواب المسجد الحرام ومقر الوراقين والنساخ.

ز - صورة **مبنى المطبعة الأميرية**.

**( أ ) ـ خريطة مكة** عام ١٣٠٢هـ[1].

(١) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص ٦٥٦.

**( ب ) ـ دار ضيافة السلطان عبد الحميد الثاني والتي تم افتتاحها عام ١٣١٨هـ** [١].

ويظهر من الصورة الفضاء المحيط بالدار وبعدها النسبي عن الحرم المكي الشريف مما أزهد المحتاجين في الاستفادة من خدماتها.

(١) أطلس مكة التاريخي للشاووش، ص ١١٧.

( ج ) صورة **منظر للمسجد الحرام** يوضح الكعبة المشرفة والمقامات من حولها وحصوات المسجد الحرام[1].

(١) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص ٦٥٩.

( د ) ـ رسم مسطح للحرم المكي يوضح فيه أبواب الحرم وبعض أماكن المدارس[1].

(١) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج٢، ص ٦٥٨.

( هـ ) ـ صورة واجهة **البناية الأولى** للمدرسة الصولتية عام ١٢٩٠هـ، بحارة الباب[1].

(١) رجال من مكة المكرمة العاصمة المقدسة، لزهير محمد جميل كتبي، ج٤، ص١٥٠، ١٩٠.

( و ) ـ صورة **باب السلام** أحد أبواب المسجد الحرام ومقر الوراقين والنساخ[1].

---

(١) أطلس مكة التاريخي للشاووش، ص ١٤٤.

**( ز ) ـ مبنى المطبعة الأميرية [1].**

(١) أطلس مكة التاريخي للشاووش، ص ٩٠.

## فهرس المخطوطات

* إجازة عبد الرحمن بن عبد ا سراج إلى الشيخ عبد الرحمن بن حسن العجيمي، مخطـوط بجامعة الملك سعود ، رقم: ١٣٠٢.

* إجازة عبد ا بن سالم البصري إلى الجرجي، مخطوط بدار الكتب المـصرية، رقـم : ٩٧ مصطلح تيمور

* إجازة عمر شطا لحسن بن عبد الرحمن العجيمي، عام ١٣٢٩هـ، مخطوط بجامعـة الملـك سعود بالرياض، قسم المخطوطات، رقم : ٢/١٨٥٩م.

* إجازة محمد بن بديع الدين الفاروقي لعبد الستار دهلوي ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم : ١١٨٩.

* **الحضراوي: أحمد .**

ـ تاج تواريخ البشر وتتمة جميع السير، مخطوط مخطوط بمكتبة مكة المكرمة، رقـم : ١٢٢، ١٢٣، وهو مصور بمكتبة الدكتور عبد ا الشاووش رقم : ٢/٢٤٧٤.

ـ مختصر حسن الصفا والابتهاج في ذكر من ولي إمارة الحاج ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم: ٢/١٢ تاريخ دهلوي،٦٦.

* **الحموي: محمد بن أحمد المكي.**

ـ فوائد الارتحال ونتائج السفر في أعيان القرن الحادي عشر ، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم: ١٠٩٣ / تاريخ .

* **الخطيب: أحمد بن عبد اللطيف .**

ـ القول التحيف في ترجمة تاريخ حياة أحمد خطيب بن عبد اللطيف، مخطوط بمكتبـة مكـة المكرمة، رقم: ١١٦.

* **خوقير: أبو بكر.**

ـ التحقيق فيما ينسب إلى أهل الطريق، مخطوط بجامعة الملك سعود، رقم: ١٥٩٠.

ـ ثبت الأثبات، مخطوط بمكتبة الحرم المكي .

* **دحلان : أحمد بن زيني.**

ـ فضائل السادة البدرية، مكتبة الحرم المكي ، مخطوط رقم: ٩٥/ تراجم دهلوي.

* **الدمياطي : محمد البديري .**

ـ الجواهر الغوالي في بيان الأسانيد العوالي، دار الكتب المصرية: مخطوط تحـت رقـم ٤٢، مصطلح حديث، تيمور.

* **الدهلوي: عبد الستار بن عبد الوهاب الصديقي .**

ـ أزهار البستان في طبقات الأعيان ، ويسمى "الأزهار الطيبة النشر في ذكر الأعيان من كـل عصر" ، مخطوط، بمكتبة الحرم المكي، رقم: ٦٥ تراجم/ دهلوي.

ـ تحفة الأحباب في بيان اتصال الأنساب، مخطوط بمكتبة الحرم المكي رقم : ١١٥/ دهلوي

ـ ترجمة محمد أبي النصر، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم : ٢٥٤٢/ تراجم.

ـ تكمييل وتزييل فيما يتعلق بأمراء مكة، مخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم: ٢٣٦٧.

ـ وصية عبد الستار الدهلوي، مخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم : ٢٥٦٩.

ـ فيض الملك المتعالى بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالى، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم : ١١٠١.

ـ موائد الفضل والكرم الجامعة لتراجم أهل الحرم، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم: ٨٢٩.

ـ نثر المآثر في من أدركت من الأكابر، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم : ٨١٠.

ـ نزهة الأنظار والفكر فيما مضى من الحوادث والعبر من هبوط أبينا آدم أبي البشر إلى القرن الثاني عشر، رقم: ١٠٠ / تاريخ.

* **دهلوي: عبد الوهاب عبد الجبار .**

ـ زبدة التواريخ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم:٢٣٩٨.

* **سنبل: محمد طاهر .**

ـ الأوائل السنبلية ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم: ٧٤٣.

* **شمة: حسين ابن أحمد .**

ـ رسالة تتعلق بتاريخ الشريف عبد المطلب، مخطوط بمكتبة مكة ، رقم ٩٢٣.

* **عبد الشكور : عبد ا بن عبد الشكور هندية .**

ـ تاريخ أشراف وامراء مكة المكرمة، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم : ١٤٣٠.

* **عجيمي: حسن بن علي .**

ـ تاريخ مكة والمدينة والطائف، مخطوط بجامعة الملك سعود، رقم: ١/٤٣.

ـ ثبت العجيمي، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم / ١٧٣، مصطلح حديث.

ـ خبايا الزوايا، مخطوط بمكتب الحرم المكي، رقم: ٧/ تراجم دهلوي.

ـ الفتح الغيبي فيما يتعلق بمنصب آل شيبي، مخطوط بجامعة الملك سعود ، رقم : ٥٥٩/ ٨.

* **العمري: محمد ارتضاء.**

ـ مدارج الإسناد، مخطوط بجامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، رقم : ١٥٣٦.

* **العميري: علي بن سالم .**

- تراجم علماء جدة من الحضارمة، مخطوط بجامعة الملك سعود، رقم: ١٠٥٨.

* **غازي : عبد ا محمد.**

- إفادة الأنام بذكر أخبار بيت ا الحرام ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم: ٢٧٤٤.

- نثر الدرر، مخطوط بمكتبة الحرم المكي ، رقم: ٣٥٧٢.

- نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة، مخطوط بمكتبة الحـرم المكي، رقم: ٣٥٧٣.

* **القطان: أحمد .**

- تنزيل الرحمات على من مات، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم: ٣/ تراجم.

* **الكتبي : عثمان بن عبد ا .**

- ترجمة علي القاري ، مخطوط بمكتبة الحرم المكي، رقم: ١٨٤٢.

* **اللبني: جعفر بن أبي بكر .**

- الحديث شجون شرح الرسالة الجدية لابن زيدون، مخطوط بمكتبة مكة المكرمة، رقـم: ٣٢/ أدب.

* **المدرس: أبو الفضل علاء .**

- جوامع الفضائل في مساجد القبائل، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقـم : ٩٦ م ، تـاريخ تركي.

* مجهول:

كتاب في أحوال الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الـشريف، يعود لعام ١٢٨٧هـ ، رقم : ١٤٦٣.

* **المرزوقي : أحمد بن رمضان المكي .**

- بلوغ المرام شرح مولد شرف الأنام، مكتبة الحرم المكـي ، مخطـوط رقـم: ٥٢ سـيرة دهلوي.

* **النخلي: أحمد .**

- بغية الطالبين لبيان المشايخ المحققين، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم : ١٣٢ مصطلح حديث.

# فهرس الوثائق غير المنشورة

## ١ ـ دارة الملك عبد العزيز بالرياض:

وثائق تقارير تحت رقم : ١/ ٢ـ ٢٠٩، ٣/٢م ـ ٦٣، ٣/٢ ـ ٣٢م

صورة من وثيقة بالأرشيف العثماني : مجموعة الإرادة الداخلية رقم ٤٤٣١.

## ٢ ـ وثائق معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج بمكة:

وثيقة رقم: ٢٠/ ٤ و ح ج .

وثيقة رقم : ١١/ ١٠٢/ و ح ج .

وثيقة رقم : ٢/ ١٠٥/ و ح ج

وثيقة رقم: ١/ ١٠٦/ و ح ج .

وثيقة رقم : ٣/ ١٠٦/ و ح ج .

وثيقة رقم : ٤/ ١٠٦/ و ح ج .

وثيقة رقم: ١٨/ ١٠٧/ و ح ج.

وثيقة رقم : ٢٠/ ١٠٧/ و ح ج .

وثيقة رقم : ٢٧/ ١٠٧/ و ح ج .

وثيقة رقم : ٤١/ ١٠٧/ و ح ج .

وثيقة رقم: ١٠٩/١ / و ح ج .

وثيقة رقم: ٣٤/ ١١٠/ و ح ج .

وثيقة رقم: ١٤/ ١١٧ / و ح ج .

وثيقة رقم: ٣/ ١٢٠/ و ح ج .

وثيقة رقم: ١٢٠/١٠/ و ح ج .

وثيقة رقم : ١٣/ ١٢٠ / و ح ج .

وثيقة رقم : ١٧/ ١٢٠/ و ح ج .

## ٣ ـ وثائق المحكمة الشرعية الكبرى بمكة:

ـ صك رقم : ٣٨٦، بتاريخ ٢٤/ ٦/ ١٣٠٦.

ـ صك رقم :١٣٦/٥٢٥ بتاريخ ١٣٣٠/٣/٢٦هـ.

## ٤ ـ دار الوثائق المصرية :

*** دار الوثائق : سجلات الروزنامة، دفتر صرة رومية :**

- واجب سنه ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م، رقم ٥٦٠٧ ، حفظ نوعي ٩، م ع ٥٢٥٢، عين٧٢، مخزن تركي١.
- واجب سنة ١١١٨هـ/١٧٠٦م، رقم ٥٣٣، حفظ نوعي ٨٠، م ع ٥٣٢٣، مخزن تركي ١؛
- واجب سنة ١١١٩هـ/ ١٧٠٧م، عمومي ٥٣٢٧، حفظ نوعي ٨٤، عين ٧٢، مخزن تركي ١
- واجب سنة ١٢٠٠هـ/١٧٨٥هـ، م ١١٦، نوعي ٥٤٩، م ع ٥٧٩٢، عـين ٧٢، مخـزن تركي١.
- واجب سنة ١١٢١هـ/١٧١٩م، عمومي ٥٣٣٣، حفظ نوعي ٩٠، عين ٧٢، مخزن تركي١،
- واجب سنة ١١٢٦هـ/١٧١٤م، م ٣٧، م ع ٥٣٤٨، حفظ نوعي ١٠٥، مخزن تركي ١؛
- واجب سنة ١١٢٨هـ/ ١٧١٦م، رقم ٨٢٧، حفظ نوعي ١١٧، م ع ٥٣٦، مخزن تركي ١.
- واجب سنة ١١٣١هـ/ ١٧١٨م، رقم ٥٣٨٢، حفظ نوعي ١٣٩، عين ٧٢، مخزن تركي١.
- واجب سنة ١١٣٤هـ/١٧٢١م، رقم ٤٣، حفـظ نـوعي ١٥٣، عمـومي ٥٣٩٦، مخـزن تركي١.
- واجب سنة ١١٣٧هـ/١٧٢٤م، رقم ٤٢١، حفظ نوعي ١٧٨، عمـومي ٥٤٢١،عـين ٧٢، مخزن تركي ١.
- واجب سنة ١١٥٥هـ/١٧٤٢م، رقم ٤٥، حفظ نوعي ٢٥٤، عمومي ٥٤٩٧، مخزن تركي١.
- واجب سنة ١١٦١هـ/١٧٤٨م، عمومي ٥٦٥٦، حفظ نوعي ٥٣، عين ٦٥، مخزن تركي١.
- واجب سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م، رقم ٥١٢، م ع ٥٥٨٧ ، حفظ نوعي ٣٤٤، مخزن تركي١.
- واجب سنة ١١٧٣هـ/١٧٥٩م، رقم ٦٠، حفظ نوعي ٣٥٩، م ع ٥٦٠٢ عين ٧٢، مخزن تركي١.
- واجب سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م، عمومي ٤٥٢٨، حفظ نوعي ١٤١، عين ٧٢، مخزن تركي١٣
- واجب سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م، رقم ١١٧، عمومي ٤٥٣١، مخزن ١.
- واجب سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م، رقم ١٢٨، نوعي ٤٥٣، عمومي ٥٦٩٥، عين ٧٢ مخزن تركي١.
- واجب سنة ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م، م ١١٦، م ع ٥٧٩٢، حفظ نوعي ٥٤٩، عين ٧٢، مخزن تركي١.

- واجب سنة ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م، رقم ٥٣٩، حفظ نوعي ٥٦٤، م ع ٥٨٠٧، مخزن تركي١.

واجب سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م، رقم ٣٧٦، حفظ نوعي ٥٩٩، م ع ٥٨٤٢، عين ٧٢، مخزن تركي ١.

- واجب سنة ١٢٠٧ هـ/١٧٩٢م، رقم ٣١٩، عمومي ٥٨٦٣.
- واجب سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م، رقم ٥٢٨، حفظ نوعي ٦٣٢،عمومي ٥٨٧٦
- واجب سنة١٢١١هـ/١٧٩٦م،رقم ٤٤٦،حفظ نوعي ٦٩٥، عمومي ٥٩٣٨، مخزن تركي١.
- واجب سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م، رقم ٥٧، حفظ نوعي ٦٩٩، م ع ٥٩٤٢، مخزن تركي١.
- واجب سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م، رقم ٥٠١، حفظ نوعي ٧٦٥، عمومي ٦٠٠٨، مخزن تركي١، رقم ٤٤، م ع ٩٣٩، م نوعي ٦٩٦،
- واجب سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣، رقم ٣٨، نوعي ٧٢٧، عمومي ٥٩٧٠.
- واجب ١٢١٩هـ/١٨٠٤م، رقم ٢٦٢، نوعي ٧٥٢، عمومي ٥٩٩٥، عين ٧٢، مخزن تركي١.
- واجب سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م ، رقم ٥٣٢، نوعي ٧٦١ عمومي ٦٠٠٤، مخزن تركي١.

*** سجلات الروزنامة دفتر صرة جوالي :**

- واجب سنة ١١٥٥هـ/١٧٤٢م، رقم ٤٥، حفظ نوعي ٧٦١، عمومي ٦٠٠٤، مخزن تركي١.
- واجب سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م، م ٥٢٨، نوعي ٦٣٢، م ع ٥٨٧٦، مخزن تركي ١.
- واجب سنه ١٢١٦هـ/١٨٠١م، رقم ٥٢٦، حفظ نوعي، ٧١٥، م ع ٥٩٥٨، مخزن تركي١.
- واجب سنة١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م ، رقم ٥٠١، حفظ نوعي ٧٦٥، عمومي ٦٠٠٨، مخزن تركي ١.

*** سجلات الديوان العالي:**

- **س** ١،م١٢، م١٩٢، م ١٩٣، م ١٩٧، م ٢٠٠، م ٢٨٨، م٤٧٥ ، ٤٧٦، م ٤٨٢.
- **س** ٢، م٢، ٢٨٥، م ٢٨٨، م٣٣٥، م ٣٦٥، م ٣٧٩ ، ٣٩٠، م ٤٠٦، م ٤٣٤، م٥٠١
- س٣، م ٢٦، م ٢٨، م ٣١، م٣٤

*** دفتر مصاريف وواردات خزينة عامرة :**

- واجب سنة ١١١٧هـ/١٧٠٥م عمومي ٢١١٤، نوعي ٩، عين ٢٩، مخزن تركي ١

ـ واجب ١١٣٦هـ/١٧٢٣م ، م ع ٢١٢٢، نوعي ١١٢/٣، حفظ نوعي ١٧، عين ٢٩، مخزن تركي ١.

ـ واجب سنة ١١٧١هـ/٢٦٧م، عمومي ٢١١٤، ونوعي ٣/١١٢ ، حفظ نـوعي ١٧، عـين ٢٩، مخزن تركي ١،

*** حجة وقف داود باشا**:

ـ رقم ٣١٧، محفظة ٤٧، ص٥٢، رقم ٣٢٠، محفظة ٤٧.

ـ رقم ٣٢٠، محفظة رقم ٣٥، ٤٧؛ وحجة وقف داود باشا ، رقم ٣١٧، محفظة ٤٧.

ـ حجة وقف السلطان مراد الثالث، حجة رقم ٩٠٦.

*** إيرادات مال الجمارك ، دفتر إسكلها ، ومقاطعات** :

ـ واجب سنة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، حفظ نوعي ١٤٦، عين ٥٤، م ٤٢٨٤، مخزن تركي ١.

ـ واجب سنة ١٢١٥هـ/١٨٠٠م ، م ع ٤٢٨٥، حفظ نوعي ١٤٧، عين ٥٤، مخزن تركي١.

*** محافظ الأبحاث :**

ـ دفتر رقم ٢٨، وثيقة رقم : ٥٦٧، تاريه ٧ شعبان، ١٢٤٢هـ.

ـ دفتر رقم ٤٠، خديوي تركي ، وثيقة رقم ٢٣٧، تاريخ ٣ ربيع الثاني،١٢٤هـ.

ـ دفتر تقارير النظر: س ٦، م ٩٨، ص٢١.

## فهرس الوثائق المنشورة

ـ سالنامه ولاية الحجاز، العدد الأول، عام ١٣٠١هـ،

ـ سالنامه ولاية الحجاز ، العدد الثاني ، عام ١٣٠٣هـ( منشور بالعربي)

ـ سالنامه ولاية الحجاز، العدد الثالث ، عام ١٣٠٥هـ، .

ـ سالنامه ولاية الحجاز، العدد الرابع ، عام ١٣٠٦هـ.

ـ سالنامه ولاية الحجاز، العدد الخامس ، عام ١٣٠٩هـ.

## فهرس الرسائل الجامعية

* **آل مشاري: منى حسني .**

- المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي مـن "٦٤٨هـ - ٩٢٢هـ/١٢٥٠م - ١٥١٧م"، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

* **بابكور: عمر سالم .**

- حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري، رسالة ماجـستير، كلية الشريعة والدراست الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة: ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

* **البركاتي : حشيم بن غازي بن عبد ا .**

- التعليم في عهد الدولة السعودية الأولى "١١٥٧-١٢٣٣هـ/١٧٤٤-١٨١٨م"، رسـالة ماجستير ، كلية التربية، مكة: ١٤٢٤هـ.

* **البركاتي: ناصر بن عبد ا بن سلطان.**

- اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن من (٩٢١هـ - ١١٤٠هـ)، تحقيـق ، رسـالة دكتوراه، جامعة مانشستر ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

* **البسام: احمد بن عبد العزيز.**

- الحياة العلمية في نجد في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيها، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسـلامية، الرياض، ١٤١٢هـ.

* **الحازمي: ماجد بن عبد ا بن خليل .**

- عقوبة المتعلم عند المربين المسلمين، رسالة ماجستير، كلية التربية الإسلامية والمقارنة، جامعـة أم القرى، مكة: ١٤٢١هـ.

* **عدنان محمد فايز الحارثي:**

- عمارة المدرسة في مصر والحجاز في القرن ٩هـ/١٥م، دراسة ومقارنة، رسالة دكتـوراه منشورة، جامعة أم القرى، مكة: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

* **راشد: محمد فريد الدين .**

- المسجد الحرام في ضوء الكتاب والسنة، رسـالة ماجـستير، كليـة الـشريعة والدراسـات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

* **الروقي: عايض بن خزام .**

ـ حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية"١٢٤٧ـ ١٢٥٥هـ/١٨١٣ـ ـ ١٨٣٩م، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسـات الإسـلامية، جامعـة أم القـرى، مكـة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

* **الزهراني: علي بن بخيت.**

ـ الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة، رسالة ماجستير ، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة ، ١٤١٤هـ.

* **الزهراني: علي محمد.**

ـ نظام الوقف في الإسلام حتى نهاية العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، كلية الـشرعية والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى بمكة: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

* **السعدني: أبو وردة .**

ـ المؤرخون في مصر في العصر العثماني، رسالة دكتوراه، كلية اللغـة العربيـة ، جامعـة الأزهر، القاهرة: ١٩٨٨م.

* **شافعي: حسين عبد العزيز حسين .**

ـ الأربطة بمكة المكرمـة فـي العهـد العثمـاني.. دراسـة تاريخيـة حـضارية "٩٢٣ـ ـ ١٣٣٤هـ/١٥١٧ـ ١٩١٥م" ، رسالة دكتوراه ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

* **الشحري: محمد .**

ـ الحركة العلمية في واسط في العصر العباسي الأول "١٣٢ ـ ٢٣٢هـ" (رسـالة ماجـستير غير منشورة، كلية اللغة العربية،جامعة القاهرة: ١٩٩٧م

* **ششة : نوال سراج .**

ـ محمد الحجاز تحت حكم محمد علـي "١٢٢٦ـ ـ ١٢٥٦" / ١٨١١ ـ ١٨٤٠م" ، رسـالة دكتوراه كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى ، مكة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

* **الصبحي: إبراهيم محمد.**

ـ بلاد الحجاز في القرن السابع عشر، رسالة ماجستير، كليـة الآداب ، جامعـة طنطا: ١٩٨٩م.

* **عبد الحميد: وليد .**

ـ الحركة العلمية في مصر في القرن العاشر، رسالة ماجستير، كلية اللغـة العربيـة، جامعـة الأزهر، القاهرة: ١٩٩٨م.

* **عطا: إبراهيم محمد.**

- تطور منهج تعليم القراءة في المرحلة الابتدائية منذ نشأتها حتى اليـوم، رسـالة ماجـستير، جامعة عين شمس كلية التربية، القاهرة: ١٩٨٠م.

* فهمي: سميرة

- دور عربان الوجه البحري في تاريخ مصر العثمانية ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعـة الإسكندرية: ١٩٨٩م.

* **كشميري: ابتسام محمد صالح .**

- مكة المكرمة من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن العاشر الهجـري / الـسادس عـشر الميلادي "٩٢٣ـ ١٠٠٠هـ/ ١٥١٧ـ ١٥٩١م" رسالة دكتوراه ، كلية الـشريعة والدراسـات الإسلامية، ، جامعة أم القرى ، مكة: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

* **الوزيناني: خاف بن دبلان.**

- الدولة العثمانية والغزو الفكري حتى عام "١٣٢٧هـ/١٩٠٩م" ، رسالة دكتـوراه منـشورة مطابع جامعة أم القرى: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

# فهرس المصادر والمراجع

* **الأبراشي: محمد عطية .**

ـ التربية الإسلامية وفلاسفتها، ط5، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية: ١٩٨٦م.

* **ابن الأثير: مجد الدين المبارك بن محمد .**

ـ الكامل في التاريخ، دار صادر.

ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، ، تحقيق: طاهر الزواوي ومحمود الطناحي، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي: ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

* **أحمد: سيد مقبول .**

ـ العلاقات العربية الهندية، ترجمة نقولا زيادة، ط١، بيروت، الدار المتحدة للنشر: ١٩٧٤م.

* **الإدفوي : كمال الدين جعفر .**

ـ الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق: سعد محمد حسن، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة: ١٩٦٦م.

* **الأزرقي: محمد بن عبد ا .**

ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس ط٢، مكة ، دار الثقافة: ١٣٨٥هـ.

* **الأزهري: محمد البشير ظافر .**

ـ طبقات المالكية المسمى "اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة"، ط١، القاهرة، دار الأفاق العربية: ١٤٢٠هـ.

* **الإسحاقي: محمد بن عبد المعطي .**

ـ لطائف أخبار الأول من تصرف في مصر من أرباب الدول، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٩م.

* **الأسدي: أحمد بن محمد المكي.**

ـ إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، تحقيق: الحافظ غلام مصطفى، دمشق، دار الصحوة.

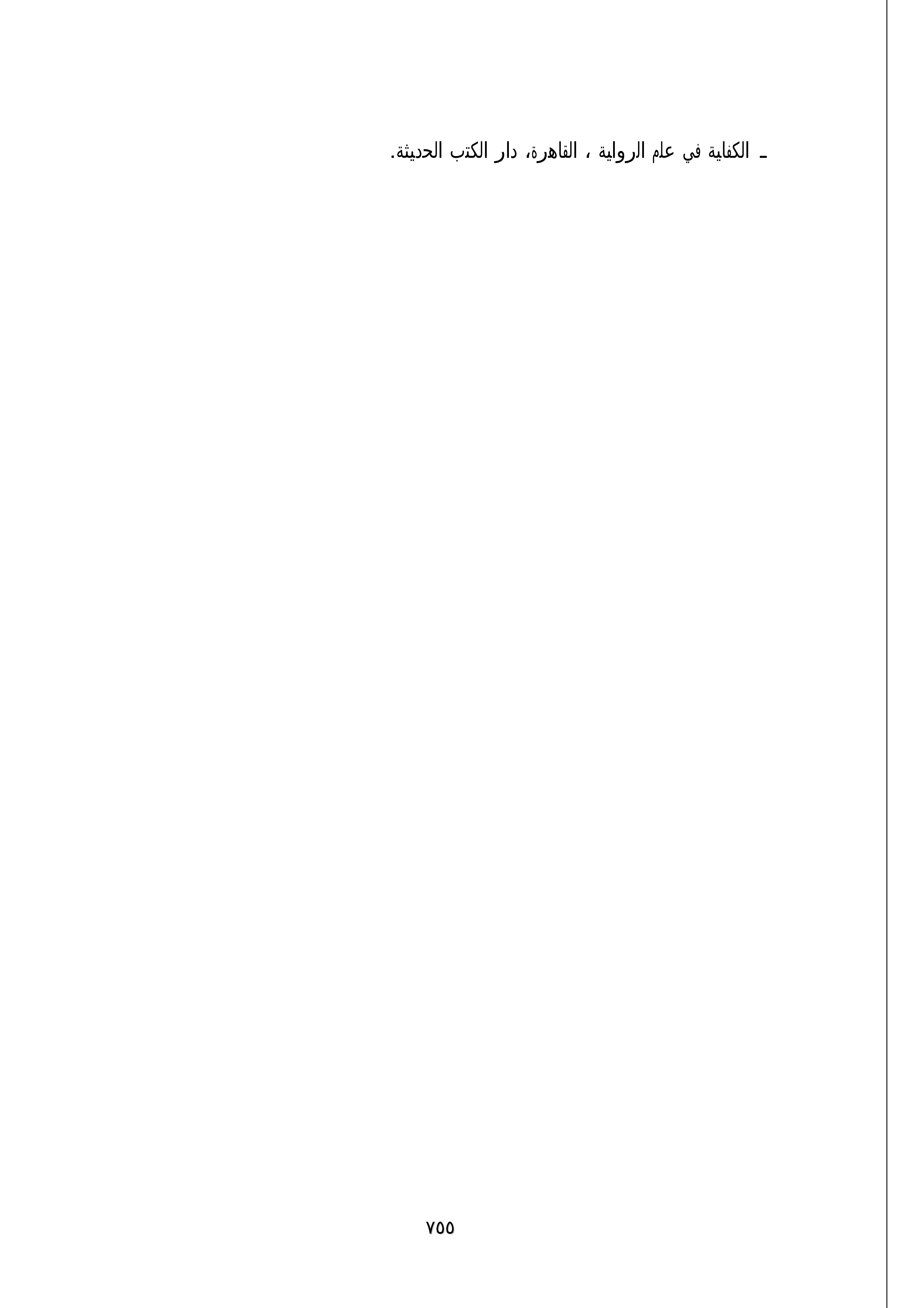
* **أمين: بكري شيخ .**

ـ الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية. بيروت، دار صادر : ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

* **الأنصاري: زكريا .**

ـ اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم، تحقيق: عبد ا نذير أحمد، سوريا، دار البشائر: ١٤١٩هـ.

* **الأنصاري: عبد الرحمن .**
- تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق : محمد العمروسي المطوي ، ط١، تونس، المكتبة العتيقة: ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م
* **الأهواني : أحمد فؤاد .**
- التربية في الإسلام، القاهرة، دار المعارف.
* **أوغلو : سنان معروف .**
- نجد والحجاز في الوثائق العثمانية "الأحوال السياسية والاجتماعية في نجد والحجاز خلال العهد العثماني" ، دار الساقي.
* **ابن إياس: أبو البركات محمد بن أحمد.**
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، ط١، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية: ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
* **أيبش: يوسف.**
- "رحلات الإمام محمد رشيد رضا"، ط٢، بيروت، المؤسسة العربية للطباعة: ١٩٧٩م.
* **آل الشيخ : عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد ا .**
- مشاهير علماء نجد وغيرهم، ط٢، الرياض، دار اليمامة: ١٣٩٤هـ.
* **باجودة: محمد بن عبد ا .**
- نثر القلم في تاريخ مكتبة الحرم، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية:١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
* **البتنوني: محمد لبيب.**
- الرحلة الحجازية، ط٢، القاهرة، مطبعة الجمالية: ١٣٢٩هـ.
* **البخاري**: أبي عبد ا محمد بن إسماعيل.
- الصحيح، ط١، دار الفكر: ١٤١١هـ/١٩٩١م؛ ط١، الرياض، دار السلام: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م
* **بدر: عبد الباسط .**
- التاريخ الشامل للمدينة المنورة، الرياض، دار اليمامة.
* **البسام: عبد ا بن عبد الرحمن بن صالح .**
- علماء نجد خلال ستة قرون، ط١، مكة، مكتبة النهضة الحديثة: ١٣٩٨هـ.
* **البغدادي: أحمد بن علي الخطيب .**



ـ الكفاية في علم الرواية ، القاهرة، دار الكتب الحديثة.

* **البغدادي: انستاس ماري الكرملي .**
- النقود العربية وعلم النميات، القاهرة، المطبعة العصرية: ١٩٢٩م.
* **بغدادي: عبد ا عبد المجيد .**
- الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية، أصولها ، جذورها، أولياتها، ط٢، جدة، دار الشروق، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
* **البغدادي**:
- هدية العارفين، .مكة، دار الباز.
* **البلادي: عاتق بن غيث.**
- معجم قبائل الحجاز، ط٢، مكة، دار مكة: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- معجم معالم الحجاز، دار مكة.
* **البلاذري : أحمد بن يحيى.**
- فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية: ١٩٥٦م، وطبعة أخرى، مراجعة محمد رضوان، بيروت ، ١٩٧٨م.
* **ابن البيطار: عبد الرزاق الشطي .**
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، تحقيق وتعليق: محمد بهجة البيطار، ط٢، بيروت، دار صادر: ١٩٩٣م.
* **بيومي: محمد علي فهيم .**
مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني "٩٣٣- ١٢٢٠هـ - /١٥١٧- - ١٨٠٥م" ، ط١، القاهرة، دار القاهرة: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .
* **التازي: عبد الهادي.**
- رحلة الرحلات، مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
* **الترغي: عبد ا المرابط .**
- فهارس علماء المغرب، منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منهجيتها - تطورها - قيمتها العلمية، ط١، تطوان، جامعة الملك السعدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
* الترمذي: محمد بن عيسي .
- الجامع الصحيح ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، دار الكتب العلمية.

* التعليم في المملكة العربية السعودية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م
* تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام (١٣١٩هـ/ ١٤١٩هـ)، إعداد لجنة تحت إشراف الرئيس العام لتعليم النبات علي بن مرشد المرشد، عدد خاص بمناسبة المئوية، ١٤١٩هـ.

*** تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف .**

- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٨٦م.

*** التوحيدي: أبي حيان.**

- مقدمة المقايسات ، تحقيق: حسن السندوبي ، ط١، القاهرة، المطبعة الرحمانية: ١٣٤٧هـ.

*** التونجي: محمد .**

- المعجم الفصل في الأدب، ط١، بيروت، دارالكتب العلمية: ١٤١٣هـ.

*** التونسي: محمد بيرم الخامس .**

- صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، القاهرة: ١٣١١هـ.

*** التهانوي: محمد علي الفاروقي.**

- كشاف اصطلاحات الفنون ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٧٣م

*** الجاسر: حمد**

- أشهر رحلات الحج .
- في شمال غرب الجزيرة، نصوص ومشاهدات وانطباعات، ط٢، الرياض، دار اليمامة: ١٤٠١هـ/١٩٨٦م.

*** الجبرتي: عبد الرحمن بن حسن .**

- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق : حسن محمد وآخرون، ط١، القاهرة، لجنة البيان العربي: ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م. وطبعة أخرى : دار الجيل ، بيروت .

*** ابن الجزري : محمد بن محمد .**

- النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة : محمد علي الصباغ، ط١، القاهرة، المكتبة التجارية.

*** الجزيري: عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري.**

- الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، القاهرة، المطبعة السلفية: ١٣٨٤هـ.

* **الجندي: محمد عبد السلام .**
- تقرير في بعض مشاهدات وملاحظات عن الأقطار الحجازية عام "١٣٥٦هـ/١٩٣٨م"، القاهرة، مطبعة الاعتماد:١٩٣٩م
* **بن جنيد: يحيى محمود .**
- الحياة الثقافية في مكة المكرمة في القرن التاسع عشر الميلادي " ١٢١٥هـ - ١٣١٧هـ"، الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية: ٢٠٠٢م.
* **ابن الحاج: محمد بن محمد العبدري.**
- المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات، والتنبيه على كثير من البدع المحدثة والعوائد المنتحلة، ط١، القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م .
* **حافظ: على.**
- فصول من تاريخ المدينة المنورة، جدة، المدينة المنورة للطباعة والنشر: ١٤١٧هـ.
* **حافظ: عثمان.**
- تطور الصحافة في المملكة العربيةالسعودية، جدة، شركة المدينة للطباعة و النشر.
* **الحافظ : محمد مطيع ، ونزار أباظة.**
- الإضافات على النعت الأكمل، ط١، دار الفكر، ١٤٠٢هـ.
- علماء دمشق وأعيانها في القرن ١٣هـ، ط١، بيروت، دار الفكر المعاصر: ١٤١٢هـ/١٩٩١م .
* **الحاكم : محمد بن عبد ا .**
- المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية:١٤١١هـ/١٩٩٠م.
* **الحامد: عبد .**
- الشعر في الجزيرة العربية "نجد والحجز والاحساء والقطيف خلال القرنين "١١٥٠هـ - ١٣٥٠هـ" ، ط١، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.
* **الحامد : محمد بن محجب وآخرون.**
- التعليم في المملكة العربية السعودية "رؤية الحاضر واستشراق المستقبل"، ط١،١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
* **الحبشي: أبي بكر بن أحمد بن حسين .**

ـ الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبيب المشير، ط١، مكة،المكتبة المكية: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
* **ابن حجر: أحمد بن علي .**
ـ تقريب التهذيب، تحقيق : عبـد الوهـاب عبـد اللطيـف، ط٢، بيـروت، دار المعرفـة: ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق: عبد العزيز بن عبد ا بن باز وآخرون، ط٣، القاهرة، دار الريان للتراث: ١٤٠٧هـ.
* **حراز: محمد رجب.**
ـ الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، ط١، القاهرة: ١٩٧٠م
* **حسن: حسن إبراهيم.**
ـ الفاطميون في مصر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية: ١٩٦٧م.
* **حسين: علي.**
ـ النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية.
* **الحسيني: عبد الحي فخر الدين .**
ـ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى"نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنـواظر"، ط١، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
* **الحسيني: محمد بن راضي.**
ـ الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر الهجري، ط١، جدة، دار العلم: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م
* **الحضراوي : أحمد بن محمد.**
ـ العقد الثمين في فضائل البلد الأمين، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية.
ـ نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، تحقيق: محمد المصري، دمشق، وزارة الثقافة: ١٩٩٦م.
* **حقي: إحسان .**
ـ تاريخ شبه الجزيرة الهندية والباكستانية، ط١، بيروت،٠ ١٩٧م.
* **حمزة: خالد عبد الحميد.**
ـ طرق تدريس الطحاوية.
* الحموي: شهاب الدين ياقوت بن عبد ا
ـ معجم البلدان، بيروت: ١٩٥٧م.

* **بن حميد : محمد بن عبد ا .**

ـ السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، تحقيق بكر بن عبد ا أبو زيد وعبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤١٦هـ.

* **حنبل: أحمد**

ـ المسند، مكة، مكتبة دار الباز.

* **خان: صديق حسن .**

ـ التاج المكلل من جواهر مأثر الطراز الأخر والأول، بمباي، المطبعة الهندية العربية: ١٩٦٣م.

* **الخزرجي : علي بن الحسن .**

ـ العقود اللؤلوية في تاريخ الدولة الرسولية، نشر بعناية محمد بن علي الأكوع، ط٣، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

* **الخطيب: عبد الحميد .**

ـ تطور التعليم بالمملكة العربية السعودية، قالوا عن محمد علي زينل.

* **الخطيب: عبد القادر .**

ـ تاريخ التربية الإسلامية، القاهرة: ١٩٨٤م.

* **الخضيري: محمد عبد ا .**

ـ تفسير التابعين، ط١، الرياض، دار الوطن: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

* **الخفاجي: شهاب الدين أحمد .**

ـ طراز المجالس، المطبعة الوهبية، القاهرة.

* **خفاجي: محمد عبد المنعم.**

ـ الأزهر في ألف عام، ط٢، بيروت، عالم الكتب: ١٤٠٨هـ.

* **خلاف: عبد الوهاب**

ـ علم أصول الفقه، القاهرة، مكتبة الدعوة الإسلامية وشباب الأزهر.

* **ابن خلدون: عبد الرحمن .**

ـ المقدمة، القاهرة، مطبعة شقرون.

* **خليفة: حاجي .**

ـ كشاف الظنون، مكة، دار الباز.

* **خوجة: حسين.**

ـ ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق : الطاهر المعموري، ليبيا، الدار العربية للكتاب.

* **خوقير: أبو بكر .**

ـ فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال، القاهرة، مطبعة المنار: ١٣٢٤هـ .

ـ ما لا بد منه، القاهرة، مطبعة التمدن: ١٣٣٢هـ .

ـ مسامرة الضيف بمفاخرة الشتاء والصيف، بيروت، ١٣٢٠هـ .

* **أبو الخير: عبد ا مرداد .**

ـ نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، اختصار وترتيب: محمد سعيد العامودي وأحمد علي، ط١، الطائف، مطبوعات نادي الطائف الأدبي: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م؛ ط٢، جدة، عالم المعرفة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

* **أبو داهش: عبد ا بن محمد.**

ـ الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية، "١٢٠٠ ـ ١٣٥١هـ/ ١٧٨٥ ـ ١٩٣٢م" ط١، الرياض، منشورات دار الأصالة : ١٩٨٢م، ط٢، أبها نادي أبها الأدبي: ١٤٠٦هـ .

* **دحلان: أحمد زيني .**

ـ خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام حتى عام ١٣٠١هـ ، ط١، القاهرة، المطبعة الخيرية: ١٣٠٥هـ .

* **الدقن: السيد .**

ـ دراسات في تاريخ الدولة العثمانية، ط٢، القاهرة: ١٩٩٦م.

ـ سكة حديد الحجاز الحميدية ـ دراسة وثائقية ، ط١، القاهرة، مطبعة الجبلاوي: ١٩٨٥م

* **الدمشقي: محمد منير**

ـ نموذج من الأعمال الخيرية، مكتبة المعارف .

* **الدمياطي: أحمد البنا .**

ـ إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، القاهرة، مطبعة المشهد الحسيني.

* **بن دهيش: عبد اللطيف بن عبد ا .**

ـ الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، زغوان، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية: ١٩٨٨م.
ـ الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، ط٣، بيروت، دار خضر: ١٤١٨هـ.
ـ المكتبات الخاصة في مكة المكرمة، ط١، مطبعة النهضة الحديثة.
ـ المكتبات في مكة المكرمة نشأتها وتطورها عبر العصور ، جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ.
ـ نظرة على تقرير عن المؤسسات التعليمية في الحجاز حتى عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م بحث ضمن كتاب الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم : عبد الجليل التميمي ، ط١، زغوان، مركز الدراسات والبحوث العثمانية: ١٩٩٠م.
* **بن دهيش: عبد الملك بن عبد ا .**
ـ الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به ـ دراسة تاريخية ميدانية
* **دويدري: محمد هاشم .**
ـ شرح التلخيص في علوم البلاغة، بيروت، دار الجيل.
* **الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان.**
ـ سير أعلام النبلاء، ط٦، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٩٨١م.
ـ معرفة القراء، تحقيق: أبي عبد ا محمد حسن، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
* **الرازي: محمد بن أبي بكر.**
ـ مختار الصحاح، بيروت، دار الكتاب العربي: ١٩٦٧م.
* **الردادي: سعيد بن عودة .**
ـ أمن الحج قبل العهد السعودي، ط ١، المدينة المنورة، دار المآثر: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م
* **الردادي: عائض .**
ـ الأسرة الطبرية المكية، ط١، الرياض، دار الرفاعي: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
* **الرشيدي: أحمد .**
حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق : ليلى عبد اللطيف أحمد، القاهرة، مكتبة الخانجي: ١٩٨٠م.
* **رضا : محي الدين .**
ـ صور ومشاهدات من الحجاز، القاهرة، المطبعة التجارية الحديثة: ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م
* **رضوان: نبيل عبد الحي .**

ـ الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس"١٢٨٦ ـ ١٣٢٦هـ/ ١٨٦٩م ـ ١٩٠٨م"، ط١، جدة، تهامة: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
* **رفعت : إبراهيم.**
ـ مرآة الحرمين، ط١، القاهرة، دار الكتب المصرية: ١٣٤٤هـ.
* **رفيع: محمد عمر.**
ـ مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ط١، مكة، منشورات نادي مكة الثقافي: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
* **الرمال : ابن زنبل.**
ـ واقعة السلطان الغوري مع السلطان سليم العثماني، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٦٢م.
* **رمضان: مصطفى محمد**
ـ دور الأزهر في الحياة المصرية إبان الحملة الفرنسية ومطلع القرن التاسع عشر، ط١، القاهرة، مطبعة الجبلاوي: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
* **الروزنامجي: حسين أفندي .**
ـ ترتيب الديار المصرية، نشره : محمد شفيق غربال بعنون "مصر على مفرق الطرق"، كلية الآداب، القاهرة: ١٩٣٦م.
* **زبارة: محمد بن محمد يحيى .**
ـ نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، ط١، صنعاء، تحقيق ونشر: مركز الدراسات والابحاث اليمنية: ١٩٧٩م.
* **الزرقاني: محمد عبد العظيم .**
ـ مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية.
* **الزركلي: خير الدين .**
ـ الأعلام، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين:١٩٨٠م.
ـ شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
ـ ما سمعت وما رأيت ، الطائف، مكتبة المعارف.
* **الزهراني : ضيف ا بن يحيى وعادل محمد نور غباشي.**
ـ تاريخ مكة المكرمة التجاري، ط١، مكة ، الغرفة التجارية والصناعية: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م

* **الزواوي: عبد ا محمد صالح .**
ـ بغية الراغبين وقرة عين أهل البلد الأمين فيما يتعلق بعين الجوهرة السيدة زبيدة أم الأمين، ط١، القاهرة، المطبعة الخيرية: ١٣٣٠هـ.
* **أبو زيد: بكر بن عبد ا .**
ـ خصائص جزيرة العرب، جدة، دار الجوزي: ١٤١٢ هـ
* **الساداتي: أحمد محمود.**
ـ تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية.
* **سامح: كمل الدين.**
ـ العمارة الإسلامية في مصر، ط٤، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب: ١٩٩١م.
* **السباعي: أحمد.**
ـ تاريخ مكة "دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران" ، مكة، دار مكة للطباعة والنشر؛ مطابع دار قريش: ١٣٨٣هـ.
* **السبحي : صالح باقارش وعبد ا محمود .**
ـ أصول التربية، ط١، مكة، دار الثقة: ١٤١٠هـ.

* **السبكي: عبد الوهاب بن علي.**
ـ طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناجي، ط١، مكتبة عيسى البابي الحلبي.
* **السبيعي: عبد ا ناصر.**
ـ الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية "١٣٥٠هـ ـ ١٣٨٠م" /"١٩٣٠م ـ ١٩٦٠م"، ط١، ١٤٠٧هـ.
* **سعد ا : أبو القاسم.**
ـ أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط٣، بيروت، دار الغرب الإسلامي: ١٩٩٠م.
* **ابن سعد:**
ـ الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر.
* **السعدي: عبد الرحمن ناصر.**
ـ تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مؤسسة الرسالة.
* **سلام: محمد زغول.**
ـ الأدب في العصر المملوكي، الإسكندرية، منشأة المعارف: ١٩٩٦م.
* **باسلامة: حسين عبد ا**
ـ تاريخ عمارة الكعبة المعظمة وكسوتها وسدانتها، الرياض: ١٤١٩هـ.
ـ تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم، جدة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
* **السلمان: محمد .**
ـ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي ، الرياض، وكالة الفرقان: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
* **السلوم: حمد بن إبراهيم .**
ـ التربية والتعليم العام في المملكة العربية السعودين بين السياسة والنظرية والتطبيق، نظرة تقويمية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
* **السليم: إبراهيم عبد العزيز .**
ـ التعليم في حريملاء قديماً وحديثاً ، الرياض، دار الوطن: ١٤١١هـ.
* **سليمان: أحمد السعيد .**
ـ تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، القاهرة، ١٩٧٩م.

* **أبو سليمان: عبد الوهاب بن إبراهيم.**
- الحرم الشريف الجامع والجامعة، مكة، ط١، مكة، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي.
- العلماء والأدباء الوراقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري، ط١، الطائف، نادي الطائف الأدبي: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- الفكر الأصولي، .
- مكتبة مكة المكرمة، دراسة موجزة لموقعها وأدواتها ومجموعاتها، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
* **أبو سليمان: عبد الوهاب أبراهيم وآخرون:**
- فهرس مخطوطات مكتبة مكة المكرمة، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
* **أبو سليمان: محمود سعيد بن محمد ممدوح.**
- تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع أو "إمتاع أولي النظر ببعض أعيان القرن الرابع عشر"، القاهرة، دار الشباب للطباعة.
* **السنجاري: علي بن تاج الدين بن تقي الدين.**
- منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، تحقيق: ماك محمد خياط، مكة، مركز إحياء التراث الإسلامي: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
* **السنوسي: محمد بن عثمان .**
- الرحلة الحجازية ، تحقيق علي الشوفي، تونس، الشركة التونسية للتوزيع: ١٩٧٨م.
* **السويدي: عبد ا بن حسين .**
- النفحة المسكية في الرحلة المكية، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، أبو ظبي، المجمع الثقافي: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
* **السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر**
- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، القاهرة.
- تدريب الراوي، بيروت، دار الفكر: ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
* **الشاذلي: أحمد علي.**
الرحلة الوهبية إلى الأقطار الحجازية، القاهرة، مطبعة الإسلام : ١٣٢٢هـ.
* **شاكر: فؤاد.**
- دليل المملكة العربية السعودية، ط١، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

* **شاكر: محمود.**
ـ التاريخ الإسلامي، ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي:١٤١١هـ/١٩٩١م.
ـ سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية، أندونيسيا، (مؤسسة الرسالة).

* **الشامخ: محمد عبد الرحمن.**
ـ التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، ط١، الرياض: ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
ـ الصحافة في الحجاز "١٩٠٨ـ ١٩٤١م" ـ دراسة ونصوص ـ ، بيروت، دار الأمانة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
ـ نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية، ط١، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر: ١٩٨٢م.
* **الشرقاوي : عبد ا .**
ـ تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين، مطبوع على هامش كتاب الواقدي ، فتوح البلدان، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة: ١٣٦٨هـ.
* **الشريف: محمد راضي .**
ـ الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر الهجري، مطبوعات نادي المدينة المنورة.
* **شطا: عثمان بن محمد.**
ـ إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
* **شقيرات: أحمد صدقي .**
تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني "٨٢٨هـ ١٣٤١هـ/ ١٤٢٥ـ ١٩٢٢م" ط١، الأردن: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
* **شلبي: أبو زيد .**
ـ تاريخ الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ط٦، القاهرة، مكتبة وهبة: ١٩٨٨م.
* **شلبي: أحمد .**
ـ التربية الإسلامية، ط٦، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية: ١٩٧٨م.
* **الشناوي: عبد العزيز.**
ـ الأزهر جامعاً وجامعة، القاهرة، مكتبة الأنجلوا المصرية: ١٩٧٨م.
ـ الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية: ١٩٨٠م.

* **الشوكاني: محمد بن علي .**

ـ البدر الطالع بمحاسن من جاء بعد القرن السابع، القاهرة: ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م.

ـ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، بيروت، المكتبة العصرية: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

* **أبو شهبة: محمد .**

ـ المدخل في علم الحديث، القاهرة، دار الفكر.

* **الشيبي: محمد صالح .**

ـ أعلام لأنام بتاريخ بيت ا  الحرام ط١، مطابع الصفا: ١٩٨٤م.

* **الشيخ: عبد الفتاح .**

ـ فقه العبادات، القاهرة :١٤١٦هـ.

* **صابان: سهيل.**

ـ مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة: ١٤٢٥هـ.

ـ المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية: ١٤٢١هـ

ـ نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز ـ الأوقاف ـ المدارس ـ المكتبات ، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة:١٤٢٢هـ/،٢٠٠١م

* **صادق: محمد .**

ـ دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج، القـاهرة، المطبعـة الكبـرى: ١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م.

ـ الرحلات الحجازية ، إعداد وتحرير محمد همام فكري.

*** صالح : محمد ، وأحمد جمعة:**

ـ فهرس مخطوطات مكتبة الحرم.

* **الصالح: صبحي.**

ـ علوم الحديث ومصطلحه، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين: ١٩٨٤م.

* **صايغ: أنيس.**

ـ الهاشميون والثورة العربية الكبرى، ط١، بيروت، دار العلم:١٩٥٦م.

* **الصباغ: عبد الرحمن.**

ـ تربية النشئ في المنزل والمدرسة والمجتمع، القاهرة: ١٣٨١هـ.

*** الصباغ: محمد بن أحمد بن سالم بن محمد .**
ـ تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، تحقيق: عبد الملك بن عبد ا بن دهيش، ط١، مكة، مكتبة الأسدي: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
*** صبري: أيوب باشا.**
ـ موسوعة مرآة الحرمين وجزيرة العرب، ترجمة : محمد حرب، دار الآفاق العربية: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
* **صبري: عبد العزيز.**
ـ تذكار الحجاز، القاهرة، المطبعة السلفية: ١٣٤٢هـ.
* **بن صديق: أبو هشام عبد ا .**
ـ الأسر القرشية أعيان مكة المحمية، ط١، جدة، مطبوعات تهامة :١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.
* **الصواف: فائق بكر.**
ـ العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة ما بين "١٢٩٣ـ١٣٣٤هـ/١٨٧٩ـ١٩١٦م"، القاهرة ، مطابع سجل العرب: ١٩٧٨م.
*** الصنعاني: محمد بن إسماعيل.**
ـ سبل السلام شرح بلوغ المرام، القاهرة، دار الحديث: ١٩٨٩م.
* **طاش كبرى زادة: أحمد بن مصطفى .**
ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية.
* **الطاشكندي: عباس بن صالح.**
ـ الطباعة في المملكة العربية السعودية "١٣٠٠هـ ـ ١٤١٩هـ" ، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
* **الطبراني: سليمان بن أحمد .**
ـ المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي ، ط٢، بغداد، وزارة الأوقاف العراقية: ١٩٨٣م ؛ الموصل، مكتبة العلوم والحكم: ١٤٠٤هـ.
* **الطبري: علي بن عبد القادر.**
ـ الأرج المسكي في التاريخ المكي.
*** الطبري : محمد بن علي بن فضل.**
ـ اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، تحقيق : محسن محمد حسن سليم، القاهرة، دار الكتاب الجامعي: ١٩٩٦م.

* **الطحان: محمود .**
- أصول التخريج ودراسة المسانيد.
- تيسير مصطلح الحديث، ط٩، الرياض، مكتبة المعارف:١٤١٧هـ/١٩٩٦م
* **الطريقي: عبد ا  بن محمد بن أحمد .**
- معجم مصنفات الحنابلة، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
* **الطنطاوي: محمد .**
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ط٤، القاهرة، مطبعة وادي الملوك: ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.
* الطوالع السنية في نظام التدريس الجديد بمسجد مكة المحمدية، ط١، مكة، مطبعة الترقي الماجدية: ١٣٣٢هـ.

* **ابن ظهيرة:**
- الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، ط١، القاهرة :١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م.
* **عاشور: سعيد عبد الفتاح.**
- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ط٢، القاهرة، دار النهضة العربية:١٩٩٢م.
* **العامودي: محمد سعيد.**
- من تاريخنا، ط٣، الرياض، مؤسسة دار الأصالة: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
* **عبد التواب: عبد الرحمن .**
- قايتباي المحمودي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٨م.
* **عبد الجبار: أحمد عبد الاله .**
- عادات وتقاليد الزواج في الحجاز، ط١، جدة، منشورات تهامة: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
* **عبد الجبار: عمر .**
- سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، ط٢، مكة، مؤسسة مكة للطباعة والاعلام: ١٣٨٥هـ.
- دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام، ط١، القاهرة، دار ممفيس: ١٣٧٩هـ.
* **عبد الحميد: آمال رمضان .**
- الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي "٦٤٨-٩٢٣هـ" ط١، القاهرة، مطبعة العمرانية: ١٤٢٣هـ.

* **عبد الدائم: عبد ا .**

ـ التربية عبر التاريخ، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين:١٩٨١م.

*** عبد الرحيم : عبد الرحيم عبد الرحمن.**

ـ اريخ العرب الحديث والمعاصر، ط٨، القاهرة، دار الكتاب الجامعي: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

* **عبد العال: حسن.**

ـ التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، القاهرة، دار الفكر العربي: ١٩٧٧م.

* **عبد الغني: أحمد شلبي.**

ـ أوضح الإشارات فيمن ولي مصر من الوزراء والباشات، تحقيق : عبد الرحيم عبد الرحمن، القاهرة، مكتبة الخانجي: ١٩٧٨م.

* **عبد ا : عبد الرحمن صالح .**

ـ تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ط١، دار الفكر: ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م.

* **عبد المعطي: حسام.**

ـ العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر الهجري، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب:١٩٩٩م.

* **عبيد: فيصل محمد.**

زمزم والزمازمة، جدة، دار القبلة: ١٤١٥هـ.

* **العثيمين: عبد ا الصالح.**

ـ تاريخ المملكة العربية السعودية، الرياض، مكتبة العبيكان: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

ـ نشأة إمارة آل رشيد، الرياض، جامعة الرياض: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

* **عجيمي: حسن.**

ـ إهداء اللطائف من أخبار الطائف، تحقيق: يحيى محمود بن جنيد الساعاتي، ط٢، بيروت، دار ثقيف للنشر: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

* **أبو العز : محمد ، وأكمل الدين أوغلي.**

ـ العلاقات العربية التركية من منظور تركي، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية: ١٩٩٣م.

* **عطية ا : أحمد.**

ـ القاموس الإسلامي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية: ١٩٧٠م.

*** العقيد: سيد أحمد علي عثمان :**

ـ العلاقات السودانية المكية عبر التاريخ، ط١، القاهرة، الدار العربية للنشر: ٢٠٠٦م.
*** ابن عقيل: عبد ا .**
ـ شرح ابن عقيل على ألفية بان مالك، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد، ط٥، القاهرة، دار الاتحاد العربي: ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.
* **علي : أحمد رجب محمد.**
ـ المسجد الحرام بمكة المكرمة ورسومه في الفن الإسلامي ط١، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية: ١٩٩٦م.
* **عوض: يوسف نور.**
ـ فن المقامات بين المشرق والمغرب، ط١، بيروت، دار العلم: ١٩٧٩م.
* **عناني: محمد زكريا.**
ـ مدخل لدراسة الموشحات والأزجال،الإسكندرية، دار المعارف: ١٩٨٢م.
ـ مراسلات متبادلة بين الشريف غالب ونابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق، الرياض، دارة الملك عبد العزيز: ١٤١٦هـ.
* **العيدروس: محيى الدين عبد القادر.**
ـ النور السافر عن أخبار القرن العاشرة، القاهرة.
* **العيسى: مي عبد العزيز .**
الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى ، الرياض، دارة الملك عبد العزيز: ١٤١٧هـ.
* **الغزالي: عبد ا محمد.**
ـ الأداب العربية في العصر العثماني، القاهرة.
*** الغزاوي: أحمد بن إبراهيم .**
ـ شذرات الذهب، ط١، جدة، اصدار مجلة المنهل: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
* **الغزي: نجم الدين.**
ـ الكواكب السائرة في أخبار المائة العاشرة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م
* **غنام: حسين**
ـ تاريخ نجد، ط٢، بيروت، دار الشروق: ١٤٠٥هـ.
دور ـ * **الفاداني:**

قرة العين في أسانيد شيوخي من أعلام الحرمين .
*** ابن فارس: أحمد بن زكريا .**
ـ معجم مقاييس اللغة، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، ط١، بيروت، دار الفكر: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
* الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد
ـ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، القاهرة: ١٩٥٦م.
ـ العقد الثمين، بيروت، مؤسسة الرسالة : ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
*** الفاسي: عبد الكبير**
ـ تذكرة المحسنين: موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي.
* **الفتوحي: ابن النجار .**
ـ شرح الكوكب المنير.
* **فروخ : عمر .**
ـ تاريخ العلوم عند العرب، ط٣، بيروت، دار العلم للملايين: ١٩٨٠م.
* **فريد : محمد.**
ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت، دار الجيل: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م
* **الفقي: عصام الدين عبد الرؤوف .**
ـ بلاد الهند في العهد الإسلامي، القاهرة: ١٩٨٠م.
* **فكري: أحمد.**
ـ مساجد القاهرة ومدارسها ، القاهرة، دار المعارف: ١٩٦٩م.
* **الفوزان: إبراهيم بن فوزان .**
ـ الأدب الحجازي الحديث، ط١، القاهرة، مكتبة الخنجي: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
ـ إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة، الرياض، مطابع الفرزدق: ١٩٨١م.
* **ابن فهد: عمر بن محمد** .
ـ اتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق : فهيم محمد شلتوت، ط١، مكة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث اسلامي بجامعة أم القرى.
* **الفيروز آبادي : محمد بن يعقوب .**
ـ القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
* **القاري: علي بن سلطان محمد**.

ـ المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية ، مكة، المطبعة الميرية: ١٣٠٣هـ.
* **قازيجي: ضياء.**
ـ خدمات الدولة العثمانية للحرمين الشريفين، بحث ضمن كتاب الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني،جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العربية، زغوان، ١٩٨٦م
* **القاسمي: محمد جمال الدين.**
ـ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، القاهرة، مطبعة بابي الحلبي.
* **القاضي: محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان.**
ـ روضة الناظرين من مآثر علماء نجد وحوادث السنين، ط٢، القاهرة، مطبعة الحلبي: ١٤٠٣هـ.
* **ابن قدامة: عبد ا بن أحمد المقدسي.**
ـ المغني، تحقيق: عبد ا بن عبدالمحسن التركي، عبد الفتاح الحلو، ط١، القاهرة، دارهجر: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
* **القلقشندي: أحمد بن علي.**
ـ صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة.

* **القنوجي: صديق بن حسن**.
ـ أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ـ محمد نعيم العرقسوسي، ط٩، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٣هـ.
* **الكتاني: عبد الحي بن عبد الكبير**.
ـ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والسلسلات، دار الغرب الإسلامي، بعناية إحسان عباس.
* **الكتاني: عبد الحي .**
ـ التراتيب الإدارية، بيروت، دار الكتاب العربي.
* **الكتاني: محمد جعفر.**
ـ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، ط٢، بيروت، دار الفكر: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

* **كتبي: زهير محمد جميل .**
ـ رجال من مكة المكرمة "العاصمة المقدسة"، ط١، جدة، دار الفنون: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
* **ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي .**
ـ اختصار علوم الحديث أو "الباعث الحقيقي إلى معرفة الحديث"، تحقيق محمد أحمد شاكر، القاهرة، مطبعة حجازي: ١٩٣٧م.
ـ تفسير القرآن العظيم، القاهرة، مكتبة دار التراث.
ـ جامع البيان في تأويل القرآن، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٢هـ.
* **كحالة: عمر رضا .**
ـ معجم المؤلفين، القاهرة، مؤسسة الرسالة؛ ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
* **الكردي: محمد طاهر** .
ـ التاريخ القويم لمكة وبيت ا الكريم، ط١، بيروت، دار خضر: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
* **الكيلاني: ماجد عرسان.**
ـ تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، ط٢، المدينة المنورة، مكتبة دار التراث: ١٤٠٥هـ.
* **مالكي : سليمان عبد الغني .**
ـ تاريخ الحج من خلال الحجاج المعمرين، ط١، مكة، مطابع جامعة أم القرى.
* **مانع: محمد.**
شرح النونية
* **متولي: مصطفى محمد .**
ـ مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية، ط١، الرياض، دار الخريجي: ١٤١٢هـ.
* **مجهول:**
ـ تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري ، تحقيق: محمد التونجي، ط١، جدة، دار الشروق: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
* **المحبي: محمد أمين بن فضل ا .**
ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، بيروت، دار صادر.
* **محمد سعيد: محمد سليم .**
ـ أكبر مجاهد في التاريخ " رحمت ا الهندي" .

* **محمد علي : أحمد رجب .**

ـ المسجد الحرام بمكة ورسومه في الفن الإسلامي، ط١، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

* **مخلوف: محمد بن محمد.**

ـ شجرة النور الزكية في طبقات السادة المالكية، القاهرة: ١٣٢٩هـ.

* **المرادي: محمد خليل.**

ـ سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، بيروت، دار الكتب العلمية: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

* **المرجة: موفق.**

ـ صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، ط٨، بيروت، دار البيارق: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

* **المرصفي: سعد.**

ـ الكعبة مركز العالم، ط١، بيروت ، مكتبة المنار الإسلامية: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

* **المزجاجي: زين الدين عبد الخالق.**

ـ نزهة رياض الإجازة المستطابة بذكر المشايخ أهل الرواية والإصابة، تحقيق: مصطفى عبد الكريم ، وعبد ا محمد اليمني، ط١ ، بيروت، دار الفكر: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

* **مسفر : عبد ا بن علي .**

ـ السراج المنير في سيرة أمراء عسير، ط١، دمشق، مؤسسة الرسالة: ١٩٧٨م.

* **مسلم : أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري**

ـ الصحيح، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، مكة، المكتبة الفيصلية.

* **المشاط: حسن بن محمد .**

ـ الجواهر الثمينة في بيان أدلة عالم المدينة، تحقيق عبد الوهاب أبو سليمان، بيروت، دار الغرب الإسلامي: ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

* **المصري : جميل عبد ا محمد.**

ـ حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ، ط١، المدينة المنورة: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. *

**معروف: ناجي .**

ـ مدارس مكة، بغداد، مطبعة الإرشاد.

* **ابن معصوم: ميرزا علي .**

ـ سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ط٢، الدوحة: ١٣٨٢هـ.

* **المعلمي: عبد ا بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم .**

ـ أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري مكة، مؤسسة الفرقان.

* **مغربي: محمد علي.**

ـ أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة، ط١، جدة، مطبوعات تهامة :١٩٨١م

ـ ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ط١، جدة، مطبوعات تهامة: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

* **مقادمي: فيصل عبد ا .**

ـ التعليم الأهلي للبنين بمكة المكرمة، تنظيمه والإشراف عليه، مكة، مطبوعات نادي مكة الثقافي، مطابع الصفا: ١٤٠٥هـ.

* **المقدسي: أبو شامي.**

ـ إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للشاطبي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي: ١٩٧٨م.

* **المقريزي: أحمد بن علي.**

ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط٢، القاهرة، المكتبة الثقافية الدينية١٩٨٧م.

* **الموسوعة العربية الميسرة**، بيروت، دار إحياء التراث الإسلامي: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

* **موسى: علي .**

ـ رسالة في وصف المدينة، نشر: حمد الجاسر ، ضمن مجموعة تحت عنوان "رسائل في تاريخ المدينة المنورة" ، الرياض، دار اليمامة.

* **موسى: محمد بن حسن بن عقيل.**

ـ المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية، ط١، جدة، دار الأندلس الخضراء: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

* **منصور: مساعد .**

ـ جداول أمراء مكة وحكامها منذ فتحها إلى الوقت الحاضر

* **ابن منظور:**

ـ لسان العرب، بيروت، دار صادر: ١٩٦٨م.

* **النابلسي: عبد الغني بن إسماعيل .**

ـ الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى مصر والشام والحجاز، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٨٦م.

* **الندوي: عبد الحليم.**
- مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، مطبعة نوري مدراس.
* **الندوي: محمد إسماعيل .**
- تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، ط١، بيروت، دار الفتح.
* **النسائي: أحمد بن شعيب**
- السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان، ووسيد كسروي، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
* **نصر: نصر الدين عبد الحميد .**
- مصر وحركة الجامعة الإسلامية من عام ١٨٨٢م إلى عام ١٩١٤م، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٨٤م.
* **النفراوي: أحمد.**
- الفواكه الدواني، بيروت ، دار الفكر.
* **النعمي: هاشم بن سعيد .**
- شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي عسير في الفترة ما بين "١٢١٥ـ ١٤١٥هـ"، ط١، جدة، دار العلم: ١٩٩٥م.
* **النعيمي:** عبد القادر بن محمد.
- الدارس في تار خ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، دمشق، المجمع العلمي: ١٩٤٨م.
* **نوح: سمير عبد الحميد.**
- الأدب الأردي الإسلامي، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي . طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
* **النهروالي : قطب الدين محمد بن أحمد .**
- الإعلام بأعلام بيت ا الحرام، دار الكتب.
* **النووي: يحيى بن شرف الدين.**
- **إعانة** الطالبين، بيروت، دار الفكر.
- شرح صحيح مسلم ، القاهرة، المطبعة المصرية.
* **هاشم: أحمد عمر .**
- قواعد أصول الحديث، القاهرة: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
* **الهاشمي: السيد أحمد .**

- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، مكة، مكتبة الباز: ١٣٩٩هـ.

* **هريدي: صلاح أحمد .**

- التعليم في مصر في القرن الثامن عشر الميلادي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية: ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

- دارسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر "١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م - ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م"، ط١، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: ٢٠٠٠م.

* **هريدي: محمد عبد اللطيف .**

- شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية ، ط١، القاهرة، دار الزهراء: ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

* **ابن هشام: عبد الملك.**

- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: ١٣٥٥هـ.

* **الهمزاني: بندر بن محمد رشيد .**

- المنهج التاريخي لمؤرخي مكة المكرمة في القرن الحادي عشر الهجري، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

* **الهيتمي : أحمد بن محمد بن علي.**

- تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال، تحقيق: محمد سهيل الدبس، ط١، ، بيروت ، دار ابن كثير: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

* **الهيلة: الحبيب.**

- التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن "٣ هـ - ١١ هـ" ، ط١، مكة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي: ١٩٩٤م.

* الواقدي: محمد بن عمر.

- فتوح الشام، القاهرة، مطبعة المشهد الحسيني: ١٣٦٨هـ.

* **الورثيلاني: الحسين بن محمد .**

- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، أو "الرحلة الورثيلانية"، ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي:١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

* **الوكيل: محمد السيد .**

ـ الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه، ط١، جدة، دار المجتمع : ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
* **ابن الوكيل: يوسف الملواني.**
ـ تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب ، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية: ١٩٩٨م.
* **الولاتي: أبي عبد ا الطالب محمد.**
ـ فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد حجي، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
* **ياغي: إسماعيل أحمد .**
ـ الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، الرياض، مكتبة العبيكان.
* **يحيى: جلال .**
ـ الثورة العربية ، تاريخ القومية العربية، ط١، القاهرة، دار المعرفة: ١٩٥٩م.

# فهرس المصادر والمراجع المعربة


*** أستيف :**

ـ النظام المالي والإداري في مصر العثمانية ، ترجمة : زهر الشايب، القاهرة، دار الـشايب: ١٩٧٩م.

* **أوزون: إسماعيل حقي .**

ـ أمراء مكة في العصر العثماني، ترجمة: خليل مراد، البـصرة، مركـز دراسـات الخلـيج العربي: ١٩٨٩م.

*** بروست: لأخيل أدريان** .

ـ الحج إلى مكة المكرمة وانتشار الأوبئة، ترجمة: محمد خير البقاعي، مكلة مكتبة الملك فهـد الوطنية، مج ٨، ع١، محرم ـ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ ، مارس / أغسطس ٢٠٠٢م.

*** بروكلمان: كارل .**

ـ تاريخ الأدب العربي في العصر العثماني، ترجمة: محمود فهمي حجازي، وعمر صابر عبد الجليل، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٥م.

*** بلنت:** آن .

ـ رحلة إلى بلاد نجد، ترجمة: محمد أنعم غالب، الرياض، دار اليمامـة للبحـث والترجمـة والنشر: ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.

* **بوركهارت: جون لويس .**

ـ رحلات في شبة جزيرة العرب، ترجمة عبد العزيز بن صالح الهلابي وعبد الرحمن الشيخ، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

* **جب: هاملتون .**

ـ المجتع الإسلامي والغرب، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مـصطفى، القـاهرة، الهيئـة العامـة للكتاب: ١٩٩٠م.

*** جلبي: أوليا**

ـ الرحلة الجازية، ترجمة: الصفصافي أحمد المرسي، القاهرة، دار الأفاق العربية: ١٩٩٩م.

*** جودت: أحمد باشا.**

ـ تاريخ جودت، تعريب عبد القادر أفندي، تحقيق عبد اللطيف بن محمد الحميد، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

*** جورج: انطونيس .**

- يقظة العرب، ترجمة علي الركابي، دمشق، مطبعة الترقي: ١٩٤٦م.
*** دومون: بول .**
- فترة التنظيمات "١٨٣٨ - ١٨٧٨م" تاريخ الدولة العثمانية، إشراف روبير مانتران، ترجمة بشير السباعي،القاهرة، دار الفكر : ١٩٩٣م.
* **ديديه : شارل .**
- رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي "١٨٥٤م"، ترجمة وتعليق: محمد خير البقاعي، الرياض، دار الفيصل الثقافية: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م
* **دوغوري : جيرالدو .**
- حكام مكة، ترجمة: محمد شهاب، الطبعة الأولى القاهرة، مكتبة مدبولي: ١٤٢٠هـ .
* **ريزفان: يغيم .**
- الحج قبل مئة سنة، "الصراع الدولي على الجزيرة العربية والعالم الإسلامي "١٨٩٨ - ١٨٩٩م" الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز دولتشين على مكة ، ط٢، بيروت، دار التقريب بن المذاهب الإسلامية: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
* **زيمة : البرخت .**
- شبه الجزيرة العربية في كتابات الرحالة الغربيين في مائة عام "١٧٧٠ - ١٨٧٠م" ، ترجمة: غازي عبد الرحيم شنبك، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة : ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
* **صاري: يلدز، جولدن** .
- الحجر الصحي في الحجاز "١٨٦٥- ١٩١٤م" ، ترجمة: عبد الرزاق بركات، ط١، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
* **صبري: أيوب** .
- مرآة جزيرة العرب، ترجمة : أحمد فؤاد متولي، أحمد المرسي الصفاقصي، الرياض، دار الرياض: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
* **كورتلمون: جيل جرفيه .**
- رحلتي إلى مكة ، ط١، الرياض، مؤسسة التراث: ١٤٢٣هـ
* **رحمت ا : محمد سليم .**
- أكبر مجاهد في التاريخ "الشيخ رحمت ا الهندي"، ترجمة: أحمد حجازي السقا، ط١، القاهرة، مطبعة النهضة العربية: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

* **المراد آبادي : رفيع الدين .**
ـ الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية ، ترجمة : سمير عبد الحميد إبراهيم نـوح، القـاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة:٢٠٠٤م.
* **المكي: محمد أمين.**
ـ الآثار المبرورة لسلاطين آل عثمان في الحرمين الشريفين، ترجمة: سعد الدين أونال، مكـة جامعة أم القرى ، مركز أبحاث الحج (غير منشور).
* **مهر: غلام رسول .**
ـ يوميات رحلة في الحجاز "١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م، ترجمة: سـمير عبـد الحميـد إبـراهيم، الرياض، دارة الملك عبد العزيز.
* **النعماني: شلبي .**
ـ رحلة هندي في بلاد الشرق العربي ، ترجمة وتعليق جلال الـسعيد الحفنـاوي، القـاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
* **هورخرونيه: سنوك .**
ـ صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة : محمد محمود السرياني ، معراج نواب مرزا، ، الرياض، دارة الملك عبد العزيز: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

# فهرس المصادر والمراجع الأجنبية


* ABN DOHAISH. Abdullatif , History Of Education In The Hijaz Up To 1925 , Dar Al Fikr – Al Arabi . Cairo . 1978 –1393.

* Shaw. J : The Finacial And A dministrative and Development Organization of O ttoman Egypt 1517 – 1798 . Princeton . New jersey 1964 .

* Foqhi , Suraiya Pilgrims and Sultans, The Hajj under The Ottomans 683london , New york .l .B. Tauris and co. ltd 1990.

**مصادر باللغة الأوردية:**

*** نواب حاجي : أحمد حسين**

- سفرنامه حجاز ومصر، كرزن اسيم بريز، دلهي.

**مراجع باللغة الروسية :**

*** شاه: رفيق محمد .**

- عظماء التتار، ط١، قزان ، دار المعارف : ٢٠٠٣.

***فخر الدين: رضاء الدين.**

- أتراك بلغار وقزان، ط١، تتارستان، مطبعة قزان: ١٩٩٣م.

# فهرس البحوث والندوات

*** آل زلفة: محمد عبد ا .**

ـ إصلاحات حسيب باشا في ولاية الحجاز "٢٨٤٨ـ ٢٨٤٩م" كما جاء في الوثائق العثمانيـة، بحث ضمن كتاب الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع: عبد الجليل التميمي، تونس، ١٩٨٨م.

ـ ميزانية ويلاتي الحجاز واليمن لعام "١٢٨٣هـ،١٨٦٦م" ، بحـث ضـمن كتـاب الحيـاة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، جمع وتقـديم : عبـد الجليـل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية ،زغوان: ١٩٨٦م.

ـ دور عسير في أحداث الحجاز في الفترة ما بين "١٢٦٧هـ/١٨٥٠م ـ ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م"، بحث ضمن كتاب الولايات العربية ومصادر وثائقعا في العهد العثماني، جمع وتقديم: عبد الجليل التميمي، ط١، زغوان، مطبعة الاتحاد العام التونسي: ١٩٨٤م.

* **إبراهيم: عبد اللطيف .**

ـ وثائق الوقف على الأماكن المقدسة، أبحاث مؤتمر مـصادر الجزيـرة، جامعـة الريـاض: ١٩٧٩م.

* **أحمدون: عبد الخالق المفضل .**

ـ الرحلة الحجازية الصغرى لأبي عبد ا محمد بـن عبـد الـسلام بـن ناصـر الـدرعي (ت١٢٣٩هـ،١٨٢٣م، بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية ، المنعقدة بالرياض من "٢٤ـ ٢٧ رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢١ـ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٠"، دارة الملك عبد العزيز.

* **الأرناؤوط : محمد .**

ـ صورة مكة في رحلات الحج للبشانقة. وزارة الحج، ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٣هـ.

* **أوغلو: إحسان فضلي .**

ـ الحج في الأدب التركي العثماني بين الحقيقة والمجاز، وزارة الحج، ندوة أبحاث الحج عـام ١٤٢٢هـ.

* **باقادر: أبو بكر أحمد .**

ـ علماء الحرم الشريف: نشر النور والزهر نموذجاً، بحث ضمن بحوث كتاب مكة عاصـمة الثقافة: وزارة الحج ، الندوى الكبرى لعام ١٤٢٣هـ.

*البرناوي: محمد ولد أحمد .

ـ العلماء الشناقطة ورحلة الحج، بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، المنعقدة في الرياض في المدة من "٢٤ـ ٢٧ رجب ١٤٢١هـ/ ٢١ـ ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٠م" ، دارة الملك عبد العزيز.

* بلقاسم : سعد ا .

ـ رحلة ليون روش إلى الحجاز "١٨٤١ ـ ١٨٤٢م"، بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية ، المنعقدة بالرياض من "٢٤ـ ٢٧ رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢١ـ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٠"، دارة الملك عبد العزيز

* الجاسم: نجاة عبد القادر.

ـ العثمانيون والحجاز في القرن "١٩م"، بحث من كتاب الذكرى والتاريخ ، إشراف : شاكر مصطفى ، الكويت، مطابع اليقظة ١٩٧٨م.

* خان: أحمد حاج علي .

وصف رحالة الهند وباكستان للجزيرة العربية، مصدر مهمل من مصادر التاريخ للجزيرة العربية، هـ،١٨٢٣م، بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية ، المنعقدة بالرياض من "٢٤ـ ٢٧ رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢١ـ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٠"، دارة الملك عبد العزيز.

* صابان: سهيل .

ـ رحلة علي سعاد إلى الأحساء والبحرين والمدينة المنورة عام ١٣٢٧هـ، بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية ، المنعقدة بالرياض من "٢٤ـ ٢٧ رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢١ـ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٠"، دارة الملك عبد العزيز.

* الظريف: محمد .

ـ مكة المكرمة في رحلات علماء شنقيط، وزارة الحج، أبحاث ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

* مخلوف: ماجدة صلاح .

ـ أحمد جودت باشا وتطوير المدرسة العثمانية، العلم والمعرفة في العالم العثماني، مركز الأبحاث والفنون والثقافة الإسلامية باسطانبول، بحوث المؤتمر الدولي حول العلم والمعرفة في العالم العثماني، باسطانبول: ٢٠٠٠م.

* موسى: فائز .

ـ قضاة المدينة المنورة، الرياض، من أبحاث مجلة الدارة: ١٤٢٢هـ.

* **النعمي: عبد ا الأمين .**

ـ القيم الدينية والتربوية من خلال رحلة الشيخ محمد كامل بن مصطفى إلى الـديار المقدسـة "١٢٩٥هـ/١٨٧٨م"، ندوة الحج الكبرى لعام ١٤٢٣هـ،

* **نوح: سمير عبد الحميد.**

ـ أدب الحج في القارة الهندية، وزارة الحج، أبحاث ندوة الحج لعام ١٤٢٢هـ/٢٠٠٣م.

ـ أثر مكة والحج في ثقافة وأدب شبه القارة الهنديـة، وزارة الحـج، أبحـاث نـدوة الحـج لعام١٤٢٣هـ.

* **بحوث المؤتمر الدولي حول العلم والمعرفة في العالم العثماني** بمناسبة الـذكرى الـسبعمائة على قيام الدولة العثمانية، بحوث مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اسطانبول، ١٩٩٩م.

* **المملكة العربية السعودية ،** "وزارة المعارف" الوثـائق التربويـة "المدرسـة الـصولتية" ، الرياض عام : ١٣٩٢هـ

# فهرس الدوريات

## ١ ـ الصحف :

* أبو الثريا: سامي

ـ مطلع أنوار المعارف، جريدة حجاز، العـدد٣، ١٣٢٦/١٠/٢٩هـ ـ ـ الموافـق ٢٤/ ١١/ ١٩٠٨.( جامعة الملك سعود ، قسم المخطوطات )

* جريدة الحجاز، العدد١، ٨/ شوال/ ١٣٢٦هـ، (جامعة الملك سعود: قسم المخطوطات).

* جريدة الحجاز، العدد ٦٠، ٢٨/ ٧/ ١٣٢٨هـ الموافق ١٩١٠/٨/٥م . (جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات)

* جريدة صوت الحجاز، العلم والأدب والتاريخ والأجتماع، ١٣٥١/٩/٦هـ، (مكتبـة الحـرم المكي الشريف، قسم المخطوطات).

* **زيدان: محمد حسين .**

ـ قضايا وآراء، "رجال في مكة المكرمة، يوسف قطان"، جريدة الندوة، العدد ٢٨٤٠، ٣٠/ ٧/ ١٤٠٦هـ.

* **أبو سليمان : عبد الوهاب إبراهيم.**

ـ العلامة عبد الحميد قدس، وتراثه العلمي، ملحق التراث بجريدة المدينة، العدد ٢٩، الـسنة ١٩، ١٤١٦/٥/٤هـ؛ والعدد ٣٠، السنة ١٩، ١٤١٦/٥/١١هـ.

* المدرسة الصولتية، جريدة البلاد ، العدد ٧٣٤٢، في ١٤٠٣/٨/٣هـ.

* رجال من مكة المكرمة، جريدة الندوة، ع١٠٥٥٠، في ١٤١٤/٣/٦هـ، والعـدد ١٠٥٦٦، ١٤١٤/٣/٢٥هـ، والعدد ١٠٥٧٠، في ١٤١٤/٣/٢٩هـ.

## ٢ ـ المجلات:

* **آل كمال: سليمان بن صالح .**

ـ مكتبة آل فهد ودورها الحضاري في ازدهـار الحركـة العلميـة المكيـة خـلال الفتـرة "٧٣٦ـ٩٩٥هـ / ١٣٣٥ ـ ١٥٨٦م"، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنيـة، المجلـد ٩، العـدد ١، محرم ١٤٢٤هـ.

* **الأرناؤوط : محمد .**

ـ مساحات مفتوحة من البوسنة إلى مكة المكرمة، جدة، مجلة الحـج ، العـدد٦ ، أكتـوبر ـ نوفمبر ٢٠٠٢م.

* **الأنصاري: عبد القدوس .**

ـ الشاعر عثمان الرضي، مجلة المنهل ، جمادي الثانية، سنة ١٣٧٣هـ ؛ و ذي الحجة، سـنة ١٣٧٦هـ.

ـ يوم في متحف مكة المكرمة، جدة، مجلة المنهل ،المجلد ٢١، جـزء ٥، جمـادى الأولـى ١٣٨٠هـ/ نوفمبر ١٩٦٠م

* **أوغلو : خليل ساحلي.**

ـ النقود في البلاد العربية في العهد العثماني، بحث منشور في مجلة كلية الأداب جامعة عمان ، الأردن.

* **البركاتي: ناصر عبد ا .**

ـ التطور التاريخي لمكتبة الحرم المكي الشريف ، مجلة العصور، المجلـد ٢، الجـزء ٢، ذو القعدة ١٤٠٧هـ/ يوليو ١٩٨٧م.

* **الجاسر : حمد .**

ـ رحلة محمد بن عبد السلام الدرعي، مجلة العرب، العدد، ٧، ٨، السنة ٩، محرم ـ صفر / ١٣٩٥هـ ـ / فبراير ـ مارس / ١٩٧٥م.

* **الجميح: إبراهيم عبد العزيز .**

ـ معاناة الحجيج في الحقبة الماضية كما صورها البتنوني في "الرحلة الحجازية" ، جدة، مجلة الحج، المجلد ٧، السنة ٥٤، محرم ١٤٢٠هـ/مايو ١٩٩٩م.

* **حافظ: إسماعيل**

أسماء مكة مجلة الدارة، س٤، ع٤، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م.

* **الخياط: محمد أبو الفتوح .**

ـ الجذور التاريخية للتعليم في المملكة العربية السعودية ، الرياض، مجلة الـدارة، العـدد ٢، السنة١، جمادى الثانية ١٣٩٥هـ / يونيه ١٩٧٥.

* **الدسوقي: محمد كمال .**

أهمية الحجاز، مجلة كلية الشريعة، ع٤، ١٣٩٥هـ.

* **بن دهيش: عبد اللطيف .**

ـ ترجمة ودارسة وتحليل لتقرير المندوب البريطاني عند الدولة العثمانيـة: عـن المؤسـسات التعليمية في الحجاز في عام "١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م"، مجلة جمعية التاريخ والآثار بدول مجلـس التعاون لدول الخليج العربية، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠م.

ـ مكتبات المدينة المنورة في العهد العثماني، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكـة، العدد٣، السنة ٣، عام ١٣٩٧هـ ـ ١٣٩٨هـ.

ـ المدرسة الإسلامية أو "دار الفائزين" بمكة المكرمة، الرياض، مجلة الدارة، العدد ٢، الـسنة ١٤، محرم، صفر، ربيع الأول ١٤٠٩هـ/ أغسطس ، سبتمبر ، أكتوبر ١٩٨٨م.

*** رحمت ا : محمد سليم**

ـ المدرسة الصولتية، جدة، مجلة المنهل، ذو القعدة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.

* **رحمت ا : مسعود سليم.**

ـ المدرسة الصولتية وجهاد قرن من الزمان. جدة، مجلة المنهل، المجلـد ٥٠،العـدد ٤٦٧، السنة ٥٥، ربيع الثاني وجمادي الأول ١٤٠٩هـ/ ديسمبر ويناير ١٩٨٩م.

* **شرف: بكر .**

ـ ذكريات من مدرسة الخياط ، جدة، مجلة المنهل ، المجلد ٧، العدد ١١، ١٢، السنة ١٧، ذو القعدة ـ ذو الحجة ١٣٦٦هـ/ اكتوبر ـ نوفمبر ١٩٤٧م .

* **الضبيعان: سعد .**

ـ صناعة الكتاب في المملكة العربية السعودية، ترجمة وعرض: جعفر إبراهيم التـاي، عـالم الكتب، المجلد ٤، العدد ٤، ربيع الثاني ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* **العامودي: محمد سعيد .**

ـ صحافتنا أمس واليوم، جدة، مجلة المنهل، المجلد٧، العـدد١١، ١٢، الـسنة ٧، ذو القعـدة والحجة، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

ـ عبد الواحـد الجـوهري الأشـرم، جـدة ، مجلـة المنهـل ، المجلـد ٤، العـدد ٢، ذي الحجة،١٣٧٦هـ ، والمجلد ٩، العدد ٣، ربيع الأول ١٣٦٨؛ و المجلد ٩، العـدد ٥، جمـادى الأولى ١٣٦٨هـ.

* **عبد الجبار: عبد ا .**

ـ المكتبات في قلب الجزيرة العربية، جدة، مجلة المنهل، المجلد ١٩، الجزء ٩، السنة ٢٣، ذو القعدة ١٣٧٨/ مايو ١٩٥٩م.

*** عبد الجبار: عمر.**

ـ أحمد بن علي النجار "١٢٧٢هـ ـ ١٣٤٧هـ". جدة، مجلة المنهل ، المجلد ١، جزء ١ و ٢، السنة ٢٦، محرم وصفر ١٣٨٠هـ/ يوليو وأغسطس ١٩٦٠م.

ـ تراجم الأعلام: الشيخ طاهر بن محمد سنبل، جدة، مجلة المنهل، المجلد٢١، الجزء٣، ربيع الأول ١٣٨٠هـ/أغسطس ١٩٦٠م.

ـ من علماء القرن الثالث عشر بالمسجد الحرام ، فضيلة الشيخ إبراهيم بن حسين بن محمد بيري، مجلة المنهل، المجلد٢١، الجزء٥، السنة ٢٦،جمادى الأولى ١٣٨٠هـ/نوفمبر١٩٦٠م.

* **العراقي: أحمد .**

ـ محمد زنبير اللاطام حياته ورسائله وفهرسة، بيروت ، مجلة الزخائر، العدد ٢، السنة ١، ربيع الأول ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠، ص١٣٩.

* **عريف : محمد خضر .**

ـ تاريخ مكتبة الحرم المكي الشريف، مجلة عالم الكتب، المجلد ٤، العدد ٣، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

* **العمرو: صالح .**

ـ تقارير القناصل البريطانيين كمصدر لتاريخ الجزيرة، مجلة العرب، جماديان، ١٣٩٧هـ/ مايو/يونيو ١٩٧٧م.

* **غباشي: عادل نور .**

ـ دار الضيافة بمكة في عصر السلطان عبد الحميد الثاني، مكة، مجلة جامعة أم القرى، العدد ١٠، السنة ٨، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

* **الغزاوي: أحمد بن إبراهيم .**

ـ شذرات الذهب ، جدة، مجلة المنهل، المجلد ٢٩، جزء٢٢، ذو الحجة ١٣٨٨هـ/ مارس ١٩٦٩م ؛ المجلد ٢٤، جزء ٥، شوال ١٣٨٣هـ/مارس ١٩٦٤م

* **فال: محمد محمد .**

ـ صفحات من تاريخ الرحالة الموريتانيين لأرض الحرمين، جدة، مجلة الحج، المجلد ٧، السنة ٥٤، محرم ١٤٢٠هـ/مايو ١٩٩٩م.

* **فهد: بدري محمد .**

ـ دور الوراقين في نشر المعرفة، مجلة الزخائر، العدد ٩، السنة ٣، عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

* **كرو: أبو القاسم محمد .**

- أحمد أديب المكي، الفيصل، العدد ٣٠١، رجب ١٤٢٢هـ/سبتمبر ٢٠٠١م.
*** كمال الدين حسين .**
إسقاط الكرة الأرضية بالنسبة لمكة المكرمة وتعيين اتجاه القبلة ، مجلة البحوث الإسلامية، المجلد ١، العدد ٢، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
* **المحبوب: حمذن بن احمد .**
- الرحلات الـشنقيطية صـوب الجزيـرة العربيـة، مجلـة التـاريخ العربـي، العـدد١٧، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣.
**مجهول:**
- أبو بكر خوقير وفاته وملخص ترجمته، مجلـة المنـار ، المجلـد٣١، ج٣، ربيـع الآخـر ١٣٤٩هـ/ سبتمبر ١٩٣٠م
* **المحرر:**
- المكتبة الماجدية بمكة المشرفة، جدة مجلة المنهل، المجلد ٦، العدد ١٠، الـسنة ٦، شـوال ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.
- مكة المكرمة مركز الأرض مجلة الفيصل، السنة ١، العدد١، ١٩٧٧/١٣٩٨م .
* **مراد: محمد .**
- المرتكزات البنيوية للمجتمع العربي في ظل السلطنة العثمانية، مجلة تاريخ العرب والعـالم، السنة ١٩، العدد١٧، رمضان شوال١٤١٩/ يناير- فبراير ١٩٩٩م.
*** المرسي : الصفصافي أحمد**
- الدولة العثمانية والولايات العربية، مجلة الدارة، دارةالملك عبد العزيز، الريـاض، الـسنة٨، العدد٤، رجب ١٤٠٣هـ/إبريل ١٩٨٣م.
* **المعصومي: محمد .**
- ذكريات طريفة عن بعض كبار العلماء في مكة في الجيل الماضي، عرفت هؤلاء الرجال، جدة، مجلة الحج، الجزء٤، السنة ٦، شوال ١٣١٧هـ/ يولية ١٩٥٢م.
* **نصيف: محمد حسين .**
- أول دخول الشاي في الحجاز، جدة، مجلة المنهل، محرم ، صـفر ١٣٧٦هـ/ أغـسطس، سبتمبر ١٩٥٦م.
- بعض ذكرياتي من قبل ربع قرن، مجلة المنهل، المجلد ١٠، العدد١، محرم ١٣٦٩هـ

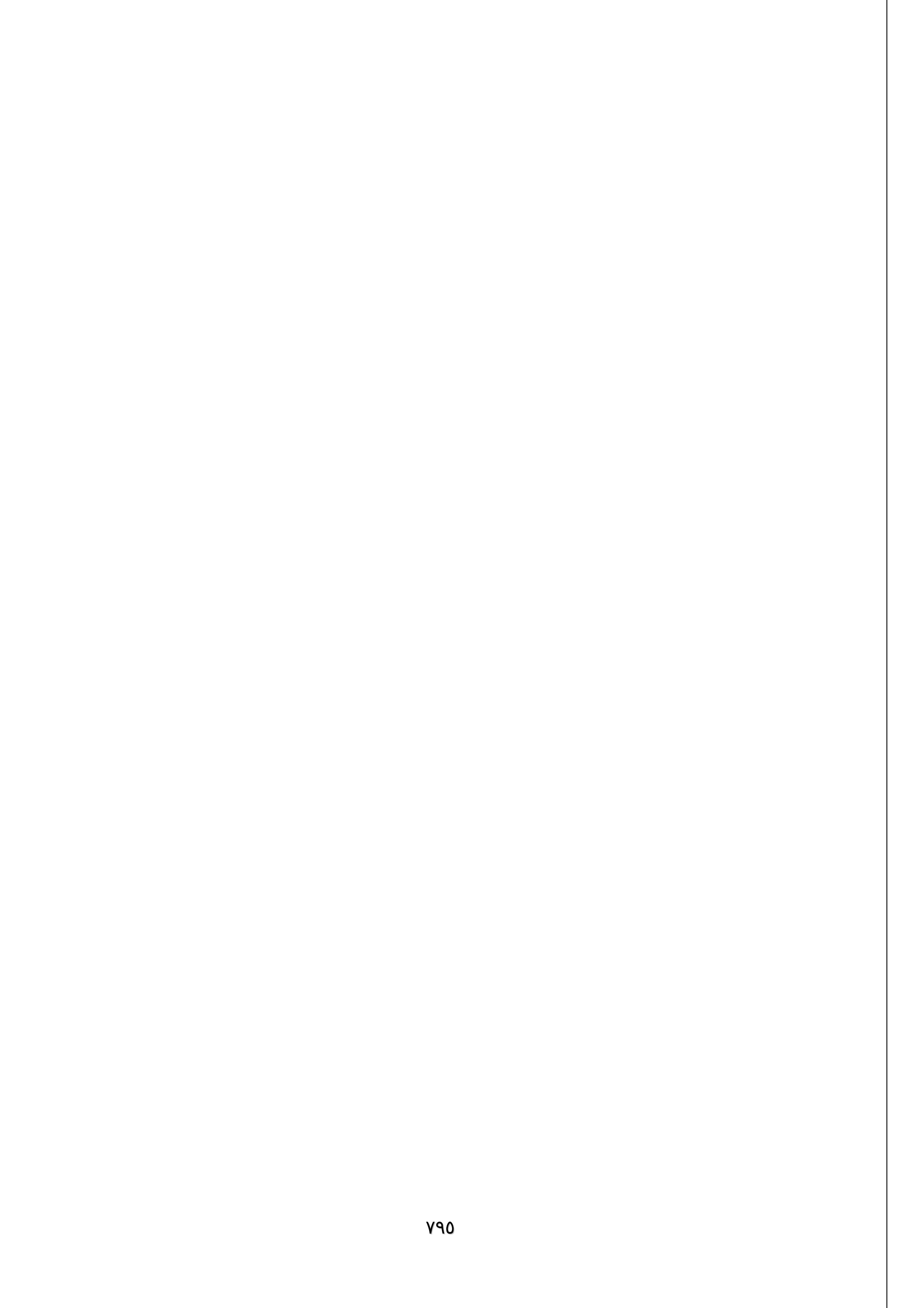
ـ حلقة من تاريخنا المنسي، مجلة المنهل، المجلد ١٩، الجزء١، المحرم ١٣٧٨هـ/ أغسطس ١٩٥٨م.
ـ الخفتان والقفطان، جدة، مجلة المنهل، المجلد ٢٣، الجزء١، صفر ١٣٨١هـ/١٩٦١م.
ـ علماء جدة المعاصرون الراحلون، جدة، مجلة المنهل، المجلد٦، العدد ٤، ربيع الثاني، ١٣٦٥هـ.

*** هريدي: صلاح .**

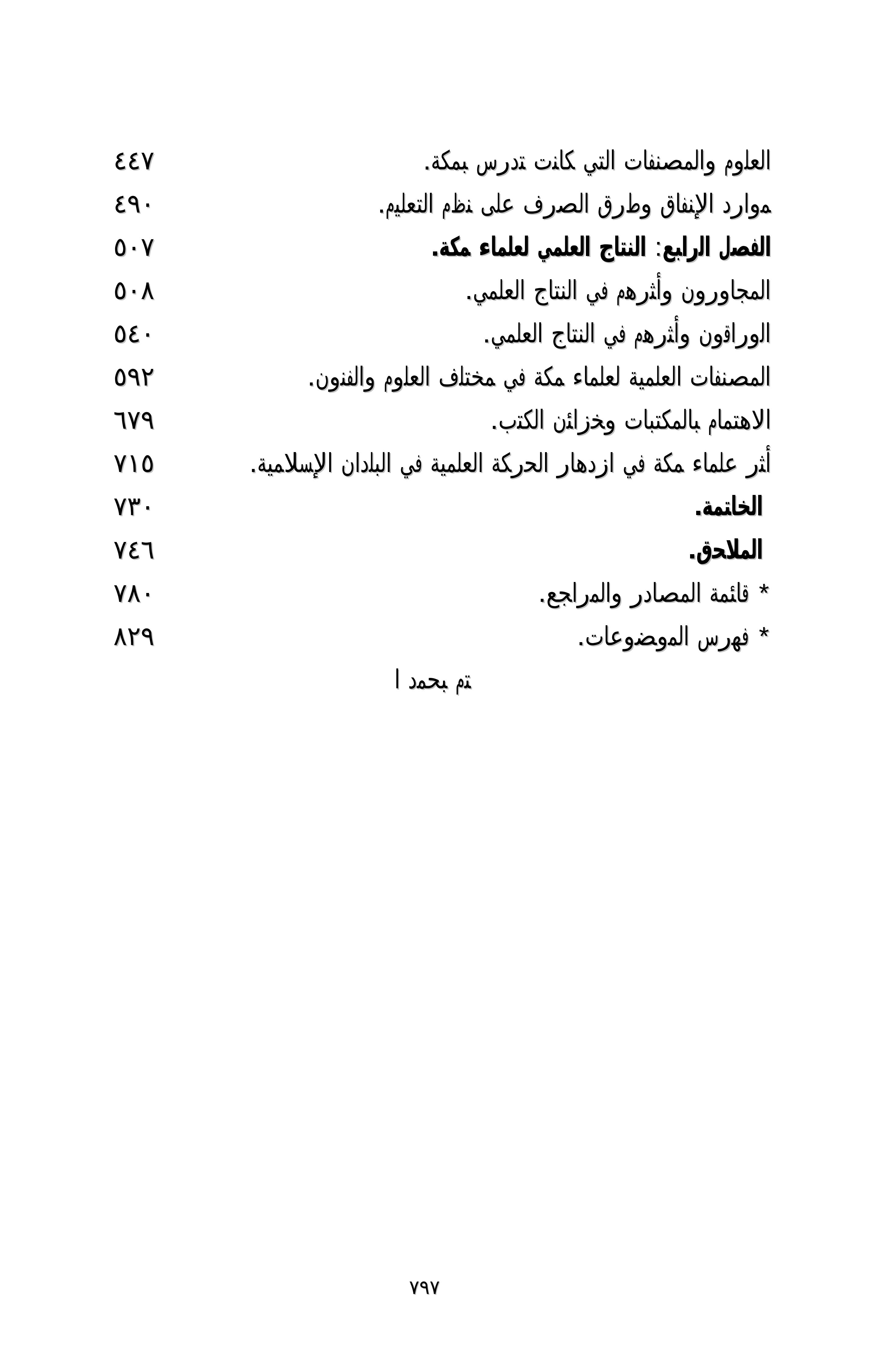
ـ الإدارة في الإسكندرية في العصر العثماني ، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد ٦٥، زغوان ،تونس: ١٩٩٢م.

## التقارير والمقابلات

- مقابلة مع الشيخ ماجد سعيد رحمت ا مدير الصولتية في ١٤٢٥/٤/١هـ.
- تقرير من إدارة المدرسة الصولتية في ١٤٢٥/٤/١هـ.
- تقرير عن مدرسة دار الفائزين ، من قبل ناظر دار الحديث الخيرية ودار الفائزين.
- موقع المدرسة الصولتية على النت : www . alsawlatiyah . com
- موقع www.20at.com



# فهرس الموضوعات





تم بحمد ا